

السور والعتب في السور اعظ والخطب

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م

دراسة وتحقيق وتعليق:
الدكتورة (روى) سيرة مجزوب



دار النبأ للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

القسم الأول

الفصل الأول: الخطابة والخطيب.

أ - الخطابة: تعريفها وخصائص أسلوبها.

ب - الخطيب: صفاته وعدته.

ج - الخطابة بين الجاهلية والإسلام.

الفصل الثاني: ترجمة المصنف.

أ - عصره.

ب - حياته.

ج - مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه.

د - مؤلفات ابن الجوزي.

هـ - ابن الجوزي الخطيب الواعظ.

الفصل الأول

الخطابة والخطيب

الخطابة

تعريفها وخصائص أسلوبها

الخطابة هي فن ثري يمتاز بمشافة الجمهور بطرق مخصوصة لأداء الكلام، بهدف أستمالتهم إلى فكرة معينة أو موضوع خاص، بأسلوب بيّن العبارات، سامي المعاني، جزل الألفاظ، يمتزج فيه العقل بالعاطفة؛ فيخاطب الفكر كما يخاطب الوجدان؛ لينفذ من خلالهما إلى غايته من الإثارة والإقناع. لذا كان للأسلوب الخطابي سمات خاصة أجملها فيما يلي:

١ - الوضوح:

لما كانت الخطبة موجهة إلى الناس على أختلاف أقدارهم، وتمايز أفهامهم؛ إذ فيهم العالم وفيهم الجاهل، فأقتضى ذلك أن تكون في أسلوب حسن، تفهمه العامة، ولا تمجّه الخاصة، بألفاظ سهلة عذبة، وبعبارات متألّفة متناسقة، لا هي بالسوقية المبتذلة تفقد معها الخطبة جمالها، ويضعف تأثيرها، ولا بالوحشية الغريبة التي تشغل السامعين بحل رموزها وفهم ألغازها دون التفكير في معانيها؛ يقول قدامة بن جعفر^(١): «... ألا يُظن أن البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ والتعمّق في المعنى، فإن أصل الفصح من الكلام ما أفصح عن المعنى، والبلغ ما بلغ المراد، ومن ذلك أشتقا، فأفصح الكلام ما أفصح عن معانيه ولم يحوج السامع إلى تفسير له، بعد ألا يكون كلاماً ساقطاً أو لألفاظ العامة مشبّهاً».

وإضافة إلى ذلك لا بد للخطيب من أن يستكمل عنصر الوضوح في الخطبة، بحيث تكون فقراتها وأجزاؤها مترابطة متألّفة، تُسلم كل فقرة إلى التي تليها في توافق وأنسجام، فلا فجوات فيها تشوش أفكار السامعين.

٢ - الإطناب والإيجاز:

إن الخطيب تختلف طولاً وقصراً بحسب مقاماتها، وعلى الخطيب أن يراعي ذلك كله، فإن أقتضى المقام إسهاباً أسهب من غير إملال، وإن أقتضى إيجازاً أوجز من غير إخلال؛ قال الجاحظ^(٢): «ثم أعلم - بعد ذلك - أن جميع خطب العرب من أهل المَدَن والوَبَر، والبدو والحضر، على ضربين: منها الطوال، ومنها القصار، ولكل ذلك مكان يليق به، وموضع يحسن فيه».

فالخطيب مطالب بحسن الاختيار بين الإيجاز والإطناب، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقتصر عن بلوغ الإرادة، ولا يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز فيتجاوز مقدار الحاجة فينتهي بالسامعين إلى الملل، فقد قيل قديماً: لكل مقام مقال.

(١) نقد الشر، ص ١٠٥.

(٢) البيان والتبيين، ٢/ ٣٨.

والإيجاز إنما يكثر في الخطب التي تلقى في ميدان الحرب، إذ يكتفي الخطيب في مثل هذا الموقف بالتذكير بالله وبيان ما أعدّه الله تعالى للمجاهدين من الفوز بإحدى الحسنيين؛ من ذلك قول رسول الله ﷺ يوم بدر^(١): «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مُقْبِلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة».

ويستحسن الإيجاز أيضاً في المواعظ والوصايا التي يراد حفظها ونقلها، وعند مخاطبة ذوي الأفهام من العلماء والحكماء والبلغاء الذين يستغنون بالتلميح عن التوضيح، وبالقول عن التفسير؛ ومن ذلك خطبة قصيرة للنبي ﷺ حيث قال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه^(٢) -: «أيها الناس إن لكم معالم فأنتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فأنتهوا إلى نهايتكم، إن العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله قاض به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه؛ فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبهة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مُسْتَعْتَب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، أقول قولِي هذا وأستغفر الله لي ولكم».

أما الإطالة فتكثر في الخطب التي تعرض لشرح منهج، أو توضيح فُكْر وما شاكل ذلك، وعند مخاطبة العوام الذين تحوَّجهم ضالكة ثقافتهم إلى مزيد من الشرح والتوضيح.

غير أنه يجدر بالخطيب المطنب أن يكون دائم السيطرة على جمهوره؛ بآختيار الألفاظ المؤثرة، والعبارات المشوِّقة، مع حسن الإلقاء وجودته؛ لأنه لا يأمن ضجرهم ومللهم، فإن أحسن منهم فتوراً أوجز؛ يقول قدامة^(٣): «وإذا تبيَّن منهم إعراضاً عنه وتثاقلاً عن استماع قوله خفف عنهم؛ فقد قيل: مَنْ لَمْ يَنْشُطْ لِكَلَامِكَ فَارْفَعْ عَنْهُ مَوْئِنَهُ الاسْتِمَاعَ مِنْكَ».

أما إن كان المقام يفرض على الخطيب إطناباً في الخطبة بحيث يعتبر الإيجاز فيه تقصيراً ألْزَمَ الإسهاب غير مبال بمن ضَجِرَ ومَلِلَ، قال ابن المقفع^(٤): «إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهل فلست منه وليس منك، ورضا جميع الناس شيء لا تناله، وقد كان يقال: «رضا الناس شيء لا يُنال».

والإطناب إنما يكون بالشرح والتفسير؛ ليفهم من بُعد فهمه، ويعلم من قصر علمه، وبالتكرار والإعادة لتثبيت الفكرة وتأكيداها، ولكن بشرط أن يقع في موقعه المناسب من الخطبة ليتحقق الهدف منه في التوضيح وزيادة قوة التأثير، ومن الخطب التي حَسُنَ التكرار فيها قول الحجاج في إحدى خطبه^(٥): «امرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربه، امرؤ زور^(٦) عمله، امرؤ فُكِّرَ فيما يقرؤه غداً في صحيفته، ويراها في ميزانه، امرؤ كان عند همة أمرأ، وعند

(١) ابن هشام، تهذيب سيرة النبي ﷺ، ٤٥٧/١. ويدر: ماء مشهور بين مكة والمدينة، به كانت الوقعة المشهورة بين النبي ﷺ وأهل مكة. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٧٠/١.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٣١/٢. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١٦/١٨.

(٣) نقد الشر، ص ٩٦.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٨٢/١. وابن المقفع هو عبد الله بن المقفع البليغ المشهور، كان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور، وكان قتله بالبصرة بأمر المنصور سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م. ابن حجر، لسان الميزان، ٣٦٦/٣. الزركلي، الأعلام، ١٤٠/٤.

(٥) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ٣٠٢/٢. والحجاج هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد، داعية، خطيب، ولي العراقين لعبد الملك بن مروان، توفي سنة ٩٥هـ - ٧١٤م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٩/٢. الزركلي، الأعلام، ١٦٨/٢.

(٦) زور الشيء: حسنه وقوّمه. الفيروزآبادي، القاموس، «زور»، ص ٥١٦.

هواه زاجراً، امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جملة، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفه، إنا والله ما خلقتنا للفناء، وإنما خلقتنا للبقاء، وإنما نتقل من دار إلى دار.

٣ - قوة التأثير:

وهذا إنما يتأتى من حسن اختيار الألفاظ ذات الإيحاء والإيقاع؛ فلكل لفظ صور وظلال يوحي بهما دون سواء؛ لذا وجب على الخطيب أن ينتقي منها المؤثر المعبر عن موضوعه، الموصل إلى هدفه، فإن كان يتوعد ويتهدد في خطبته أكثر من الكلمات ذات الوقع الشديد، والأثر البليغ؛ وذلك كنحو ما ورد في خطبة الحجاج التي ألقاها حينما ولي العراق، قال^(١): «أما والله لألحُونَكُمْ لَحْوَ العصا^(٢)، ولَأَقْرَعَنَّكُمْ قَرْعَ المَرْوَةِ^(٣)، ولَأَغْصِبَنَّكُمْ غَضَبَ السَّلَمةِ^(٤)، ولَأَضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غرائب الإبل^(٥)...» فالفاظه جميعها فيها من التهويل والتهديد والتحذير ما فيها لمن توسوس له نفسه بنقض الطاعة، وبذر الفتنة.

أما إن كان الخطيب مهتئاً بظفر أو معزياً بموت أو نحو ذلك، فالأجدر به أن يختار من الألفاظ ما كان سهلاً جزلاً، رشيقاً عذباً، وأن ينأى عن الألفاظ الشديدة القوية، من ذلك خطبة عبد الله بن همام السلولي^(٦) مهتئاً ومعزياً يزيد بن معاوية^(٧) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول^(٨): «يا أمير المؤمنين، أجرك الله على الرزئية، وبارك لك في العطية، وأعانك على الرعية، فلقد رزئت عظيماً، وأعطيت جسيماً، فأشكر الله على ما أعطيت، وأصبر على ما رزيت، فقد فقدت خليفة الله، ومُنحت خلافة الله، ففارقت جليلاً، ووهبت جزيلاً، إذ قضى معاوية^(٩) نجه، فغفر الله له ذنبه، ووُلّيت الرئاسة فأعطيت السياسة، فأوردك الله موارد السرور، ووقفك لصالح الأمور».

والجمل القصار أشد تأثيراً، وأكثر تلبية للخطيب الذي يروم التأثير السريع؛ لأنها سريعة الأداء، سريعة الفهم، متلاحقة الأثر، فإذا أنضاف إلى ذلك السجع كان أجمل وأقوى، على أن يكون عفويّاً لا متكلفاً، طبعياً لا مستكروهاً، وإلا كان منكراً مكروهاً، يقول قدامة^(١٠): «ومن أوصاف البلاغة أيضاً السجع في موضعه، وعند

- (١) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ٢/٢٦٣.
- (٢) لحوت العصا: قشرتها، واللحاء: ما على العصا من قشرها، ولحيت الرجل الحاء لَحياً إذا لمته وعذّته، ولاحيته ملاحاة ولحاء إذا نازعته، وَلَحَوْتُ العصا أَلَحَوَهَا لَحْواً: قشرتها. ابن منظور، اللسان، «الحاء»، ١٥/٢٤٢.
- (٣) قرع الشيء: ضربه. والمروة جمعها مَرْو: وهي حجارة بيض بَرّاقة تكون فيها النار وتقدح منها النار. ابن منظور، اللسان، «قرع»، ٨/٢٦٣، و«مراء»، ١٥/٢٧٥.
- (٤) السَّلَمة: شجرة ذات شوك، وورقها القَرَط الذي يُلَبِّغ به آدم، وَيَغْسُرُ خَرَطُ ورقها لكثرة شوكها، فَتَغْصِبُ أَغْصَانُهَا بَأَن تَجْمَع وَيُشَدُّ بعضها إلى بعض بحيل شداً شديداً ثم يَهْبِصُهَا الخابط إليه ويخيطها بعصاه فيتناثر ورقها. والعَصْب: الطي الشديد، وَعَصَبَ الشيء يعصبه عصياً: طواه ولواه، وقيل: شدّه. ابن منظور، اللسان، «عصب»، ١/٦٠٢، ٦٠٣.
- (٥) هذا مثّل ضربه لنفسه مع رعيته يَهْدُدُهُمْ، وذلك أن الإبل إذا وردت الماء، فدخل عليها غريبة من غيرها، ضربت وطردت حتى تخرج عنها. ابن منظور، اللسان، «غرب»، ٧/٦٤٧، ٦٤٨.
- (٦) هو عبد الله بن همام بن نبیثة بن رياح السلولي، من بني مرة بن صعصعة، شاعر إسلامي، أدرك معاوية، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، توفي سنة ١٠٠هـ - ٧١٨م. ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، ص ١٨٤. الزركلي، الأعلام، ٤/١٤٣.
- (٧) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، أبو خالد، ولد في خلافة عثمان، وعهد إليه أبوه بالخلافة فبوع سنة ٦٠هـ - ٦٧٩م، وكانت وفاته سنة ٦٤هـ - ٦٨٣م. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ١١/٣٦٠. الزركلي، الأعلام، ٨/١٨٩.
- (٨) صفوت، أحمد زكي. جمهرة خطب العرب، ٢/٢٦٣.
- (٩) هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب القرشي الأموي، أسلم في عمرة القضاء، وأظهر إسلامه يوم الفتح، كان يكتب الوحي، وجمع عمر لمعاوية الشام كله، ثم أقره عثمان، توفي سنة ٦٠هـ - ٦٧٩م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/٣٨٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ٤١ - ٦٠هـ، ص ٣٠٦.
- (١٠) نقد الشر، ص ١٠٧.

سماحة القريحة به، وأن يكون في بعض الكلام لا جميعه فإن السجع في الكلام كمثل القافية في الشعر، وإن كانت القافية غير مستغنى عنها والسجع مستغنى عنه، فأما أن يلزمه الإنسان في جميع قوله ورسائله وخطبه ومناقلاته فذلك جهل من فاعله وعي من قائله.

ومن أمثلة الخطب التي ورد فيها السجع محموداً لا مكروهاً، خطبة الرسول الله ﷺ حين دعا قومه إلى الإسلام، وهي قوله ﷺ - بعد أن حمد الله وأثنى عليه^(١) -: «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن ما نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون، نبوتهم^(٢) أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلدون من بعدهم، فطوبى لمن شغله عيبه عن غيره، طوبى لمن ذل في نفسه من غير منقصة، وتواضع لله من غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريره، وحسنت خليقته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله.

ومما يحقق التأثير أيضاً ألا يعتمد الخطيب في خطبته أسلوباً واحداً؛ كأن يلتزم صيغة الخبر فلا يبرحها ولا يتجاوزها إلى صيغة الإنشاء وما فيها من أستفهام وتعجب وأمر ونهي ونحوها، بل لا بد من التنوع في الأسلوب لأن ذلك يشد انتباه السامعين ويجدد نشاطهم، كما أنه يستدعي تغييراً في نبرات الصوت وطريقة الإلقاء، مما يؤدي إلى مزيد من التأثير والاستمالة، من ذلك قول سيدنا علي كرم الله وجهه في خطبة له^(٣): «عباد الله! فأتقوا الله وراقبوه، وأعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقق السماء بالغمام، وتطير الكتب عن الأيمان والشمال، فأني رجل يومئذ تراك؟ أقاتل ﴿هَازِمٌ أَرْوَا كِنِيَةً﴾^(٤) أم ﴿يَلْتَنِي لَوْ أُرْتُ كِنِيَةً﴾^(٥)! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سخطه، إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٦).



-
- (١) السيوطي، الجامع الكبير، ٣٧٣/١.
 (٢) أباءه منزلاً وبؤاه إياه بمعنى هياه له وأنزله ومكّن له فيه. ابن منظور، اللسان، «بؤا»، ٣٨/١.
 (٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦٤/٤.
 (٤) قوله: ﴿هَازِمٌ أَرْوَا كِنِيَةً﴾ أقتباس من قوله تعالى من سورة الحاقة، آية ١٩.
 (٥) قوله: ﴿يَلْتَنِي لَوْ أُرْتُ كِنِيَةً﴾ أقتباس من قوله تعالى من سورة الحاقة، آية ٢٥.
 (٦) قوله: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أقتباس من قوله تعالى من سورة فصلت، آية ٤٢.

الخطيب

صفاته وعدّته

إن للخطيب صفات خاصة يتصف بها، وعدّة لا بد له منها إذا ما رام النجاح عند خوض لجج هذا الميدان، ويمكنني إجمالها فيما يلي:

١ - الاستعداد الفطري:

إن الخطيب لا بد له من استعداد طبيعي للتصدي لهذا الفن البليغ؛ بحيث يستند إليه، ويستمد من معينه، فينسب منه الكلام الخطابي أنسياً دون تكلف أو تصنع؛ فهذا صحرار بن عياش العبدي^(١) يجيب وقد سأله معاوية رضي الله عنه: «ما هذه البلاغة التي فيكم؟» فيقول: «شيء تجيش به صدورنا، فنقله على ألسنتنا»^(٢). ولكن ليس معنى هذا الغرض من شأن الدربة، والإقلال من قيمتها؛ يقول أبو دؤاد^(٣): «رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير اللفظ».

فالدربة ضرورية لصقل الموهبة الخطابية وحفظها وتنميتها، كما أنها قد تغني بعض الشيء من لا موهبة له، فترفع به إلى مرتبة متقدمة، وإن كانت دون مرتبة الخطباء المبدعين بفطرتهم.

٢ - سعة الثقافة:

إن الخطيب الناجح هو الذي يكون واسع الثقافة، كثير الاطلاع، دائم القراءة لشتى المعارف، متعمقاً في دراسة اللغة، سابراً أغوارها، أكثراً من المحفوظات الأدبية، وكلما كثرت قراءاته، وغزرت معارفه، دُلّل له القول بحيث يقوم بحجته، ويُعبر عن ضميره في يسر وسهولة، يقول الجاحظ^(٤): «والإنسان بالتعلم والتكلف، وبطول الاختلاف إلى العلماء، ومدارسة كتب الحكماء، يعود لفظه، ويحسن أدبه، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم، وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التخير».

فلا غنى للخطيب من دوام النظر في العلوم المختلفة، ذلك لأن الخطابة ليس لها موضوع محدد تعالجه بمعزل عن غيره، بل هي تخوض في مباحث شتى يفرضه عليها المقام؛ ومن أجل هذا ترى القدماء قد تهَيَّبوا من الخوض في الخطابة وأستثقلوها، فهذا عبيد الله بن زياد يقول^(٥): «نغم الشيء الإمارة لولا

(١) هو صحرار بن عياش وقيل عباس، وقيل صحرار بن صخر بن شراحيل بن منقذ بن حارثة العبدي، له صحبة، سكن البصرة، وكان أحد النسابين والخطباء في أيام معاوية، توفي سنة ٤٠هـ - ٦٦٠م. ابن الأثير، أسد الغابة، ١١/٣. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ١٧٦/٢.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٦٩/١.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٥٢/٤. وأبو دؤاد هو أبو دؤاد بن جرير بن عبد الله بن عباد بن سلام بن مالك الإيادي. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ٣٢٨/٢. وقد ذكره الجاحظ في البيان والتبيين، ٣٥/١، باسم أبي داود بن حريز. وذكره الذهبي باسم أبي دؤاد بن حريز، وذلك في كتابه تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ، ص ٤٠.

(٤) البيان والتبيين، ٦٣/١.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٥٨/٢. وعبيد الله: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، كان شجاعاً خطيباً، ولي العراق لمعاوية ثم لابنه =

قَعَقَةً^(١) البريد والتشرف للخطب، وقيل لعبد الملك بن مروان^(٢): «عَجَّلْ عليك الشيبا فقال: كيف لا يعَجِّلْ عليّ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين»^(٣).

٣ - معرفة نفسية السامعين:

إن مهمة الخطيب التي تكمن في استمالة المخاطبين لما يدعو إليه، وإقناعهم به بما يقدم من الحجج والأدلة، يفرض عليه أن يكون عارفاً بنفسيات السامعين وطبائعهم وأهوائهم، وما يثيرهم ويؤثر فيهم، وما يشحذ همهم أو يبطئها، وما يلهب عواطفهم أو يسكنها؛ ذلك لأن الجمهور الذي يتوجه إليه الخطيب بخطبته يضم فئات مختلفة وطبقات شتى، ففيهم الغني والفقير، والعالم والجاهل، والصديق والعدو، فعليه أن يفتح هذا الجمهور مع تباين فئاته وأن يؤثر فيه.

ومما يساعد الخطيب في عمله ويعينه عليه دراسة علم النفس الذي يخوض في أعماق النفس الإنسانية، ليتعرف على أسرار تكوينها، وخفيات دخالها، يقول محمد أبو زهرة^(٤): «إذا كان علم النفس دعامة لعلم التربية، فهو أيضاً دعامة لعلم الخطابة؛ لأن كليهما يهدي الإنسان إلى وسائل الإقناع والتلقين والتأثير، غير أن الأول لنشر حدث، والثاني لكبار لهم أفكار ومذاهب، تجعل التأثير فيهم أبعد مثلاً، والوصول إلى قلوبهم أعر مطلباً، والاستيلاء على نفوسهم أشرف منصباً، لذلك نقول: إن علم الخطابة له صلة وثيقة بعلم النفس».

٤ - سرعة البديهة:

قد يعترض الخطيب سؤال أو اعتراض من الجمهور، أو قد يجد نفسه مضطراً لتغيير خطبته بما يناسب المقام لحادثة حدثت أو واقعة وقعت، لذا وجب عليه أن يكون حاضر الذهن، سَمَحَ البديهة، لا يعيا لسانه في تنفيذ شبهة لمعترض، أو الإجابة عن سؤال لسائل؛ إذ قد تكون إجابته في رده على المقاطع أقوى تأثيراً من الخطبة كلها، غير أن الخطيب إذا ما أحس بعدم أنقياد القول له وتَصَعُّبَ عليه فسكوته حينئذ أفضل من كلامه، خاصة إذا ما كان المعترض لا هم له سوى إشاعة البلبلة وسط الجماهير وإحراج الخطيب، من ذلك ما روي من أن معاوية رضي الله عنه كان يخطف بفقال له رجل: كذبت. فنزل مغضباً فدخل منزله، ثم خرج عليهم تقطر لحيته ماء، فصعد المنبر فقال: «أيها الناس إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، فإذا غضب أحدكم فليظفنه بالماء»، ثم أخذ في الموضوع الذي بلغه من خطبته^(٥).

ومن ذلك أيضاً أن أبا جعفر المنصور^(٦) رحمه الله تعالى خطب يوماً فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيها الناس اتقوا الله...»، فقام إليه رجل فقال: أَدَّكَرَكَ من دَكَّرْتَنَا به يا أمير المؤمنين. فقال أبو جعفر: «سمعاً سمعاً

= يزيد، توفي سنة ٦٧هـ - ٦٨٦م. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٢٢١/٤، ٢٢٢. الزركلي، الأعلام، ١٩٣/٤.

(١) قمعقشي: اضطرب وتترجك. ابن منظور، اللسان، «قمع»، ٢٨٦/٨. وإنما قال هذا لأن الوالي لا يدري بما يأتيه من خير أو شر، فهو يزعج لرؤيته ويخاف.

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد المدني ثم الدمشقي، كان عابداً ناسكاً، جالس الفقهاء وحفظ عنهم وكان قليل الحديث، واستعمله معاوية على المدينة، توفي سنة ٨٦هـ - ٧٠٥م. ابن حجر، التهذيب، ٤٢٢/٦. الزركلي، الأعلام، ١٦٥/٤.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٥٨/٢. (٤) الخطابة، ص ١١.

(٥) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢٩٠/١.

(٦) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو جعفر المنصور، أمير المؤمنين، ولد سنة خمس وتسعين، أنه الخلافة وهو بمكة، وكان شجاعاً مهيباً، تاركاً للهو واللعب، وكان فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه، توفي محرماً على باب مكة سنة ١٥٨هـ - ٧٧٥م. ابن شاکر الكتبي، فوات الوفيات، ٢١٦/٢. الزركلي، الأعلام، ١١٧/٤.

لمن فهم عن الله وذُكر به، وأعوذ بالله أن أذكُر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم، لـ ﴿قَدْ صَلَّكَ إِذَا وَمَا كُنَّا مِنَ الْغَاهِيَيْنِ﴾^(١)، وأما أنت - والتفت إلى الرجل - فقال: والله ما الله أردت بها، ولكن ليقل: قام فقال فعوقب فصبوا وأهون بها لو كانت العقوبة، وأنا أنلركم أيها الناس أختها، فإن الموعظة علينا نزلت، وفيها أنبئت، فردوا الأمر إلى أهله يُضَيِّروه كما أوردوه. ثم رجع إلى موضعه من الخطبة^(٢).

٥ - الإخلاص:

إن الخطيب المخلص لمبلته، المؤمن بدعوته، المعتقد صحة ما يقوله، هو وحده القادر على التأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة التي يرضيها، وما ذاك إلا لأن كلامه قبس من مشاعره المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، يقول عامر بن عبد قيس^(٣): «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان». فمن فقد نعمة الإخلاص خفت حماسته، وضعف تأثيره، قال الحسن البصري^(٤) رحمه الله تعالى وقد سمع رجلاً يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه، فقال له: «يا هذا، إن بقلبك لشر أو بقلبي».

٦ - روعة المنظر وجمال المظهر:

ولا بد للخطيب من أن يكون حسن المنظر، جميل الثَّارة؛ لأن في ذلك عوناً له على التأثير، يقول الجاحظ - وهو في معرض حديثه عن البلاغة^(٥) -: «... وَرَيْنَ ذَلِكَ كُلَّهُ وَبِهَاءَهُ وَحَلَاوَتَهُ وَسَنَاوَهُ، أَنْ تَكُونَ الشَّمَائِلُ موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال».

وقد يكون إهمال الخطيب لنفسه، وعدم اعتناؤه بمظهره، سبباً في نفور الناس منه وأستهانتهم به؛ من ذلك ما روي من أن إياس بن معاوية المزني^(٦) أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس، وراؤه أحمر دميماً باذ الهيئة، قشفاً^(٧)، فاستهانتوا به، فلما عرفوه اعتلروا إليه وقالوا له: «الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك»^(٨).

ومما يزيد الخطيب إجلالاً واحتراماً في نفوس السامعين، بالإضافة إلى ما ذكرنا من حسن المظهر وبهائه،

(١) قوله: ﴿قَدْ صَلَّكَ إِذَا وَمَا كُنَّا مِنَ الْغَاهِيَيْنِ﴾ أقتباس من قوله تعالى من سورة الأنعام، آية ٥٦.

(٢) ابن عبد ربه، المقد الفريد، ٩٠/٤.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ٦١/١. وعامر: هو عامر بن عبد الله بن عبد قيس، من بني العنبر، وهو أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة، تلقن القرآن من أبي موسى الأشعري حين قدم البصرة، وعلم أهلها القرآن، توفي سنة ٥٥هـ - ٦٧٥م. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٨٧/٢. الزركلي، الأعلام، ٢٥٢/٣.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ٦١/١. والحسن: هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم، وجمع من كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، وكان مولده لستين بقينا من خلافة عمر رضي الله عنه بالمدينة، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠هـ - ٧٢٨م. ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٦٩/٢. الزركلي، الأعلام، ٢٢٦/٢.

(٥) البيان والتبيين، ٦٤/١.

(٦) هو أبو وائلة إياس بن معاوية بن قُرَّة المزني، اللعين البليغ والألمي المصيب، والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة، تولى القضاء في البصرة في عهد عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ١٢٢هـ - ٧٤٠م. ابن خلكان، وفیات الأعيان، ٢٤٧/١. الزركلي، الأعلام، ٣٣/٢.

(٧) البذاءة: رثانة الهيئة، وباذ الهيئة أي رثها. وقشيف يقشِف قشفاً: لم يتمد الغسل والنظافة، فهو قشِف. ابن منظور، اللسان، ٤٧٧/٣، وقشِف، ٢٨٢/٩.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ٧١/١.

أن يكون معتدلاً في وقفته، متزناً في حركاته، إذ إن الإكثار من الإشارات والحركات خطأ، وهو مذهب لهيبة الخطيب، ومسقط لجأه.

وقد أعتاد الخطيب العربي أن يقف على نشز من الأرض أو على ظهر دابة ليشرّف على الجمهور المستمع إليه؛ إذ إن الرؤية المتبادلة بين الخطيب وجمهوره تشكل عاملاً من عوامل التأثير والتأثر وسبباً من أسباب التفاعل بينهما. وأن يعتمد على عصا أو قوس أو سيف، يقول الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه:^(١)

يُصِيبُونَ فَضْلَ الْقَوْلِ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ^(٢)

[بحر الطويل]

٧ - جودة الإلقاء:

إن الإلقاء الجيد من الأسباب المهمة في نجاح الخطبة وبلوغ هدفها التي من أجلها أنشأت، فقد نقرأ خطباً كان لها عظيم الأثر حينما أُلقيت فلا نحس بروعتها وجمالها، وما ذاك إلا لأنها أستمّدت تأثيرها من الظروف التي رافقت إلقاءها.

وللإلقاء الجيد قواعد من أهمها:

١- جهازة للصوت:

إن جهازة الصوت من الصفات التي لا غنى للخطيب عنها، إذ بها يسيطر على جمهوره بإيصال كلامه إلى الجميع، ولا بد له من الحفاظ على قوة صوته ووضوحه؛ فلا يتسرع في إلقاء خطبته، ولا يتعجل بنطق كلماته فيلتبس المعنى على السامعين، بل يخطب متمهلاً، متوجهاً بصوته إلى وسط الجمهور، ملائماً بين نبرات صوته وبين معاني كلماته، فيعطي كل موطن حقه من الشدة أو اللين أو نحو ذلك مما يناسبه.

وقد أمتدح العرب الجهير الصوت، وذمّوا خافته، من ذلك قول الشاعر يمدح معاوية رضي الله عنه بالجهازة وبجودة الخطبة^(٣):

رُكُوبُ الْمَنَابِرِ وَثَابَهَا مَعْنٌ بِخُطْبَتِهِ مُجْهَرٌ^(٤)

[بحر المتقارب]

وذم بشار بن برد^(٥) بعض الخطباء بركة الصوت وضآلته فقال^(٦):

ومن عجب الأيام أن قمت خاطباً وأنت ضئيل الصوت منتفخ السّحر^(٧)

[بحر الطويل]

(١) الزمخشري، أساس البلاغة، ص ١٦٤. وسيدنا حسان هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ، يكنى أبا الوليد، وهي الأشهر، روى عن النبي ﷺ أحاديث، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام، توفي سنة ٥٤هـ - ٦٧٤م. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ١/ ٣٢٦، الزركلي، الأعلام، ٢/ ١٧٥.

(٢) المختصرة شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه مثل العصا ونحوها، وهو أيضاً مما يأخذه الملك يشير به إذا خطب، والجمع المخاصر. ابن منظور، اللسان، «خصر»، ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) الجاحظ، البيان والبيان، ١/ ٨٩.

(٤) عن الشيء: ظهر أمامك. واليعن: الخطيب. ابن منظور، اللسان، «عن»، ١٣/ ٢٩٠. والمراد أن الخطبة تمنّ له فيخطبها.

(٥) هو بشار بن برد، مولى لبني عقيل، وكان من الشعراء المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، وكان يرمي بالزندقة، توفي سنة ١٦٧هـ - ٧٨٤م. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ١٧٧، الزركلي، الأعلام، ٢/ ٥٢.

(٦) انظر: الديوان، ص ١٣٩.

(٧) السّحر: الرقة، وانتفخ سحره أي رثك، يقال ذلك للجان. ابن منظور، اللسان، «سحر»، ٤/ ٣٥١.

ب - سلامة اللسان من عيوب النطق:

ينبغي على الخطيب أن يكون نطقه سليماً، خالياً من العيوب التي تشين الألفاظ؛ كاللُّثغة^(١)، والفأفة^(٢)، ونحوهما، فكل ذلك مما يذهب بروق الكلام وبهائه، وربما أدى إلى التباس المعنى على المستمع وغموضه، ومن أجل هذا كان بعض الخطباء من القدماء الذين أصيبوا بعلّة من علل النطق يحملون أنفسهم على تقويم لسانهم، أو إسقاط الحرف الذي لا يحسنون نطقه من كلامهم، فمن هؤلاء وأصل بن عطاء^(٣)، وكان قبيح اللثغة على الرءاء، وكان إلى المناقلات وأرتجال الخطب لأهل نحلته، ومستحسني دعوته محتاجاً، فراض لسانه حتى أخرج الرءاء من منطقته، وخطب خطبة طويلة تدخل في عدة أوراق لم يلفظ فيها بالرءاء، فكان مما يُعد من فضائله وعجيب ما أجمع فيه^(٤).

٨ - رباطة الجأش وقوة الجنان:

ينبغي على كل من يتصدى لمنبر الخطابة أن يكون صارم القلب، ثبّت الجنان، مطمئن الجأش، واثقاً بنفسه وبمقدورته الخطابية، ذلك لأن الخطابة لمّا كانت مسموعة من قائلها، ومأخوذة من لفظ مؤلفها، وكان الناس جميعاً يرمقونه ويتصفّحون وجهه، كان الخطأ فيها غير مأمون. والخطيب الماهر هو الذي يحسن التخلص إذا ما أصابه الحصر^(٥)، فقد أرتج على يزيد بن أبي سفيان^(٦) لما قدم الشام والياً عليها فقال^(٧): «يا أهل الشام عسى الله أن يجعل بعد عسر يسراً، وبعد عي بياناً، وأنتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل». وصعد خالد بن عبد الله القسري^(٨) يوماً المنبر ليخطب فأرتج عليه، فقال^(٩): «أيها الناس، إن الكلام ليحيء أحياناً فيتسبّب سببه، ويغزّب أحياناً فيعزّز مظلّبه، فربما طولب فأبى، وكوبر فعصى، فالتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيّه».

غير أن هناك من الخطباء من عجزوا عن التخلص فأضحكوا، من ذلك ما روي من أن رجلاً دُعي ليخطب في نكاح فحصر، فقال: لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فقالت امرأة حضرت: ألهذا دعوناك! أمانك الله^(١٠)!

(١) وهي تحوّل اللسان من السين إلى الشاء، أو من الرءاء إلى الغين أو اللام أو الياء، أو من حرف إلى حرف. الفيروزآبادي، القاموس، «لثغ»، ص ١٠١٧.

(٢) وهي ترديد الفاء وإكثارها في الكلام. الفيروزآبادي، القاموس، «فأفا»، ص ٦٠.

(٣) هو أبو حذيفة وأصل بن عطاء المعتزلي، المعروف بالغزّال، مولى بني ضبة، كان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين، وكان يضرب به المثل في إسقاطه حرف الرءاء من كلامه، توفي سنة ١٣١هـ - ٧٤٨م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/٧. الزركلي، الأعلام، ٨/١٠٨.

(٤) قدامة بن جعفر، نقد الثر، ص ١١٢.

(٥) الحصر: ضرب من العي. حصر الرجل حصراً فهو حصر: عي في منطقته. ابن منظور، اللسان، «حصر»، ٤/١٩٣.

(٦) هو يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أخو معاوية من أبيه، كان من العقلاء الألباء والشجعان المذكورين، أسلم يوم الفتح، وهو أحد الأربعة الذين نذبهم أبو بكر لغزو الروم، توفي في الطاعون سنة ١٨هـ - ٦٣٩م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/٣٢٨. الزركلي، الأعلام، ٨/١٨٤.

(٧) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/١٣٤.

(٨) هو أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، كان أميرالعراقيين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي، وكان معدوداً من جملة خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، وكان جواداً كثير العطاء، توفي سنة ١٢٦هـ - ٧٤٣م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/٢٢٦. الزركلي، الأعلام، ٢/٢٩٧.

(٩) القالي، الأمالي، ١/١١١.

(١٠) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٢/٢٥٨.

ومن أجل ذلك نرى القدماء قد عابوا العمي والحصر وأستعاضوا منهما؛ من ذلك قول النمر بن تولب^(١):
أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصْرٍ وَعَيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا
[بحر الوافر]



(١) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر، ١٥٣٣/٤. والنمر: هو النمر بن تولب بن زهير المكلبي، أحد المخضرمين من الشعراء، أدرك الإسلام وهو كبير، كان جواداً لا يكاد يمسك شيئاً، وكان فصيحاً جريئاً على النطق، توفي سنة ١٤هـ - ٦٣٥م. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٥٣١/٤. الزركلي، الأعلام، ٤٨/٨.

الخطابة بين الجاهلية والإسلام

الخطابة في الجاهلية

لقد عرف العرب الخطابة في الجاهلية معرفتهم للشعر، غير أن ما وصل إلينا من خطبهم كان ضئيلاً؛ يقول الفلّسندي^(١): «وأعلم أنه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء حتى قال صاحب «الريحان والريعان» إن ما تكلمت به العرب من أهل المَدَن والوَبَر، من جَيِّد المنثور ومزدوج الكلام، أكثر مما تكلمت به من الموزون، إلا أنه لم يحفظ من المنثور عَشْره، ولا ضاع من الموزون عشرة؛ لأن الخطيب إنما كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه في مشافهة الملوك، أو الحالات، أو الإصلاح بين العشائر، أو خطبة النكاح، فإذا أنقضى المقام حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، بخلاف الشعر فإنه لا يضيع منه بيت واحد».

فالخطابة كانت منتشرة في ذلك العصر، معروفة لدى أهلها، برع فيها كثير منهم؛ ومن هؤلاء: كعب بن لؤي^(٢)؛ وكان يخطب على العرب عامة، ويحضر كنانة^(٣) على البر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تزور بموته إلى عام القيل^(٤).

ومنهم أيضاً: عامر بن الظرب^(٥)، وأكثم بن صيفي^(٦)، وربيعة بن حُذار^(٧)، وهرم بن قطبة^(٨)، وعمرو بن الأَهم^(٩)، وقس بن ساعدة^(١٠)، وهو القائل^(١١): «أيها الناس، اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت».

- (١) صبح الأعشى، ٢٥٤/١.
- (٢) هو كعب بن لؤي بن غالب القرشي، جدّ جاهلي، كان عظيم القدر عند العرب، إذ كانت قريش تجتمع إليه فيخطبهم ويعظمهم، توفي سنة ١٧٣ق.هـ - ٤٥٤م. الطبري، تاريخ الطبري، ٢/٢٠. الزركلي، الأعلام، ٥/٢٢٨.
- (٣) كنانة: قبيلة عظيمة، من العدنانية، وهم: بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ٣/٩٩٦.
- (٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٢٣٣.
- (٥) هو عامر بن الظرب بن عمرو العدواني، خطيب جاهلي، كان إمام مضر وحكيمها وفارسها، ومن حرم الخمر في الجاهلية، وهو من المعمرين. محمد بن حبيب، المحبر، ص ١٣٥، ١٨١، ٢٣٦. الزركلي، الأعلام، ٣/٢٥٢.
- (٦) هو أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث التميمي الحكيم المشهور، أدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق وكان من المعمرين، توفي سنة ٩هـ - ٦٣٠م. ابن حجر، الإصابة، ١/١١٠. الزركلي، الأعلام، ٢/٦٦.
- (٧) هو ربيعة بن حذار بن مرة الأسدي، حاكم بني أسد، وهو من القادة الشجعان في الجاهلية. البكري، سمط اللائح، ١/٤٨٧. الزركلي، الأعلام، ٣/١٦.
- (٨) هو هرم بن قطبة الفزاري، من قضاة العرب في الجاهلية، أسلم في عهد النبي ﷺ وثبت في الردة، توفي بعد سنة ١٣هـ - ٦٣٤م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/٥٧. الزركلي، الأعلام، ٨/٨٣.
- (٩) عمرو بن الأَهم بن سمي التميمي المنقري، أحد السادات في الجاهلية والإسلام، كان خطيباً جميلاً بليغاً شاعراً شريفاً في قومه، توفي سنة ٥٧هـ - ٦٧٧م. ابن حجر، الإصابة، ٢/٥٢٤. الزركلي، الأعلام، ٥/٧٨.
- (١٠) هو قس بن ساعدة الإيادي، أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكناً على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه: «أما بعد»، توفي سنة ٢٣ق.هـ - ٦٠٠م. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/٦٨.
- (١١) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٢٠٧. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/٦٨.

ولم تكن الخطابة - مع ذلك - مطيئة سهلة لكل من أراد الخوض فيها، بل كانت وقفاً على أصحاب السؤدد والشرف، وأهل السيادة والرياسة؛ يقول القلقشندي^(١): «وقد كانت تقوّم بها في الجاهلية سادات العرب، ورؤساؤهم ممن فاز بِقُدْح القُضَل^(٢)» وسبق إلى ذرى المجد، ويخصّون ذلك بالمواقف الكرام، والمشاهد العظام، والمجالس الكريمة».

كما تنوعت الخطابة في هذا العصر تبعاً لما يفرضه المقام، فأستخدموها في المنافرة والمفاخرة بالأنساب والأحساب والمناقب، كمنافرة عبد المطلب^(٣) وحرب بن أمية^(٤) إلى نفيل بن عبد العزى^(٥).

وأستخدموها في الدعوة إلى الصلح ورأب الصدع بين المتخاصمين؛ يقول ربيعة بن مقروم الضبي^(٦):

ومتى نَقَم عند أَجتماع عَشيرة حُطَبَاؤنا بين العَشيرة يُفْصَل

[بحر الكامل]

كما كانوا يعمدون إلى الخطبة عندما يفدون على من له سيادة ورياسة، فيخطبون بين يديه، يقول أوس بن حجر في رثاء أحد الخطباء^(٧):

أَبَا ذَلِكُنْجَة مَنْ يُوصِي بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لَا شَعَثَ ذِي طِمْرَيْنِ طِمْلَالٍ^(٨)
أَمْ مَنْ يَكُونُ حَطِيبَ الْقَوْمِ إِنْ حَفَلُوا لَدَى مُلُوكٍ أُولِي كَيْدٍ وَأَقْوَالٍ

[بحر البسيط]

وأستخدمت أيضاً في عقد الزواج، وكان من عادتهم في هذه الخطبة أن يطيل الخاطب ويقصّر المَجِيب^(٩).

غير أنه على الرغم من انتشار الخطابة بين عرب الجاهلية وتنوع أغراضها، لم تكن تحتل عندهم المكانة التي أحلتها الشعر؛ وذلك لما لهذا الفن الأخير من عظيم الأثر في الذب عن القبيلة وحمايتها، ونشر مآثرها وحفظ أنسابها وفضائلها على مرّ الأزمان.

(١) صبح الأعشى، ٢٥٤/١.

(٢) لسان مقفل أي ماضٍ. ابن منظور، اللسان، «قفل»، ٥٥٨/١١.

(٣) هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، واسمه شيبة وعبد المطلب لقب غلب عليه، وهو جد النبي ﷺ، كان أحد سادات العرب ومقدمهم، وكان عاقلاً ذا أناة ونجدة. الطبري، تاريخ الطبري، ٨/٢. الزركلي، الأعلام، ١٥٤/٤.

(٤) هو حرب بن أمية بن عبد شمس، أبو عمرو، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه، مات بالشام سنة ٣٦ ق. هـ. - ٥٨٨ م. محمد بن حبيب، المحبر، ص ١٣٢. الزركلي، الأعلام، ١٧٢/٢.

(٥) هو نفيل بن عبد العزى بن رياح، من بني عدي بن كعب، من قريش، أحد قضاة العرب في الجاهلية، كانت قريش تتحاكم إليه في خصوماتها ومنافراتها، توفي سنة ٥٠ ق. هـ. - ٥٧٥ م. محمد بن حبيب، المحبر، ص ١٣٣. الزركلي، الأعلام، ٤٥/٨.

(٦) الأصهباني، الأغاني، ٩٣/١٩. وربيعة: هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي جاهلي إسلامي، شهد القادسية وجولاء، وهو من شعراء مضر المعدودين، توفي سنة ١٦ هـ. - ٦٣٧ م. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٦٧. الزركلي، الأعلام، ١٧/٣.

(٧) انظر: ديوانه، ص ١٠٣. وأوس: هو أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح شاعر تميم في الجاهلية، عُمّر طويلاً ولم يدرك الإسلام، توفي سنة ٢٢ ق. هـ. - ٦٢٠ م. الأصهباني، الأغاني، ٦/١٠. الزركلي، الأعلام، ٣١/٢.

(٨) الطمر: الكساء البالي من غير الصوف. طملال: الفقير السيئ الحال القشيف. ابن منظور، اللسان، «طمر»، ٥٠٣/٤، و«طمل»، ٤٠٨/١١.

(٩) ينظر: البيان والتبيين للمجاhez، ٨٢/١.

الخطابة في الإسلام

كان إشعاع نور الإسلام في الجزيرة العربية إيذاناً بطلوع فجر جديد على الخطابة؛ إذ كانت الوسيلة التي استخدمها الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، فكان يلقي القوم في مجالسهم وأسواقهم، ويلتقي الوافدين إلى مكة من التجار والحجاج، فيخطب فيهم ويدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله ﷻ، مبنياً لهم ما جاء به من الهدى والرحمة، من ذلك قوله ﷺ يدعو فيه قومه إلى الإسلام، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه^(١): «إن الرائد^(٢) لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لثموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً والنار أبداً».

ثم أشتدت الحاجة إلى الخطابة بعد أن أصبح للمسلمين دولتهم الخاصة في المدينة، فأخذ رسول الله ﷺ يوضح لهم نظام حياتهم الجديد في خطبه، واضعاً الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستمدة من القرآن الكريم لهذا المجتمع الوليد.

ومما زاد من أهميتها في هذا العصر، ورفع من شأنها، أنها أصبحت فرضاً مكتوباً في صلاة الجمع والأعياد، وفي موسم الحج؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال^(٣): «كان النبي ﷺ يخطب خطبتين يقعد بينهما»، وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الأضحية والفطر ثم يخطب بعد الصلاة^(٤).

لذا نمت الخطابة نمواً سريعاً في العصر الإسلامي، بتأثير الإسلام من جهة وتكاثر الأحداث وتتابعها من جهة ثانية، وكثر من يحسنون سبكها وصياغتها مستلهمين القرآن العظيم وكلمات الرسول الكريم ﷺ فيما يخاطبون الناس به.

الخطابة الوعظية:

الوعظ هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أجمعت على أهميته الأمة، وأشارت إليه العقول السليمة، وتضافرت النصوص من الكتاب والسنة على الإقرار بوجوبه، وبأنه عماد هذا الدين وقوامه، وما ذاك إلا لأن به تثبت قواعد الإسلام، وترسى دعائمه، وتشيد أركانه؛ قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٥)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال^(٦): سمعت

(١) ابن الأثير، الكامل، ٦١/٢.

(٢) الرائد هو الذي يتقدم القوم يبعثر لهم الكلاً ومساقت الغيث، ومن أمثالهم: الرائد لا يكذب أهله، يضرب مثلاً للذي لا يكذب إذا حدث. ابن منظور، اللسان، «روود»، ١٨٧/٣.

(٣) البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، باب القعدة بين الخطبتين يوم الجمعة، رقم الحديث (٥١)، ٤٥/٢. وابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي، صاحب رسول الله ﷺ، هاجر به أبوه قبل أن يحتلم، وأستصغر عن أحد، وشهد الخندق وما بعدها مع النبي ﷺ، توفي سنة ٧٣هـ - ٦٩٢م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٢٧/٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ، ص ٤٥٣.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب العيدين، باب في العيدين والتجمل فيه، رقم الحديث (٩)، ٥٨/٢.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٠٤.

(٦) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... إلخ، رقم الحديث (٤٩/٧٨)، ٦٩/١. وأبو سعيد الخدري: هو سعيد بن مالك بن سنان، وهو مشهور بكنته، من مشهوري الصحابة وفضلائهم، وهو من المكثرين من الرواية عنه، وأول مشاهده الخندق توفي سنة ٦٤هـ - ٦٨٣م. ابن الأثير، أسد الغابة، ٢٨٩/٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦١ - ٨٠هـ، ص ٥٥١.

رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وقد أتمس القرآن المجيد بدوام الموعظة للمسلمين وتذكيرهم بأنهم لم يخلقوا سدى، وإنما خلقوا للعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ لِمَنْ وَلَإِنْسٍ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾^(١)، فما من مشكلة عالجه ولا من تشريع شرعه، إلا وقد قرنه بموعظة ليتذكر بها من تذكرك؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَذَكِّرْكُمْ بِهِ أَنْ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَوْا عَنْهُ وَاللَّهُ يَتَخَوَّلُ عَنْهُمْ أُوَّاهُنَ﴾^(٢)، وكان رسول الله ﷺ يتخوّل أصحابه بالموعظة والإرشاد؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال^(٣): «كان ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السأمة علينا». فظهرت لذلك الخطبة الوعظية والإرشادية التي حذر فيها أصحابه من الدنيا وفتنها، ورغبهم في الآخرة ونعيمها، فوعظ وأرشد، وبشر وأندر؛ ومن ذلك قوله ﷺ^(٤): «الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وأنقطع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله، فأحذروا ما حذركم الله من نفسه ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله، لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عَزَّوَجَلَّ صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذُخْراً فيما بعد الموت حين يفترق المرء إلى ما قَدَّمَ، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ﴿يُحْذِرُكُمْ اللَّهُ تَقَسُّمُ اللَّهِ رَهْوفٌ بِالْوَبَا﴾»^(٥).

وقد تشربت نفوس المسلمين الأوائل روح الإسلام، وتغلغلت معانيه في أعماقهم، فلا ينطقون إلا بما يوحيه إليهم، ولا يتكلمون إلا من منطق وفحواه، فكان كل ما أثر عنهم من أقوال تترجم معاني القرآن، وكلمات رسول الرحمن ﷺ، فلا تكاد تحيد عنهما ولا تميد. لذا جاءت الخطبة مصبوغة بالصبغة الدينية في العصر الإسلامي على اختلاف أنواعها وأقسامها؛ إذ إن الإسلام دين ودولة لا انفصال بينهما ولا انفصام، بل تلاحم وأنسجام. فنشطت الخطبة الوعظية وكثرت، خاصة بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية مع تتابع الأيام، وتوالي السنين، وكثر اختلاط المسلمين بأهل البلاد المفتوحة، والاقتراب من عادات وتقاليدهم المغلوبة، فأشادت الحاجة إلى تذكير الناس بالدار الآخرة كلما مالوا عن الحق وآتبعوا أهواءهم، وكثُر الوعاظ في البيعة الإسلامية، فظهرت جماعة من الصالحين والعلماء ندبت نفسها لوعظ الناس وردهم إلى الجادة كلما حادوا عنها، ثم بدأت الخطابة الوعظية شيئاً فشيئاً تستقل عن الفنون الأخرى لتصبح فناً قائماً بذاته، وظهر القصاصُ والوعاظُ في المساجد، يقصون أخبار من مضى للعبرة والاعتاظ أو السير على خطاهم ودرهم، ومن هؤلاء

(١) سورة الذاريات، آية ٥٦. (٢) سورة الحشر، آية ٧.

(٣) التخوّل: التعهد، وتخوّل الرجل: تعهده. ابن منظور، اللسان، «خول»، ٢٢٥/١١.

(٤) البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث (١٠)، ٤٦/١. وابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، أبو عبد الرحمن الهذلي المكي، أحد السابقين والبريين والعلماء الكبار من الصحابة، وعرض القرآن على النبي ﷺ، توفي سنة ٣٢هـ - ٦٥٣م. ابن الجزري، غاية النهاية، ٤٥٨/١. الزركلي، الأعلام، ١٣٧/٤.

(٥) الطبري، تاريخ الطبري، ١١٥/٢.

(٦) قوله: ﴿يُحْذِرُكُمْ اللَّهُ تَقَسُّمُ اللَّهِ رَهْوفٌ بِالْوَبَا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة آل عمران، آية ٣٠.

الذين عرفوا بالوعظ: الحسن البصري، وهو الذي يقول فيه الجاحظ^(١): «أما الخطب فإننا لا نعرف أحداً يتقدم الحسن البصري فيها»، ومحمد بن كعب القرظي^(٢) واعظ عمر بن عبد العزيز^(٣)، وسعيد بن المسيب^(٤)، والشعبي^(٥)، ومالك بن دينار^(٦)، ومحمد بن واسع الأسدي^(٧)، وابن السماك^(٨) واعظ الرشيد^(٩)، وابن الجوزي الذي حاز قصب السبق في عصره؛ قال ابن جبير فيه يقارن مجلسه بمجالس غيره^(١٠): «وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه، بالإضافة إلى ما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة، شرفهما الله، مجالس من قد ذكرنا في هذا التقييد، فصغرت، بالإضافة لمجالس هذا الرجل الفذ، في نفوسنا قدراً، ولم نستطع لها ذكراً، وأين تقعان مما أريد، وشتان بين اليزيديين^(١١) وهيهات! الفتيان كثير، والمثل بمالك^(١٢) يسيراً».

خطب الجهاد:

فرض الله الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فأنطلقت الجيوش الإسلامية ترفع

- (١) البيان والتبيين، ٢٣٥/١.
- (٢) هو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، كان أبوه من سبي قريظة سكن الكوفة ثم المدينة، روى عن عدد من الصحابة، وكان تابعي ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً، توفي سنة ١١٧هـ - ٧٣٥م. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٢١٢/٣.
- (٣) هو أمير المؤمنين أبو حفص الأموي، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الخليفة الصالح، والملك العادل، ولد ونشأ بالمدينة، وولي الخلافة سنتين ونصف، توفي سنة ١٠١هـ - ٧٢٠م. ابن شاکر الكتبي، فوات الوفيات، ١٣٣/٣. الزركلي، الأعلام، ٥٠/٥.
- (٤) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي، كان رجلاً صالحاً فقيهاً ثقة، ليس في التابعين أنبل منه، توفي سنة ٩٤هـ - ٧١٢م. ابن الجوزي، الصفة، ٧٩/٢. ابن حجر، التهذيب، ٨٤/٤.
- (٥) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي، كان ذا أدب وفقه وعلم، ثقة من التابعين، واحد زمانه في فنون العلم، توفي سنة ١٠٣هـ - ٧٢١م. الذهبي، العبر، ٩٦/١. ابن حجر، التهذيب، ٦٥/٥.
- (٦) هو مالك بن دينار، أبو يحيى البصري الزاهد، كان ثقة قليل الحديث، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، توفي سنة ١٣١هـ - ٧٤٨م. ابن حجر، التهذيب، ١٤/١٠. الزركلي، الأعلام، ٢٦/٥.
- (٧) هو محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس الأزدي، أبو بكر البصري، كان ناسكاً عابداً ورعاً رفيعاً جليلاً ثقة عالماً، خرج إلى خراسان غازياً، وفضائله ومنابعه كثيرة، توفي سنة ١٢٣هـ - ٧٤١م. ابن حجر، التهذيب، ٥٠/٩. ابن الجوزي، الصفة، ٢٦٦/٣.
- (٨) هو أبو العباس محمد بن صبيح بن السماك الكوفي الزاهد الواعظ، مولى بني عجل، كان كبير القدر، دخل على الرشيد فوعظه وخوفه، توفي سنة ١٨٣هـ - ٧٩٩م. الذهبي، العبر، ٢٢١/١. وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠هـ، ص ٣٦٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ٢١٧/٥.
- (٩) هو هارون بن محمد المهدي بن منصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، ولد بالري، كان يحج سنة ويفرز سنة، توفي سنة ١٩٣هـ - ٨٠٩م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥/١٤. الزركلي، الأعلام، ٦٢/٨.
- (١٠) رحلة ابن جبير، ص ٢٠٠.
- (١١) اليزيدان: هما يزيد بن أسيد بن زافر من رجال الدولة العباسية، توفي بعد سنة ١٦٢هـ - ٧٧٩م، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، من القادة الشجعان في العصر العباسي، وكان جواداً مدوحاً، توفي سنة ١٧٠هـ - ٧٨٧م. وقوله هذا إشارة إلى البيت المشهور:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم، والأغر ابن حاتم

[بحر الطويل]

- (١٢) هو الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، توفي سنة ١٧٩هـ - ٧٩٥م. ابن الجوزي، الصفة، ١٧٧/٢. الزركلي، الأعلام، ٢٥٧/٥.

راية التوحيد عالية خفاقة، وكانت الخطابة ذخيرة معهم، يستخدمها القواد والخلفاء ليمدوا بها الجند كلما رأوا فيهم كلاً، ويحملوهم على الصبر أبغواء مرضاة الله والفوز بإحدى الحسينين: إما النصر وإما الشهادة؛ ومن ذلك خطبة لأبي بكر رضي الله عنه يندب الناس لفتح الشام يقول فيها^(١): «ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهو حسبه، ومن عمل لله تعالى كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله ما ينبغي للمسلم أن يحب أن يحضره، هي النجاة التي دلَّ الله عليها، ونجَّى بها من الخزي، والحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة».

خطب السياسة:

كان الخلفاء يستهلون خلافتهم بخطبة يبينون فيها سياستهم التي سيأخذون بها الرعية، وكذا كان يفعل ولائهم في كل مصر؛ ومن ذلك خطبة لأبي بكر رضي الله عنه بعد البيعة، فقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه^(٢) -: «أما بعد، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح^(٣) عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وقد نمت الخطابة السياسية في العصر الإسلامي ونهضت نهوضاً عظيماً، خاصة بعد مقتل سيدنا علي رضي الله عنه، حيث ظهرت الفرق الضالة، وكان لكل منها خطباؤها الذين يبينون سياستهم ومذهبهم وينافحون عنه، وكان في مقابل ذلك خطباء الخلفاء الذين يسعون لرأب الصدع، ولم الشمل، وردع الخصم، من ذلك خطبة المنصور التي ألهاها بعد قتل أبي مسلم الخراساني^(٤)، قال^(٥): «أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تُسرُّوا غش الأئمة، فإنه لم يُسرَّ أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثاره، أو فلتات لسانه، وأبداها الله لإمامه، لإعزاز دينه وإعلاء حقه، إنا لن نبخسكم حقوقكم، ولن نبخس الدين حقه، إن من نازعنا عروة هذا القميص أجزأناه خبيئ هذا التمدد. وإن أبا مسلم بايعنا وباع الناس لنا على أن من نكث فقد أباح دمه، ثم نكث بنا، فحكمنا عليه حكمه على غيره، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه».

خطب الوفود:

كثرت وفود القبائل في أواخر أيام الرسول ﷺ بعد أن سطع نور الإسلام في الجزيرة العربية، حيث كانت خطباؤهم تتقدم فيخطبون بين يديه معلنين إسلامهم وإسلام قومهم^(٦). وأستقبل الخلفاء الوفود التي أخذت في الازدياد بعد فتح البلاد والأمصار، فكان يفد على الخليفة من كل

(١) عزاه السيوطي في الجامع الكبير، ١/١٠٧٤، إلى ابن عساکر في تاريخه.

(٢) السيوطي، الجامع الكبير، ١/١٠٤٦.

(٣) أرحت على الرجل حقه إذا ردته عليه. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٢/٤٦٥.

(٤) أبو مسلم الخراساني هو عبد الرحمن بن مسلم، صاحب الدعوة، وأول ظهوره بمرو، قتله المنصور سنة ١٣٧هـ - ٧٥٥م.

الدمعي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ١٢١ - ١٤٠هـ، ص ٥٨١، الزركلي، الأعلام، ٣/٣٣٧.

(٥) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ٣/٣١.

(٦) ينظر: السيرة لابن هشام، ٣/٩٨٥ وما بعدها.

مصر جماعة منهم تتحدث في شؤون قومها؛ من ذلك خطبة الأحنف بن قيس^(١) بين يدي معاوية رضي الله عنه، قال^(٢):
يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظم كبير، مع تابع من المَحُول^(٣) واتصال من الدُّحُول^(٤)، فالمكثَر
فيها قد أطرق^(٥)، والمُقِلُّ قد أَمْلَقَ^(٦)، وبلغ منه المخنق، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعش الفقير، ويجبر
الكسير، ويسهل العسير، ويصنع عن الدُّحُول ويداوي المَحُول، ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء، ويُزيل
اللأواء^(٧)، وإن السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو الجَفْلَى^(٨)، ولا يدعو الثَّقَرَى^(٩)، إن أحسن إليه شكر وإن
أسىء إليه غفر، ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عماداً يدفع عنها الملمات، ويكشف عنها المعضلات.

وهكذا نجد أن الخطابة قد أزدهرت في الإسلام وانتشرت، وذلك لتتابع الأحداث، وتقلب الأحوال، واتسع
مجال القول أمام هذا الفن الأدبي، لكونه أقدر من الشعر على شرح الحقائق، وكشف الغوامض بما يقدم من
حجج عقلية ومؤثرات وجدانية، فضلاً عن كون الخطابة وسيلة الرسول ﷺ في نشر دعوته، لذا ارتفعت في عهد
الإسلام منزلتها وشرف قدرها، وكثر المتكلمون بها، الذين أخذوا يستوحون في خطبهم روح القرآن العظيم،
وإرشادات الرسول الكريم ﷺ، مما أكسب الخطابة الإسلامية وحدة الموضوع، وتسلسل المعاني، وسمو
الفكرة، ووضوح الهدف، ومن هنا كان تفضيل القلقشندي للخطابة على الشعر، وهو يعلل ذلك فيقول^(١٠):
«وذلك أن مقاصد الشعر لا تخلو من الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة، والصفات المجاوزة للحد،
والنعت الخارجة على العادة، وقذف المحصنات، وشهادة الزور... بخلاف النثر فإن المقصود الأعظم منه
الخطب والترسل، وكلاهما شريف الموضع، حسن التعلق؛ إذ الخطب كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده
وتقديسه وتوحيده والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ، والتذكير والترغيب في الآخرة، والتزهيد في الدنيا،
والحض على طلب الثواب، والأمر بالصُّلَاح والإصلاح، والحث على التعاضد والتعاطف، ورفض التباغض
والتقاطع، وطاعة الأئمة، وصلة الرحم، ورعاية الدم، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى مما هو مستحسن
شريعاً وعقلاً، وَحُبُّكَ رِية قام بها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده».



- (١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، أبو بحر التميمي الذي يغرب به المثل في الحلم، من كبار التابعين وأشرافهم،
اسمه الضحاك، ويقال: صخر، وغلب عليه الأحنف لاهوجاج رجله، وكان سيداً مطاعاً في قومه، وثقة مأموناً قليل الحديث،
توفي سنة ٨٧٢ - ٦٩١ م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ٦١ - ٨٠ هـ، ص ٣٤٥. الزركلي، الأعلام، ٢٧٦/١.
- (٢) إسحاق بن إبراهيم الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ٨٨/١.
- (٣) المَحُول أختياس المطر، والمحل: الجذب وهو أنقطاع المطر ويُس الأرض من الكلال. ابن منظور، اللسان، محل، ٦١٧/١١.
- (٤) الدُّحُول: الثَّار، وجمعه دُحُول. ابن منظور، اللسان، دحل، ٢٥٦/١١.
- (٥) أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلم، وأطرق أيضاً أرعى عينيه ينظر إلى الأرض. ابن منظور. اللسان، طروق، ٢١٩/١٠.
والمعنى: المكثَر قد خضع وذل للحاجة.
- (٦) أَمْلَقَ الرجل إذا أَفْتَقَرَ. ابن منظور، اللسان، ملق، ٣٤٨/١٠.
- (٧) اللأواء: المشقة والشدة. ابن منظور، اللسان، لأى، ٢٣٨/١٥.
- (٨) الجَفْلَة: الجماعة من الناس، ودعاهم الجفلى هو أن تدعو الناس إلى طعامك عامة. ابن منظور، اللسان، جفل، ١١٤/١١.
- (٩) دعاهم الثَّقَرَى إذا دعا بعضاً دون بعض، أي دعوة خاصة. ابن منظور، اللسان، ثقر، ٢٣٠/٥.
- (١٠) صبح الأعشى، ٩٠/١، ٩١.

الفصل الثاني

ترجمة المصنف

عصره^(١):

كانت حياة ابن الجوزي ونشأته في أواخر الدولة العباسية، في القرن السادس الهجري، تلك الحقبة التي كثرت فيها الدسائس والفتن، وفشى فيها الخور والوهن، وعمت القوضى في البلاد، وأضطربت فيها الأحوال، وتضعضت دعائم الخلافة، فلم يبق للخليفة من مهامها سوى شكلها ورسمها، وأضحى الحكم الفعلي بيد السلاطين من السلاجقة وغيرهم، حيث أستبد كلٌ منهم بحكم ما وقع تحت يديه من البلاد والعباد، يحاربون كل من خالفهم ولو كان من أهل ديارهم وملتهم، فوحدة الدين والمذهب لم تمنع من وقوع الحروب والملاحم فيما بينهم؛ إذ كانت المصالح وحدها هي عامل الجمع بينهم أو التفريق؛ فأصبحت حالهم كما قال الشاعر^(٢):

القاب مملّكة في غير موضّعها كالهَرُّ يحكي أنثفاخاً صَوْلَة الأسد

[بحر البسيط]

كانت هذه حالهم بينما الأعداء يتربصون بهم الدوائر، فالفرنجة من الصليبيين قد أهلكوا الحرث والنسل بهجماتهم المتكررة على بلاد الشام، والسلاطين - مع ذلك - جأؤون في باطلهم، يسعون لحماية ملكهم، غافلون عن مهمتهم الحقيقية وهي حفظ هذا الدين وحماية أهله - إلا من رحم ربي وعصم - يقول ابن جبير واصفاً حال هؤلاء السلاطين^(٣): «ومما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فأهواء وبدع، وفِرَق ضالة وشيع، إلا من عصم الله ﷻ من أهلها. كما أنه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه، إلا عند الموحّدين^(٤) أعزهم الله، فهم آخر أئمة العدل في الزمان، وكل من سواهم من الملوك في هذا الأوان فعلى غير الطريقة، يُعْشَرُونَ تجار المسلمين كأنهم أهل ذمة لديهم، ويستجلبون أموالهم بكل حيلة وسبب، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها، اللهم إلا هذا السلطان العادل صلاح الدين^(٥)».

ولم تكن الحياة الاجتماعية بمنأى عما أصاب الحياة السياسية من الخلل والفساد، فقد خفت تأثير الوازع الديني في النفوس في معظم طبقات الشعب، وعمّ التهاون في الطاعات وترك العبادات، وتجاوزوا الحلال إلى الحرام؛ وقد وصف ابن جبير في رحلته حال أهل بغداد وما وصلوا إليه في هذا العصر فقال^(٦): «وأما أهلها

(١) ينظر أحداث هذا العصر في: الذهبي، دول الإسلام، ص ٢٥٧ إلى ٣١٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٦٦ وما بعدها، ١٣/٢ إلى ٣٦.

(٢) ديوان ابن رشيق القيرواني، ص ٦٠. (٣) رحلة ابن جبير، ص ٥٥، ٥٦.

(٤) وهي دولة الموحدين التي حكمت المغرب والأندلس ١٥٢ سنة (١٥١٥ إلى ٦٦٧). ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ٦/ ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٩، ٢٩٣، ٣١٠.

(٥) السلطان صلاح الدين الملك الناصر أبو المعظفر يوسف بن أيوب الدؤيني الأصل، التكريتي المولد، كان كظلاً كريماً، جواداً، بطلاً، شجاعاً، كامل العقل والقوى، شديد الهيبة، توفي سنة ٥٨٩هـ - ١١٩٣م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٨١ - ٥٩٠هـ، ص ٣٥١. ابن العماد الحنبلي، شلوات الذهب، ٤/ ٢٩٨.

(٦) رحلة ابن جبير، ص ١٩٤.

فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء... يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً، وما منهم من يحسن الله فرضاً، فلا نفقة فيها إلا من دينار تفرضه، وعلى يدي مخسر للميزان تعرضه، لا تكاد تظفر من خواص أهلها بالورع العفيف، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها إلا على من ثبت له الويل في سورة التطفيف، لا يبالون في ذلك بعب، كأنهم من بقايا مدين^(١) قوم النبي شعيب...».

ولكن على الرغم من هذا الضعف السياسي والاجتماعي الذي أصاب الأمصار الإسلامية في تلك الفترة، كانت الحياة الثقافية مزدهرة ناشطة؛ فقد كثرت المجالس العلمية التي كانت تعقد في المدارس والمساجد، وقبض الله تعالى لهذا العلم علماء نبهاء، وصالحين أجلاء، توجهت همتهم نحو حفظ هذا التراث الإسلامي العريق من الضياع، فأسترشد بهم وأفاد منهم ناشئة الإسلام وطلاب العلم ممن ألهموا الصواب، فأخذوا على عاتقهم الرقي بآمتهم إلى نور الحضارة الإنسانية.

هذه هي الحقبة التي نشأ فيها الإمام ابن الجوزي، وكان من هؤلاء القلة من العلماء الذين حملوا لأمتهم مشعل النور والحضارة، فبددوا ظلمات الجهل والضلالة، حيث أعتلى منبر الخطابة يعظ ويرشد، ويفسر ويوضح، حتى صار إمام عصره، وفريد زمانه في الوعظ والتذكير وغيرها من مختلف فنون العلم التي خاض لججها، فكان فيها بحراً لا ينضب، وغوراً لا يُسبر.

حياته^(٢):

هو الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حُمَادَى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي التميمي البغدادي الحنبلي، المشهور بابن الجوزي نسبة إلى جده التاسع.

وقد اختلف في مولده، إلا أنه من المحقق أنه ولد بعد سنة عشرة وخمسمائة، قال ابن رجب الحنبلي^(٣): «وجد بخطه: لا أحقق مولدي، غير أنه مات ولدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين. فعلى هذا يكون مولده سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة».

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب^(٤)، وأقاربه كانوا تجاراً في النحاس، ولهذا ربما كُتِب في بعض سماعاته عبد الرحمن بن علي الصَّفار.

وقد توفي والده وهو ابن ثلاث سنين، فأعتنت به عمته وأنشأت نشأة صالحة بتوفيق الله وحفظه، فلما ترعرع دفعته إلى الشيخ أبي الفضل بن ناصر^(٥)، فأعتنى به وأسمعه الحديث وضبط له مسموعاته؛ يقول ابن

(١) مَدِين: مدينة قوم شعيب، وهي تجاه تبوك على بحر القلزم. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣/١٢٤٦.

(٢) تنظر ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/١٤٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٦٥. وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ، ص ٢٨٧. وتذكرة الحفاظ، ٤/١٣٤٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/٢٨. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٣٩٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤/٣٢٩. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/٤٨١.

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٤٠٠.

(٤) درب حبيب ببغداد من نهر مُعَلَّى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/٢١٦.

(٥) هو أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي، الحافظ الأديب المعروف بالسلامي، كان حافظ ببغداد في زمانه، وكان له حظ وافر من الأدب، روى عنه الأئمة فأكثرُوا، وأخذ عنه علماء عصره، توفي سنة ٥٥٠هـ - ١١٥٥م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/٢٩٣. الزركلي، الأعلام، ٧/١٢١.

الجوزي^(١): «حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت الأزم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدَد لا تكثير العدد».

ولقد حفظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء، منهم أبو محمد سبط الخياط^(٢)، وقرأ بالروايات في كبره بواسط^(٣) على ابن الباقلاني^(٤).

وصحب أبا الحسن بن الزاغوني^(٥) فأخذ عنه الفقه والوعظ، ثم بعد وفاته قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري^(٦)، والقاضي أبي يعلى الصغير^(٧)، وأبي حكيم النهرواني^(٨). وسمع الكتب الكبار، كالسند وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت^(٩)، وصحيح مسلم بنزل، وتصنيف ابن أبي الدنيا وغيرها. وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي^(١٠)، وأخذ الوعظ عن أبي الحسن بن الزاغوني، والشريف أبي القاسم علي بن يعلى العلوي الهروي^(١١).

ولقد أعانه على طلب العلم وسر له سبله - بعد عناية الله تعالى ورعايته - ما ورثه عن أبيه من المال الكثير، فأستنفذها في طلب العلم، حتى إذا ما بلغ رشده وتحمل مسؤولية نفسه، التفتت إليه نواب الدهر، والتفت حوله الشدائد، فلم يوهن ذلك من عزمه، ولم يفت من عضده، بل سهل عنده ما توَعَّر، وأنقاد له ما تصعَّب،

(١) مشيخة ابن الجوزي، ص ٥٣.

(٢) هو عبد الله بن علي بن أحمد البغدادي، أبو محمد، المعروف بسبط الخياط، شيخ الإقراء ببغداد في عصره، كان عالماً بالقراءات واللغة والنحو، توفي سنة ٥٤١هـ - ١١٤٦م. ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٩٨. الزركلي، الأعلام، ١٠٥/٤.

(٣) واسط مدينة الحجاج التي بنى، سميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة. البكري، معجم ما استعجم، ١٣٦٣/٢. صفى الدين البغدادي، مرصد الاطلاع، ١٤١٩/٣.

(٤) هو عبد الله بن منصور بن عمران، المعروف بأبن الباقلاني، أبو بكر الواسطي، شيخ القراء ومسندهم بواسط في زمانه، توفي سنة ٥٩٣هـ - ١١٩٦م. الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٥٦٥/٢. ابن الجوزي، غاية النهاية، ٤٦٠/١.

(٥) هو أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن السري الزاغوني البغدادي، شيخ الحنابلة، قرأ القراءات، وبرع في المذهب والأصول والوعظ، وصنَّف التصانيف واشتهر اسمه، توفي سنة ٥٢٧هـ - ١١٣٢م. الذهبي، المعبر، ٤٣١/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨٠/٤.

(٦) هو أحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد، الدينوري البغدادي، الفقيه الحنبلي، برع في الفقه وتقدم في المناظرة، وكان يرق عند ذكر الصالحين ويبكى، توفي سنة ٥٣٢هـ - ١١٣٨م. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١٩٠/١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٩٨/٤.

(٧) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسين، القاضي أبو يعلى الصغير، شيخ المذهب في وقته، برع في المذهب والخلاف والمناظرة، وأفتى ودرس وناظر في شبيبته، توفي سنة ٥٦٠هـ - ١١٦٥م. ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/٢٤٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٩٠/٤.

(٨) هو إبراهيم بن دينار بن أحمد، الفقيه الحنبلي الزاهد الحكيم الورع، برع في المذهب والخلاف والفرائض، وأفتى وناظر، توفي سنة ٥٥٦هـ - ١١٦٠م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٧٦/٤. الزركلي، الأعلام، ٣٨/١.

(٩) هو عبد الأول بن عيسى السجزي ثم الهروي، كان خيراً متواضعاً متودداً حسن السمات متين الديانة زاهداً، توفي سنة ٥٥٣هـ - ١١٥٨م. الذهبي، المعبر، ٢٠/٣. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٦٦/٤.

(١٠) هو موهوب بن أحمد بن محمد، كان إماماً في فنون الأدب، ثقة، ديناً، غزير الفضل، وافر العقل، مليح الخط والضبط، متواضعاً طويل الصمت، من أهل السنة، لا يقول الشيء إلا بعد التحقيق، توفي سنة ٥٤٠هـ - ١١٤٥م. السيوطي، بغية الوعاة، ٣٠٨/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٢٧/٤.

(١١) هو علي بن يعلى بن عوض، أبو القاسم، كان يعظ الناس بنيسابور، ثم قدم بغداد فوعظ بها، فحصل له القبول التام، توفي سنة ٥٢٧هـ - ١١٣٢م. ابن الجوزي، مشيخة ابن الجوزي، ص ١١٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠٥/١٢.

لما يجد في نفسه الأبية من حلاوة العلم ولذته، قال ^(١): «ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو. كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى ^(٢) فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم...».

ولقد عرف الخلفاء والوزراء قدر ابن الجوزي، فأكرموه وقربوه، وكان يجلس للوعظ والتدريس بدرب دينار ^(٣) في مدرسته، وباب الأزج ^(٤) على شاطئ دجلة، وباب بدر ^(٥) عند الخليفة المستضيء ^(٦)، وجامع المنصور ^(٧)، والرصافة ^(٨)، وغيرها.

وقد نالته محنة في أواخر عمره، وذلك أن الوزير ابن يونس الحنبلي ^(٩) كان قد أحرق كتب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب الجبلي ^(١٠) بمحضر من ابن الجوزي وغيره من العلماء؛ لِمَا فيها من الزندقة والكفر، وأنزع منه مدرسة جده وسلمها إلى ابن الجوزي. فلما ولي الوزارة ابن القصاب الرافضي ^(١١) قبض على ابن يونس وتبيع أصحابه، وحبس ابن الجوزي بإشارة من الركن، فمكث في سجنه في واسط خمس سنين، ثم أفرج عنه. وكان سبب خلاصه أن ولده يوسف ^(١٢) نشأ وأشتغل، وقرأ الوعظ ووعظ، وتوصل وساعدته أم الخليفة ^(١٣)، فشفعت

- (١) صيد الخاطر، ص ١٩١.
- (٢) هو نهر منشوب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، مأخذه من الفرات، ومصبه في دجلة عند قصر عيسى بن علي. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٢١/٥.
- (٣) وهي محلة معروفة ببغداد، وهي منسوبة إلى دينار بن عبد الله من موالى الرشيد، وكان عظيماً في أيام المأمون. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١٩/٢، و ٧٢/٥.
- (٤) باب الأزج: محلة كبيرة، ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٦٥/١.
- (٥) باب بدر، وهو أحد خواص الخدم، وكان قبل ذلك يدعى بباب الخاصة، وهو أحد أبواب دار الخلافة المعظمة ببغداد، يدخل منه من سمت منزله. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٧/١، و ٢١٢/٥، يتصرف.
- (٦) هو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي، بويح بالخلافة سنة ٥٦٦هـ - ١١٧٠م، وكان من خيار الخلفاء، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مبطلاً للبدع والمعائب حليماً وقوراً كريماً، توفي سنة ٥٧٥هـ - ١١٧٩م. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٠٤/١٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٥٠/٤.
- (٧) وهو جامع كبير عتيق البنيان حفيظه، وهو في بغداد، في محلة باب البصرة. ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٢٠١.
- (٨) رصافة بغداد بالجانب الشرقي، كان المهدي عسكر بها، وأمره المنصور أن يبني بها دوراً فالتحق بها الناس وعمرها، فصارت بقدر مدينة المنصور، وبني بها جامعاً أكبر من جامع أبيه، وبها تربة الخلفاء. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٦١٧/٢.
- (٩) هو عبيد الله بن يونس البغدادي، الفقيه الحنبلي الأصولي المتكلم وزير الخليفة الناصر، وكان على رأس جيش لمحاربة السلطان طغرل بن أرسلان، فهزم وأسر ثم أطلق وعاد إلى بغداد، ونكبه ابن القصاب فحبسه حتى مات سنة ٥٩٣هـ - ١١٩٧م. الذهبي، العبر، ١٠٧/٣. الزركلي، الأعلام، ١٩٨/٤.
- (١٠) هو عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر، كان أبوه صالحاً وكان هو متهماً بالفلسفة ومخاطبة النجوم، وقد ولي عدة ولايات، مات سنة ٦١١هـ - ١٢١٤م. ابن كثير، البداية والنهاية، ٦٨/١٣. الزركلي، الأعلام، ٦/٤.
- (١١) هو محمد بن علي، مؤيد الدين أبو الفضل، ابن القصاب، الوزير، مات سنة ٥٩٢هـ - ١١٩٦م. الذهبي، العبر، ١٠٦/٣. الزركلي، الأعلام، ٢٧٩/٦.
- (١٢) هو محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن، محتسب بغداد، تولى تدريس المدرسة المستنصرية لطائفة الحنابلة، وكان يتردد في الرسائل إلى الملوك، وصار أستاذاً دار الخلافة، توفي قتيلاً على يد التتار سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م. ابن خلكان، وفیات الأعيان، ١٤٢/٣. الذهبي، العبر، ٢٨٥/٣.
- (١٣) وهي أم ولد تركية تدعى زمرد، كانت صالحة عابدة كثيرة البر والإحسان والصلاة والأوقاف، عاشت في خلافة ولدها الناصر أربعاً وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر، توفيت سنة ٥٩٩هـ - ١٢٠٢م. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٦/١٣.

عند ابنها الناصر^(١) في ابن الجوزي، فأمر بإطلاق الشيخ. فعاد إلى بغداد، ورجع إلى عاداته في الوعظ ونشر العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم إلى أن توفاه الله تعالى ليلة الجمعة في الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة من الهجرة، ودفن بباب حرب^(٢) بالقرب من مدفن الإمام أحمد بن حنبل^(٣).

مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه:

كان الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى محباً للعلم شغوفاً به، فأقبل عليه منذ الصغر ينهل من معينه، وينظر في فنونه؛ فأفاد وأستفاد، وأرشد وأسترشد، يقول رحمه الله تعالى^(٤): «إنني رجل حبب إلي العلم من زمن الطفولة فتشأغلت به، ثم لم يجب إلي فن واحد منه، بل فنون، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه بل أروم استقصاءه، والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر، فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات».

وقد دفعه حبه للعلم والتعلم إلى كثرة القراءة والمطالعة، حتى أنه ربما طالع عشرين ألف مجلد أو يزيد، فهتمته متجهة إلى النظر في كتب السلف، والوقوف على أحوالهم وسيرهم، للناسي بهم، والاهتداء بأرائهم، والسير على خطاهم؛ قال رحمه الله^(٥): «واني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أره فكأنني وقعت على كنز... ولو قلت إنني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فأستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر همهم وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع». فأستطاع بهذا الاطلاع الواسع أن يبدأ أقرانه، ويتقدم أنداده؛ فقد سبر أغوار العديد من العلوم الإسلامية، فألف في التفسير، وكتب في الحديث والفقه والتاريخ، وكان في الوعظ أستاذاً لا يشق غباره، ولا يشق عنانه، وصنف في الطب وغير ذلك من العلوم التي ولجها وخاض لججها، فأرتقى بعلمه إلى ذرى المجد، وصعد إلى فروع العز، فرنت إليه الأبصار، وأمتدت نحوه الأعناق، وشدت إليه الرحال، فقرأ عليه الكثير من طلاب العلم وسمعوا منه ورووا عنه، ومن هؤلاء: ولده العلامة محيي الدين يوسف، وولده أبو القاسم علي^(٦)، وسبطه أبو المظفر يوسف بن قزغلي التركي^(٧)، والحافظ عبد الغني^(٨)، والشيخ موفق الدين بن

(١) هو الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف الهاشمي العباسي، كان ذكياً شجاعاً مهيباً، وهو أطول بني العباس خلافة، فكانت مدة خلافته سبعاً وأربعين سنة إلا شهراً، توفي سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م. الذهبي، العبر، ١٨٥/٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٥/١٢، و١٠٦/١٣.

(٢) باب حرب: محلة ببغداد، وهي التي يقال لها الحرية. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١/١٤٤، ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) يكنى أبا عبد الله، وهو ثقة ثبت صدوق كثير الحديث، وقد كان امتحن وضرب بالسياط على أن يقول القرآن مخلوق فأبى أن يقول، توفي سنة ٢٤١هـ - ٨٥٥م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٥٤/٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ، ص ٦١.

(٤) صيد الخاطر، ص ٢٢. (٥) المصدر السابق، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٦) هو أبو الحسن علي ابن العلامة ابن الجوزي، تكلم في الوعظ في شببته، ثم تركه، وكان كثير المحفوظ، لزم اللعب والعشرة والبطالة مدة، ثم في الآخر لزم النسخ، وكان منه عيشته، وكان أبوه قد هجره، فلما امتحن صار إلماً عليه، توفي سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، التكملة لوفيات الثقلة، ٣/٣٥٠. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٦٢١ - ٦٣٠هـ، ص ٣٩٤، وحوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ، ص ٢٩٩.

(٧) هو العلامة الواعظ المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي التركي، ثم البغدادي الهبيري الحنفي، سبط الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وعظ وحصل له القبول العظيم، وكان أوفر الحرمة عند الملوك، توفي سنة ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م. ابن كثير، البداية والنهاية، ١٩٤/١٣. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢٦٦.

(٨) هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي الحافظ الإمام، محدث الإسلام، تقي الدين أبو محمد المقدسي الجنايلي ثم الدمشقي الصالح الحنبلي، توفي سنة ٦٠٠هـ - ١٢٠٣م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٣٣٢. الزركلي، الأعلام، ٤/٣٤.

قدامة^(١)، وابن الدُّبَيْثِي^(٢)، وابن النجار^(٣)، وابن خليل^(٤)، والضياء^(٥)، والتقي اليلداني^(٦)، والنجيب عبد اللطيف الحراني^(٧)، وابن تيمية^(٨)، وابن القطيعي^(٩)، وخلق سواهم.

وقد كان الإمام ابن الجوزي بالإضافة إلى مكانته العلمية شاعراً مجيداً، وناظماً فريداً، فمن شعره قوله^(١٠):
يودّ حسودي أن يرى لي زلّة
إذا ما رأى الزُّلّات جاءت أكاذيب
أردّ على خُصمي وليس بقادرٍ
على ردّ قولِي فهو مَوْتٌ وتَغْزِيب
تُرى أَوْجِه الحسَاد صُفْراً لِرؤيتي
فإن فُهِتْ عَادَتْ وهي سُود غَرَابِيب^(١١)

[بحر الطويل]

ومنه قوله^(١٢):

يا ساكن الدنيا تأف
وأعدّ زاداً للرحح
وأبك الذنوب بأذمّع
أرضيت ما يَفْنَى ببقا
ب وأنْتَظِر يوم الفراق
ل فسوف يُخْدى بالرفاق
تُهلّل من سُحْب المآق
أرضيت ما يَفْنَى ببقا

[بحر الكامل]

- (١) هو عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد موفق الدين، فقيه من أكابر الحنابلة، توفي سنة ٦٢٠هـ - ١٢٢٣م. ابن كثير، البداية والنهاية، ٩٩/١٣، الزركلي، الأعلام، ٦٧/٤.
- (٢) هو الإمام الحافظ الثقة المقرئ مؤرخ العراق، أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الديلمي ثم الراسطي الشافعي، توفي سنة ٦٣٧هـ - ١٢٣٩م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤١٤، ١٤١٥. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٨٥/٥.
- (٣) هو الحافظ الإمام البارع مؤرخ العصر محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن النجار البغدادي، توفي سنة ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤٢٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٢٦/٥.
- (٤) هو الحافظ مسند الشام شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي، محدث حلب، توفي سنة ٦٤٨هـ - ١٢٥٠م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤١٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤٣/٥.
- (٥) هو الإمام العالم، الحافظ الحجة، محدث الشام، شيخ السنة، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي، ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، توفي سنة ٦٤٣هـ - ١٢٤٥م. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ٤/١٤٠٥. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٢٤/٥.
- (٦) هو الشيخ الإمام المحدث المسند الرحال تقي الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم، عبد المنعم بن عبد الرحمن اليلداني الدمشقي الشافعي، توفي سنة ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣١١/٢٣. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٦٩/٥.
- (٧) هو عبد اللطيف بن الصيقل أبو الفرج مسند الديار المصرية، توفي سنة ٦٧٢هـ - ١٢٧٣م. ابن رجب الحنبلي، الذليل على طبقات الحنابلة، ٤٦١/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٣٦/٥.
- (٨) هو محمد بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني فخر الدين، أبو عبد الله بن أبي القاسم شيخ حران وخطيبها، لازم أبا الفرج ببغداد وسمع منه الكثير من تصانيفه، توفي سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م. ابن رجب الحنبلي، الذليل على طبقات الحنابلة، ١٥١/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٠٢/٥.
- (٩) هو الشيخ العالم المحدث المؤرخ مسند العراق أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين البغدادي القطيعي، لازم أبا الفرج وقرأ عليه وأخذ عنه الوعظ، توفي سنة ٦٣٤هـ - ١٢٣٦م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٩٠٨/٢٣. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٦٨/٥.
- (١٠) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ، ص ٢٩٤.
- (١١) أسود غريب: حالك. الفيروزآبادي، القاموس، «غرب»، ص ١٥٤.
- (١٢) ابن رجب الحنبلي، الذليل على طبقات الحنابلة، ٤١٢/١.

وقوله^(١):

لَنَلَّهَ أَسْأَلَ أَنْ يُطَوَّلَ مُدَّتِي
لِي هِمَّةٌ فِي الْعِلْمِ مَا إِنْ مَثَلَهَا
خُلِقَتْ مِنَ الْعِلْقِ الْعَظِيمِ إِلَى الْمُتَى
كَمْ كَانَ لِي مِنْ مَجْلَسٍ لَوْ شُبِّهَتْ
أَشْيَاقُهُ لَمَّا مَضَتْ أَيَّامُهُ
يَا هَلْ لَكُنِيَلَاتٍ بِجَمْعِ عَوْدَةٍ
قَدْ كَانَ أَحْلَى مِنْ تَصَارِيفِ الصَّبَا
فِيهِ الْبَدِيدَاتُ الَّتِي مَا نَالَهَا

لَأَنَالَ بِالْإِنْعَامِ مَا فِي زَيْتِي
وَهِيَ الَّتِي جَنَّتِ التُّحُولُ هِيَ الَّتِي
دُعِيتَ إِلَى نَيْلِ الْكَلَامِ فَلَبَّتُ^(٢)
حَالَائِهِ لَتَشَبَّهَتْ بِالْجَنَّةِ
عُظْلًا وَتُغْلَزِرَ نَاقَةً إِنْ حَنَّتْ
أَمْ هَلْ عَلَى وَادِي مَنَى مِنْ نَظَرَةٍ
وَمِنْ الْحَمَامِ مَغْنِيًا فِي الْأَيْكَةِ^(٣)
خَلَقَ بِغَيْرِ مُحْتَمِرٍ وَمُبَيَّتٍ

[بحر الكامل]

وغير هذا كثير من أشعاره الجيدة التي قيل إنها تقع في عشر مجلدات^(٤).

وقد أعجب بعلومه وغزارة تصنيفه مع جودتها وحسنها، وبراعته في النظم والنثر كثير من أهل العلم والفضل، فأنشأ عليه، وأذاعوا فضله، وشكروا جهده؛ قال المقري^(٥): «وكان ابن الجوزي المذكور آية الله في كثرة التأليف والكتابة والوعظ والحفظ، وأقل من كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وربما حضر عنده مائة ألف». وقال ابن البزوري^(٦): «فأصبح في مذهبه إماماً يشار إليه، ويُعَدُّ الخنصر في وقته عليه... برع في العلوم، وتفرد بالمتنور والمنظوم، وفاق على أدباء عصره، وعلا على فضلاء دهره، له التصانيف العديدة».

وقال الذهبي^(٧): «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب ويضطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيَم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفاً بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقهياً، عليمًا بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ وأستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التَّصَوُّن والتَّجَمُّل، وحسن الشَّارة، ورشاقة العبارة، ولطف الشماثل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفتُ أحداً صَنَّفَ ما صَنَّفَ».

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٧٨/٢١، ٣٧٩.

(٢) اللؤلؤ: النفس من كل شيء. الفيروزآبادي، القاموس، «علق»، ص ١١٧٦.

(٣) الصُّبَا رِيحٌ مَبِيهَا الْمُسْتَوِي أَنْ تَهْبَ مِنْ مَوْضِعٍ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِذَا أَسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَبَيَّحَتْهَا الدُّبُورُ. والأَيْكَةُ جَمْعُ الْأَيْكِ وَهِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفُ، وَقِيلَ: هِيَ الْغَيْضَةُ تَنْبِتُ السُّنْبُرَ وَالْأَرَاكَ وَنَحْوَهُمَا مِنْ نَاعِمِ الشَّجَرِ. ابن منظور، اللسان، «صبا»، ١٤/٤٥١، وأَيْكُ، ٣٩٤/١٠.

(٤) قالها أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، المتوفى سنة ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م. ينظر: ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ٤٢٣/١.

(٥) نفع الطيب، ١٦١/٥، ١٦٢.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠هـ، ص ٢٩٦. وابن البزوري: هو محفوظ بن معنوق بن أبي بكر بن عمر بن محمد بن عمارة، عز الدين البغدادي، المعروف بابن البزوري، مؤرخ، توفي سنة ٦٩٤هـ - ١٢٩٤م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤٢٧/٥. الزركلي، الأعلام، ٢٩١/٥.

(٧) سير أعلام النبلاء، ٣٦٧/٢١.

وقد مدحه أيضاً الكثير من الشعراء، ومن ذلك قول عبد القادر العلوي يرثيه^(١):

وَرَحَارِفِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا تُطْمَعُ	الدَّهْرُ عَنْ طَمَعٍ يَغُورُ وَيَخْدَعُ
طَمَعاً وَأَسْيَافِ الْمَنِيَّةِ تَقْطَعُ	وَأَعْنَةُ الْأَمْالِ يُظْلِقُهَا الرَّجَا
وَالنَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَتَّبِعُ	وَالْمَوْتُ آتٍ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ
خَبِيراً فَكُنْ خَبِيراً بِخَيْرٍ يَسْمَعُ	وَأَغْلَمُ بِأَنْتَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرُ
وَالْعِلْمُ يَوْمَ حَوَاهِ هَذَا الْمَضْجَعِ	لِعُلا أَبِي الْفَرَجِ الَّذِي بَعْدَ الثُّقَيِ
ذَا مُثْقَلَةٌ حَرَى عَلَيْهِ تَذْمَعُ	خَبِرَ عَلَيْهِ الشُّرْعُ أَصْبَحَ وَالْهَاءُ
مَنْ ذَا لَخْرَقِ الشَّرْعِ يَوْمًا يَرْقَعُ	مَنْ لِلْفَتَاوَى الْمُشْكِلَاتِ وَحَلُّهَا
وَلِرَدِّ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ فَيُسْمَعُ	مَنْ لِلْمَنَابِرِ أَنْ يَقُومَ خَطِيبُهَا
وَتَأَخَّرَ الْقَرْمُ الْهَزِيرُ الْمِضْقَعُ ^(٢)	مَنْ لِلْجِدَالِ إِذَا الشُّفَاءُ تَقَلُّصَتْ
يَتْلُو الْكِتَابَ بِمُثْقَلَةٍ لَا تَهْجَعُ	مَنْ لِلدِّيَاغِيِّ قَائِماً دَيُّجُورُهَا
وَالْعِلْمُ بَعْدَكَ وَأَسْتَجِمُ الْمَجْمَعُ ^(٣)	أَجْمَالِ دِينَ مُحَمَّدٍ مَاتَ الثُّقَيِ
هَظَالَةٍ بِرِغَابِهِ لَا تَقْلَعُ	يَا قَبْرَهُ جَادَتْكَ كُلَّ غَمَامَةٍ

[بحر الكامل]

وقد مدحه خلق غيرهم مما يطول ذكرهم في هذا المقام، لذا أختصرت على ما ذكرت مبينة فضل هذا العالم الفذ على عجالة من أمري، ذلك لأنني أعرف به كصاحب الكتاب الذي أنا في صدد تحقيقه وهو «المورد العذب في المواعظ والخطب»، وحتى لا أثقل الكتاب - مع كبر حجمه - بمقدمات طوال.

مؤلفات ابن الجوزي:

كان ابن الجوزي رحمه الله تعالى كثير التصنيف والتأليف، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي^(٤): «سمعتَه يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي ألف يهودي ونصراني»، وقال ابن الزوري في تاريخه^(٥): «وله التصانيف العديدة سئل عن عددها فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفًا، منها ما هو عشرون مجلدًا، ومنها ما هو كراس واحد، ولم يترك فنًا من الفنون إلا وله فيه مصنفًا».

وهكذا أفاد الإمام رحمه الله البشرية حياة وبعد مماته، فقد أشتهرت كتبه وانتشرت وسارت بها الركبان، فانتفع الناس بها انتفاعاً بيناً. وسأكتفي في هذه العجالة بذكر أسماء بعض كتبه فقط؛ مدللة بها على سعة اطلاعه وخوضه في كل فن من فنون العلوم، دون ذكرها إن كانت في عالم المخطوط وأماكن وجودها، أم هي من

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ، ص ٢٩٨. وعبد القادر: هو ناصر الدين العلوي الموسوي من أهل مشهد موسى بن جعفر. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ٨/ ٥٠٠.

(٢) القرم من الرجال: السيد المَعْقَم. ابن منظور، اللسان، «قرم»، ٤٧٣/١٢. والهزير: الشديد الثلب. والمِضْقَع: البليغ، أو مَنْ لَا يُرْتَجَعُ عَلَيْهِ فِي كَلَامِهِ وَلَا يَتَّبَعُ. الفيروزآبادي، «هزير»، ص ٦٤٠، و«مِضْقَع»، ص ٩٥٣.

(٣) جَمَّ مَازَهُ يَجُمُّ جُمُوماً: كَثُرَ وَاجْتَمَعَ. كَأَسْتَجِمُّ. الفيروزآبادي، القاموس، «جسم»، ص ١٤٠٨.

(٤) مرآة الزمان، ٨/ ٤٨٢.

(٥) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ١/ ٤١٣.

المطبوع ومن أخرجها، أم هي من المفقود ومن ذكرها؛ ذلك لأن والدي الدكتور سمير مجذوب قد أستوفى البحث فيها، فحقّق ودقّق بها، ودمج المتكررات بأسماء مختلفة، ورفع الأوهام عنها بما ذكر من تعداد مصنفاته قديماً وحديثاً فأنتهى في عدّها إلى ثلاثة وخمسين وثلاثمائة مصنف، وذلك في كتابه «ابن الجوزي مصنفًا في علوم القرآن»، بينما ذهب الأستاذ عبد الحميد العلوجي في عدّها إلى تسعة عشر وخمسمائة مصنف في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي» جلّها من المتكررات، وأخذ عليه عدم الدقة والشتات فيما ذكره في كتابه هذا، والله أعلم.

ولقد كان لأبن الجوزي في كل علم مشاركة، وفي كل فن مساهمة؛ فمن تصانيفه المتعلقة بالقرآن وعلومه: «زاد المسير في علم التفسير»، و«نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر»، و«فنون الأفتان في عيون علوم القرآن»، وفي علم الحديث ورجاله: «الموضوعات»، و«العلل المتناهية في الأحاديث الواهية»، و«كتاب الضعفاء والمتروكين»، و«أربعون حديثاً في فضائل الأعمال»، وفي أصول الدين: «منتقد المعتقد»، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد»، وفي الفقه: «الإنصاف في مسائل الخلاف»، و«عمد الدلائل في مشتهر المسائل»، و«العبادات الخمس»، وفي الشعر واللغة: «تذكرة الأريب في اللغة»، و«ما يلحن فيه العامة»، و«إحكام الإشعار بأحكام الأشعار»، وفي التراجم والسير والمناقب: «أخبار الأخيار»، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة»، و«الوفا في فضائل المصطفى»، و«مناقب الصديق»، و«مناقب معروف الكرخي»، وفي التاريخ: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، و«شذور العقود في تاريخ اليهود»، وفي الطب: «شفاء علل الأمراض»، و«لقط المنافع»، و«مختار المنافع»، وفي المواعظ والزهديات: «الأرج في الموعظة»، و«إنشاد الواعظ إلى أشرف المواعظ»، و«إغاثة اللهفان في مسائل الشيطان»، و«الجلس الصالح والأنيس الناصح»، و«الزهر الفائح فيمن تنزه عن الذنوب والقبايح»، و«درياق الذنوب وكشف الران عن القلوب»، و«رسالة في علم المواعظ»، و«الآلئ»، و«لفتة الكبد في نصيحة الولد»، و«اللطائف الكبرى»، و«مواعظ الملوك»، و«عجب الخطب»، و«كتابنا «المورد العذب في المواعظ والخطب»، والذي نحن بصدد إخراجه وتحقيقه.

ابن الجوزي الخطيب الواعظ:

لقد سبر ابن الجوزي أغوار العديد من العلوم من فقه وأصول وتفسير ونحو وحديث وطب وغير ذلك، وبرع في كل من هذه الفنون، إلا أنه كان في الوعظ أوحده، وفريد زمانه، قد بلغ فيه الغاية حيث لا زيادة لمستزيد، ولا متجاوز وراءها لمجتهد، قال الموفق عبد اللطيف^(١): «وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية: إن أرتجل أجاد، وإن روى أبدع». وقال ابن كثير^(٢): «وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعلوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة، سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة».

وقد وعظ وهو صغير جداً، فكان أول مجلس تكلم فيه على المنبر يعظ الناس سنة عشرين وخمسمائة^(٣).

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ٥٩١ - ٦٠٠ هـ، ص ٣٠٣. وعبد اللطيف هو عبد اللطيف بن الصيقل، تقدمت ترجمته.

(٢) البداية والنهاية، ٢٨/١٣.

(٣) المصدر السابق، ١٩٦/١٢.

وأوقع الله له في القلوب القبول، فطار صيته، وثَّبه ذكره، وعظمت منزلته، قال الإمام ابن الجوزي^(١): «بعث إليَّ بعض الأمراء من أقارب أمير المؤمنين: والله ما أحضر أنا ولا أمير المؤمنين غير مجلسك، وإنما تلمحنا مجلس غيرك يوماً وبعض يوم آخر». وأقل من كان يحضر مجلسه الوعظي عشرة آلاف، لإخلاصه وروعة بيانه، وجمال كلامه الذي بمثله تستمال القلوب النافرة، وتُرد الأهواء الشاردة.

ويعد ابن الجوزي أول من صنَّف في خطابة الوعظ كفن قائم بذاته، فلم يسبقه أحد في هذا الباب حتى الإمام الغزالي^(٢) في كتبه المعروفة؛ فهو لم ينح فيها منحى الصنعة والتفنن في علم بعينه، وإنما جعلها كتب حقائق ومعارف، وما سوى ذلك مجرد مجالس وعظية غير مدونة أو عظات متناثرة في كتب ليس الوعظ مادتها الأصلية، وقد صدر حديثاً بعض الكتب التي ضمت بين ثناياها خطباً وعظية عديدة، ككتاب «الكلمات الذهبية في الخطب المنبرية» لمحمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري، لكنها تبقى عاجزة عن اللحاق بأسلوب ابن الجوزي الرائع الفائق الذي نلاحظه في خطبه الوعظية المؤثرة، والذي بات يمثل تطوراً في صناعة الخطابة الوعظية كفن مستقل له خصائصه الأسلوبية، وملامحه البديعية التي أثرت فيه وميزته عن غيره.

ولقد تميز أسلوب ابن الجوزي بخصائص ومزايا توافرت فيه، فجعلت له طابعاً خاصاً في لغته وأسلوب صياغته، أمتدحها العلماء وأثنى عليها القدماء، فلنحاول هنا أن نذكر شيئاً من خصائص أسلوبه، وبعضاً من سحر بيانه، وعلى وجه التمثيل والتقريب، وهيهات لنا أن نحيط بمزاياه وهو البحر الذي لا يسبر غوره بشهادة معاصريه، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك أمله.

الخاصة الأولى: من سلم ذوقه وسمت حاسته البيانية، حسن اختياره وسما كلامه ستموا يأخذ على السامع حسه، ويملك قلبه ولبه، وهذا ما نلمحه في أسلوب الإمام ابن الجوزي رحمه الله تعالى، فبيانه من الطراز الأول فصاحة وسلامة، وجمال أداء وحسن أستيفاء، له قلم سيال وبيان أخاذ، ولغة ناضرة في اللروة من الفصاحة والإشراق، وله في كتبه الوعظية وغيرها جمل وقطع من الكلام ما يشبع من ترادها وسماعها، لما حوت من دقة التصوير وجزالة اللفظ، وأخذ القلب بمعناها، والسمع بمبناها؛ فمن ذلك قوله^(٣): «إخواني تفكروا فيما تصيرون إليه وتحققوا، وتذكروا مصارع الأحباب الذين سبقوا، وما الذي جرى لهم لما أوتقوا، هل قُتِلوا بأعمالهم أو أطلقوا، كيف أفردوا من أحبابهم وتفرقوا، سعدوا والله بما قُتِلُوا أو شقوا، وكأنني بك لاق ما لقوا، وتشرب بالكأس الذي به سقوا»، فهذا الأسلوب البارع في المخاطبة، المقترن فيه الوضوح بالجزالة، حتى غدا قطعة رائعة من البيان الساحر، لجدير أن يفتح مغاليق القلوب، فيهديها إلى علام الغيوب.

الخاصة الثانية: لقد عرف أسلوب ابن الجوزي السجع والمرسل، وهو في كليهما بارع متفنن، بعيد عن التكلف والتصنع، يفيض عن الفطرة السليمة الصافية، والعبقرية الغضة المتألقة، وإن كان الغالب في خطبه الوعظية الأسلوب المسجع لما له من تأثير على القلوب أكبر، وتلاعب بالمشاعر أعظم، وهذا ما يروم الخطيب إليه ويهدف إلى تحقيقه.

الخاصة الثالثة: يمتاز أسلوب ابن الجوزي، فضلاً عن جزالة اللفظ ومتانته وأستخدامه السجع للتأثير،

(١) ابن رجب الحنبلي، الليل على طبقات الحنابلة، ٤٠٧/١.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، سلك طريق الزهد والانتطاع، وصنَّف الكتب المفيدة في عدة فنون، توفي سنة ٥٠٥ هـ - ١١١١ م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢١٦/٤. الزركلي، الأعلام، ٢٢/٧.

(٣) ينظر هذا الكتاب، ص ٣٨٦.

بمخاطبته العامة والخاصة معاً، فكلُّ يفهم على قدر ما أوتي من العلم، فيحس بجماله ويذوق حلاوته، ويتغلغل أثره في نفسه، ولقد أشار إلى ذلك في كتابه «المورد العذب» في أكثر من موضع منه؛ فمن ذلك قوله^(١): «معشر العارفين معكم أتحدث، أيها الفقراء إليكم أشير، معاشر العلماء نحوكم أحقق، لأنني تغربت في إقليم العلوم، وتعلمت اللغات المختلفة، فأنا أتحدث في المجلس مع كل قوم بلغتهم، فالعارفون بالإيمان، والعالمون بالإشارة، والسالكون بالأمثال، والأدباء بالبلاغة، والفضلاء بالتلويح، والعامة بالعبارة، ومفهوم كلامي أرواح لصور المعاني، والمحققون بالذوق، والمحبون بالتعريض، والفقراء بالرمز، قد أخذ كل أناس مشربهم».

غير أنه رغم ذلك لم تخل بعض عبارات الإمام ابن الجوزي وجمله من الإغراب في اللغة باستخدام الألفاظ الغريبة، أو تلك المألوفة بمعنى لها بعيد وغريب، لكن دون أن يخل ذلك بعنصر الوضوح في كلامه بشكل عام، أو يمس بجمال اللفظ ودقة المعنى وروعة التعبير.

الخاصة الرابعة: ابن الجوزي في خطابه الوعظي يحرص على مخاطبة العقل والقلب معاً، مستلهماً القرآن العظيم في جملة وعباراته، مستنيراً يهديه وبأسلوبه وطريقته؛ فهو مثلاً يسوق استدلاله العقلي على البعث والنشور بأسلوب يهز القلوب هزاً، ويمتع العاطفة إمتاعاً، مسترشداً في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَائِبَةً إِذَا أُنزِلَتِ عَلَيْهَا الْمَاءُ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ أَحْيَاَهَا لَكُنِيَ الْمَوْتُ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)؛ فيقول^(٣): «أحيا موات الأرض فقامت دفائن النبات عبرة للمعتبرين، كل ذلك دلالة ظاهرة على قيام الناس لرب العالمين، يجازيهم بأعمالهم بما سبق لهم في الكتاب المبين».

وهكذا نجد كلامه مزيجاً سائفاً حلواً، يوجه العقول والعواطف معاً جنباً إلى جنب لتصل إلى نور الهداية وما فيه خير لبني البشر أجمع.

الخاصة الخامسة: ابن الجوزي في مجالسه الوعظية وخطبه بارع في صوغ أفكاره ومعانيه بحلل متنوعة من درر الألفاظ ولآلئ العيارات، ويطرق وأساليب مختلفة متعددة؛ من إنشاء وإخبار، وتكلم وخطاب وغيبة، وماض وحاضر ومستقبل، ونحو ذلك مما يدل على قدرة هذا الإمام الفذ في تصريف القول، وأمتلاكه زمام اللغة وأساليب التأثير والخطاب أمتلاكاً جعل العلماء الأجلاء يعدونه ظاهرة نادرة بل فريدة في عالم الوعظ؛ قال الإمام الذهبي^(٤): «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائع، والنثر الفائق بديهاً، ويسهب ويعجب ويطرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه».

الخاصة السادسة: التصوير والتمثيل يضفي على الكلام رونقاً أجمل وبهاء أكبر، ويزيد المعنى تأثيراً في النفوس أعظم وأكثر، ولقد صيغت كتابات الإمام ابن الجوزي الوعظية بهذا اللون من ألوان التعبير الرائع، فكان **كَلَامُ اللَّهِ** يعبر عن المعاني المجردة بالتصوير الحسي المستمد من واقع المخاطبين، بعبارات موجزة مؤثرة، تقرب المعنى المراد بأسلوب مبدع أحال كلماته وخطبه إلى لوحات فنية رائعة ساحرة ممتعة، قلما تأتي المواهب بمثلها؛ ومن الأمثلة على ذلك قوله^(٥): «سافر الثابتون على رواحل العزم قبلغوا المنازل، والمحروم يجنح إلى ظل الأمل وهو زائل، أين رفاق الفقراء أين قوافل الصالحين القوافل، يا غريقاً في بحر الغفلة التوبة الساحل، عليك بسيارة الندم وإلا فساعة العزم عسى في الطريق حامل».

الخاصة السابعة: إن المتأمل في كتب الإمام ابن الجوزي يلمس فيه أستبحار علمه، وسعة ثقافته، فمعظم ما

(٢) سورة فصلت، آية ٣٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، ٢١/٣٦٧.

(١) ينظر هذا الكتاب، ص ٣٣٩.

(٣) ينظر هذا الكتاب، ص ٥٢٣.

(٥) ينظر هذا الكتاب، ص ٤٨٢.

دَوْنَهُ من مؤلفات، وما خطّه من كتب، شملها بالعلوم التي عالجها، وبالمعارف التي خاضها، من تفسير وحديث وتاريخ وأدب وفقه ولغة وغيرها، فكانت تجمع في مجملها الفنون المتنوعة من مواد الثقافة الإسلامية، إضافة إلى مادة الكتاب الأصلية، ما زاد من قيمتها وأهميتها، وخاصة تلك التي ضمت في طياتها نفائس شعره وجواهر قصيده، إذ إن لابن الجوزي أشعاراً كثيرة في مجلدات عديدة ضاعت جميعها ولم يبق منها إلا ما نثره في كتبه وحوته مؤلفاته.

الخاصة الثامنة: إن سماع أخبار الصالحين، وقراءة سير الأولين، من أهم مقاصد الحياة عند أولي النهى والمصلحين، ولقد قرّر ذلك القرآن الكريم وحسّنه فقال جل وعلا: ﴿وَكَلَّا نَقْصُصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَتَّبِعُ بِهِمْ ۚ قَدْ كُنْتَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢)، فقصص الصلحاء والعلماء، وحكايات الزهاد والعباد، جند من جنود الحق تجلي القلوب وتنوّرهما، وتدفع بها إلى العمل والامتثال، وذلك لما جبلت عليه من حب تقليد الصالحين والسير على منوالهم، والتأسي بهم والافتداء بأفعالهم وأقوالهم.

ولقد اعتمد الإمام ابن الجوزي القصص في خطبه الوعظية، فلا نكاد نقرأ كلاماً له، سواء كان خطبة أو مجلس وعظ أو وصايا، إلا وضمنه تجارب الزهاد وقصص العباد وأقوال العلماء، ليكون ذلك حافزاً للمؤمن للعمل بعملهم والتشبه بسيرهم، فيزداد قوة في جهاده، وثباتاً على دينه، فيكون بذلك خير خلف لخير سلف.

هذه هي أهم خصائص أسلوب ابن الجوزي الواعظ، الذي أوتي ذرابة لسان، ولّسن بيان، وصفاء جنان، حتى إنه إذا حدّث بحديث ترغيباً أو ترهيباً جعل الأمر كأنه يرى رأي العين، ويحس به إحساس المباشر له، ولا ينتهي حديثه إلا وقد أقع السامع بالحجة، وألبسه لباس اليقين بما يقول.

وقد وصف الرحالة ابن جبّير بعضاً من مجالسه التي حضرها وشاهد روعتها، فلندع له الكلام فليس الخبر عنه كالبيان، يقول^(٣): «ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويتدبّر القراء بالقرآن وعددهم نيف على عشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونّها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتهرات، لا يكاد المتقدّ الخاطر يحصّلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ هذا الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجباً مبتدراً، وأفرد في أصداف الأسماع من ألفاظه درراً، وأنظّم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقراً، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أن أبداع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجباً، ﴿أَفَيْسَرُ هَذَا أَمْ أُنْشَرُ لَا بُيُوتُ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^(٥) فحدّث ولا حرج عن البحر، وهيهات ليس الخبر عنه كالخبر! ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائيق من الوعظ وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن الثائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يُلقِي ناصيته بيده فيحزّها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يُغشى عليه فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا حولاً يملأ النفوس إنابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلو لم نركب ثبج^(٦) البحر،

(٢) سورة يوسف، آية ١١١.

(٤) سورة الطور، آية ١٥.

(١) سورة هود، آية ١٢٠.

(٣) رحلة ابن جبّير، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٥) سورة النمل، آية ١٦.

(٦) الثبج: علو وسط البحر إذا تلاقت أمواجه. ابن منظور، اللسان، «ثبج»، ٢/ ٢٢٠.

ونعتسف^(١) مفايزات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابعة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن مَن بقاء من تشهد الجمادات بفضلها، ويضيق الوجود عن مثله.

ومجمل القول أن ابن الجوزي رحمه الله تعالى كان حامل لواء الوعظ، لا يدانيه في هذا الفن أحد ولا يجاريه، قد سُخِّرَ له الخطاب وأيد بالتوفيق، فأجاد فيه أرتجالاً وحفظاً، قال ابن الجوزي^(٢): «ولقد أقدر على أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ، وربما قرئت عندي في المجلس خمس عشرة آية، فأتى على كل آية بخطبة تناسبها في الحال». وما كتابنا «المورد العذب في المواعظ والخطب» - والذي نحن بصدد إخراجهِ وتحقيقه - إلا نموذج من عظيم وعظه وإرشاده.

فلا غرو - والحالة هذه - أن يمتدح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلاغة منطقته، وفصاحة لسانه، فينشد مفتخراً^(٣):

تَزْدَحُمُ الْأَلْفَاظُ وَالْمَعَانِي عَلَى فَوَازِي وَعَلَى لِسَانِي
تَجْرِي بِي الْأَفْكَارُ فِي مِيدَانِ أَزْجِمُ النُّجُومَ عَلَى مَكَانِ

[بحر الوافر]



(١) أعتسف الطريق أعتسافاً إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه. ابن منظور، اللسان، «عسف»، ٢٤٥/٩.

(٢) ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، ٤١٠/١.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، ١٦٣/٥.

القسم الثاني

الفصل الأول: مقدمة التحقيق.

أ - تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه.

ب - قيمة الكتاب العلمية.

ج - خطة إخراج الكتاب ووصف النسخ المعتمدة.

د - صعوبات العمل.

الفصل الثاني: تحقيق كتاب «المورد المذهب في المواعظ والخطب».

مقدمة التحقيق

تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه:

لقد أجمعت المصادر التي ترجمت للإمام ابن الجوزي على صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه، فلم يكن في ذلك شك ولا ريب، وكذا الأمر في اسمه حيث ورد الكتاب بأسم «المورد العذب في المواعظ والخطب» في كل من تاريخ الأدب^(١)، وهدية العارفين^(٢)، وإيضاح المكنون^(٣)، فسموه جميعاً بـ«المورد العذب في المواعظ والخطب»، غير أن الزركلي في كتابه الأعلام^(٤) ذكره بأسمين؛ الأول بأسم «المنهل العذب»، والثاني بأسم «الموارد العذاب»، ويبدو أن الزركلي قد أخذ هاتين التسميتين من مخطوط محفوظ في خزانة الرباط تحت رقم (١٢٢ أوقاف)، وهو النسخة (م) المعتمدة في تحقيقي للكتاب، لكن علماء الترجمة ومن ذكر كتب ابن الجوزي أجمعوا على تسميته بـ«المورد العذب في المواعظ والخطب»، وهذا ما يؤكد بأن التسميتين اللتين أوردهما الزركلي وتسمت بهما النسخة المغربية (م)، إنما هما من وضع النساخ، خاصة إذا ما علمنا أنهم تصرفوا أيضاً في الكتاب، فغيروا في مسار تأليفه عن أسلوب وترتيب المصنف ويحسم هذا الاضطراب في التسمية ما ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه حيث قال: «وصنفت هذا الكتاب وسميته (المورد العذب)»؛ وبذلك يقطع الشك باليقين.

قيمة الكتاب العلمية:

كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب» هو واحد من المؤلفات الوعظية الكثيرة القيمة للإمام ابن الجوزي، وقد جعل عدد فصوله خمسة وعشرين فصلاً، ضمن كل فصل ثلاث خطب في ثلاث آيات من القرآن الكريم، مع ما يجب إثباته من تعليقات في المواعظ والحكم، وهو يورد في أثناء الخطب أشعاراً من النسيب تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النسيبي زهداً، ويورد من قصص الأولياء والصالحين ما هو دواء لأدواء النفوس، وشفاء لأمراض القلوب، كل ذلك في أسلوب بيّن المنهج، سهل المخرج، مع عذوبة الألفاظ وفصاحتها، وحلاوة العبارات وبلاغتها. وقد ذكر المصنف (رحمه الله) في مقدمة كتابه هذا المنهج والتزم به من بدئه حتى نهايته.

وتكمن أهمية الكتاب في أنه ضم في طياته كثيراً من شعر ابن الجوزي الذي ضاع على مرّ السنين، فلم يبق منه إلا النزر اليسير. فضلاً عما يقدمه هذا الكتاب من نماذج الوعظ، وبديع الخطب، التي يستفيد منها كل من أراد أن يسلك هذا السبيل في الوعظ والإرشاد إلى طريق الحق، يتعلم منه فنون التأثير لكي يحمل سامعيه دفعاً بقوة الكلمة إلى ما يريد من الإرشاد والهداية. ولا عجب في ذلك، فمؤلفه هو عالم العراق، وواعظ الآفاق ابن الجوزي رحمه الله تعالى، إمام الجماعة، وفارس حلية هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، قال الإمام الذهبي^(٥): «وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب ويُعجب ويطرب ويُظنّب لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ، والقيم بفنونه، مع الشكل الحسن والصوت الطيب، والوقع في النفوس وحسن السيرة».

(١) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ١/ ٥٠٥.

(٢) إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ١/ ٥٢٣.

(٣) إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٤/ ٦٠٥.

(٤) الزركلي، الأعلام، ٣/ ٣١٧.

(٥) سير أعلام النبلاء، ٢١/ ٣٦٧.

فكل هذه المعطيات كونت في نفسي دوافع قوية في تحقيق هذا المخطوط، كنبراس ساطع، ودليل قاطع على طول باعه في الوعظ والخطابة، وأرجو من الله ﷻ أن أكون قد وفقت في عملي هذا بما يليق بالإمام ابن الجوزي وكتابه، وأن أكون بهذا قد قدمت مثلاً يحتذى في فن الوعظ خدمة لطلابه من إمام الوعظ وحامل لوائه.

خطة إخراج الكتاب ووصف النسخ المعتمدة:

لقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ مخطوطة، وهي:

١ - نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني، تحت رقم (١٤٥)، وهي في (٢٢٧ق)، قياس

(٢٨×٢١سم)، ١٨ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله

وصحبه وسلم. قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله المعروف

بالجوزي نفعا الله به: الحمد لله مبتدع الموجودات بلا حركة عقلية، ومنشبه بلا آله آية...»، وآخرها:

«الخط يبقى زماناً بعد كاتبه وكاتب الخط تحت التراب مدفون

فيا ناظر الخط أدع لكاتبه لعل المغفرة بدعائك تكون

الخط باقي والعمر فاني

سنة ١١٦٤هـ

تاريخ النسخ شهر ربيع الثاني سنة أربع وستين بعد مائة وألف من الهجرة النبوية، والناسخ محمد بن المهدي بن محمد بن يونس الحنفي الجزيري، والخط مغربي نسخي معتاد، وقد ورد في أول صفحات الكتاب بعض الشروحات القليلة النادرة.

ولقد اعتمدت هذه النسخة أصلاً، لأنها كاملة فلم يكن فيها سقط، وواضحة فلم يكن للأرضة فيها نصيب، فضلاً عن كونها جاءت على النسق الذي وضع عليه ابن الجوزي كتابه، فلم يكن للناسخ تصريف فيه ولا تغيير، بخلاف النسخ الأخرى، وقد رمزت إليها بكلمة «الأصل».

٢ - نسخة مخطوطة في مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد، تحت رقم (٤٧٣٣)، وهي في (٣٢٣ص)، قياس

(١٨×١٣سم)، ١٩ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين؛ قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحـ

د أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي ﷺ: الحمد لله مبتدع الوجود لا بحركة عقلية، ومنشبه بلا آله

آية...»، وآخرها: «وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب

العالمين»، وقد وُجد مكتوباً على صفحة الغلاف: «نظر فيه وأتعظ بما يحويه الفقير إلى رحمة الله الودود

سيد عمر بن محمود الحلبي غفر الله له»، ويعود تاريخ النسخ إلى شهر ربيع الآخرة سنة تسعين وثمانمائة

للهجرة النبوية، ولم يذكر أسم الناسخ، ولكن يبدو أنها منسوخة عن النسخة (م) لما بينهما من تقارب

وتشابه، الخط نسخي جميل مضبوط بالشكل، وقد كتبت عناوين الفصول بالحمرة. ولم اعتمد هذه

النسخة أصلاً، رغم قدم تاريخ نسخها، ذلك لتصرف الناسخ بها، فلم تأت على النسق الذي ألف عليه

ابن الجوزي كتابه، ولقد ذكر الناسخ ذلك التغيير في المقدمة حيث قال: «رأيت أن أخرج كل خطبة من

خطب هذه الفصول فصلاً على حدته، ليكون أخف على القارئ وأحلى للمستمع، فيصير الكتاب خمسة

وسبعين فصلاً، فضلاً عن وقوع سقط في صفحاتها شمل أكثر من فصل منها، وقد رمزت إلى هذه

النسخة بالحرف (ع).

٣ - نسخة مخطوطة في خزانة الرباط، تحت رقم (١٢٢ أوقاف)، وهي في (٣١٢ ص)، ٢١ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الفقيه الإمام الأوحـد أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي رحمـه الله: الحمد لله مبتدع الوجود لا بحركة عقلية، ومنشيه بلا آلة آلية...»، وآخرها: «والحمد لله بجميع محامده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم عدد ما في علم الله، وكان الفراغ من كتابته في خامس عشر صفر الخير من شهور سنة ٨٧٢ بمدينة دمشق الشام على يد أبي بكر الجراعي الحنبلي عفا الله عنه وعن والده، وحسبنا الله ونعم الوكيل»، وقد جاءت هذه النسخة تحت اسم «المنهل العذب» حيث كتب على صفحة غلافها «المنهل العذب وقيل الموارد العذاب لابن الجوزي»، كما وجد على الغلاف تملك باسم أحمد بن محمد بن ناصر، ويعود تاريخ نسخها إلى شهر صفر الخير سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للهجرة النبوية على يد أبي بكر بن زيد الجراعي الحنبلي، الخط نسخي جميل، وقد أصابت الرطوبة صفحات هذه النسخة فطمست بعض كلماتها وجملها، كما وقع فيها تغيير من الناسخ كالـتغيير الذي وقع في (ع)، ولقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف (م).

وهناك نسخة رابعة لم أعتمدها في المقابلة، وذلك لتصرف الناسخ فيها تقدماً وتأخيراً، حيث دمج خطب الفصل الواحد بعضها ببعض، فضلاً عن الرطوبة التي أتت على كثير من صفحاتها فطمست كلمات فصول بأكملها، غير أنني أستعنت بها في التحقيق عند غموض اللفظ في النسخ الثلاث المعتمدة، وهي في خزانة الرباط، تحت رقم (٢٣ كتاني)، وتقع في (٣٧٣ ص)، ١٩ سطراً، أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد. قال الشيخ الفقيه الإمام العالم الأوحـد الراعظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به: الحمد لله مبدع الوجود بلا حركة عملية، بلا آلة آلية...»، وآخرها: «أرحمنا برحمتك التي سبقت غضبك، التي تسابق إليها السابقون، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. كمل الكتاب المبارك بحمد الله تعالى»، الخط نسخي مغربي جميل مضبوط بالشكل، ولم يذكر في هذه النسخة اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، كما فقدت صفحة غلافها وسقط اسم المخطوط عنها، وقد رمزت إليها بالحرف (ب).

وأوضح خطة التحقيق على النحو التالي:

- ١ - إثبات ما ورد في الأصل، مع تصحيح ما وقع فيه من تصحيف، والإشارة إلى ذلك في الحاشية.
- ٢ - مقابلة الأصل مع النسختين المغربية والعراقية، وإثبات الاختلاف بينها في الحاشية.
- ٣ - ضبط الكلمات والعبارات التي فيها لبس بالشكل الذي يوضح المعنى المقصود.
- ٤ - أهملت ذكر بعض الاختلافات في النسخ في الحاشية؛ لأطراد تكرارها وذلك كـنحو:
- حرف العطف الذي ورد في الأصل في أول ثاني وثالث خطبة من كل باب، فهو ساقط في (م) و(ع) دائماً، فلم أذكر ذلك في المقابلة لتكرره.
- عبارة «رحمه الله تعالى» التي تذكر في الأصل بعد اسم الراوي ساقطة في (م) و(ع) دوماً، فلم أذكرها في المقابلة.
- ٥ - ورد في مقدمة الأصل عدد فصول الكتاب، فذكرت أرقام الفصول الخمسة الأول بالحروف، ثم ذكرت باقيها بالأرقام فكتبتها جميعاً بالحروف. كما كُتبت في الفصلين الأولين كلمة «باب» بدلاً من كلمة «فصل»، فكتبتها فصلاً جرياً لتسمية باقي الفصول بالفصل. كما كُتبت كل خطبة من خطب هذا الكتاب

على أساس آية من القرآن الكريم، وقد كُثرت في الخطبة ثلاث مرات، فذكرت في المرة الأولى السورة والآية وتركت الباقي طلباً للإيجاز وتخلصاً من التكرار.

٦ - خُرِجَت الآيات والأحاديث والآثار.

٧ - ترجمت أعلام الكتاب، في حدود التوضيح والتبيين، إلا أنني لم أترجم للأعلام المشهورة كالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وكذا لم أترجم لمصنفي الكتب التي أقتبست منها الأقوال.

٨ - عزوت الأشعار إلى قائلها، وشرحت غامضها، وبيّنت بحورها.

٩ - عزوت القصص إلى مصادرها، وأشير هنا إلى أن القصة إذا أسندت إلى قائلها فإني أجعل الرقم عند اسم العلم أو لفظ القول، وإن سيقّت بدون إسناد جعلت الرقم عند نهاية القصة. وكذا بالنسبة للأقوال المقتبسة في مقدمة الكتاب.

١٠ - لما وزع المصنف كتابه إلى فصول وجعل كل فصل في ثلاث خطب دون أن يفصل بينها بعنوان خاص، فقد ميزتها بالتعداد بين معكوفتين؛ فقلت: [الخطبة الأولى] و[الخطبة الثانية] و[الخطبة الثالثة]، وكذلك ذكرت بحور الشعر بين معكوفتين في نهاية أبيات القصيدة.

١١ - أشرت إلى رقم صفحة المخطوط عند نهايتها ضمن معكوفتين []، وقد ورد في الأصل صفحة (٢١٤) مكررة فذكرت ذلك ضمن المعكوفتين [٢١٤ أ و ب مكرراً].

١٢ - قدمت للكتاب بتمهيد عن الخطابة والخطيب، ثم ثنيت بترجمة للمصنف ذكرت فيها: عصره، ونبذة عن حياته، وشيوخه وتلاميذه، ومكانته العلمية وأقوال العلماء فيه، ومصنفاته.

١٣ - ختمت الكتاب بثبت المصادر والمراجع، والفهارس الفنية التي تعين على سرعة المراجعة فيه. وأشير هنا إلى أنني أسقطت اعتبار «أل» التعريف في أول متن الحديث أو القصة، أما إذا جاءت في بقية المتن أو في وسط الكلام فاعتبرتها ولم أسقطها. وكذا أعتمدت في ترتيب الأعلام والبلدان والقبائل. كما أسقطت اعتبار «ابن» و«أبو» في فهرسة الأعلام. ولقد ميزت بين الحديث والأثر في الفهرس، فإذا كان القول حديثاً أثبت إلى جانب طرفه اسم الراوي، وإذا كان أثراً أثبت إلى جانب طرفه: قال فلان. وإذا كانت الآية أو متن الحديث على صفتين فإني لا أدون إلا رقم الصفحة التي بدأت فيها الآية أو الحديث. أما فهرس الأشعار فقد سرت في ترتيبه على النسق التالي: قسمت الروي إلى أبواب حروف الهجاء، ثم قسمت كل حرف إلى ساكن، ثم متحرك بالفتحة، فالضمة، فالكسرة.

١٤ - رموز التحقيق:

الأصل: نسخة المتحف البريطاني.

م: نسخة خزانة الرباط - أوقاف.

ع: نسخة مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد.

ب: نسخة خزانة الرباط - كتاني.

الكلمة ساقطة: أي الكلمة التي أشير إليها بالرقم فقط.

العبارة ساقطة: أي كل ما ذكرته في الحاشية بين مزدوجين «...».

التصويب من نسخة كذا: أي أن ما ذكر في سواها غير صحيح والصواب منها، أما إن كان هناك صحيح وأصح فأصح الأصح وأقول هي من نسخة كذا.

صعوبات العمل:

لقد واجهني في عملي هذا صعوبات لعل أبرزها أمران أثنان:

١ - الترجمة للأعلام: إن الأعلام التي وردت في طيات هذا الكتاب كانت في معظمها أسماء لقصاصين مغمورين قل من ترجم لهم، مما حدا بي إلى مزيد من البحث والتنقيب في كتب تراجم عديدة وكثيرة، غير أن البحث في بعض الأحيان لم يثمر نتيجة المرجوة، كما أن الإمام ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - حينما أورد أسماء الرواة أوردتهم بكنيتهم أو بأسمهم أو بلقبهم فحسب، وهذا مما قد يشترك فيه أسماء كثيرة، مما صعب البحث وزاده تعقيداً.

٢ - نسبة الأبيات إلى قائلها: إن الإمام ابن الجوزي كان شاعراً ناظماً، يقول الشعر بديهية، كما كان حافظاً لشعر غيره؛ وقد مزج في كتابه هذا بين ما هو من تأليفه وبين ما هو مقتبس من حفظه؛ فقد كان يأخذ البيت أو البيتين من قصيدة لشاعر ما ثم يكملها من تأليفه، وقد يجمع في قصيدة واحدة أبياتاً لشعراء مختلفين قد أتفتت في الوزن والقافية، ونحو ذلك. لذا كان من الصعب التمييز بين شعره وشعر غيره، إلا أنني حاولت جهدي نسبة الأبيات إلى قائلها بما توفّر لي من مراجع وكتب، وما لم أجده فالراجع أنه من شعره؛ إذ إن له أشعاراً كثيرة قيل إنها في عشر مجلدات، ولكنها فقدت مع تطاول الأزمان، وتوالي الدهور، ولم يحفظ من شعره إلا ما تنأثر في كتبه، وفي الكتب التي ترجمت له. والله الموفق.

أروى سمير مجذوب

بسم الله الرحمن الرحيم
 علي بن ابي طالب رضي الله عنه
 في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٠

[illegible]

二

كتاب الموردي العذب لابن الجوزي

رحم الله عليه

كتاب الموردي

تذريته ونقص ما فيه
المعالي الموردي
سيد محمد بن محمد
الحلي حيدرabad

العذب لابن الجوزي

دع
لما في الموردي من النقص لاكتفاءه به
من انزه ان ياتني بغيره لا يطلع من

نفع الله بعلومه

المسلمين امين

بارك





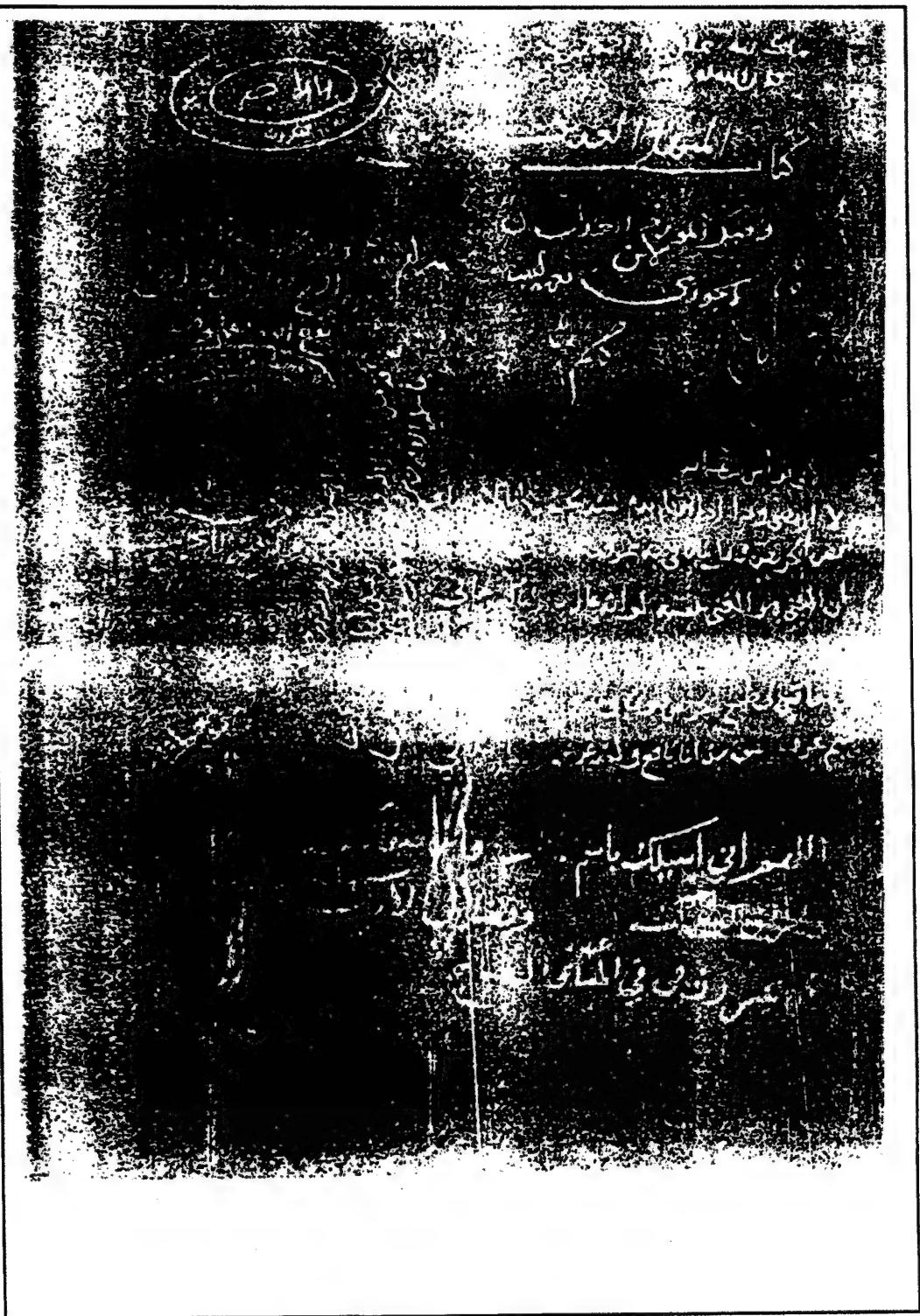
بسم الله الرحمن الرحيم
والشيخ الفقيه الامام الاوحد ابو الفرج محمد بن عبد الرحمن بن علي بن جزي
الحمد لله رب العالمين
عن الكيفية عظيم لم تحيط به الايدي كرم لا يستفيد بها الاية ولا جرحا
لا شريك له ولا معية واصلي على سيدنا محمد خير البرية وعلى عترته الطاهرة
الزكية اما بعد فاني لما رايت من المواقف العظيمة والظواهر السنية
من عهده مفااتيح الخيرة وازمنة القلوب اذ لم يجدوا من فكري ينفق منه
لافتتاح صدفها لعباده وجواهرها لمعاني فلما علمت ضيق ايدى فكري في العلم
واسكني بالعبارة فيمهد وجهي على ارض العبودية تشكر الله وشفقت
هذا الكتاب وسهلت الموردة العذبة ورتبت فصولها فاضلا منها على ثلاث
خطوط لثلاث ايات من القرآن وما يتبعها من المواقف العظيمة على قوافي
الايام هذا النوع اسد تحريك القلوب في فروع السماع ما حركت به بيت العبد
ما اوضح وبلغ الامام ما افصح فمن دخل بيتا من كل بيت في كل بيت ما اراق عظم
اولاد كعبه واهل وجدك لا تتركه فلما في ورقتي خصوصية غايه
وتسلك الجواهر فانظر لا بد له من الخير والزيادة وقد صنعت بحمد الله في
هذا الموضع عدة تفصيلية كذا في هذا الكووس المسكون عسى ان يفيضي بها
فوايديه الاخوة وقد جعلت عدة فصول خمسة وعشرين فصلا في
الامر الاول في فوائدها في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضلا
وقاصدا في يوم تبدل الارض غير الارض واليه في قولنا لا يخفى الا ان احسن

الصفحة الاولى

بمَنْزِلَةِ الْعُكَّةِ وَلِلْمَسَاكِينِ صَدَقَةٌ وَحُطَّ الْمَقْتَدِرُ النَّظِيرُ إِلَيْهِ خَصَّنَا بِالْعَمِّ عَنْكَ
 اِسْمَعْنَا نَدَا الْوُجُودِ بِاسْمِ الْعَمِّ افْتَحْ لَنَا بِلُطْفِكَ طُفْقَكَ فَمَنْ لِّلطَّالِبِينَ عَنْكَ اجْعَلْ
 مَلَأُونَا بِمَلَأِ جَوَارِكُنَا خَصَّنَا بِخَصِيَّةِ الْخَوَاصِّ اَرْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَقْعِ سَبَقَتْ
 فَسَابَقَتْ إِلَيْهَا السَّابِقُونَ بِرَحْمَتِكَ لِمَا اَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۞ ۞ ۞

لَحْدَا كِتَابَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْوَهَّابِ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ سَيِّدِنَا
 مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ۞ وَافَقَ الشُّرْعُ مِنْ مَسْجِدِ نَزَارِ الْأَشْيَافِ الْمُبَارَكَةِ
 ثَلَاثِي شَهْرِ رَجَبٍ الْآخِرِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَمَانٍ مِائَةِ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَلَاحٍ
 أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ
 الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَالْحَمْدُ تَصَدَّبَ الْعَالَمِينَ ۞ ۞ ۞

مكتبة الاوقاف العامة بدمشق	
رقم	الرقم
اسم	م

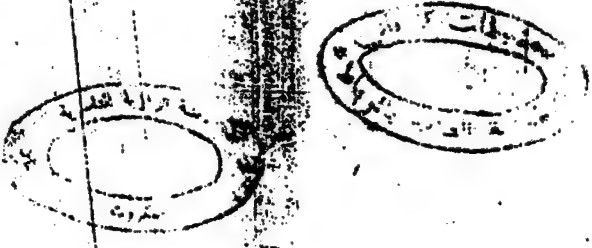


صفحة الغلاف من المخطوط (م)

(٢)

عنك التي سبقتني إليها التي تقول برزخك
أعطيني ..

عند الله جميع محامده ..
عنه ولم يرد ما في علمه .. وكان العبد عجزاً
سفره من سبور ..
أول ما حصل عفا الله عنه ..



المورد العذب
في
المواعظ والخطب

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م

تحقيق وتعليق
الدكتورة أروى سمير مجنوب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(١)

قال الشيخ الإمام العالم العلامة^(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن عبد الله المعروف بالجوزي نفعا الله به^(٣):

الحمد لله مبتدع الموجودات بلا حركة^(٤) عقلية، ومُنشِئ بلا آلة آلية، واحد جلٌّ عن الكيفية، عظيم لا تحيط به الأينية، كريم لا يستفهم عنه بالماهية، فريد^(٥) لا شريك له ولا معية، وأصلي على سيدنا محمد خير البرية، وعلى آله^(٦) عترته الطاهرة الزكية.

أما بعد، لما^(٧) رأيت فن المواعظ هو الغاية في المطلوب استخرت من يده مفاتيح^(٨) الغيوب، وأزمة القلوب، أن يمد غوامض^(٩) فكري بقوة منه لاقتناص صدف العبارات^(١٠)، وجواهر المعاني. فلما علم الله^(١١) صدقي أمد فكري بالفهم، ولساني بالعبارات^(١٢)، فسجد وجهه توجهي على أرض العبودية شاكراً شكر الله تعالى^(١٣)، وصنفت هذا الكتاب وسميته «المورد العذب» ورتبته فصولاً، كل^(١٤) فصل^(١٥) منها ثلاث^(١٦) خطب لثلاث آيات من القرآن العظيم^(١٧)، وما يتبعها من الحكم والمواعظ^(١٨) على قوافي الآي؛

- (١) عبارة «صلى الله .. إلخ» ساقطة في (م)، وفي (ع): «وبه نستعين».
- (٢) عبارة «الإمام العالم العلامة»، في (م) و(ع): «الفقيه الإمام الأوحد».
- (٣) عبارة «عبد الرحمن بن علي .. إلخ»، في (م) و(ع): «عبد الرحمن بن علي الجوزي ءح».
- (٤) عبارة «مبتدع .. إلخ»، في (م) و(ع): «مبتدع الوجود لا بحركة».
- (٥) في (م) و(ع): «فرد».
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «فإني لما».
- (٨) في (م) و(ع): «مفاتيح».
- (٩) عبارة «صدف العبارات»، في (م) و(ع): «صدفة العبارة».
- (١٠) في (م) و(ع): «سبحانه وتعالى» ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «شاكراً شكر الله تعالى»، في (م) و(ع): «شاكراً له».
- (١٢) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «على ثلاث».
- (١٤) في (م) و(ع): «فصل».
- (١٥) في (م) و(ع): «من المواعظ والحكم».
- (١٦) في (م) و(ع): «على ثلاث».
- (١٧) في (م) و(ع): «من المواعظ والحكم».
- (١٨) في (م) و(ع): «على ثلاث».

الآي؛ إذ هذا النوع أشد تحريكاً للقلوب، فروح السماع ما حرك، و^(١)بيت القصيد ما أوضح، وأبلغ الكلام ما أفصح، فمن دخل بشأن^(٢) كلامي فليجن^(٣) منها ما راق بمنظره، أو لان^(٤) بمخبره، وإن وجد نباتاً لا ثمر له فلعل في ورقه خصوصية غائبة، وسلك الجواهر^(٥) إذا نظم لا بد [١٢] له من الخرز للزينة^(٦)، وقد صنفت بحمد الله تعالى^(٧) في هذا الفن عدة تصانيف لتكثر عدد الكؤوس المسكرة عسى الله تعالى^(٨) أن ينفعني بهذا^(٩) في الدنيا والآخرة. وقد جعلت عدد^(١٠) فصوله خمسة وعشرين فصلاً، وبالله التوفيق^(١١).

الفصل الأول: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾^(١٢)، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(١٣)، وفي قوله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(١٤).

الفصل الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(١٥)، وفي قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(١٦)، وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(١٧).

الفصل الثالث: في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَاءٌ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾^(١٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَلَبُهُ فِي عُنُقِهِ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(١٩)، وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَحَاءَكُمُ الْأَذْيَرُ﴾^(٢٠).

(١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «بستان».

(٣) في (م) و(ع): «فليجن».

(٤) في (م) و(ع): «لاق».

(٥) في (م) و(ع): «الجواهر».

(٦) عبارة «لا بد له من الخرز» إلخ، في الأصل: «لا بد للخرز من الزينة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «بها».

(١٠) عبارة «فصلاً» إلخ ساقطة في (م)، وعبارة «وبالله التوفيق» ساقطة في (ع).

(١١) سورة آل عمران، آية ٣٠.

(١٢) سورة المؤمنون، آية ٩٩. وفي (م) و(ع): ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية.

(١٣) سورة آل عمران، آية ١٠٦. وفي (م) و(ع): ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ الآية.

(١٤) سورة آل عمران، آية ١٣٣. وفي (م) و(ع) زيادة: «الآية».

(١٥) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

(١٦) سورة النور، آية ٣٦. وفي (م) و(ع): ﴿فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تَرْفَعَ﴾ الآية.

(١٧) سورة الإسراء، آية ١٣. وفي (م) و(ع): ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْتَهُ طَلَبُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ الآية.

(١٨) سورة فاطر، آية ٣٧. وفي (م) و(ع): ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ﴾ الآية.

الفصل الرابع: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا جَهَنَّمَ لَنُوعِدَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، وفي قوله تعالى^(٣): ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾^(٤).

الفصل الخامس: في قوله تعالى: ﴿وَنَصْنَعُ الْوُجِينَ الْقِسْطَ﴾^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿طه﴾^(٦) مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى^(٧)، وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾^(٨).

الفصل السادس: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٩)، وفي قوله تعالى^(١٠): ﴿وَيَعَذَّبُ سَكْرَةَ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(١١)، وفي قوله تعالى^(١٢): ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١٣).

الفصل السابع: في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾^(١٤)، وفي قوله تعالى^(١٥): ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا لِّلْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١٦)، وفي قوله تعالى^(١٧): ﴿يَوْمَ يَبْرُزُ النَّارُ﴾^(١٨).

الفصل الثامن: في قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾^(١٩)، وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَفْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾^(٢١).

الفصل التاسع: في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا كُلَّ أَثَرٍ جَانِبَهُ﴾^(٢٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا

(١) سورة غافر، آية ١٨. (٢) سورة الحجر، آية ٤٣.

(٣) الكلمة ساقطة في (م). (٤) سورة هود، آية ١٠٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية ٤٧. (٦) سورة طه، آية ١ - ٢.

(٧) سورة الفرقان، آية ٢٧.

(٨) سورة الزمر، آية ٥٣. وفي (م) و(ع): ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية.

(٩) الكلمة ساقطة في (م).

(١٠) سورة ق، آية ١٩. وفي (م) و(ع): ﴿وَيَعَذَّبُ سَكْرَةَ الْمَوْتِ﴾ الآية.

(١١) الكلمة ساقطة في (م). (١٢) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(١٣) سورة النمل، آية ٨٧. (١٤) الكلمة ساقطة في (م).

(١٥) سورة الكهف، آية ٤٥. (١٦) الكلمة ساقطة في (م).

(١٧) سورة عبس، آية ٣٤.

(١٨) سورة الأحزاب، آية ٢٣. وفي (م) و(ع): ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ الآية.

(١٩) سورة الحج، آية ١. وفي (م) و(ع): ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ لَأَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ الآية [فاطر: ٥].

(٢٠) سورة لقمان، آية ٣٣. وفي (م) و(ع): ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَفْءٌ عَظِيمٌ﴾

[الحج: ١].

(٢١) سورة الجاثية، آية ٢٨. وفي (م) و(ع): ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ الآية [الجاثية: ٢٧].

الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْلَفْتَنَا مِنْ عِبَادِنَا^(١)، وفي قوله تعالى^(٢): ﴿ذَلِكَ يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٣).

الفصل العاشر: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤)، وفي قوله تعالى^(٥): ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى﴾^(٦)، وفي قوله تعالى^(٧): ﴿إِنَّا بِرَقِّ الْبَصَرِ ﴿٧﴾ وَخَسَفِ الْقَمَرِ﴾^(٨).

الفصل الحادي عشر: في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ عَلَاقٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٩)، وفي قوله تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيئٌ عَائِلٌ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾^(١٠)، وفي قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَتُنَزِّلُ اثْنَيْنِ﴾^(١١).

الفصل الثاني عشر: في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ تَسْبُحُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾^(١٢)، وفي قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(١٣)، وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ يُخَوِّنُ الْعَالِيَةَ﴾^(١٤).

الفصل الثالث عشر: في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾^(١٥)، وفي قوله تعالى^(١٦): ﴿فَسْتَدْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾^(١٧)، وفي قوله تعالى^(١٨): ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾^(١٩).

الفصل الرابع عشر: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِمُجْرِمِينَ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾^(٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾^(٢١)، وفي قوله تعالى^(٢٢): ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾^(٢٣).

(١) سورة فاطر، آية ٢٢. وفي (م) و(ع): ﴿ذَلِكَ يَأْنَّ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ الآية.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) سورة الحج، آية ٦٢. وفي (م) و(ع): ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ الآية.

(٤) سورة النور، آية ٣٥. (٥) الكلمة ساقطة في (م).

(٦) سورة الأنعام، آية ٩٤. (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) سورة القيامة، آية ٧ - ٨. وفي (م) و(ع): ﴿إِنَّا بِرَقِّ الْبَصَرِ﴾ الآية.

(٩) سورة النمل، آية ٧٥. وفي (م) و(ع): ﴿وَمَا مِنْ عَلَاقٍ﴾ الآية.

(١٠) سورة الزمر، آية ٩. وفي (م) و(ع): ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيئٌ﴾ الآية.

(١١) سورة غافر، آية ١١. وفي (م) و(ع): ﴿رَبَّنَا أَتُنَزِّلُ اثْنَيْنِ﴾ الآية.

(١٢) سورة الرعد، آية ١٥. (١٣) سورة الرعد، آية ٣٨.

(١٤) سورة القيامة، آية ٢٠. (١٥) سورة غافر، آية ١٦.

(١٦) الكلمة ساقطة في (م). (١٧) سورة غافر، آية ٤٤.

(١٨) الكلمة ساقطة في (م). (١٩) سورة الشورى، آية ٤٧.

(٢٠) سورة فصلت، آية ٢١. وفي (م) و(ع): ﴿وَقَالُوا لِمُجْرِمِينَ﴾ الآية.

(٢١) سورة الكهف، آية ٢٨. وفي (م) و(ع): ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية.

(٢٢) الكلمة ساقطة في (م).

(٢٣) سورة الزمر، آية ٧٣. وفي (م) و(ع): ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ الآية.

الفصل الخامس عشر: في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾^(١)، وفي قوله تعالى^(٢): ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾^(٣)، وفي قوله تعالى^(٤): ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾^(٥).

الفصل السادس عشر: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ [١٣] إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾^(٦)، وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا﴾^(٧)، وفي قوله تعالى^(٨): ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٩).

الفصل السابع عشر: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٠)، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾^(١١)، وفي قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١٢).

الفصل الثامن عشر: في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾^(١٣)، وفي قوله تعالى: ﴿فَبَيِّنْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعِمُونَ الْقَوْلَ﴾^(١٤)، وفي قوله تعالى^(١٥): ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ يَوْمَ النَّادِ﴾^(١٦).

الفصل التاسع عشر: في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾^(١٧)، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَحْمِلُ الْوَلَدَانِ شَيْبًا﴾^(١٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾^(١٩).

-
- (١) سورة الزخرف، آية ٨٠. وفي (م) و(ع): ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ الآية.
 - (٢) الكلمة ساقطة في (م).
 - (٣) سورة النساء، آية ١١٠. وفي (م) و(ع): ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ الآية.
 - (٤) الكلمة ساقطة في (م). (٥) سورة الروم، آية ٥٠.
 - (٦) سورة سبأ، آية ٥١. وفي (م) و(ع): ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا﴾ الآية.
 - (٧) سورة آل عمران، آية ١٦. وفي (م) و(ع): ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا﴾ الآية.
 - (٨) الكلمة ساقطة في (م). (٩) سورة البقرة، آية ٢٣٥.
 - (١٠) سورة الحشر، آية ١٨. وفي (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآية.
 - (١١) سورة الأنبياء، آية ٩٧.
 - (١٢) سورة التوبة، آية ٣٨. وفي (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا﴾ الآية.
 - (١٣) سورة يس، آية ٦٥.
 - (١٤) سورة الزمر، آية ١٧ - ١٨. وفي (م) و(ع): ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ يَوْمَ النَّادِ﴾ الآية.
 - (١٥) الكلمة ساقطة في (م).
 - (١٦) سورة غافر، آية ٣٢. وفي (م) و(ع): ﴿فَبَيِّنْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَعِمُونَ الْقَوْلَ﴾ الآية.
 - (١٧) سورة يونس، آية ٢٥.
 - (١٨) سورة المزمل، آية ١٧.
 - (١٩) سورة يونس، آية ٦١.

الفصل العشرون: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُفْ مَا يَلَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٢)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٣).

الفصل الحادي والعشرون: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا﴾^(٥)، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ الْمُذْئَبُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾^(٦).

الفصل الثاني والعشرون: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ﴾^(٧)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُمْ﴾^(٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْآرِضِ هَوْنًا﴾^(٩).

الفصل الثالث والعشرون: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١٠)، وفي قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَقُتٌّ﴾^(١١)، وفي قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١٢).

الفصل الرابع والعشرون: في [٣] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أُوْرَى كِتَابَهُ يَمْسِكْهُ﴾^(١٣)، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَانِ سِرَاجًا﴾^(١٤)، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْحِ الْأَنْفِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(١٥).

الفصل الخامس والعشرون: في قوله تعالى: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾^(١٦)، وفي قوله

(١) سورة التحريم، آية ٦. وفي (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَعْلُوا تَارًا﴾ الآية.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٦. (٣) سورة الأنفال، آية ٢.

(٤) سورة لقمان، آية ٢٢. وفي (م) و(ع): ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية.

(٥) سورة مريم، آية ٨٥. وفي (م) و(ع): ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ الآية.

(٦) سورة طه، آية ١٠٨.

(٧) سورة ق، آية ٣٧. وفي (م) و(ع): ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الحديد: ١٦].

(٨) سورة الحجر، آية ٢١. وفي (م) و(ع): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾.

(٩) سورة الفرقان، آية ٦٣. وفي (م) و(ع): ﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُمْ﴾.

(١٠) سورة الحديد، آية ١٦. وفي (م) و(ع): ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ الآية.

(١١) سورة الحديد، آية ٢٠. وفي (م) و(ع): ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الآية.

(١٢) سورة الحديد، آية ٢١. (١٣) سورة الإسراء، آية ٧١.

(١٤) سورة المعارج، آية ٤٣.

(١٥) سورة النحل، آية ٧٧. وفي (م) و(ع): ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ الآية.

(١٦) سورة النور، آية ٤٤.

تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(١)، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٢) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ^(٣).



(١) سورة الانفطار، آية ١.

(٢) سورة الواقعة، آية ٨٨ - ٨٩. وفي (م) و(ع): ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الآية. قال الناسخ العبد الفقير أبو بكر محمد الفهري السبتي عفا الله عنه: «رأيت أن أخرج كل خطبة من خطب هذي الفصول فصلاً على حدته ليكون أخف على القارئ وأحلى للمستمع فيصير الكتاب خمسة وسبعين فصلاً، وبالله أستعين وعليه أتوكل»، إلا أنه في (ع): «وبالله سبحانه وتعالى أستعين» بدل «وبالله أستعين».

الفصل الأول

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي تَفَرَّد بالوحدانية وأَحْتَجَبَ بِالْعَظَمَةِ فِي الدُّنْيَا أَنْ يَرَى، وَتَوَحَّدَ بِالْأَحَدِيَّةِ فِي قَدَمِهِ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ الْجَاوِدِ وَمَا أَفْتَرَى، وَ^(١)جَعَلَ السَّمَاءَ مِيدَانًا لِخِيُولِ الْكَوَاكِبِ تَرْكُضُ مِنْ^(٢) شُرُوقٍ لِعُرُوبٍ بِمَا^(٣)الْقَلَمُ جَرَى^(٤)، بَسَطَ الْأَرْضَ مِهَادًا لِلْبَسِيطَةِ^(٥) لِيُظْهِرَ فِيهَا مَا سَبَقَ فِي الْقَدْرِ^(٦) وَمَا جَرَى، حُكْمُ حَاكِمٍ قَضَى بِهِ^(٧) عَلَى الْوُجُودِ بِالْفَنَاءِ فَتَفَدَّ أَمْرُهُ بِلا أَمْتَرَى، حُكْمُهُ نَافِذٌ^(٨) فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى، قَيْدُ الْخَلَائِقِ بِقَيْدِ^(٩) التَّكْلِيفِ وَأَبْتَلَاهُمْ بِمَا تَسْمَعُ وَمَا تَرَى، أَخَصَصِي عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ يَفْرُؤُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ مَنْ لَا قَرَأَ، يَوْمَ تَعِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا^(١٠).

يَا مَنْ تُحَدِّثُهُ الْحَوَادِثُ وَهُوَ لَا يَسْمَعُ، يَا مَنْ تُنَادِيهِ الْعِبَرُ أَرْجِعْ إِلَى الطَّرِيقِ فَمَا يَرْجِعُ^(١١)، جَسَّ طَبِيبُ الْمَوْعِظَةِ^(١٢) نَبَضَ عِزْمِكَ فَمَا وَجَدَ فِي حَيَاتِكَ مَطْمَعٍ، كَمْ تَتَمَادَى^(١٣) فِي الْهَوَى وَ^(١٤)كَمْ تُنَوِّمُ^(١٥) فِي الْعَقْلَةِ وَتُوْبُ شَبَابِكَ يُقْطَعُ، كَمْ ذَا التَّمَادِي كَمْ ذَا التَّعَامِي^(١٦) هَذَا فَجَرُ الْمَشِيبِ قَدْ طَلَعَ^(١٧)، تَبْنِي مَا لَا تَسْكُنُ وَأَكْثَرُ [١٤] مَا لَا تَأْكُلُ^(١٨) تَجْمَعُ، إِذَا ذَهَبَ مِنْكَ فُلَيْسُ^(١٩) تَحْزَنُ، وَتَفْرَحُ بِعَمْرٍ وَلَى فِي الْهَوَى يَا لَيْتَهُ لَوْ^(٢٠) رَجِعَ، أَمَا عَايَنْتَ وَضَعَ الْأَحْبَابِ

- (١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
 (٢) في الأصل: «به»، وهي من (م) و(ع).
 (٣) أي: بما قدره الله تعالى من بقاء الدنيا إلى يوم القيامة.
 (٤) المهاد: الفراش. وأصل المهدي: التثوير. ابن منظور، اللسان، «مهد»، ٤١٠/٣. والمعنى: بسط الأرض وجعلها بساطاً مُمَكِّناً للسلوك. والبسيطة: الأرض. الفيروزآبادي، القاموس، «بسط»، ص ٨٥٠. وفي الكلام حذف إذ التقدير: مهاداً لأهل الأرض، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَتَلَى الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] والتقدير: «واسأل أهل القرية».
 (٥) في (م) و(ع): «التقدير».
 (٦) في (م) و(ع): «ماض».
 (٧) سورة آل عمران، آية ٣٠.
 (٨) في (م) و(ع): «المواعظ».
 (٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
 (١٠) في (م) و(ع): «كم ذا التعامي كم ذا التماضي».
 (١١) عبارة «ما لا تأكل»، في (م) و(ع): «مما تأكل».
 (١٢) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٣) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٤) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٥) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٦) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٧) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٨) في (م) و(ع): «فلس».
 (١٩) في (م) و(ع): «فلس».
 (٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

في التراب في لَحْدِ خَرَابٍ بَلَقَعَ^(١)، نَقَلُوا مِنْ فَسِيحٍ^(٢) الْقُصُورُ إِلَى هَوْلٍ يَخْرُسُ اللِّسَانُ فِيهِ أَنْ يُعْبَرَ عَمَّا جَرَى^(٣)، «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُنْضَرًّا».

محمد بن المُنَكِّدِ رحمه الله تعالى قال^(٤): «كانت لي سارية في مسجد رسول الله ﷺ أَجْلِسُ^(٥) إليها بالليل، فَقَحَطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ سَنَةً^(٦)، فخرجوا يَسْتَسْقُونَ فلم يُسْقُوا، فلما كان من الليل صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ^(٧) في مسجد رسول الله ﷺ، ثم جِئْتُ فَأَسْتَنْذْتُ^(٨) إِلَى سَارِيَتِي، فجاء رجل أسود تَغْلُوهُ صُفْرَةٌ، مُتَزَّرٌ بِكِسَاءٍ، و^(٩) عَلَى رِقْبَتِهِ كِسَاءٌ أَضْغَرُ مِنْهُ، فَتَقَدَّمَ إِلَى السَّارِيَةِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ وَكُنْتُ خَلْفَهُ، فقام وصلى^(١٠) ركعتين ثم جَلَسَ، فقال: يَا رَبِّ خَرَجَ أَهْلُ^(١١) حَرَمِ بَيْتِكَ^(١٢) يَسْتَسْقُونَ فلم تُسَقِّهم، وَأَنَا أَقْسِمُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا^(١٣) سَقَيْتَهُمْ.

قال ابن المنكدر: فقلْتُ هذا معجون! فما وَضَعَ يَدِيهِ حَتَّى سَمِعْتُ الرِّعْدَ ثُمَّ جَاءَتِ السَّمَاءُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَطَرِ حَتَّى أَهْمَنِي الرَّجُوعَ إِلَى مَنْزِلِي^(١٤)، فلما سَمِعَ الْمَطَرَ حَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْتَنِي عَلَيْهِ^(١٥) بِمَحَامِدٍ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَهَا^(١٦) قط، ثم قال: وَمَنْ أَنَا حَتَّى^(١٧) اسْتَجَبْتَ لِي، وَلَكِنْ جُدْتَ بِعَفْوِكَ وَعُدْتَ بِطَوْلِكَ^(١٨). ثم قام فَتَوَشَّحَ بِكِسَائِهِ^(١٩) الَّذِي كَانَ مُتَزَّرًا بِهِ، وَأَلْقَى الْكِسَاءَ^(٢٠) الْآخَرَ الَّذِي كَانَ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ^(٢١) رَجُلَيْهِ ثُمَّ قَامَ، فَلَمْ يَزَلْ يُصَلِّي حَتَّى أَحَسَّ بِالصَّبْحِ^(٢٢)؛ ثُمَّ سَجَدَ وَأَوْتَرَهُ، ثُمَّ^(٢٣) صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ^(٢٤) فَصَلَّى الصَّبْحَ

(١) الْبَلَقَعُ: الْأَرْضُ الْفَقْرُ الَّتِي لَا شَيْءَ بِهَا. ابن منظور، اللسان، «بلقع»، ٢١/٨.

(٢) فِي (م): «فسيح». (٣) فِي (م) وَ(ع): «يرى».

(٤) فِي (ع): «وعن محمد بن المنكدر قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ١٩٠/٢. ومحمد: هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهذير بن عبد العزيز التيمي، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأعلام، كان من معادن الصدق، ثقة، ورعاً عابداً قليل الحديث، وكان يجتمع إليه الصالحون، توفي سنة ١٣٠هـ - ٧٤٨م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١٤٠/٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٢١ - ١٤٠هـ، ص ٥٣٣.

(٥) فِي (م) وَ(ع): «كنت أجلس».

(٦) فِي (م) وَ(ع): «فأسندت»، والتصويب من (م) وَ(ع).

(٧) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(٨) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(٩) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٠) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١١) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٢) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٣) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٤) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٥) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٦) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٧) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٨) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(١٩) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

(٢٠) فِي (م) وَ(ع): «فصلى».

مع الناس^(١)، فلما سَلَّمَ الإمام خَرَجَ فَخَرَجْتُ^(٢) [ب] خَلْفَهُ حَتَّى أَتَيْتُهُ إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ يَرْفَعُ^(٣) ثَوْبَهُ يَخُوضُ الْمَاءَ، فَرَفَعْتُ خَلْفَهُ ثَوْبِي أَخُوضُ الْمَاءَ، فَلَمْ أَذِرْ أَيْنَ ذَهَبَ. فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ^(٤) الثَّانِيَةِ صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جِئْتُ إِلَى سَارِيتِي فَأَسْتَنْذْتُ إِلَيْهَا^(٥)، فَجَاءَ وَقَامَ وَتَوَشَّعَ^(٦) بِكِسَائِهِ، وَأَلْقَى الْكِسَاءَ الْآخَرَ الَّذِي^(٧) عَلَى ظَهْرِهِ عَلَى^(٨) رِجْلَيْهِ، وَقَامَ يَصَلِّي فَلَمْ يَزَلْ^(٩) قَائِمًا حَتَّى أَحَسَّ بِالصَّبْحِ سَجَدَ وَأَوْتَرَ^(١٠)، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَأَقِيَمَتِ الصَّلَاةَ، فَدَخَلَ^(١١) فِي الصَّلَاةِ، فَدَخَلْتُ^(١٢) مَعَهُ، فَلَمَّا سَلَّمَ الْإِمَامُ خَرَجَ وَخَرَجْتُ خَلْفَهُ، فَجَعَلَ يَمْشِي فَأَتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ دَارًا قَدْ عَرَفْتُهَا مِنْ دُورِ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ. فَلَمَّا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَصَلَّيْتُ الضُّحَى^(١٣) خَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ الدَّارَ فَإِذَا أَنَا^(١٤) بِهِ قَاعِدٌ يَخْرُزُ^(١٥)، وَإِذَا بِهِ إِسْكَافِي^(١٦)، فَلَمَّا رَأَيْتِي عَرَفَنِي وَقَالَ^(١٧): يَا^(١٨) أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَرْحَبًا أَلَيْكَ حَاجَةٌ، تَرِيدُ^(١٩) أَنْ أَغْمَلَ لَكَ خُفًّا؟ فَجَلَسْتُ ثُمَّ قُلْتُ^(٢٠): أَلَسْتُ صَاحِبِي بَارِحَةً الْأُولَى؟ فَاسْوَدَّ وَجْهُهُ وَصَاحَ بِي وَقَالَ: يَا أَبْنَ الْمُتَكْدِرِ مَا أَنْتَ وَذَاكَ! قَالَ: وَغَضِبَ فَعَرَفْتُ - وَاللَّهِ - الْغَضَبَ مِنْهُ فِي وَجْهِهِ^(٢١)، فَقُلْتُ: أَخْرُجْ مِنْ عِنْدِهِ الْآنَ. فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ صَلَّيْتُ الْعِشَاءَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى سَارِيتِي^(٢٢) فَتَسَانَدْتُ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَجِئْ، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٢٣) مَا صَنَعْتُ! فَلَمَّا أَصْبَحْتُ^(٢٤) جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَخَرَجْتُ

- (١) عبارة «فصلى الصبح .. إلخ»، في (م) و(ع): «فدخل الناس في الصلاة ودخلت معه».
- (٢) في (م) و(ع): «وخرجت».
- (٣) في (م) و(ع): «فرفع».
- (٤) في (م): «فلما كان الليلة»، وفي (ع): «فلما كانت الليلة».
- (٥) عبارة «فاستندت إليها»، في (م) و(ع): «فتوسدتها»، وهو تصحيف.
- (٦) عبارة «فجاء .. إلخ»، في (م) و(ع): «وجاء فقام فتوشع».
- (٧) في (م) و(ع): «الذي كان».
- (٨) في (م) و(ع): «في».
- (٩) في (م) و(ع): «فما زال».
- (١٠) عبارة «أحسن بالصبح .. إلخ»، في (م) و(ع): «أحسن الصبح فلما أحسن الصبح سجد ثم أوتر».
- (١١) في (م) و(ع): «فدخل الناس».
- (١٢) في (م) و(ع): «ودخلت».
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) الْخَرْزُ: خياطة الأدم (أي الجلد)، وقد خرز الخف وغيره يخرزه خَرْزًا؛ وَالْخَرْازُ صانع ذلك. ابن منظور، اللسان، «خرز»، ٣٤٤/٥.
- (١٦) عبارة «وإذا به إسكافي» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٨) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٩) في (م) و(ع): «أتريد».
- (٢٠) عبارة «في وجهه» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢١) عبارة «جئت إلى ساريتي»، في (م) و(ع): «أتيت ساريتي».
- (٢٢) عبارة «وإنا إليه راجعون» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٣) في (م) و(ع): «أصبح».

حتى أتيت الدار التي كان فيها، فإذا بالباب^(١) مفتوح وإذا ليس في البيت أحد، فقال لي أهل الدار: يا أبا عبد الله ما [٥] كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لما خَرَجْتَ من عنده أمس بَسَطَ كِسَاءَهُ في^(٢) وَسَطِ البيت، ثم لم يَدَعْ في بيته جلدًا ولا قالبًا إلا وَضَعَهُ في كسائه ثم حَمَلَهُ، فلا^(٣) ندري أين ذهب. قال ابن المنكدر: فما تركت في المدينة بيتًا أَعْرِفُهَا^(٤) إلا طَلَبْتَهُ فيها فلم أَجِدْهُ. شعر:

أَهِيْمُ بِمَحْبُوبِي فَمَا^(٥) يَغْرِفُونَهُ
هَلِ الْحُبُّ إِلَّا لَوْعَةٌ مُسْتَكِيَّةٌ
أَجْنُ إِذَا قَاحَتْ مِنَ الْغُورِ^(٦) نَفْحَةٌ
وَجَنُّ الدُّجَى ثَمَ اسْتَتَمَ^(٨) ظِلَامُهُ
وَنَامَ أَنَاسٌ لَا مَحَبَّةَ عِنْدَهُمْ
قَضَى اللَّهُ لِلْعَاشِقِ أَنْ يَهْجُرُوا الْكَرَى^(١١)
أَذَابَ الْهَوَى أَجْسَامَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ
مَرَزَتْ بِنَادِيهِمْ فَنَادَيْتُ رَنَعَهُمْ
عَلَى عَذْبَاتِ الْأَبْرِقَيْنِ^(١٣) خِيَامَهُمْ^(١٤)

ولو أَنَّهُمْ ذَاقُوا الْغَرَامَ لَهَامُوا
تَنَمَّ عَلَيْهَا زُفْرَةٌ وَغَرَامٌ
وَنَاحَتْ بِأَعْلَى الدُّوْحَتَيْنِ^(٧) حَمَامٌ
وَقَاضَ^(٩) عَلَيْهِ لِلنَّسِيمِ خِتَامٌ
وَجَفَنَ مُحِبَّهُمْ^(١٠) فَلَيْسَ يَنَامُ
كَأَنَّ^(١٢) مَنَامَ الْعَاشِقِينَ حَرَامٌ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جِلْدَةٌ وَعِظَامٌ
وَقَدْ مَيَّلْتُ نِيَّ نَشْوَةٍ وَهِيَامِ
عَلَيْهِنَّ مِنِّي مَا حَيْثُ سَلَامٌ^(١٥)

[بحر الطويل]

يا طويلَ الأملِ في طَلَبِ الْفَانِي، يا عَبْدَ السُّوءِ أَمَا عَذِيَّتُكَ بِإِحْسَانِي، أَمَا خَلَقْتُكَ بِيَدِي، أَمَا

(١) في (م) و(ع): «باب الدار».

(٢) عبارة «بسط كساءه في»، في الأصل: «بسط كفيه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «ولا».

(٤) عبارة «فما تركت داراً بالمدينة أعلم».

(٥) في (م) و(ع): «وما».

(٦) الغُور: المنخفض من الأرض، وهو تهامة وما يلي اليمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢١٦/٤.

(٧) الدُّوْحَةُ: الشجرة العظيمة المتسعة. ابن منظور، اللسان، «دوح»، ٤٣٦/٢.

(٨) في (م) و(ع): «استمر».

(٩) في (م) و(ع): «وَقَضَ».

(١٠) في (م) و(ع): «محيكم».

(١١) الكرى: النوم، والكرى النعاس. ابن منظور، اللسان، «كرا»، ٢٢١/١٥.

(١٢) في الأصل: «كل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) الأبرقان: هو تشية الأبرق، وإذا جاؤا بالأبرقين في شعرهم هكذا مثني، فأكثر ما يريدون به أبرقي حجر اليمامة، وهو منزل على طريق مكة من البصرة بعد رميلة اللوى للقاصد مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦٦/١.

(١٤) في الأصل: «خيمهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) عبارة «ما حيت»، في الأصل: «تحية و» وهو لا يستقيم مع وزن البيت، والتصويب من (م) و(ع).

نَفَخْتُ فِيكَ مِنْ رُوحِي، أَمَا عَلِمْتَ فِعْلِي بِمَنْ عَصَانِي، أَمَا تَسْتَحْيِي تَذَكُّرُنِي فِي الشَّدَائِدِ وَفِي الرِّخَاءِ تَسْأَنِي، عَيْنُ بَصِيرَتِكَ أَغْمَاها الهَوَى قُلْ لِي بِمَاذَا تَرَانِي، هَذَا إِكْحَالٌ^(١) الموعظة، فكم ذا التَّوَانِي، إِنَّ صَالِحَتَكَ عَلَى صَلاَحِكَ لِي أَعْظَمُكَ^(٢) أَمَانِي، أَتُرْكَ دَاراً صَفُوهَا كَدْرٌ وَمَا لَهَا [هـ] أَمَانٌ^(٣)، بَعْتُ وَضَلِي - وَيَحْك - بِالذُّونِ وَلَيْسَ لِي فِي الوجودِ ثَانِي، اغْطِفْ إِلَى جَادَةِ الْجَدِّ تَجِدْنِي، وَكُنْ لِعَظْفَتِكَ^(٤) ثَانِي^(٥)، مَا جَوَابُكَ إِذَا أَشْهَدْتُ^(٦) عَلَيْكَ الْجَوَارِحَ بِمَا تَسْمَعُ وَتَرَى^(٧)، «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُنْضَرًّا».

قال يحيى بن أيوب رحمه الله تعالى^(٨): «خَرَجْتُ يَوْمًا إِلَى مَقَابِرِ بَابِ خُرَاسَانَ^(٩)، ثُمَّ جَلَسْتُ فِي مَوْضِعٍ أَرَى مِنْ يَدْخُلِ الْمَقَابِرَ، فَنَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ دَخَلَ الْمَقَابِرَ مُتَّقِنًا^(١٠) فَجَعَلَ يَجُولُ^(١١) فِي الْمَقَابِرِ، فَكُلَّمَا رَأَى قَبْرًا مَفْتُوحًا مُنْخَسِفًا وَقَفَ عَلَيْهِ يَبْكِي^(١٢)، فَقُمْتُ إِلَيْهِ عَسَى^(١٣) أَنْ أَتَنَفَّعَ بِهِ. فَلَمَّا سِرْتُ^(١٤) إِلَيْهِ فَإِذَا^(١٥) هُوَ سَعْدُونُ الْمَعْتُوهِ^(١٦)، وَكَانَ فِي كُوخٍ^(١٧) فِي مَقَابِرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١٨)، فَقُلْتُ لَهُ: يَا سَعْدُونُ، أَيُّ شَيْءٍ تَضَعُ هَاهُنَا؟

- (١) فِي (م) وَ(ع): «كِحَال»، وَهُوَ تَصْخِيفٌ. وَالْإِكْحَالُ: شِدَّةُ الْمَخْلِ، وَالْكُخْلُ: السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «كَحْل»، ٥٨٥/١١. وَإِكْحَالُ الْمَوْعِظَةِ: أَيُّ عَدَمِ الاسْتِفَادَةِ مِنْهَا وَالتَّأَثُّرُ بِهَا مَعَ شِدَّتِهَا.
- (٢) فِي (م) وَ(ع): «إِنْ صَالِحَتِكَ أَعْظَمَتِكَ عَلَى صَلاَحِكَ».
- (٣) عِبَارَةٌ «أَتُرْكَ دَارًا... إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «لِعَظْفِكَ». (٥) وَهِيَ مِنَ الشَّاءِ.
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «شَهِدْتُ». (٧) فِي (م) وَ(ع): «وَمَا تَرَى».
- (٨) عِبَارَةٌ «يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ»، فِي الْأَصْلِ: «يَحْيَى بْنُ أَبِي أَيُّوبَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). وَالْقِصَّةُ ذَكَرَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الصِّفَةِ، ٥١٢/٢. وَيَحْيَى: هُوَ أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ الْبَغْدَادِيِّ الْمَعْرُوفُ بِالْمَقَابِرِيِّ، كَانَ مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ صَالِحًا صَادِقًا صَاحِبَ سَكُونٍ وَدَعَةٍ، وَمِنْ أَهْلِ السَّنَةِ، تَوَفَّى سَنَةَ ٢٣٤هـ - ٨٤٨م. ابْنُ الْجَوْزِيِّ، صِفَةُ الصِّفْوَةِ، ٣٦٠/٢. الذَّهَبِيُّ، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، حَوَادِثُ وَوَفِيَّاتُ سَنَةِ ٢٣١هـ - ٢٤٠هـ، ص ٣٩٧. ابْنُ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، ٧٩/٢.
- (٩) بَابُ خُرَاسَانَ هُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ مَدِينَةِ بَغْدَادِ الْأَرْبَعَةِ؛ حَيْثُ كَانَ الْقَاصِدُ إِلَيْهَا مِنَ الشَّرْقِ يَدْخُلُ مِنْ بَابِ خُرَاسَانَ. يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ، مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ، ٤٥٩/١، بِتَصْرِفٍ.
- (١٠) فِي (م) وَ(ع): «مُتَّقِنًا».
- (١١) عِبَارَةٌ «فَجَعَلَ يَجُولُ»، فِي (م) وَ(ع): «فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ وَهُوَ يَجُولُ».
- (١٢) فِي (م) وَ(ع): «وَيَبْكِي». (١٣) فِي (م) وَ(ع): «وَرَجَاءٌ».
- (١٤) فِي (م) وَ(ع): «وَصَلْتُ». (١٥) فِي (م) وَ(ع): «إِذَا».
- (١٦) يُقَالُ اسْمُهُ سَعِيدٌ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَطَاءٍ وَلَقِبَهُ سَعْدُونُ، مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، كَانَ مِنْ عَقْلَاءِ الْمَجَانِينِ وَحُكَمَائِهِمْ لَهُ أَخْبَارٌ مَلَّاحٌ، وَكَلَامٌ سَدِيدٌ وَنَظْمٌ وَنَثْرٌ يَسْتَحْسِنُ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ ٢٥٠هـ - ٨٦٤م. أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَلِيَّةُ الْأَوَّلِيَاءِ، ٣٧١/٩. ابْنُ الْجَوْزِيِّ، صِفَةُ الصِّفْوَةِ، ٥١٢/٢. ابْنُ شَاكِرٍ الْكُتَيْبِيُّ، فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ، ٤٨/٢.
- (١٧) فِي الْأَصْلِ وَ(م) وَ(ع): «كُوخٌ»، وَقَدْ وَرَدَتْ بِلَفْظِ «كُوخٍ» فِي الصِّفَةِ، وَهِيَ الْأَصُوبُ.
- (١٨) عِبَارَةٌ «رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع). وَمَقَابِرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَغْدَادِ.

فقال: يا يحيى هل لك أن تجلس نبكي على يلى هذه الأبدان قبل أن نبلى فلا يبكي علينا باك. ثم قال: يا أخي، يا يحيى، البكى من القدوم على الله تعالى أولى من البكاء على بلاء هذه الأبدان^(١). ثم قال: يا يحيى ﴿وَلِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾^(٢) ثم صاح صيحة شديدة، فقال^(٣): واخْوَفاهُ^(٤) بالله مما^(٥) يُقَابِلُنِي مِنَ الصُّحُفِ. قال يحيى: فُعْشِي عَلَيَّ، فَأَقْفُتْ وهو جالس يَمْسَحُ وجهي بِكُمِّي ويقول^(٦): يا يحيى مَنْ أَشْرَفَ مِنْكَ لَوْ مِتُّ مَكَانَكَ. شعر:

كَلَّفْتَنِي وَجَدًا فَلَسْتُ أَطِيقُ وَسَقَيْتَنِي صِرْفًا^(٧) فَلَسْتُ أَفِيقُ
وَسَدَدْتَ عَنِّي بَابَ وَضْلِكَ قَاصِدًا لَمَّا صَدَدْتَ^(٨) فَمَا إِلَيْكَ^(٩) طَرِيقُ
وَجَعَلْتَنِي أَضْلَى بِنَارِ تَشْوُقِي فَأَنَا إِلَيْكَ مَدَى الزَّمَانِ مَشْوُوقُ
شَهِدْتُ لِي^(١٠) الزُّفَرَاتُ أَنَّ^(١١) بِبَاطِنِي كَبِدًا أَتَوَى^(١٢) فِيهَا جَوَى^(١٣) وَحَرِيقُ
إِنْ لَمْ أَرِقْ دَمْعِي عَلَيْكَ^(١٤) صَبَابَةً^(١٥) فَلَا أَيْ شَيْءَ بَعْدَ ذَاكَ أَرِيقُ [١٦]
فَلِإِلَامٍ لَا وَضَلَ أَسْرُ بِقُرْبِهِ^(١٦) وَالْوَعْدُ لَيْسَ يُرَى لَهُ تَخْفِيقُ
لَا رَاحَةً لِلْعَاشِقِينَ مَعَ الْهَوَى بُعْدُ^(١٧) وَلَا قُرْبَ وَلَا تَفْرِيقُ^(١٨)
أَرِفْتُ عَلَيَّ وَدَاوٍ مِنْ أَمْرَضَتِهِ إِنَّ الطَّبِيبَ مَعَ^(١٩) الْمَرِيضِ رَفِيقُ^(٢٠)
[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله المتفرد بعلم ما تَكُنُّهُ الضَّمَائِرُ وَيَهْجِسُ^(٢١) في الأسرار، ليس له في خَلْقِهِ شَرِيكَ

- (١) عبارة «يا أخي يا يحيى . إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) سورة التكوين، آية ١٠.
- (٣) في (م) و(ع): «ثم قال».
- (٤) في (م): «واغوثاه»، وفي (ع): «يا غوثاه».
- (٥) في (م) و(ع): «ماذا».
- (٦) في (م) و(ع): «وهو يقول».
- (٧) الصُّرْف: الخالص من كل شيء، وشراب صِرْف أي بحت لم يُمزج. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ١٩٢/٩.
- (٨) في الأصل: «مددت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «إليه».
- (١٠) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) الثواء: طول المقام، وأثويت بالمكان: أطلت الإقامة به. ابن منظور، اللسان، «ثواء»، ١٢٥/١٤.
- (١٣) الجوى: الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن. ابن منظور، اللسان، «جوا»، ١٥٧/١٤.
- (١٤) في (م) و(ع): «عليه».
- (١٥) في الأصل: «صبابتي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «فإلام.. إلخ»، في الأصل: «فاللزم على وصل أسير بقربه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) في (م): «تقضى».
- (١٨) عبارة «بعد.. إلخ»، في (ع): «إن الطبيب على المريض رفيق».
- (١٩) في (م): «على».
- (٢٠) البيت ساقط في (ع).
- (٢١) الهجس: ما وقع في خللك، والهاجس: خاطر. ابن منظور، اللسان، «هجس»، ٢٤٦/٦.

ولا مُعِينٌ ولا أَغْوَانٌ ولا أَنْصَارٌ، جَلَّ عَنْ الْمِثَالِ وَالْأَمْثَالِ وَالْحُدُودِ وَالْجِهَاتِ وَالْأَقْطَارِ، تَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يَحْصُرَهُ فِكْرٌ أَوْ يَحْدَهُ أَيْنٌ أَوْ يُدْرِكُهُ وَهْمٌ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الْهَيْئَةِ وَالْإِقْدَارِ، عَجَزَ طِينَةُ الْخَلَائِقِ بِالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ ذَاتِهِ جَلَّ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ، فَكَمَالَ الْوُجُودِ بَيِّدَ مَنْ يُخَيِّبُ آيَاتِ اللَّيْلِ وَجَعَلَ آيَاتِ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِلْأَبْصَارِ^(١)، وَكَيْفَ لَا وَكُلُّ^(٢) مَقْهُورٌ بِمَقْدَارِ^(٣) الْأَقْدَارِ، مَزَجَ صَفْوَهُ بِكَدْرِ الشَّهْوَةِ وَغَيَّرَ بَصِيرَتَهُ بِغَيَارِ الْأَغْيَارِ^(٤)، أَقَامَ عَلَيْهِ رَقِيبَ الْأَمْرِ وَعَتِيدَ^(٥) النَّهْيِ، فَهُوَ بَيْنَهُمَا^(٦) فِي شِدَائِدٍ وَأَخْطَارٍ، يُخَصِّي عَلَيْهِ دِيْوَانَ أَعْمَالِهِ كِبَائِرَهَا وَالصُّغَارَ^(٧)، وَ^(٨)يَذْفَنُ مَعَهُ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ خَرَابَ بَلْقَعٍ تَنْسَاهُ^(٩) الْعُودَ وَتَمَلُّهُ^(١٠) الزُّوَارَ، يَنْفَرِدُ بِأَخْزَانِهِ فَمَا أَطْوَلُهَا مِنْ^(١١) غُرْبَةٍ! وَمَا أَهْوَلُهَا مِنْ دَارٍ! ثُمَّ يُحَاسِبُ عَلَى مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ؛ فَلَمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِلَّا^(١٢) إِلَى نَارٍ، ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عِزَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءَ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾^(١٣).

يَا مَنْ تَنَعَّمَ^(١٤) فِي لَيْلِ الْهَوَى^(١٥) مَتَى يَبْدُو مِنَ التَّوْبَةِ الصَّبَاحُ، يَا مَنْ غَرَّهُ الشَّبَابُ هَذَا فَجْرُ^(١٦) الْمَشِيبِ لَاحَ، أَتَلَفْتَ قُوَّتَكَ فِي الصُّبَا^(١٧) وَفِي الْكِبَرِ تَرْجُو الصَّلَاحَ^(١٨) [ب٦]، يَا كُھُولَ الْبَطَالَةِ قَصَّ الْهَرَمِ مِنْ عَزَائِمِكُمُ الْجَنَاحَ، أَمَلَكْتَ فِي الْهِنْدِ وَرَبَّمَا كَانَ^(١٩) نَعَشُكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ^(٢٠)، أَيْنَ مَنْ حَصَّنَ الْحُصُونِ وَعَدَا فِي لَهْوِهِ وَرَاحَ، أَبَادَهُمْ^(٢١) الْحَدَثَانِ^(٢٢) فَكَمْ لَهُمْ تَحْتَ اللَّحُودِ - لَوْ سَمِعْتَ - مِنْ صِيَاحٍ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ سَاعَةً مِنْ عَمْرِهِ^(٢٣) عَسَاءَ بِالْإِقَالَةِ يَزْنَحُ،

(١) عبارة «فكمال الوجود.. إلخ»، في (م) و(ع): «فكمال الوجود المدّ» وفيها سقط وتصحيف.

(٢) في (م) و(ع): «وهو».

(٣) في (م) و(ع): «بمقادير».

(٤) الأغيار جمع غَيْرَ: من تَغَيَّرَ الحال، وَغَيَّرَ الدهر أحواله المتغيرة. ابن منظور، اللسان، «غير»، ٤٠/٥.

والمراد: الأهواء وتقلباتها.

(٥) أي شديد النهي.

(٦) الكبائر: «هي كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع: أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد النكير عليه؛ وذلك كالإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، وشهادة الزور، والسحر...»

ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٠/٢. والصغائر: «هي كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش». القرطبي، الجامع، ١٧/١٠٨.

(٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «ينساه».

(١٠) في (م) و(ع): «يمله».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) سورة إبراهيم، آية ٤٨.

(١٣) في (م) و(ع): «أو».

(١٤) في (م) و(ع): «تنشى».

(١٥) في (م) و(ع): «دليل».

(١٦) في (م) و(ع): «الفلاح».

(١٧) في (م) و(ع): «الصِّلَاح».

(١٨) في (م) و(ع): «أبانهم».

(١٩) حدثان الدهر وحوادثه: نُوبُهُ. ابن منظور، اللسان، «حدث»، ١٣٢/٢.

(٢٠) في (م) و(ع): «عمره».

يا مَعْشَرَ الْمَذْنِبِينَ هَذَا مَا تُمْ الْأَحْزَانُ فَأَيْنَ الْبُكَاءِ وَأَيْنَ النَّجَاحِ^(١)، إِنَّ فَاتَكَ طِبُّ وَعَظِي فَسْتَقْوِ
عَلَيْكَ الْجِرَاحَ، اجْذِبْ نَضْلَ ذُنُوبِكَ بِالتَّضَلُّ لَعَلَّكَ تَلْحَقَ^(٢) بِالصَّحَاحِ، سَيَنْدُمُ الْمُفَرِّطُونَ يَوْمَ
هَتِكَ الْأَسْتَارِ، ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

قال أبو جعفر الصِّفَار^(٣) رحمه الله تعالى: «خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي فِي^(٤) يَوْمَ مَطِيرٍ، فَإِذَا أَسْوَدَ
مَطْرُوحٌ عَلَى مَرْبَلَةٍ مَرِيضٍ. قَالَ: فَجَرَزْتُهُ فَأَدْخَلْتُهُ^(٥) إِلَى بَيْتِي، فَلَمَّا أَمْسَيْنَا دَعَانِي وَقَالَ: يَا أَبَا
جَعْفَرٍ، لَا تُفْسِدْ مَا صَنَعْتُ، أَقْعُدْ عِنْدِي. قَالَ: وَفَاحَ الْبَيْتَ بِرِيحِ الْمِسْكِ وَصَارَ رِيحُ الْمِسْكِ
فِي جُبَّتِي وَكِسَانِي وَجُرَّتِي وَأَكْوَازِي وَكُلِّ شَيْءٍ^(٦) فِي الْبَيْتِ فِيهِ^(٧) رِيحُ الْمِسْكِ. قَالَ^(٨): ثُمَّ
قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا: لَا تُضَيِّقَنَّ عَلَى جُلْسَانِي^(٩)، فَسَمِعْتُهُ^(١٠) يَقُولُ: بَرُوكَ^(١١) يَا بَارِ إِزْفَقَ بِي^(١٢)،
يَا مَوْلَايَ. قَالَ^(١٣): ثُمَّ خَرَجْتُ نَفْسُهُ. فَقُلْتُ: أبيعُ جُبَّتِي، أبيعُ كِسَانِي، وَأَشْتَرِي^(١٤) لَهُ كَفَنًا.
قَالَ: فَطَرَقَ بَابِي نَحْوُ^(١٥) مِنْ سَبْعِينَ إِنْسَانًا كُلٌّ يَقُولُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَاذَا عِنْدَكَ إِنْسَانٌ يَخْتِاجُ
إِلَى كَفَنٍ^(١٦)».

أَشْكُو إِلَيْكُمْ^(١٧) تَبَارِيحِي^(١٨) وَأَشْوَاقِي وَمَا آلاَقِي بِكُمْ مِنْ فَيْضِ آمَاقِي^(١٩)
وَلَوْعَةٍ سَكَنَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَا أَلْقَى لَهَا يَوْمَ بَيْنِ عِنْكَمُو^(٢٠) رَاقِي

- (١) فِي (م) وَ(ع): «النَّوْاحِ».
- (٢) فِي (م) وَ(ع): «قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ السَّقَا». وَالْقِصَّةُ ذَكَرَهَا ابْنُ الْجَوَازِي فِي الصِّفَةِ، ٥٠٦/٢.
- (٣) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «وَأَدْخَلْتُهُ».
- (٥) فِي (م) وَ(ع): «وَفِي كُلِّ شَيْءٍ...».
- (٦) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (٧) عِبَارَةٌ «لَا تُضَيِّقَنَّ... إلخ»، فِي (م) وَ(ع): «لَا تُضَيِّقَنَّ عَلَيَّ جُلْسَانِي».
- (٨) فِي الْأَصْلِ: «وَسَمِعْتُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٩) فِي (م) وَ(ع): «أَيْدِكَ أَيْدِكَ»، وَهُوَ تَصْغِيفٌ، وَصَوَابُهَا: «أَنْدَكَ أَنْدَكَ» وَهِيَ كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا «قَلِيلًا قَلِيلًا». مُحَمَّدٌ التُّونَجِيُّ، الْمَعْجَمُ الْفَارْسِيُّ الْعَرَبِيُّ الْمَوْجُزُ، ص ٣٠.
- (١٠) فِي (م) وَ(ع): «يَا بَارْخِدَاهُ أَرْفَقَ بِي»، وَ«بَارْخِدَاهُ» كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا: اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ. مُحَمَّدٌ التُّونَجِيُّ، الْمَعْجَمُ، ص ٣٩.
- (١١) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (١٢) فِي الْأَصْلِ: «نَشْتَرِي»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٣) عِبَارَةٌ «فَطَرَقَ بَابِي نَحْوُ»، فِي (م) وَ(ع): «وَطَرَقَ الْبَابَ قَرِيبًا».
- (١٤) فِي (م) وَ(ع) كَفَنَ شَعْرًا.
- (١٥) فِي (م) وَ(ع): «إِلَيْكَ».
- (١٦) التَّبْرِيحُ: الْمَشَقَّةُ وَالشَّدَّةُ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «بَرَحَ»، ٤١٠/٢.
- (١٧) آمَاقُ: جَمْعُ آمَاقٍ، وَهُوَ مَجْرَى الدَّمْعِ مِنَ الْعَيْنِ. الْفَيْرُوزِيَّادِيُّ، الْقَامُوسُ، «آمَاقُ»، ص ١١٩١.
- (١٨) عِبَارَةٌ «يَوْمَ بَيْنَ عِنْكَمُو»، فِي الْأَصْلِ: «يَوْمَ وَصَلَ مِنْكُمْ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). وَالتَّبَيْنُ: الْفُرْقَةُ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «بَيْنَ»، ٦٢/١٣.

أَخَذْتُمْ الْقَلْبَ مِنْ جِسْمِكُمْ ذَنْفٌ^(١)
 أَيْنَ الَّذِي قَدْ مَضَى بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
 خَلَفْتُمُونِي طَرِيحاً عِنْدَ كَاظِمَةٍ^(٢)
 مَنْ لِي^(٣) يُبَلِّغُكُمْ مِنِّي السَّلَامَ وَمَنْ
 أَشْعَلْتُمْ فِي الْحَشَى نَاراً لِبُعْدِكُمْ
 الْوَضْلُ مِنْكُمْ شِفَائِي وَالنَّوَى^(٤) أَلَمِي

يَوْمَ الرَّحِيلِ لِمَنْ خَلَفْتُمْ الْبَاقِي [١٧]
 مِنَ الْوَصَالِ وَمَنْ عِنْدَ وَمِيشَاقٍ^(٥)
 دَمْعِي شَرَابِي وَلِي مِنْ ذِكْرِكُمْ سَاقِي
 يَهْدِي إِلَيْكُمْ تَبَارِيحِي وَأَشْوَاقِي
 فَهَلْ يَحِلُّ لَكُمْ بِالنَّارِ إِخْرَاقِي
 وَحُبُّكُمْ هُوَ طَبِّي وَهُوَ تَرْيَاقِي^(٦)

[بحر البسيط]

وَأَعَجَبَاهُ! كَمْ أَحَدْتُ قَلْبَكَ وَمَا عِنْدَهُ^(٧) خَبَرٌ، ضَيَّعْتَ شَبَابَكَ^(٨) وَتَبَكَّى عِنْدَ الْكَبِيرِ، كَيْفَ
 أَسْتَلَنْتُ فِرَاشَ^(٩) الْمَعَاصِي، مَا الَّذِي^(١٠) أَعْمَى مِنْكَ الْبَصَرَ، تَغْصِي مَنْ خَلَقَكَ مِنْ نُظْفَةٍ، وَقَدَّرَ
 عَلَيْكَ بِمَا^(١١) قَدَّرَ، وَبِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١٢) وَلَوْ^(١٣) يَسْتَقْرِضُ مِنْكَ تَبَخُلُ^(١٤)
 وَالَّذِي عِنْدَكَ مُحْتَقَرٌ، وَ^(١٥) لَهُ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ^(١٦) وَيَطْلُبُ مِنْكَ دَمْعَةً لِنُظْفِي بِهَا^(١٧) لَهَيْبَ سَقَرٍ،
 جَفَّتْ عُيُونُكَ مِنْ مَاءِ الْحَشْيَةِ وَمَا لَكَ عِبْرَةً فِيمَنْ غَبَرَ، مَا أَرَى الشَّقَاءَ إِلَّا فِي أَضْلِ الْفِطْرَةِ، لَا

- (١) الدَّنْفُ: المرض اللازم المُخَايِر، ورجل ذنف: براه المرض حتى أشفى على الموت. ابن منظور، اللسان، «ذنف»، ١٠٧/٩.
- (٢) البيت في (م) و(ع):
 «يَا سَادَتِي أَيْنَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْو من الوصال ومن عهد وميشاق»
 وقد ورد فيهما تالياً للبيت الثاني: «ولوعة سكنت...». والعمد ضد الخطأ، وعَمَدَ يعمده عمداً: قصده. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣٠٢/٣.
- (٣) هي موضع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان، وماؤها شروب واستسقاؤها ظاهر، وقد أكثر الشعراء من ذكرها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤٣١/٤.
- (٤) في (م) و(ع): «ذا».
- (٥) النَّوَى: هو التحول من مكان إلى مكان آخر أو من دار إلى دار غيرها كما تَنَتَوَى الأعراب في باديتها. ابن منظور، اللسان، «نوى»، ٣٤٧/١٥.
- (٦) في (م) و(ع): «درياقي». والترياق: ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ويقال: درياق. ابن منظور، اللسان، «تروق»، ٣٢/١٠.
- (٧) في (م) و(ع): «عندك».
- (٨) في (م) و(ع) زيادة: «في البطالة».
- (٩) في (م): «فرش».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «ما».
- (١٢) كلمة «والأرض» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل و(م) و(ع): «وتبخل»، والصواب ما أثبتناه.
- (١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) سَجَرَهُ يَسْجُرُهُ: ملأه، والمسجور: المملوء. ابن منظور، اللسان، «سجر»، ٣٤٥/٤.
- (١٧) في (م) و(ع): «لتظفي بها عن نفسك».

حِيلَةً فِي الْأَطْرُوشِ^(١) وَلَا طَبَّ فِي الْأَعْمَى وَقَدْ عُدِمَ الْبَصَرُ، فَبِاللَّهِ يَا أَخِي بَادِرِ التَّوْبَةَ قَبْلَ ظُهُورِ الْأَسْرَارِ^(٢)، «يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

قال أبو هشام رحمه الله تعالى^(٣): «قَدِمْتُ عَلَيْنَا امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهَا «سَوِيَّةٌ»^(٤)، فَنَزَلْتُ فِي بَعْضِ رِبَاعِنَا، وَكُنْتُ^(٥) أَسْمَعُ لَهَا بِاللَّيْلِ نَحِيبًا وَشَهِيقًا. فَقُلْتُ لِلْخَادِمِ^(٦): «أَشْرَفِي عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ فَأَنْظِرِي مَا تَصْنَعُ بِنَفْسِهَا»^(٧). فَأَشْرَفْتُ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ مُسْتَقْبِلَةٌ الْقِبْلَةَ رَافِعَةً رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ^(٨)، لَا تَرُدُّ طَرْفَهَا عَنِ السَّمَاءِ. فَقُلْتُ: أَسْمَعِي [٧ب] مَا تَقُولُ. قَالَتْ^(٩): «مَا أَفْهَمَ كَثِيرًا مِنْ قَوْلِهَا غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُهَا»^(١٠) تقول: أَرَاكَ خَلَقْتَ سَوِيَّةً مِنْ طِينٍ لِازِبَةٍ^(١١)، وَغَمَرْتُهَا بِنِعْمَتِكَ^(١٢)، تَعْذُوها^(١٣) مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَكُلَّ أَخْوَالِكَ لَهَا حَسَنَةً، وَكُلَّ بَلَائِكَ عِنْدَهَا^(١٤) جَمِيلٌ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُتَعَرِّضَةٌ لِسَخَطِكَ بِالْوُثُوبِ عَلَى مَعَاصِيكَ، فَلَنَّةٌ^(١٥) فِي إِثْرِ فَلَنَةٍ، أَتَرَى أَنَهَا^(١٦) تَظُنُّ أَنَّكَ لَا تَرَى سُوءَ فَعْلِهَا^(١٧)؟ بَلَى، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. قَالَ: ثُمَّ خَرَّتْ^(١٨) وَسَقَطَتْ. فَتَزَلَّتِ الْجَارِيَةُ فَأَخْبَرْتَنِي بِسَقَطَتِهَا^(١٩)، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا نَظَرْنَا إِلَيْهَا^(٢٠) فَإِذَا هِيَ قَدْ مَاتَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى^(٢١)». شعر:

- (١) الْأَطْرُوشُ وَالْأَطْرُوشُ: الْأَصَمُّ، وَقَدْ طَرَشَ طَرَشًا، وَرَجَالَ طَرَشَ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «طَرَشَ»، ٣١١/٦.
- (٢) فِي (م) وَ(ع): «ظُهُورِ الْأَسْرَارِ وَهَتِكَ الْأَسْتَارِ».
- (٣) فِي الْأَصْلِ: «أَبُو هَاشِمٍ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع) وَالصِّفَةُ. وَالْقِصَّةُ ذَكَرَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الصِّفَةِ، ٢/٣٠٢. وَأَبُو هَاشِمٍ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ. ابْنُ الْجَوْزِيِّ، الصِّفَةُ، ٢/٣٠٢.
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «سَرِيَّةٌ»، وَسَوِيَّةٌ هِيَ عَابِدَةٌ مِنْ عَابِدَاتِ الْيَمَنِ. ابْنُ الْجَوْزِيِّ، صِفَةُ الصِّفَةِ، ٢/٣٠٢. عَمْرٍ رَضًا كَحَالَةٍ، أَعْلَامُ النِّسَاءِ، ٢/٢٧٣.
- (٥) فِي (م) وَ(ع): «فَكُنْتُ».
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «لِلْخَادِمَةِ». وَالْخَادِمُ تَطْلُقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى.
- (٧) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (٨) فِي (م) وَ(ع) زِيَادَةٌ: «فَقُلْتُ مَا تَصْنَعُ؟ قَالَتْ: مَا أَرَاهَا تَصْنَعُ شَيْئًا غَيْرَ أَنْهَا».
- (٩) فِي (م) وَ(ع): «فَقَالَتْ».
- (١٠) فِي (١٠) وَ(ع): «أَسْمَعُهَا».
- (١١) فِي (م) وَ(ع): «خَلَقْتَ سَرِيَّةً مِنْ طِينَةٍ لِازِبَةٍ». وَطِينٌ لِازِبٌ أَيُّ لَازِقٌ. وَلَزَبَ الطِّينَ يَلْزُبُ لُزُوبًا، وَلَزَبَ: لَصِقَ وَصَلَبَ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «لَزَبَ»، ١/٧٣٨.
- (١٢) فِي (م) وَ(ع): «نِعْمَتِكَ».
- (١٣) فِي الْأَصْلِ: «تَغْذِيهَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). وَغَدًا يَغْذُو أَيُّ أَسْرَعُ، وَغَدَا الْمَاءُ يَغْذُو إِذَا مَرَّ مَرًّا سَرِيعًا. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «غَدَا»، ١٥/١٢٠.
- (١٤) فِي (م) وَ(ع): «لَهَا».
- (١٥) الْفَلَنَةُ: الْأَمْرُ يَقَعُ مِنْ غَيْرِ إِحْكَامٍ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «فَلَتَ»، ٢/٦٧.
- (١٦) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (١٧) فِي (١٧) وَ(ع): «فَعْلِهَا».
- (١٨) فِي (م) وَ(ع): «خَرَجَتْ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.
- (١٩) فِي (١٩) وَ(ع): «سَقَطَتِهَا».
- (٢٠) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

يَهِيْجُ لِي^(١) ذِكْرُ الْحَبِيبِ صَبَابَةً
فَإِنْ هَبَّ لِي مِنْهُمْ نَيْسِمٌ تَخَالَنِي
لِمَنْ حُبُّهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ كَأَنَّهُ
وَمَنْ ذَكَّرَهُ يُسْلِي الْحَزِينَ^(٢) كَأَنَّمَا
وَمَنْ لَا سَمِيحَ فِي كُلِّ قَلْبٍ حِلَاوَةٌ
إِذَا مَا جَرَى ذِكْرُ الْحَبِيبِ تَفَقَّطَتْ^(٣)
لَهُ مَوْزِعٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ كَأَنَّمَا
تَفُوقُ صِفَاتِ الْوَاصِفِينَ صِفَاتُهُ

إِذَا مَا بَدَأ مِنْ نَحْوِهِ الْبَرْقُ يَلْمَعُ
أَخَا دَنْفٍ أَحْشَاءَهُ تَتَقَطَّعُ^(٤)
شِفَاءُ الضَّنَى الْمُعْتَادُ^(٥) بَلْ هُوَ أَنْفَعُ
سَرَى مِنْهُ لِلْأَسْمَاعِ بُشْرَى وَمَرْجِعُ
هُوَ الشَّهْدُ^(٦) طَعْمًا أَوْ^(٧) الذُّ وَأَنْجَعُ
لِذِكْرِهِ^(٨) أَكْبَادُ رِقَاقٍ وَأَضْلَعُ
بِهِ فِي رِيَاضِ جَنَّةِ الْحُسْنِ يَرْتَعُ^(٩)
عَلَى أَنَّهَا تَذْعُو لِنَيْلٍ^(١٠) وَتُظْمِعُ

[بحر الطويل]

وَيَحْكُ تَبَارِزُ^(١١) بِالْمَعَاصِي مَنْ خَوَّلَكَ^(١٢)، يَا عَبْدَ السُّوءِ كَمْ تَغْدِلُ عَنْ طَرِيقِ^(١٣) مَنْ
عَدَلَكَ^(١٤)، أَظَنَنْتَ أَنَّهُ أَهْمَلُكَ! إِنَّمَا أَهْمَلُكَ^(١٥)، إِنْ سُئِلْتَ لِلطَّاعَةِ^(١٦) أَبْطَأْتُ وَلِلْمَعَاصِي^(١٧)
مَا أَغْجَلْتُكَ، يَا مَأْسُورًا فِي سَجَنٍ [أ٨] الْغَفْلَةُ لَا يَذَرِي حَيْثُ سَلَكَ، أَغَمَّتْ بِصِيرَتِكَ الشَّهَوَاتُ
فَأَنْتَ هَالِكٌ فِيمَنْ هَلَكَ، مَلَأْتَ دِيوَانَكَ بِالْجَرَائِمِ وَمَلِكُ الْمَوْتِ مُلْكُ^(١٨)، هَذَا الْهَرَمُ مِنْ عَمْرِكَ

(١) عبارة «يهيج لي»، في الأصل: «يهيم له»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «تتقطع»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع). والضَّنَى: السَّيِّمُ الذي قد طال مَرَضُهُ وثبت فيه. والضَّنَى: المرض. ابن منظور، اللسان، «ضنا»، ٤٨٦/١٤.

(٤) عبارة «يسلي الحزين»، في الأصل: «يحلو الحنين»، والتصويب من (م) و(ع). والسُّلُو: النسيان، سلاه وسلاه عنه: نسيه، وأسلاني من همي: أي كشفه عني. ابن منظور، اللسان، «سلا»، ٣٩٤/١٤.

(٥) عبارة «هو الشهد»، في (م) و(ع): «وللشهد». (٦) في الأصل: «و»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «تقطع». (٨) في (م) و(ع): «الذكرا».

(٩) في (م) و(ع): «ترتع».

(١٠) في الأصل: «النبيح»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «كم تبارز».

(١٢) الخَوْل: ما أعطى الله تعالى الإنسان من العبيد. وخوَّلَكَ الله مالاً أي مَلَكَكَ، وخوَّلَهُ المال: أعطاه إياه تفضلاً. ابن منظور، اللسان، «خول»، ٢٢٥/١١.

(١٣) في الأصل: «الطريق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) إذا مال شيء، قلت: عدلته أي: أقمته فأعدلت أي أَسْتَقَامَ، فعدلك بمعنى سَوَّكَ وقوِّمك من قولك عدلت الشيء فأعدلت أي سَوَّيته فأستوى. وعدَلُ عن الشيء يُعْدِلُ: حاد. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/٤٣٣.

(١٥) عبارة «إنما أهملك» في (م) و(ع): «وما أهملك».

(١٦) في (م) و(ع): «الطاعة». (١٧) في (م) و(ع): «وللمعصية».

(١٨) عبارة «وملك الموت مُلْكُ»، في (م) و(ع): «وملْكُ الملك». والمعنى: أن مالك الموت كلَّفَ قبض روحك.

وَأَنْقَطَعَ مِنَ الْقُوَى كَذَلِكَ^(١)، بَادِرُ سَاحِلِ التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ التَّوْبَةُ^(٢) لَكَ، إِلَى أَيِّ^(٣) يَوْمٍ تَذْخِرُ التَّوْبَةَ لَا أُمَّ لَكَ، طَابَ السَّمَاعُ لَيْتَ شِغْرِي مَا الَّذِي^(٤) شَعَلَكَ؟ إِنْ أَنْفَضَ^(٥) الْمَجْلِسُ وَلَمْ تَتُبْ فَانْتَ مَظْرُودٌ مَا قَبْلَكَ، إِذَا رَأَيْتَ مَحَامِلَ التَّائِبِينَ تَمُرُّ بِكَ فَعَلَّقْ بِأَذْيَالِهِمْ أَمْلَكَ، بَادِرُ بَابِ الْحَبِيبِ قَبْلَ أَنْ يَطْوِيَ الدُّسْتُورَ الْمَلِكُ، وَتَنْدَمُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ وَالْأَعْتِدَارُ «يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

قال ابن صبح رحمه الله تعالى^(٦): «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرَاءِيِّ^(٧): لِمَ تَبْكِي هَذَا الْبُكَاءَ صَبَاحاً وَمَسَاءً^(٨)؟ فَأَخْرَجَ إِلَيَّ يَدَهُ^(٩) وَإِذَا عَلَى إِصْبَعِهِ شَعْرَةٌ مَلْفُوفَةٌ فَتَنْشَرُهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا سَعِيدُ^(١٠) إِذَا كَانَ الْجَوَازُ عَلَى مِثْلِ هَذَا^(١١) فَأَيُّ قَدَمٍ تَثْبِتُ^(١٢) عَلَى مِثْلِ هَذِهِ؟ ثُمَّ أَخَذَ فِي الْبُكَى^(١٣)». شعر: متى أراكم^(١٤) على ضُغْفِي تَحْنُونَا عَذَّبْتُمُونَا بِطُولِ الْهَجْرِ وَأَسْفِي بِحَقِّ عَهْدٍ تَقْضَى مِنْ وَصَالِكُمْ وَعَذَّبُوا^(١٥) مَا اسْتَظَفْتُمْ يَا أَحِبَّتَنَا وَاذِلْ مَنْ رَامَ تَقْرِيْباً لِغَيْرِكُمْ

يَا مَنْ جَفَوْنَا وَقَالُوا مَا تُرِيدُونَا^(١٥) بحرمة العهدِ عودوا ثم عودونا
إِلَّا مِنْ^(١٦) الْبَابِ حَقّاً لَا تَرِدُونَا^(١٧) إِنْ كَانَ تُرْضِيكُمْ الْبَلَوَى فَزِيدُونَا^(١٨)
أَوْ هَمَّ يَبْغِي سَوَاكُم كَانَ مَجْنُونَا

- (١) عبارة «هَذَا الْهَرَمُ.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والكلكل: الصدر من كل شيء، وقيل هو ما بين الترقوتين. ابن منظور، اللسان، «كلل»، ٥٩٦/١١.
- (٢) عبارة «تصل التوبة»، في الأصل: «تصير التوبة»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: قبل أن يصل الموت إليك، فيخطئ غيرك إليك كما تخطئك إلى غيرك من قبل.
- (٣) عبارة «إلى أي»، في (م) و(ع): «لأي». (٤) في (ع): «أزرى».
- (٥) في (م) و(ع): «انقضى».
- (٦) في (م) و(ع): «سعد بن صبح قال.. إلخ». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٨٨/٢، وإنما قال: «عن أبي مريم قال: قلت.. إلخ».
- (٧) عبارة «لأبي عبد الله البرائي»، في (م) و(ع): «لعبد الله البرائي»، وهو تصحيف. وأبو عبد الله: هو أبو عبد الله بن أبي جعفر البرائي الزاهد، كان معدوداً في جماهير المعترين، ومن مشاهير المتعبدین. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ١٣٧/١٠. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٠٣/١٤. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٨٨/٢.
- (٨) في (م) و(ع): «مساء وصباحاً».
- (٩) في الأصل: «يديه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «سعد».
- (١١) في (م) و(ع): «هذه».
- (١٢) في الأصل: «يثبت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «البكاء».
- (١٤) في الأصل: «أرى»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «يريدونا».
- (١٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) عبارة «إلا من الباب.. إلخ»، في (م) و(ع): «إن كان يرضيكم البلوى فزيدونا».
- (١٨) في الأصل: «وعذبونا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٩) عبارة «إن كان ترضيكم.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلا من الباب حقاً لا تردونا».

فَاتَّعِشُونَا بِقُرْبٍ^(١) مِنْ دِيَارِكُمْ وَبِالتَّحِيَةِ حَيُّونَا وَأَخْيُونَا^(٢) [ب] [بحر البسيط]

[الخطبة الثالثة]

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُخَالِطُهُ الْأَوْهَامُ وَلَا تُحِيطُ بِهِ الظُّنُونُ، يَعْلَمُ هَاجِسَ الْهَاجِسِ فِي خَاطِرِ الْخَاطِرِ^(٣) وَمَا تُخْفِي الْعُيُونُ، أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَهُوَ مَعَكُمْ تَعَالَى عَلَى الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ^(٤)، رَفَعَ السَّمَاءَ عَلَى عَمَدِ الْقُدْرَةِ وَأَسْكَنَهَا مَلَائِكَةً عَنْ ذِكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا يَقْتُرُونَ، سَخَّرَهُمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ أَعْمَالِهِ ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٥) دَحَا^(٦) الْأَرْضَ عَلَى بَحْرِ زَاخِرِ سَجَنَةِ يَفْهَرُهُ فَهُوَ مَسْجُونٌ، مَهَّدَهَا لِلْخَلَائِقِ^(٧) وَبَثَّ فِيهَا أَقْوَاتَهُمْ فَمِنْهَا يُرْزَقُونَ، مِنْهَا خَلَقَهُمْ وَفِيهَا يُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا يُخْرِجُونَ^(٨)، أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ تَذَلُّهُمْ عَلَيْهِ فَهَذَا مَقْبُولٌ وَهَذَا مَقْتُونٌ، فَالْعَارِفُونَ شَمَّرُوا عَنْ سَاقِ الْجِدِّ وَأَهْلُ الْعَقْلَةِ فِي لَهْوِ الْهَوَى يَلْعَبُونَ، كَمْ أَظَالُوا نَوْمَ الْعَقْلَةِ عَلَى فِرَاشِ الْبَطَالَةِ لَا يَسْتَتِيقِظُونَ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾^(٩)، فَسُبْحَانَ مَنْ يَقُولُ لِشَيْءٍ^(١٠) يُرِيدُ تَكْوِينَهُ^(١١) كُنْ فَيَكُونُ، أَحْمَدُهُ حَمْدٌ مَنْ يَعْلَمُ^(١٢) أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ أَسْتَوْدَعُهَا^(١٣) لِيَوْمِ الْمُنُونِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَوْذَعَ عِنْدَهُ سِرَّهُ فَهُوَ مَصُونٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١٤) وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا رَكَّعَ الرَّاحِمُونَ وَسَجَدَ السَّاجِدُونَ.

- (١) في الأصل: «على قرب»، والتصويب من (م) و(ع). (٢) في الأصل: «حيونا»، وهي من (م) و(ع).
- (٣) في (م): «خاطر الحاضر»، وفي (ع): «الخاطر الحاضر».
- (٤) عبارة «وهو معكم.. إلخ» في (م) و(ع): «وهو معكم يعلمه يعلم ما تفعلون».
- (٥) قوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة التحريم، آية ٦. وجمهور الملائكة مشغولون بالتعبد كما قال الله ﷻ: ﴿يَسْتَبِشُونَ كَيْلًا وَالتَّهَارُ لَا يَقْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. فمنهم قيام في التعبد، ومنهم ركوع ومنهم سجود، وكل من رتب لعبادة فهو مقيم عليها إلى يوم القيامة. ومن الملائكة موكل بعمل؛ فمنهم حملة العرش قد وكلوا لحمله، وجبريل هو صاحب الوحي والغلظة، فهو ينزل بالوحي ويتولى إهلاك المكذبين، وميكائيل صاحب الرزق، وإسرافيل صاحب اللوح والصور، وعزرائيل قابض الأرواح، ومنهم كتاب على بني آدم، وهم المعقبات ملكان في الليل وملكان في النهار. ابن الجوزي، المنتظم، ١٩٢/١.
- (٦) دحا الأرض يدحوها دحوا: بسطها. ابن منظور، اللسان، «دحا»، ٢٥١/١٤.
- (٧) عبارة «مهدها للخلائق»، في الأصل: «مهدها للخلائق»، وفي (م) و(ع): «مهدها للخلائق»، والصواب ما أثبتناه. ومهدها أي بسطها، ومهد الأرض مهدها: بسطها ووطأها أي جعلها مكاناً وطياً سهلاً. ابن منظور، اللسان، «مهد»، ٤١٠/٣، بتصرف.
- (٨) في الأصل: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجون»، وهي من (م) و(ع) لموافقة السياق.
- (٩) سورة المؤمنون، آية ٩٩.
- (١٠) في (م) و(ع): «الشيء».
- (١١) عبارة «يريد تكوينه» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «أستودعها عنده».
- (١٣) في (م) و(ع): «أستودعها عنده».
- (١٤) كلمة «وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

ويحك إذا حَضَرَتِ المجلس تقول^(١) أتوب، يا طالباً للفاني وهو بالباقي مَطْلُوب، يا يوسف الأسف متى ترى يعقوب^(٢)، تَدْعِي أَنَّكَ بَطْلَبُ الدُّنْيَا كَاسِبٌ وَأَنْتَ بِالْقَبْرِ مَكْسُوبٌ، كَمْ تَسْلِبُكَ [١٩] الْأَيَّامُ نَقَائِسَ عُمْرِكَ وَأَنْتَ مَسْلُوبٌ^(٣)، أَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ عَلَيْكَ مَكْتُوبٌ، تَمْشِي سَوِيًّا وَقَلْبُكَ فِي مَشْيِهِ مَكْبُوبٌ، جِسْمُ حَيٍّ وَقَلْبٌ مَيِّتٌ وَالظَّاهِرُ غَالِبٌ وَالْبَاطِنُ مَغْلُوبٌ، إِلَى كَمْ يُنَادِيكَ الْمَوْلَى وَأَنْتَ لَا تَتُوبُ^(٤)، إِنَّ قَاتَكَ مَحْمَلُ الْمُجْتَهِدِينَ فَالْتَحِقْ بِسَاقَةِ^(٥) السَّحَرِ عَسَى عَظْفَةً مِنَ الْمَحْبُوبِ، فَاهْلُ الْجِرْمَانِ عَنْ بَابِ الْحَبِيبِ مُبْعَدُونَ مَحْرُومُونَ^(٦)، ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾.

قال ذو النُّون المصري رحمه الله تعالى^(٧): «خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْأَسْتِسْقَاءِ بِالْبَصْرَةِ فَخَرَجْتُ فِيمَنْ خَرَجَ. فَبَيْنَمَا أَنَا مَارٌّ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا بِبَيْدَيْنِ قَبْضَتَا عَلَى رِجْلِي، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَخَلَّ^(٨) عَنِّي. فَقَالَ^(٩): أَنَا سَعْدُونَ الْمَجْنُونِ، أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا الْفَيْضِ؟ فَقُلْتُ^(١٠): أُرِيدُ الْمُصَلَّى أَدْعُو اللَّهَ ﷻ^(١١). فَقَالَ: بِقَلْبِ سَمَاوِي أَوْ بِقَلْبِ خَاوِي؟ فَقُلْتُ: لَا بَلْ^(١٢) بِقَلْبِ سَمَاوِي. قَالَ^(١٣): انْظُرْ يَا ذَا النُّونِ، لَا تُبْهَرْجُ^(١٤) فَإِنَّ النَّاقِدَ بَصِيرٌ. فَقَالَ: تَدْعُو وَتُؤْمِنُ^(١٥) عَلَى دُعَائِكَ، أَوْ أَدْعُو^(١٦) وَتُؤْمِنُ عَلَى دُعَائِي؟ فَقُلْتُ لَهُ^(١٧): اذْعُ وَتُؤْمِنُ^(١٨) عَلَى دُعَائِكَ. قَالَ:

- (١) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢) وهو إشارة إلى قوله تعالى: «وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْتَاسِفُونَ عَلَى يَوْسُفَ وَيَتَذَكَّرُونَ عَيْنَاهُ مِنْ أَلْحَزَنٍ فَهُوَ كَاطِمٌ» [يوسف: ٨٤].
- (٣) أي مسلوب بزيئة الحياة الدنيا.
- (٤) عبارة «وأنت لا تتوب»، في (م) و(ع): «ولا تتوب».
- (٥) في (م) و(ع): «باب». والساقطة: المؤخرة، وساقطة الجيش: مؤخره. ابن منظور، اللسان، «سوق»، ١٠/١٦٧.
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٥١٣/٢. وذو النون: هو ذو النون بن إبراهيم المصري الإخميمي، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها إخميم، قيل اسمه ثوبان، وقيل الفيض، وقيل ذو النون لقبه، واشتهر بذلك، كان عالماً فصيحاً حكيماً واعظاً، أصله من النوبة، توفي سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣١٥/٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٢٤١ - ٢٥٠هـ، ص ٢٦٥. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٢١٨.
- (٨) في (م) و(ع): «خَلَّ».
- (٩) في (م) و(ع): «قال».
- (١٠) في (م) و(ع): «قلت».
- (١١) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٤) عبارة «لا تبهرج» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والبهرج: الباطل والردىء من الشيء. ابن منظور، اللسان، «بهرج»، ٢/٢١٧.
- (١٥) عبارة «تدعو وتؤمن»، في (م) و(ع): «أندعو الله وأؤمن».
- (١٦) في (م) و(ع): «أو أدعوا الله».
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «بل تدعو وأؤمن».

فَصَفَّ قَدَمَيْهِ وَقَالَ^(١): إلهي^(٢) بحق البارحة إلا أمْطَرْتَنَا. قال ذو النون: فوالله لَقَدْ رَأَيْتُ الْغَيْومَ قَدْ أَرْتَفَعَتْ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ حَتَّى أَلْتَقَتْ فَجَاءَنَا^(٣) الْمَطَرُ كَأَفْوَاهِ الْقُرْب^(٤)، فَقُلْتُ: بِحَقِّ مَحْبُوبِكَ^(٥) أَيِّ شَيْءٍ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ الْبَارِحَةُ؟ قَالَ^(٦): لَا تَدْخُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ قُرَّةِ عَيْنِي. فَقُلْتُ: لَا بُدَّ أَنْ تُخَيِّرَنِي، فَأَنْشَأُ يَقُولُ [ب٩]:

أَنِسْتُ بِهِ فَلَا أَبْغِي سِوَاهُ مَخَافَةً أَنْ أَضِلَّ فَلَا أَرَاهُ
فَحَسْبُكَ حَسْرَةٌ وَضُنَى وَسَقَمًا بِطَرْدِكَ عَنْ مَجَالِسِ أَوْلِيَاءِهِ
[بحر الوافر]

شعر^(٧):

دَعَا^(٨) الْمُحِبُّ غَرَامًا وَهُوَ لَمْ يَذُبْ
هُوَ الْفِرَاقُ فَفَرَّقَ مَا جَمَعَتْ لَهُ
وَجَذَّ بِوَجْدٍ وَإِنْ لَمْ يُجِدْ^(٩) مَنَفَعَةً
وَقُلْ لِقَلْبِكَ لَا تُضْغِ^(١٠) لِعَاذِلِهِ^(١١)
وَأَبْرِزْ بِحَلِيَّةٍ^(١٢) حَالِ الْمُسْتَهَامِ جَوَى
أَحِبَابِنَا قَدْ بَعِذْتُمْ عَنْ مُجِيبِكُمْ
بِنْتُمْ وَبِنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا فَتَرَتْ
أَكَادُ حِينَ يَحْيِينِي نَسِيمُكُمْ
وَأَنْ تَذْكَرْتِ أَيْامَ الصَّبَا وَصَبَا

يَوْمَ النَّوَى بَعْدَهُمْ وَجَدًا مِنْ الْكَذِبِ
مَنْ كُنْزِ دَمْعِكَ وَأَجْمَعَ فُرْقَةَ الْكُرْبِ^(٩)
فَأَبْخَلُ النَّاسِ صَبٌّ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ
فَالْقَلْبُ أَحْسَنُ شَيْءٍ غَيْرِ مُنْقَلِبٍ
فَالشُّوقُ فِي صُعْدِ الدَّمْعِ فِي صَبَبٍ^(١٤)
فَمَا لَهُ بَعْدَكُمْ فِي الْعِيشِ^(١٥) مِنْ أَرْبٍ^(١٦)
خِيُولُ دَمْعِي مِنْ جَرِيٍّ وَمِنْ حَبَبٍ^(١٧)
أَطِيرُ نَحْوَكُمْ مِنْ شِدَّةِ الطَّرَبِ
قَلْبِي إِلَيْكُمْ فَوَاشُقِي وَيَا وَصَبٍ^(١٨)

- (١) في (م) و(ع): «ثم قال».
(٢) في (م) و(ع): «فجاء».
(٣) في (م) و(ع): «معبودك».
(٤) في (م): «وغيره»، وفي (ع): «وأنشأ غيره يقول».
(٥) البيت ساقط في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «يضغى».
(٧) العَذْلُ: اللوم، والعاذِلُ: اللائم. ابن منظور، اللسان، «عذل»، ٤٣٧/١١.
(٨) حَلِيَّةٌ: مأسدة بناحية اليمن، وقيل: هو من أرض اليمن، وقيل: هو موضع بنواحي الطائف. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٤٢٠/١.
(٩) الصَّبَبُ: تصوُّب نهر أو طريق يكون في حدور، وصَبٌّ في الوادي: انحدر. ابن منظور، اللسان، «صبب»، ٥١٧/١.
(١٠) عبارة «في العيش»، في الأصل: «من عيش»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) الْأَرْبُ: الحاجة. ابن منظور، اللسان، «أرب»، ٢٠٨/١.
(١٢) الْحَبَبُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُو. ابن منظور، اللسان، «حبيب»، ٣٤١/١.
(١٣) في (م): «وواو صب»، وفي (ع): «وواو صب»، وهو تصحيف. والوصَبُ: الوجع والمرض. ابن منظور، اللسان، «وصب»، ٧٩٧/١.

أَيْنَ اللَّيَالِي الَّتِي كَانَتْ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ كَأَنَّمَا هِيَ قَدْ صَيَّغَتْ مِنَ الذَّهَبِ
إِذْ نَجَّيْتَنِي مِنْ ثَمَارِ الْوَضَلِ أَطْيَبِهِ^(١) مَا نَشْتَهِيهِ^(٢) بَلَا غَيْظٍ وَلَا تَعَبٍ

[بحر البسيط]

يا هذا لَمَّا ضَعُفَتْ قِوَاكَ عَنِ الْخِدْمَةِ أَرَدْتَ الْوُقُوفَ بِالْبَابِ^(٣)! لَيْتَ شِغْرِي فِيمَا أَنْفَقْتَ حَاصِلَ
الشَّبَابِ؟ لَمَّا كُنْتُ غَضًّا نَاعِمًا نَأَيْتَ عَنِ الْأَحْبَابِ، فَلَمَّا عُذْتُ عُودًا يَابِسًا عُذْتُ إِلَى الْبَابِ، كَمْ
عَيَّيْتُ مِنَ الْأَتْرَابِ^(٤) تَحْتَ التَّرَابِ، أَمَا تَرَى^(٥) كَيْفَ جَفَّاهُمْ الْأَخْلَاءُ^(٦) وَالْأَصْحَابِ، كَأَنَّهُمْ مَا
كَانُوا^(٧) وَكُنَّا فِي أَجْتِمَاعٍ نَعِيمٍ وَاطْرَابٍ، نُقَلُّوا إِلَى بَيْتِ [١٠] الْأَحْزَانِ فَلَا مُجِيبَ وَلَا مُجَابَ،
كَيْفَ تَخْضَرُ مَجْلِسَ الذِّكْرِ وَالْحَالِ مَا حَالَ عَجِيبٌ عَجَابٍ، جِسْمُكَ فِي الْمَجْلِسِ^(٨) وَقَلْبُكَ وَرَاءَ
السِّدِّ، فَأَيْنَ مِنْ^(٩) يَسْتَمِيعُ الْعِتَابَ، إِذَا لَمْ يَتَحَرَّكْ قَلْبُكَ لِوَعْظِي فَالَّذِي^(١٠) فَوْقَ التَّرَابِ تَرَابٍ،
سَتَرِي مَا يَحِلُّ بِالْمُعَاةَةِ مِنَ الْهَوَانِ وَالْهُونِ، ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾.

الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(١١) وَقَفَّ بِالْمَوْقِفِ وَالنَّاسُ يَذْعُونَ وَهُوَ يَبْكِي بُكَاءَ
التَّكَلَّى الْمُخْتَرَقَةِ، فَلَمَّا كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ قَبَضَ عَلَى لَحْيَتِهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ^(١٢) إِلَى السَّمَاءِ
وَقَالَ: وَاسْأَلْهُ^(١٣) مِنْكَ وَإِنْ عَفَوْتَ^(١٤). شعر^(١٥):

يَا نَسِيمَ الرِّيحِ هَلْ مِنْ وَقْفَةٍ عِنْدَ مَنْ قُرْبَهُمْ^(١٦) يَشْفِي الْآلَامَا^(١٧)
كُنْ رُسُولِي بِسَلَامٍ عَائِدٍ لِحَبِيبِي^(١٨) وَاقِرِهِ مِنْي السَّلَامَا

(١) فِي (م) وَ(ع): «أَوْنَهُ».

(٢) فِي (م) وَ(ع): «يَا هَذَا لَمَّا ضَعُفَتْ أَرَدْتَ الْخِدْمَةَ وَالْوُقُوفَ بِالْبَابِ».

(٣) الْأَتْرَابُ جَمْعُ تَرْبٍ: اللَّدَّةُ وَالسَّنُّ وَمَنْ وُلِدَ مَعَكَ. الْفَيْرُوآبَادِي، الْقَامُوسُ، «تَرْب»، ص ٧٨.

(٤) فِي (م) وَ(ع): «تَرَاهُمْ».

(٥) فِي (م) وَ(ع): «أَمَا كَأَنَّهُمْ كَانُوا».

(٦) عِبَارَةٌ «وَالْحَالِ.. إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

(٧) عِبَارَةٌ «فَأَيْنَ مِنْ»، فِي (م) وَ(ع): «فَمِنْ».

(٨) فِي (ع): «حَكِي أَنْ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ». وَالْفُضَيْلُ: هُوَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ بْنِ مَسْعُودٍ، كَانَ إِمَامًا، ثِقَةً،

حُجَّةً، زَاهِدًا، عَابِدًا، نَبِيهًا كَبِيرَ الشَّانِ، وَلَدَ بِخَرَّاسَانَ، بِكُورَةِ أَيْبُورْدٍ وَقَدَمَ الْكُوفَةِ وَهُوَ كَبِيرٌ، فَسَمِعَ بِهَا

الْحَدِيثَ، ثُمَّ تَعَبَّدَ وَانْتَقَلَ إِلَى مَكَّةَ وَجَاوَرَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ١٨٧هـ - ٨٠٢م. ابْنُ

الْجَوْزِيِّ، الصِّفَةُ، ٢/ ٢٣٧. الذَّهَبِيُّ، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، حَوَادِثُ وَفَيَاتُ ١٨١ - ١٩٠هـ، ص ٣٣١. ابْنُ

الْمَلَقَنِ، طَبَقَاتُ الْأَوَّلِيَاءِ، ص ٢٦٦.

(٩) فِي الْأَصْلِ: «رَفَعَ عَلَى رَأْسِهِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(١٠) فِي (م) وَ(ع): «وَاسْأَلْهُ».

(١١) الْقِصَّةُ ذَكَرَهَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي صِفَةِ الصِّفْوَةِ، ٢/ ٢٣٩.

(١٢) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).

(١٣) فِي (م) وَ(ع): «الْأَوَامَا». وَالْأَوَامُ: شِدَّةُ الْعَطَشِ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «أَوَام»، ٣٨/ ١٢.

(١٤) فِي (م) وَ(ع): «الْحَبِيبِ».

لم تُثِرْ شَجْوِي حَمَامَاتِ اللَّوَى^(١) بل غَرَامِي عِلْمُ الشَّجْوِ^(٢) الحَمَامَا
عَجَباً مِنْ فَقْدِ قَلْبِي بَعْدَكُمْ كيف لم أَفْقِدْ مع القلب الغراما
عندكم عَقْلِي^(٣) فَرُدُّوا بَغْضَه أَخْمَلُ اللُّوْعَةَ فيكم والغراما^(٤)

[بحر الرمل]

كلامي زَهْرُ^(٥) رَوْضِ مُدَبِّجٍ^(٦)، أَزْهَارُ مَعَانِيهِ أَغْطَرُ مِنْ عَرْفِ دَارِينِ^(٧)، غُصُونُ عِبَارَاتِهِ^(٨)
تُذَلِّلُ بِفُكَاهَاتِ^(٩) الْفَاكِهَةِ، وَ^(١٠)قُطُوفُ مَعَانِيهِ دَائِيَّةٌ لِدَوِي الْأَفْهَامِ^(١١) لِيُنِيلَ كُلُّ ذِي فِهْمٍ، نَهْرُهُ
دَائِمُ الْمَدِّ لَأَنَّهُ^(١٢) يَسْتَمِدُّ مِنْ بَحْرِ^(١٣) الْحِكْمَةِ، أَطْيَارُ فَصَاحَتِهِ لَهَا تَغْرِيدٌ عَلَى أَقْنَانِ الْبَلَاغَةِ،
كَمْ طَرِبَ لِتَغْرِيدِهَا مِنْ دَوِي^(١٤) فِهْمٍ! كَمْ عَلَى خَافَتِهِ^(١٥) مِنْ لَوْلُو عِلْمٍ مَثُورًا كَمْ نَظَّمْتُ فِيهِ مِنْ
سِلْكٍ [١٠ب] لِلْسَالِكِ، وَأَتَنَخَبْتُ مِنْ يَوَاقِيَتِهِ فُصُوصَ إِشَارَاتِ لَخَوَاتِمِ الْعَارِفِينَ، وَجَمَعْتُ أَفْخَرَ
جَوَاهِرِهِ لِأَحْوَالِ السَّالِكِينَ^(١٦)، وَبَيْتِي^(١٧) قَوَائِدُهُ مَا^(١٨) تَضَلُّحٌ إِلَّا لِقُطْبِ الْمُرِيدِينَ^(١٩)، وَمَا
يَبْقَى فِي اسْتِعَارَاتِهِ^(٢٠) إِذَا كَحَلَ بِهَا عَيْنَ الْبَلِيدِ عَسَى يَتَلَمَّحُ^(٢١) مِنْ نَوْرِ الْفِهْمِ وَلَوْ يَقْدِرُ السَّهْمُ.
إِلَهِي مَا أَصْنَعُ مَا حِيلَتِي مَا قِصَّتِي، هِمَّتِي فِي الْآخِرَةِ هَمَّةٌ^(٢٢)، وَتَلَهَّفُنِي عَلَى الْفَائِتِ^(٢٣)
هَفْوَةً، وَقَدْ خَالَطَتْنِي أَخْلَاطُ التَّسْوِيفِ فَأَقْعَدَتْنِي عَنِ النُّهُوضِ وَحَلَّ ذَيْنَ الْكِبَرِ، وَجَاءَ الْمُتَقَاضِي
بِلا مَهْلٍ، وَفَقِرِي مِنَ الطَّاعَةِ ثَابِتٌ فِي مَجْلِسِ حَاكِمِ الْقَضَا، فَإِنْ سَجَّتْنِي فِي سَجْنِ الْقَبْرِ فَأَرْحَمِ

- (١) اللوى: هو واد من أودية بني سليم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٣/٥.
- (٢) الشجو: الهم والحزن. ابن منظور، اللسان، «شجو»، ٤٢٢/١٤.
- (٣) في (م) و(ع): «قلبي».
- (٤) عبارة «أحمل.. إلخ»، في (م): «أحملوا عنه لوعة وهياماً»، وفي (ع): «واحملوا عنه لوعة وهياماً».
- (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) الدَّبِجُ: النقش والتزيين. ابن منظور، اللسان، «دبج»، ٢٦٢/٢.
- (٧) دارين: فرسة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند فينسب إليها. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٥٠٩/٢.
- (٨) في الأصل: «عبارته»، وهي من (م) و(ع).
- (٩) في الأصل و(م) و(ع): «بفواكه»، والتصويب من (ب).
- (١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «الدوي الأفهام» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «كأنه».
- (١٣) في (م) و(ع): «ذوي».
- (١٤) في (م) و(ع): «ذوي».
- (١٥) في (م) و(ع): «حافاته».
- (١٦) في الأصل: «وجمعت أفخر جواهر الأحوال للسالكين»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) البيتيم: هو كل شيء مُفَرَّدٌ بغير نظيره. ابن منظور، اللسان، «يتيم»، ٦٤٦/١٢.
- (١٨) في (م) و(ع): «لا».
- (١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «وما يبقى من صفار استعاراته».
- (٢١) في (م) و(ع): «أن يتلمح».
- (٢٢) الهَمَّةُ وَالْهَمَّةُ: ما هَمَّ به من أمر ليفعله. ابن منظور، اللسان، «همم»، ٦٢١/١٢.
- (٢٣) في (م) و(ع): «الغائب».

عُرْبَتِي فَلَيْسَ لِي مَنْ يُنْقِذُنِي^(١) مِنْ وَلَدٍ عَمِلَ وَلَا وَالِدٍ عَلِمَ، وَخَزَائِنَ عَفْوَكَ مَمْلُوءَةً، وَصَدَقَاتِ مَغْفِرَتِكَ وَاسِعَةً، وَإِنْ^(٢) تَسْمَحَ فَبِفَضْلِكَ، وَإِنْ تُعَذِّبْ فَبِعَذْلِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ فِي الْحَالَتَيْنِ^(٣).
 إِخْوَانِي نَاشِدْتُكُمْ اللَّهُ مَنْ حَالُهُ مِثْلُ حَالِي فَلْيُسَاعِدْنِي بِدَعْوَةِ أَنْ يَرْحَمَ اللَّهُ عُرْبَتِي إِذَا نَسِيَنِي
 الذَّاكِرُونَ ذَكَّرْنِي بِرَحْمَتِهِ^(٤).
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا^(٥).



-
- (١) فِي (م) وَ(ع): «يُنْقِذُنِي».
 (٢) فِي (م) وَ(ع): «فَإِنْ».
 (٣) فِي (م) وَ(ع): «الْحَالَتَيْنِ».
 (٤) عِبَارَةٌ «ذَكَّرْنِي بِرَحْمَتِهِ»، فِي (م) وَ(ع): «اذْكُرْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».
 (٥) عِبَارَةٌ «وَصَلَّى اللَّهُ .. إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

الفصل الثاني

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي تعرف إلى أوليائه^(١) بنعوت الجمال فعرفوه، و^(٢) دلهم به عليه فراقهم^(٣) بالأنس فالفوه، ونعمهم بالأنس فعرفوه^(٤)، ألهم أسرارهم أسماءه تعالى^(٥) فبذكره لهم ذكروه، يباهي بأحوالهم الملائكة [١١] وكيف لا وقد أحبه وأحبه^(٦)، حمى إقليم قلوبهم من طراق الغفلة لثلا يطرقوه، أحرزوا^(٧) حاصل العمر في صندوق الإخلاص وختموه، تفقدوا دقيق^(٨) أعمالهم من أخلاط الخطايا وصححوه، خافوا الفضيحة يوم الحساب فحفظوا الأمانة^(٩) فيما اتئمنوه، نالوا المقصود من محبوبهم وفوق ما طلبوه، والمحروم في تيه الحرمان أخرموه^(١٠) وما رحموه، واخجلته في المحشر وسراويل الذل ألبسوه، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^(١١). يا من^(١٢) أتعب نفسه في طلب الفاني وهو راحل، أما شاهدت^(١٣) حادي الجديدين^(١٤) يطوي من العمر المراحل، أما ترى^(١٥) الليل والنهار يحملان الأعمار بالرواحل، أما ترى من قُيل^(١٦)

- (١) عبارة «إلى أوليائه»، في (م) و(ع): «لأوليائه». (٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في الأصل: «فوافقهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) عبارة «ونعمهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) قوله هذا إشارة إلى معنى حديث لرسول الله ﷺ رواه معاوية رضي الله عنه، فقال: إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال: «الله! ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله! ما أجلسنا إلا ذاك، قال: «أما إنني لم أستحلفكم ثمّة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الذكر.. إلخ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث (٢٧٠١/٤٠)، ٢٠٧٥/٤.
- (٧) في الأصل: «أحرزنا»، والتصويب من (م) و(ع). وأحرزت الشيء إحرازاً: إذا حفظته وصتته عن الأخذ. ابن منظور، اللسان، «حرز»، ٣٣٣/٥.
- (٨) في (م) و(ع): «دفين».
- (٩) عبارة «فحفظوا الأمانة»، في الأصل: «فحفظه بالأمانة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) أخرم الشيء: جعله حراماً. ابن منظور، اللسان، «حرم»، ١٢٠/١٢.
- (١١) سورة آل عمران، آية ١٠٦.
- (١٢) عبارة «يا من»، في (م) و(ع): «إخواني ما حال من».
- (١٣) في (م) و(ع): «شاهد».
- (١٤) حدا الشيء يحده حده: تبعه. والجديدان هما الليل والنهار. ابن منظور، اللسان، «جدّ»، ١١١/٣.
- (١٥) «وحدا»، ١٦٨/١٤. وحادي الجديدين أي تتابع الليل والنهار وتعاقبهما.
- (١٦) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، ومعنى الكلام يقتضيها.
- (١٦) في (م) و(ع): «ميل». وقِيلَ اسم جمع لـ«قائل» وهو من قال يقيل قَيْلاً وقيلولة وقائلة: وهي النوم وقت الظهيرة. ابن منظور، اللسان، «قيل»، ٥٧٧/١١. الفيروزآبادي، القاموس، «قيل»، ص ١٣٥٩.

تحت ظلها كيف زال بظلمها الزائل، أما ترى من عمر ألف عام إذا سئل كم لبثت^(١) قال: لبثت أياماً قلائل، أما ترى من شيد الحصون^(٢) وعقل المعازل، أبادهم سيف الحمام وكلهم عن ملكهم^(٣) زائل، أين قوم^(٤) نوح وعاد^(٥) وئود وثبع^(٦) والملوك الأوائل، أين من ملكها شرقاً وغرباً ورحل عنها^(٧) وما حظي منها بطائل، نُقل^(٨) إلى بيت مظلم فاستوى فيه ذو السلطان والعامل^(٩)، اندرست^(١٠) معالمهم وعادت ضوراً تدرس^(١١) ليعلم العالم والجاهل، أما تسمع نداءهم وهم صموت، أما تتعظ يا غافل، أين السدير^(١٢) والنعمان^(١٣)؟ وأين كسرى^(١٤) والإيوان^(١٥)؟ وأين ملوك بابل^(١٦)؟ أبادهم الحدثان [١١ب] ليوم يقدمون فيه على ما قدموه، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

- (١) عبارة «كم لبثت» ساقطة في (م) و(ع).
 (٢) في (م) و(ع): «ملكه».
 (٣) في (م) و(ع): «وأيّن عاد».
 (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٥) هم أقوام عصوا الله ورسله فأهلكهم بعذاب من عنده؛ فأما قوم سيدنا نوح فأغرقوا. وأما عاد، وكانوا يسكنون الأحقاف، جمع حقف وهو ما استطال من الرمل العظيم واءوَج ولم يبلغ أن يكون جبلاً، وهي رمال بأرض اليمن كانت تسكنها عاد، فخالفوا أمر ربهم وعتوا واستكبروا استكباراً فأخذهم الله بذنوبهم إذ أرسل إليهم ريحاً لا تبقي ولا تذر. وأما ئمود، وكانوا يسكنون مدائن الحجر بين تبوك والمدينة، فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم الصيحة وهم ينظرون. وأما قوم ثُبُع فقد أهلكهم الله ﷻ وخرّب بلادهم وشردهم وفرقهم شذر مذر، ولقد كانوا عرباً من قحطان، وهم أهل سبأ، وثُبُع لقب الملك عندهم، كما يقال كسرى لمن ملك الفرس، وقصر لمن ملك الروم. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٦١، ٢٥٥/٦، ٢٨٦. محمد حجازي، التفسير الواضح، ١٣/٢٦، بتصرف.
 (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٧) في الأصل: «ونقل»، والتصويب من (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «الخامل».
 (١٠) درس الشيء والرسم يدرس دروساً: عفا. ابن منظور، اللسان، «درس»، ٧٩/٦.
 (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (١٢) في الأصل: «الشديد»، والتصويب من (م) و(ع). والسدير: قصر من مباني النعمان الأكبر، اتخذهُ لبعض ملوك العجم. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٧٠٠/٢. الألوسي، بلوغ الأرب، ٢١٤/١.
 (١٣) هو النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي الملقب بالمرحوق، أحد ملوك الحيرة اللخميّين. أبو جعفر محمد بن حبيب، المجبر، ص ٣٥٨. ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٣. الألوسي، بلوغ الأرب، ٢١٣/١.
 (١٤) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان، وكان من أشد ملوكهم بطشاً، ولقد بعث الله ﷻ محمداً ﷺ رسولاً على رأس عشرين سنة من ملكه. أبو جعفر محمد بن حبيب، المجبر، ص ٣٦٢. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٥٨٧/١.
 (١٥) وهو إيوان كسرى الذي بالمدائن، مدائن كسرى، زعموا أنه تعاون على بنائه عدة ملوك، وهو من أعظم الأبنية وأعلاها، وهو من بناء كسرى أبرويز. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٩٤/١. القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٣٢/٤.
 (١٦) في (م) و(ع): «وأيّن الملوك الأوائل». وبابل أقدم أبنية العراق، وكانت ملوك الكنعانيين وغيرهم يقيمون =

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى^(١): «سألت الله ﷻ ثلاث ليال أن يُريني رفيقي في الجنة، فرأيت كأن قائلاً يقول^(٣): يا عبد الواحد رفيقتك^(٤) ميمونة السوداء^(٥). فقلت: وأين هي؟ فقال لي: هي^(٦) في آل بني فلان بالكوفة، قال: فخرجت إلى الكوفة وسألت عنها فقيل^(٧) هي مجنونة بين أظهرنا ترعى غنيمات لنا. فقلتُ لهم^(٨): أريد أن أراها. فقالوا^(٩): اخرج إلى الجَبَّان^(١٠)، فخرجت فإذا هي قائمة تصلي، وإذا بين يديها عَكَاز لها وعليها جبة من صوف عليها مكتوب: لا تُباع ولا تُشترى، وإذا الغنم مع الذئب؛ فلا الذئب تأكل الغنم، ولا الغنم تخاف من الذئب، فلما رأني أوجزت في صلاتها، ثم قالت: أرجع يا ابن زيد ليس الموعد هنا وإنما^(١١) الموعد ثم^(١٢). فقلت: رحمك الله تعالى^(١٣) ومن أعلمك أني ابن زيد؟ قالت^(١٤): أما علمت أن الأرواح أجناد مجنونة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف^(١٥). فقلت لها: عطيني. فقالت: واعجباً للواعظ يوعظ! ثم قالت: يا ابن زيد إنك لو وضعت معايير القسط على جوارحك لخبرتكَ بمكنون مكنون ما فيها. بلغني يا ابن زيد أن^(١٦) ما من عبد أعطي من الدنيا شيء فأبتغى إليه ثانياً إلا سلبه الله الخلوة معه وبدله البعد [١٢]

- = بها. قال ابن حوقل: وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصراً عظيماً، وهي اليوم مدينة خراب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٩/١. القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٣١/٤.
- (١) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ١٢١/٣. وعبد الواحد هو عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد، الذي قيل إنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة، توفي بعد الخمسين ومائة. ابن الجوزي، الصفة، ٣٢١/٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠ هـ، ص ٥٠٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٨٧/١.
- (٢) في (م) و(ع): «تعالى».
- (٣) في (م) و(ع): «قال».
- (٤) في (م) و(ع): «يا عبد الله رفيقك».
- (٥) وهي من المصطفيات المتعبدات الكوفيات. ابن الجوزي، الصفة، ١٩٥/٣. المناوي، الكواكب الدرية، ١٧٤/١.
- (٦) عبارة «لي هي» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «فقيل لي».
- (٨) عبارة «فقلت لهم»، في (م) و(ع): «قلت».
- (٩) في (م) و(ع): «قالوا».
- (١٠) في الأصل: «الجنان»، والتصويب من (م) و(ع). والجَبَّان: المقابر. ابن منظور، اللسان، «جبن»، ٨٥/١٣.
- (١١) في (م) و(ع): «ليس الموعد هاهنا وإنما».
- (١٢) ثم: بمعنى هناك. ابن منظور، اللسان، «ثم»، ٨١/١٢. والمعنى: أن الملتقى في الجنة في الدار الآخرة.
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «فقالت».
- (١٥) وذلك مصداق قول الرسول ﷺ على ما جاء في الصحيح عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «الأرواح جنود مجنونة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب البر، باب الأرواح جنود مجنونة، رقم الحديث (٢٦٣٨/١٥٩)، ٢٠٣١/٤. وقد علقه البخاري في صحيحه عن عائشة ؓ بصيغة الجزم، كتاب الأنبياء، باب الأرواح جنود مجنونة، ٢٦٨/٤.
- (١٦) عبارة «بلغني.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا ابن زيد إنه بلغني أنه».

بعد القرب^(١)، وبعد الأنس الوحشة. ثم أنشأت تقول^(٢):

يَا وإِعْظاً قَامَ لِأَخْتِسَابِ^(٣) تَنْهَى وَأَنْتَ السَّقِيمَ حَقاً
يَرْجُرُ قَوْماً عَنِ الذُّنُوبِ لَوْ كُنْتَ أَضْلَخْتَ قَبْلَ هَذَا
هَذَا مِنَ الْمُتَنَكَّرِ الْعَجِيبِ كَانَ لِمَا قُلْتَ يَا حَبِيبِي
عَيْبِكَ أَوْ تُبَيْتَ مِنْ قَرِيبِ تَنْهَى عَنِ النَّعْيِ وَالْتِمَادِي
مَوْضِعِ صِدْقٍ مِنَ الْقُلُوبِ وَأَنْتَ فِي النَّهْيِ كَالْمُرِيبِ

[مخلع البسيط]

قال: قلت^(٤): «إني أرى هذه الذئاب مع الغنم؛ فلا الغنم^(٥) تفر^(٦) من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم، فأني شيء هذا؟ فقالت: إليك عني، فإني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح ما بين الذئاب والغنم. ثم أنشأت تقول^(٧)»:

لَوْ كُنْتُ لِي يَوْمَ النَّوَى^(٨) مُعِينَا لَمَّا يَرِدُوا مَاءً^(٩) اللَّوَى مَعِينَا
لَوْلَا الْهَوَى لَمْ أَذِرْ مَا طَعَمَ الرَّدَى وَلَا أَذْعَتْ سِرِّي الْمَضُونَا
تَصُدُّ لَيْلَى كُلَّ يَوْمٍ جَفْوَةً تُبِيدِي لَنَا مِنَ الْهَوَى قُنُونَا
بَانُوا وَفِي الْأَخْشَاءِ مِنْهُمْ لَوْعَةٌ يَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ أَنْ تَبِينَا
وَأَسْتَوْطِنُوا يَبْرِينَ^(١٠) مِنْ بَعْدِ الْجَمَى^(١١) يَا وَئِلَةَ الصَّبِّ^(١٢) عَلَى يَبْرِينَا^(١٣)
يَا لَهْفَتِي عَلَى الْجَمَى وَحُرْقَتِي^(١٤) أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ مَجْنُونَا

(١) في (م) و(ع): «وبدله بعد القرب البعد».

(٢) الجنبية: مصدر احتسابك الأجر على الله، والاحتساب: طلب الأجر. ابن منظور، لسان العرب، ٣١٤/١.

(٣) عبارة «قال: قلت»، في (م) و(ع): «فقلت».

(٤) عبارة «فلا الغنم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «تفرع».

(٦) في (م) و(ع): «اللوى».

(٧) عبارة «لم يردوا ماء»، في الأصل: «لم يزين دماء»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «تين»، وفي (م) و(ع): «تبرين»، والصواب ما أثبتناه. ويرين قبل بأعلى بلاد سعد، وهو رمل لا تدرك أطرافه عن يعين مطلع الشمس من حجر اليمامة، وقيل: من أصقاع البحرين، بينه وبين الفلج ثلاث مراحل، بينه وبين الأحساء وهجر مرحلتان. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٤٧٢/٣.

(٩) للعرب في الحمى أشعار كثيرة ما يعنون بها إلا حمى ضرية، وهو سهل الموطن، كثير الخلة، وأرضه صلبة ونباته مسنة، وبه كانت ترعى إبل الملوك. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٠٧/٢.

(١٠) في (م) و(ع): «يا ويلتي مني».

(١١) في الأصل: «تبييننا»، وفي (م) و(ع): «تبرينا»، والصواب ما أثبتناه.

(١٢) عبارة «يا لهفتي.. إلخ»، في الأصل: «يا لهفتي من بعد الحمى وإنني»، والتصويب من (م) و(ع).

حَرَفْتُمْ النُّومَ عَلَى طَرَفِي فَمَا أَظُنُّ طَرَفِي غَمَضَ^(١) الْجُفُونَا
حَاشَا لِسَمْعِي أَنْ يُرَى مُسْتَمِعَاً عَذَلًا وَحَاشَ الْقَلْبَ أَنْ يَخُونَا [١٢ب]
[بحر الرجز]

يا تائهاً في ليل الشباب أما ترى فجر المشيب، تسوّف بالتوبة^(٢) وعُصْنُ شَبَابِكَ غَضٌّ رَطِيبٌ،
فإذا وعظت^(٣) قلت عسى وكم دعيت فلا تجيب، أقعدتك أخلاط الخطايا عن النهوض إلى
الحبيب^(٤)، لا لركائب^(٥) المجتهدين ترافق ولا لنغمات المستغفرين تستجيب، مارستان^(٦) قلبك
ما فيه من ذخائر الأعمال طِبٌّ^(٧) ولا طيب، بيت وصلك خراب وبيت هجرك عامر وعقلك
حزين عليك كتيب، كم أطير بك إلى الفردوس وأنت في دُؤس البعاد^(٨) سليب، هذا صَبَّاغٌ^(٩)
المشيب أستوفى من القوة أوفر نصيب، إذا كان الجسم في المجلس والقلب وراء النهار مقلوب
في قلب^(١٠)، ليت شعري مع من أتحدث؟ لمن أزمزم^(١١)؟ مع من أطيّب؟ الحنظل^(١٢) لا يحلو
ولو كان في وسط دجلة^(١٣) ولا يطيب، لا في سموات المجتهدين^(١٤) تصعد ولا جسر^(١٥)
السحر تسلك، ولا تحسن السباحة، فكيف العبور لبر الحبيب؟ يا رفاق التائبين البدار^(١٦) فمنزّل
القبر قريب، كثّروا زاد التقوى ليوم^(١٧) السفر تجدوه، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.
قال صالح المري رحمه الله تعالى^(١٨): «قال لي مالك بن دينار رحمته الله: اغد علي يا صالح

- (١) في (م) و(ع): «يعرف».
(٢) في (م) و(ع): «عسا». وعسا الشيخ يعسو: كَثُرَ وأسن، من عسا القضيبي إذا يس. ابن منظور، اللسان، ٥٤/١٥.
(٣) عبارة «إلى الحبيب»، في (م) و(ع): «للحبيب».
(٤) في الأصل: «إلى ركائب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (ع): «بيمارستان». والمارستان: دار المرضى. الفيروزآبادي، القاموس، «مرس»، ص ٧٤١.
(٦) في (م) و(ع): «طيب».
(٧) في (م) و(ع): «دوس من البعاد». والدُّؤس: الذَّل. ابن منظور، اللسان، «دوس»، ٩٠/٦.
(٨) في الأصل: «إصباغ»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) القلب: هي البئر العادية القديمة التي لا يُعلم لها رَبٌّ ولا حافر. ابن منظور، اللسان، «قلب»، ٦٨٩/١.
(١٠) الرُّمَزَمَة: الصوت البعيد تسمع له دويّاً، وَرَمَزَمَ الأسد: صَوَّت. ابن منظور، اللسان، «زمم»، ٢٧٤/١٢.
(١١) الحنظل: الشجر المرّ. ابن منظور، اللسان، «حنظل»، ١٨٣/١١.
(١٢) في (م) و(ع): «الدجلة».
(١٣) في (م) و(ع): «لا في سماء زينة المجتهدين».
(١٤) في (م) و(ع): «على جسر».
(١٥) في (م) و(ع): «لا في سماء زينة المجتهدين».
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في الأصل: «اليوم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣/٣٣١. وصالح: هو صالح بن بشير، أبو بشر البصري، القاص الزاهد،
الخاص، واعظ أهل البصرة، توفي سنة ١٧٦هـ - ٧٩٢م، وقيل سنة ١٧٢هـ. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/٣٥٠.
الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٧١ - ٨٠٠هـ، ص ١٨٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/٢٨١.
(١٩) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

إلى الجبانة^(١) فإني قد وعدت نفرأ من إخواني بزيارة أبي جهير مسعود الضرير^(٢). فغدوت لموعد مالك إلى الجبانة^(٣)، فإذا معه محمد بن واسع وثابت البناني^(٤) وحبيب العجمي^(٥)، فقلت^(٦): هذا، والله يوم [١٣] سرور. فأنطلقنا نريد أبا جهير، وكان مالك إذا مر بموضع نظيف قال: يا ثابت صلّ هاهنا لعله يشهد^(٧) لك غداً. قال: وكان ثابت يصلي. ثم أنطلقنا حتى أتينا موضعه فسالنا عنه، فقالوا: الآن يخرج إلى الصلاة. فانتظرناه، فخرج علينا ورجل آخر أخذ بيده^(٨) حتى أقامه على^(٩) باب المسجد، ثم أمهل يسيراً، ثم دخل المسجد، فصلى ما شاء الله تعالى^(١٠)، ثم أقام الصلاة فصلينا معه. فلما قضى صلاته جلس هنيهة^(١١) بهيئة المهموم. فتواتر عليه^(١٢) القوم في السلام عليه، فتقدم محمد بن واسع فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله^(١٣)؟ قال^(١٤): رجل من أهل البصرة. قال: ما اسمك^(١٥)؟ قال: محمد بن واسع. قال: مرحباً بك، أنت الذي يقول^(١٦) هؤلاء القوم أنك أفضلهم، لله أنت إن قمت بشكر ربك، أجلس فجلس. فقام ثابت البناني فسلم عليه^(١٧)، وقال: من أنت

(١) عبارة «إلى الجبانة»، في (م) و(ع): «الجبَّان».

(٢) في الأصل: «أبي جبير»، وفي (م) و(ع): «أبي حميد»، والتصويب من (ب)، وحيثما ورد في القصة «أبو جبير» و«أبو حميد» فالصواب فيه «أبو جهير». وأبو جهير رجل قد انقطع إلى زاوية يتعبد فيها ولم يكن يدخل البصرة إلا يوم الجمعة في وقت الصلاة ثم يرجع من ساعته. ابن الجوزي، الصفة، ٣/٣٣١. النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ٢/٢٥١.

(٣) في (م) و(ع): «الجبَّان».

(٤) هو ثابت بن مسلم البناني، والبناني نسبة إلى بنانة من قرش، ويكنى أبا محمد، وكان من سادة التابعين، علماً وفضلاً وعبادة ونبلاً، توفي سنة ١٢٣هـ - ٧٤٠م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/٢٦٠. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/١٦١.

(٥) في (م) و(ع): «حبيب العطار». وحبيب هو: حبيب بن عيسى بن محمد العجمي، أبو محمد، وقيل: أبو مسلم، الفارسي أصلاً، ثم البصري سكناً، كان عابداً زاهداً مجاب الدعوة، توفي سنة ١١٩هـ - ٧٣٧م. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٦/١٤٩. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣/٣١٥.

(٦) في (م) و(ع): «قلت».

(٧) في (م) و(ع): «أن يشهد».

(٨) عبارة «فخرج علينا.. إلخ»، في (م) و(ع) «فخرج علينا رجل فأخذ بيده».

(٩) في (م) و(ع): «عند».

(١٠) عبارة «جلس هنيهة» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فقال».

(١٤) عبارة «قال ما اسمك» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «يزعم».

(١٦) في (م) و(ع) زيادة «فرد عليه السلام».

يرحمك^(١) الله تعالى^(٢)؟ قال: ثابت البناني، قال^(٣): مرحباً بك، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم^(٤) أنك من أطولهم صلاة، اجلس قد كنت أتمنك على ربي. قال: فقام إليه حبيب، فسلم عليه، فرد عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: حبيب. قال: مرحباً بك، أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك لم تسأل الله^(٥) شيئاً إلا أعطاك إياه^(٦)، فهلاً سألته أن^(٧) يخفي لك هذا، اجلس يرحمك الله، فأخذه^(٨) بيده وأجلسه إلى جانبه، ثم قام إليه مالك بن دينار، فسلم عليه، فرد [١٣ب] عليه السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال له: أنا مالك بن دينار^(٩). قال^(١٠): أنت الذي يزعم هؤلاء القوم أنك أزهدهم، اجلس يرحمك الله^(١١)، فالآن تمت أمنيته على ربي ﷻ^(١٢). قال صالح: فقمتم إليه فسلمت^(١٣) عليه، فرد عليّ السلام وقال: من أنت يرحمك الله؟ قلت^(١٤): صالح المرّي. قال: أنت الفتى القاري؟ قلت: نعم. قال: أقرأ عليّ^(١٥) يا صالح. فأبتدأت فقرأت فما أستتمت قراءتي في^(١٦) الاستعاذة حتى خر مغشياً عليه، ثم أفاق. قال: أعد^(١٧) قراءتك يا صالح، فأبتدأت وقرأت^(١٨) ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأً مَنْثُوراً﴾^(١٩). قال: فصاح صيحة ثم انكبّ على وجهه، فأنكشف بعض جسده، وجعل يخور كما يخور الثور، ثم هداً فدنونا^(٢٠) منه فإذا هو قد خرجت روحه رحمة الله عليه^(٢١). فسألنا هل له أحد؟ فقالوا: عجوز تخدمه تأتيه في بعض الأيام، فبعثنا إليها، فجاءت فقالت: ما له؟ قلنا^(٢٢): قُرئ عليه القرآن فمات. فقالت^(٢٣): حَقَّ له والله، من

-
- (١) في (م): «رحمك».
- (٢) عبارة «قال: ثابت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فقال: أنا ثابت البناني فقال».
- (٣) عبارة «هؤلاء القوم»، في (م) و(ع): «أهل هذه القرية».
- (٤) في (م) و(ع): «الله تعالى».
- (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «فأخذه».
- (٧) عبارة «فرد عليه السلام.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «فقال».
- (٩) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١١) عبارة «قراءتي في» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «قال أعد»، في (م) و(ع): «فقال عُد في».
- (١٣) عبارة «فأبتدأت وقرأت»، في (م) و(ع): «فقرأت».
- (١٤) سورة الفرقان، آية ٢٣.
- (١٥) في الأصل: «فدنا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «فقال»، وفي (ع): «قلت»، وهي من (م).
- (١٨) في (م) و(ع): «فقلت».

ذا الذي قرأ عليه القرآن^(١)؟ لعله صالح القارئ^(٢)؟ قلنا: نعم، وما يدريك أنه^(٣) صالح؟ قالت: لا^(٤) أعرفه غير أنني كنت أسمعه يقول: إذا^(٥) قرأ عليّ صالح قتلني. قلنا: هو الذي قرأ عليه. قالت: هو الذي قتل حبيبي. فهيأناه ودفناه رحمة الله عليه^(٦). شعر:

سَلَامٌ عَلَى قَلْبٍ تَعَرَّضَ^(٧) لِلنَّوَى^(٨) سَلَامٌ عَلَى قَلْبٍ تَعَرَّضَ^(٩) أَخْرَقَتْهُ شُجُونُ^(١٠)
وَعَذَّبَهُ هَمٌّ يُهَيِّجُ حُزْنَهُ وَلِلْهَمِّ^(١١) الْأَحْزَانُ فِيهِ فُتُونُ [١٤]
أَلَا هَلْ عَلَى الشُّوقِ الْمُبْرِجِ مُسْعِدٌ وَهَلْ لِي^(١٢) عَلَى الشُّوقِ الشَّدِيدِ مُعِينٌ
أَلَا أَمَّ عَلَى قَيْضِ الدُّمُوعِ وَلَا أَرَى مُجِيبًا كَغَيْبِ الدُّمُوعِ يَصُونُ
أَيْنَكِي حَمَامَ الْأَيْكِ^(١٣) مِنْ قَدْ إِنْهُ وَأَضْبِرْ عَنْهُ كَيْفَ ذَاكَ يَكُونُ^(١٤)
وَمَالِي لَا أَبْكِي وَأَنْدُبُ مَا مَضَى وَذَا الْهَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ دَفِينُ
[بهر الطويل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي اخترع الموجودات بلا شريك ولا معين، تعالى في علو شأنه عن صفات التمكين^(١٥) و^(١٦) التكوين، أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَنَزَلَ^(١٧) إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لِاسْتِغْفَارِ

- (١) عبارة «من ذا الذي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) في الأصل: «المصلي»، وهي ساقطة في (م) و(ع)، وقد وردت بلفظ «القارئ» في الصفة، وهي الأصوب.
- (٣) في (م) و(ع): «من».
- (٤) في (م) و(ع): «ما».
- (٥) في (م) و(ع): «إن».
- (٦) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «تعرّض»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «على من».
- (٩) في (م) و(ع): «على من».
- (١٠) الشجون: الهم والحزن. ابن منظور، اللسان، «شجن»، ٢٣٢/١٣.
- (١١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٢) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) الأيك: الشجر المُلْتَف الكثير، والغَيْضَةُ ثُبْتُ السُّنْدِ والأراك. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، «أيك»، ص ١٢٠٣.

(١٤) شطر هذا البيت وسابقه أقتباس من شعر لرجل من بني نهشل. ينظر: الأمالي للقالبي، ١٣١/١.

(١٥) في الأصل: «المكين»، وهي ساقطة في (م) و(ع)، والتصويب من (ب).

والتمكن في اصطلاح الصوفيين: هو مقام الروسخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكين. علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص ٩٦. وهذا مما يستحيل على الله ﷻ لأن الله ﷻ لا يتبدل ولا يتطور ولا ينتقل من حال إلى حال، وهو منزّه عن التقلب والتغير بالقدرة، فقدرته واحدة وصفاته واحدة، يستحيل عليه سبحانه الكم في الذات والصفات.

(١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «وينزل أمره»، والتصويب من (م) و(ع)، وذلك لما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ؓ أن الرسول ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى =

المستغفرين^(١)، ﴿الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتًا﴾^(٢) باليمين^(٣)، ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾^(٤)، أبدعه من نقطة حقيرة وسفره في أقاليم الأوطار^(٥) ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيصٌ مِّثْرِيْنٌ﴾^(٦)، سلط عليه الشهوة ليعلم أنه ذليل مهين، فأهل المعاصي جفت أعينهم^(٧) من العبرات فلا مُعِين ولا مَعِين، والأحباب بالباب^(٨) يناديهم حبسهم^(٩) نداء المحبين ﴿تَارِعُوا إِلَيَّ مَغْفِرُونَ مَن رَّبَّكُمْ وَجَعَتْ عَزْمَتُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٠).

يا من ثوبه بالمعاصي قد^(١١) تمزق، يا من وجهه^(١٢) بالغفلة^(١٣) أخلق^(١٤)، إذا طلبت الآخرة سامحت، وإذا طلبت الدنيا تتحقق، همتك في طلب الدنيا في الثريا وفي طلب الآخرة في الثرى ولا أسف ولا قلق، سبقت السعادة لقوم وكل منهم إلى الحبيب أسبق^(١٥)، وأهل الشقاء كلما راموا المتاب طبّق عليهم الخذلان طبق، يا أهل الذنوب كلنا أهل [١٤ب] المصائب^(١٦) فأين البكاء وأين الحُرق؟ إن لم تصالح مولاك في مجلس الذكر أما تخاف باب التوبة يغلق، تطلب أرياح الصين وأنت في رق^(١٧) الشهوات هيئات غيرك سبق، أما تستحي

= ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فاستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له. الإمام البخاري، الصحيح، كتاب تقصير الصلاة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم الحديث (١٧٥)، ١٢١/٢.

(١) في (م) و(ع) زيادة «نزولاً يليق بجلاله وهو القوي المتين».
(٢) في (م) و(ع): «الأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات». وقوله: ﴿الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الزمر، آية ٦٧.
(٣) قوله هذا كناية عن قدرة الله ﷻ وإحاطته بجميع مخلوقاته، يقال: ما فلان إلا في قبضتي، بمعنى ما فلان إلا في قدرتي. واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك. ومنه قوله تعالى: ﴿لَاخِذْنَا يَنَّهُ بِأَيْمِينٍ﴾ [الحاقة: ٤٥]. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٧/١٥. وقد أخرج البخاري في هذا المعنى عن أبي هريرة ربه أن رسول الله ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض». البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿مَلِكِ آلَنَاسِ﴾، رقم الحديث (١١)، ٢٠٨/٩.

(٤) قوله: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ٧.
(٥) عبارة «وسفره.. إلخ»، في الأصل: «وصفوة في أقاليم الأوطار»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيصٌ مِّثْرِيْنٌ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة النحل، آية ٤، وسورة يس، آية ٧٧.
(٧) في (م) و(ع): «عيونهم».
(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «محبوبهم».
(١٠) سورة آل عمران، آية ١٣٣.
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (ع): «بالغلظة».

(١٤) خَلَقَ الشَّيْءَ وَأَخْلَقَ: بَلَّى. ابن منظور، اللسان، «خلق»، ٨٨/١٠.

(١٥) في (م) و(ع): «استبق».

(١٦) في (م) و(ع): «مصائب».

(١٧) في (م) و(ع): «ريف».

تعصي من خلقك^(١) من علق^(٢)، همتك أبرد من كانون^(٣) متى تكون^(٤) أحر من كانون^(٥) وشيطان تسويقك أحترق، هذا منادي التوبة^(٦) يُنادي رجال^(٧) التائبين ﴿سَارِعُوا إِلَّكَ مَغْفِرَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَمَّا هُمَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى قال^(٨): «مرض^(٩) رجل من أولياء الله تعالى^(١٠) مرضاً مشكلاً، فكان الناس إذا رأوه قالوا: مجنون. فأكثرُوا عليه، فلما عظم كلام الناس في أمره قالوا له: نعالجك؟ فقال لهم: يا قوم أعلموا^(١١) أن لي طبيباً: إن سألتَه دأوى لي كل عليل، لكن^(١٢) لا أسأله أن يداويني. فقبل له: ولمْ ذلك^(١٣) وأنت تحتاج إلى الدواء؟ قال^(١٤): أخشى إن برئت من العلة طغيت. فقبل له: إن لنا مجنوناً فأسأل^(١٥) طبيبك أن يداويه. قال: نعم، آتوني به. فأتوه برجل في عنقه غلّ عظيم، ويداه مشدودتان إلى عنقه بقيد^(١٦) ثقيل، قد أستمكنت منه العلة. ثم^(١٧) قال لهم: خلوا بيني وبينه^(١٨). فعمد جهال القوم إلى يديه فخلوها وأدخلوه معه في البيت الذي كان فيه وأغلقوا عليهم^(١٩) الباب وهم يظنون أنه سيفضي إليه بمكرهه. فلما كان بعد ساعة صاحوا به فأجابهم وكلمهم وخرج إليهم بكلام عاقل وهو يبكي بكاء [١٥] شديداً. فقالوا له: أخبرنا بقصتك وما كان منك^(٢٠). فقال لهم: دخلت على هذا الرجل وأنا على ما قد علمتم من علتي لا أعقل شيئاً كما رأيتموني، فقربني إليه^(٢١) وأدانني وجعل يده^(٢٢) على صدري، والأخرى على رأسي، فأحسست بطعم

(١) في (م) و(ع): «صَوْرَكَ».

(٢) العَلَقُ: هو الدم الجامد قبل أن يبس. ابن منظور، اللسان، «علق»، ٢٦٧/١٠.

(٣) أي شهر كانون البارد.

(٤) في (م) و(ع): «تعود».

(٥) أي: المؤقّد.

(٦) في (م) و(ع): «الموعظة».

(٧) في (م) و(ع): «رحايل».

(٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢١٨/٤. وسهل: هو سهل بن عبد الله التستري أبو محمد، صاحب كرامات، وكان له اجتهد رياضات، وهو ورع، سكن البصرة زماناً، وعبادان مدة، توفي سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦م، وقيل سنة ٢٧٣هـ - ٨٨٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٦٤/٤. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٢٣٢.

(٩) في (م) و(ع): «مرض علينا».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع): «لكن أنا».

(١١) في (م) و(ع): «فقال».

(١٢) في (م) و(ع): «فقال».

(١٣) في (م) و(ع): «فقال».

(١٤) في (م) و(ع): «فقال».

(١٥) في (م) و(ع): «فقال».

(١٦) في (م) و(ع): «فقال».

(١٧) في (م) و(ع): «فقال».

(١٨) عبارة «خلوا بيني وبينه»، في (م) و(ع): «خلوني معه».

(١٩) عبارة «وأغلقوا عليهم»، في (م) و(ع): «فأغلق عليه».

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في الأصل: «يداه»، والتصويب من (م) و(ع).

البرء يدب في جسدي^(١) حتى زال ما بي . فقالوا له^(٢) : ادخل معنا إليه فنسأله أن يدعو لنا^(٣) ، فدخل مع القوم إليه فلم يجدوه في البيت ، وستره الله ﷻ^(٤) عنهم ، فمن عقل منهم عظمت ندامته ، وأكثر^(٥) أسفه . قال سهل : وهو رجل من أهل بيت المقدس يقال له : إدريس بن أبي خولة^(٦) ، ونفع به^(٧) . شعر^(٨) :

وَحَقِّقْكُمْ وَهُوَ عِنْدِي غَايَةُ الْقَسَمِ
وإن تَزَايَدَ دَمْعِي بَعْدَ بُعْدِكُمْ
لِإِلَائِمِي فِيكُمْ مِنِّي فُؤَادُ هَوَى
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ أَرْضِكُمْ
أَيَّامَ لَمْ أَقْتَنِعْ فِيهَا بِوَضْلِكُمْ
وَاهَا عَلَى مَا مَضَى^(٩) لَوْ دَامَ رَائِقُهُ
يَا رَاكِبَ الْبَيْدِ يَبْغِي قَفْرَهَا^(١٠) عَجَلًا
عَرَّجَ بِدَارِ سُلَيْمَى وَأَقْرَ سَاكِنَهَا

لَأَجْعَلَنَّ نَدِيمِي بَعْدَكُمْ نَدِيمِي
لَأَمْرَجَنَّ^(١١) دُمُوعِي فِيكُمْ بِدَمِي
أَفْنَاءُ شَوْقِي لِرَدِّ^(١٢) اللوم من^(١٣) صَمَمٍ
إِلَّا ذَكَرْتُ لِيَالِينَا بِذِي سَلَمٍ^(١٤)
عَوَّضْتُ مِنْهَا تَمَنِّي الطَّيْفِ فِي الْحُلَمِ
وَجَدًا^(١٥) وَاهَا عَلَيْهِ كَيْفَ لَمْ يَدُمِ
وَيَقْطَعِ السَّيْرَ بِالْوَسَادَةِ^(١٦) الرَّسَمِ^(١٧)
عَنِّي السَّلَامَ وَطُفَ بِالرَّبْعِ وَأَسْتَلِمَ

[بحر البسيط]

يا بائعاً نفيس^(١٨) أنفاسه بأبخس الثمن^(١٩) ، يا من سكن إلى الدنيا وليست له بمسكن^(٢٠) ،

(١) في (م) و(ع) : «جسمي» .

(٢) عبارة «فنسأله .. إلخ» ، في (م) و(ع) : «نسأله يدعو الله لنا» .

(٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع) .

(٤) إدريس بن أبي خولة الأنطاكي ، من العباد المذكورين ، وكان يكون ببيت المقدس حكى عنه سهل بن عبد الله التستري . ابن الجوزي ، الصفة ، ٢٤٤/٤ . ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، ١٣٣٤/٣ .

(٥) عبارة «رضي الله .. إلخ» ساقطة في (م) و(ع) .

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل ، وهي من (م) و(ع) .

(٧) في (م) و(ع) : «برد» .

(٨) ذو سلم : واد ينحدر على اللذائب ، واللذائب : في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢٤٠/٣ .

(٩) في (م) و(ع) : «دواها لما قد مضى» .

(١٠) في (م) و(ع) : «دواها لما قد مضى» .

(١١) عبارة «يفني قفرها» ، في (م) و(ع) : «يفني هامها» .

(١٢) أَوْسَدَ فِي السَّيْرِ : أَغْذَى . ابن منظور ، اللسان ، «وسد» ، ٤٦٠/٣ .

(١٣) الرَّسَمُ : حَسَنُ الْمَشْيِ . ابن منظور ، اللسان ، «رسم» ، ٢٤٢/١٢ .

(١٤) في (م) و(ع) : «نفائس» .

(١٥) في (م) و(ع) : «بأبخس ثمن» . والبخس النقص والظلم ، وبخسه : كمنعه . الفيروزآبادي ، القاموس ،

«بخس» ، ص ٦٨٤ .

(١٦) في (م) و(ع) : «بمسكن» .

بعت ما يبقى بما يفنى وما تفتنت الغبن^(١)، ظاهر بطل [١٥ب] وباطن وراء أستوى في الظلمة السر والعلن، ما^(٢) تمشي إلا^(٣) في ظلمة الشهوة يا أعمى البصيرة، يا من هو بالغفلة ممتحن، كم بنار الشهوة^(٤) تحرق نفسك! التزم^(٥) - ويحك - فراش الحزن، تنسج^(٦) على نفسك خيوط^(٧) الخطايا وأنت تفرح كدود القز^(٨) يموت وسط^(٩) ما حصن، ويحك إذا عصيت المغيث فالمستغاث بمن؟ معاشر الفقراء قد^(١٠) طاب السماع فإن لم تطيقوا^(١١) فمن؟ كأنني أستنشق نسائم^(١٢) الزفرات من زوايا القلوب، فبا معشر السالكين «سَارِعُوا إِلَيَّ مَغْفِرَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ».

مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال^(١٣): «أحتبس المطر عنا^(١٤) بالبصرة، فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقي فلم نر أثر الإجابة^(١٥). فخرجت أنا وعطاء السلمي^(١٦) وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرون^(١٧) حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقيناه فلم نر أثر الإجابة، وأنصرف الناس، وبت أنا و ثابت في المصلى^(١٨). فلما أظلم الليل إذا بأسود رقيق الساقين، عظيم البطن، عليه مئزران من صوف، فجاء إلى ماء فتوضأ منه^(١٩)، ثم صلى ركعتين خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال^(٢٠): سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك؟ أنفذ ما عندك؟ أقسمت عليك بحبك لي إلا ما أسقيتنا^(٢١) غيثك الساعة

- (١) عبارة «وما تفتنت الغبن»، في (م) و(ع): «وما فطنت للغبن». وغبت في البيع غَبْنَا إذا غَفَلْتَ عنه. وَغَبَنَهُ يَغْبِنُهُ غَبْنًا: أي خدعه. ابن منظور، اللسان، «غبن»، ٣١٠/١٣.
- (٢) في (م) و(ع): «لا».
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «يا أعمى البصيرة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «الزم».
- (٦) في (م) و(ع): «أتنسج».
- (٧) في الأصل: «خطوط»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) في الأصل: «الغزل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «وسط الغزل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «تطيعوا».
- (١٢) في (م) و(ع): «نفائس».
- (١٣) في (ع): «وعن مالك بن دينار قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٩/٤.
- (١٤) في (م) و(ع): «علينا».
- (١٥) في (م) و(ع): «فلم نر أثراً للإجابة».
- (١٦) في الأصل (م) و(ع): «السلمي»، والتصويب من صفة الصفوة، وهو عطاء السلمي الزاهد عابد أهل البصرة، يحكى عنه أمر يتجاوز الحد في الخوف والحزن، وله كلام دقيق في الزهد. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٢٥/٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٢١ - ١٤٠هـ، ص ٤٩٢. وميزان الاعتدال، ٧٨/٣.
- (١٧) في (م) و(ع): «في آخرين».
- (١٨) عبارة «بالبصرة فاستسقيناه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «سقيتنا».

الساعة^(١)، فما تم^(٢) كلامه حتى تغيّمت السماء، وأخذنا المطر^(٣) كأفواه القرب، فما خرجنا حتى خضنا الماء، فعجبنا من الأسود فتعرضت له [١٦] وقلت^(٤): أما تستحي فيما قلت؟ فقال^(٥): وما قلت؟ قلت^(٦) له: لِمَ تقول^(٧) بحبك لي، وما يدريك أنه يحبك؟ فقال: تنجّ عني، يا من أشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصني^(٨) بتوحيده ومعرفته أترى بداني بذلك إلا لمحبهته لي! ثم بادر يسعى. فقلت له: أرفق بنا. فقال: أنا مملوك عليّ فرض من طاعة مولاي^(٩) الصغير، فدخل إلى^(١٠) دار نخاس. فلما أصبحنا أتينا دار النخاس^(١١) فقلت له: أعنك غلام تبّيعه للخدمة؟ قال: نعم، عندي قدر المائة غلام^(١٢). فجعل يخرج إليّ^(١٣) غلاماً بعد غلام^(١٤) وأنا أقول: غير هذا، إلى أن قال: ما بقي عندي أحد. فلما خرجنا إلى الباب^(١٥) إذا^(١٦) بالغلام الأسود في حجرة خربة، فقلت: بعني هذا الغلام. فقال: هذا غلام مشوم لا همّة له إلا البكى. فقلت: ولهذا أردته^(١٧). ودعاه^(١٨) وقال: خذه بما شئت بعد أن تبريني من عيوبه. فأشتريته^(١٩) بعشرين ديناراً. فلما خرجنا قال: يا مولاي، لماذا أشتريتني؟ قلت^(٢٠): لأحررك. قال^(٢١): ولمّ ذلك؟ قلت: أألت^(٢٢) صاحبنا البارحة بالمصلى؟ قال: أو قد أطلعت على ذلك؟ قلت: نعم^(٢٣)، فجعل^(٢٤) يمشي حتى دخل مسجداً^(٢٥) فصلى ركعتين ثم قال: إلهي وسيدي سر الذي^(٢٦) كان بيني وبينك^(٢٧) أظهرته للمخلوقين أقسمت

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «وأخذنا المطر»، في (م) و(ع): «وأحدثت شيئاً».

(٣) في (م) و(ع): «فقلت: يا هذا».

(٤) في (م) و(ع): «فقلت».

(٥) في (م) و(ع): «اختصني».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «أتينا دار النخاس»، في (م) و(ع): «أتيت النخاس».

(٨) في (م) و(ع): «عندي مائة غلام».

(٩) عبارة «غلاماً بعد غلام»، في (م) و(ع): «واحد بعد واحد».

(١٠) عبارة «إلى الباب» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ولذلك أريده».

(١٢) في (م) و(ع): «فأشتريته منه».

(١٣) في (م) و(ع): «فقال لي».

(١٤) عبارة «قلت نعم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «وجعل»، وهي من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «حتى دخل مسجداً»، في (م) و(ع): «حتى اجتزنا بمسجد فقصد المسجد ودخل ودخلت معه في إثره».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «لا يعلمه أحد».

عليك إلا قبضت^(١) رُوحِي الساعة، فإذا هو ميت رحمه الله تعالى^(٢)، فقبره^(٣) يستسقى به^(٤) وتطلب الحوائج به إلى يومنا هذا غفر الله له ورحمه ورضي عنه^(٥). [١٦ب] شعر^(٦):
 مِنْ هَوَى جَدِّ بِقَلْبِي^(٧) يَوْمَ جَدُّوا لِلْحَمَى^(٨)
 قَتَلَ الرَّامِي بِهَا^(٩) نَظْرَةً كَانَتْ فَعَادَتْ حَسْرَةً
 فَعَسَى الْأَخْبَابَ جَاؤُوا رَوْحًا فِي^(١٢) وَادِي الْغُضَا^(١٣)
 تَرَكُوا نَجْدًا وَحَلُّوا الْأَبْطَحَا^(١٥) وَسَلُّوا^(١٤) الْوُرَادَ مَا الْعَهْدَ بِهِمْ
 شَدَّ مَا هَجَّتْ^(١٦) الْهَوَى وَالْبَرْحَا يَأْتِسِمُ الرِّيحُ مِنْ كَاظِمَةٍ
 إِنَّهَا كَانَتْ لِقَلْبِي^(١٧) أَرْوَحَا^(١٨) الصَّبَا إِنْ كَانَ لَا بَدَ الصَّبَا
 ذَلِكَ^(٢٠) الْمَغْبِقُ وَالْمُضْطَبَّحَا^(٢١) يَأْتِدَامَايَ بِسَلْعٍ^(١٩) هَلْ أَرَى

- (١) في (م) و(ع): «إلا ما قبضت».
- (٢) في (م): «فإذا هو ميت رحمه الله، فأخذت في جهازه وكفنه ودفنته»، وفي (ع): «فإذا هو ميت، فأخذت في جهازه وكفنه ودفنته».
- (٣) في (م): «فقبره».
- (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) عبارة «غفر الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأيات للمهيار، انظر: الديوان، ٢٠٢/١.
- (٧) العذير: النصير، يقال: من عذيري من فلان أي من نصيري. ابن منظور، اللسان، «عذر»، ٥٤٨/٤.
- (٨) عبارة «يوم جدوا للحمى»، في (م) و(ع): «يوم جد بي الحما»، وهي في الديوان: «يوم شرقي الحمى».
- (٩) في الأصل: «من قلبي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «به».
- (١١) العيس: الإبل تضرب إلى الصفرة. ابن منظور، اللسان، «عيس»، ١٥٢/٦.
- (١٢) في (م) و(ع): «من».
- (١٣) وادي الغضا: هو واد بنجد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢٠٥/٤.
- (١٤) في (م) و(ع): «وسل».
- (١٥) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب وهو الْمُحْطَب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٧٤/١.
- (١٦) عبارة «ما هجت»، في الأصل: «مهجتي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «للقلب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) رَحَتْ رائحة طيبة أو خبيثة وَأَزَوَّحْتُهَا وجدتها. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٤٥٧/٢.
- (١٩) سَلْعٌ: بالفتح ثم السكون، الجبل الذي على باب المدينة. وسيلع: بكسر السين، مواضع منسوبة بالبادية. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٧٢٧/٢.
- (٢٠) في الأصل: «ذاك»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢١) الغَبَقُ والاغْتَبَاقُ: شرب العشي، والغُبُوقُ: الشرب بالعشي. والصَبُوحُ: كل ما أكل أو شرب غدوةً، وهو خِلاف الغُبُوقِ، وَصَبَّحَهُ يَصْبِغُهُ صَبِغًا، وَصَبَّحَهُ سَقَاهُ صَبُوحًا فهو مُضْطَبَّحٌ. ابن منظور، اللسان، «غبق»، ٢٨١/١٠، و«صبح»، ٥٠٣/٢، ٥٠٤.

اَذْكُرُونَا ذَكَّرُونَا عَهْدَكُمْ رُبَّ ذِكْرِي قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا
 اِزْحَمُوا صَبَاً اِذَا غَنَى بِكُمْ شَرِبَ الدَّمْعَ وَعَافَ الْقَدْحَا
 قَدْ شَرِبْتُ الصَّبْرَ عَنْكُمْ مُكْرَهَا وَتَبَعْتُ السُّقْمَ فَيْكُمْ مُسْمِحَا^(١)
 وَغَرَفْتُ الْهَمَّ مِنْ بَعْدَكُمْ فَكَأَنِّي مَا عَرَفْتُ الْفَرَحَا
 [بحر الرمل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لا تغيره الحوادث ولا تبليه^(٢) تعاقب الأزمان والدهور، أول لا من عدد، آخر لا بأمد^(٣)، ظاهر لا بالرصد، باطن لا^(٤) يحد^(٥) ﴿يَلْمُ خَلْقَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٦)، ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا عنصر ولا طبيعة^(٧)، تقدس^(٨) من حجابهِ النور^(٩)، المعطل أكمه، والجاحد أعمى، والمجسم أعشى، والمشبّه^(١٠) في سجن الجهل

(١) في الأصل (م) و(ع): «سمحا»، والتصويب من الديوان.

(٢) في (م) و(ع): «يليه».

(٣) في (م) و(ع): «بالمدد»، وهو تصحيف. والأمد: الغاية. ابن منظور، اللسان، «أمد»، ٧٤/٣.

(٤) في (م) و(ع): «فلا».

(٥) في الأصل: «بالحد»، والتصويب من (م) و(ع). والأول والآخر والظاهر والباطن من أسماء الله تعالى؛ فالأول هو السابق للأشياء، والآخر الباقي بعد فناء الخلق، والظاهر بحججه الباهرة، وشواهد الدلالة على صحة وحدانيته، والباطن هو المحتجب عن أبصار الخلق الذي لا يستولي عليه توهم الكيفية. ابن الجوزي، زاد المسير، ١٦١/٨.

(٦) قوله: ﴿يَلْمُ خَلْقَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة غافر، آية ١٩.

(٧) أي: أن الله تعالى ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر [لأن الجسم ما له طول وعرض وعمق، ولأن الجوهر هو أصل الشيء وهو ما يتركب منه الجسم، وله حد يقف عنده وغاية ينتهي إليها، وهو مقدر يدخل تحت التقدير، وكل ذلك مما ينزهه الباري عنه]، وأنه لا يماثل الأجسام، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر، ولا بعرض ولا تحله الأعراض [لأنه لو كان جوهرًا أو عرضًا لجاز عليه ما يجوز على الجواهر والأعراض، وإذا جاز ذلك لم يصح أن يكون خالقًا، والله خالق كل شيء جلّ جلاله] بل لا يماثل موجودًا ولا يماثل موجود [لأنه لو كان كذلك لكان مخلوقًا مثل ذلك من حيث إنه يماثل، لأن الموجودات كلها مخلوقة لله تعالى وهي غير الله وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَفَوَّ السَّوْجُ الْبَعِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. الغزالي، قواعد العقائد، ص ٥١.

(٨) في (ع): «جل».

(٩) قوله هذا إشارة إلى معنى حديث الرسول ﷺ الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، ونصه: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، رقم الحديث (١٧٩/٢٩٣)، ١٦١/١.

(١٠) الأكمه: الأعمى الذي لا يبصر فيتحيّر ويتردد. ابن منظور، اللسان، «أكمه»، ٥٣٦/١٣. والمعطل هو المنكر لصفات الكمال في الله، والجاحد هو المنكر لوجود الله سبحانه. حينكة، عيد الرحمن، العقيدة الإسلامية، ص ٧٢٠، بتصرف. والمشبّه: هو الذي شبه ذات الباري بذات غيره، أو صفاته بصفات غيره، والمجسم هو الذي زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية، وأنه طويل عريض. الإسفراييني، الفرق بين =

مأسور، أنزل من المعصرات^(١) ماء أحيأ به النبات منظومه والمثبور^(٢)، نقله إلى الأغذية فتولد عنه المني لإيجاد الإناث من الحيوان^(٣) والذكور، ليظهر فيهم فضله وعدله [١٧] فهذا مجبور وهذا مكسور، نقش في ألواح أرواحهم يوم الإيجاد حروف الحبور والثبور^(٤)، فكل يجري لما لا يدري، غيب عنهم عواقب الأمور، ثم رماهم بسهم المنية الصائب فأصاب منهم النحور، ثم عزاهم بقوله ليعلموا عدله في قضائه وأنه لا يجور، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ الْجُؤَرَ كَمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِنَ عَنِ الْعَارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾^(٥)، فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه، يكسر الصحيح ويجبر المكسور، أحمدته حمد من يرجو رحمته لعلمه أنه الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها^(٦) ليوم النشور^(٧)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شفيع الأمة يوم يبعث من^(٨) في القبور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما دامت الأزمان والدهور.

يا أخي تتعاضى عن الطريق والحق واضح، غلب عليك طرش^(٩) الغفلة فلا تعي^(١٠) لنصح ناصح، تبيع الباقي بالفاني ولا تعلم أخاسر أنت أم رابع، ويحك كم إصراراً كم تماسي الذنوب^(١١) كم تصايح! خرب إقليم^(١٢) عمرك الكبير وبدا لك علم^(١٣) المشيب لانتح، كم تملئ^(١٤) الخطايا أمثلاً الدستور^(١٥) بالفضائح، ملئ الملك^(١٦) ولا تستقيح القبايح، كل عمرك

= الفرق، ص ٢٢٥، بتصرف. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

(١) المعصرات: سحاب ذوات المطر. ابن منظور. اللسان، «عصر»، ٥٧٨/٤.

(٢) أي: مجموعته والمثبور. (٣) في (م) و(ع): «لإيجاد إناث الحيوان».

(٤) الحبور: النعمة وسعة العيش. والثبور: الهلاك والخسران والويل. ابن منظور، اللسان، «حبر»، ١٥٨/٤،

و«ثبر»، ٩٩/٤. وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بطن أمه أربعين يوماً، ثم علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل

ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله وشقي أو سعيد، فوالله إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل

أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيُسَبَقَ عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها،

وإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل

بعمل أهل النار فيدخلها». البخاري، الصحيح، كتاب القدر، باب ١، رقم الحديث (١)، ٢١٩/٨.

(٥) سورة آل عمران، آية ١٨٥. (٦) في (م) و(ع): «شهادة من أستعدها».

(٧) نشر الميت ينشر نشوراً: إذا عاش بعد الموت. ابن منظور، اللسان، «نشر»، ٢٠٦/٥.

(٨) عبارة «يبعث من»، في (م) و(ع): «يبعث ما». (٩) في (م) و(ع): «غلبك طرش».

(١٠) في الأصل: «تبغي»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «الذنب».

(١٢) في (م) و(ع): «أقاليم».

(١٣) عبارة «وبدا.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهذا علم».

(١٤) تملئ عمره: استمتع به. وتملى العيش وأملأه الله إياه وملاً: أمهله وطول له. ابن منظور، اللسان،

«ملا»، ٢٩٠/١٥. الفيروزآبادي، القاموس، ص ١٧٢١.

(١٥) في (م) و(ع): «الدويان». (١٦) في الأصل: «ملك»، والتصويب من (م) و(ع).

ليلة غفلة متى تتلمح فجر الهجر^(١) لائح، هواك في الفاني منجد وفي الباقي متهم متى أستوى^(٢) الغادي والرائح، قد ينال الوقفة من هو وراء السد^(٣) ويحرمها من^(٤) في [١٧ب] ثني^(٥) شر قُدر لا يطمح فيه طامح^(٦)، إن فاتتك التوبة قبل الحمام ثكلتك الثواكل^(٧) وناحت عليك النوائح، أما أن أن تتوب، أما أن أن تصالح، البقاء في الآخرة حقيقة وفي الدنيا زور^(٨) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَلَكِنَّا نُوَفِّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ مُلْعَبٌ﴾.

بعض الصالحين رحمه الله تعالى قال^(٩): «كنت ببيت المقدس جالساً مع رجل صالح، إذ طلع علينا شاب^(١٠) والصبيان حوله^(١١) يقذفونه بالحجارة ويقولون: مجنون. فدخل المسجد^(١٢) وهو يقول: اللهم أرحني من تعب^(١٣) هذه الدار. فقلت: هذا كلام حكيم فمن أين^(١٤) لك هذه^(١٥) الحكمة؟ فقال: من الله^(١٦) في الخدمة أورثه لطائف^(١٧) الحكمة، وأيده بأسباب العصمة، وليس بي جنون ولا ولق^(١٨)، بل هو^(١٩) قلق وحر^(٢٠)، ثم أنشأ يقول:

هَجَرْتُ الْوَرَى^(٢١) فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنِّعَمِ وَعَفْتُ الْكَرَى^(٢٢) شَوْقاً إِلَيْهِ فَلَمْ أُنِّمِ
وَمَوَّهْتُ دَهْرِي بِالْجَنُونِ عَنِ الْوَرَى لِأَكْتُمَ مَا بِي مِنْ هَوَاهُ فَمَا اكْتُمَ

- (١) في (م) و(ع): «الفرج».
- (٢) في (م) و(ع): «قد ينال الوقفة من وراء النهر». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورًا لَهُمْ بَابٌ يَبْتَغُونَ فِيهِ الرَّحْمَةَ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣].
- (٣) في (م) و(ع): «من هو».
- (٤) الثني: واحد أثناء الشيء أي تضاعيفه، تقول: أنفذت كذا ثني كتابي أي في طيه. ابن منظور، اللسان، ثني، ١١٥/١٤.
- (٥) في (م): «لا يطمح منه طامح». والمعنى لا تقبل معه توبة.
- (٦) الثكل: فقدان الحبيب، وثكلتك أمك أي فقدتك. ابن منظور، اللسان، «ثكل»، ٨٨/١١، ٨٩.
- (٧) الزور: الكذب والباطل. ابن منظور، اللسان، «زور»، ٣٣٦/٤.
- (٨) في (م) و(ع): «عن أبي الجوال قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٤٨/٤.
- (٩) عبارة «إذ طلع علينا شاب»، في (م) و(ع): «وإذا قد طلع شاب».
- (١٠) في (م) و(ع): «خلفه».
- (١١) في (م) و(ع): «فقلت فمن أين».
- (١٢) في (م) و(ع): «أخلص له».
- (١٣) في (م) و(ع): «طرائف».
- (١٤) عبارة «ولا ولق»، في (م) و(ع): «وولق». والولق: الاستمرار في الكذب، والأولق: الجنون. ابن منظور، اللسان، ٣٨٤/١٠.
- (١٥) في (م) و(ع): «فقرق».
- (١٦) في الأصل: «الكرى»، وهي من (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «المنى»، والتصويب من (م) و(ع).

فَلَمَّا رَأَيْتُ الشُّرُوقَ بِالْحُبِّ بَائِحًا
فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ فَقَدْ جَنَنْتَنِي الْهَوَى
لَقَدْ لَامَنِي الْوَأْثُونَ فِيكُمْ^(١) جَهَالَةً^(٢)
فَعَاتَبَهُمْ طَرْفِي بِغَيْرِ تَكْلُمٍ
سَأَلْتُكَ^(٣) يَا ذَا الْمَنِّ لَا تُبْعِدْنِي

كَشَفْتُ قِنَاعِي ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ نَعَمْ
وَإِنْ قِيلَ مَسْقَامٌ فَمَا يَبِي مِنْ سَقَمٍ
فَقُلْتُ لِيَطْرَفِي^(٣) أَظْهَرَ الْعُذْرَ فَأَحْتَشَمُ^(٤)
وَأَخْبَرَهُمْ^(٥) أَنَّ الْهَوَى يُورِثُ السَّقَمَ
وَقَرَّبَ مَزَارِي مِنْكَ يَا بَارِئَ النَّسَمِ^(٦) [١١٨]

[بحر الطويل]

فقلت^(٨): أحسنت، لقد غلط من سَمَّاكَ مجنوناً. فنظر إليّ و^(٩)بكى، فقال^(١٠): أَوَلَا^(١١) تسألني عن القوم كيف وصلوا فأتصلوا؟ قلت: بلى، أخبرني، قال: خرجوا إلى الخلاق^(١٢)، ورضوا منه بيسير الأرزاق، وهاموا بمحبته في الآفاق، وأنزروا بالصدق^(١٣) وأرتدوا بالإشفاق، وباعوا العاجل الفاني بالآجل الباقي، وركضوا في ميدان السباق، وشمروا تشمير الجهابذة^(١٤) الحذاق، حتى أتصلوا بالواحد الرزاق، فشردهم في الشواهد، وغيبهم عن الأحداق^(١٥)؛ لا^(١٦) تؤويهم دار ولا يقر بهم^(١٧) قرار، فالنظر إليهم أعتبار، ومحببتهم أفتخار، وهم صفوة الله الأبرار، ورهبان وأخيار^(١٨)، مدحهم الجبار، ووصفهم النبي المختار، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار^(١٩)، إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا،

(١) في (م) و(ع): «فيك».

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «صباية»، والتصويب من الصفة.

(٣) في (م) و(ع): «لقلبي».

(٤) في الأصل: «واحتشم»، وهي من (م) و(ع). والاحتشام: التَّقَشُّب، وحشمت فلاناً واحشمت أي أغضبت، واحتشمت منه بمعنى. ابن منظور، اللسان، «حشم»، ١٢/١٣٦.

(٥) في (م) و(ع): «فأخبرهم».

(٦) في (م) و(ع): «فبالحلم».

(٧) في (ع): «السقم».

(٨) في (م) و(ع): «ثم».

(٩) في (م): «ألا»، وفي (ع): «لا».

(١٠) عبارة «خرجوا... إلخ»، في (م) و(ع): «طهروا له الأخلاق». والمعنى: تجردوا من الدنيا، وتفرغوا لعبادة المولى.

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «المجاهدة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «الآفاق».

(١٤) في الأصل: «ولا»، وهي من (م) و(ع).

(١٥) عبارة «يقربهم»، في (م) و(ع): «يقربهم».

(١٦) عبارة «وهم صفوة الله... إلخ»، في (م) و(ع): «وهم صفوة أبرار، رهبان أخيار».

(١٧) عبارة «صلى الله عليه... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

وإن ماتوا لم يشهدوا^(١)، ثم أنشأ يقول:

كُنْ مِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ مُسْتَوْجِشاً
فَأَصْبِر^(٢) فَبِالصَّبْرِ تَنَالُ الْمُنَى
وَأَخْذَرِ مِنَ التُّنْطِقِ وَأَقَاتِهِ
وَجَدَ فِي السَّبْقِ^(٣) وَشَمَرَ كَمَا
أُولَئِكَ الصَّفْوَةُ فَيَمَنْ سَمَوْا
مِنْ الْوَرَى تَسْر^(٤) إِلَى الْحَقِّ
وَأَرْضَ بِمَا يَجْرِي مِنَ الرِّزْقِ
فَأَقَّة^(٥) الْمُؤْمِنِ فِي التُّنْطِقِ
شَمَّرَ أَهْلُ السَّبْقِ لِلْسَّبْقِ
وَحَيْرَةُ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ^(٦)

[بحر السريع]

قال: فأنسيث الدنيا عند حديثه، ثم ولى هارياً^(٧) فأنا متأسف عليه.

ويلي^(٨) أرى الزوايا من أرباب الأحوال أقفرت، أين الذين كانت المحاريب بدموعهم تعطرت؟ أين الذين كانت أقدامهم على بساط الدجى تسطرت؟ أين الذين كانت مجالس الذكر بأنفاسهم تنورت؟ أين الذين كانت أحوالهم^(٩) لزوايا القلوب [١٨ب] قد عمرت؟ أين الذين كانت كرامتهم على أحوالهم ظهرت، أين الذين كانت أنهار الحكمة^(١٠) من قلوبهم عند سماع ذكر الحبيب تغطرت^(١١)؟ تراهم فُقدوا أم عزائمنا الناقصة عن طريقتهم^(١٢) قصرت، جدوا و^(١٣) هزلنا و^(١٤) نمنا على فراش الغفلة وعيونهم في الدجى سهرت، جعلوا همهم واحداً فكيف

(١) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه الحاكم عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد يوماً فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكي، فقال: «ما يبكيك يا معاذ؟» قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «السير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الاتقياء الأخفاء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة». قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين، وقد احتجا جميعاً بزيد بن أسلم عن أبيه عن الصحابة، واتفقا جميعاً على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني، وهذا إسناد مصري صحيح ولا يحفظ له علة، ووافقه الذهبي في التلخيص وقال: صحيح ولا علة له. الحاكم، المستدرک، کتاب الإيمان، ٤/١.

(٢) في (م) و(ع): «تسري»، وهو تصحيف؛ وذلك لأن الفعل جواب الطلب مجزوم بحذف حرف العلة من آخره.

(٣) في (م) و(ع): «واصبر». (٤) في الأصل: «فأقات»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «السير».

(٦) البيت في الأصل:

«أولئك الصفوة التي لهم

والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «سائراً».

(٨) في (م) و(ع): «ويلاه».

(٩) في الأصل: «أنهار»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «طريقتهم».

(١١) في (م) و(ع): «تعطرت».

(١٢) في (م) و(ع): «واو ساقطة في الأصل، والتصويب من (م) و(ع)».

يراهم من همته في الفاني تحيرت، كلما زادت أحوالهم صفاء ازدادت أحوالنا في الحرمان وتكدرت^(١)، ستعلم قولي إذا حللت القبور ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجْرَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِجَ عَنِ الْكَارِ وَأُذْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ﴾. شعر^(٢):

يَا غَايِباً فِي لَهْوِهِ وَرَائِحاً إِلَى مَتَى تَسْتَخْسِنُ الْقَبَائِحَا
وَكَمْ إِلَى كَمْ لَا تَخَافُ مَوْقِفاً يَسْتَنْطِقُ اللَّهُ بِهِ الْجَوَارِحَا
وَأَعْجَباً^(٣) مِنْكَ وَأَنْتَ مُبْصِرٌ كَيْفَ تَكُونُ حِينَ تَقْرَأُ فِي غَدٍ
وَكَيْفَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ خَاسِراً صَحِيفَةً قَدْ حَوَتْ الْفَضَائِحَا^(٤)
يَوْمَ يَفُوزُ مَنْ يَكُونُ رَابِحاً^(٥)

[بحر الرجز]

مجلسي حرم الفضائل كعبته خطبته، زمزمه فصاحته، ذاك لما شرب له^(٦)، وذا لما سمع له، عرفاته^(٧) ذكر العارفين، مشعره^(٨) ذكر شعائر الصالحين، مناه أمن التائبين، خيفه^(٩) ذكر الخائفين، مقامه^(١٠) قيام التائبين^(١١)، مسعاه سعي السالكين، رمي جمراته رمي ذنوب المذنبين، حلقة حلق رؤوس النادمين، محلقيين ومقصرين^(١٢)، عمرته

(١) عبارة «ازدادت أحوالنا.. إلخ»، في (م) و(ع): «زادت أحوالنا في الحرمان كدراً وتغيرت».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لأبي عبد الله ابن الحاج البكري الغرناطي. المقرئ، نفع الطيب، ٣٢٦/٤.

(٣) في (م) و(ع): «يا عجباً».

(٤) البيت ساقط في (م) و(ع).

(٥) عبارة «يوم يفوز.. إلخ»، في الأصل: «يوم يفر من كان رابحاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) قوله: «ذاك لما شرب له» هو معنى الحديث الذي رواه جابر رضي الله عنه، ونصه: «ماء زمزم لما شرب له». رواه ابن ماجه، السنن، كتاب المناسك، باب الشرب من زمزم، حديث (٣٠٦٢)، ١٠١٨/٢. والإمام أحمد، المسند، رقم الحديث (٧٣٨/١٤٨٣٣)، (٨٨٣/١٤٩٧٨)، ٣٥٧/٣ - ٣٧٢. وفي إسناده ضعف، إلا أن له شواهد تحسنه. ميرغني، المعجم الوجيز، رقم الحديث (٧٢٢)، ص ٣٦٩.

(٧) عرفة وعرفات واحد، وهو الموقف في الحج، وحده من الجبل المشرف على بطن عرفة إلى الجبال المقابلة إلى ما يلي حوائط بني عامر. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٩٣٠/٢.

(٨) المشعر: هو مسجد مزدلفة، وهو على جبل صغير ينزل حوله في وسط مزدلفة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٢٧٥/٣.

(٩) الخيف: ما ارتفع عن موضع مجرى السيل ومسيل الماء وانحدر عن غلط الجبل. ابن منظور، اللسان، «خيف»، ١٠٢/٩. وخيف منى: هو الموضع الذي ينسب إليه مسجد الخيف. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٤٩٥/١.

(١٠) المَقَام: هو الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام حين رفع بناء البيت، وهو موضع بالمسجد الحرام، أمر الله ﷻ بالصلاة عنده، وهو معروف. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٢٩٥/٣.

(١١) في (م) و(ع): «القائتين».

(١٢) عبارة «حلقة.. إلخ»، وردت في (م) و(ع) بعد قوله: «قيام التائبين».

عمارة^(١) أيامه في الأسبوع، ويوم وقوفه يوم الخطبة، ويوم^(٢) طوافه طواف الملائكة بالتائبين، الحاضر فيه للدنيا^(٣) لا يصاد لأنه في حرمة التائبين، والعفو يشمل المتفرج والقاصد إلا الحاسد وإبليس، فإنهما مطرودان على باب المجلس، هذا مقروح^(٤) لما عاين من نزول الرحمة، وهذا مغموماً لما سمعه من البلاغة^(٥) والحكمة. اللهم^(٦) بعد أن طَلَقْتَ^(٧) لساني بالتحديث عنك^(٨) ثبتته على^(٩) توحيدك يوم الحاجة إليه، يا حبيب المحبين، تراني أمدح أحبابك وأنثر محاسنهم ولا تطلق لي خاصية^(١٠) عفوك، اللهم^(١١) أدخرك ليوم الحاجة ولا أفقر مني يوم حلول المنية فلا تقطع بي يا بر يا وصول^(١٢)، إلهي إن عصيتك بجوارحي فقلبي لتوحيدك^(١٣) طائع، فأغفر بطاعة القلب معصية البدن.

إخواني ناشدتكم الله من وجد منكم حلاوة في خلوته فليذكر المذكر من أسهم له في التوبة^(١٤) بنصيب فلا ينسى الدليل أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم^(١٥).



-
- (١) في (م) و(ع): «عمر».
 - (٢) كلمة «ويوم» ساقطة في (م) و(ع).
 - (٣) عبارة «الحاضر.. إلخ»، في الأصل: «الحاضر في الدنيا»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٤) في (م) و(ع): «مقروح».
 - (٥) في الأصل: «العلامة»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٦) في (م) و(ع): «إلهي».
 - (٧) في (م) و(ع): «أطلقت».
 - (٨) في الأصل: «عنه»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٩) عبارة «ثبتته على»، في (م) و(ع): «ثبت عليه».
 - (١٠) في (م) و(ع): «جامكية».
 - (١١) في (م) و(ع): «إلهي».
 - (١٢) في (م) و(ع): «رحيم».
 - (١٣) في (م) و(ع): «بتوحيدك».
 - (١٤) في الأصل: «التورية»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (١٥) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثالث

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي قسم بميزان العدل مقسوم الخلق والأخلاق والأرزاق والآجال، تفرد بعلم الخلائق يعلم الصغائر^(١) والكبائر والجزئيات والكلديات والأحوال، لا يفتقر في اختراعه الأكوان إلى مشير ولا معين^(٢)، جل الواحد ذو الجلال، [١٩ب] قبض القبضتين على حكم ما أراد، فهؤلاء لليمين وهؤلاء^(٣) للشمال^(٤)، أسعد بلا علة، وأشقى بلا سبب، فله^(٥) الحكم في الإدبار والإقبال، عجن طينة أهل القرب وطينة المبعدين^(٦) بطينة الخبال^(٧)، تجلى لأوليائه بأنسه فعلموا أنه تجلى لهم بالجمال، واحتجب عن المبعدين وإذا تجلى تجلى لهم^(٨) بالجلال، نعم أحبابه في مجلس الدجى بلذيد مناجاته وأفهمهم ألا مثل له^(٩) في الأمثال، تزايدت أشواقهم^(١٠) في طلب المشاهدة فهم من القلق في أهوال، علموا ألا راحة للمحب^(١١) إلا بمشاهدة^(١٢) محبوبه فهاموا في القفار والجبال، أشغلهم^(١٣) ذكر محبوبهم عنهم^(١٤) وأفناهم وجدهم عن^(١٥) القيل والقال، فأهل الدنيا على مزابل الدنيا^(١٦) سكارى من خمرة الآمال، وأهل الخلوة عمروا مساجد التقى وأعتكفوا بقلوب سمت إلى الكمال ﴿فِي يَوْمٍ أُوِّنَ

(١) في (م) و(ع): «الضماائر».

(٢) عبارة «اليمين وهؤلاء» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) قوله هذا إشارة إلى بعض الحديث الذي أخرجه الترمذي عن مسلم بن يسار عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون...» الحديث. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع عن عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً. الترمذي، الجامع، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأعراف، رقم الحديث (٣٠٧٤)، ٢٦٦/٥.

(٥) في (م) و(ع): «وله».

(٧) في (م) و(ع): «أهل الخبال». والخبال: الفساد. ابن منظور: اللسان، «خبيل»، ١٩٧/١١.

(٨) عبارة «تجلى لهم»، في (م) و(ع): «لهم تجلى». (٩) عبارة «ألا مثل له»، في (م) و(ع): «ما مثله».

(١٠) في الأصل: «إشراقهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «للمحبة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «بالمشاهدة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «شغلهم».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «على مزابل الدنيا»، في (م) و(ع): «على مزابلها».

اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَمْ فِيهَا بِالْقُدُّو وَالْأَصَالِ ﴿١١﴾ رِجَالٌ ﴿١٢﴾.

إخواني أين من كان له قلب^(٢) طائع فقطع، أين من كان له أنس بالطاعة فمنع، أين من كان له حال في الإخلاص ففجع، لازم ساقطة المجتهدين لا تنقطع، أندب في ماتم الأحزان على^(٣) التخلف يا منقطع، ما أرى للقبول عليك علامة^(٤) وبطابع البعد على قلبك طبع، كيف تسوف بالتوبة وربما تخرج من هذا المجلس ولا ترجع، إذا ضيعت أيامك في الغفلة أنت تعلم بماذا ترجع، جسمك في [٢٠] المجلس وقلبك في السوق، أف لك لا تعي^(٥) ولا تستمع، لا ذكر العذيب^(٦) يعذب لك ولا عند ذكر الأحباب تسترجع، إذا صعدت ثنية^(٧) الموت هنالك تعاین وتستطلع^(٨)، ولا ينجو من الأحوال إلا رجال علقوا همهم^(٩) في جميع الأحوال ﴿١١﴾ يُوْتِي أذنُ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَمْ فِيهَا بِالْقُدُّو وَالْأَصَالِ ﴿١٢﴾.

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى^(١٠): «بينما أنا أسير في بلاد المغرب إذا برجل على عريش البلوط^(١١) وعنده عين من الماء^(١٢) تجري، فأقمت عنده يوماً و ليلة أريد أن أسمع منه كلاماً^(١٣)، فأشرف عليّ بوجهه، فسمعتة يقول: شهد - والله - قلبي بالخضوع، وكيف لا يشهد قلبي بذلك، هيهات^(١٤) هيهات لقد خاب لديك المقصرون، سيدي ما أحلى ذكرك! أليس قصدك مؤملوك فنالوا ما أملوا، وجذت لهم بالزيادة على ما طلبوا، فقلت له: يا^(١٥) حبيبي إني مقيم عليك منذ^(١٦) يوم و ليلة أريد أن أسمع كلامك. فقال لي: قد رأيتك يا بطل حين أقبلت ولكن ما ذهب روعك من قلبي إلى^(١٧) الآن، فقلت له: ولم ذلك؟ وما الذي أفرعك مني؟ فقال لي^(١٨): بطالتك في يوم عملك، وتركك الزاد ليوم ميعادك^(١٩)، ومقامك على المظنون، فقلت له: يا حبيبي ما هاهنا فتية تستأنس بهم؟ فقال: بلى، هاهنا فتية^(٢٠)

- (١) سورة النور، آية ٣٦ - ٣٧.
(٢) في (م) و(ع): «عن»، وهو تصحيف.
(٣) في (م) و(ع): «لا تسمع»، وهي من (م) و(ع).
(٤) العذيب: تصغير العذب: ماء عن يمين القادسية، لبني تميم، بينه وبين القادسية أربعة أميال. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٩٢٥/٢.
(٥) الثنية: كل عقبة في الجبل مسلوكة، وقيل: هي الجبل نفسه. ابن منظور، اللسان، «ثني»، ١٢٣/١٤.
(٦) والمراد صعوبة الموت وأحواله.
(٧) في (م) و(ع): «وتطلع».
(٨) (١٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٠٦/٤.
(٩) في (م) و(ع): «عين ماء».
(١٠) في (م) و(ع): «وهيهات».
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «إلا».
(١٣) عبارة «فقال لي»، في (م) و(ع): «قال».
(١٤) عبارة «تستأنس.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «همتهم».
(١٦) في (م) و(ع): «من البلوط».
(١٧) في (م) و(ع): «أريد أن أسمع كلامه».
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «إلا».
(٢٠) في (م) و(ع): «معاذك».

متفرقون في رؤوس الجبال، فقلت: وما طعامهم في هذا المكان؟ قال^(١): طعامهم الفَلَق من البلوط، ولباسهم [الب ٢٠] الخَرْق من الثياب، و^(٢) قد يشسوا من الدنيا ويشت الدنيا منهم، أعطوا المجهود من أنفسهم فلما ضعفت المفاصل عن الركوع والسجود، وتغيرت الألوان من السهر^(٣) ضجروا إلى الله^(٤) بالاستغاثة. شعر^(٥):

دعوا نارَ قلبٍ طابَ فيه جَحيْمُها ومُهَجَةٌ^(٦) صَبَّ غَابَ عنها نَعيْمُها
وعَبْرَةٌ عانٍ^(٧) ما أَسْتَطَارَ لَعيْنِه سَنًا بَارِقٍ^(٨) إِلَّا اسْتَهَلَّ^(٩) غَيُومُها
فما لِجُفُونِي أَنْ تُحَاطِلَ في الهَوَى بِدَمْعِي وأيامُ الفِرَاقِ حُصُومُها
وما نَظْرَةٌ أَلْقَتْ يَدِي في يَدِ الهَوَى أَمَّا عَلِيتُ أَنَّ العَرَامَ غَريْمُها
لِي اللُّهُ من قلبٍ يُرَوِّعُه^(١٠) الصَّبَا إِذَا ما اسْتَغَلَّتْ مُظْمَنُنا نَسيْمُها
وَلِي^(١١) مِنْ هَواكُم ما تَقَادَمَ عَهْدُه وَأَسْبَى الحُمَيَّا^(١٢) لِلْعُقُولِ قَديْمُها
وَإِنْ تَسْأَلُونَا بَعْدَكُم عَن دِيَارِكُم ففِي القلبِ دارٌ ما تَغيبُ رُسُومُها
ودون التَّراقِي^(١٣) مِنْ سَرَائِرٍ^(١٤) حَبِكُم ودائِعُ ما بَينَ المَاقِي^(١٥) حُثُومُها
[بحر الطويل]

ويحك أين كنت لما خلع على أهل السَّهر، ما الذي خلفك عن إنعام أهل السحر، أَسَلت فِراش الغفلة حتى نالوا المقصود وما عندك^(١٦) خبر، دينار عملك مبهرج^(١٧) وعند الحك

-
- (١) في (م) و(ع): «فقال».
(٢) عبارة «عن الركوع».. إلخ ساقطة في (م) و(ع).
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) المهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مهجتها، وقيل: المهجة خالص النفس. ابن منظور، اللسان، «مهج»، ٣٧٠/٢.
(٥) في الأصل: «غار»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) سنا البرق: ضوءه، وسنا البرق: أضواء. ابن منظور، اللسان، «سنا»، ٤٠٣/١٤.
(٧) في (م) و(ع): «استهلت».
(٨) في (م) و(ع): «وبي».
(٩) أسبا من سبي يسبي، وسبيت قلبه: فتنته. وحُمَيَّا كل شيء: شدُّته وحِدَّتُه. ابن منظور، اللسان، «حما»، ٢٠١/١٤، و«سبي»، ٣٦٨/١٤.
(١٠) التراقي جمع تَرْقُوة: وهي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين. ابن منظور، اللسان، «ترق»، ٣٢/١٠.
(١١) في الأصل: «سائر»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «الأراقي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في الأصل: «عندكم»، وهي من (م) و(ع).
(١٤) في (م) و(ع): «بهرج».

يظهر، إذا وصف^(١) النقاد زيفك ترى وجهك يتغير، إذا أمدحت بما ليس فيك^(٢) فأنت بنفسك أخبر^(٣)، العين جامدة، والسمع فيه طرش والقلب أقسى من حجر، تعيش عيش البهائم وما^(٤) خطر لك نعيم ولا خطر^(٥)، قطعت إقليم الصبا ولم تفلح، قل لي كيف تُرى تفلح في الكبر، ما أقبح سن الشيخ إذا ضحك وكفنه قد يَقْصُر^(٦) [٢١]، رافق - ويحك - أهل التهجد لتنجو من الأهوال ﴿فِي يَوْمٍ أَدْنَىٰ أَن تَرَفَّعَ وَيَنْزَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْقُدُّو وَالْأَصَالِ ۖ﴾^(٧) رَجَالٌ.

يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى قال^(٨): «دخلت على عابد بالبصرة، وإذا أهل بيته حوله يكون^(٩)، وإذا هو مجهود و^(١٠) قد أجهده الاجتهاد، قال: فبكي أبوه، فنظر إليه وقال له^(١١): أيها الشيخ ما الذي يبكيك^(١٢)؟ قال: يا بني أبكي فقدك وما أرى من جهدك. قال: فبكت^(١٣) أمه، فقال لها: أيتها الوالدة الشفيقة الرفيقة ما الذي يبكيك؟ قالت^(١٤): أبكي فراقك وما أتعجل من الوحشة بعدك، قال: فبكى أهله وصبياناه فنظر^(١٥) إليهم وقال: يا معشر اليتامى - بعد قليل - ما الذي يبكيكم؟ قالوا: يا أبانا فراقك وما نتعجل^(١٦) من اليتيم بعدك، قال: فقال: أقعدوني^(١٧)، أرى كلكم يبكي لدنياه^(١٨)، أما فيكم من يبكي لما ألقى في آخرتي؟ أما فيكم من يبكي لما يلقاه من^(١٩) التراب وجهي؟ أما فيكم من يبكي لمساءلة منكر ونكير^(٢٠)»

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) عبارة «إذا أمدحت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وإذا مدحت بما لا تفعل».

(٣) في (م) و(ع): «أبصر».

(٤) في (م) و(ع): «أبصر». أي: نعيم الثواب وخطر العقاب.

(٥) في (م) و(ع): «انقصر». وقَصُرَ عن الأمر يَقْصُرُ قصوراً وأفْصُرَ وقَصُرَ وتقاصر كله: انتهى. ابن منظور، اللسان، «قصر»، ٩٨/٥.

(٦) في (ع): «وعن يزيد الرقاشي قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٨/٤. ويزيد: هو يزيد بن أبان الرقاشي، أبو عمرو البصري القاص الزاهد، كان من خيار عباد الله، ومن البكائين بالليل، توفي ما بين عشر ومائة وعشرين ومائة. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٨٩/٣. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣٠٩/١١.

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «وقال له»، في (م) و(ع): «فقال».

(٩) في (م) و(ع): «ثم بكت».

(١٠) في الأصل: «ثم نظر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «أتعجل»، وفي (م) و(ع): «يتعجل»، وقد وردت بلفظ «تتجمل» في الصفة، وهي الأصوب.

(١٢) في (م) و(ع): «أقعدوني أقعدوني».

(١٣) في (م) و(ع): «في».

(١٤) منكر ونكير: ملكان يسألان ابن آدم في قبره؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبر الميت (أو قال: أحدهم) أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له =

إياي؟ أما فيكم من يبكي لوقوفني بين^(١) يدي ربي ﷺ؟ ثم^(٢) صرخ صرخة فمات رحمة الله تعالى^(٤) عليه. شعر^(٥):

وما زِلْتُ أَبْكِي كَيْفَ حُلْتُ بِحَاجِرٍ^(٦)
وَعَيْنَايَ قَدْ تَبْكِي^(٧) عَلَى فَرْطِ مَا أَرَى
وما ذاك إلا أَن عَجِلْتُ بِنَظَرَةٍ
تَعْرِضُ بِأَحْقَافِ اللَّوَى غَيْرِ^(٨) سَاعَةٍ
وَقُلْ صَاحِبْ لِي ضَلًّا بِالرَّمْلِ^(٩) قَلْبُهُ
وَسَلِّمْ عَلَى مَاءٍ بِهِ بَرْءٌ عَلَيَّ^(١٠)
وَقُلْ لِحَمَامِ الْبَائِتَيْنِ^(١١) مُهْنَتَا
أَعِنْدُكُمْ يَا قَاتِلَيْنِ^(١٢) بَقِيَّةُ

عُرَى جَلْدِي حَتَّى تَدَاعَى تَجَلْدِي
فَقُلْتُ أَلَا صَبْرًا^(١٣) فَلَمْ^(١٤) تَكْ مُسْعِدِي
قَتَلْتُ بِهَا نَفْسِي وَلَمْ أَتَعَمَّدْ
وَلَوْلا مَكَانُ الذَّنْبِ قُلْتُ لَكَ أَزْدَدْ
لَعَلَّكَ أَنْ يَلْقَاكَ هَادٍ فَيَهْتَدِي [٢١ب]
وظِلُّ أَرَاكَ^(١٥) كَانَ لِلْمَوْضِلِ^(١٦) مَوْعِدِي
تَغْنُ^(١٧) خَلِيًّا^(١٨) مِنْ غَرَامِي وَغَرْدْ
عَلَى مُنْجَةِ إِنْ لَمْ تَمُتْ فَكَأَنَّ قَدْ

= فيه، ثم يقال له: نعم، فيقول: أَرَجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ؟ فيقولان: نعم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقالت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التثمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث (١٠٧١)، ٣/٣٨٣.

- (١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «قال ثم».
- (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات للمهيار. انظر: الديوان، ١/٣٠٥.
- (٦) الحاجر: وهو في لغة العرب ما يمسك الماء من شفة الوادي، وهو موضع قبل مغد النقرة الذي بطريق مكة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/٢٠٤، و٥/٢٩٨.
- (٧) عبارة «وعيناي... إلخ»، في (م) و(ع): «وعيني تبكي».
- (٨) عبارة «ألا صبراً»، في (م) و(ع): «أتعنيفاً».
- (٩) في (م) و(ع): «ولم».
- (١٠) في (م) و(ع): «عمر».
- (١١) الرمل موضع. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣/٦٩.
- (١٢) عبارة «برء علي»، في (م) و(ع): «برد غلتي».
- (١٣) الأراك: شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خواراة العود تنبت بالغور، تتخذ منها المساويك. ابن منظور، اللسان، «أراك»، ١٠/٣٨٩.
- (١٤) في (م) و(ع): «بالوصل».
- (١٥) في الأصل: «البائتين»، والتصويب من (م) و(ع). والبان: شجر ينمو ويطول في استواء مثل نبات الأثل، وورقه هذب كهذب الأثل، وليس لخشب صلابة، واحده بانه. ابن منظور، اللسان، «بين»، ١٣/٧٠.
- (١٦) في الأصل: «تعد»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل بياض، وهي من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «قاتلي».

وَيَا أَهْلَ نَجْدٍ كَيْفَ بِالْعُورِ بَغَدَكُمْ ^(١)

بِقَاءِ تَهَامِيٍّ يَهْيِمُ بِمُنْجِدٍ ^(٢)

أَعْدِرَا وَفِيكُمْ ذَمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ

وَبُخْلًا وَفِيكُمْ يُسْتَفَادُ نَدِي الْيَدِ ^(٣)

مَلَكْتُمْ عَزِيزًا رَقَهُ فَتَعَطَّفُوا

عَلَى مُنْكَرٍ لِلذَّلِّ لَمْ يَتَعَوَّدْ

[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي أمضى أقداره على الوجود وكان أمره قدراً مقدوراً، قهر الخلائق بذل الحدث ^(٤) وقيدهم ب قيد ^(٥) الفناء وبذلهم بعد الوجود قبوراً، قضى لمن شاء بالسعادة وأسكنه جنة منعماً مسروراً، وقضى على من شاء بالشقاء ^(٦) وألقاه في الهاوية يدعو ثبورا، عدل في قضائه بسابق علمه فالملحدون جاؤوا إفكاً ^(٧) وزوراً، كشف للعقول حجب ^(٨) أسرار قدره وقد سكنت من القصور قصوراً ^(٩)، حمل الخلائق حمل التكليف ^(١٠) فمن أعانه سعد ومن خذله ألقي في الدرك ^(١١) مهجوراً، أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة ^(١٢) فيا ^(١٣) عجباً كيف يُعصى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ ^(١٤)، أحصى عليه أعماله في كتابٍ يقرؤه يوم القيامة ^(١٥) عند الموت مسطوراً،

(١) في (م) و(ع): «عندكم».

(٢) مُنْجِد: أي أتى بلاد نجد.

(٣) البيت ساقط في (م) و(ع). والنَّدَى: الجود ورجل ند أي جواد، ورجل نَدِيَّ الكف إذا كان سخيّاً، ونَدِيَّ اليد. ابن منظور، اللسان، «ندي»، ٣١٥/١٥.

(٤) في (م) و(ع): «الحدث». والْحَدَثُ: الأمر الحادث الذي ليس بمعتاد. والحدث: كون شيء لم يكن، وأحدثه الله فَحَدَثَ. ابن منظور، اللسان، «حدث»، ١٣١/٢.

(٥) في الأصل: «وقيد بقيدهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «بالشقاوة».

(٧) الإفك: الكذب والإثم. ابن منظور، اللسان، «أفك»، ٣٩٠/١٠.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «من الجنة قصوراً»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

(١٠) في (ع): «التكلف».

(١١) الدَّرْكُ: أسفل كل شيء ذي عمق، والدرك الأسفل في جهنم: أقصى قعرها. ابن منظور، اللسان، «درك»، ٤٢٢/١٠.

(١٢) أي أكملها وأنعمها، وقيل: الظاهرة ما يرى بالابصار من المال والجاه والجمال في الناس وتوفيق الطاعات، والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفع الله تعالى عن العبد من الآفات. القرطبي، الجامع، ٧٣/١٤.

(١٣) في (م) و(ع): «يا».

(١٤) قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الإسراء، آية ٦٧.

(١٥) عبارة «يوم القيامة» ساقطة في (م) و(ع).

ظن المبعد أنه أهمل، بل أمهل^(١) هيهات ما يعد الشيطان إلا غرورا، ستعلم قولي يوم يحشر^(٢) المتقون إلى الرحمن وفدا^(٣) والعصاة يصلون سعيرا، [٢٢] ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلَمَّتْهُ طَبَرُهُ فِي عُنُقِهِ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(٤).

معشر التائبين ضمروا عيس الأبدان ليوم الرحيل، كثروا زاد التقوى فما بقي من العمر إلا القليل^(٥)، طلقوا الدنيا بتاتا ومتعوها بما حوت من التبديل، فإن نزع عرق عند تذكّارها أعرض بقلبك إنها زانية كل يوم عند خليل، مشومة الفتنة كم زوج لها تحت التراب قتيل، معشر التائبين إياكم ومفارقة العلم فالعلم دليل، غلوا كلاب الشهوة^(٦) فضيف العمر عندكم نزيل، ضيقوا خناقها بالورع فلعلها من شرها^(٧) تستقيل، علموها الثبات عند الوثبات^(٨) عساها تهتدي للسبيل، أرضوا خصوم الجوارح بما لها من الأعمال فهي عليكم كالوكيل^(٩)، وفرقوها قبل يوم^(١٠) لا تجدون^(١١) منظوما ولا منشورا، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلَمَّتْهُ طَبَرُهُ فِي عُنُقِهِ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(١٢).

بعض الزهاد رحمه الله تعالى قال^(١٣): بينما أنا جالس ذات^(١٤) يوم على ساحل من سواحل البحر، ليس يسكن إليه^(١٥) الناس، ولا ترقى إليه السفن، إذ^(١٦) أنا برجل قد خرج من بين تلك الجبال، فلما رأيته هرب مني^(١٧) وجعل يسعى فأتبعته^(١٨) أسعى خلفه، فسقط على وجهه فأدركته، فقلت له: ممن تهرب يرحمك الله؟ فلم يكلمني، فقلت^(١٩): إني أريد الخير فعلمني، فقال: عليك بلزوم الحق حيث كنت، فوالله ما أنا حامد لنفسي فادعوك [٢٢ب] إلى مثل عملها، ثم صاح صنيحة فوق^(٢٠) ميتا، فمكثت لا أدري كيف أصنع به، قال: وهجم الليل

- (١) في (ع): «أهمل»، وهو تصحيف.
 (٢) في (م): «يساق».
 (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٤) سورة الإسراء، آية ١٣.
 (٥) في (م) و(ع): «قليل».
 (٦) في (م) و(ع): «شرها».
 (٧) في (م) و(ع): «الشهوات».
 (٨) أي: الشدائد والفتن.
 (٩) قوله هذا إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْسُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَمْسُكُونَ﴾ [النور: ٢٤].
 (١٠) عبارة «وفرّقوها.. إلخ»، في (م) و(ع): «وفوا وقوفاً قبل يوم النفر». والمعنى: فرّقوا بينها وبين المعاصي قبل يوم الحساب.
 (١١) في الأصل و(ع): «يجدون»، والتصويب من (م).
 (١٢) الآية في (م) و(ع): «﴿وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾».
 (١٣) في (ع): «عن بعض الزهاد قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٧١/٤.
 (١٤) عبارة «جالس ذات» ساقطة في (م) و(ع).
 (١٥) عبارة «ليس يسكن إليه»، في (م): «ليس يسكنه»، وفي (ع): «يسكنه»، وهو تصحيف.
 (١٦) في (م) و(ع): «إذا».
 (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (١٨) في (م) و(ع): «واتبعته».
 (١٩) في (م) و(ع): «فقلت له».
 (٢٠) في (م) و(ع): «فسقط».

علينا فتنحيب عنه، فنمت فرأيت^(١) في منامي أربعة نفر هبطوا عليه من السماء على خيل، فحفروا له قبراً وكفنوه ودفنوه بعد أن صلوا عليه^(٢)، فاستيقظت فازعاً^(٣) للذي رأيت، فذهب^(٤) عني سنة النوم بقية الليل، فلما أصبحت انطلقت إلى موضعه فلم أره فيه، فلم أزل أطلب أثره، وأنظر حتى وجدت^(٥) قبراً جديداً فظننت أنه القبر الذي رأيت في منامي^(٦). شعر^(٦):

أُمُوتُ وَمَا مَاتْتُ إِلَيْكَ صَبَابَتِي
مُنَايَ الْمُنَى كُلُّ الْمُنَى أَنْتَ لِي مُنَى
وَأَنْتَ مَدَى سُلُوسِي وَغَايَةَ رَغْبَتِي
تَحْمَلُ قَلْبِي فِيكَ مَا لَا أُبْشِرُهُ
وَبِي مِنْكَ فِي الْأَحْشَاءِ دَاءُ مُحَاوِرِ
أَلَسْتُ ذَلِيلَ الرَّكْبِ إِنْ هُمْ تَحَيَّرُوا
أَبْنَتْ الْهُدَى لِلْمُهْتَدِينَ وَلَمْ يَكُنْ
فَجْدٌ لِي بِعَفْوٍ مِنْكَ أَخْطَى^(١٤) بِقُرْبِهِ

وَلَا قُضِيَتْ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ^(٧) أَوْطَارِي^(٨)
وَأَنْتَ الْغِنَى كُلُّ الْغِنَى عِنْدَ إِقْتَارِي^(٩)
وَمَوْضِعِ شُكْوَايَ^(١٠) وَمَكُونِ إِضْمَارِي
وَأَنْ طَالَ سَفْجِي فِيكَ أَوْ طَالَ إِضْرَارِي
فَقَدْ هَدَّ مِنِّي الرُّكْنَ^(١١) وَأَنْبَتَ^(١٢) إِسْرَارِي
وَمُنَقَذَ مَنْ أَسْفَى عَلَى جُرْفِ هَارِي
مِنَ النُّورِ فِي أَيْدِيهِمْ عَشْرُ مِغْشَارِي^(١٣)
وَوَاصِلَ يَبْسُرٍ مِنْكَ يَطْرُدُ إِعْسَارِي
[بحر الطويل]

يَا حَيًّا فِي قَالِبِ الْأَمْوَاتِ^(١٥)، يَا مَأْسُورًا^(١٦) فِي سِجْنِ الشَّهَوَاتِ، إِذَا كَانَ الْقَلْبُ مَيِّتًا فَمَا

- (١) عبارة «قال وهجم.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلما هجم الليل تنحيب ناحية عنه فأريت».
- (٢) عبارة «حفروا.. إلخ»، في (م) و(ع): «حفروا له وكفنوه وصلوا عليه ثم دفنوه».
- (٣) في (م) و(ع): «فزعا».
- (٤) في (م) و(ع): «فذهبت».
- (٥) في (م) و(ع): «رأيت».
- (٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لذي النون قالها عند موته. ابن الجوزي، الصفة، ٣٢٠/٤.
- (٧) في (ع): «محبك»، وهو تصحيف.
- (٨) في الأصل: «أوطرا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «أفتقاري»، والتصويب من (م) و(ع). والإفتار: التضييق على الإنسان في الرزق، وأقتر الرجل: افتقر. ابن منظور، اللسان، «قتر»، ٧٠/٥، ٧١.
- (١٠) في (م): «شكواني».
- (١١) ركن الإنسان: قوته وشدته. ابن منظور، اللسان، «ركن»، ١٨٥/١٣.
- (١٢) في (م) و(ع): «مذبت».
- (١٣) في الأصل: «معاشري»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «أحياء».
- (١٥) في (م) و(ع): «يا أحياء في قوالب الأموات».
- (١٦) في (م) و(ع): «أسارى».

تَنْفَعُ الْحَرَكَاتِ، تَطْلُبُ بِالتَّسْوِيفِ مَا فَاتَ، وَكَمْ عَلَى طَرِيقِ طَلَبِكَ^(١) مِنْ آفَاتٍ، نَمْرُودُ^(٢) هَوَاكَ يَدْعِي وَإِبْرَاهِيمَ [١٢٣] الْبُرْهَانَ يَقُولُ هَاتِ^(٣)، يَا فِرْعَوْنَ^(٤) الْمُخَالَفَةَ مَا يَنْفَعُكَ الرَّجُوعُ عِنْدَ ضَيْقِ الْوَقَاةِ، يَا هَامَانَ^(٥) الْأَمَلَ كَمْ تَبْنِي فَوْقَ الْحَاجَةِ لِلرِّيَاءِ وَالْمُبَاهَاةِ، سَيُهْدَمُ^(٦) بِمَعَاوِلِ الْخَرَابِ وَيُرْمَى^(٧) فِي بَحْرِ الْحَسَرَاتِ، يَا قَارُونَ^(٨) الْأَذْخَارِ أَمَا تَخَافُ خَسْفَ الْمَنِيَّةِ وَحَوَادِثَ الْحَالَاتِ^(٩)، يَا مُوسَى التَّوْبَةَ أَلْتِي عَصَاكَ فَإِنَّ حَيَاتِ السَّحَرَةِ كَانَتْ لَهُمْ حَيَاةً^(١٠)، يَا مَعْشَرَ

(١) عبارة «على طريق طلبك»، في (م) و(ع): «على طريقك».

(٢) نمروذ - بضم النون وبالدال المعجمة -: هو الملك الذي كان زمن سيدنا إبراهيم، وكان إهلاكه لما قصد المحاربة مع الله تعالى بأن سلط الله تعالى عليه بعوضة فدخلت في دماغه وأكلته، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيقة لذلك، فبقي في البلاء أربعين يوماً ثم مات. القرطبي، الجامع، ٢٨٣/٣، بتصرف.

(٣) في (ع): «هات»، وهو تصحيف. وفي هذه العبارة إشارة إلى ما كان بين سيدنا إبراهيم وبين النمروذ، حيث كان هذا الأخير يدعي الربوبية فحاجه سيدنا إبراهيم وأفحمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعِثُنِي وَأَمِيتُ قَالَ أَنَا أَنِّي- وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(٤) في (م) و(ع): «فيا فرعون». وفرعون هو الذي أرسل الله إليه سيدنا موسى، لتجبره في الأرض واعتزازه بملكه وادعائه الربوبية، فلما امتنع عن الإيمان بالله أغرقه الله بذنوبه وجعله مثلاً وعبرة.

(٥) في (م) و(ع): «قارون». وهامان كان وزيراً لفرعون، وهو الذي بنى له الصرح ليرى إله موسى فأخذهم الله بعذاب من عنده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّ مِنْهُ بَرْقٌ أَوَّلَ قَدْ لِي يَهْتَكُنَ عَلَى الْأَرْضِ قَلْبَهُ لَئِي صَرَحاَ لِمَنْ يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ لِي وَنَبِيٍّ مِنَ الْمَقْتُولِينَ ۚ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَشُعْرُوهُ فِي الْأَرْضِ يَخْتَرُونَ ۚ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَازِلُ لَا يُخْرَجُونَ ۚ فَآخَذْنَاهُ وَشُعْرُوهُ وَقَتْلَهُمْ فِي آيَةٍ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٨ إلى ٤٠].

(٦) في (م) و(ع): «ستهدم». (٧) في (م) و(ع): «ترمى».

(٨) كان قارون من أتباع سيدنا موسى، وقد أعطاه الله من فضله فغني وكثر ماله، فلم يشكر الله تعالى وإنما أشير وبطر وتكبر، فخسف الله تعالى به وبيداره الأرض، قال تعالى: ﴿لَئِنْ قَدْ كُنْتَ مِنَ الْقَوَّامِينَ ۚ فَأَنبَأْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا أَنَّكَ كَاذِبٌ ۖ فَخَسَفْنَا بِهٖ سَخًا بَصِيصًا ۚ وَلَئِنْ قَدْ كُنْتَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْكَرِينَ ۚ﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدَ أَوَّلَمْ يَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمًّا وَلَا يُنْصَرَفُ عَنْ دُورِهِمْ الْبُحْرَانُ ۚ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَبِيتَ لَنَا يَوْمَ لَدُنَّا قَدْ كُنَّا أَهْلًا لِلدُّنْيَا لَا تُفْلِحُ ۚ فَخَسَفْنَا بِهٖ سَخًا بَصِيصًا ۚ وَلَئِنْ قَدْ كُنْتَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۚ وَلَا تَسْكُنْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْكَرِينَ ۚ﴾ [القصص: ٢٤ إلى ٣٤].

(٩) حالات الدهر وأحواله: صروفه. الفيروزآبادي، القاموس، «حول»، ص ١٢٧٩.

(١٠) أي: أن حَيَاتِ السحرة الوهمية، التي سحروا بها أعين الناس، والتي جاءوا بها لينصروا الباطل الذي هم فيه على الحق الذي جاءهم به موسى، كانت سبباً لحياتهم، وذلك حين أسلموا وآمنوا بسيدنا موسى رسولاً من عند الله تعالى، فخرجوا بها من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

التائبين هذا رَسُولُ الْمُؤَيَّظَةِ يَقُولُ مَنْ لَهُ قِصَّةٌ نَذَمَ يَقُولُ^(١) هَاتِ، الْمَجْلِسُ طَابَ فَبَادِرُ^(٢) إِلَى الْحَبِيبِ قَبْلَ غَلَقِ الْبَابِ وَيُقَالُ^(٣) لَكَ هَيَّاهُ، مَعَاشِرُ الشُّيُوخِ أَنْدَبُوا أَيَّامَ الشَّبَابِ، وَأَبْكُوا عَلَى مَا فَاتَ، كَيْفَ تَتَّبِعُ آثَارَ الْقَوْمِ وَأَنْتَ مُتَّبِعٌ بِالتَّبَعَاتِ، أَخْرَجَ عَنْ دِيَارِ الْإِذْبَارِ أَلَيْسَ كُلُّ مَا قَدَّمْتَ عَلَيْكَ مَسْطُورًا، ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْفِهِ وَنُخْرِجُهُ لَوِّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾^(٤).

قحط^(٥) الناس بالبصرة وغلا سِعْرُهَا واحتبس المطر عنهم، فخرجوا يستسقون وخرج اليهود ومعهم التوراة، وخرج النصارى ومعهم الإنجيل^(٦)، وأعتزل المسلمون كلهم يدعون، وأنصرفوا يومهم ذلك^(٧)، قال بعضهم^(٨): فبينما أنا بعد ذلك أمشي^(٩) في طريق المريد^(١٠)، فنظرت^(١١) فإذا بين يديّ فتى عليه أطمار رثة، لا تقبله^(١٢) النفس وهو يمشي وأنا خلفه حتى خرج إلى الجبَّانة^(١٣) فدخل في بعض المساجد التي في القرب^(١٤) من المقابر، ودخلت خلفه يحول بيني وبينه أركان المسجد [٢٣ب] فصلى ركعتين، ثم رفع طرفه^(١٥) يدعو، وقال^(١٦) في دعائه: يا رب أستغاث بك عبادك فلم تغنهم، الآن شمتت بنا اليهود والنصارى، أقسمت عليك يا رب إلا سقيتهم الساعة الساعة ولا تردني خائبًا^(١٧). قال: فما برح يدعو حتى جاءت السحاب ومطرنا. وخرج وخرجت في أثره لأعرف موضعه فجاء إلى دار فيها^(١٨)

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «يقول»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الآية في (م) و(ع): ﴿وَنُخْرِجُهُ لَوِّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾.

(٤) في (م): «قال بعضهم قحط».

(٥) عبارة «وخرج اليهود.. إلخ، في (م) و(ع): «وخرج اليهود والنصارى، فخرج النصارى ومعهم الإنجيل وخرج اليهود ومعهم التوراة».

(٦) في (م) و(ع): «يومهم ذلك وأنصرفوا».

(٧) في (م) و(ع): «أمشي بعد ذلك».

(٨) عبارة «في طريق.. إلخ، في الأصل: «في طريق أريد يثرب»، وفي (م): «في طريق المريد»، وفي (ع): «بطريق المريد»، وقد وردت لفظة المريد في الصفة، وهو الأصوب. والجزيد: هو كل موضع حبست فيه الإبل، وبه سُمي مريد البصرة، وهو اليوم كالبلدة المنفردة عنها، وبينهما ثلاثة أميال. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٢٥٢/٣.

(٩) في (م) و(ع): «نظرت».

(١٠) عبارة «لا تقبله»، في الأصل: «ثقله»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) عبارة «حتى خرج.. إلخ، في (م) و(ع): «حتى خرجت إلى الجبان».

(١٢) عبارة «فدخل في بعض.. إلخ، في (م) و(ع): «فدخل إلى بعض تلك المساجد بالقرب».

(١٣) في (م) و(ع): «يديه».

(١٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «يا رب إلا سقيتنا غيثك الساعة فلا تردني».

(١٦) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).

أخصاص^(١) وفيها^(٢) أكواخ^(٣) وفيها سكان، فدخل بيتاً فيها^(٤) فعرفت موضعه وأنصرف عنه، وهيات الدراهم^(٥) في صرة ثم جئت فاستأذنت عليه ودخلت، وإذا البيت ليس فيه^(٦) إلا قطعة حصير ومطهرة فيها ماء، وإذا هو قاعد يعمل الخوص^(٧)، فسلمت عليه فرحب بي وبش، فتحدثت^(٨) معه^(٩) ساعة ثم^(١٠) أخرجت الصرة، فقلت: رحمك^(١١) الله أنتفع بهذه، فتبسم وقال: جزاك الله خيراً، أنا في غنى عنها، فلححت عليه، فجعل يدعو ويأبى أن يأخذها، فلماً أكثررت رغبتني^(١٢) قال: حسبك الآن^(١٣) ليس لي بها حاجة. قال: فأقبلت عليه^(١٤)، وقلت: يرحمك^(١٥) الله^(١٦) إن لي عليك حقاً. قال: وما هو يرحمك^(١٧) الله؟ قلت: كنت أسمع دُعائك حين خَرَجْتَ إلى الجبانة^(١٨)، فأصفر وجهه حتى أنكرته وساء ما قلت له، ثم خرجت من عنده فلما كان بعد ذلك بأيام أتيته فلما دخلت الدار جعل سكان الدار يصيحون بقيم الدار ويقولون^(١٩): هو ذا قد جاء، فجاء إلي وتعلق بي وقال: يا عدو نفسه ما صنعت [١٢٤] بذلك^(٢٠) الفتى الذي جئته اليوم الأول وأي شيء أسمعته؟ قلت: لا تعجل علي^(٢١) حتى أخبرك بالحديث. قال: إنك لما خرجت من عنده قام في الحال وأخذ^(٢٢) حصيرته ومطهرته وودعنا وخرج ولم يعد إلينا إلى الساعة، لا ندري أين ذهب ﷺ^(٢٣). شعر^(٢٤):

خَلُّ طَرَفِي وَالْبُكَاءُ إِنْ كُنْتُ خِلِّي فَالْجَمِي أَقْفَرَ مِنْ جَارٍ وَأَهْلٍ

- (١) الخُصَص: بيت من شجر أو قصب، وقيل: البيت الذي يُسَقَّف عليه بخشبة على هيئة الأزج، والجمع أخصاص. ابن منظور، اللسان، «خصص»، ٢٦/٧.
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في الأصل: «أكراخ»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «منها».
- (٥) في (م) و(ع): «دراهم».
- (٦) عبارة «وإذا البيت ليس فيه»، في (م) و(ع): «فلذا ليس في البيت».
- (٧) الخُوص: ورق المُقْل والنخل والتارجيل وما شاكلها، والخَوَاص: معالج الخوص وبيئاًه. ابن منظور، اللسان، «خوص»، ٣٢/٧.
- (٨) في الأصل: «فتحدثت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «و».
- (١١) في (م) و(ع): «يرحمك».
- (١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «عليك»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «الجبانة».
- (١٥) في (م) و(ع): «لذلك».
- (١٦) في (م) و(ع): «فأخذ».
- (١٧) في (م) و(ع): «لا ندري أين توجه».
- (١٨) في (م) و(ع): «القصبة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٨/٤».
- (١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

وَنَحَّ^(١) مَنْ لَمْ يَذَرِ مَا طَعَمَ الْهَوَى
مَا وَثَّقُونِي فِي مَحَلٍّ سَاكِنٍ
يَتَمَنَّى طَيْفَكُمْ صَبًّا بِكُمْ
حَمَلُونِي الْخَيْفَ^(٤) مِنْ هَجْرِكُمْ
فَعَسَى يُذْنِي الْمُنَى مِنْنِي

أَنَا مِنْ لَوْمِكَ فِي أَشْغَلٍ شُغِلَ^(٢)
فِي قُودِي أَهْلُهُ لَا فِي الْمَحَلِّ
مُسْتَهَامٌ وَالْمُنَى جَهْدُ الْمُقِلِّ^(٣)
وَأَزْحَمُوا مِنْ لَا لَهُ طَاقَةُ ثَقُلَ^(٥)
وَلَعَلِّي أَنْ أَرَى الْخَيْفَ^(٦) لَعَلَّ

[بحر الرمل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي تنزه عن الوالد والولد والصَّاحِبُ^(٧) والصَّاحِبَةُ والمعين والوزير، تقدس في عظمته عن صفات المحدثات^(٨) فكل من سواه صنيعه فهو^(٩) عاجز^(١٠) ذليل حقير^(١١)، أبدع الخلائق بلا مثال تقدم، ولا شكل سبق، ولا إشارة مُشير، تفرد بالوحدانية وأحتجب بالعظمة فلا يدركه بصر البصير، السموات بقدرته مبنية، والأرض بإرادته مدحية بسر^(١٢) التسخير، خلق الخلائق ليعبده الكبير منهم والصغير، مهد لهم مهاد السبيل^(١٣) بدليل الرسل فعلمهم الكيفية والتقدير، فالعارفون ركبوا نجيب النجاة^(١٤) [٢٤ب] للمسير، وأهل الحرمان أعمتهم الشهوات فيسير الطاعات^(١٥) عليهم عسير، كلما قاموا أقعدوا وكلما سلخوا ألقوا من الخذلان في حفير، حيل بينهم وبين ما يشتهون كما حيل بين الشدي والطفل الصغير، لا يطيق الصبر عن^(١٦)

(١) في (م) و(ع): «والح».

(٢) في (م) و(ع) زيادة:

«هذه من بعدهم آثارهم ووثقوني ببلى الأطلال يُبلى»

(٣) جهد المُقِلِّ: أي قدر ما يحتمله حال القليل المال. ابن منظور، اللسان، «جهد»، ١٣٣/٣. والمعنى أن التمني هو غاية ما يستطيعه محب مبعد عن أحبابه.

(٤) في الأصل: «الخوف»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) الثقل: الفارس الجواد. ابن منظور، اللسان، «ثقل»، ٨٦/١١.

(٦) في (م) و(ع): «الطيف».

(٨) أي: أن الله ﷻ مقدَّس عن التغير والانتقال، لا تحله الحوادث، [لأن كل حادث مخلوق متغير وجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية ينقسم إلى ذلك، والله خالقه جلّ جلاله]. الغزالي. قواعد العقائد، ص ٥٢ - ٥٣.

(٩) عبارة «فكل من سواه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فكل إليه».

(١٠) في الأصل: «عجيز»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «فقير».

(١٢) في (م) و(ع): «السبل».

(١٤) عبارة «نجيب النجاة»، في (م): «نجب النجاة»، وفي (ع): «بخت النجاة». والنجيب: هو الفاضل النفيس في نوعه، رجل نجيب: أي كريم بيِّن النجاة، والنجيب من الإبل هو القوي منها الخفيف السريع. ابن منظور، اللسان، «نجب»، ٧٤٨/١.

(١٥) في (م) و(ع): «الطاعة».

(١٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (ب).

الرضاع ولا يطبق الرضاع من المانع المرير، فإذا بكى ما رحموه فترك المألوف عسير، لا يعذر في حال من الأحوال بل يُحاسب على النقيير والقطمير^(١)، جعل الشباب مطية لحمل الزاد إلى السفر الخطير، فيا معشر الشيوخ كم غيبتم تحت التراب من عزيز ومن حقير، أما لكم عبرة فيمن عبر إلى الحفير^(٢)، ما يكون جوابكم عند مساءلة منكر ونكير، ﴿أَوَلَمْ نُعْزِزْكُمْ مَا يَنْذَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(٣)، فسبحان من بيده مقاليد التقدير، أحمله حمداً يسترنا يوم الحشر من السعير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة آتس بها في ظلمات^(٤) الحفير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه^(٥) صلاة أنجو بها من^(٦) هول يوم السعير^(٧).

يا من شبابه ذهب في طلب الذهب، يا عبد سوء أستثقلت العمل وأنت في هرب، العلم دليل على الباقي وأراك لحطام الدنيا تحطب^(٨)، علمك^(٩) شمعاً تبكي عليك وأنت بنار^(١٠) الحرص تلتهب^(١١)، كم تضيء لغيرك وجواهر أجزاءك بيد البلى تخرب^(١٢)، كم طار بك العلم إلى [٢٥] الثريا وهواك في الفاني يمرغك^(١٣) في الثرى أنفاسك بالساعات تستلب^(١٤)، كم لك من^(١٥) تأول في الشبه^(١٦) وكم لك في اقتحام الجرائم من أرب، زينت ظاهرك بالثياب ومن لباس التقوى قصر قلبك خرب، يا مكشوف العورة وهو^(١٧) يرى أنه مستور بما كسب،

(١) النقيير: نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة، والقطمير: هي القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. ابن منظور، اللسان، «قطمير»، ١٠٨/٥، و«نقر»، ٢٢٨/٥. والنقيير والقطمير يضرب بهما المثل في القلة.

(٢) عبارة «حبل بينهم وبين ما يشتهون.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) سورة فاطر، آية ٣٧. (٤) في (م) و(ع): «ظلمة».

(٥) في (م) و(ع) زيادة: «وأزواجه».

(٦) عبارة «أنجو بها من»، في الأصل: «أنجو منها في»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «يوم السعير»، في (م) و(ع): «اليوم العسير».

(٨) في (م) و(ع): «تحتطب». (٩) في (م) و(ع): «عملك».

(١٠) في (ع): «لنار».

(١١) في (م) و(ع): «تلهب». والمعنى: انعدم عملك بما علمت، وصرفت همك في الحرص على الدنيا والتكالب عليها.

(١٢) في (م) و(ع): «تتهب».

(١٣) في الأصل: «بين لك»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «أنفاسك.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلا علم ولا أدب».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ فِيهِ آيَاتٌ تُخَيِّطُكَ هَٰذَا أَمْ الْكِتَابِ وَالْحَرُ مَشْتَبِهَةٌ فَلَمَّا الْزَيْنُ فِي قُلُوبِهِمْ رَجَعَ فَيَلْمُونَ مَا نَقَّبَهُ فِيهِ آيَاتُ الْوَسْوَ وَالْجَنَّةِ تَأْوِيلُهُ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

حديث الآخرة عندك حديث وحديثك عند الموت أعجب^(١)، أما ترى أحوال الزاهدين كيف طرزت بهم المجالس والخطب، وترى لما زهدوا أعدموا^(٢) المأكول^(٣) والمشرب، خففوا أحمالهم للرحلة وأثقلتك الدنيا وعند المنية لا تقدر على الهرب^(٤)، دلهم علمهم^(٥) عليه فوصلوا و^(٦)أضعت علمك^(٧) بما يفنى ويذهب، ليت شعري ما يكون جواب العصاة عند السؤال في الحفير ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾. شعر:

لي فؤادٌ ضلَّ عَمَّنْ غَيْرِكُمْ وهو في الحُبِّ إِلَيْكُمْ مُهْتَدِي
أَخَذَكُمْ الرُّوحُ^(٨) مَنِّي هَيِّنٌ إِنَّمَا الْمِخْنَةُ تَرُكُ الْجَسَدَ
إِزْفُقُوا بِي رَفَقَ مَن ذَاقَ الْهَوَى لَا تُذِيبُوا بِجَفَاكُمْ كَيْدِي
لَا شَفِيعَ لِي إِلَيْكُمْ غَيْرُكُمْ أَنْتُمْ دُخْرِي وَأَنْتُمْ سَنَدِي
فَيْكُمْ مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ أَشْتَكِي فَخُذُوا يَا مُشْتَكَائِي بِيَدِي
أَنَا أَوْقَعْتُ فُؤَادِي فِي الْهَوَى كُلُّ مَا تَمَّ عَلَيَّ قَدْ بُدِي^(٩)

[بحر الرمل]

يا من توالى عليه أخلاط الخطايا حتى رمي في شمل شبابه بالكمد^(١٠)، يا من خطاياك أكثر من الحصى عدد^(١١)، ليت شعري من قطعك عن رفاق من [٢٥ب] تهجد، أكلت الحرام ونمت وما أسهم بسهم لمن رقد، أما ترى الشباب كيف صدر والمشيب كيف ورد، أما ترى كيف أحتوى على القوي وأستبد، كأنني بك يا أخي وقد برق البصر^(١٢) لهول ما يشهد، وخرس اللسان وغلب على القلب الكمد، وصمت الأذان وزاد في ظهوره الألم والزبد، وانتزعت الروح بهول ما تتوهمه أو ما هو أشد، الملك يقول ما قدم والوارث يقول ما خلف من سيد أو لبد^(١٣)، قُبر في قبر ثلاثة أذرع ما أغنى عنه مال ولا ولد، فيا طول أحزانه في البلاء في غربة

(١) في (م): «عجب». والمعنى: إن أحاديث الآخرة والموت لا تأبه لها، وهي عندك كلام يُروى ومواعظ تُتلى ليس إلا.

(٢) في الأصل: «عدم»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «المأكول».

(٤) عبارة «وعند المنية.. إلخ»، في (م): «وعند الموت ما مهرب»، وفي (ع): «وعند الموت ما تهرب».

(٥) في الأصل: «علمهم»، وهي من (م) و(ع). (٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «عملك»، وهي من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «أخذكم في الروح»، والتصويب من (ب).

(٩) عبارة «كل ما تم.. إلخ»، في الأصل: «فلن لوم وعلى من بدى»، والتصويب من (ب).

(١٠) الكمد: همّ وحزن لا يُستطاع إمضاؤه. ابن منظور، اللسان، «كمد»، ٣/٣٨١.

(١١) في الأصل: «والعدد»، والتصويب من (ب).

(١٢) بَرَقَ بصره بَرَقًا: دَهِشَ فلم يبصر، وَتَحَيَّرَ فلم يَظْهَر. ابن منظور، اللسان، «برق»، ١٠/١٥.

(١٣) اللبد: الكثير. ومال لبد: كثير لا يخاف فناؤه. ابن منظور، اللسان، «لبد»، ٣/٣٨٧.

لا يعاد ولا يعد، أنيسه أعماله ليت شعري ماذا أستعد، فيادروا قبل أستماع التوبيع للكبير والصغير: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(١).

تَزَوَّدَ قَرِينًا مِنْ فِعَالِكَ إِنَّمَا قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَلَمْ يَضْحَبِ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ إِلَى قَبْرِهِ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَغْمَلُ^(٢)
إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِهِ يُقِيمُ قَلِيلًا عِنْدَهُمْ ثُمَّ يَرْحَلُ^(٣)

[بحر الطويل]

قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى^(٤): «خرجت ذات ليلة^(٥) فظننت أنني قد^(٦) أصبحت فإذا هو الليل لم يزل^(٧) فقعدت عند^(٨) باب صغير فإذا بصوت شاب يبكي وهو^(٩) يقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي^(١٠) مخالفتك ولقد عصيتك حين عصيتك^(١١) وما^(١٢) أنا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي وغلبتني شقوتي وغرني [٢٦] سترك المرخى علي، وقد عصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فالآن من عذابك من ينقذني، ومن ذا الذي من أيدي زبانيتك يخلصني^(١٣)، وبحبل من أتصل إن^(١٤) أنت قطعت حبلك عني^(١٥)، واحسرتاه^(١٦) على ما مضى من أيامي في معصيتك^(١٧) ربي عز وجل، يا ويلي كم أتوب وكم أعود وقد حان لي أن أستحيي من ربي ﷻ^(١٨). قال منصور بن عمار^(١٩): فلمّا

(١) عبارة «لي فؤاد ضل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) البيت ساقط في (م) و(ع).

(٣) الأبيات للصلصال بن اللؤلؤمس. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ١٩٣/٢.

(٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٨٤/٢. ومنصور: هو منصور بن عمار بن كثير، أبو السري الخراساني، ثم البغدادي، كان من أحسن الناس كلاماً في الموعظة، وكان من حكماء المشايخ، توفي سنة ٢٢٥هـ - ٨٣٩م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٣٠. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٢٨٦.

(٥) في (م) و(ع): «ذات ليلة مظلمة».

(٦) عبارة «فإذا هو الليل.. إلخ»، في (م) و(ع): «فإذا أنا علي ليل».

(٧) في (م) و(ع): «على».

(٨) في (م): «بمعصيتك».

(٩) عبارة «ولقد عصيتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «ولا».

(١١) عبارة «ومن ذا الذي من أيدي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «إذا».

(١٣) عبارة «قطعت حبلك عني»، في (م) و(ع): «قطعت حبل».

(١٤) في (م) و(ع): «واسوأناه».

(١٥) عبارة «عز وجل يا ويلي كم أتوب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «بن عمار» ساقطة في (م) و(ع).

سمعت كلامه قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم^(١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَعْلَيْكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢)، فسمعت صوتاً وأضطراباً شديداً فمضيت^(٣) لحاجتي، فلما أصبحت إذا^(٤) بجنائز على الباب وعجوز تذهب وتجيء، فقلت: من الميت؟ فقالت: إليك عني، واحزني، فلا تجدد علي همي^(٥). فقلت لها: إني رجل غريب. فقالت: هذا ولدي مر بنا البارحة رجل - لا جزاء الله خيراً^(٦) - وقرأ^(٧) آية من القرآن^(٨) فيها ذكر النار فلم يزل ولدي يبكي ويضطرب حتى مات رحمه الله تعالى^(٩). فقال^(١٠) منصور: هذه - والله -^(١١) صفة الخائفين يا ابن عمار. شعر^(١٢):

يَا هَلَالاً فِي فُؤَادِي أَشْرَقَا
سَلَبَ الصَّبْرِ وَأَغْطَانِي الْأَسَى
جَعَلَ^(١٦) الْحَاجِبَ قَوْساً وَأَنْتَضَى^(١٧)
لَمْ يُبْقِ الْوَجْدُ عِنْدِي وَالْجَوَى^(١٨)
يَا أَخْلَانِي عَلَى وَادِي الْعُضَا
هَذِهِ نَجْدٌ وَهَاتِيكَ الْجَمَى
آه وَجِداً^(٢١) إِنَّ أَجَابَتْ دَارَهُمْ
لَيْسَ لِي مُذْ غَابَ عَنْ عَيْنِي^(١٣) بَقَا
سَلَبَ^(١٤) النَّوْمَ وَأَذْنَى^(١٥) الْأَرْقَا
لَحَظَهُ سَهْماً وَقَلْبِي رَشَقَا
رَمَقاً فِي مُهْجَتِي مُذْ رَمَقَا [٢٦ب]
وَرَفِيقِي مِنْكُمْ مَنْ رَفَقَا
فَأَسْأَلُوهُ^(١٩) أَيْنَ غَزْلَانِ النَّقَا^(٢٠)
بَعْدَ الْمَرَمَى وَعَزَّ الْمُلتَقَى

- (١) عبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) سورة التحريم، آية ٦، وفي (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَعْلَيْكُمْ نَارًا﴾ الآية.
- (٣) في (م) و(ع): «ومضيت».
- (٤) في (م) و(ع): «فلما أصبحتنا فإذا».
- (٥) عبارة «واحزني.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا تجدد علي أحزاني».
- (٦) عبارة «لا جزاء الله خيراً» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «فقرأ».
- (٨) عبارة «من القرآن» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «قال».
- (١١) كلمة «والله» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «عن عيني»، في الأصل «عسى عني»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «وسى».
- (١٥) في (م) و(ع): «وأهدى».
- (١٦) في (م) و(ع): «أخذ».
- (١٧) في (م) و(ع): «وأنتمى».
- (١٨) في (م) و(ع): «والأسى».
- (١٩) في (م) و(ع): «فسلوه».
- (٢٠) الثَّقَا من الرمل: القطعة تنقاد مُحَدَوْدِيَّة. وهذه نقاة من الرمل: للكثيب المجتمع الأبيض الذي لا ينبت شيئاً. ابن منظور، اللسان، «ثقا»، ٣٤١/١٥. وهو موضع كثر ذكره في أشعار العرب.
- (٢١) عبارة «آه وجداً»، في الأصل: «ذبت آه»، والتصويب من (م) و(ع).

جِيرةً كانوا قَبَانُوا^(١) إِذْ نَأَوْا
حَيَّ طَيْفًا طَابَ^(٢) مِنْ حَيْهَم
بَات يُسْلِيْنِي وَدَمْعِي مُسْبَل
مَا رَقَى^(٦) دَمْعِي حُنُوءًا إِنَّمَا
أَيُّهَا الْوَزْقَاءُ^(٧) أَمَلَيْتِ الدُّجَى

وَأَعَاضُوا عَنْ سُلوِيٍّ قَلَقَا
حِينَ حَيَّانِي أَزَالَ الْحُرْقَا^(٣)
فَرَقَا حَتَّى رَقَاهُ^(٤) فَرَقَا^(٥)
خَافَ لَمَّا قَاضَ مِنْهُ الْغَرَقَا
مِنْ غَنَاءِ^(٨) وَمَلَأَتِ الْوَرَقَا

[بحر الرمل]

لسهام وعظي رشق في قراطيس^(٩) القلوب، فمن أبطأ سيل دم مدامعه فلحلاوة السهم، وسرعة الإصابة، وحسن الرامي، شغله سماع المعاني عن ألم التوبيخ، فإذا عاد إلى منزله عاد عليه ألم الندم، فأخذ بجذب^(١٠) نصل الذنوب بالتنصل، ويلقي عليه مرهم^(١١) الموعظة ويحتمي عن تخليط الخطايا ويستعمل ذرور^(١٢) التهجد وإن كان فيه ألم، كم متفرج خرج عليه من كنانة وعظي سهم غرب فأجرى دمعته، فالتحق بشهداء التائبين، كم من قطرة من خشية الله يتلقاها^(١٣) ملك ويستدعي أخرى ذخيرة للأخرة^(١٤)، وكـم في مجلسي من قتل أسف وغريق ماء مدامع، فلو عاينت إبليس يتخبط على باب المجلس مما يرى من آثار الرحمة على التائبين، والحاسد يخرج كما دخل^(١٥) ويمسح إبليس على ناصيته ويقول [١٢٧] فديت من لا يفلح أبداً^(١٦).
إلهي لا تلهني بغيرك عنك^(١٧) حتى أعود بك إليك، هذا مقام المستجير بك أجرتني من النار، إلهي لا تعرض عني يوم تعرضني برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وأصحابه وسلم^(١٨).

(٢) في (م) و(ع): «طاف».

(١) في (م) و(ع): «فجاروا».

(٣) في الأصل: «حرقا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «رأه»، وهي من (م) و(ع). ورقى الراقي رُقِيَةً إِذَا عَوَّذَ وَنَفَثَ فِي عَوْدَتِهِ. ابن منظور، اللسان، «رقا»، ٣٣٢/١٤.

(٥) رقات الدمة ترقا رقا: جفت وانقطعت. ابن منظور، اللسان، «رقا»، ٨٨/١.

(٦) في الأصل: «راق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الأورق: ما كان لونه لون الرماد، ومنه قيل للحمامة ورقاء للونها. ابن منظور، اللسان، «ورق»، ٣٧٧/١٠.

(٨) في (ع): «عَنَاء».

(٩) القراطيس: جمع قرطاس، وهو الصحيفة. ابن منظور، اللسان، «قرطس»، ١٧٢/٦.

(١٠) في (ع): «يجذب».

(١١) المرهم: هو ألين ما يكون من الدواء الذي يُصَمَّدُ بِهِ الْجرح. ابن منظور، اللسان، «مرهم»، ٥٦٥/١٢.

(١٢) الذرور: ما يُدْرَى فِي الْعَيْنِ وَعَلَى الْقَرَحِ مِنْ دَوَاءِ يَابَسَ. ابن منظور، اللسان، «ذرر»، ٣٠٤/٤.

(١٣) في (م): «كم من قطرة خشية تلقاها»، وفي (ع): «كم من قطرة خشية يلقاها».

(١٤) في (م) و(ع): «للأخرى».

(١٥) في (ع): «يدخل كما خرج»، وهو تصحيف.

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الرابع

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي برهن باهر قدرته على وحدانيته فرسخته^(١) البراهين في القلوب والأسماع، لا تتحرك ذرة في الملك والملكوت^(٢) إلا بإذنه في الضرر والانتفاع، كتب قلم قدرته على ألواح^(٣) الأرواح مقادير فهم رموزها لا يُستطاع، صدرت عنها أفعال الخلائق فهذا في العلا وهذا في الدرك الأسفل في القاع، سرى في ذي الورى وظهر في الخلائق وفي البقاع^(٤)، ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ رَّجَعَتْ مِنْ أَغْنَابٍ﴾^(٥)، هذه تنبت الحلو^(٦) وهذه تنبت المر حكمة يفهمها ذو^(٧) الاطلاع، نعم أحبابه في الفلوات^(٨) بالخلوات وأنسهم إليه بالانقطاع، جعلوا همهم واحداً بين رحيل إليه وانتجاع^(٩)، نزعوا حلل الدنيا ولبسوا ثياب الزهد ووجهوا نحوه روعهم^(١٠) والانتزاع^(١١)، والمحروم طريح على باب الطرد لا ندم ولا أسترجاع، كم له من مرض بشهوة ومن تخليط^(١٢) الخطايا من أوجاع، يعصي من يغذيه بنعمه ويلطف^(١٣) به إن عطش أو جاع، كم حذره^(١٤) طريق الهلاك وكم أقطعه من حبه^(١٥) من إقطاع، فيا أهل

(١) في الأصل: «فسخرت»، وفي (م): «فرسخت»، وهي من (ع).

(٢) عبارة «لا تتحرك.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا يتحرك في الملك والملكوت ذرة». ومثلك الله تعالى ومَلَكُوتُه: سلطانه وعظمته. ابن منظور، اللسان، «ملك»، ٤٩٢/١٠.

(٣) في الأصل: «أرواح»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) عبارة «سرى.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قُلُوعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ رَّجَعَتْ مِنْ أَغْنَابٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الرعد، آية ٤. وعبارة «وجنات من أغناب» ليست في (م) و(ع). والمعنى: في الأرض قرى متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والثمر، فيكون البعض حلواً، والبعض حامضاً. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٨١/٩.

(٦) في الأصل: «الحب»، وهي من (م) و(ع). (٧) في (م): «ذو».

(٨) الفلوات: جمع فلاة وهي القفر من الأرض، وقيل: هي التي لا ماء بها ولا أنيس. ابن منظور، اللسان، «فلا»، ١٦٤/١٥.

(٩) التَّجْعَة عند العرب: المذهب في طلب الكلأ في موضعه، وأتجعتنا فلاناً إذا أتيناها نطلب معروفه. ابن منظور، اللسان، «نجع»، ٣٤٧/٨.

(١٠) في الأصل: «روعهم إليه»، والتصويب من (م) و(ع). والرُّوع: الفرع، والرُّوع: موضع الرُّوع وهو القلب. ابن منظور، اللسان، «روع»، ١٣٥/٨.

(١١) انتزاع النية: بُغْذَاهَا ومنه نزع الإنسان إلى أهله: حَنٌّ وأشتاق. ابن منظور، اللسان، «نزع»، ٣٥٠/٨.

(١٢) عبارة «كم له من.. إلخ»، في الأصل: «كم له يمرض شهوة وتخليط»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «يطلب»، والتصويب من (م) و(ع). (١٤) في الأصل: «حذره عن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وكم أقطعه في جتته».

المعاصي إلى متى عن ديار^(١) الغفلة لا^(٢) إقلاع، هذا المشيب يخرب من شبابك ما شيد بالارتفاع^(٣)، أسمعوا نغم حاد^(٤) [٢٧ب] يُنادي من حاد عن السبيل بالترجاع، ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظُلُمٍ مَا لِّلْظُلُمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٥).

إلهي ما حيلة من أنقطع و^(٦)قيده القضاء وأوثقه القدر، ما يصنع من أراد النهوض إلى السلوك يوماً فما^(٧) قدر، ما يفعل المطرود المبثلي بالحرمان منع الصبر فما صبر، كيف يجول في صفوف التائبين من خانه التوفيق في جواد عزمه فتقنطر^(٨)، كم أتضح للسالك^(٩) من نية خرجت نيته^(١٠) فوافق^(١١) خبر شقائه الخير^(١٢)، وفرزان^(١٣) عقله مشى إلى وراء، ويبدق^(١٤) الشهوة يقدم^(١٥) سوقه لما خانه النظر، رأى ما رأى^(١٦) من الجادة فحل^(١٧) وثاق إصراره وما أصر^(١٨)، ما أسعده إن رافق^(١٩) التائبين في هذا السفر، هذا شعاب التوبة يجبر من كسر^(٢٠)، أين من لين الوعظ قلبه وبذل الندم أنكسر^(٢١)، قدم الزاد قبل السفر فما عند الشبعان من الجائع خبر، أنت تعلم ما في أحمالك من أعمالك وأنت بحالك أعلم و^(٢٢)أخبر، بادر باقي^(٢٣) الأنفاس قبل حلول الأوجاع، ﴿مَا لِّلْظُلُمِينَ مِنْ حَيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

- (١) في الأصل: «دمان»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «القلاع».
- (٤) في (م) و(ع): «حادى الموعظة».
- (٥) سورة غافر، آية ١٨.
- (٦) عبارة «انقطع و» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) قنطر علينا: طوّل وأقام لا يبرح. الفيروزآبادي، القاموس، «قنطر»، ص ٦٠٠.
- (٩) في الأصل: «للسلوك»، وفي (ع): «للمسلوك»، والتصويب من (م).
- (١٠) عبارة «من نية.. إلخ»، في (م) و(ع): «من تيه خرجت تيه».
- (١١) في الأصل و(م) و(ع): «وافق»، والتصويب من (ب).
- (١٢) في قوله هذا إشارة إلى معنى الحديث الذي أخرجه الترمذي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه... الحديث، تقدم في الخطبة الأولى من الفصل الثالث.
- (١٣) كلمة «وفرزان» في (م) و(ع): «فرزان». والفرزان من لُعب الشطرنج، أعجمي معرب. ابن منظور، اللسان، «فرزن»، ٣٢٢/١٣.
- (١٤) البيذق: من لعب الشطرنج، واللفظة فارسية معربة. ابن منظور، اللسان، «بذق»، ١٤/١٠.
- (١٥) في (م) و(ع): «تقدم».
- (١٦) في الأصل و(م) و(ع): «يرى ما يرى»، والصواب ما أثبتناه.
- (١٧) في (م) و(ع): «حل».
- (١٨) في (م) و(ع): «أسر».
- (١٩) في (ع): «وافق».
- (٢٠) في (م) و(ع): «يجبر ما انكسر».
- (٢١) في الأصل: «وانكسر»، والصواب ما أثبتناه. وعبارة «أين من لين.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٢) عبارة «أعلم و» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٣) في (م) و(ع): «بقايا».

قال محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى^(١): «بينما^(٢) أنا ذات^(٣) ليلة مواجه هذا المنبر جوف الليل أدعو، إذا أنا بإنسان عند أسطوانة^(٤) قاعد^(٥) مقنع رأسه، فسمعتة يقول: أي ربي^(٦)، إن القحط قد استولى على بلادك^(٧)، وأنا مقسم عليك - يا رب - إلا سقيتنا^(٨). قال: فما كان إلا ساعة إذا بسحابة^(٩) قد أقبلت ثم أرسلها [١٢٨] الله ﷻ^(١٠). وكان ابن المنكدر لا يريد أن يخفى^(١١) عليه أحد من أهل الخير، فقال^(١٢): إن^(١٣) هذا في المدينة^(١٤) وأنا لا أعرفه، فلما سلم الإمام تقنّع وأنصرف، فأتبعته^(١٥) ولم أجلس حتى أتى داراً فدخل موضعاً فأخرج^(١٦) مفتاحاً ففتح بيتاً^(١٧) ثم دخل. قال: فرجعت فلما أصبحت^(١٨) أتيت، فإذا أنا أسمع نجراً في بيته، فسلمت عليه ثم قلت: أدخل^(١٩)؟ قال: أدخل، فإذا هو ينجر أقداحاً يعملها. فقلت له^(٢٠): كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها وأستعظمها مني، فلما رأيت ذلك قلت: إني^(٢١) سمعت إقسامك البارحة على الله تعالى، يا أخي هل لك في^(٢٢) نفقة تعينك^(٢٣) على هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة. فقال^(٢٤): لا، ولكن غير ذلك، أريد أن^(٢٥) لا تذكرني لأحد حتى أموت، ولا تأتيني يا ابن المنكدر فإنك إن تأتني تشهرني للناس^(٢٦). قلت: أخي^(٢٧) إني أحب أن ألقاك. قال: القني في المسجد، وكان فارسياً. قال: فما ذكرت ذلك لأحد حتى مات رحمة الله عليه^(٢٨). قال ابن وهب رحمه الله تعالى^(٢٩): وبلغني أنه أنتقل من

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ١٨٩/٢.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «المواطنة»، والتصويب من (م) و(ع). والأسطوانة: السارية معروفة. ابن منظور، اللسان،

«سطن»، ٢٠٨/١٣.

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «رب».

(٧) في (م) و(ع): «عبادك».

(٨) في (م) و(ع): «سقيتهم».

(٩) في (م) و(ع): «وإذا سحابة».

(١٠) في (م) و(ع): «تعالى».

(١١) في (م) و(ع): «يريد أن لا يخفى».

(١٢) في (م) و(ع): «وقال».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «بالمدينة».

(١٥) في (م) و(ع): «وأتبعته».

(١٦) في (م) و(ع): «ثم أخرج».

(١٧) عبارة «ففتح بيتاً» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «أصبح».

(١٩) في (م): «أدخل».

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «أخي».

(٢٢) في (م) و(ع): «من».

(٢٣) في الأصل: «تغنيك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٤) في (م) و(ع): «قال».

(٢٥) عبارة «غير ذلك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٦) عبارة «إن تأتني.. إلخ»، في (م) و(ع): «إن أتيتني شهرتني بين الناس».

(٢٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٨) في (م) و(ع): «فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل».

(٢٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). وابن وهب: هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم =

تلك الدار فلم ير ولم يذر أحد^(١) أين ذهب، فقال^(٢) أهل تلك الدار: بيننا وبين ابن^(٣) المنكدر الله تعالى^(٤) أخرج عنا الرجل الصالح. شعر^(٥):

بَرَاهُ^(٦) الضَّنَى^(٧) حَتَّى اسْتَبَانَ شُجُونَهُ^(٨) فَقَدْ مَلَ رَاقِيَهُ^(٩) وَكَلَّ طَبِيبُهُ
دَعَى الْحُبَّ سِرًّا قَلْبَهُ فَأَطَاعَهُ فَأَضْحَى سَلِيمٌ^(١٠) الشَّوْقِ لَمْ يَبْقَ حَوْلُهُ
يُرَدِّدُ فِيهِ الْعَابِدُونَ ظَنُونَهُمْ لِكُلِّ كَثِيبٍ^(١٥) بَعْدَ حِينٍ إِفَاقَةٌ
تَعْلَقُ لَيْلَى قَبْلَ تَكْوِينِ خَلْقِهَا^(١٧) تَخْلُقُ جَلَابُثَ الشَّبَابِ وَوَجْدُهُ
يُهَيِّجُ تَغْرِيدَ الْحَمَامِ أَنْتَحَابَهُ^(١٩) وَيُوسِعُهُ^(٢١) الْعُدَّالُ لَوْماً وَمَالَهُمْ
وَكَانَ حَافِظاً ثَقَّةً مُجْتَهِداً، تَوَفَّى سَنَةَ ١٩٧ هـ - ٨١٣ م. ابْنُ الْجَوْزِيِّ، الصَّفْه، ٣١٣/٤. ابْنُ خُلْكَانَ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، ٣٦/٣. الزَّرْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ، ١٤٤/٤.

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «قال».
(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٦) براه السفر: هزله. ابن منظور، اللسان، «برى»، ٧١/١٤.
(٧) في (م) و(ع): «الهوى».
(٨) في (م) و(ع): «سحوبه».
(٩) عبارة «فقد مل راقيه»، في الأصل: «فقدما من راقه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) السليم الجريح المُشْفِي عَلَى الْهَلَكَةِ. ابن منظور، اللسان، «سلم»، ٢٩٢/١٢.
(١١) في (م): «تسح».
(١٢) الغروب: مجاري الدمع. والغرب أحد الثُروب، وهي الدموع حين تجري. ابن منظور، اللسان، «غرب»، ٦٤٢/١.
(١٣) في (م) و(ع): «فتخطى».
(١٤) في (ع): «يصيبه».
(١٥) في الأصل: «كائب»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في الأصل: «كائبه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «خلقه».
(١٨) جلا الأمر وجلاه وجلاً عنه: كشفه وأظهره. ابن منظور، اللسان، «جلا»، ١٥٠/١٤.
(١٩) في (م) و(ع): «انتجاعه».
(٢٠) في (م) و(ع): «ونجيته».
(٢١) في الأصل: «ويسعده»، وهو تصحيف. وفي (ع): «وتوسعه»، وهي من (م).
(٢٢) في (م) و(ع): «يتتابهم».

يا خائضاً في ظلمات^(١) الظلم ستعاین ما تنتظر، أما علمت أن الجبال من الحصى وأن الأرض بها تستقر، دموع المظلوم خطوط في قرطاس الخدود يقرؤها قارئ القدر^(٢)، كم أبكى من عين وهو بعين من يرقبه لأمر مستقر، أعمى الظلم بصيرته فهو للمظالم يستصغر، يا ظالماً مهلاً عليك أنت^(٣) تعلم المظلوم بمن يستنصر^(٤)، غرك إمهال الحليم ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾^(٥)، خالفت من خلقك وجعلته خصمك^(٦) في المحشر، ما أنكد عيشك في القبر وما أفضح وما أمر، فيا من ظلم نفسه بالمعاصي فر إلى المولى^(٧) قبل أن تقول أين المفر، ويحك تظلم لغيرك ولا يمدحك كمهدي التمر إلى^(٨) الهجر^(٩)، أما تستحي يوم تقوم بين يديه وتقول الله أكبر، الظلم نَفْظٌ في جسم القلب عند هبوب عاصف الموت يتسفر، غاية تمنى الأموات ألا تكون عندهم تقبر، عجباً بجرائك^(١٠) وقد سمعت ما جرى لمن غبر، ويحك لو كنت طائعاً [١٢٩] لخفت^(١١) أما علمت أن المخلصين على خطر^(١٢)، إقلع شجرة الظلم من أرض غفلتك قبل يوم الإقلاع^(١٣)، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا سَفِيحٍ يُطَاعُ﴾. صالح المري رحمه الله تعالى قال^(١٤): «قدم علينا ابن السماك مرة فقال لي^(١٥): أرني

- (١) في (م) و(ع): «ظلمة».
- (٢) في الأصل: «القادر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في الأصل: «إن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) قوله هذا هو معنى حديث لرسول الله ﷺ رواه ابن عباس ؓ، ونصه: «اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب». البخاري، الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلّمت يوم القيامة، رقم الحديث (٢١)، ٢٥٩/٣.
- (٥) قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة القمر، آية ٥٣.
- (٦) عبارة «وجعلته خصمك»، في (م) و(ع): «وخلفته خلقك».
- (٧) في (م) و(ع): «مولاك».
- (٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «هجر». وقَجَر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وربما قيل الهجر، بالالف واللام، وقيل: ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣٩٣/٥. وقوله: «كمهدي التمر إلى الهجر» هو معنى المثل: «كمستبضع التمر إلى هجر»، وهو من الأمثال القديمة، وذلك أن هجر معدن التمر، والمستبضع إليه مخطئ. الميداني، مجمع الأمثال، ١٥٢/٢.
- (١٠) في (م) و(ع): «الجرائك».
- (١١) في (م) و(ع): «خفت».
- (١٢) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قَارِئُوا وَسَدُّوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله»، قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمّني الله برحمته منه وفضل». مسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث (٢٨١٦/٧٦)، ٢١٧٠/٤.
- (١٣) أي: قبل قدوم المنية.
- (١٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ١٩/٤.
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

بعض^(١) عجائب عبادكم، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له^(٢)، فاستأذنا عليه^(٣)، فإذا رجل يعمل خوصاً له، فقرأت: ﴿إِذْ الْأَطْفَالُ فِيَ أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾^(٤) في الْقَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ^(٥)، فشهِق الرجل فإذا هو قد خر^(٦) مغشياً عليه، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، وذهبنا إلى آخر، فاستأذنا عليه^(٧) فقال: أدخلوا^(٨) إن لم تشغلونا^(٩) عن ربنا، فدخلنا فإذا هو^(١٠) رجل جالس في مصلاه^(١١) فقرأت: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(١٢) فشهِق شهقة فدر الدم من منخره^(١٣)، ثم جعل يتخبط في دمه حتى يبس، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله حتى أدركته على ستة أنفاس، كل نخرج من عنده وهو على هذه الحالة، ثم أتيت به السابغ، فاستأذنته فإذا امرأته داخل الحُصَّ^(١٤) تقول: أدخلوا. فدخلنا، فإذا شيخ فاني جالس في مصلاه، فسلمنا عليه^(١٥) فلم يَعْقِلَ سَلامنا، فقلت بصوت عال: إن للخلق غداً مقاماً. فقال^(١٦): بين يدي^(١٧) من ويحك. قلت: بين يدي^(١٨) دَيَّان يوم الدين^(١٩). ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً ببصره^(٢٠) يصيح بصوت له ضعيف حتى [٢٩ب] أنقطع صوته^(٢١)، فقالت امرأته: أخرجوا عنه فإنكم لا^(٢٢) تنتفعون به الساعة. فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة منهم^(٢٣) قد أفاقوا^(٢٤)، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى، وأما الشيخ فإنه بقي^(٢٥) ثلاثة أيام على حاله مبهوتاً لا يؤذي فرضاً، فلما كان بعد ثلاثة أيام عقل رضي الله عنهم أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين آمين يا رب العالمين^(٢٦). شعر^(٢٧).

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) عبارة «في خص له»، في (م): «في خص»، وفي (ع): «في حصن».
- (٣) في (م) زيادة: «فأذن لنا»، وفي (ع) زيادة: «وأذن لنا».
- (٤) سورة غافر، آية ٧١، ٧٢. وفي (م) و(ع): ﴿إِذْ الْأَطْفَالُ فِيَ أَعْتَقِهِمْ﴾ الآية.
- (٥) في (م) و(ع): «فإذا به قد يبس».
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «تشغلنا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) سورة إبراهيم، آية ١٤.
- (١٠) عبارة «فإذا امرأته داخل الحُصَّ»، في (م) و(ع): «فإذا امرأة من وراء الحُصَّ».
- (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «يد»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، والصواب ما أثبتناه.
- (١٤) عبارة «قلت بين يدي ديان يوم الدين» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع) زيادة: «نحو السما».
- (١٦) في (م) و(ع): «ليس».
- (١٧) في الأصل: «فأفاقوا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) عبارة «رضي الله عنهم.. إلخ» ساقطة في (م)، وفي (ع): «رضي الله عنه».
- (١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

كَيْفَ كَثَمَانِ سَرِّي الْمَكُونُونَ
إِذْ تَمَادَى يَرْجُو الْعَوَاضِلَ بِرُؤْيِي
لَأَطِيلَنَّ وَقَفَّةَ الْحَزَنِ فِي
بِفُؤَادٍ سَاءٍ وَقَلْبٍ حَزِينٍ
خَلَّ عَنِي مَا^(٤) الْفَارِغِ الْقَلْبِ كَالِ
عَيْلٍ صَبْرِي وَبَاحٍ^(٦) بِالسَّرِّ دَمْعِي
جَمَرَاتٍ فِي أَضْلَعِي^(٧) زَقَرَاتٍ
لَوْ شَهِدْتُمْ يَوْمَ النَّوَى وَ^(٨) وَقُوفِي
وَحُضُوعٍ لَوْلَاهُ لَمْ يَعْلَمْ الْوَا
يَا وَلَاءَةَ الْيَدِيْنَ طَلَّ^(٩) دَمُ الْـ
فَإِذَا هَزَّتِ^(١٠) الصَّبَا غُضُنَّ^(١١) الْبَا
فَاسْأَلُوا إِنْ مَرَرْتُمْ^(١٣) بِطَلِيقِ

وَأَشْتِيَاقِي يَبْدِي أَفْتَضَّاحَ شُؤُونِي^(١)
وَجُنُونُ الْعُذْرِي^(٢) دُونَ جُنُونِي
أَظْلَالٍ لَيْلِي إِطَالَةَ الْمَحْزُونِ
وَحَشَى خَافَقَ وَدُمِعَ هَتُونِ^(٣)
صَبَّ وَلَيْسَ الْخَلِي^(٥) كَالْمَفْتُونِ
فَمَصُونِ الْأَسْرَارِ غَيْرِ مَصُونِ
هِيَ نَارُ الْحَشَى وَمَاءُ الْجَفُونِ
خَلَّفَ دَمْعٍ رَاقٍ وَصَبْرٍ خَوْونِ
شُونَ مَا بِي مِنَ الْغَرَامِ الدَّفِينِ
عَاشِقٍ بِالْمَظَلِّ يَا وَلَاءَةَ الْيَدِيْنَ
نَ وَبَاتَتْ تُثْنِي قُدُودَ^(١٢) الْغُصُونِ
عَنْ يَدِ الْحَبِّ فِي الْفُؤَادِ الرَّهِينِ^(١٤)
[بحر الخفيف]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي اخترع الموجودات فلا يعزب^(١٥) عن علمه معلوم، سَمَّى نَفْسَهُ [١٣٠] لِيَدُلَّ

- (١) عبارة «واشتياقي.. إلخ»، في (م) و(ع): «وشوقي يهوى افتضاح فتوني».
- (٢) في الأصل: «العدول»، وهي من (م) و(ع).
- (٣) هتن المطر والدمع يَهْتِنُ هَتْنًا وَهَتُونًا: قطر. وعين هتون: الدمع. ابن منظور، اللسان، «هتن»، ٤٣١/١٣.
- (٤) في الأصل: «يا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٥) رجل خَلِيٍّ وَخَلِيَّانٍ وَأَخْلِيَاءٌ: لا نساء لهم. وَتَخَلَّى: تفرغ. ابن منظور، اللسان، «خلا»، ٢٤١/١٤، ٢٤٢.
- (٦) في الأصل: «أباح»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «اضلاعي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٩) الظَّلُّ: هَذَرُ الدَّمِ. ابن منظور، اللسان، «طلل»، ٤٠٥/١١.
- (١٠) في (م) و(ع): «حركت».
- (١١) في الأصل: «عذب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «خدود»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «فأسألوا إن مررتم»، في (م) و(ع): «فأسألا إن مررتما».
- (١٤) عبارة «عن يد الحب.. إلخ»، في (م) و(ع): «من يد الحب عن فؤاد الرهين»، وهو تصحيف.
- (١٥) عَزَبَ يَعْزِبُ عَزْوِيًّا: ذهب، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبا: ٣] معناه: لا يغيب عن علمه شيء. ابن منظور: اللسان، «عزب»، ٥٩٦/١.

خلقه عليه ومن أخص أسمائه الحي القيوم^(١)، قسم في سابق علمه^(٢) الأخلاق والأرزاق والآجال والعلوم، تنزه عن الجوهر والعرض والطبيعة والانقسام والمقسوم^(٣)، أسكن لطيف الأرواح في أقفاص^(٤) الأشباح فهي على الخلاص^(٥) تروم و^(٦) تحوم، يعلم ما فوق الفوق وما تحت التحت وما بينهما وما تحت التخوم^(٧)، يعلم هاجس الهاجس في الخاطر^(٨) ويسمع أنين الجنين وهو في الأمعاء والأرحام مغموم، يرى ديبب النملة السوداء في الليلة المظلمة^(٩) في كن كنها^(١٠) وضجيجها^(١١) والمكلموم، فيا من أسبل الأستار على المعاصي أما علمت هذه العلوم، كلك شاهد عليك أما علمت أن المعاصي^(١٢) سموم، خالفت من حالفك على الوفاء بالمختوم^(١٣)، أرى شقائك مثبتاً في كتاب القضاء عليه ختام مختوم، أتدري متى تكون القراءة إذا وصل رسول المنون بالمحتوم^(١٤)، هناك^(١٥) تبدو السعادة للسعداء وتذهب عنهم الهموم، وأهل الشقا تفجؤهم^(١٦) الفجائع والكرب والغصوم، ﴿وَلَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ^(١٧) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْشُورٌ^(١٨).

إخواني ما أظلم أوقات الغفلة، و^(١٩) ما أقرب أيام المهلة، بينما أنت صحيح قيل به علة،

(١) الحي القيوم: هما اسمان من أسماء الله تعالى. قال الله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فأما الحي فهو الباقي الذي لا يموت أبداً، وأما القيوم فهو القائم بتدبير ما خلق. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٧١/٣، بتصرف.

(٢) في (م) و(ع): «العلم».

(٣) عبارة «والانقسام والمقسوم»، في (م) و(ع): «والأقنوم». والمعنى: تنزه الله ﷻ أن ينقسم في ذاته أو يطرأ عليه الانقسام؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ أَفْكَدٌ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

(٤) في الأصل: «قفاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) عبارة «فهي على الخلاص»، في الأصل: «على الإخلاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) عبارة «تروم و»، ساقطة في (م) و(ع).

(٧) التَّخُوم: الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم. ابن منظور، اللسان، «تخم»، ٦٤/١٢.

(٨) في (م) و(ع): «في الخاطر الحاضر». (٩) في (م) و(ع): «الظلما».

(١٠) عبارة «في كن كنها»، في الأصل: «كركها»، والتصويب من (م) و(ع). والكن: وقاء كل شيء وستره. والكن: البيت أيضاً. ابن منظور، اللسان، «كنن»، ٣٦٠/١٣.

(١١) في (م): «وصحيحها»، وهو تصحيف، وفي (ع): «وصحيحها».

(١٢) عبارة «أما علمت هذه العلوم.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «بالمحتوم». وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَتَّخِذْتُم مِّنْ أَنفُسِهِمْ أَلْسِنَةً رَّبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنَّا قَوْلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(١٤) عبارة «أتدري.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «هنالك». (١٦) في (م) و(ع): «تفجعهم».

(١٧) سورة الحجر، آية ٤٣، ٤٤. (١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

تناهبتك يد الأسقام وعاد منك في التوبة نقلة^(١)، تسابقت^(٢) سوابق الضعف تنذك بالرحلة، أدركك^(٣) الندم وهو يومئذ لا يشفي علة^(٤)، تناديك أيام البطالة من له بالإقالة من له، تشهد الجوارح أنه كانت عليه^(٥) الطاعة صعبة والمعاصي^(٦) سهلة، سقته [٣٠ب] المنون كاس السكرات بلا رفيق ولا مهلة^(٧)، شخص البصر لمعاينة ما أعد الله^(٨)، سيعلم^(٩) منزله في القبر ومحلّه، قسم الوارث تراثه وتزوج^(١٠) أهله، وأضحى في ظلمات^(١١) الرمس^(١٢) نسيه الأهل^(١٣) ومله، يا طول أحزانه ويا لها من حشرات^(١٤) ومن ذلة^(١٥)، فبادر باب المتاب فالطريق مع المتاب^(١٦) سهلة، فما للعصاة طاقة على الحميم والزقوم^(١٧)، «وَلَا جَهَنَّمَ لَنُوعِدَنَّهُمْ أَحْمَقِينَ» ﴿لَمَّا سَعَى أَثَرُ الْكَلْبِ بِأَبَى جُنَّةٍ مَّقْسُورٌ﴾.

عن أبي الحسين بن سمعون^(١٨) رحمه الله تعالى: «أجترت^(١٩) يوماً على الفرات فرأيت امرأة تلتقط^(٢٠) من ورق البقل الذي يأتي^(٢١) على الماء، فقلت: لا شك أن هذه المرأة^(٢٢)

(١) النُقْلَة: المرأة تترك فلا تخطب لكبرها. ابن منظور، اللسان، ٦٧٥/١١. والمعنى: أنه لم يعد لتوبته من أمل لكثرة المعاصي والإصرار عليها.

(٢) في (م) و(ع): «تسابقتك».

(٣) في (م) و(ع): «أدركه».

(٤) في (م) و(ع): «عُله».

(٥) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «وعلى المعاصي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «سقته.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ويعلم».

(٩) في (م) و(ع): «ظلمة».

(١٠) الرُّمَس: القبر. ابن منظور، اللسان، «رمس»، ١٠١/٦.

(١١) في (م) و(ع): «الآل».

(١٢) عبارة «ويا لها.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا لها من حشرة».

(١٣) في (م): «مثلة».

(١٤) في (م) و(ع): «الإخلاص».

(١٥) الحميم: الماء الحار. والزقوم: كل طعام يقتل، والزقوم طعام أهل النار، وهو ما وصف الله في كتابه فقال: «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» [الصفافات: ٦٤]. ابن منظور، اللسان، «حمم»، ١٥٤/١٢، و«زقوم»، ٢٦٨/١٢، ٢٦٩.

(١٦) في الأصل و(م) و(ع): «عن أبي الحسن بن سمعون»، والتصويب من الصفة وتاريخ الإسلام. والقصة

ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٥١٠/٢. وأبو الحسين: هو محمد بن أحمد بن إسماعيل الإمام أبو

الحسين بن سمعون البغدادي الواعظ، كان أُوْحِدَ دهره وفرد عصره في الكلام على علم الخواطر

والإشارات، ولسان الوعظ، ذُوْن الناس جُكْمه وجمعوا كلامه، توفي سنة ٣٨٧هـ - ٩٩٧م. ابن الجوزي،

صفة الصفوة، ٤٧١/٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات سنة ٣٨١ - ٤٠٠هـ، ص ١٥٢.

(١٧) في (م) و(ع): «قال: أجترت».

(١٨) في (م) و(ع): «تلتقط».

(١٩) في (م) و(ع): «ينبت».

(٢٠) في (م) و(ع): «امرأة».

فقيرة، فوقفت حتى رجعت فتبعتها فدخلت إلى دار، فرجعت إلى بيتي، فما^(١) استقررت في منزلي^(٢) حتى جاءني غلام ومعه دنانير ودراهيم^(٣)، فلما رأيته قال: أدفع هذه^(٤) إلى محتاج، فأخذتها^(٥) وأتيت بيت المرأة، فضربت^(٦) الباب فخرج إلي رجل من خواص مجلسي ومن الملازمين لي، فقال لي^(٧): مالك هكذا؟ قلت: جئتكم بهذه الدنانير^(٨) تستعينون بها على القوت^(٩)، فنظر إلي مغضباً فقال لي^(١٠): يا شيخ تحذروننا من الدنيا^(١١) وتأتينا بها، ثم ردّ الباب في وجهي ودخل، فرجعت منكسراً^(١٢) إلى بيتي، ثم قلت في نفسي لا بد أن أعود إليه وأعتذر إليه^(١٣)، فأتيته في اليوم الثاني وضربت^(١٤) الباب مراراً، فلم يجاؤيني^(١٥) أحد، وإذا امرأة من الجيران تقول: مالك يا رجل؟ فقلت^(١٦): ما فعل أهل الدار؟ فقالت^(١٧): كان في هذا الدار رجل مع والدته [٣١] وكنا نتبرك بهما فجاءنا^(١٨) بالأمس رجل^(١٩) شيطان فكلهما بما كرها فانتقلا عنا، فعدت وأنا شديد الحزن على ما فعلت، وجعلت أنفقد الرجل. فلما كان يوم عرفة وأنا أتكلم مع^(٢٠) الناس رأيته^(٢١) في أواخرهم، فلما أنقضى المجلس مضيت إليه وسلمت^(٢٢) عليه، فسلم^(٢٣) وقال لي^(٢٤): لا تعد إلى^(٢٥) ما فات ولا تقل شيئاً، فلولا أنني أعتقدت^(٢٦) كلامك دواء قلبي لم أحضر وإنما غبت عنك لأنتقلنا^(٢٧) إلى مكان آخر حتى لا يعرف مكانني^(٢٨)، فقلت: ما أتيتك إلا معتذراً ولا^(٢٩) أعود، ثم فارقت رحمة الله عليه^(٣٠). شعر:

-
- (١) في الأصل: «فلما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) عبارة «استقررت.. إلخ»، في (م) و(ع): «استقر بي المجلس».
(٣) عبارة «جاءني.. إلخ»، في (م) و(ع): «جاءني خادم معه دراهم ودنانير».
(٤) في (م) و(ع): «هذه الدراهم».
(٥) في (م) و(ع) زيادة: «وقسمتها وقمت».
(٦) في (م) و(ع): «وطرقت».
(٧) عبارة «فقال لي»، في (م) و(ع): «قال».
(٨) في (م) و(ع): «الوقت».
(٩) في (م) و(ع): «يا شيخ تحذروننا الدنيا».
(١٠) في (م) و(ع): «لا بد أن أعود فأعتذر له».
(١١) في (م) و(ع): «يجبني».
(١٢) في (م) و(ع): «قلت لها».
(١٣) في (م) و(ع): «فجاء».
(١٤) في (م) و(ع): «على»، وهو تصحيف.
(١٥) في الأصل: «ورأيت»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) عبارة «مضيت.. إلخ»، في (م) و(ع): «مضيت فسلمت».
(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «أعتقد».
(٢٠) في (م) و(ع): «حتى لا نعرف».
(٢١) في (م) و(ع): «لأنتقلنا من المكان».
(٢٢) في (م) و(ع): «وما».
(٢٣) في (م) و(ع): «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٤) في (م) و(ع): «وما».

دَغَ عَذْلَهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ إِخْوَانِهِ
 إِنَّ الْعَذُولَ هُوَ الْحَوُونُ إِذَا لَحَا^(٢)
 نَشَرَتْ مَطَاوِي^(٥) سِرِّهِ أَنْفَاسُهُ
 نَظَرَ الْوُشَاةَ إِلَى مَذَابِغِهِ وَقَدْ
 وَدَّتْ بَأْنَ^(٦) الْحُبِّ طَارِ بِلُبِّهِ
 فَتَكَائِرَتْ مِنْ حَوْلِهِ أَغْدَاؤُهُ
 هَيْهَاتَ مَا يُبْقِي الْهَوَى دَمْعاً لَهُ^(٨)
 يَا أَيُّهَا الْغَادِي أَجْتَنِبْ وَادِي اللَّوَى
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْعَقِيقُ^(٩) فَإِنَّمَا^(١٠)
 هَذَا الْفِرَاقُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ
 وَأَسْتَوْقِفُ الْحَادِي وَسَلَّ أَظْعَانَهُ
 مَا لِلْمُتَتِّمِ وَالْعَقِيقِ أَمَا كَفَى

يَكْفِيكَ مَا يُخَفِّيه^(١) مِنْ أَشْجَانِهِ
 لَا تَغْذِلْنَهُ^(٣) أَنْتَ^(٤) مِنْ أَغْوَانِهِ
 فَبَدَا وَأَغْرَبَ شَانَهُ عَنْ شَانِهِ
 نَطَقَتْ بِمَا أَخْفَاهَ صَمْتُ لِسَانِهِ
 وَتَحَكَّمَتْ^(٧) فِيهَا يَدَا سُلْطَانِهِ
 لَمَّا خَلَّى نَادِيَهُ مِنْ خِلَالِهِ
 مِنْ بَعْدِ مَا جَذَبَ الْهَوَى بِعِنَانِهِ
 فَالْأَسْدُ تَرَعَّى اللَّحْظَ مِنْ غِرْلَانِهِ
 شَكَّوَاكَ بَيْنَ لَوَى الْعَقِيقِ وَيَانِهِ
 مَوْتُ^(١١) الزُّوَامِ^(١٢) وَإِنْ شَكَّكَتَ قَعَانَهُ^(١٣)
 فَفُزَادَكَ الْمَاسُورُ فِي أَظْعَانِهِ [٣١ب]
 فِي الْحَزْنِ مَا قَاسَاهُ مِنْ أَخْزَانِهِ
 [بحر الكامل]

يا عبد السوء كم تعصي ونستري، كم تكسر باب نهبي ونجبر، كم استقطر من عينك دمع^(١٤)
 الخشية ولا يقطر، كم أطلب وصلك بالطاعة وأنت^(١٥) تهجر، كم لي عليك من النعم وأنت

(١) عبارة «يكفيك.. إلخ»، في (م) و(ع): «يكفيه ما يلقاه».

(٢) اللحاء: العذْل، ولحيث الرجل الحاء لحيّاً إذا لُمته وعذلته، واللواحي: العواذل. ابن منظور، اللسان، «الحاء»، ٢٤٢/١٥، ٢٤٣.

(٣) في (م) و(ع): «تَحَلَّلْتَهُ».

(٤) في الأصل و(م) و(ع): «فأنت»، والصواب ما أثبتناه لاستقامة الوزن.

(٥) في (م) و(ع): «مساوي».

(٦) في الأصل: «ووددت أن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «وتحطمت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «هيهات ما يتقاد مع عذالته».

(٩) العقيق: هو كل مسيل ماء شقة السيل في الأرض فأنهره ووسعه، وفي بلاد العرب أربعة أعققة، وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق، وذكروه مطلقاً. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٣٨/٤.

(١٠) في الأصل: «فإنها»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «الموت».

(١٢) موت زوام: كربه، أو مُنْجِز. الفيروزآبادي، القاموس، «زأم»، ص ١٤٤٢.

(١٣) عانى الشيء: قاساه. يقال: عاناه وتَعَنَاهُ وتَعَتَّى هو. ومعاناة الشيء: مُلَابَسَتُهُ ومُبَاشَرَتُهُ. ابن منظور، اللسان، «عنا»، ١٠٥/١٥، ١٠٦.

(١٤) في (م) و(ع): «كم استقطر من ماء عينك ماء».

(١٥) كلمة «وأنت» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

بعد ما تشكر، خدعتك الدنيا وأعماك الهوى وأنت لا^(١) تسمع ولا تبصر^(٢)، سخرت لك الأكوان وأنت تطفئ وتكفر، تطلب الإقامة في الدنيا وإنما هي قنطرة^(٣) لمن يعبر^(٤)، إذا خربت إقليم العمر^(٥) بالمعاصي متى يعمر، كل يوم في غفلة ما هذه ليلة هذه أشهر، عتقاء^(٦) هل من داع لا يُصَاد إلا بشبكة السَّهر لمن يَسهر^(٧)، ما أطيب عيشَ الزاهد^(٨) في الدنيا تمرُّ به وهو لا يشعر، وأهل الشَّقَا طعامهم الضريع واليحموم^(٩). «وَلَا جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ».

قال ابن عياش القطان^(١٠) رحمه الله تعالى: «كانت امرأة بالبصرة يقال لها مُنيّة^(١١)، وكانت لها أبنّة أشد عبادة منها، وكان الحسن^(١٢) ربما يراها، ويتعجب منها ومن عبادتها على حداثة سنّها^(١٣)، فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آتٍ فقال له^(١٤): أما علمت أن الجارية في سياق الموت^(١٥)، فوثب الحسن ودخل^(١٦) عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكت، فقال لها: يا حبيبتى^(١٧) ما يبكيك؟ فقالت^(١٨): يا أبا سعيد التراب يحثي على شبابي وأنا لم أشيع من

(١) عبارة «وأنت لا»، في (م) و(ع): «وأنت بَعْدُ مَا».

(٢) في (م) و(ع): «تنظر».

(٣) القنطرة: الجسر. ابن منظور، اللسان، «قنطر»، ١١٨/٥.

(٤) في الأصل: «يعتبر»، وهي من (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «عمر».

(٦) العتقاء يقال: إنها طائر عظيم لا تُرى إلا في الدهور، ثم كثر ذلك حتى سموا الداهية عتقاء. ابن منظور، اللسان، «عتق»، ٢٧٦/١٠.

(٧) في (م) و(ع): «يسمر». (٨) في الأصل: «الزاهدين»، وهي من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «الضارع والمجموع»، والتصويب من (م) و(ع). والضريع: هو نبت بالحجاز له شوك كبير يقال له: الشُّبْرُق. واليحموم: دخان أسود شديد السواد، وقيل: اليحموم سُرادق أهل النار. ابن منظور، اللسان، «ضرع»، ٢٢٣/٨، و«حمم»، ١٥٧/١٢.

(١٠) في الأصل: «أبو عياش القطان»، والتصويب من (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٢٧. وابن عياش: هو أبو عبد الله الحسين بن يحيى بن عياش بن يحيى، البغدادي القطان، الشيخ المحدث الثقة، مسند بغداد، توفي سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٥م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣١٩/١٥. وتاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٣١ - ٣٥٠هـ، ص ١٠٢.

(١١) في الأصل: «منيعة»، وفي (م) و(ع): «منيّة»، والتصويب من صفة الصفوة. ومنيّة: كانت من مصطفيات عابدات البصرة. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٧/٤. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ١١٥/٥.

(١٢) هو الحسن بن يسار البصري. وقد تقدمت ترجمته.

(١٣) عبارة «ويتعجب منها.. إلخ»، في (م) و(ع): «ويتعجب من عبادتها على حداثتها».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) عبارة «في سياق الموت»، في (م) و(ع): «تموت».

(١٦) في (م) و(ع): «فدخل». (١٧) عبارة «يا حبيبتى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «قالت».

طاعة ربي ﷻ^(١)، يا أبا سعيد أنظر إلى والدتي وهي تقول^(٢): احفر لابتي قبراً واسعاً وكفنها [١٣٢] كفنا حسناً، والله لو كنت أجهز إلى مكة لطال حزني، فكيف و^(٣) أنا أجهز إلى ظلمة القبر وحشة^(٤) وبيت الظلمة والدود». شعر:

لَعَمْرُكَ مَا شَطَّ^(٥) الْعَرَامُ وَلَا نَأَى
هَل الشُّوقُ إِلَّا جَذْوَةٌ^(٦) بَيْنَ أَضْلُعِي
أَعِيدُوا قَصِيرَ اللَّيْلِ مِنْ بَعْدِ طُولِهِ^(٨)
لَقَدْ حَمَلْتُ نَفْسِي اغْتِرَاراً أَدَى الْهَوَى
وَكَانَتْ قُبَيْلَ الْبَيْنِ^(١٠) تَحْذَرُ كَوْنَهُ^(١١)
وَمَا هَانَ إِلَّا فِي الصَّبَابَةِ عِزُّهَا
لَيْسَ أَفْتُقُ إِذْ فُتْتُ مِنْ سَكْرَةِ الْهَوَى
عَلَى أَنْ لِي نَفْساً إِذَا ذُكِرَ الْحِمَى
تُقَادُ بِأَذْنَى الْعِشْقِ طَرّاً^(١٣) إِلَى الرَّدَى

وإنْ بَعَدَتْ لَيْلَى وَشَطَّ مَزَارُهَا
وَهَلْ عَبَّرَاتِ الْعَيْنِ إِلَّا شِرَارُهَا^(٧)
فَخَيْرَ لَيْالِ الْعَاشِقِينَ قِصَارُهَا
أَلَا طَالَ مَا أَدَى^(٩) النَّفُوسَ اغْتِرَارُهَا
فَلَمَّا أَنَاهَا الْبَيْنَ شَطَّ مَزَارُهَا^(١٢)
وَلَا خَانَ إِلَّا فِي الْفِرَاقِ أَصْطَبَارُهَا
فَمَا هُوَ حَتَّى الْيَوْمِ يَبْدُو خِمَارُهَا
سَحَّتْ بِدَمْعٍ كَالسَّيُولِ أَنَّهُمَا رُهَا
وَيَأْتِي عَلَى أَيْدِي الزَّمَانِ أَنْتِشَارُهَا

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي خلق الإنسان من طين ثم يعيده إليه ثم يخرج منه وهو^(١٤) المبدئ المعيد، نسل^(١٥) من مائع السلالة نسل الحيوان وركبه في الإيجاد كما يُريد، خص بكمال العقل من أصطفاه^(١٦) من العبيد، ومنع من خذله بمشيئته فهو عن طريق الحق بعيد^(١٧)، جعل

(١) عبارة «يا أبا سعيد التراب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «تقول لوالدي».

(٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) عبارة «إلى ظلمة.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلى ظلمة القبور ووحشتها».

(٥) شَطَّ داره: بَعُدَتْ. ابن منظور، اللسان، «شطط»، ٣٣٣/٧.

(٦) في (م): «وجدة»، وهو تصحيف. والجَذْوَةُ: الجمرة. ابن منظور، اللسان، «جذا»، ١٣٨/١٤.

(٧) في الأصل: «وهل عبرة الدمع إلا شرارها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من بعد طوله»، في (م) و(ع): «بعد طويله».

(٩) عبارة «ألا طال ما أَدَى»، في الأصل: «فلعل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (ع): «الليل».

(١١) في الأصل: «طرفه»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: تحذر حدوث البين.

(١٢) عبارة: «فلما أَنَاهَا الْبَيْنَ.. إلخ»، في (م) و(ع): «وكان كأن لم يغن عنها حذارها».

(١٣) في (م) و(ع): «طورا». وَطَرَ الْإِبِلَ يَطْرُهَا طَرّاً: ساقها سوقاً شديداً وطردها. ابن منظور، اللسان، «طرر»، ٤٩٨/٤.

(١٤) في (م) و(ع): «فهو».

(١٥) في (م) و(ع): «أصطفى». والمصطفون هم الأنبياء والمرسلون.

(١٦) في (ع): «يحيد».

العلم أنيسه^(١) لما علم أنه في قفار البدن غريب فريد، فالعارف دائم الأحزان من خوف الوعد والوعيد، هجر الأوطان^(٢) والأقطار فهو بين^(٣) الخوف والرجاء^(٤) يُميد^(٥)، هجرت أجفانه طيب الكرى فله في مقام ماتم الأحزان تعديد^(٦) [٣٢ب]، كم لورقاء نفوسهم على أغصان المراقبة من ترجيع وتغريد، أذابهم الخوف فإذا هم^(٧) كالخيال ينظر^(٨) من بعيد، وأهل الغفلة في عيش الشهوات لو علموا في تنكيد، نسوا أهوال^(٩) الحساب وغربة القبر المديد، وحسرات الأسف على الأرواح وتناهب الدود والصدید^(١٠)، وغربة ينسأ فيها الأهل والقربات والصاحب العميد^(١١)، ضجيعه عمله فالويل^(١٢) له إن كان غوياً ويا^(١٣) فرحته إن كان رشيد، أما ترى معاول الأيام تخرب قصر البدن وسيف الحمام يقطعه عما يريد، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(١٤)، فسبحان من ليس^(١٥) في فعله ترديد، أحمده حمدا أرجو به من نعمه المزيدي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عليها أموت وأبعث من أهل التوحيد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ميمون البعثة وهو الطالع السعيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه^(١٦) أولي الحكم والتسديد.

يا غائباً عن رفاق التائبين قسمت الغنائم وأنت في نوم غفلتك نائم^(١٧)، ولا نوم أصحاب الكهف^(١٨) يا ليتك سالم، إن كنت في اليقظة مطروداً فذلك الذي تلقى وأنت نائم، قلبك في

(١) الضمير في «أنيسه» عائد على العقل. (٢) في (م) و(ع): «الأوطار».

(٣) في الأصل و(م) و(ع): «من»، والصواب ما أثبتناه.

(٤) في الأصل: «والجفا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) ماد يُميد مبدأ: تحرك ومال. ابن منظور، اللسان، «ميد»، ٤١١/٣. وقوله هذا إشارة إلى أن العبد المؤمن يكون دائماً بين الخوف والرجاء، يخاف من بطشه تعالى، ويرجو رحمته ومغفرته، فلا خوف يودي إلى القنوط، ولا رجاء يودي إلى التقصير، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعٌ أَلْفَاقٌ وَإِنَّ لَفُتُورَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ١٦٧]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد». مسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم الحديث (٢٣/٢٧٥٥)، ٢١٠٩/٤.

(٦) أي معاودة وتجديد. (٧) في (م) و(ع): «بهم».

(٨) في (م) و(ع): «يُنظر». (٩) الكلمة ساقطة في (م).

(١٠) الصديد هو الدم والقيح الذي يسيل من الجسد. ابن منظور، «صدد»، ٢٤٦/٣.

(١١) العميد: الذي بلغ به الحب مبلغاً. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣٠٥/٣.

(١٢) في (م) و(ع): «فويل». (١٣) الكلمة ساقطة في (م).

(١٤) سورة هود، آية ١٠٢. (١٥) في (م) و(ع): «مَنْ ليس له».

(١٦) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع). (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) أصحاب الكهف هم فتية آمنوا بالله إيماناً صادقاً، وخالفوا دين ملكتهم فتركوا عبادة الأوثان والأصنام، =

العراق وهواك في التهائم^(١)، جسمك في المجلس وقلبك في الأسباب مُلازم^(٢)، متى تحن إلى نفحات نجد متى تستنشق تلك النسائم، سفينة^(٣) التوبة [١٣٣] ما تركب! وجسر العزم مقطوع ولا السباحة تحسن! متى تعبر جسر^(٤) العزائم، ليلى^(٥) بها قيس^(٦) هائم، أين الفقراء أين الواجدون أين العارفون أين السالك أين العالم، متى يخذ الدمع أخدوداً^(٧) في الخد الناعم، متى ترافق محمل المجتهدين وبين يديك مشعل^(٨) التلاوة^(٩) قائم، لا تظهر سلع^(١٠) الواجدين إلا إذا كان سوق السماع قائم، البس رداء الذل وبادر باب التوبة وأطلب^(١١) الراحم، الوقت ضيق والشباب ولى فقم وبادر وزاحم، التنور^(١٢) حمي فألصق فرص الندم فإذا نضج فانت نادم، وإذا طاب لك مجلس التوبة فأدخل فانت تعلم من تنادم، ما كل محب يواتي المحبوب ولا كل سليم من الهوى سالم، يا مسافراً في تيه الحرمان متى أراك قادم، إن فانتك التوبة في هذا المجلس فقلبك قلب البهائم^(١٣)، كم ويحك تسوف بالحرمان حتى يحول الحمام بينك وبين ما تريد: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَ وَهِيَ ظِلْمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾.

= فرُفِع خبرهم إلى الملك، فخافوه فهربوا ليلاً، ومروا براح معه كلب فتبعهم فأووا إلى الكهف يتعبدون، فتبعهم الملك إلى فم الغار، وأمر قسداً عليهم الكهف، وهو يظنهم أيقاظاً، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، ويقوا نائمين سنين طويلة، ثم بعثهم الله تعالى، وأطلع الناس عليهم ليعلموا أن وعد الله بالبعث حق، فقد كان هناك من ينكر البعث فأراهم الله هذه الآية تهيئة للمؤمنين وحجة على الكافرين، وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥٦/١٠. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، الجزء الخامس عشر، ص ٤٨، بتصرف.

- (١) التهائم: جمع التَّهْم وهو مصدر من تَهَامَة. ابن منظور، اللسان، «تهم»، ٧٣/١٢. وتهامة تسائر البحر طرفها من قِبَل الحجاز مدارج العُرج، وأولها من قِبَل نجد ذات عرق. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢٨٣/١. والمعنى: قلبك في عراك مع المعاصي، ونفسك في هيام مع الهوى.
- (٢) أي: ملازم لأسباب الحياة والمعيشة والتلهي في الدنيا.
- (٣) في الأصل: «بشارة»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع) «ليلة ليلى». وليلى: هي بنت مهدي بن سعد، أم مالك العامرية، صاحبة المجنون قيس بن الملوح. الزركلي، الأعلام، ٢٤٩/٥.
- (٦) هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري، من المتيمين، من أهل نجد لم يكن مجنوناً، وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى بنت سعد، وفي وجودهما شك كبير. الأعلام، الزركلي، ٢٠٨/٥.
- (٧) في (م) و(ع): «متى تخذ الدموع أخدوداً». وَخَذَ الدمع في خَدِهِ: أثّر. وَالْخَذُّ وَالْأَخْدُودُ: الحفرة تحفرها في الأرض مستطيلة. ابن منظور، اللسان، «خدد»، ١٦٠/٣.
- (٨) في الأصل: «ومشعال»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «البلادة»، وهو تصحيف. (١٠) في (م) و(ع): «مع».
- (١١) كلمة «وأطلب» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) التَّنُور: نوع من الكوايين. والتَّنُور: الذي يُخْبَزُ فيه. ابن منظور، اللسان، «تنر»، ٩٥/٤.
- (١٣) في (م) و(ع): «هايم».

عبيس بن مرحوم^(١) العطار رحمه الله تعالى قال^(٢): حدثني عبدة ابنة أبي شوال^(٣) وكانت من خيار^(٤) إماء الله تعالى^(٥)، وكانت تخدم رابعة^(٦)، قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت^(٧) في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، وكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها وهي فازغة^(٨): يا نفسي^(٩) كم تنامين! يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها^(١٠) إلا لصرخة [٣٣] النشور، قالت: وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرته الوفاة دعنتي فقالت^(١١): يا عبدة^(١٢) لا تؤذني بموتي أحداً، وكفني في جبتي^(١٣)؛ هذه جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هجعت^(١٤) العيون. قالت: فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه. قالت عبدة^(١٥): فرأيتها^(١٦) بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة أستبرق^(١٧) خضراء وخمار من سندس^(١٨) أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه^(١٩)، فقلت: يا رابعة، ما فعلت الجبة التي كفناك فيها وخمار^(٢٠) الصوف؟ قالت: إنه والله نزع عني وأبدلت

- (١) في الأصل (م) و(ع): «عبيد بن مرحوم»، والتصويب من الجرح والتعديل للرازي، ٣٤/٧. وعبيس: هو عبيس بن مرحوم بن عبد العزيز العطار، مولى آل معاوية بن أبي سفيان، بصري مقل. ذكره ابن حبان في الثقات. الرازي، الجرح والتعديل، ٣٤/٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٢١١ - ٢٢٠ هـ، ص ٢٨٨.
- (٢) في (م) و(ع): «قال عبيد...». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٩/٤.
- (٣) عبارة «حدثني عبدة ابنة أبي شوال»، في الأصل: «حدثني عبدة بن أبي شوال»، والتصويب من (م) و(ع). وهي عبدة بنت أبي شوال، كانت من خيار إماء الله، حدثت عن رابعة العدوية. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٩/٤. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ٢٣٩/٣.
- (٤) في (م) و(ع): «خير». (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (م) و(ع). ورابعة: هي رابعة بنت إسماعيل البصرية العدوية، أم الخير، الصالحة المستورة، من أعيان عصرها، فضلها مشهور، توفيت سنة ١٣٥ هـ - ٧٥٢ م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢٧/٤. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ٤٠٨.
- (٧) هجع يهجع هجوعاً: نام. ابن منظور، اللسان، «هجع»، ٣٦٧/٨.
- (٨) في (م) و(ع): «فزعة».
- (٩) في (م) و(ع): «نفس».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «فقلت لي».
- (١٢) في الأصل: «عبدة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «وكفني... إلخ»، في الأصل: «وكفني في جبة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «هدأت».
- (١٥) في الأصل: «عبدة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «رأيتها».
- (١٧) الإستبرق: هو الديباج الصفيق الغليظ الحسن، وهو ما غُلِّظ من الحرير. ابن منظور، اللسان، «استبرق»، ٥/١٠.
- (١٨) السندس: رقيق الديباج، ورفيعه. ابن منظور، اللسان، «سندس»، ١٠٧/٦.
- (١٩) في (م) و(ع): «منها».
- (٢٠) في (م) و(ع): «والخمار».

به هذا الذي ترينه علي^(١) وطويت أكفاني وختم عليها، ورفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة. قالت: فقلت لها: هذا جزاء ما كنت^(٢) تعملين أيام الدنيا. قالت^(٣): وما هذا عندي ما رأيت من كرامات الله ﷻ لأولياته^(٤). قالت^(٥): قلت^(٦) لها: ما فعلت عبيدة ابنة أبي كلاب^(٧): فقالت: هيهات هيهات سبقتنا والله^(٨) إلى الدرجات العلى. قالت: فقلت لها^(٩): وبم وقد كنت عند الناس أكبر منها؟ قالت: إنها لم تكن تبالي على أبي حال أصبحت من الدنيا أو^(١٠) أمست، قالت: قلت^(١١): ما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغماً^(١٢). قالت: يزور الله تعالى^(١٣) متى شاء. قالت: قلت: ما فعل بشر^(١٤)؟ قالت: بَخْ بَخْ أَعْطِي - والله - فوق ما كان يُؤْمَلُ^(١٥) قالت: قلت: [١٣٤] فأمرني بأمر يقربني^(١٦) إلى الله ﷻ^(١٧). قالت: عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغبطي^(١٨) بذلك في قبرك».

قلت: وقد أقتصرت هنا^(١٩) على هذا القدر من أخبار رابعة العدوية رحمة الله عليها^(٢٠)؛

-
- (١) عبارة «إنه والله نزع.. إلخ»، في (م) و(ع): «إنهما والله نزعا عني وأبدلتا بهاتين اللتين ترين علي»، إلا أنه في (ع): «أبدلتا لي» بدل «أبدلتا».
- (٢) عبارة «هذا جزاء.. إلخ»، في (م) و(ع): «لهذا كنت».
- (٣) في (م) و(ع): «فقلت».
- (٤) في (م) و(ع): «وما هذا عندما رأيت من كرامة الله لأولياته».
- (٥) في (ع): «قال».
- (٦) في (م) و(ع): «فقلت».
- (٧) في (م) و(ع): «عبيدة بنت أبي كلاب». وعبيدة ابنة أبي كلاب هي عابدة من عابدات البصرة، كانت تقوم الليل كله، وبكت أربعين سنة حتى ذهب بصرها. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٤/٤. المناوي، الكواكب الدرية، ١٤٦/١.
- (٨) كلمة «والله» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) عبارة «أقلت فقلت لها»، في (م) و(ع): «قلت». (١٠) في (م) و(ع): «و».
- (١١) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٢) في الأصل: «ضيغماً»، والتصويب من (م) و(ع). وأبو مالك: هو ضيغم بن مالك الزاهد القدوة الرياني، أبو مالك، وقيل: أبو بكر الراسبي البصري، كان من الصالحين الخائفين البكائين، توفي سنة ١٨٠هـ - ٧٩٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٣٥٧/٣. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٢١/٨.
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء، الإمام العالم المحدث الزاهد الرياني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي، توفي سنة ٢٢٧هـ - ٨٤١م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٣٢٥/٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٦٩/١٠.
- (١٥) عبارة «أقلت: قلت: ما فعل بشر.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «فأمرني.. إلخ»، في الأصل: «فأمرني بأمر تقرب به»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «تعالى».
- (١٨) في (م) و(ع): «هاهنا».
- (١٩) في (م) و(ع): «هاهنا».
- (٢٠) عبارة «العدوية.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

لأنني قد أفردت لها كتاباً^(١١) جمعت فيه كلامها وأخبارها رحمها الله تعالى^(١٢). شعر^(١٣):

حديث سَقَامِي عَنْ غَرَامِي يُسْنَد
ولي مَذْمَعٌ جَارٍ^(١٤) من العين مُطْلَق
وقد عَقَّدَ الإجماع يَوْمَ فِرَاقِكُمْ
عَرَفْتُ^(١٥) مَعَانِيَكُمْ فَأَضْبَحْتُ عَبْدَكُمْ
أَطِيلُ نَوَاحِي فِي نَوَاحِي خِيَامِكُمْ^(١٦)
وبالماء تُظْفَى النار عند لَهْيِهَا
أَيَا^(١٧) مُلْبِسِي ثوب السَّقَامِ فإِنِّي

[بحر الطويل]

يا سالكاً يريد الوصول^(١٨) عدلت عن الطريق، أرجع إلى سبيل التوبة ورافق رفيق العلم فهو رفيق، أسمع نغم حديث المجتهدين بالتلاوة في ليلهم فهو رفيق^(١٩)، فتحوا حِرْز^(٢٠) النّوم وسيقوا السهر ولا قطع في التحقيق^(٢١)، ليلهم نادم^(٢٢) الندم وصادقوا التصديق، عرِدت بهم الأشواق ففي قلوبهم الحريق، عثروا على كنز ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾^(٢٣) فخرجوا إلى السعة من الضيق^(٢٤)، إلى متى هذا المقام في الغفلة متى توافق الفريق^(٢٥)، يا مقطوعاً بالتسويق يا مكبولاً [٣٤ب] من الشهوات بالقيد الوثيق^(٢٦)، كم تبت ثم عدت ونقضت العهد

(١) في (م) و(ع): «باباً وكتاباً».

(٢) عبارة «رحمها الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). والكتاب الذي أشار إليه ابن الجوزي هو «مناقب رابعة العدوية»، وقد عدّه عبد الحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي»، ص ٢٢٠، ضمن آثاره الضائعة أو التي يحتمل ضياعها.

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٤) في (م) و(ع): «وآيات».

(٥) في الأصل: «ولا دمع تجري»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «وراتب حزن»، وعيش راتب: ثابت دائم. ابن منظور، اللسان، «رتب»، ٤١٠/١. وحزن راتب أي دائم.

(٧) في (م) و(ع): «عقلت».

(٨) في (م) و(ع): «عقل».

(٩) في (م) و(ع): «عراصكم».

(١٠) في الأصل: «وآيات»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بريد الأمل». والمعنى: يريد الوصول إلى زخرف الحياة الدنيا.

(١٢) في (م) و(ع): «أسمع نغم حداة المتجهدين بالتلاوة فهو رفيق».

(١٣) الحِرْز: الموضع الحصين. ابن منظور، اللسان، «حِرْز»، ٣٣٣/٥.

(١٤) أي: لا قطع في تحقيق الصلة بالله تعالى. (١٥) عبارة «ليلهم نادم»، في (م) و(ع): «نادموا».

(١٦) قوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الذاريات، آية ١٧.

(١٧) في الأصل و(م) و(ع): «فخرجوا من السعة إلى الضيق»، والصواب ما أثبتناه.

(١٨) في الأصل: «متى ترافق الرفيق»، وهي من (م) و(ع). والمعنى: متى توافق فريق المؤمنين فتصحبهم وتتبعهم.

(١٩) في (م) و(ع): «بالقيد الثقيل الوثيق».

الوثيق، أما تستحي أن تعصي من أنت آكل رزقه وساكن داره وهو يراك بالتحقيق، بأي وجه تطلب ثوابه^(١) بأي لسان تذكره وأنت في بحر الخطايا غريق، إسكندر^(٢) أم لك يطلب البقاء وخضر الزهد^(٣) قسم له بالحياة وعرف الطريق، أحكم سد المخالفة من يأجوج الهوى ومأجوج الشهوات^(٤) وأمنع^(٥) الطريق، إن لم يهزك^(٦) هذا السماع ويطير بك^(٧) هذا التشويق، وإلا فأبك على نفسك فقد غلب على نفسك فقد غلب على مرآة قلبك الصدا والصديد^(٨) ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ﴾.

مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال^(٩): «أصابني في بعض أسفاري عطش شديد، فملت إلى بعض الأودية طمعا في الماء، فسمعت صوتاً يتردد ولا يكاد يبين، فقلت هذه سباع مقبلة، فوليت هارباً، فناداني هاتف من بين تلك^(١٠) الجبال: يا هذا ليس الأمر كما ظننته^(١١) إنما هو ولي الله ﷻ^(١٢) عظمت زفرته وأشدت حسرته فأرتفع^(١٣) صوته وعلا نحيبه، فعدت إلى طريقي فإذا شاب قد أذابته العبادة حتى عاد كالخيال فسلمت عليه وأخبرته بعطشي، فقال لي:

(١) في (م) و(ع): «رضاء».

(٢) قيل الإسكندر هو اسم ذي القرنين، وقد اختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي سمي به اختلافاً كثيراً، وكان من خبره أنه أوتي ما لم يؤت غيره، فعدت له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها، لا يظأ أرضاً إلا سلط على أهلها. وروي أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة: مؤمنان وكافران؛ فال مؤمنان سليمان بن داود وإسكندر، والكافران نمرود وبختنصر. القرطبي، الجامع، ٤٥/١١، بتصرف.

(٣) في (م) و(ع): «وخضر الدهر». وسيدنا الخضر قد اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: هو عبد صالح قد توفاه الله تعالى، ومنهم من قال: هو نبي معمر محجوب عن الأبصار. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤١/١١، بتصرف.

(٤) في (م) و(ع): «الشهوة». ويأجوج ومأجوج قوم يخرجون في آخر الزمان؛ فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن النواس بن سميان عن الرسول ﷺ قال: «يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيمزمز أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويخضر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدهم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم، فيصبحون فرسى [قتلى] كموت نفس واحدة». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم الحديث (٢١٣٧/١١)، ٢٢٥٠/٤.

(٥) في (م) و(ع): «ومنع».

(٦) عبارة «إن لم يهزك»، في الأصل: «أزهري»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «ويطير بك»، في (م) و(ع): «ويطربك».

(٨) في (م) و(ع): «ولا فأبك على من فقد وغلب على مرآة قلبه الصدا والصديد».

(٩) القصة ذكرها شعيب الحريش في الروض الفائق، ص ١٥٥.

(١٠) في (م) و(ع): «ظننت».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «وارتفع».

(١٣) في (م) و(ع): «وتعالى».

يا مالك ما وجدت لك^(١) في المملكة نقطة ماء، ثم قام إلى صخرة فضربها برجله وقال لها: أسقنا^(٢) ماء بقدرة من يحيي العظام وهي رميم^(٣)، فإذا بالماء يجري^(٤) من الصخرة كما [٣٥] يجري^(٥) من العين فشربت^(٦) حتى رويت، ثم قلت له: أوصني بشيء أنتفع به، فقال لي: يا مالك كن لمولائك عابداً^(٧) في الخلوات يسقيك الماء في الفلوات^(٨) شعر^(٩):

أَلَا هَلْ عَلَى اللَّيْلِ الطَّوِيلِ مُعِينٌ
أُكَايِدُ هَذَا اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا
قَوْلُ اللَّهِ مَا قَارَفْتُكُمْ قَالِيًا لَكُمْ^(١٢) وَلَمْ
وَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْهَوَى قَدْ أَضَلَّهُ
بَكَيْتُ لَهُ^(١٤) مِنْ لَاجِئِ^(١٥) الْبَيْنِ وَالْأَسَى
فَقُلْتُ وَلَمْ أُمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَتِي
لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي قَبْلَ أَنْ يَشْحَطَ النَّوَى^(١٦)
تَذَكَّرْنِي لَيْلَى الْعَدَاةِ حَمَائِمِ
أَلَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى عُذْنَ عَوْدَةً
تُخْبِرُنِي الْأَخْلَامُ أَنَّكَ زَائِرِي

إِذَا نَزَحْتَ دَارٌ وَحَنٌّ حَزِينٌ^(١٠)
عَلَى نَجْمِهِ أَلَّا يَغِيبَ يَمِينٌ^(١١)
كُنْ مَا يُفْضَى فَسَوْفَ يَكُونُ^(١٣)
وَأَنْ خَلِيلًا مِنْ عَدِ سَيِّبِينَ
وَكُلُّ بِكُلِّ مُسْعِدٍ وَظَنِينِ
عَلَى الْخُدِّ مِنِّي وَالدُمُوعِ هَثُونِ
فَكَيْفَ إِذَا مَا غِثْتُ كَيْفَ أَكُونُ
لَهْنٍ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ^(١٧) حَنِينِ
فَلَأُنِي إِلَى أَضْوَاتِكُنَّ حَزِينِ^(١٨)
فَيَا لَيْتَ أَخْلَامُ الْمَنَامِ تَكُونُ^(١٩)

[بحر الطويل]

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) الرميم: العظام البالية. ابن منظور، اللسان، «رمم»، ٢٥٢/١٢.
(٣) في (م) و(ع): «فإذا الماء يخرج».
(٤) في (م) و(ع): «يخرج».
(٥) في (م) و(ع): «عبدًا».
(٦) الكلمة ساقطة في (م).
(٧) في (م) و(ع) زيادة: «ثم ولَّى فما رأيته».
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) البيتان الأول والثاني مقتبان من قصيدة لأبي نواس. انظر: الديوان، ص ٦٢٩.
(١٠) عبارة «قاليًا لكم»، في الأصل: «قائلًا»، والتصويب من (م) و(ع). والقلَى: البغض. ابن منظور، اللسان، «قلا»، ١٩٨/١٥.
(١١) البيت لذي القرنين بن حمدان، أبي المطاع وجيه الدولة (ت ٤٢٨هـ - ١٠٣٦م). انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ٣٧٩/١.
(١٢) في (م) و(ع): «لها».
(١٣) اللعج: الهوى المُخْرَق. ابن منظور، اللسان، «لعج»، ٣٥٧/٢.
(١٤) في الأصل: «قبل أن يرق بي الهوى»، والتصويب من (م) و(ع). والشَّحَطُ والشَّحَطُ: البُغْد. ابن منظور، اللسان، «شحط»، ٣٢٧/٧.
(١٥) الرقمتان: روضتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى بنجد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥٨/٣.
(١٦) في الأصل: «حنين»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) البيتان الأخيران لقيس ليلي. انظر: الديوان، ص ٢٦٣، ٢٦٥.

إخواني المعصية داء والعصاة مرضى، ويوم مجلس الأسبوع دواء^(١)، كم وصفت فيه من شراب حكمة وصفت فيه^(٢) من مقل^(٣) قلق، ومزجت فيه من معجون الخوف وشراب الرجاء، وسقيت منه السامعين بقدر، والكل قد شرب إلا أن من العلل ما هو قريب البرء ومنها بطيء، فإن لم يستفرغ^(٤) أخلاط الخطايا في هذا المجلس ففي الثاني، [٣٥] وبعض العلل لا يداوى بالأشربة فأنا أدأويه بترياق^(٥) البلاغة فإنه^(٦) أسرع في تسكين سم العجب من ترياق^(٧) المراهمة، وبعض الأمزجة يداوى بطبيب التلاحين، وأنا مل نظمي إذا جئت أوتار نثري خرج^(٨) دقيق السر فنهض عليل البلادة ونقله إلى صحة الاستماع^(٩)، ومن العلل^(١٠) ما يداوى بالمفاكهة^(١١)، ومسامير فصاحتي^(١٢) تفتح من حلل الخطب وشياً^(١٣) ألطف من نسيم الربيع وأبدع في الإبداع^(١٤) من بديع البديع، كم في أسفاط^(١٥) فصاحتي من أمثال ما لها مثال^(١٦)، أين نسائم زهور^(١٧) معارفي من نسائم زهر الربيع، هذا دائم العرف وذاك ينقطع، كم داوى وعظي من ملسوع وكم أحيا من ميّت قلب كأنه ميت حس مما هو مطبوع^(١٨)، يقول أهل الفضل فيا^(١٩) ليت كل يوم أسبوع، فإذا رأيتم من خرج^(٢٠) كما دخل فأعلموا أنه بالقطوع مقطوع، والحاسد وإبليس كلاهما في قيد الحرمان مجموع.

إلهي أجعل نصيبي عندك نصيب من أرغمت الشيطان بالعمو عنه مع زلله، وأسهم لي بسهم من عنايتك كما قسمت لمن قربته بفضلك، إلهي لا أبرح عن باب سؤالك فإني لا أعرف

(١) في (م) و(ع): «ويوم مجلسي هو الأسبوع».

(٢) عبارة «وصفت فيه»، في الأصل: «وصفه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) مقل: اسم مفعول من قلى يقلى. وقلى الشيء قلياً: أنضجه على المِقْلَة، ويقال للرجل إذا أقلقه أمر مهم فبات ليله ساهراً: بات يتقلّى أي يتقلب على فراشه كأنه على المِقْلَى. ابن منظور، اللسان، ١٥/١٩٨.

(٤) في (م) و(ع): «تستفرغ».

(٥) في (م) و(ع): «برقا».

(٦) في (م) و(ع): «فإنها».

(٧) في الأصل: «خرجت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «ونقله.. إلخ»، في (م) و(ع): «ونقّه إلى صحة الأسماع».

(٩) في الأصل: «العليل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (ع): «بالمفاكهة».

(١١) وشى الثوب وشياً: حسّنه. ابن منظور، اللسان، «وشي»، ١٥/٣٩٢.

(١٢) في (م) و(ع): «وأبدع في بديع الإبداع».

(١٣) في الأصل: «اسطفاه»، وفي (ع): «أسفاط»، والتصويب من (م). والأسفاط: جمع السَّفَط، الذي يُعْبَى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. ابن منظور، اللسان، «سطف»، ٧/٣١٥.

(١٤) في (م) و(ع): «وكم لعبارتي من تمثال ما له أمثال».

(١٥) في (م) و(ع): «زهر».

(١٦) عبارة «مما هو مطبوع»، في (م) و(ع): «وما له من رجوع».

(١٧) في (م) و(ع): «يا».

(١٨) في (م) و(ع): «يخرج».

غيرك، إلهي إن قدرت عليّ ما لا ترضى فما لي قدرة على رفع^(١) قدرك وحسبي الرضا
وأعترافي بنقصي فيما قضيت فإن أستوحشت منك فبمن آنس. إلهي صفتي^(٢) الدّل والفقر
والعجز والضعف و^(٣) هذه [١٣٦] بضاعتي وجودك يعطي بلا سبب ويتصدّق بلا سؤال فتصدق
علي بعفوك وفضلك وكرمك^(٤) يا أرحم الراحمين.
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً^(٥).



-
- (١) عبارة «على رفع»، في (م) و(ع): «في دفع».
(٢) في الأصل بياض، وفي (ع): «وصفتي»، وهي من (م).
(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «وفضلك وكرمك» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «وصلّى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الخامس

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أحتجب بعظمته عن نواظر الناظرين، توحّد في أزليته^(١) عن مدارك المدركين، وتقدس في جلاله عن صفات التكوين والتمكين^(٢)، لم يفتقر في إيجاده^(٣) الموجودات إلى مشير ولا معين، أوجد عن كلمة «كن» من دخل في دائرة التكوين^(٤)، رفع السماء بلا عمد ترونها^(٥) وزيّنها بالنجوم زينة للناظرين، فمنها دلائل للاهتداء^(٦) ورجوم للشياطين^(٧)، جعلها خزائن وحيه يهبط منها الروح الأمين^(٨)، أسكنها ملائكة من أدناس البرية مطهرين، فمنهم عاكف على بساط^(٩) الحضرة ومنهم في أفعاله مسخرون، بسط بساط الأرض على مُتلاطم ماء معين، و^(١٠)أرساها بأوتاد الأرض^(١١) لثلاث تميد أو تبين^(١٢)، خلق من ترابها الحيوان وغذاه بنباتاتها ثم يعيده في بطنها دفين، أظهر فيه مكنون القدر ففي اختلاف حالته^(١٣) يبين، جعل أناساً^(١٤) من أهل الشمال وآخرين من أهل اليمين، رتب الحفظة لحفظ أفعال الخلائق كاتبين^(١٥)، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار [١٣٦] لضبط أعمالك^(١٦) حافظين^(١٧)، ما

(١) في (م) و(ع): «وتوحّد في أزله».

(٢) في (م) و(ع): «إيجاده».

(٣) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

(٤) عبارة «بلا عمد ترونها» ساقطة في (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «ومنها دلائل الاهتداء».

(٧) خلق الله تعالى النجوم لثلاث: زينة للسماء، وعلامات يُهْتَدَى بها في البر والبحر والأوقات، ورجوماً للشياطين الذين يسترقون السمع من السماء. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٠/١٨، ٢١١.

(٨) في (م) و(ع): «جعلها خزائن رحمته يهبط بها الروح الأمين». والروح الأمين: هو سيدنا جبريل.

(٩) في (م) و(ع): «مشاهدة». (١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «وأوتاد الأطواد». والأوتاد: جمع وتد وهو ما رُزَّ في الحائط أو الأرض من الخشب. وأوتاد الأرض: الجبال لأنها تثبتها. ابن منظور، اللسان، «وتد»، ٤٤٤/٣.

(١٢) في (م) و(ع): «تمين».

(١٣) عبارة «ففي اختلاف حالته»، في الأصل: «في اختلاف أحوالها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «أناساً».

(١٥) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتْلَى التَّلْقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قُدَّ﴾ [ق: ١٧] قال مجاهد وقتادة: «المتلقيان» ملكان يتلقيان عملك: أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك. القرطبي، الجامع، ٩/١٧.

(١٦) في (م) و(ع): «أعمالك».

(١٧) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يُعْرَجُ الذين باتوا =

أَغْفَلَكَ عَنِ الْمُرَادِ وَسَيَأْتِيكَ الْحَقُّ الْمُبِينُ، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَئِنْ كَانَتْ مِنْكَ أَلْفُ مِثْقَالٍ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^(١).

إخواني الأمل صرح على شفى جرف^(٢) إذا هبت عليه أرياح المنية^(٣) أنكفأ^(٤)، كم تسحب ذيل المعاصي على أرض البقاء^(٥) أما كفى، أين أرياب الأشواق يا مُدَّعي الهوى أين الوفا، لا تحن لنفحات حاجر ولا تحنو إلى الصفا^(٦)، كم لي أحدث^(٧) قلبك ما أرى قصرك إلا خرباً^(٨) قد عفا^(٩)، أتعبت نفسك^(١٠) في طلب الطلول الدُّوَارِس تلهفاً، أين جيران المنحنى^(١١) أين من ودادهم قد^(١٢) صفا، يا متخلفاً^(١٣) عن رفاق الأحباب في ودهم ما أنصفا، يا عبد السوء أطلب مصالحتك وقد غلب عليك الجفا، بنعمتي^(١٤) أعذك وبستري أعطيك^(١٥) وقبائحك علي^(١٦) ما تخفى، في الصبا تلهو وتلعب وفي الشباب^(١٧) تمزق ثوب الحياة^(١٨) وما يرفأ^(١٩)، وفي الكهولة أنت مصر على المعاصي كلفا، وفي الكبر تنوي المتاب ما أبعد وعدك و^(٢٠) ما أخلفا، إذا دنا الحصاد علم البطلال ما قدم وأسلفا^(٢١)، بينما^(٢٢) مصباح أملك يضيء هب عليه عاصف المنون

= فيكم، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصَلُّون وأتيناهم وهم يُصَلُّون. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم الحديث (٦٣٢/٢١٠)، ٤٣٩/١.

(١) سورة الأنبياء، آية ٤٧. (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «أرياح المنية»، في (م) و(ع): «رياح المنون».

(٤) في الأصل: «انظفا»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في (م): «النعم»، وفي (ع): «النعيم».

(٦) الصفاً: مكان مرتفع من جبل أبي قبيس، بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤١١/٣.

(٧) في الأصل: «أجلب»، وهي من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «ما أرى قصره إلا خراباً».

(٩) عبارة «قد عفا»، في الأصل: «قاعد عفا»، والتصويب من (م) و(ع). وعفت الدار: درست. ابن منظور،

اللسان، «عفا»، ٧٨/١٥.

(١٠) في (م) و(ع): «أتعب نفسه».

(١١) المُنْحَنَى: موضع مذكور في رسم عُقُوق وهو موضع بالحجاز. البكري، معجم ما أستعجم من أسماء

البلاد والمواضع، ١٢٦٨/٢. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١٦٨/٤.

(١٢) الكلمة ساقطة في (ع). (١٣) في الأصل: «مختلفاً»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «بنعمي». (١٥) في (م) و(ع): «أسترك».

(١٦) في (م) و(ع): «عني».

(١٧) عبارة «وفي الشباب» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «الجبوب»، وهي من (م) و(ع).

(١٩) رفا الثوب: أصلحه. الفيروزآبادي، القاموس، «رفا»، ص ١٦٦٣.

(٢٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) عبارة «إذا دنا الحصاد.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٢) في (م) و(ع): «بيننا».

فأنطفا، وقد أسلمت إلى قبر قد^(١) عفا عليه العفا^(٢)، أنيسك أعمالك هذا الأمر عليك ما يخفى^(٣)، وبعده يوم مهول ينشر فيه للخلائق الدواوين^(٤)، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ [١٣٧] مِنْ حَرْدَلٍ أَلَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

حصين بن القاسم^(٥) الوزان^(٦) قال^(٧): كنا عند عبد الواحد بن زيد وهو يعظ الناس^(٨)، فناداه رجل من ناحية المسجد: كفى^(٩) يا أبا عبيدة^(١٠) فقد كشف قناع قلبي^(١١)، كشفت قناع قلبي، وعبد الواحد يعظ الناس^(١٢) ولا يقطع موعظته حتى - والله - حشرج الرجل حشرجة الموت ثم خرجت نفسه رحمة الله عليه^(١٣). قال: وأنا - والله - قد^(١٤) شهدت جنازته يومئذ فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر منه خلقاً^(١٥). شعر^(١٦):

أَعِدْ ذِكْرَ مَنْ حَلَّ الْعَقِيقَ وَإِنْ قَضَى
حَدِيثُ^(١٧) هَوَى يُجْرِي الْمَدَامِيعَ بَعْثُهُ^(١٨)
أَلَذَّ وَأَخْلَى فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْمُنَى
وَأَنَّى وَإِنْ أَتَى السَّقَامَ حُشَّاشَتِي^(١٩)
لَمْضِغٍ إِلَى بَثِّ الْحَدِيثِ مُعَلَّلًا
عَلَى الرِّضْلِ فِيمَا بَيْنَنَا حَادِثُ الدُّهْرِ
وَيَعْمَلُ فِي أَلْبَابِنَا^(٢٠) عَمَلُ السُّكْرِ
وَأَسْرَى^(٢١) بِأَعْضَاءِ^(٢٢) الرُّجَالِ مِنَ السَّمْرِ
وَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي سِوَى مَوْضِعِ السَّرِّ
بِهِ مَا عَسَى أَبْقَتْ يَدُ الْبَيْنِ مِنْ عَمْرِي

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) عفت الأرض إذا غطاها النبات، ويقال عفا فلان على فلان في العلم إذا زاد عليه. ابن منظور، اللسان، «عطا»، ٧٨، ٧٦/١٥.
- (٣) في (م) و(ع): «هذا الأمر عنك ما خفى».
- (٤) عبارة «ينشر... إلخ»، في (م) و(ع): «تنشر فيه الدواوين».
- (٥) في الأصل: «حصين بن عاصم»، والتصويب من (م) و(ع)، والذهبي في تاريخ الإسلام.
- (٦) في (م) و(ع): «حصين بن القاسم قال». والقصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ١٥٩/٦. والذهبي في تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠ هـ، ص ٥١٠.
- (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «كف».
- (٩) في الأصل: «أبا عبد الله»، وفي (م) و(ع): «أبا عبيد»، والتصويب من لسان الميزان لابن حجر، ٨٠/٤.
- (١٠) عبارة «كشف قناع قلبي» ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «فما رأيت بالبصرة يوماً أكثر مما كنا يومئذ».
- (١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٦) في الأصل: «وحديث»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) عبارة «يجري المداميع بعثه»، في (م) و(ع): «يحكي المدامة نعته».
- (١٨) الكلمة بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٩) في (م) و(ع): «أمرى». وأمرى الشيء وأمرأه استخرجه، ومرى الدم وأمرأه إذا استخرجه. ابن منظور، اللسان، «مرا»، ٢٧٧/١٥.
- (٢٠) في الأصل: «في أعضاء»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢١) الحشاش والحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح. الفيروزآبادي، القاموس، «حشش»، ص ٧٦١.

فَفِي ذِكْرِ لَيْلَى بَرُّهُ سَقَمِي وَرَاحَةٌ^(١)
 دَعَانِي الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي إِلَيْكُمْ
 وَلِلصَّبِّ فِي الرَّكْبِ الْيَمَانِي نَشْوَةٌ
 وَيَسْتَوْقِفُ الْحَادِي أُنَيْنِي^(٢) وَزَفَرْتِي
 وَأَسْأَلُ إِلَّا عَنْكُمْ وَلَا جِلْكُمْ
 يُسَاعِدُنِي^(٣) إِلَّا عَلَيْكُمْ تَجَلْدِي
 عَسَى مَنْ أَضَلَّ السَّغْيَ يَهْدِي^(٤) وَمَنْ قَضَى
 فَكَمْ رَفَعَ الْبَلَوَى الَّذِي يَنْتَلِي بِهَا

لِرُوحِي^(٥) وَتَفْرِيجُ لِمَا^(٦) ضَاقَ مِنْ صَدْرِي
 فَكَيْفَ^(٧) أَخَافُ الدَّمْعَ مِنْ حَيْثُ لَا^(٨) أَذْرِي
 مِنْ الْحُبِّ تُنْسَى عِنْدَهَا نَشْوَةُ الْخَمْرِ
 لَهَا رِقَّةُ الْأَشْوَاقِ لَا قَسْوَةُ الرَّجْرِ^(٩)
 سُؤَالِي وَهَلْ إِلَّاكُمْ جَالَ فِي فِكْرِي
 وَأَمْلِكُ إِلَّا عِنْدَ ذِكْرِكُمْ أَمْرِي [٣٧ب]
 عَلَيَّ بِكُسْرِ الْحَالِ يُنْعِمُ بِالْجَبْرِ
 وَكَمْ وَضَعَ الْعَفْوُ الرَّحِيمُ مِنَ الْوُزْرِ^(١٠)

[بحر الطويل]

يا من تتلى^(١١) عليه صحف المعاني وهو لا يدري، أعرني سمعك حتى أحدثك بكل ما
 يجري، أول النظفة قلم القضاء عليها يجري^(١٢)، هذه رحلة من الأصلاب يا ليتك لم تكن^(١٣)
 إلى الحشر، من أول يوم نقلت إلى الدنيا راحل إلى منزل القبر^(١٤)، وكلفت بحمل الزاد إلى
 طول السفر ومالك في التخلف من عذر، ألفت النوم على قنطرة الرحلة أما تسري، سيجملك
 تيار الأجل فيسري بك قبل أن تسري^(١٥)، و^(١٦) هواك في الآخرة فيه سلو وفي الدنيا هوى
 عذري، أنفت أنوف الزهاد عن الدنيا وعانقوا الجد براحتي^(١٧) الصبر، فما هو إلا أن لاحت

(١) في الأصل (م) و(ع): «وراحتي»، والتصويب من (ب).

(٢) في (م) و(ع): «وروحي».

(٣) عبارة «وتفريج لما»، في الأصل: «وتفريج بما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «وكيف».

(٥) في الأصل: «أني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «الجمر»، وهي من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «ويساعدني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «أن يهتدي»، وهو تصحيف.

(٩) في (م) و(ع): «وكم وضع العفو الرحيمي من وزري». والوزر: الحمل الثقيل، والوزر: الذنب لثقله.

ابن منظور، اللسان، «وزر»، ٢٨٢/٥.

(١١) في (م) و(ع): «أتلو».

(١٢) أي قضاء الله تعالى يجري على إيجاد الخلق، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ۚ لَكُمْ تَعَالَى ۚ فَلَئِمَّا تَلْمِزُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩].

(١٣) في (م) و(ع): «تكمل».

(١٤) عبارة «من أول يوم.. إلخ»، في (م) و(ع): «ثم نقلت إلى الدنيا فأول قدم أنت راحل إلى منزل قفر».

(١٥) عبارة «سيجملك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «براحلة»، والتصويب من (م) و(ع).

لهم أعلام نجد الوجد على ثنية الفجر، جدوا حمد السرى^(١) وأصبحوا من هول الحساب
 آمنين، «وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
 أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ».

أبو عبد الله الجريري رحمه الله تعالى قال^(٢): قلت لمحمد بن السماك أخبرني عن أعجب
 شيء رأيته في^(٣) الخائفين، قال^(٤): أشتقت إلى عباد البصرة فأتيت الربيع بن الصبيح^(٥) فنزلت
 عنده ثم قلت له: هل تعرف هاهنا أحداً من أهل الخوف؟ قال: نعم، هاهنا، واحد^(٦) يقال
 إنه من الخائفين [٣٨] فقلت له: فبكر بنا إليه إذا صلينا^(٧). قال: فبكرنا إلى بعض زوايا
 البصرة، فدق باباً، فخرجت إلينا عجوز فسلم عليها ثم قال لها^(٨): ما فعل أبنك؟ قالت: إن
 ابني^(٩) قد نسي الدنيا. قال: أتأذنين^(١٠) لنا أن ندخل عليه؟ قالت: بشرط ألا تذكروا له
 القيامة. قال: فأذنت^(١١) لنا فدخلنا فإذا شاب عليه مدرعة من شعر، وفي عنقه طوق
 وسلسلة^(١٢) مشدودة بسارية^(١٣) البيت، وإذا قبر محفور وإذا هو جالس على شفير القبر ينظر
 في لحدته فقال له^(١٤) الربيع: يا هذا، أخوك محمد بن السماك أنك زائر، فالتفت إلي فقال:
 ما أنت قائل؟ فتلجلج لساني وهبته وجهدت الجهد أن أنطق فما قدرت، فخرجنا يومئذ ثم
 عدت في^(١٥) اليوم الثاني فإذا هو على حالته التي رأيناها عليها^(١٦) بالأمس، فالتفت إلي وقال:
 أما^(١٧) أنت قائل، فتلجلج لساني ثم قلت: إن للعباد مقاماً. فقال^(١٨): ويحك عند من؟ قلت:

- (١) في (م) و(ع): «حمدوا السرى». والسرى: سير الليل عائته، وقيل: السرى سير الليل كله. ابن منظور،
 اللسان، «سرا»، ٣٨١/١٤.
- (٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٢١/٤، وإنما قال: «أبو عبد الله الخروزي قال».
- (٣) في (م) و(ع): «من».
- (٤) في (م) و(ع): «فقال».
- (٥) في (م) و(ع): «الربيع بن صبيح»، وهو تصحيف. والربيع: هو الربيع بن صبيح السعدي، أبو بكر،
 ويقال: أبو حفص البصري، كان من عباد أهل البصرة وزهادهم، إلا أن رواية الحديث لم تكن من
 صناعته فكان يهم فيما يروي كثيراً، توفي سنة ١٦٠ هـ - ٧٧٧ م. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٢٤٧/٣.
- (٦) في (م) و(ع): «رجل».
- (٧) عبارة «إذا صلينا» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) الكلمة ساقطة في (ع).
- (٩) عبارة «إن ابني»، في الأصل: «أراني»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في الأصل: «أتأذن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في (م): «قال: فأذن»، وفي (ع): «قالت فأذن».
- (١٢) في (م) و(ع): «بسلسلة».
- (١٣) في (م) و(ع): «السارية».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «قال».
- (١٨) في (م) و(ع): «قال».

عند مالك الملوك، فشهِق شهقة فإذا هو ميت في قبره رحمه الله تعالى^(١). شعر^(٢):

آيَاتُ حُبِّي فِيكَ لَا تَتَأَوَّلُ
حَكَمَ الْغَرَامُ بَأَنَّ دَمْعِي بَعْدَكُمْ^(٣)
حَرَّ الْفُؤَادِ كَمَا أَجِزُ صَبَابَةً
يَا سَالِبَ الْغُضَنِ الرَّطِيبِ قَوَائِمُهُ
يَا مُعُولِي^(٤) أَسْفَأَ عَلَيْكَ مُعُولِي^(٥)
يَا مَرَسَلًا مِنْ^(٦) لِحْظِهِ مَرَسَلًا^(٧)
لَا تَرَسَلَنَّ إِلَيَّ مِنْهَا بَعْدُهُ
يَا سَاكِنِي وَادِي الْعَقِيقِ عُقُوقَكُمْ
مَالِي أَذَاوِي فِي فُؤَادِي عِلَّةُ
أَنْسِيْتُمْ عَهْدِي وَضَيَّعْتُمْ قَلِيَّ

سَقَمِي النَّمُومُ بِهَا وَدَمْعِي الْمُسْبَلُ^(٨)
أَبْدَأَ يَجُودُ وَأَنْ صَبْرِي يَنْخَلُ^(٩)
فَعَلَامَ دَمْعِي فِي الْخُدُودِ مُسْلَسَلُ^(١٠)
بِالْأَعْيَدَالِ وَأَنْتَ لَمْ لَا^(١١) تَعْدَلُ
يَا جَنَّةَ الْمَأْوَى إِلَيْكَ الْمَوْتِلُ^(١٢) [٣٨ب]
سَهْمًا^(١٣) بِمَا يُوحِي إِلَيْهِ الْمَرْسَلُ^(١٤)
أَمْسِكَ سِهَامَكَ قَدْ أُصِيبَ الْمَقْتَلُ
لَيْسَ الْمَرَادُ وَهَجْرُكُمْ أَتَحْمَلُ^(١٥)
وَجَنَابُكُمْ لِلصَّبْرِ فِيهِ مَنْهَلُ^(١٦)
وُدِّي وَعُذْرُ الْعُذْرِ لَا يُتَقَبَّلُ^(١٧)

(١) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) عبارة «سقمي... إلخ»، في الأصل: «سقم الهوى ودمع عيني مرسل»، والتصويب من (م) و(ع). والنموم من النميمة وهو تزيين الكلام بالكذب، ورجل نموم أي قنّات، يقال: قنّ إذا مشى بالنميمة، وقيل: النميمة هو وسواس همس الكلام. ابن منظور، اللسان، «نمم»، ٥٩٢/١٢.

(٤) في (م) و(ع): «لا يفي».

(٥) عبارة «أبدأ... إلخ»، في (م): «أن يوجد عيني ييخل»، وفي (ع): «إن الغرام يوجد عيني ييخل»، وهو تصحيف.

(٦) في الأصل: «مسول»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) مُعُول من العَوْل، وعَالَهُ الأمر يَعُوله: أَمَّهُ. ابن منظور، اللسان، «عول»، ٤٨٤/١١.

(٩) مُعُول: من عَوْل، وَعَوْلَتْ عَلَيْهِ أَي اِتَّكَلَتْ، وَمُعُولِي عَلَى فُلَانٍ أَي اِتَّكَالِي عَلَيْهِ وَاسْتِغَاثَتِي بِهِ. ابن منظور، اللسان، «عول»، ٤٨٣/١١، ٤٨٥.

(١٠) المَوْتِل: الملجأ. ابن منظور، اللسان، «وأل»، ٧١٥/١١.

(١١) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «قسمًا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل و(م) و(ع): «مرسل»، والصواب ما أثبتناه.

(١٤) البيتان ساقطان في (م) و(ع).

(١٥) البيت في (م) و(ع):

«مالي إذا وافى فؤادي غلّة وجنابكم للطير فيه موئل»
وَالْمَنْهَلُ: الْمَشْرَبُ وَالْمُؤَرِدُ، وَهُوَ عَيْنُ مَاءٍ تَرُدُّهُ الْإِبِلُ فِي الْمَرَامِي، وَتُسَمَّى الْمَنَازِلُ الَّتِي فِي الْمَفَاوِزِ عَلَى طَرِيقِ السُّفَارِ مَنَاهِلَ لِأَنَّ فِيهَا مَاءً. ابن منظور، اللسان، «نهل»، ٦٨١/١١.

(١٦) عبارة «لا يُتَقَبَّلُ»، في الأصل: «لم لا يقبل»، والتصويب من (م) و(ع).

لَمْ لَا صَنَعْتُمْ بِي الْجَمِيل وَإِنْ يَكُنْ مَنَعَ الْجَفَا^(١) أَنْ تَحْمِلُوا فَتَحْمَلُوا
[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي لا ينبغي الحمد إلا له حقاً، كل من سواه صنيعته^(٢) فالكل تحت قهره ملكاً ورقاً، نور قلوب العارفين بمعرفته^(٣) فهي إلى جلاله تَرْقَى، سهل طريق الوصول على^(٤) نجائب المخلصين فهي تتسابق إليه سباقاً، وأبعد المحروم فهو في تيه الشهوات يشقى، أحكمت القسمة^(٥) فيما أراد على من مضى ومن بقى^(٦)، أنعم على أهل الأرض بمحمد ﷺ وشرف وكرم^(٧) فهو أمان لهم بأن ينزل^(٨) بهم خسفاً أو غرقاً^(٩)، قرن اسمه بأسمه وجمله خلقتا وخلقا، خصه بمعجزات خرقت له العوائد^(١٠) خرقاً، ما أشرف ليلة الإسراء وأشرق نورها وأنقى^(١١)، كم أسرَّ له فيها من سرٍّ وتَمَسَّك بالعروة الوثقى^(١٢)، شرفه برسالة أعجزت^(١٣) الخلائق غرباً وشرقاً، نبوءته مثبتة^(١٤) في كل كتاب صدقاً^(١٥)، نعوته بالرفقة والرحمة وسيره في سيرته رفقا^(١٦)، أسمه في المصحف^(١٧) أحمد من كل حامد و^(١٨) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما [١٣٩] تزايد في الخدمة إلا تشوقاً^(١٩)، ناداه محبوبه من جانب اللطف أيها

(١) في الأصل: «الحيا»، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «بمعرفة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «الحكمة».

(٧) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «بأن ينزل»، في (م) و(ع): «أن ينزل الله».

(٩) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

(١٠) في (م) و(ع): «العادات».

(١٢) العروة من الشجرة ما لا يسقط ورقه في الشتاء الذي يعول الناس عليه إذا انقطع الكلا. ابن منظور،

اللسان، «عرا»، ٤٦/١٥. والعروة الوثقى مثل للإيمان، شبه التمسك به بالتمسك بالعروة الوثيقة، فكانه

يقول: إن المبالغ في التمسك بهذا الحق والرشد كمن يأوي إلى ذلك الشجر الملتف الكثير الذي لا ينقطع

مدده ولا يفنى غذاؤه. ابن الجوزي، زاد المسير، ٣٠٦/١. محمد حجازي، التفسير الواضح، ٩/٣.

(١٣) في (م) و(ع): «أعجز».

(١٥) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَرَأَى قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ

الْكِتَابِ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يُزِيلُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ أَوَّلَ مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا يَسْمَرٌ شَيْءٌ﴾ [الصف: ٦].

(١٦) وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

(١٧) في (م) و(ع): «المصحف».

(١٩) في (م) و(ع): «شوقاً». وقد روي - في هذا المعنى - عن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل

حتى تنفطر [أي تنشق] قدماء، فقالت عائشة: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من

ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»، فلما كثر لحمه صلى جالساً فإذا أراد أن يركع =

المحجوب رفقا، ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى^(١١).

معشر التائبين أرحلوا عن ديار الإديار فإنها مجدبة، وأنزلوا بوادي المعاملة فإنها مخصبة، قودوا عيس النفوس بزمام المخالفة فإنها لديار الأحباب^(٢) مقربة، أسمعوا نغم التائبين فإنها مطربة، إذا^(٣) لاحت أعلام الكرامات فأثبتوا فإنها معجبة^(٤)، إياكم ومعاملة الدنيا فإنها وإن أرتكم^(٥) أنها^(٦) مشرقة فإنها مغربة، لله حديث أموات أخبارهم للسعادة مقربة، سلكوا سبيل القرب^(٧) فهم الغرباء في الغربة^(٨)، كيف لا ينصبون^(٩) أقدامهم والحبیب يعاین القيام^(١٠) ليس له في الراحة رغبة، لولا نداء الحبيب له رفقا أيها الحبيب رفقا، ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى^(١١).

قال أحمد بن يحيى الجلاء^(١١) رحمه الله تعالى: «سمعت^(١٢) أبي يقول: كنت عند معروف الكرخي رحمه الله تعالى^(١٣) في مجلسه فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محفوظ رأيت في هذه

= قام فقرأ ثم رجع. البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لِيَنفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ بِكُمْ طَلَّكَ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلًا مُسْتَقِيمًا﴾، رقم الحديث (٣٣٢)، ٢٤١/٦.

- (١) سورة طه، آية ١ - ٢.
- (٢) عبارة «قودوا عيس.. إلخ»، بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٣) في الأصل: «وإذا»، وهي من (م) و(ع). (٤) في (ع): «معجفة»، وهو تصحيف.
- (٥) عبارة «إياكم ومعاملة.. إلخ»، في (م) و(ع): «إياكم ومعاينة الدنيا فإن أرتكم».
- (٦) في (ع): «بأنها».
- (٧) في (م) و(ع): «بنيهم».
- (٨) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يارز بين المسجدين، رقم الحديث (١٤٥/٢٣٢)، ١٣٠/١.
- (٩) في (م) و(ع): «يصفون».
- (١٠) عبارة «يعاین القيام»، في (م) و(ع): «يعانق الفاقة».
- (١١) عبارة «أحمد بن يحيى الجلاء»، في الأصل: «يحيى بن الجلاء»، وفي (م) و(ع): «يحيى الجلاء»، والتصويب من الصفة وطبقات الأولياء. والقصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٥٠٠/٢. وابن الملتن في طبقات الأولياء، ص ٨٥. وأحمد: هو أحمد بن يحيى الجلاء، أبو عبد الله البغدادي، ثم الشامي، كان عالماً ورعاً، وكان مذهبه في سفره التوكل والتجريد، وقد صحب أباه وذا النون وغيرهما، وكان والده من خيار عباد الله الصالحين؛ قيل لابنه أبي عبد الله: لِمَ سُمِّيَ أبوك الجلاء؟ فقال: ما جلا أبي قط شيئاً، وما كان له صنعة قط، ولكن كان يتكلم على الناس فيجلو القلوب. توفي أحمد سنة ٦٠٣هـ - ١٢٠٦م، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤٤٣/٢. ابن الملتن، طبقات الأولياء، ص ٨١.

- (١٢) في الأصل: «قال سمعت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «الكرخي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). ومعروف الكرخي: هو معروف بن فيروز، وقيل فيروزان، وقيل علي، الكرخي الصالح المشهور، أبو محفوظ، كان من جُلَّة المشايخ وقدمائهم، والمذكورين بالورع والزهد، توفي سنة ٢٠٠هـ - ٨١٥م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٨٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٣١/٥.

الليلة^(١) عجباً، فقال^(٢): وما رأيت رحمك الله تعالى^(٣): قال: أشتهى علي أهلي سمكاً فذهبت إلى السوق فأشترت لهم سمكة وحملت^(٤) مع حمال ومشى معي، فلما سمعنا أذان الظهر قال الحمال: يا عم هل لك أن تصلي^(٥)؟ فكأنه أيقظني من غفلة، فقلت له: نعم، فوضع الطبق والسمكة على موضع ودخل المسجد، فقلت [٣٩ب] في نفسي: الغلام قد^(٦) جاد بالطبق أجد أنا بالسمكة، فلم يزل يركع حتى^(٧) أقيمت الصلاة وصلينا جماعة وركع بعد الصلاة، وخرجنا وإذا بالطبق على حاله موضوع، فجئت إلى البيت وحدثت أهلي بالأمر^(٨)، فقالوا لي: قل له يأكل معنا من هذه السمكة^(٩)، فقلت له^(١٠): فقال: أنا صائم، فقلت له: فافطر عندنا، فقال: نعم، أرني^(١١) طريق المسجد، فأريته فدخل^(١٢) وجلس إلى أن صلينا المغرب، فجئت إليه^(١٣) وقلت له: تقوم^(١٤) يرحمك الله، فقال: أو نصلي العشاء الآخرة، وقلت^(١٥): وهذه ثانية، يُريد أن فيها خيراً، فلما صلينا جئت به إلى منزلي، ولنا ثلاثة بيوت^(١٦): بيت أنا فيه^(١٧) وأهلي، وبيت لنا^(١٨) فيه صبية مقعدة ولدت كذلك، إنها فوق^(١٩) العشرين سنة، وبيت يكون للضيف إذا كان عندنا^(٢٠). فبينما^(٢١) أنا مع أهلي إذ دق داق الباب^(٢٢) آخر الليل، فقلت^(٢٣): من؟ قالت: أنا فلانة، فقلت^(٢٤): أفلا هي مضغة^(٢٥) لحم مطروحة في البيت كيف يستوي لها أن تمشي؟

-
- (١) عبارة «رأيت.. إلخ»، في (م) و(ع): «رأيت البارحة».
- (٢) في (م) و(ع): «قال».
- (٣) عبارة «رحمك الله تعالى»، في (م) و(ع): «يرحمك الله».
- (٤) كلمة «وحملت» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «نصلي».
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «بهذا».
- (٨) عبارة «من هذه السمكة»، في (م) و(ع): «من هذا السمك».
- (٩) عبارة «فقلت له» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) عبارة «فقال نعم أرني»، في (م) و(ع): «قال نعم، أروني».
- (١١) في (م) و(ع): «فدخل المسجد».
- (١٢) في (م) و(ع): «فجئت إليه»، في (م) و(ع): «فجئته».
- (١٣) في (م) و(ع): «قم».
- (١٤) في (م) و(ع): «أبيات».
- (١٥) في (م): «بيت فيه أنا»، وفي (ع): «بيت فيها أنا».
- (١٦) في (م) و(ع): «فبينما».
- (١٧) في (م) و(ع): «فبينما».
- (١٨) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٩) عبارة «أفلا هي مضغة»، في (م) و(ع): «فلانة قطعة». والمُضْغَةُ: القطعة من اللحم. ابن منظور، اللسان، «مضغ»، ٤٥١/٨.

قالت: أنا هي فأفتحوا^(١). ففتحنا^(٢) فإذا هي سوية^(٣)، فقلت لها: أي شيء الخبر^(٤)؟ قالت: سمعتكم تذكرون ضيفنا^(٥) بخير فوقع في نفسي أن أتوسل إلى الله ﷻ^(٦) به، فقلت: اللهم بحق ضيفنا هذا، وبجاهه عندك إلا أطلقت أسري فأستويت وقمت في عافية كما ترى، فقمتم إليه أطلبه في البيت فإذا البيت خالٍ ليس فيه أحد، فجئت إلى الباب^(٧) فوجدته مغلقاً بحاله. فقال معروف: فيهم^(٨) [٤٠] صغار وكبار، يعني الأولياء رضي الله عنهم أجمعين^(٩). شعر^(١٠):

قَسَمًا بِقَلْبِ الصَّبِّ فِي حَرَكَاتِهِ وَتَبَاتِهِ^(١١) فِي الْحُبِّ فِي وَتَبَاتِهِ
وَيَمْنٌ صَفًا عِنْدَ الصَّفَا بِفُؤَادِهِ وَيُحْسِنُ صُورَتِهِ^(١٢) وَحُسْنِ صِفَاتِهِ
وَوَحَقُّ^(١٣) مَكَّةَ وَالْمَقَامَ وَزَمَزَمَ وَالْبَيْتَ وَالْمَأْثُورَ مِنْ حُرْمَاتِهِ
وَوَحَقُّ خَيْفٍ مِنِّي وَخَوْفِ أُولِي النَّهْيِ^(١٤) خَوْفًا يَرُدُّ الْمَرْءَ عَنِ زَلَّاتِهِ^(١٥)
وَسَمَاعِ أَصْوَاتِ^(١٦) الْحَجِيجِ بِنِعْمَةٍ بَاتَتْ تُحَرِّكُهَا إِلَى مِيقَاتِهِ^(١٧)
خَرَجُوا عَنِ الْأَوْطَانِ وَجَدُوا بَاعِدُوا فِيهِ مَقَالِ عِدَاتِهِ لِعِدَاتِهِ^(١٨)
يَجِدُونَ عَيْسَهُمْ بِذِكْرِ أَيْسِهِمْ فَتَكَادُ أَنْ تَنْقَادَ فِي مَرْضَاتِهِ
تَنْسَابُ حِينَ تُسَاقُ^(١٩) سَيْرًا فِي الشَّرَى لَا تَحُوجُ الْحَادِيَ إِلَى مَنَسَاتِهِ^(٢٠)

- (١) عبارة «أنا هي فأفتحوا»، في (م) و(ع): «هي افتحوا». (٢) في (م) و(ع): «فتحنا لها».
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «أي شيء الخبر».
- (٥) في (م) و(ع): «ضيفنا هذا».
- (٦) في (م) و(ع): «البيت».
- (٧) عبارة «رضي الله عنهم أجمعين» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (ع): «وثبات»، وهو تصحيف.
- (٩) عبارة «ويحسن صورته»، في (م) و(ع): «وحنين صفوته». (١٣) في (م) و(ع): «وبحق».
- (١٤) النهي: جمع نهيية وهي العقل، وفلان ذو نهيية أي ذو عقل ينتهي به عن القبائح ويدخل في المحاسن. ابن منظور، اللسان، «نهي»، ٣٤٦/١٥.
- (١٥) عبارة «خوفاً يرد... الخ»، في (م) و(ع): «من بعدهم بالذب عن لذاته».
- (١٦) في الأصل: «وسماع صوت أهل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) الميقات: الوقت المضروب الفعل والموضع. والميقات: مصدر الوقت، وهو مقدار من الزمان، ثم اتسع فيه فأطلق على المكان، فقليل للموضع: ميقات. وميقات الحاج موضع لإحرامهم. ابن منظور، اللسان، «وقت»، ١٠٧/٢، ١٠٨. الفيروزآبادي، القاموس، ص ٢٠٨.
- (١٨) العدة: الوعد، والهاء عوض من الواو، ويجمع على عِدَات. والعادي: العدو، وجمعه عُدَاة. ابن منظور، اللسان، «وعد»، ٤٦٢/٣، و«عدا»، ٣٧/١٥. والمعنى: هجروا الأوطان والأولاد والأموال، وكل ما يشبط الهمم، ويزين للنفوس متاع الدنيا الفانية، رغبة فيما وعد الله تعالى به عباده المتقين من جنات النعيم.
- (١٩) في (م) و(ع): «تُسَام». والسوم: سرعة المَرِّ، يقال: سامت الناقة تسوم سوماً. ابن منظور، اللسان، «سوم»، ٣١١/١٢.
- (٢٠) المنساة: العصا العظيمة التي تكون مع الراعي، أخذت من نساء البعير أي زجرته ليزداد سيره. ابن منظور، اللسان، «نساء»، ١٦٩/١.

رَكِبُوا مَطَايَا الْعَزْمِ فِي طَلَبِ النَّهْيِ
قَصَدُوا وَمَا قَصَدُوا سِوَاهُ بِسَغْفِيهِمْ^(٢)
فَوَحَقَّ مَنْ أَبْدَى لَهُمْ سُبُلَ الْهُدَى
وَقَدْ أَشْتَرَى مَا يَشْتَهِي مِنْ وَضْلِهِ
قَدْ عَزَّ بَيْعاً^(٤) وَأَشْتَرَى مَا يَشْتَهِي
وَأَسِيَمَهُ وَالرَّوْضَ^(٥) مِنْ أَسْمَائِهِ
وَلَا فُخْرَ^(٧) عَلَى الْوُجُودِ بِحُبِّهِ
فَحَذَارٍ مِنْهُ إِنْ أَرَدْتُمْ قُرْبَهُ
أَتَرَى بِنَجْدٍ^(١١) مُنْجِدٍ مِنْ وَجْدِهِ

فَاتُوا^(١) وَقَدْ عَرَفُوهُ فِي عَرَفَاتِهِ
شَوْقاً إِلَيْهِ لَا إِلَى جَنَاتِهِ
وَأَحَبَّهُمْ حَتَّى هَوُوا طَاعَاتِهِ
قَلْبِي وَلَوْ بِحَيَاتِهِ لِحَيَاتِهِ^(٣)
مِنْ وَضْلِهِ قَلْبِي وَلَوْ بِحَيَاتِهِ
وَأَشُوقَهُ وَالْوَرْدَ^(٦) مِنْ آيَاتِهِ
وَأُضِدَّقَنَّ الْقَلْبَ فِي مَنِيَاتِهِ^(٨)
خَوْفاً مِنَ الزُّفَرَاتِ فِي لَهَوَاتِهِ^(٩)
أَوْ مَنْ يُقِيلُ مِنَ الْهَوَى عَثَرَاتِهِ [٤٠ب]

[بحر الكامل]

يا محمد قد أصطفيناك قبل آدم في الكتاب الأول^(١)، مهدنا لك الأصلاب الزاكية والأرحام الطاهرة حتى تنزل، غمسننا روحك في بحر النور ونادينناك^(٢) أقبل فأقبل، خمرنا طينة تكوينك في الرفيق الأعلى فمن أعلى منك ومن أجمل، منحنا لك^(٣) علمنا وكشفنا لك

- (١) في (م) و(ع): «باتوا».
- (٢) في الأصل: «بعيسهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) اليتان ساقطان في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «قد عز بيعاً»، في الأصل: «صبري به»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٥) عبارة «وأسيمة والروض»، في الأصل: «وأسمنه الروض»، وفي (م) و(ع): «وأسيمة في الروض»، والتصويب من (ب).
- (٦) في الأصل و(م) و(ع): «للورد»، والتصويب من (ب).
- (٧) في (م) و(ع): «ولأصدقن».
- (٨) في (م) و(ع): «إخباته». والإخبات: الخشوع والتواضع. والمُنِيَات من التمني وهو تَشَهِّي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون. ابن منظور، اللسان، «خبث»، ٢٨/٢، و«منى»، ٢٩٤/١٥.
- (٩) اللهوات: جمع لهأة، وهي اللحمة المشرفة على الحلق. ابن منظور، اللسان، «لهاء»، ٢٦٢/١٥.
- (١٠) في (م) و(ع): «النجد».
- (١١) أي: أن الله ﷻ قد اصطفاه في علمه الأزلي؛ وقد أخرج الحاكم عن العرياض بن سارية السلمي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إني عند الله في أول الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام». هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرک، كتاب التاريخ، ٦٠٠/٢.
- (١٢) في (م) و(ع): «وناديناه».
- (١٣) في (م) و(ع): «منحناك».

سرنا قبل أن تسأل، ملائكة السموات^(١) رؤيتك لم تزل تسأل، لولاك يا معنى الوجود ما أفضت الجود^(٢) على من يسأل، جعلتك إماماً للملائكة^(٣) فتم لهم بك العمل، جسمك إمام لمن فوق وأمان لمن أسفل، من بايعك بايعني وبلغ من أمله فوق ما أمل^(٤)، قرنت أسمك مع أسمي^(٥) من ختم له بهذه الكلمة أمن من الزلل^(٦)، طرزت حلة الرسائل بأسمك^(٧) وأنت^(٨) ختام المجلس إذا احتفل، مات المرسلون كلهم^(٩) بشوقهم لرؤيتك وسيعلمون قدرك إذا الأمر جلل^(١٠)، أنت أحمد من كل حامد وأكمل من^(١١) فوض أمره إلي^(١٢) وتوكل، كل الخلائق يوم القيامة^(١٣) على شفاعتك تتوكل^(١٤)، علم أهل العرش قدرك ليلة الإسراء وبرد الليل أنسدل، قال جبريل عليه السلام^(١٥): ها أنت وربك فسر من قُرب دل وأسمع لنداء أقبال^(١٦)، أمنت

(١) في (م) و(ع): «السموات السبع».

(٢) عبارة «أفضت الجود»، في الأصل: «فضيت الوجود»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «للملائكة إماماً».

(٤) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيتَ يَبْتَغُونَكَ إِنَّمَا يَبْتَغُونَكَ اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

(٥) في (م) و(ع): «قرنت اسمي باسمك».

(٦) أي من كان آخر كلامه كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» نجى؛ فعن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حُجِبَتْ عنه النار يوم القيامة». حديث صحيح وأقره الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرک، کتاب التاريخ، ٦١٨/٢.

(٧) عبارة «من ختم له.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «فأنت».

(١٠) في (م) و(ع): «إذا الأمر جلل». والجلل: الأمر العظيم، والمراد به يوم القيامة. وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه فأمر الملائكة فسجدوا لك فأشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هُناكم [أي ليس ذلك المقام لي]، ويذكر خطيئته ويقول: اتنوا نوحاً أول رسول بعثه الله، فيأتونه فيقول: لست هُناكم ويذكر خطيئته، اتنوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً، فيأتونه فيقول: لست هُناكم ويذكر خطيئته، اتنوا موسى الذي كلمه الله، فيأتونه فيقول: لست هُناكم فيذكر خطيئته، اتنوا عيسى، فيأتونه فيقول: لست هُناكم، اتنوا محمداً ﷺ فقد عُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فاستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي: ارفع رأسك سل تعطه وقل يُسمع واشفع تشفع... الحديث. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم الحديث (١٤٩)، ٢٠٨/٨.

(١١) في (م): «ممن».

(١٣) عبارة «يوم القيامة»، في (م) و(ع): «في الحشر».

(١٤) في (م): «عَوَّلَ»، وفي (ع): «اتكل».

(١٦) عبارة «واسمع.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

صفوف الملائكة والمرسلين على دعائك^(١) فأعطيتهم الأمان^(٢) وأزلت عنهم الخجل، بعثتك رحمة للعالمين من أدبر منهم^(٣) ومن أقبل، جنودك^(٤) الملائكة يصلون على أرواح الشهداء^(٥) إذا بلغ الأجل، حنَّ الجذع لمفارقتك^(٦) وظهر عليه أنين الشكل^(٧)، شققت لك القمر حتى^(٨) عاينه أهل السهل^(٩) والجبل، [٤١] أنبعث الماء من بين أصابعك فخلال البركة ليس فيها خلل^(١٠)، غفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فما^(١١) أدركك عن الشكر كسل، ناديناك على ما سبق عنا^(١٢) في الأزل، وقفت على القدم الواحدة^(١٣) على الأرض والثانية^(١٤) في مقعد صدق^(١٥) والأمر عليك تسهل، أشتاقت الأرض إلى تلك القدم ليتخذها العارفون قبلة للقبل، وتأمين بها أهل^(١٦) الأرض

- (١) تأمين الملائكة على ما أتى في الحديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أمّن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدّم من ذنبه». البخاري، الصحيح، كتاب صلاة، باب جهر الإمام بالتأمين، رقم الحديث (١٦٨)، ٣١٠/١. وتأمين المرسلين على ما جاء في بعض حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يُصَلِّي، أقربُ الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يُصَلِّي؛ أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) فحانت الصلاة فأمنتهم... الحديث. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، رقم الحديث (١٧٢/٢٧٨)، ١٥٦/١.
- (٢) في الأصل: «أمانى»، وهي من (م) و(ع). (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «جندك».
- (٥) الشهداء: هم الذين شهدوا بوحداية الله تعالى. وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» [الأحزاب: ٤٣].
- (٦) في (م) و(ع): «لفراقك».
- (٧) في (ع): «وظهر عليه أثر الكسل».
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «الأبطح».
- (١٠) هذه ثلاث معجزات لرسول الله ﷺ: حنين الجذع، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وانشقاق القمر؛ فقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر وكان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت». وأخرج أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزُّوزاء [وهو موضع بالمدينة قرب المسجد] فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم». وأخرج عن أنس رضي الله عنه أيضاً أنه قال: «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقيتين حتى رأوا حراء بينهما». البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٧٩، ٩٢)، ٣٥/٥، ٤١. وكتاب أصحاب النبي ﷺ، باب انشقاق القمر، رقم الحديث (٣٥١)، ١٣٩/٥.
- (١١) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «منا».
- (١٣) في (م) و(ع): «الواحد».
- (١٤) في (م) و(ع): «الثاني».
- (١٥) أي مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٥٠.
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

أن تخسف أو تزلزل، فيا أيها المحبوب^(١) إذا أقبلت الشداد^(٢) فأقبل بالرخص^(٣) فأنت كامل وليس فوقك^(٤) أكمل، من صلى عليك مرة صليت عليه عشرا وغفرت له الزلل^(٥)، فضلتك بالوسيلة والمقام المحمود إلى أجل كمل^(٦)، لا تُنصِبْ بدنك^(٧) فأنت إلى حضرتنا ترقى، ﴿طه﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾.

قال أبو السفر الصولي رحمه الله تعالى^(٨): «دخلت في يوم عيد على بعض مشايخنا فرأيت عنده خللاً وهندباً، فأشتغل قلبي وخرجت، فدخلت على بعض أهل الدنيا فأخبرته، فدفع إلي صرة فيها دراهيم^(٩) وقال: أحملها^(١٠) إليه، فعدت بها إليه، فقلت: جئتك^(١١) بهذه لتستعين^(١٢) على وقتك. قال: وما الذي رأيت من حالي^(١٣)؟ فقلت: رأيت عندك خللاً وهندباً، قال: كأنك أنتقدت^(١٤) ذلك! لو كانت^(١٥) في بيتي امرأة كنت أنتقدتها^(١٦)! قُم، والله لا كلمتك شهراً، فقمتم^(١٧) فضرب الباب في وجهي فسال الدم، فأتيت الشبلي رحمه الله تعالى^(١٨)

(١) عبارة «يا أيها المحبوب»، في الأصل: «أيها المحبون»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «الشدايد».

(٣) وقد روي في هذا المعنى حديث عن رسول الله ﷺ، فمن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته». الإمام أحمد، المسند، رقم الحديث (٥٨٦٨/١٤٢٠)، ١٤٦/٢. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الصيام، باب الصيام في السفر، ١٦٢/٣.

(٤) في الأصل: «فوق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحطّ عنه عشر خطيئات». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرک، كتاب الدعاء، ٥٥٠/١.

(٦) عبارة «فضلتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والمقام المحمود: هي شفاعته ﷺ لأمته يوم القيامة.

(٧) في الأصل: «إلى ذلك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «قال أبو الصقر الصولي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في صفة الصفوة، ٥٠٩/٢، وإنما قال: «عن أبي الصوفي قال.. إلخ».

(٩) في (م) و(ع): «دراهم».

(١٠) في (م) و(ع): «جيت».

(١١) في (م) و(ع): «جيت».

(١٢) في (م) و(ع): «جيت».

(١٣) في (م) و(ع): «حالنا».

(١٤) في (م) و(ع): «كان».

(١٥) في (م) و(ع): «فخرجت».

(١٦) في (م) و(ع): «فخرجت».

(١٧) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). والشبلي: هو دُلف بن جُحدر، وقيل: ابن جعفر، وقيل: اسمه جعفر بن يونس، وهو خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، كان أوحده وقته حالاً وعلماً وزهداً، توفي سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٥م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٣٧. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤٥٦/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٣٨/٢.

فأخبرته^(١) فقلت له^(٢): يا أبا بكر رجل يمشي في طاعة الله ﷻ فيشج^(٣) وجهه، ما سبب^(٥) ذلك^(٦)؟ قال له^(٧): أراد^(٨) أن يأتي إلى شيء صافي فيكدره^(٩) [٤١ب]. شعر^(١٠):

حَالَفَ الوصل^(١١) فَأَضْحَى مُسْتَهَامًا مُذْ رَأَى الْبَارِقَ مِنْ نَجْدٍ أَقَامَا
ضَاحِكًا أَبْكَى سَحَابًا هَاطِلَا بَدْمَوْعَ^(١٢) الْوَجْدَ تَنْهَلُ سِجَامَا^(١٣)
بَسَمَ الرُّوضَ بِهِ^(١٤) لَمَّا بَكَى قَبَكَى هَذَا وَذَا أَبْدَى^(١٥) أَبْسَامَا
ذِكْرُ سَكَانِ الْحِمَى يُفْلِقُهُ وَصَبَا نَجْدٍ سَقَى مِنْهُ السَّقَامَا^(١٦)
كَتَمَ الْوَجْدَ وَأَخْفَى وَجْدَهُ أَبَ بِالْأَشْوَاقِ حُزْنًا وَأَكْتَرَامَا^(١٧)
قَدْ أَذَابَ الشُّوقُ مِنْهُ لَوْعَةً عِنْدَمَا أَسْتَنْشَقُ أَرْيَاحَ الْخُزَامَا^(١٨)
فَهُوَ مَجْنُونٌ بِلَيْلَى وَامِقٌ^(١٩) ذَاقَ مِنْ هُجْرَانِهَا كَاسَ الْحِمَامَا^(٢٠)

[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لم يجعل إلى معرفة ذاته سبيلاً، جعل اختصاصه لأهل الخصوصية عليه^(٢١) دليلاً، يسر لهم أسباب القرب فمذ^(٢٢) عرفوه ما أرادوا به بديلاً، لاطفهم بأنسه مثل ما يلاطف الخليل خليلاً، فجر من قلوبهم^(٢٣) وادي الحكمة فشرّبوا منه علماً جليلاً، خلصهم

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «مجب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) عبارة «قال له»، في (م) و(ع): «فقال».
(٦) في (م) و(ع): «يكدره».
(٧) في الأصل: «النوم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) عبارة «وذا أبدى»، في الأصل: «وهذا بدا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) عبارة «ووصبا نجد.. إلخ»، في (م) و(ع): «وصبا نجد شفاء والسقاما».
(١٠) عبارة «حزناً واكتاماً»، في (م) و(ع): «أرواح الخزاما».
(١١) البيت ساقط في (م) و(ع). والخزامى: عُشْبَةٌ طَوِيلَةُ الْعِيدَانِ صَغِيرَةُ الْوَرَقِ حُمْرَاءُ الزَّهْرَةِ طَيِّبَةُ الرِّيحِ. ابن منظور، اللسان، «خزم»، ١٧٦/١٢.
(١٢) في الأصل: «أنه»، وفي (ع): «وأمن»، والتصويب من (م). والوامق من ووق يوق: أحب. ابن منظور، اللسان، «ومتق»، ٣٨٥/١٠.
(١٣) عبارة «كاس الحماما»، في (م) و(ع): «كاساً حماماً».
(١٤) عبارة «لأهل الخصوصية عليه»، في الأصل: «لأهل خصوصيته عليهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «فمنذ».
(١٦) في (م) و(ع): «فؤادهم».

في مخرصة الإخلاص وكان بهم^(١) في توكلهم كفيلاً، سبقت لهم سابقة الحسنى^(٢) فذلّل لهم المطلوب تذليلاً، وأبقى المحروم في تبه الغفلة^(٣) غلبت عليه الشقاوة فبقي ذليلاً، عميت عليه السبل فإن سلك^(٤) لم يجد زاداً ولا مقيلاً^(٥)، بهذا جرى القدر فما يصنع من ألقى في بحر الطرد قتيلاً، قَرَّب سلمان^(٦) وأبعد أبا لهب^(٧) هياً له في النار مقيلاً، فيا مغروراً بالأمل^(٨) سترحلّك المنون عن أوطانك ترحيلاً، أذكر مقامك في الرمس تترى^(٩) عليك الحشرات [٤٢] بكرة وأصيل^(١٠)، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾^(١١)، فسبحان من مد ظلّ التكوين على الخلائق مداً طويلاً، أحمدته حمد من لسانه رطب بذكره يرتله ترتيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أحط بها عني من الأوزار حملاً ثقيلاً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سعد من آمن به ولمن جحدته^(١٢) جحيماً وعويلاً^(١٣)، صلى الله عليه وسلم^(١٤) وعلى آله وصحبه^(١٥) الذين أسعدهم الكريم^(١٦) بجنته ﴿يَنْقُزُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾^(١٧).

- (١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٢) في (م) و(ع): «سبقت». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَذَّوْنَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]. والمراد بالحسنى: الجنة. القرطبي، الجامع، ٣٤٥/١١.
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع) زيادة: «طريقاً».
- (٥) المقيّل: الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر. ابن منظور، اللسان، «قيل»، ٥٧٨/١١.
- (٦) هو أبو عبد الله الفارسي، ويقال له: سلمان ابن الإسلام وسلمان الخير، أصله من رام هرمز وقيل: من أصبهان، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة، فأشتغل بالرق حتى كان أول مشاهدته الخندق وشهد بقية المشاهد، وكان عالماً زاهداً، توفي سنة ٣٦هـ - ٦٥٦م. ابن حجر، الإصابة، ٦٢/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٤٤/١.
- (٧) في (م) و(ع): «أبا طالب». وأبو لهب: هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، عم النبي ﷺ، كان من أشد الناس عداوة للمسلمين، إذ كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره وقاتلهم وحرّض عليهم. ابن هشام، تهذيب سيرة النبي ﷺ، ٧١/١. الزركلي، الأعلام، ١٢/٤.
- (٨) في (م) و(ع): «بالآمال».
- (٩) تترى: أي تتوالى.
- (١٠) البُكرة: الغُدوة. والأصيل: الوقت بعد العصر إلى المغرب. ابن منظور، اللسان، «بكر»، ٧٦/٤، و«أصل»، ١٦/١١.
- (١١) سورة الفرقان، آية ٢٧.
- (١٢) في (م) و(ع): «جحد».
- (١٣) في الأصل: «هويلاً»، والنصوب من (م) و(ع). كلمة «وسلم» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «وأصحابه».
- (١٥) في (م) و(ع): «وأي تتوالى».
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) قوله: ﴿يَنْقُزُونَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الإنسان، آية ١٧. والزنجبيل: مما ينبت في بلاد العرب، وهو عروق تسري في الأرض، ونباته شبيه بنبات الرّاسن وليس منه شيء برّئاً، وليست بشجر. وزعم قوم أن الخمر يسمى زنجبيلاً، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جداً. ابن منظور، اللسان، «زنجبيل»، ٣١٢/١١، ٣١٣.

يا من هو في دهليز الغفلة مأسور، يا من ضرب بينه وبين السعادة من الحرمان بسور، ترى أنك موصول^(١) وأنت - والله - مهجور، جسمك جسم حي وقلبك في الغفلة مقبور، لا يسبح^(٢) في بحر التوبة جبان إنما يسبح فيه جسور^(٣)، كم جسر لك الوعظ من جسر على النار وتسويئك يقطع الجسور، و^(٤) ضيعت مال العمر في الغفلة من يعاملك^(٥) في الكبر يا مهجور^(٦)، بيت وصلك خراب وبيت هجرتك معمور، عقلك يحزن عليك وهواك بلهوك مسرور، إن ضيعت الشباب^(٧) كيف تصنع بالسنتين وخط قواك زور، تصلي في مسجد التوبة وقلبك بحب الدنيا مخمور^(٨)، ما أرى شقاءك إلا في المسطور، يا أرباب الأحزان بادروا التوبة^(٩) قبل غلق الدستور، ويحك كم تظلم وكم تتعدى وكم تجور، وكم تمد^(١٠) [٤٢ب] ظلمك يا ظالم فعليه يكون العبور، دعوة المظلوم نطف نار في حطب الظلمة فستراه يفور^(١١)، الحلال شوك في حلق المحاسبة فكيف بالحرام^(١٢) يا مغرور، أعلمت من جعلته^(١٣) خصمك و^(١٤) من يحاكم هذا المظلوم يوم النشور، أحتقرت المظالم وهي تنمى وتسقى بعبرات^(١٥) المظلوم وهي عند الله بحور، فبادر برد^(١٦) المظالم فما لك قدرة^(١٧) على نار توقد بالصخور^(١٨)، يا أيوب^(١٩) التوبة قل رب^(٢٠) مسني الضر فعسى اللطيف يداوي

(١) عبارة «ترى أنك موصول»، في (م) و(ع): «تراك موصولاً».

(٢) في (م) و(ع): «يعوم».

(٣) الجَسُور: المُقَدِّم. ابن منظور، اللسان، «جسر»، ١٣٦/٤.

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «من ذا يعاملك».

(٦) في (م) و(ع): «مهجور».

(٧) عبارة «إن ضيعت الشباب»، في (م) و(ع): «ضيعت المشيب».

(٨) في (م) و(ع): «معمور». (٩) في (ع): «بالتوبة».

(١٠) عبارة «وكم تتعدى.. إلخ»، في (م) و(ع): «كم تتعدى كم تجوركم تمد».

(١١) في (م) و(ع): «دعوة المظلوم نطف فيرمي في بحر الظلمات فستراه يفور».

(١٢) في (م) و(ع): «كيف الحرام». وقوله: «الحلال شوك.. إلخ»، هو معنى حديث لرسول الله ﷺ الذي يرويه عنه أبو برة الأسلمي رضي الله عنه، ونصه: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم الحديث (٢٤١٧)، ٦١٢/٤.

(١٣) عبارة «أعلمت.. إلخ»، في (م) و(ع): «علمت من جعلت».

(١٤) الواو ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٥) في الأصل: «بعبارات»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «رد». (١٧) في (م) و(ع): «قوة».

(١٨) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَتْلِبُوا نَارًا وَأَوْدَمَهَا النَّاسَ وَالْجِبَارَ﴾ [التحريم: ٦].

(١٩) عبارة «يا أيوب» بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

المقصور^(١)، هذا مغتسل التوبة منه شراب ومنه طهور، قبل يوم لا ينفع فيه^(٢) الخليل خليلاً، ﴿وَيَوْمَ يَصُفُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَكْفُلُ يَلَيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾.

خرج^(٣) الرشيد يوماً فأتى إلى^(٤) الفضل بن الربيع^(٥) فخرج إليه^(٦) مسرعاً وقال^(٧): يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي لأتيتك، فقال^(٨): ويحك أجد في نفسي شيئاً^(٩) فأنظر لي^(١٠) رجلاً نسأله. فقصد سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى^(١١) فلما أنصرف الرشيد سأله^(١٢): أعليك دين؟ فقال: نعم، فقضاه عنه^(١٣) فقال: ما أغنى عني^(١٤) شيئاً، فمضياً^(١٥) إلى الفضيل بن عياض رضي الله عنه ونفعني به^(١٦)، فدق عليه الباب^(١٧)، فقال: من؟ قال^(١٨) الفضل: أجب أمير المؤمنين. فقال: ما لي^(١٩) ولأمير المؤمنين. قلت: طاعته فرض عليك. فنزل وفتح الباب^(٢٠) ثم أرتقى إلى غرفته وأطفأ^(٢١)

(١) في (م) و(ع): «هذا المكسور». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأُوبَىٰ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٨٧ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَفَفْنَا مَا يَدِي مِنْهُ مِنْ شَرِّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَثَلَهُمْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّنَا وَذَكَرَ لِلْمُتَدِينِ ﴿[الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «حج».

(٤) عبارة «يوماً فأتى إلى»، في (م) و(ع): «فأتى يوماً».

(٥) في الأصل و(م) و(ع): «الربيع»، والتصويب من الحلية والصفة. وحيثما ورد في القصة «الربيع» فالصواب فيه «الفضل». وهو الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، ولي الوزارة للرشيد ثم الأمين، فلما ظفر المأمون استتر، ثم عفا عنه وأهمله بقية حياته، توفي سنة ٢٠٨هـ - ٨٢٤م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٧/٤. الزركلي، الأعلام، ١٤٨/٥.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فقال».

(٨) في (م) و(ع): «قال».

(٩) في الأصل: «وشيئاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). وسفيان: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، ولد بالكوفة، وسكن مكة، كان إماماً عالمياً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً، توفي سنة ١٩٨هـ - ٨١٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٢٣١/٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٩١/٢.

(١٢) في (م) و(ع): «فلما انصرفاً سأله الرشيد».

(١٣) عبارة «فقضاه عنه»، في (م) و(ع): «فقام بقضائه، ثم قال يا ربيع: ما أغنى عني صاحبك شيئاً. فقصدنا عبد الرزاق بن همام فجلسا إليه ثم انصرفا فسأله الرشيد عن دينه فقضاه».

(١٤) في الأصل: «عنك»، والتصويب من (م) و(ع). (١٥) في (م): «فمضياً».

(١٦) عبارة «رضي الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٧) في (م) و(ع): «بابه».

(١٨) في (م) و(ع): «فقال».

(١٩) عبارة «فقال مالي» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «فأطفأ».

السراج والتجأ إلى زاوية^(١)، فجالت عليه أيدينا فوقعت عليه كف أمير المؤمنين^(٢) هارون الرشيد أولاً، فقال: ما ألين هذا^(٣) الكف إن نجت غداً من عذاب الله تعالى^(٤)، فقال الفضل: خذ ما [٤٣] جثنا إليه^(٥). فقال الفضيل^(٦): يا أمير المؤمنين إن عمر بن عبد العزيز^(٧) لما ولي الخلافة قال لأصحابه: «لني أبتليت بهذا الأمر»، فسُمي الخلافة بلاءً وأنت تعدها نعمة. وقال سالم بن عبد الله^(٨) لعمر بن عبد العزيز^(٩): «إن أردت النجاة غداً^(١٠) من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً، والمتوسط أخاً، والصغير ولداً، فوقر أباك، وأكرم أخاك، وتحزن على ولدك، وأحب لهم^(١١) ما تحب لنفسك، وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مُت إذا شئت، وإنني خائف عليك يوم تزل فيه الأقدام، فهل عندك يا أمير المؤمنين من يشير عليك بمثل هذا^(١٢)؟ فبكى الرشيد حتى غشي عليه. فقال الفضل: أرفق يا فضيل^(١٣) بأمر المؤمنين! فقال: تقتله أنت وأرفق به أنا^(١٤). فقال الرشيد: زدني. فقال: قال رسول الله ﷺ وشرف وكرم^(١٥) للعباس عمه ﷺ لما طلب الإمارة: «إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة. فإن أستطعت ألا تكون أميراً فأفعل^(١٦)» فبكى الرشيد حتى غشي

- (١) في (م) و(ع): «زاويته».
- (٢) في (ع): «هذه».
- (٣) في (م) و(ع): «خذ لما جثنا فيه».
- (٤) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في الأصل: «سلام بن عبد الله»، والتصويب من (م) و(ع). وسالم: هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، القرشي العدوي، أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، توفي سنة ١٠٦هـ - ٧٢٥م. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٩٠/٢. الزركلي، الأعلام، ٧١/٣.
- (٦) عبارة «رضي الله عنهما» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (ع): «اليهم».
- (٨) عبارة «يا فضيل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) عبارة «عمه... إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والعباس: هو سيدنا العباس بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، عم الرسول ﷺ، أبو الفضل، حضر بديراً فأسره المسلمون، فأسلم بعد أن قُذِيَ نفسه وقدم مكة، له أحاديث، توفي سنة ٣٢هـ - ٦٥٣م. الذهبي، تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٣٧٣. ابن حجر، الإصابة، ٢٧١/٢. الزركلي، الأعلام، ٢٦٢/٣.
- (١١) أخرج البيهقي عن محمد بن المنكدر قال: قال العباس ﷺ: يا رسول الله أُرْني على بعض ما ولأك الله، فقال النبي ﷺ: «يا عباس! يا عم رسول الله نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها» هذا هو المحفوظ مرسل. البيهقي، السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب كراهية الإمارة... إلخ، ٩٦/١٠.
- (١٢) ومن حيث المعنى فهو صحيح لشواهد؛ فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرزعة وينتسب الفاطمة». البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم الحديث (١٢)، ١١٤/٩. وعن أبي ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر إنني أراك ضعيفاً وإنني أлюб لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين»

عليه^(١)، فلما أفاق قال: أعليك دين؟ فقال^(٢): نعم، علي دين^(٣) لربي ﷻ^(٤) لم يحاسبني عليه، فالويل لي^(٥) إن سألني، والويل لي^(٦) إن لم ألهم حجتي. فقال: إنما أعني دين^(٧) العباد، قال^(٨): إن ربي لم يأمرني بهذا، وإنما أمرني بالعبادة فقال تعالى^(٩): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٠). فقال: هذه [٤٣ب] ألف دينار. فقال: أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا، ثم صمت فلم يكلمنا. فلما خرجنا^(١١) قال هارون للفضل: إذا دلتني فدلني على مثل هذا. فدخلت عليه^(١٢) زوجته فقالت: ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال. فقال: ما مثلي ومثلك^(١٣) إلا كرجل له بعير يأكل^(١٤) عياله من كسبه فلما كبر نحروه^(١٥). فسمع هارون ذلك فأعاد زيارته^(١٦) وسأله أن يأخذ المال^(١٧)، فلم يكلمه زماناً إلى أن أتت^(١٨) جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ فأنصرف يرحمك الله، فأنصرف^(١٩).

وَحَقَّقَ مَا أَبْقَى مَرِيداً عَلَى حَالِي
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْحَبِّ طَرَأَ تَجَمُّعُوا
فَتَسَعَةُ أَغْشَارِ الْهَوَى قَدْ مَلَكَتْهَا
فَكَيْفَ أَخَافُ الْهَجْرَ أَوْ أَزْهَبَ الْأَسَى
وَمَا كُنْتُ أَذْهَبُ أَنَّ ذَاكَ قَطِيعَةً
إِلَى أَنْ بَدَى الْمَقْدُورُ يَوْمًا بَلْفُظَةً
وَهَبَ أَنَّنِي خَاطِي فَيَا طُولَ مَا^(٢١) مَضَى

فَحَسْبِي بِبَسْطِي فِي رِضَاكَ وَإِدَالِي
لَمَّا مَثَّلُوا وَجْدِي وَلَا شَكَّلُوا حَالِي
وَعَشْرُ الْهَوَى أَيْضاً تُرِيدُ^(٢٠) وَصَالِي
وَلَا أَنَا مَنَسِيٌّ لَدَيْكَ وَلَا قَالِي
وَلَا خَطَرَ الْهُجْرَانِ مِنْهُ عَلَى بَالِي
فَبَدَّلَ بِالْهُجْرَانِ وَضَلِي وَإِقْبَالِي
فَجُذِّ لِي بِعَفْوٍ مِنْكَ فِي الزَّمَنِ الْخَالِي

= ولا تَوَلَّيْنِ مال يتيم. مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، رقم الحديث (١٧/١٨٢٦)، ٣/١٤٥٧.

- (١) عبارة «حتى غشي عليه» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) في (م) و(ع): «قال».
- (٣) عبارة «علي دين» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) عبارة «فالويل لي»، في (م) و(ع): «فالويل ثم الويل».
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «فقال».
- (٨) في (م) و(ع): «فقال».
- (٩) سورة الذاريات، آية ٥٦.
- (١٠) في (م) و(ع): «فقال».
- (١١) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٢) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٣) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٤) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٥) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٦) عبارة «فأعاد زيارته»، في (م) و(ع): «فعاد إلى زاويته».
- (١٧) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٨) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٩) في (م) و(ع): «فأنصرفنا». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢/٢٤٢. وأبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٨/١٠٥.
- (٢٠) في الأصل: «ترديا»، والصواب ما أثبتناه.
- (٢١) في الأصل: «من»، والصواب ما أثبتناه.

فيا لَهْفَ نفسي من جَوَى الصَّدِّ والأسَى ويا طول أحرزاني وَلَوْعَة بَلْبَالِي^(١)
[بحر الطويل]

يا رفاق التائبين متى يكون الملتقى، يا أنفاس العارفين إلى أين المُرْتَقَى^(٢)، ويحك رحل الصالحون وبقيت في المعاصي تتعثر في الشقا، ضيعت [١٤٤] أيام الشباب وتكاسلت لما أبيض الشعر ونقى، إذا خرب إقليم الكبر قواك كيف يكون البقا، أما سمعت بوق الرحيل أرتحلوا وخلفوك ستتعب - والله - بعدهم وتشقى، إذا فاتتك^(٣) فعسى ثنية^(٤) الفجر تحت لها^(٥) عيس قيامك سبقا، لعلك^(٦) تدرك أعقاب الركب ترفق^(٧) بك رفقا، و^(٨) قَو علف الجوع لراحلة النفس تحمد سراها إذا طرق المجتهدون^(٩) الأوراد طرقا، السمين في أعقاب الركب والضامر مع المحمل يتغذى بطيب الجد^(١٠) من غير أن يطعم ويسقى، إن فاتك هذا^(١١) السفر فسيرحلون إلى الحبيب^(١٢) وتبقى، فيا معشر^(١٣) التائبين بادروا قبل يوم السؤال ﴿وَلَا تَظْلُمُونَ فَيَلًا﴾^(١٤)، ﴿وَيَوْمَ يَصُحُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سِيلًا﴾. قال خلف رحمه الله تعالى^(١٥): «مررت برجل مجذوم^(١٦) مقطوع الأربع، فرفعته ووضعت^(١٧) مع المجذومين، قال^(١٨): فغفلت عنه أياماً ثم أتيته وأعتذرت إليه^(١٩). فقال: إن

- (١) الأبيات ساقطة في (م) و(ع). والبَلْبَال: البرحاء في الصدر، ويَبْلَل القوم بلبلة ويَلْبَالاً: حركهم وهيجهم. ابن منظور، اللسان، «بلل»، ٦٩/١١.
- (٢) في (م) و(ع): «إلى أين يكون المرتقى».
- (٣) في (م) و(ع) زيادة: «دجلة التهجذ فلعل سَوْرَة السحر تهيج لك شوقاً، فإن فاتتك».
- (٤) في الأصل: «ثنية»، وفي (ع): «بينة»، وهي من (م).
- (٥) في (م) و(ع): «إليها».
- (٦) في (م) و(ع): «فلعلك».
- (٧) في (م) و(ع): «فترتق».
- (٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «المتجذون».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «إلى الحبيب»، في (م) و(ع): «للحبيب».
- (١٢) في (م) و(ع): «يا معاشر».
- (١٣) قوله: ﴿وَلَا تَظْلُمُونَ فَيَلًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة النساء، آية ٧٧.
- (١٤) والفيل: ما كان في شق النواة، وهذه تضرب مثلاً للشيء التافه الحقيقير القليل، ولا يظلمون فتيلاً أي: لا يظلمون قدرها. ابن منظور، اللسان، «قتل»، ٥١٤/١١.
- (١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٥٠١/٢.
- (١٦) عبارة «مررت برجل مجذوم»، في (م) و(ع): «أتيت بمجذوم». والجذم: القَطْع، والجَذَام من الداء: معروف لِتَجْذُم الأصابع وتَقْطَعُها، ورجل مجذوم: إذا تهاقَّتْ أطرافه من داء الجَذَام. ابن منظور، اللسان، «جذم»، ٨٦/١٢، ٨٧.
- (١٧) عبارة «فرفعته ووضعت»، في (م) و(ع): «فوضعت».
- (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) عبارة «واعتذرت إليه»، في (م) و(ع): «فأعتذرت له وقلت له نسيك».

حبيبي لا ينساني، ولا أجد ألماً لما أنا فيه من محبته^(١). فقلت^(٢): ألا أزورك امرأة تنظفك من الأقدار؟ فبكى وتنفس ورفع طرفه إلى السماء وقال: يا حبيبي، فغشي^(٣) عليه، ثم أفاق و^(٤) قال: كيف تزوجوني^(٥) وأنا عروس الدنيا والآخرة، قلت^(٦): وما عندك من المال؟ قال: رضي سيدي عني إذ أبلى جسدي^(٧) وأطلق لساني بذكره. فبقي أياماً ومات رحمه الله تعالى^(٨)، فأخرجت له كفناً فيه طول، فقطعت منه، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: يا خلف، بخلت على وليي ومحبي بكفن طويل^(٩)! قد ردنا^(١٠) عليك كفنك وكفناه من عندنا بالسندس الأخضر والاستبرق، قال: [٤٤ب] فسرت إلى بيت الأكفان فوجدت الكفن ملقى رحمه الله ورضي عنه^(١١). شعر^(١٢):

مُغْرَمٌ فِي حَبِّ لَيْلَى يَتَبَاهَى^(١٣)
سُورَ الْحَبِّ بِمُخْرَابِ الْهُوَى
كَمْ عَذُولٌ فِي هَوَاكُم لَأَيْمِ
أَهْ مِنْ قُلُوبِي وَلَوْ لَا حَسْرَةٌ
يَا أَخْلَائِي عَلَى وَادِي مِنْى
نَفْسٌ مِنْ نَفْسٍ صَبَّ مُغْرَمٌ
عَرْنِي صَبْرِي فَفَارَقْتُ الْجَمَى
أَسْتَبِينَ الرِّيحَ عَنْ^(١٤) أَخْبَارِكُمْ

يَفْتَدِي فِيهِ^(١٥) بِأَنْوَارِ هُدَاهَا
عِنْدَمَا أَتَقَنَّهَا جِفْظاً تَلَاهَا
مَا أَتَهَى عَنِي^(١٦) وَ^(١٧) وَجْدِي مَا تَنَاهَا
تَتَنَّى^(١٨) فِي الْحَشَى مَا قَلَّتْ آهَا
هَلْ سَبِيلٌ لِي إِلَى الدَّارِ أَرَاهَا
أَتْرَى تَقْضِي^(١٩) وَلَا يُقْضَى مِنْهَا
كَيْفَ لِي صَبْرٌ وَلَا قَصْدٌ سِوَاهَا^(٢٠)
فَتُسَمِّيهِمْ وَلَا أَرْضَى كُنَاهَا

- (١) في (م) و(ع): «ولا أجد لما أنا فيه من محبته ألماً».
- (٢) في (م) و(ع): «قلت».
- (٣) في (م) و(ع): «وغشي».
- (٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «تزوجني».
- (٦) في (م) و(ع): «فقلت».
- (٧) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) عبارة «فقطعت منه.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٩) عبارة «قد ردنا»، في (م) و(ع): «فردنا».
- (١٠) عبارة «فوجدت الكفن.. إلخ»، في (م) و(ع): «فإذا بالكفن ملقى فيه».
- (١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «يتباهى».
- (١٤) في الأصل: «تتنى»، وفي (ع): «تتنى»، والتصويب من (م).
- (١٥) في (م) و(ع): «يقضي».
- (١٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «تتنى»، وفي (ع): «تتنى»، والتصويب من (م).
- (١٨) عبارة «كيف لي صبر.. إلخ»، في (م): «لم أخله بفؤادي في سواها»، وفي (ع): «أخله بفؤادي في سواها»، وهو تصحيف.
- (١٩) في (م) و(ع): «من».

هي للنفس شفاها إن عَدَتْ
وأشيم^(١) البرق من تَلَقَّائهم
يا نُجوم اللَّيْلِ كونوا رُسُلي^(٢)
أُتري مَنْ عَلَّم العَيْن البُكى
وعلى جسمي مِنْ ذُلِّ الضَّنَى
فَسَقَى الله ربوع المُنْحَنِى
وَرَعَى الله أَثْيَلَات^(٣) الجِمَى

تَنْقُل الأخبار بالنَّصِّ شفاها
فعمساه بحديث القوم فَاها
عند مَنْ أَوْذَعْتُهُ قَلْبِي فَتَاها
لَيْسَ إِلَّا مَنْ نَفَى عنها كَرَاها
سَقَمَ في النَّفْس بالوَجْد رَمَاها
بِيَدِ الأَنْوَاءِ^(٤) مَا يَرُوي صَدَاها
فهي للأَيَّام لا شك حَلَاها^(٥)

[بحر الرمل]

شراب وعظي من نهر الكوثر^(٦) من شرب منه لم يظماً، أكوابه أمثاله، فصاحته حافاته، ملائكته معارفه، السامعون وُرَّاده، كل كلمة هي كاسٌ [١٤٥] عليه أَسَم صاحبه فلذلك يشرب كل واحد على حدته، هذا من النثر وهذا من النظم وهذا من الحكاية وهذا من الأمثال وهذا من الاستعارة، وتفاوتهم في الوجد تفاوتهم في الشرب لا يُدَاد^(٧) عنها إلا الحاسد وإبليس، هذا مُبعد من الرحمة وهذا أرض فلاة سَبَّخَة^(٨) لا تنبت.

إلهي كم دَلَّ^(٩) وعظي عليك من منقطع حتى أنقطع إليك أتراه يرحم وأحرم، إلهي كم شفى من عبدة علة، وكم أروى من غلة أفتراهم يردون إلى عفوك وأصدد، إلهي إن لم أكن في

(١) شام السحاب والبرق شيماً: نظر إليه أين يُقَصِّد وأين يُمطر، وقيل: هو النظر إليهما من بعيد. ابن منظور، اللسان، «شيم»، ٣٣٠/١٢.

(٢) عبارة «كونوا رسلي»، في الأصل: «كن لي رسلاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الأنواء واحدها نَوْء، ومعنى النَّوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبته، وهو نجم آخر يقابله، وكانت العرب تُضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط فيها، فنقول: مُطَرْنَا بِنَوْء كذا. ابن منظور، اللسان، «نواء»، ١٧٥/١.

(٤) الأثْيَل: منبت الأراك. ابن منظور، اللسان، «أثيل»، ١٠/١١.

(٥) في (م) و(ع): «مناها».

(٦) الكوثر: هو فوعل من الكثرة، والواو زائدة، ومعناه الخير الكثير. ابن منظور، اللسان، «كوثر»، ١٣٣/٥. والكوثر: هو نهر في الجنة وهو للنبي ﷺ خاصة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافاته قباب الدرِّ المَجُوف، قلتُ: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طيئه - أو طيئه - مسك أدفر» [هو الذكي الرائحة] شَكُّ هَذْبَةٍ. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب الحوض، رقم الحديث (١٦٢)، ٢١٥/٨.

(٧) اللُّؤْد: الطرد والدفع. ابن منظور، اللسان، «ذود»، ١٦٧/٣.

(٨) السَّبَّخَة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تُنبت إلا بعض الشجر. ابن منظور، اللسان، «سبخ»، ٢٤/٣.

(٩) في الأصل: «ذا»، والصواب ما أثبتناه.

وعظي محققاً فقد ينتفع به محققاً أفتراه تحقق آماله وتحقق خيبتني، إلهي هون علي ما بعد الموت فالذي قبله يسير، إلهي أرحم من أقعده التسويف وعمره به يسير، إلهي فك غل الأسر من رقبة من هو في سجن الهوى أسير، إلهي أرفق بنا رفق^(١) من قبلته ويسر لي معهم أن أسير، وأرحمنا بما رحمته منا من الكبير والصغير يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً^(٢).



(١) عبارة «أرفق.. إلخ»، في الأصل: «رافق بنا رفاق»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) عبارة «شراب وعظي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل السادس

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي نَعَمَ أحبابه بأنسه^(١) في حندس^(٢) الليل البهيم^(٣)، لاطفهم بأنسه فتقربوا إليه بقلب سليم، أذاقهم لذيذ^(٤) مناجاته فكل منهم بحبه يهيم، أسكن^(٥) قلوبهم حبه فليلهم بالأشواق ليل^(٦) السليم، طهرها من الهوى فحب الدنيا عنها راحل وحب الآخرة مقيم، فعلى^(٧) كل حال لا يعرفون سواء فأهلاً به من تنعم^(٨) وأهلاً به من نعيم، [٤٥ب] أفناهم^(٩) شهوده^(١٠) عن وجودهم فحالهم لشوقه مستديم^(١١)، أقطعهم إقليم الكرامات فما^(١٢) أبدعه من إقليم، حماهم عن^(١٣) الأغيار غيرة عليهم وخلع عليهم حلال الرضى والتسليم، سقاهم مدام الإلهام^(١٤) فيا له من مدام ويا له من نديم، أسبل على العاصي ستره ليعود إلى الباب الكريم، تقرب برحمته للمذنبين ليسكن روح المفلس من الطاعة العديم، أرسل إليه رسالة اللطف على يد^(١٥) رسول كريم، ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١٦).

معاشر^(١٧) النائبين أعلموا مع من عقدتم! من حرككم وبصركم بعد أن عصيتم^(١٨)، لو علمتم عند المعصية بعين من كنتم لمتم، غذاكم بلطفه وعاملكم بالوفا فختتم، تسبلون الأستار على المعاصي^(١٩) وما أستحيتم^(٢٠)، كم دعاكم إلى بابه وتكاسلتم، كم ناداكم منادي المشيب

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الجندس: الليل الشديد الظلمة. ابن منظور، اللسان، «حندس»، ٥٨/٦.

(٣) ليل بهيم: لا ضوء فيه إلى الصُّباح. ابن منظور، اللسان، «بهيم»، ٥٧/١٢.

(٤) (٥) في الأصل: «أمكن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «والليل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع) «تنعيم».

(٩) في (م) و(ع) «على».

(١٠) في (م) و(ع): «وجود».

(١١) في (ع) «أفنى»، وهو تصحيف.

(١٢) عبارة «فحالهم».. إلخ، في الأصل: «فحالهم لشوقهم ومستديم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «من».

(١٤) في (م) و(ع) «ما».

(١٥) في (م) و(ع): «مُدام الأفهام». ومُدام: المطر الدائم، والمُدام والمُدامة: الخمر. ابن منظور، اللسان، «دوم»، ٢١٤/١٢.

(١٦) سورة الزمر، آية ٥٣.

(١٧) في (م) و(ع): «يدي».

(١٨) في (م) و(ع): «عصيتم».

(١٩) في (م) و(ع): «معشر».

(٢٠) في (م) و(ع): «استحيتم».

(١٩) في الأصل: «الإصرار»، وهي من (م) و(ع).

وإذا سمعتم النداء اناقلتم^(١)، غلب عليكم طرش الغفلة كأنكم ما سمعتم، إذا عرضت عليكم سلع الآخرة تناقلتم، وإذا عرض عليكم شراب الدنيا^(٢) الفانية تبادرتم، كم تقاطعتم على^(٣) شهواتها وتدابرتم، كم بنيتم ما ترحلون عنه وشيدتم، كم أتعبتم الأبدان في الشهوات والعيون أسهرتم، هذا ماتم الأحزان فيا أهل المصائب أين أنتم، كاني بكم - والله^(٤) - تحت اللحد كأنكم ما كنتم، أشربوا شراب التوبة فإن [١٤٦] شربتم طبتم^(٥)، لازموا الحمية^(٦) تذكروا الصحة إن لازمتم، فالتائبون تناديهم الملائكة: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾^(٧)، والحق تعالى^(٨) يناديهم بلطف و^(٩) تسليم، ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْزَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قال منصور بن عمار رحمه الله تعالى^(١٠): «خرجت ذات ليلة فإذا بصوت من باب صغير^(١١)، فأنصت إليه وهو يقول: ما أردت^(١٢) بمعصيتي مخالفتك، ولا أنا شاك^(١٣) جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي، وغلبت علي شقوتي، وغرني سترك المُرْخَى علي، واسوأته علي ما مضى من أيامي في معصية ربي، ويلي كم أتوب ثم^(١٤) أعود، قد حان أن أستحي من ربي^(١٥). قال منصور: فتعوذت و^(١٦) قرأت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١٧)، فسمعت صوتاً وأضطراباً شديداً، فمضيت ثم جئت^(١٨) من الغد وإذا بجنازة الفتى وخلفها^(١٩) عجوز تتلف^(٢٠) نفسها عليه، فقلت: من الميت؟

(١) عبارة «وإذا سمعتم... إلخ»، في (م) و(ع): «وإذا سمعتم اناقلتم».

(٢) عبارة «وإذا عرض... إلخ»، في (م): «وإذا لَمَعَ شراب الدنيا»، وفي (ع): «وإذا لَمَعَ شراب الدنيا».

(٣) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «كاني والله بكم».

(٥) في (م): «طربتم».

(٦) الحِمْيَةُ والْحَمَى ما حُمِيَ من شيء. وَحَمَى المريض ما يضره حِمْيَةٌ: منه إياه. ابن منظور، اللسان، «حما»، ١٤/١٩٨.

(٧) قوله: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الزمر، آية ٧٣.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «وعزتك ما أردت».

(١٣) في (م): «بنكالك». (١٤) في (م) و(ع): «وكم».

(١٥) عبارة «أستحي من ربي»، في (م) و(ع): «أستحي».

(١٦) في (م) و(ع): «ثم».

(١٧) سورة التحريم، آية ٦. وفي (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ الآية.

(١٨) في (م) و(ع): «ومضيت وجيت». (١٩) في (م) و(ع): «وخلفه».

(٢٠) في (م) و(ع): «تتلف». ولهف لهفاً: حزن وتحسر، وكذلك التللف على الشيء. ابن منظور، اللسان، «لهف»، ٣٢٢/٩.

فَقَالَتْ^(١): أَبْنِي، جَاءَ رَجُلٌ غَرِيبٌ - لَا جِزَاءَ لِلَّهِ خَيْرًا^(٢) - فَقَرَأَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ^(٣) فِيهَا ذِكْرُ النَّارِ فَمَاتَ مِنْ خَوْفِ^(٤) اللَّهِ ﷻ^(٥). شَعَرَ^(٦):

شَفَّتْ زُجَاجَةٌ دَمْعَهُ عَنْ دَائِهِ
وَأَلَحَّتِ الزُّقَرَاتُ فِي إِظْهَارِهِ
لَمْ يَقْضِ شَأْنُ الدَّمْعِ شَأْنَ غَرَامِهِ
قَسَمًا بِمَنْ^(٨) قَسَمَ الْغَرَامُ وَخَصَّنِي
لَأَقْلُبَنَّ^(٩) عَلَى الْأَسَى قَلْبِي عَسَى
يَا إِخْوَةَ الْمُشْتَقِ فُكُّوا أَسْرَهُ
يَا مَنْ لَهُ قَلْبِي^(١٢) تَقَلَّبَ فِي الْهَوَى
وَيَرْمُلُ عَالِجٌ^(١٣) مَنْ يُعَالِجُ^(١٤) هَائِمًا
ذَكَرَ الْعِرَاقُ فَبَاتَ يَغْتَنُقُ^(١٦) الضَّنَى

لَوْ كَانَ عِنْدَ النَّاسِ عِلْمُ شِفَائِهِ
لَمَّا أَلَحَّ السَّقَمُ فِي إِخْفَائِهِ [٤٦ب]
حَتَّى قَضَى فِي دَائِهِ^(٧) بِوَفَائِهِ
دُونَ الْأَنَامِ عِنَايَةً بِعَنَائِهِ
يَرْتِي لَهُ مَنْ حَلَّ فِي سَوْدَائِهِ^(١٠)
مِنْ دَائِهِ^(١١) وَتَفَضَّلُوا بِقَضَائِهِ
وَجَدَا حَشَى النُّيْرَانِ فِي أَحْسَائِهِ
بِالنَّيْلِ لَا يَرْوِيهِ بَارِدُ مَائِهِ^(١٥)
أَوْصَالُهُ وَيَعَضُّ فِي أَعْضَائِهِ^(١٧)

[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي حكم بالفناء على الخلائق فتساوى الملوك والعبيد، تفرد بالبقاء وتوحد بالقدم وصرف أقداره في الملك بما يريد، ظهر أفتقار الكل إليه الصالح والطالح والغوي والرشيد، يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في رزق جديد^(١٨)، عم الكل

- (١) في (م) و(ع): «قالت».
- (٢) عبارة «لا جزاء الله خيراً» ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) عبارة «من القرآن» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «من خوف»، في (م) و(ع): «خوفاً من».
- (٥) في (م): «تعالى».
- (٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «بما»، وفي (ع): «عن»، والتصويب من (م).
- (٨) في الأصل: «لأقبلن»، والتصويب من (م) و(ع) لأجل الوزن.
- (٩) سواد القلب وسوداؤه: حبته، وقيل: دمه. ابن منظور، اللسان، «سود»، ٢٢٧/٣.
- (١٠) في الأصل: «ديته»، والتصويب من (م) و(ع) لأجل الوزن.
- (١١) في الأصل: «قلت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) عالج: رمال بين قيد القرّيات ينزلها بعض طيء، متصلة بالثعلبية. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٩١١/٢.
- (١٣) في الأصل: «تعالج»، وهي من (م) و(ع).
- (١٤) عبارة «بالنيل لا يرويه.. إلخ»، في (م): «لا يروى ببارد مائه»، وفي (ع): «لا يروى بنار دمايه».
- (١٥) في الأصل: «يعترض»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في (١٧) و(ع): «أوصاله».
- (١٨) المعنى: يسأله من في السموات [أي الملائكة] الرحمة، ومن في الأرض الرزق، وقالوا: أهل الأرض يسألونهما جميعاً. القرطبي، الجامع، ١٦٦/١٧.

قضاؤه^(١) فأين يفر العاصي ومن يجبر^(٢) الفقيد، كم^(٣) خذل القضاء من زعيم وكم^(٤) أدخل الحضرة من طريد^(٥)، ما أغفل أهل المعاصي عن قسمته^(٦) فمنهم شقي وسعيد، كم^(٧) أستلانا طيب العيش أما سمعوا^(٨) ذكر الوعيد، يخرق الجديدان عمره^(٩) وهو يفرح^(١٠) بالجمع والعيد، هذا نذير المشيب^(١١) أتى فأين البكى وأين التعديد^(١٢)، وبعده ضعف القوى وأهوال وتنكيد^(١٣)، ﴿وَبَيَّاتٌ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(١٤).

يا معشر السالكين رافقوا رفيق الخلوات^(١٥) فهو رفيق صالح، كثروا زاد التقى^(١٦) فالفاضل من هو^(١٧) في سوق [١٤٧] الحساب راجح^(١٨)، وافقوا دليل العلم^(١٩) ووفوا له دليل العمل بميزان راجح، ضمروا عيس الأبدان لتخف في السير وتنجوا بها فارح، خففوا عنها ثقل أعمال أهل الغفلة^(٢٠) بحادي التلاوة عساها بمنزل الوصل تراوح^(٢١)، حلوا عنها أحراج^(٢٢)

(١) في (م) و(ع): «غمر الكل عطاؤه».

(٢) في (م) و(ع): «يعيد». والجبر خلاف الكسر، جبر الله مصيبته أي رد عليه ما ذهب منه أو عوّضه عنه. ابن منظور، اللسان، «جبر»، ١١٤/٤، ١١٥.

(٣) في الأصل: «قد»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) في الأصل: «قد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) قوله هذا ينلج تحت معنى حديثي رسول الله ﷺ، أما الأول: فأخرجه البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «مرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: «حريّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشَفَّع، وإن قال أن يُسْتَمَعَ، قال: ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: «حريّ إن خطب أن لا يُنكح، وإن شفع أن لا يُشَفَّع، وإن قال أن لا يُسْتَمَعَ، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». البخاري، الصحيح، كتاب النكاح، باب الأكلفاء في الدين، رقم الحديث (٢٩)، ١٢/٧. والحديث الثاني: أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رُبَّ أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره». مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين، رقم الحديث (٢٦٢٢/١٣٨)، ٢٠٢٤/٤.

(٦) في (م) و(ع): «قسمة». (٧) في (م) و(ع): «كيف».

(٨) في الأصل: «أما ما سمعوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «يُخْلِقُ الجديدان جِدَّتَهُ».

(١٠) عبارة «وهو يفرح» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الشيب».

(١٢) عبارة «وأين التعديد»، في (م) و(ع): «والتغريد». (١٣) في الأصل: «أو تنكيد»، وهي من (م) و(ع).

(١٤) سورة ق، آية ١٩.

(١٥) في (م) و(ع): «رفيق الخلوة».

(١٦) في (م) و(ع): «التقوى».

(١٧) في (م) و(ع): «رايح».

(١٨) في (م) و(ع): «رافقوا رفيق العلم».

(١٩) في (م) و(ع): «رافقوا رفيق العلم».

(٢٠) عبارة «ثقل أعمال أهل الغفلة»، في (م) و(ع): «ثقل الأعمال».

(٢١) عبارة «بمنزل.. إلخ»، في (م) و(ع): «بمنزل الأمن تصايح». والمراوحة: عملان في عمل، يعمل ذا مرة وذا مرة، وهما يتراوحان عملاً أي يتعاقبان. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٤٦٥/٢.

(٢٢) الأحرار: جمع حَرْجَة، والجراج غياض من شجر السلم ملتفة، لا يقدر أحد أن ينفذ فيها. =

السهر في منزل الفجر لعلها بالذكر تصابح^(١)، قدموا لها زاد الصوم وأسقوها^(٢) ظمأ الهواجر^(٣) فماؤه^(٤) عذب وما سواه مالح، أدلجوا بها في سروة^(٥) التهجد عسى يلوح في منزل الفجر لائح، حطوا عنها أكوارها^(٦) في روضة الذكر ففيه مرعى خصب فالح^(٧)، هذا سفر الأحباب والمحروم في تيه الشقاء ماسٍ وصابح، مهما سار منزلاً عاد إليه^(٨) ما عليه علامة ناجح، سيندم^(٩) إذا جاءته السكرات بحديث جديد، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى^(١٠): «دخلت على جار لي وهو^(١١) مريض، فقلت له^(١٢): عاهد^(١٣) الله تعالى وتب وهو^(١٤) يشفيك. فقال: هيهات يا أخي، إنني ميت لا محالة، أردت أن أتوب^(١٥) فسمعت قائلاً يقول من ناحية^(١٦) البيت: عاهدناك مراراً فوجدناك غداراً». شعر^(١٧):

قِفَا صَاحِبِي^(١٨) الْيَوْمَ أَسْأَلُ حَاجَتِي^(١٩)
هَلِ الرَّبُّعُ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ^(٢٠) كَعَهْدِهِ^(٢١)
وَهَلْ رَاجِعٌ يَوْمًا عَلَيَّ^(٢٢) زَمَانِي
وَهَلْ بَعْدَ رَيَّعَانٍ^(٢٣) الْبِعَادِ تَذَانٍ [٤٧ب]

= ابن منظور، اللسان، «حرج»، ٢/٢٣٤، ٢٣٥.

- (١) في (م) و(ع): «تراوح».
- (٢) في الأصل: «وأسقوه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) الهواجر: هو نصف النهار عند اشتداد الحر. ابن منظور، اللسان، «هجر»، ٥/٢٥٤.
- (٤) في (م) و(ع): «ماؤه».
- (٥) الدَّلَجَةُ: الساعة من آخر الليل، وقيل: الليل كله، وأدَلَجُوا: ساروا من آخر الليل، وقيل: ساروا الليل كله. والسَّرْوَةُ جمعها سَرُورٌ: وهي الشجر. ابن منظور، اللسان، «دلج»، ٢/٢٧٢، «سرا»، ١٤/٣٨٠.
- (٦) الأكوار: جمع كُور وهو رحل الناقة بأداته. ابن منظور، اللسان، «كور»، ٥/١٥٥.
- (٧) في (م) و(ع): «فايح».
- (٨) في (م) و(ع): «إليه عاد».
- (٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٠) القصة ذكرها الأصهباني في محاضرات الأدباء، ٤/٤٠٨.
- (١١) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «فقلت له» ساقطة في (م)، وفي (ع): «قلت».
- (١٣) في (ع): «عاهدني»، وهو تصحيف.
- (١٤) كلمة «وهو»، في (م) و(ع): «عساه».
- (١٥) في الأصل: «وأردت أن نتوب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «جانب».
- (١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات للشريف الرضي. انظر: الديوان، ٢/٥٢٢.
- (١٨) في (م) و(ع): «صاحباي».
- (١٩) في (م) و(ع): «حاجة».
- (٢٠) الظُّغْنُ: سير البادية لثُجَّة أو تحوُّل من بلد إلى بلد. ابن منظور: اللسان، «ظعن»، ١٣/٢٧١.
- (٢١) في (م) و(ع): «بعهده».
- (٢٢) في (م) و(ع): «إلي».
- (٢٣) في (م) و(ع): «تفريق».

وما غَرَضِي^(١) أني أسومك^(٢) خطةً
أداوي به قلباً من الشوق لم تدع
كفاني قليل من رضاك كفاني
به فتكات الشوق غير جنان^(٣)
[بحر الطويل]

يا أخي من لك إذا ملكت الزائر وفي الرمس تنسى، بعث نفسك بالثمن الخسيس وسمتها
بخساً، أملك في الفاني فيه سرعة وفي الباقي ليت وعسى، ضيعت غصن^(٤) الشباب حتى تقوس
عودك^(٥) وعسا، لا حيلة فيمن أقعده القدر: العينان منه جامدتان^(٦) والقلب قد قسى، ليت
شعري أنسيت^(٧) قبائك^(٨) وهي في ديوان لا تنسى، أما تعتبر بالراحلين في الصباح وفي
المساء^(٩)، تمشي في تيه^(١٠) الغفلة مشية مدل ما هذه مشية من قد^(١١) أسي، لو علمت من تعصي
وهو يراك وثياب نعمه تكسى، ويحك أنسيت بما ترحل عنه هلاً جعلت^(١٢) مولاك أنساً، أحييت
جسمك^(١٣) بالشهوات وبالمعاصي قتلت نفساً، كأنني بقاطع الأمل^(١٤) وافاك فقطع منك أنيناً
وحساً، فبادر قبل أن يبدو لك ما لا تريد، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ اللَّوْنِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ حَمِيداً﴾.
قال ذو النون المصري^(١٥) رحمه الله تعالى: «بينما^(١٦) أنا في جبال المغرب إذ وقعت
برجل عابد على رأس جبل، فسلمت عليه فأطرق ساعة^(١٧) إلى الأرض ثم رفع رأسه إلي
فقال^(١٨): وعليكم السلام. قال ذو النون: فقلت له: ما^(١٩) مقامك في هذا المكان؟
قال^(٢٠): معي بضاعة قد هربت بها من السراق^(٢١)، [١٤٨] وقد جئت لأدفنها في هذا
المكان. قلت: وما بضاعتك هذه^(٢٢)؟ قال: عقد توحيد وخالص ضامر مكنوني^(٢٣).

- (١) في (م) و(ع): «غرضي».
- (٢) في الأصل: «أسومه»، وهي من (م) و(ع). والسُّوم: عرض السلعة على البيع، ويسمى بالسلعة أسوم بها
سوماً: غاليت. ابن منظور، اللسان، «سوم»، ٣١٠/١٢.
- (٣) الجنان: جوف ما لم تَرَ. الفيروزآبادي، القاموس، «جنن»، ص ١٥٣٢.
- (٤) في (م) و(ع): «عصر».
- (٥) في (م) و(ع): «حتى تقوس عوده».
- (٦) في الأصل: «جامدة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «أنسيت».
- (٨) في (ع): «فيا ويحك».
- (٩) عبارة «في الصباح.. إلخ»، في (م) و(ع): «وبالصباح والمساء».
- (١٠) في (م) و(ع): «ليل».
- (١١) في الأصل: «جعلته»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «نفسك».
- (١٣) في (م) و(ع): «الآمال»، وقاطع الأمل هو الموت.
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٥٤/٤.
- (١٥) في (م) و(ع): «بيناً».
- (١٦) في (م) و(ع): «ثم رفع رأسه وقال».
- (١٧) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٨) في (م) و(ع): «الأسواق».
- (١٩) في (م) و(ع): «وخالصة ضميري».
- (٢٠) في (م) و(ع): «وخالصة ضميري».
- (٢١) في (م) و(ع): «وخالصة ضميري».
- (٢٢) في (م) و(ع): «وخالصة ضميري».

قلت^(١): لو أنست بالناس. قال^(٢): منهم هربت، وقد قصدت إلى من قصده غيري من الراجين^(٣) فوجدته مؤنساً، ثم رفع طرفه^(٤) إلى السماء و^(٥)قال: أنت أنت. قال ذو النون: فرفعت طرفي في موضع رفع طرفه فلم أره. شعر^(٦):

في طاعة الحب في عِصْيَانٍ مَنْ عَدَلَا
وفي سَبِيلِ الْهَوَى نَفْسِي الَّتِي ذَهَبَتْ
وَجَدْتُ وَجَدْتُ هَوَايَ^(٩) فِيهِ يَغْدُبُ لِي
لَا تَغْدُلُوا وَأَعْزِدُوا فِي الْحَبِّ وَأَجْهَدُوا^(١٠)
حَيْرَانَ وَلَهَانَ قَدْ فَاضَتْ مَدَامِعُهُ^(١١)
دُلُّوا^(١٣) عَلَى الصَّبْرِ قَلْبِي أَوْ دَعُوهُ وَمَا
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى بَرْدِ السُّلُوفِ وَقَدْ
قَالُوا جَرَى لَكَ دَمْعٌ فَأَفْتَضَخْتَ بِهِ
إِنِّي لَأَشْكُرُ دَمْعاً ظَلَّ يَنْصُرُنِي

قَلْبِي الَّذِي ذَابَ وَالْجِسْمُ الَّذِي نَحَلَا
شَوْقاً وَجِسْمِي^(٧) الَّذِي فِي الْوَصْلِ قَدْ وَهَلَا^(٨)
وَكُلَّمَا أَشْتَدَّ مِنْ مَرِّ الْعَرَامِ حَلَا
فِي عَاشِقِي فِي الْهَوَى عَنْ قَضِيهِ عَدَلَا
فَأَنْفَقَ الدَّمْعَ حَتَّى اسْتَنْفَذَ الْجَمَلَا^(١٢)
قَدْ أَوْدَعُوهُ فَمَا يَنْبَغِي بِهِمْ^(١٤) بَدَلَا
أَضْبَحْتُ مُشْتَغِلاً بِالْوَجْدِ مُشْتَغِلاً^(١٥)
لَيْسَ^(١٦) الْفَضِيحَةُ إِلَّا أَنْ يُقَالَ سَلَا
يَوْمَ الْوَدَاعِ وَجِيشُ الصَّبْرِ قَدْ رَحَلَا

[بحر البسيط]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لا تحد عظمته ولا تقاس، الكبير^(١٧) الذي هو مع الأرواح والنفوس والأنفاس، لا يعزب عن^(١٨) علمه معلوم فوق الفوق ولا تحت التحت ولا تأخذه سنة ولا نوم

- (١) في (م) و(ع): «فقلت».
- (٢) في (م) و(ع): «فقال».
- (٣) في (ع): «الراجلين».
- (٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٦) عبارة «في الوصل قد وهلا»، في (م) و(ع): «في الوهل قد وهلا». والوهل: الفزع، وهِلَ وَهَلًا: ضعف وفزع وجبن. ابن منظور، اللسان، «وهل»، ٧٣٧/١١.
- (٧) في (م): «هوائي».
- (٨) عبارة «حيران.. إلخ»، في (م) و(ع): «حَرَان حيران قد ضاقت مذاهبه». وَحَرَ يَحْرُ حِرَّةً: عطش، فهو حَرَان. الفيروزآبادي، القاموس، «حرر»، ص ٤٧٨.
- (٩) في (م) و(ع): «المقلا».
- (١٠) في الأصل: «لولا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) عبارة «أصبحت.. إلخ»، في (م): «أصبحت مشتعلًا بالوجد مشتعلًا».
- (١٢) في الأصل: «وليس»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م). والله هو الكبير لأنه أكبر من أن تشاهده الحواس، أو تدرك حقيقة ذاته العقول. والله هو الكبير الذي لا نهاية لكبره؛ لأنه هو الكامل الواجب الوجود لذاته، وما عداه موجود بإيجاد الله له؛ ولأنه سبحانه هو الغني عن كل شيء، وما عداه في حضيض النقص والافتقار. عبد الرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية، ص ٢٣٧.
- (١٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

ولا نعاس، يسمع^(١) أختلاف مسائل السائلين فيسمع^(٢) الكل بلا التباس، أمضى حكمه وأقداره في [٤٨] الأفلاك والأملك والأرض والجنة والناس^(٣)، نَعَم أحبابه بقربه وحجبه^(٤) عن خطرات الوسواس^(٥)، حمى إقليم قلوبهم من غيار^(٦) الشهوة من حمايته بحراس^(٧)، ثم^(٨) قبلوا أمره^(٩) بالقبول وقاموا به^(١٠) على العينين والراس، قدموا زاد التقى^(١١) لسفر الموت وظلمات^(١٢) الأرماس، أبطال ميدان الدجى لله درهم من أبطال ومن^(١٣) أفراس، خلغ عليهم حلة الرضى وناداهم مرحباً بالأكياس^(١٤)، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١٥)، فسبحان الأحد الصمد القديم الذي لا يحد ولا يقاس^(١٦)، أحمدته على عموم نعمه التي عمت جميع الأنواع والأجناس، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لبناء آمالنا^(١٧) أساس، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين وخاتم النبيين فهو جسيم وهو الراس، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه^(١٨) صلاة محب غير مُفَرِّطٍ ما دامت الأنفاس^(١٩).

يا من إذا هزمه جيش الهرم قال: إني تائب، أين كنت والعمر فيه بقية توافق^(٢٠) الحبايب، تخلفت في منقطع الغفلة وجانب النجائب^(٢١)، جسمك حاضر في المجلس وقلبك في تحصيل

- (١) في (م) و(ع): «سمع».
- (٢) في الأصل: «فيسمعه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) عبارة «أمضى حكمه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «فحجبه».
- (٥) الوسوسة: حديث النفس والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير. الفيروزآبادي، القاموس، «وسس»، ص ٧٤٨.
- (٦) في (م) و(ع): «غبار». وغار في الشيء غَوْرًا وَغِيَارًا: دخل. ابن منظور، اللسان، «غور»، ٣٤/٥.
- (٧) في (م) و(ع): «بحواس».
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (ع): «أمرهم».
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «الأعمال».
- (١٢) في (م) و(ع): «ظلمة».
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «بالأحباب الأكياس». والأَكْيَاس جمع كَيْس: الجَفَّة والتَّوَقُّد، وهو كَيْس وكَيْس. ابن منظور، اللسان، «كيس»، ٢٠٠/٦.
- (١٥) سورة آل عمران، آية ١١٠.
- (١٦) في (م) و(ع): «فسبحان الأحد الصمد الذي لا يحاس ولا يماس». والأحد: أي المنفرد الذي لا شريك له، فهو وحده واجب الوجود في ذاته وفي صفاته، وهو وحده المستحق للعبادة. والقديم: أي أنه سبحانه لا بداية له. والصمد: أي الله هو الغني في ذاته وفي صفاته غنى تاماً، وهو الذي يصمد إليه - أي يرجع إليه - في كل أمر صغر أو كبير. عبد الرحمن حنكة، العقيدة الإسلامية، ص ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧.
- (١٧) في (م) و(ع): «أعمالنا».
- (١٨) في (م) و(ع): «وصحبه».
- (١٩) في (م) و(ع): «صلاة محب مُفَرِّطٍ غير مُفَرِّطٍ ولا ناس».
- (٢٠) في (م) و(ع): «توافق».
- (٢١) عبارة «تخلفت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الدنيا غائب، ويأتي مع من أتحدث ويأتي من أخاطب، تملأ أقوالك وتكتب أفعالك فأنتم المملي والكاتب، إقليم قلبك خراب من التقوى وليس لك في رفقة الثائنين صاحب، تفرح بربح فلس ما أحقك لو بكيت مع أهل المصائب، سهم عزمك^(١) في المتاب [٤٩] غير مصيب وسهم عزمك في الغفلة صائب، هذه جود^(٢) المعاني تُجلى على الأسماع ولا خاطب^(٣)، هذه جواهر المعاني تنشر في سوق الأفهام^(٤) ولا طالب، لا حيلة في حل عقد القضاء يعطى العاجز ويمنع الطالب، كم نائم وجد في المنزل ومدلج قطع عن الركائب^(٥)، يا عبد الشهوة لا مكاتب ولا مكاتب^(٦)، بادروا إخواني إلى باب الحبيب تسمعوا من لطفه العجائب، واحملوا^(٧) الزاد إلى دار الكريم فعنده^(٨) كل المطالب، أفخر بلباس الثائب الخلوة و^(٩) الخشوع والانكسار والدمع الساكب، عساه يحظى بمدحة الأكياس، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قال ابن السماك رحمه الله تعالى^(١٠): «دخلت البصرة فقلت لرجل كنت أعرفه دلني على عبادكم، فأدخلني على رجل عليه لباس الشعر، طويل الصمت، لا يرفع رأسه إلى أحد، قال: فجعلت أستنطقه الكلام فلم^(١١) يكلمني. قال: فخرجت من عنده، فقال صاحبي^(١٢): هاهنا ابن عجوز هل لك أن تراه^(١٣)؟ قال: فدخلت عليه، فقالت العجوز: لا تذكروا لابني شيئاً من^(١٤) حديث جنة ولا نار فتقتلوه علي، فإنه^(١٥) ليس لي غيره، قال: فدخلنا على شاب عليه من اللباس نحو مما^(١٦) على

(١) في (م) و(ع): «عزيمتك».

(٢) في الأصل: «خطاب»، وهي من (م) و(ع).

(٣) عبارة «تنشر... إلخ»، في (م) و(ع): «تنشر في سوق الاجتماع».

(٤) قوله هذا ينلج تحت معنى حديثين لرسول الله ﷺ؛ فالأول: ما رواه مسلم في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل يعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب «غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة»، رقم الحديث (١١٢/١٧٩)، ١٠٦/١. والثاني: ما أخرجه الترمذي عن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه، فأخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة...» تقدم الحديث في الخطبة الأولى من الفصل الثالث.

(٦) المكاتب: هي اتفاق عبد مع سيده على عتقه بأداء بدل مُعين. محمد قلعجي، موسوعة فقه الحسن البصري، ٤٣٥/١. والمعنى أنه جمل العاصي عبداً لشهوته، لا يسعى للتحرر من عبوديته.

(٧) في (م) و(ع): «إياك وحمل».

(٨) في الأصل: «فنده»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) كلمة «الخلوة و» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٠/٤.

(١١) في (م) و(ع): «فقال لي صاحبي».

(١٢) عبارة «أن تراه»، في (م) و(ع): «فيه».

(١٣) عبارة «شيئاً من» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «فإني»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «ما».

صاحبه، وهو^(١) منكس الرأس، طويل الصمت، فرفع رأسه فنظر إلينا. فقلت^(٢): ألا^(٣) إن للناس موقفاً لا بد منه^(٤) أن يقفوه. فقال^(٥): بين يدي من يرحمك الله؛ قلت: بين يدي ديان يوم الدين^(٦). قال: فشيق شهقة فمات رحمه الله تعالى^(٧) [٤٩ب]، فجاءت العجوز فقالت: قتلتكم ولدي. قال ابن السماك: فكنت ممن صلى عليه رحمه الله تعالى ورضي عنه^(٨). شعر^(٩):

ذَكَرَ الْجَمَى وَعُهْدَهُ وَعِيَاهَهُ^(١٠) فَبَاتَّاعَ مِنْهُ الْوَجْدُ نَقْدًا حَاضِرًا
فَأَبْتَّاعَ مِنْهُ الْوَجْدُ نَقْدًا حَاضِرًا وَأَسْتَلَّ^(١١) مِنْ جَفْنَيْهِ نَضْلَ مُجُوعِهِ^(١٢)
نَزَحَ^(١٤) الْبُكَى يَا نَازِحِينَ مَدَامَعِي وَرَحَلْتُمْ بِالْقَلْبِ بَيْنَ رَحَالِكُمْ
رُدُّوهُ أَوْ فَخَذُوا الْمُخْلَفَ^(١٦) بَعْدَهُ يَا مَنْ لِيَطْرِفَ قَدْ مَلَكْتُمْ دَمْعَهُ
أَخَذَ الْهَوَى عَنْهُدَ الْمَنَامِ بِأَنَّهُ لِيْلَهُ أَخْشَاءَ عَرَّتْهَا حُرْقَةُ
يَا سَاكِنِي نَجِدْ مَتَى أَنْجَدْتُمْ

(٢) في (م) و(ع): «ثم قال».
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «فقلت».

(٦) عبارة «قلت: بين يدي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «فكنت ممن.. إلخ»، في (م) و(ع): «فكنت فيمن صلى عليه».

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل و(ع)، وهي من (م).

(١٠) العهود والعهود: جمع عهد، وهو مطر بعد مطر يُدرك آخره بلل أوله. ابن منظور، اللسان، «عهد»، ٣/٣١٤.

(١١) في الأصل: «واسبل»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «سجوده».

(١٣) السُّهْد: الأرق. الفيروزآبادي، القاموس، «سهْد»، ص ٣٧١.

(١٤) نزح البئر: استقى ماءها حتى ينفد أو يبل. ونزح القوم: نزحت آبارهم. الفيروزآبادي، القاموس، «نزح»، ص ٣١٢.

(١٥) في الأصل: «وصدودهم»، وهي من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «المخالف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «تمنعوه»، وهو تصحيف.

(١٨) في الأصل: «بين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) الحَرَاق: ما تقع فيه النار عند القدح. ابن منظور، اللسان، «حرق»، ١٠/٤٢.

(٢٠) زناد: جمع زُند، وهو العود الأعلى الذي يقتدح به النار. ابن منظور، اللسان، «زند»، ٣/١٩٥.

(٢١) عبارة «مشتاقه.. إلخ»، في (م) و(ع): «مشتاقكم ووفيتم ميعاده». والمعاد: المصير والمرجع، تقول:

عاد الشيء يعود عَوْدًا وَمَعَادًا: أي رجع. ابن منظور، اللسان، «عود»، ٣/٣١٧.

هل زَاةٌ منكم خَيَالٌ طَارِقٌ ليراه في فرش الضُّنى أَوْ عَادَهُ^(١)
 أَوْ هَادَتْهُ هِنْدُكُمْ أَوْ أَسْعَدَتْ بِيَدِ الْوَصَالِ سَعَادُكُمْ إِسْعَادَهُ^(٢)
 مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ الْجَبِينِ^(٣) إِذَا بَدَتْ لَيْسَ الْهَلَالُ مِنَ الظَّلَامِ حَدَادَهُ
 [بحر الكامل]

معاصر العارفين^(٤) أفلتوا^(٥) أطيار الأفكار لأقتناص المعارف، حاذروا بها نزاع التصريح فإنها لإلف الإشارة توالف^(٦)، دعوها تغدو خماساً^(٧) من الدعوى^(٨) وتروح بطاناً^(٩) من أخبار السلف السالف^(١٠)، [٥٠] أحكموا إكسير^(١١) الحقيقة بصيغة ذهب التوحيد ففيها غنى كل عارف، حوموا على دين^(١٢) المحبة ففيه راهب شوق يلاطف، أرهنا نفوسكم^(١٣) في سكرة من شراب لا يبقى فيك منك موالف^(١٤)، عريد وأرقص وأشرب وأطرب وأنت تالف، ومزق إزارك وأخلع عذارك^(١٥) وكن على دنان الدنو^(١٦) عاكف، الكون كونك والديار ديارك والمحجوب محبوبك كن ذاثقاً لا تكن واصف، أسمع يا جنيد ويا شبلي ويا بسطامي^(١٧) فالعيش يطيب مع

(١) عبارة «أو عادَهُ»، في الأصل: «عواده»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «سعادَهُ»، والتصويب من (م) و(ع). والإسعاد: المعونة، وساعده مساعدة وسعاداً وأسعده: أعانه. وأسعد الله العبد وسعده: وفقه الله لما يرضيه عنه فَيَسَعِدُ بذلك سعادة. ابن منظور، اللسان، «سعد»، ٢١٤/٣.

(٣) الوَضَح: البياض من كل شيء، وإنه لواضح الجبين إذا ابيض وحسن ولم يكن غليظاً كثير اللحم. ابن منظور، اللسان، «وضح»، ٦٣٤/٢.

(٤) في (م) و(ع): «معشر الثائين».

(٥) في الأصل: «اقبلوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «تواليف»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) خماس: جمع خَمَاص وهو الجائع الضامر البطن. ابن منظور، اللسان، «خمس»، ٢٩/٧.

(٨) عبارة «من الدعوي» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) أي ممتلئة البطون. ابن منظور، اللسان، «بطن»، ٥٣/١٣.

(١٠) في الأصل: «والسالف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) الإكسير: الكيمياء. الفيروزآبادي، القاموس، «كسر»، ص ٦٠٤.

(١٢) في (م) و(ع): «دير».

(١٣) في الأصل: «نفسهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) كل شيء غطى شيئاً وألبسه فهو مولف له ابن منظور، اللسان، «ولف»، ٣٦٤/٩.

(١٥) العذاران: جانبا اللحية. وخلع العذار أي الحياء، وهذا مثل للشباب المنهمك في غيّه. ابن منظور، اللسان، «عذر»، ٥٥٠/٤.

(١٦) في (م) و(ع): «الدير».

(١٧) الجنيد والشبلي والبسطامي من أعلام الزهاد، وأسيد العباد. فالجنيد هو أبو القاسم الخزاز، الجنيد بن محمد بن الجنيد، شيخ وقته، ونسب وحده، أصله من نهاوند، ومولده ومنشأه ببغداد، توفي سنة ٢٩٨هـ - ٩١٠م، وقيل سنة ٢٩٧هـ. ابن الجوزي، الصفة، ٤١٦/٢. ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص ١٢٦ =

المناصف^(١)، لكل شراب سكر ولكل سماع وجد فسلم ولا تخالف، فقد أسمعنا المولى مدائح العارفين وزال الالتباس، ﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قال إبراهيم بن المهلب رحمه الله تعالى^(٢): «رأيت في بعض السياحات شاباً ليس معه أحد، قد أنقطع عن الناس وهو قائم يصلي فانتظرته حتى فرغ من صلاته^(٣)، فقلت له: يا فتى أما^(٤) معك مؤنس؟ فقال^(٥): بلى. فقلت: وأين^(٦) هو؟ قال: أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي. فعلمت أن معه معرفة، فقلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: أين هو^(٧)؟ قال: إيمان صادق وتوكل^(٨) واثق. فقلت^(٩): هل لك في مرافقتي؟ فقال: الرفيق يشغلني عنك^(١٠). فقلت: أما^(١١) تستوحش في هذه الصحراء! فقال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة. فقلت: فمن أين تأكل وما معك طعام؟ وما طعامك؟ فقال: إليك عني^(١٢) يا ضعيف اليقين. فقلت^(١٣): سألتك بالله تعالى^(١٤) إلا أعلمتني؟ فقال^(١٥): الذي غذاني في الأحشاء صغيراً تكفل برزقي كبيراً. قلت: على كل حال، أخبرني^(١٦). قال: وقت مفهوم وحد معلوم^(١٧) ورزق مقسوم [٥٠ب] فإذا أنا^(١٨) أحتجت إلى الطعام وجدته في أي وقت شئت^(١٩)». شعر^(٢٠):

= والشيلي: هو دُلف بن جحدر، أبو بكر، كان أوحد وقته حالاً وعلماً وزهداً، توفي سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٥م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٣٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٣٨/٢. والبسطامي: هو طيفور بن عيسى بن سروشان، أبو يزيد البسطامي، الزاهد العارف، من كبار مشايخ القوم، وهو بكنيته أشهر وأعرف، توفي سنة ٢٦١هـ - ٨٧٤م. ابن الجوزي، الصفة، ١٠٧/٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٦١ - ٢٨٠هـ، ص ١١٠.

(١) المناصف: جمع منصف وهو الخادم. ابن منظور، اللسان، «نصف»، ٣٣٣/٩. والمعنى هنا: أولياء الله وخدامه. (٢) في (م) و(ع): «قال إبراهيم المهلب». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤٠٣/٤. وإبراهيم: هو أبو إسحق إبراهيم بن يزيد بن المهلب البجلي الزاهد، جرجاني، روى عن سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي. السهمي، تاريخ جرجان، ص ١٢٧.

(٣) في (م) و(ع): «حتى انقضت صلاته».

(٤) في (م) و(ع): «أما».

(٥) في (م) و(ع): «قال».

(٦) في (م) و(ع): «أين».

(٧) في (م) و(ع): «أين هو».

(٨) في (م) و(ع): «توكل».

(٩) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٠) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١١) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٢) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٣) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٤) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٥) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٦) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٧) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٨) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(١٩) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

(٢٠) في (م) و(ع): «فقلت: أما».

يا بَانَةَ الْجَرْعَاءِ^(١) هل من عَظْفَةٍ^(٢)
يَهْوَى جَنَابَكَ بِالْعُدْنِبِ لِأَنَّهُ
وَتَشْوِقُهُ تِلْكَ الرِّيَاضَ لِأَنَّهَا
وَتَنَسَّسَتْ رِيحَ الْوِصَالِ فَأَظْلَفَاتُ
وَلَقَدْ رَمَانِي الْوَجْدُ عَنْ قَوْسِ الْهَوَى
وَهَرَنْتُ^(٣) مِنْ نَارِ الْهَوَى وَعَذَابِهَا
وَسَرَنْتُ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ وَلَمْ^(٤) أَصِلْ
وَعَجِبْتُ مِنْ قَلْبِي وَطُولِ ثَبَاتِهِ
ذَهَبَ الزَّمَانُ وَمَا ظَفِرْتُ بِطَائِلِ
وَإِذَا تَصَفَّحْتُ الشَّيْبَةَ لَمْ أَجِدْ
فَأَزِيدُ حُبًّا لِلشَّقَاءِ لِحَاجَةٍ^(٥)

تَعَطَّفَ بِهَا قَلْبًا عَلَيْكَ مُعَذِّبًا^(٦)
مَا زَالَ يَرْثِيكَ مِنْكَ تُغْرَأُ أَشْتَبًا^(٧)
لَيْسَتْ^(٨) عَلَى الْأَفْضَابِ وَشَيْئًا مُدْعَبًا
بِالْقُرْبِ مَا أَذْكَى الْبِعَادَ وَالْهَبَا
حَقًّا لَمَنْ يُرْمَى بِهَا أَنْ يُغْلَبَا^(٩)
نَحْوِ السُّلُوفِ فَلَمْ أَجِدْ لِي مَهْرَبًا
أَذْنَى نَهَارِ الشَّيْبِ إِلَّا مُثْعَبًا
كَلَفًا وَكُنْتُ عَهْدْتُ قَلْبِي قُلُوبًا
مِمَّنْ أَحَبَّ فَأَسْتَلِذَ الْمَشْرِبَا
مُتَعَطِّفًا^(١٠) يَوْمًا يُذَكِّرُنِي الصَّبَا
وَلَرُبَّمَا كَانَ الشَّقَاءُ مُحَبَّبًا

[بحر الكامل]

مجلسنا جنة معجلة فيها ثمار المعارف^(١١)، وأنهار الحكم، وحوار المعاني ما لا عين
رأت، ولا أذن سمعت؛ أرض عباراته^(١٢) مسك نسك، وحصب^(١٣) أنهار فصاحته در نظم
ونثر نغم، أطياف لغته^(١٤) تغني عن سماع كل ملذوذ، حوار معانيه أبكار لم يطمئن^(١٥) فكر،

(١) الجرعاء: هي الأرض الرملة السهلة المستوية. ابن منظور، اللسان، «جرع»، ٤٦/٨.

(٢) في (م) و(ع): «عودة».

(٣) عبارة «تعطف.. إلخ»، في (م) و(ع): «تفتك قلباً في هواك معذباً».

(٤) الشنب: البرد والعذوبة في الفم. ابن منظور، اللسان، «شنب»، ٥٠٧/١.

(٥) في (ع): «ليست»، وهو تصحيف.

(٦) عبارة «حقاً.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأصابني ورميته فتكجأ».

(٧) في (م) و(ع): «وهويت».

(٨) في (م) و(ع): «فلم».

(٩) في الأصل: «مستعطفًا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «بحاجة».

(١١) في (م) و(ع): «مجلسي جنة معجلة فيه ثمار المعرفة».

(١٢) في الأصل: «عبارته»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «حصباء». الحَصْب والحَصْبَاء: الحصى. ابن منظور، اللسان، «حصب»، ٣١٨/١.

(١٤) في (م) و(ع): «بلاغته».

(١٥) عبارة «لم يطمئن»، في (م) و(ع): «لأنها أبكار لم يطمئن»، والطَّمْتُ: المَس، يقال: ما طمْتُ هذا
المرتج قبلنا أحد. ابن منظور، اللسان، «طمْتُ»، ١٦٥/٢. والمعنى أن كلماته ومعانيه مبتكرة لم يسبقه
إليها أحد قبله.

كم فيه من^(١) شغله نعيم معانيه، وآخر ناظر إلى صفة^(٢) محبوبه، الملائكة تدخل فيه من كل باب على^(٣) قلب قلب إلى الطاعة وتسلم^(٤) على الثائنين، أبوابه ثمانية: العبارة والإشارة [١٥١] والتلويح والتصريح والأمثلة والبلاغة^(٥) والفصاحة والمعاني، فكل يدخل من^(٦) بابه إلا العارف^(٧) فإنه يدخل من كل باب، ولا يمنع من الدخول إلا الحاسد وإبليس.

إلهي ما أشد غبن من يصف ويمنع السلوك، إلهي^(٨) جد على من يدل عليك الآبقين^(٩) عن بابك أفتراهم يصلون وأقطع. إخواني ناشدتكم الله^(١٠) من أستراح منكم في منزل مقامه فليذكر الدليل^(١١)، ويتصدق عليه بفضل دعوة أن يرحم الله غربته إذا نسيه الذاكرون. وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(١٢).



-
- (١) في (م) و(ع): «ممن».
 - (٢) في (م) و(ع): «صفات».
 - (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 - (٤) في (م) و(ع): «ويسلم».
 - (٥) عبارة «والتلويح.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
 - (٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٧) في الأصل: «إلا من العارف»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 - (٩) أبقي يَأْبُقِي فهو آبق: أي هرب. والإباق: هرب العبد من سيده. ابن منظور، اللسان، «أبق»، ٣/١٠.
 - (١٠) في (ع): «بالله».
 - (١١) في (م) و(ع): «الدليل».
 - (١٢) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل السابع

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي كان قبل الأكوان والمكان والزمان والحين، لم يفتقر في اختراعه الأكوان إلى مشير ولا معين، خلق العقل وجعله سراجاً في بيت القلب بين، قال له: أقبل فأقبل^(١)، وأدبر فأمتثل^(٢) الأمر فهو ميزان الموازين^(٣)، جعله سفير المعقولات لذوي التكوين والتمكين، خلق الملائكة من أنوار طاهرة^(٤) في بقاع طاهرة على جمال الحضرة عاكفين، خلق الأرض قاعاً^(٥) مظلماً وبدأ منها خلق الإنسان من طين، طوره في أطوار الإيجاد ففي كل طور له سر مكن^(٦)، كم فيه من أضداد ألف بينها^(٧) معجز القدرة^(٨) وإن خفيت فهي للعارفين تبين، لذلك اختلف عليه الأمر والنهي والوعد والوعيد وأعراض التلويح^(٩)، ما أعظم جراته^(١٠) وأكثر دعواه وهو فقير ضعيف عاجز مسكين، بينما [٥١ب] هو في ديار الأمل يبني سفا عليه ساف البلاء^(١١) فإذا به تحت الردم دفين، كم حرز^(١٢) قفله بكرة فتحة الوارث عشية والمسكين

(٢) في (ع): «وامتثل».

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) قوله هذا هو معنى حديث منكر، رواه الطبراني من حديث عمر بن أبي صالح العتكي عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: فادبر، قال: وعزتي ما خلقت خلقاً أعجب إلي منك، بك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب». الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٨٠٨٦)، ٨/٢٨٣. وعمر بن أبي صالح عن أبي غالب قال فيه العقيلي في الضعفاء، ٣/١٧٥: «حديث منكر، ولا يتابع على حديثه ولا يثبت في هذا المتن شيئاً». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب الأدب، باب ما جاء في العقل والعقلاء، ٨/٢٨، فقال فيه: «وفيه عمر بن أبي صالح، قال الذهبي: لا يعرف». وقال ابن حجر في لسان الميزان، ٤/٣١٤: «الخير باطل في العقل وفضله».

(٤) في (م) و(ع): «ظاهرة». وقوله هذا هو معنى حديث روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم مما وُصف لكم». مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، رقم الحديث (٢٩٩٦/٦٠)، ٤/٢٢٩٤.

(٥) القاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية، وهي الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها. ابن منظور، اللسان، «قوع»، ٨/٣٠٤.

(٦) في (م) و(ع): «كمين».

(٨) عبارة «معجز القدرة»، في الأصل: «سبر الدرة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) أي: تقلبات الإنسان قوة بعد الونى، وونى بعد قوة، وغنى بعد حاجة، وحاجة بعد غنى، وصحة بعد علة، وعلة بعد صحة...

(١٠) عبارة «ما أعظم جراته» ساقطة في (م).

(١١) في (م) و(ع): «ساف البلى». وسفا: أسرع، والسفى هي تراب القبور، وسفت الريح التراب تسفيه سفاً: دزّته، وتراب ساف: مسفي. ابن منظور، اللسان، «سفا»، ١٤/٣٨٩.

(١٢) في الأصل: «حارز»، والتصويب من (م) و(ع).

بأعماله رهين، ينادي بلسان حاله واحسرتاه^(١) أمهلوني^(٢) ساعة لعلني أستقيل هيهات لا^(٣) رجعة بعد الراحلين، سيطول المقام في البلى^(٤) واحسرة الغافلين، فيا لها ليلة غربة ما أطولها ما يسفر صباحها^(٥) ليوم^(٦) الدين، ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنْزِعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنتَوٍ دَخِيرٍ﴾^(٧).

يا صحيح البدن يا مريض القلب، يا من شاب^(٨) في البطالة وشاخ في كسب الذنب، تعصيه بنعمه عليك أما تخاف السلب، تجني ثمار الشهوة وتشرع إليها بالنهب، عند ذكر الآخرة تنقبض وعند ذكر الدنيا لك قلب^(٩) واسع رحب، أين من ملك الملوك؟ أين من قتل^(١٠) الأمم بالقتل والصلب؟ أين المترفون في القصور واللذات غافصهم الموت والهول الجسيم الخطب^(١١)، كم لهم تحت اللحد من حسرات ومن كَرْبٍ وكَرْبٍ^(١٢)، إن لم يوقظك زمزم^(١٣) وعظي فسيقظك^(١٤) بطش الحمام والضرب، عند الكبر تبكي أين كنت وغصن الشباب غصن^(١٥) رطب، ما أسرع أسفار آمالك في لحظة تمشي^(١٦) الشرق والغرب، أفلت - ويحك - طير التوبة عساه يلتقط^(١٧) من هذا المجلس الحب، قبل أن تقوم مقاماً لا^(١٨) تقبل فيه إقالة من ذنب، ويظهر من قبائح أعمالك ما هو دفين، [١٥٢] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنْزِعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنتَوٍ دَخِيرٍ﴾.

قال^(١٩) ذو النون المصري رحمه الله: «بينما^(٢٠) أنا أسير في خراب مصر^(٢١) إذا أنا بجارية حاسرة عن وجهها، وقد غشيها صفار، وعلاها^(٢٢) أنوار، وعليها من المحبة آثار، فسلمت

(١) عبارة «ينادي.. إلخ»، في (م) و(ع): «ينادي لسان حسرتة».

(٢) في (ع): «أمهلوني أمهلوني».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «دار البلى».

(٥) في (م) و(ع): «صباحها».

(٦) في (م): «إلى يوم».

(٧) في (م) و(ع): «شبه».

(٨) عبارة «وعند ذكر.. إلخ»، في (م) و(ع): «ولذكر الدنيا قلبك».

(٩) في (م) و(ع): «مثل».

(١٠) عبارة «غافصهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «غافصتهم المنون بالهول الجسيم وعظيم الخطب». وغافصه: فاجأه، وأخذته على غرة. الفيروزآبادي، القاموس، «غفص»، ص ٨٠٦.

(١١) كلمة «وكرب» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «مزمزم».

(١٣) في (م) و(ع): «مزمزم».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «يلتقط».

(١٦) في (م) و(ع): «يقال»، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «بينما».

(١٨) في (م) و(ع): «وعلتها».

عليها. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: من أعلمك بأسمي؟ فقالت^(١): شاهدتك بمشاهدة المحبين، ونظرتك ببصيرة^(٢) المحققين، فأشارت الضمائر إلى السرائر فعرفتك بمعرفة المالك القادر. فقلت: أما تسترين وجهك بخمار؟ قالت: وما يصنع بوجه قد علاه صفار^(٣). ثم قالت: يا ذا النون أعلم أن الله عبداً ركبوا سفن السلامة، وأقلعوا بقلوع^(٤) الكرامة، فأرسوا على سواحل الأمن. فقلت: ما صفتهم؟ قالت: قوم قطع الشوق أكبادهم، وخالف النوم سهادهم، أولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى. ثم ولت، فقلت: أين تريدن؟ فقالت^(٥): يا ذا النون إن الله عبداً لهم مولا لهم سكن والجنة مسكن^(٦)، فأختاروا السكن على المسكن، فأعطاهم السكن والمسكن^(٧). شعر^(٨):

بُيُوتُ لَهُمْ فِيهَا قُلُوبٌ مُنِيرَةٌ وفيها قُصُورُ الصُّبْرِ والصُّدُقِ والوَفَا
إِذَا نَسَمَتْ مِنْهَا نَسَائِمُ أَنْسِهِ أَضَاءَ سِرَاجُ الْأَنْسِ مِنْ بَعْدِ مَا أَنْطَقَا
هُنَالِكَ أَبْدَى الْعَارِفُونَ^(٩) سِرَارَهُمْ وَسَارُوا إِلَى قَصْرِ^(١٠) الْحَبِيبِ تَعَسُّفًا^(١١)
فَقَالُوا أَتَيْنَا بِإِذْلِينَ نُفُوسَنَا نُؤْمَلُ مِنْكَ الْجُودُ^(١٢) وَالْعَطْفُ وَالوَفَا [ب٥٢]

[بحر الطويل]

إخواني بادروا الصحائف قبل أن تطوى، رافقوا عيس البكائين فسيرحم أهل البلوى، بضائع البطالة خاسرة وهي^(١٣) في سوق الآخرة ما تسوى، أرباب المعاملة جعلوا الدنيا ساعة وأخلصوا السر والنجوى، حالفوا أنفسهم على المخالفة فتركوا أهواءهم^(١٤) لما هوى^(١٥)، فما هو إلا أن لاح لهم المنزل فجذوا^(١٦) برواحل التقوى، هجروا مرادهم لما يريد محبوبهم^(١٧)، عجباً كيف وجدت بعد فراق الأحباب سلوى، صلاتك في طلب الفاني فيها حضور وفي

(١) في (م) و(ع): «قالت».

(٢) في (م) و(ع): «وما يصنع وجهه قد علاه صفار بخمار».

(٣) القُلُوع: الناقة الضخمة. ابن منظور، اللسان، «قلع»، ٢٩١/٨.

(٤) عبارة «يا ذا النون.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «لهم مولا.. إلخ»، في (م) و(ع): «الله لهم سكن والجنة لهم مسكن».

(٦) عبارة «فأعطاهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «قبر»، وهي من (م) و(ع).

(٩) التَّعَسُّف: السير بغير هداية. واعتسف الطريق اعتسافاً إذا قطعه دون صوب توخّاه فأصابه. ابن منظور،

اللسان، «عسف»، ٢٤٥/٩.

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «هوام».

(١٢) في الأصل «هوى»، وهي من (م) و(ع)؛ وذلك لمراعاة السجع.

(١٣) في الأصل: «محبهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «فجذوا السرى».

الباقى صلاتك^(١) سهوى، يا مطروداً عن رفاق القوم هذه أحاديثهم^(٢) تروى، و^(٣)أنت في صحراء الخيبة عطشان وغيرك في رياض القرب يروى، ثبت أسمك في ديوان الشقاء ومحي من ديوان القبول محوا، أين عبرات^(٤) الأحزان؟ أين أنكسار الذل على ما حل^(٥) بك من بلوى، بادر قبل يوم ترى الخلائق فيه^(٦) حائرین، ﴿وَيَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾.

يروى عن منصور بن عمار رحمه الله تعالى قال^(٧): «كان لي أخ في الله تعالى^(٨) يتفقدني^(٩) ويوزرني في شدتي ورخائي، وكنت أراه كثير الصلاة والبكاء، قال: ففقدته^(١٠) أياماً، فقليل لي: إنه مريض. فسألت عن داره فدللت عليها، ففقدت^(١١) الباب، فخرجت إلي^(١٢) أخته فقالت لي: ما تريد؟ قلت: فلاناً. فاستأذنت ثم عادت فقالت: أدخل ما على أبي من حاجب^(١٣)، أدخل فإنه مشغول عنك بنفسه. فدخلت [١٥٣] عليه، فوجدت أهله قد فرشوا له في قلب^(١٤) الدار، وهو مضطجع وقد أسود وجهه، وأزرق عينه، وغلظت شفاته. فقلت له وأنا^(١٥) فازع منه: يا أخي أكثر من قول لا إله إلا الله. ففتح عينيه ونظر إلي شزراً^(١٦)، ثم غشي عليه. فقلت له^(١٧) الثانية: قل لا إله إلا الله. ففتح عينيه ونظر إلي^(١٨) شزراً^(١٩). فقلت له^(٢٠) الثالثة: قل لا إله إلا الله^(٢١)، ولئن^(٢٢) لم تقل لا غسلتك ولا كفتتك ولا أصلي^(٢٣) عليك. قال: ففتح عينيه ثم قال: يا أخي، يا منصور، هذه كلمة قد حيل بيني وبينها. قال منصور: فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قلت^(٢٤): يا أخي، وأين^(٢٥)

(١) في (م) و(ع): «ملأتها».

(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «عبارة»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «حصل».

(٦) في (م): «منه».

(٧) في (م) و(ع): «يروى أن منصور بن عمار قال». والقصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق في المواعظ والرفائق، ص ١٣.

(٨) الكلمة ساقطة في (م).

(٩) في (م) و(ع): «يعتقدي».

(١٠) في (ع): «فقدت».

(١٢) في الأصل: «لي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وسط».

(١٦) في (م): «ونظرني شزراً». ونظرٌ شَزَرٌ: هو النظر بمؤخر العين، وأكثر ما يكون في حال الغضب. ابن منظور، اللسان، «شزر»، ٤/٤٠٤.

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع) زيادة: «وغشي عليه».

(٢١) عبارة «قل لا إله إلا الله» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢٢) في (م): «وان».

(٢٤) في (م) و(ع) زيادة: «له».

(٢٥) في (م) و(ع): «فأين».

الصلاة وأين الصيام^(١) وأين البكاء. فقال لي: يا أخي - والله^(٢) - ما كان شيء من ذلك لوجه الله تعالى، إنما كان ذلك لأذكر يا منصور، إني كنت أظهر البكاء والصلاة والصيام^(٣) عند الناس، وإذا خلوت بنفسي أغلقت^(٤) أبوابي، وأرخيت الستور علي، وشربت الخمر^(٥)، وبارزت ربي بالمعاصي، وكنت على^(٦) هذا مدة فأصابني الله ﷻ^(٧) بمرض فأشرفت منه على الهلاك، فقلت لأبتي هذه ناوليني المصحف فناولته لي^(٨)، فأخذته وجعلت أقرأ فيه حرفاً حرفاً حتى بلغت يس فرفعت المصحف وقلت: اللهم بحق^(٩) هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتني وأنا لا أعود إلى ذنب أبداً. قال: ففرج الله عني، فعدت إلى ما كنت عليه من الذنب^(١٠)، وأرتكأ^(١١) المعاصي، وتحمل الأوزار والآثام، وأنساني الشيطان العهد الذي بيني^(١٢) وبين ربي ﷻ^(١٣)، وكنت على ذلك مدة من عمري فوقعت [٥٣ب] في مرضة أخرى، فأشرفت منها^(١٤) على الموت. قال: فأمرت أهلي فأخرجوني^(١٥) وسط الدار، ثم دعوت بالمصحف على عاداتي، فقرأت فيه، ثم رفعته، فقلت: إلهي بحق^(١٦) هذا المصحف إلا ما فرجت عني. قال: ففرج الله عني، فعدت^(١٧) إلى ما كنت فيه^(١٨). قال^(١٩): فوقعت في هذه المرضة^(٢٠)، فأمرت أن أخرج إلى وسط الدار كما ترى، ثم دعوت^(٢١) بالمصحف لأقرأ فيه فلم أميز فيه حرفاً، فعلمت أن الله ﷻ^(٢٢) قد غضب علي. قال: فرفعت طرفي إلى السماء فقلت: إلهي بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عني يا جبار الأرض والسماء، فسمعت منادياً ينادي:

تَثُوبُ مِنَ الذُّنُوبِ إِذَا مَرِضْتُ وَتَرْجِعُ لِلذُّنُوبِ إِذَا بَرِيتَ
إِذَا مَا الضُّرُّ مَسَّكَ أَنْتَ بَاكِ وَأُخْبِتُ مَا تَكُونُ إِذَا قَوِيتَ
أَلَا يَا رَاكِبَ الْعُضَيَّانِ مَهْلَأَ كَأَنَّكَ بِالْمَنَايَا قَدْ رُمِيتَ

(١) في (م) و(ع): «الزكاة».

(٣) في (م) و(ع): «والصوم».

(٥) في (ع): «الخمر».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «فناولتني».

(١٠) عبارة «فعدت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فرجعت إلى ما كنت فيه من الدنيا».

(١١) في الأصل: «وارتكبت»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٥) عبارة «فأمرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأمرت فأخرجت إلى».

(١٦) في (م) و(ع): «بحرمة».

(١٨) في (ع): «عليه».

(٢٠) في (م) و(ع): «المرضة الثالثة».

(٢١) عبارة «ثم دعوت»، في (م) و(ع): «فدعوت».

(٢٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

كَأَنَّكَ فَوْقَ نَعْشٍ^(١) الْمَوْتَ مُلْقَى
فَكَمْ^(٢) مِنْ كَرْبَةٍ نَجَّكَ مِنْهَا
صَرِيعاً لَا تُجِيبُ إِذَا دُعِيَتْ
وَكَمْ كَشَفَ الْبَلَايَا إِذَا بُلِيَتْ^(٣)

[بحر الوافر]

قال منصور: فوالله ما خرجت من عنده إلا والصياح قد قام^(٤)، وقائل يقول^(٥): قد مات فلان^(٦).

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي بسط بساط الأنس فأرواح العارفين ببسطه^(٧) ترتاح، دعاهم لقربه في الدجى^(٨) غيرة عليهم من مَعْيَانٍ^(٩) النوم والليل مطوي الوشاح، فتح لهم ساحة^(١٠) الدجى وأفاض^(١١) عليهم من شراب التلاوة أقداح، تلذذوا بأستماع مثنائي [٥٤] المثنائي^(١٢) من عود ذكر العود فنالوا بها أفراح^(١٣)، خامرهم سكر المحبة فأستزادوا من طيب حال الراح^(١٤)، بذلوا في سكرهم^(١٥) من دمه^(١٦) النفوس والأنفاس وخلع العذار والافتضاح، فإذا أنتشوا من سكرهم طلبوا العود وقالوا لا جناح، فإذا^(١٧) طالبهم بالاختيار نادى لسان أشواقهم لا^(١٨) براح عن بابكم^(١٩) لا براح، عيونهم ذابلة وعبراتهم سائلة^(٢٠) وزفراتهم قاتلة وألسنتهم بالثناء على المحبوب فصاح، فإذا كان يوم القيامة نودوا أين أحبابي هنيئاً لكم ماذا^(٢١) هبى لكم من التحف^(٢٢) والأفراح، هذا حديث القوم وأهل المعاصي قص من

(١) في (م) و(ع): «عرش».

(٣) البتان الأول والثاني والبيت الرابع لأبي العتاهية. انظر: الديوان، ص ٩٦.

(٤) في (م): «ارتفع».

(٥) عبارة «قد قام.. إلخ» ساقطة في (ع).

(٦) في (م) و(ع): «قد مات فلان مات فلان».

(٧) في (م) و(ع): «لبسطه».

(٨) عبارة «في الدجى» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) رجل عَيُونٍ ومَعْيَانٍ: خيـث العين. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، «عين»، ١٩٩/٤.

(١٠) في (م) و(ع): «حافة».

(١١) في (م) و(ع): «أدار».

(١٢) في الأصل: «مثنائي الثاني»، والتصويب من (م) و(ع). والمثنائي الأولى هي من المثنائي مما أنشئ به

على الله تبارك وتقدس؛ لأن القرآن فيه حمد الله وتوحيده وذكر ملكه يوم الدين. والمثنائي الثانية هي

القرآن، وسُمي بذلك لأن الأنبياء والقصص ثبت فيه. ابن منظور، اللسان، «ثني»، ١١٩/١٤.

(١٣) في (م) و(ع): «فنالوا الأفراح».

(١٤) في الأصل: «راح»، والتصويب من (م) و(ع). والراح: الخمر. الفيروزآبادي، القاموس، «روح»، ص ٢٨٢.

(١٥) في (م) و(ع): «سكر».

(١٦) في الأصل: «دونه»، والتصويب من (م) و(ع). والدُّن: الراقد العظيم، له عسعس لا يقعد إلا أن يحفر

له. الفيروزآبادي، القاموس، «دنن»، ص ١٥٤٥.

(١٧) في (م) و(ع): «فإن».

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «بابك».

(٢٠) في (م): «سائلة».

(٢١) في (م) و(ع): «ماء».

(٢٢) في (م) و(ع): «المبهجات». والتحف: جمع تحفة وهي ما أتحتفت به الرجل من البرِّ واللفظ. ابن

منظور، اللسان، «تحف»، ١٧/٩.

عزائمهم^(١) الجناح، لا حيلة لمن خذله القضاء^(٢) ما ينفعه البكى ولا النواح، كم أرتهم^(٣) الليالي من العبر^(٤) وصرح لهم الفناء بالصرح، كم ضربت لهم الأمثال^(٥) ليعود عليهم الامتثال بالأرباح، ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْتُهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٦).
معشر السالكين هيئوا أسباب الرحلة، و^(٧)أدخروا زاد التقى^(٨) في أيام المهلة، أغتتموا ليالي التهجد فبدورها أهله^(٩)، سافروا إلى إقليم الآخرة فأرباب^(١٠) العلم على الطريق^(١١) أدلة، تعوضوا منها ذخائر الإخلاص وما عليكم ولو كان فيها قلة، الجوهر كمال صفاته صفاؤه^(١٢) والياقوت إشراقه لا تكن بالتجارة أبله، أعمال القلوب صحيحة وأعمال الأبدان فيها علة، يا من وعظه^(١٣) المشيب إلى متى [٤هـ] تُنْظَرُ^(١٤) بالتوبة، بالله يا رسول الكبر ناده بالرحيل وقل له، عسى عود المعاصي يلين عساه^(١٥) ولعله، ما أقبح سن الشيخ يضحك كأنه ما علم ما هيئ له، موت وسؤال وحساب وجزاء على ما عمله، كم تناديه العبر ما ينظر^(١٦) بالإجابة وبيله^(١٧)، أظن أن^(١٨) الشقاء مثبت في الفطرة فكيف^(١٩) ترجو الإصلاح، ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْتُهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٢٠).
قال شقيق البلخي رحمه الله^(٢١): «رأيت إبراهيم بن أدهم رحمه الله^(٢٢) بمكة عند مولد رسول الله ﷺ

(١) في (ع): «عزائمهم».

(٢) عبارة «لمن خذله القضاء»، في (م) و(ع): «لمن خانه القدر».

(٣) في الأصل: «أردتم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «عبر».

(٥) في (م) و(ع): «أمثال».

(٦) سورة الكهف، آية ٤٥.

(٧) في (م) و(ع): «التقوى».

(٨) في الأصل: «روائية»، وفي (م) و(ع): «ونواتية»، والتصويب من (ب).

(٩) عبارة «على الطريق» ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٠) عبارة «الجوهر... إلخ»، في (م) و(ع): «قيمة الجوهر كمال صفاته».

(١١) في (م) و(ع): «وخطه»، وهو تصحيف.

(١٢) عبارة «إلى متى تُنْظَرُ»، في (م) و(ع): «ما تنتظر». والإنظار: التأخير والإمهال. ابن منظور، اللسان، «نظر»، ٢١٩/٥.

(١٣) في (م) و(ع): «عسى».

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «طريق الشهوات صعب في الحساب وطريق الآخرة سهلة، فرغث كنانة وعظي وما أصابتك نبله».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «كيف»، وهي من (م) و(ع).

(١٧) القصة ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهاني في جامع كرامات الأولياء، ٢٣٢/١. وشقيق: هو شقيق بن إبراهيم البلخي، من كبار مشايخ خراسان، توفي سنة ١٩٤هـ - ٨٠٩م. ابن الجوزي، الصفة، ١٥٩/٤.

ابن الملحق، طبقات الأولياء، ص ١٢.

(٢١) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع). وإبراهيم: هو أبو إسحق المعجلي وقيل: البلخي، إبراهيم بن =

وشرف وكرم^(١)، وهو يبكي، فعدلت إليه وقلت: ما هذا البكي يا أبا إسحاق؟ قال^(٢): خيراً. فعاودته مراراً، فقال^(٣): يا شقيق، إن أنا أخبرتك بشيء^(٤) أستر علي؟ قلت^(٥): يا أخي، قل ما شئت. قال: أشتيت نفسي^(٦) سكباجاً وأنا أمتنعها منذ ثلاثين سنة، فلما كان البارحة وقد غلبني النعاس إذا أنا بشاب و^(٧) بيده قدح أخضر تعلو منه رائحة سكباج، فقرب مني ووضع القدح بين يدي، وقال: يا إبراهيم كل. فقلت: ما أكل شيئاً تركته الله ﷻ^(٨). فقال لي: وإلى الآن! والله أطعمك فما تأكل^(٩)! فما كان لي جواب إلا أن بكيت^(١٠). فقال لي: كل يرحمك الله تعالى^(١١) فإنما أعطيته وقيل لي: يا خضر أذهب بهذا إلى نفس إبراهيم بن أدهم فأطعمها^(١٢) شهوتها فقد رحمها الله ﷻ^(١٣) من طول صبرها. فقلت^(١٤): إن كان الأمر [٥٥] هكذا^(١٥) فما أنا بين يديك لا أحل العهد^(١٦) مع الله تعالى^(١٧). ثم التفت فإذا بفتى آخر ناوله شيئاً آخر^(١٨) وقال: يا خضر ألقمه أنت^(١٩). فلم يزل يلقمني حتى شبعت فأنتبهت فوجدت طعمه في فمي. قال شقيق ﷺ^(٢٠): فقلت له: أرني كفك^(٢١) فأخذتها وقبلتها ورفعتها إلى السماء وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المعاملة^(٢٢)، يا من سقى^(٢٣) قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالاً من أحوالهم^(٢٤)، اللهم^(٢٥) بحرمة هذا الكف وبقدر صاحبها والجود^(٢٦) الذي وجده عندك جُد على عبدك الفقير بفضلك

- = أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر، أحد الأعلام والزهاد، وهو مأمون ثقة، توفي سنة ١٦١ هـ - ٧٧٧ م. ابن الملتن، طبقات الأولياء، ص ٥. ابن شاعر الكشي، فوات الوفيات، ١٣/١.
- (١) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م) و(ع). (٢) في الأصل: «وقال»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «فقال لي». (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «قلت له». (٦) في (م) و(ع): «أشتيت علي نفسي».
- (٧) الواو ساقطة في (م) و(ع). (٨) عبارة «تركته... إلخ»، في (م) و(ع): «قد تركته لوجه الله».
- (٩) عبارة «وإلى الآن... إلخ»، في (م) و(ع): «لأ أن أطعمك الله فما تأكل».
- (١٠) في (م) و(ع): «إلا البكا». (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «إبراهيم بن أدهم فأطعمها»، في (م) و(ع): «إبراهيم أطعمها».
- (١٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٥) في (م) و(ع): «كذلك». (١٦) في (م) و(ع): «العقد».
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) عبارة «يا خضر... إلخ»، في (م) و(ع): «لقمه يا خضر أنت».
- (٢٠) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع). (٢١) في الأصل: «كفيك»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٢) في (م) و(ع): «المعاملات». (٢٣) في الأصل: «مساق»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٤) في (م) و(ع): «أترى لشقيق عندك ذلك». (٢٥) في (م) و(ع): «إلهي».
- (٢٦) في (م) و(ع): «وبالجود».

وإحسانك وإن لم أستحق^(١) ذلك، ثم مضينا^(٢) إلى المسجد الحرام. شعر^(٣):

تَحَكَّمْ بقلبي كيف شئت فما أَرَى
تَحَقَّقَ حَقَّ الْحَقِّ فِي جَوْ^(٥) بَاطِنِي
وَأَتَسَنِّي بِالْبَسِطِ فِي مَجْلِسِ الرُّضَى
وَأَجْلَسَنِي فِي رَوْضَةِ الْحُبِّ^(٦) سَيِّدِي
نَدِمْتُ عَلَى وَضْفٍ وَصَفْتُ لِسَيِّدِي
وَهَلْ^(٧) يَصِفُ الْعَبْدُ الْحَقِيرَ الْمَوَالِيَا

[بحر الطويل]

ويحك تخالف من خلقتك وتعصي من خولك، وبأنعامه^(٨) نَعَمَكَ وبتييسره يسر لك^(٩)، من صورك من نطفة؟ من سَوَاكَ من مضغة؟ من نفخ الروح لك؟ من أخرجك من ضيق الأمعاء إلى فسيح واسع أنزلك، من ألهمك التقام الثدي ومن أجراه حتى كبر^(١٠) لك، [ههـ] من ألقى الشفقة في قلوب^(١١) الوالدين من أستخدمهما لك، من نقلك من الفطام إلى الأغذية سخر فيها الفلك^(١٢) والملك لك، من أوقد في قلبك سراج القلب^(١٣) حتى عاينت ما عليك وما^(١٤) لك، من أوهبك^(١٥) أيام الصبا وأمر الملك ألا يكتب^(١٦) وأمهلك، من بلغك سن^(١٧) البلوغ ويكمال الشهوة كملك، من ألهمك^(١٨) التوحيد والإيمان في قلبك كتب لك، من قواك أيام الشباب وبلطفه عاملك، من بعث إليك رسول المشيب لينذكرك بالرحلة وأعذر لك^(١٩)، كم

(٢) في (ع): «مضيا».

(١) في (م) و(ع): «يستحق».

(٤) في (م) و(ع): «وحقك».

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «الأنس».

(٥) في (م) و(ع): «حق».

(٨) في (م) و(ع): «من بأنعامه».

(٧) في الأصل: «ومن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «قلب».

(١٣) في (م) و(ع): «العقل».

(٩) عبارة «وبتييسره يسر لك»، في الأصل: «وبتييسره يسرك»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م): «در»، وفي (ع): «مد».

(١٢) في (م) و(ع): «الملك».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «هبط»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «ألا يكتب»، في (م): «لا يكتب». وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: إذا همَّ عبدي بسينة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فأكتبوها سينة، وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فأكتبوها حسنة، فإن عملها فأكتبوها عشراً». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت وإذا همَّ بسينة لم تكتب، رقم الحديث (١٢٨/٢٠٣)، ١١٧/١.

(١٧) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في (ع): «الزكم».

(١٩) عبارة «وأعذر لك»، في (م): «ويعلمك ترحلك»، وفي (ع): «ويعلمك ترجلك». وأغذَر إغذاراً وغذراً: أبدى غُذراً. والعرب تقول: أعذر فلان أي كان منه ما يُغذَر به. وفي المثل: «أغذَر مَنْ أنذر»، ويكون =

تعصي من هذه أفعاله لا أم لك، ألا أستحييت ألا أروعيت هلا خجلت ما أغفلت، كم تعامل التوبة بالتسوية ما مطلق^(١)، هذا مقام^(٢) الأحزان هل لك في الموافقة هل لك، كأني بك تطلع عليك الشمس وعند غروبها يقال هلك، ما ينفعك التسوية ولا أهل^(٣) ولا ولد ولا مال لك^(٤)، عصفت ريح الخيبة^(٥) فغرقت البضائع وأنقطع كلاك^(٦)، وأسفا ما أراك أيها المغرور تعلم يوم الحساب^(٧) من يسألك، واخيتك إن نودي بأسمك في أهل سقر تسلك فيها مع من سلك، بالله عليك يا^(٨) أخي أسق زرع توبتك بماء العبرة قبل أن تهلك^(٩)، بادر فهذه مواسم الأرياح، «وَأَضْرِبْ لَمْ مَثَلُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ».

قال ابن السماك [١٥٦] رحمه الله تعالى^(١٠): «وصف لي رجل من العباد، فسرت إليه فوجدته في بيت قد حفر فيها^(١١) قبره، وهو جالس على شفيره يصلح خصوصاً بين يديه، فسلمت عليه، فرد عليّ السلام رداً ضعيفاً، ثم قال لي: من أنت يرحمك الله^(١٢)؟ قلت: رجل من^(١٣) أهل الكوفة. قال: ما أسمك؟ قلت: محمد بن السماك. قال لي: الواعظ. قلت: نعم. فألقى الخوص من يديه^(١٤) وقال: يا ابن السماك، الوعظ^(١٥) من السمع بمنزلة الطبيب من العليل، فأعرض عليّ شيئاً من دوائك. فقلت له: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيبتك لا تنسى، وذنبك لا يمحي، كم بين يديك من ظلمة و^(١٦) أهوال وكرب وأنكال^(١٧)، أولها ظلمة القبر ثم ظلمة الحشر ثم ظلمة الصراط. فبكى بكاء شديداً وقال^(١٨) لي: يا^(١٩) ابن السماك، وما بعد

= اعلم بمعنى اعتذر اعتذاراً يُعذَّر به وصار ذا عذر منه. ابن منظور، اللسان، «عذر»، ٥٤٥/٤. والمعنى: أن الشيب منذر للمرء بقرب رحيله إلى دار الحساب، فإن لم يرتدع عن غيئه استوجب العقوبة، ويكون لمن يعذبه العذر إذ لم يعتبر بالشيب.

- (١) في (م) و(ع): «أمطلق».
- (٢) في (م) و(ع): «مأتم».
- (٣) عبارة «ما ينفعك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ما ينفعه أهل».
- (٤) في (م) و(ع): «مَلَك».
- (٥) في (م) و(ع): زيادة: «على سفينة عمرك».
- (٦) في الأصل و(م) و(ع): «الكلك»، والصواب ما أثبتناه.
- (٧) في (م) و(ع): «يوم القيامة».
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): زيادة: «فيمن هلك».
- (١٠) القصة ذكرها شعيب الحريش في الروض الفائق، ص ١٢٥.
- (١١) في (م) و(ع): «فيه».
- (١٢) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «يده».
- (١٥) في (م): «الواعظ»، وهو تصحيف.
- (١٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٧) الأنكال: جمع النكل، وهو القيد الشديد من أي شيء كان. ابن منظور، اللسان، «نكل»، ٦٧٧/١١.
- (١٨) عبارة «شديداً وقال»، في (م): «عظيماً فقال».
- (١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

ذلك، فقلت^(١): حمل الأوزار، والجواز على النار، وأعظم من ذلك توبيخ المالك^(٢) الجبار. فصاح الشيخ وسقط في قبره، فخرجت روحه، فأقبلت عجوز، وبقيت^(٣) تمسح التراب عن وجهه وتقول: يا أبي^(٤)، هاتان العينان طالما سهرت بهما في طاعة الله ﷻ^(٥)، وطالما بكيت بهما من خشية الله ﷻ^(٦). فخرجت من عنده وقد صغرت نفسي عندي رحمة الله عليه^(٧). شعر^(٨):

تَعَوَّذَ عَبْدٌ أَشْلَمَتْهُ ذُنُوبُهُ إِلَى قَسْوَةِ سَدَّتْ وُجُوهَ نَجَاتِهِ
فَفَرَّ إِلَى الْمَوْلَى وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ وَأَلْقَى إِلَى الثَّقَوَى عِنَانَ حَيَاتِهِ [٥٦ب]
يُنَادِي إِذَا مَا اللَّيْلُ أَسْبَلَ سِثْرَهُ وَظِلَّ غَرِيقِ الظَّرْفِ فِي عَبْرَاتِهِ
وَهَاجَ لَهَيْبِ الْخَوْفِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ فَبَاتَ حَرِيقَ الْجِشْمِ مِنْ زَقَرَاتِهِ
عَسَى الْمَلِكُ الْمَوْلَى يَمُنَّ بِعَفْوِهِ عَلَى مُذْنِبٍ قَدْ تَابَ قَبْلَ وَقَاتِهِ
[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي تنزه في عز جلاله عن المحدثات فله التنزيه^(٩)، يعلم ما في جواهر المخلوقات من حكمة وما يظهر المرء^(١٠) وما يخفيه، يعلم قديم واحد^(١١) لا يدخله الترتيب بل الموجودات ترتبت^(١٢) فيه، توحد في علمه ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١٣) إلا وعلمه محيط بما يخفيه وما^(١٤) يبديه، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١٥) ﴿وَأَخَصَّنَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(١٦) وكيف لا وهو منشيء، أسبغ عليه^(١٧) نعمه ظاهرة وباطنة، ويحك أما

- (١) في (م) و(ع): «قلت».
(٢) في (م) و(ع): «الملك».
(٣) كلمة «وبقيت» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) عبارة «يا أبي»، في (م): «بأبي».
(٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م)، وفي (ع): «تعالى».
(٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م)، وفي (ع): «تعالى».
(٧) عبارة «وقد صغرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد صغرت عندي نفسي».
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «فله التنزيه».
(١٠) في (م) و(ع): «وما يظهر المرء».
(١١) في (م) و(ع): «يعلم واحد قديم».
(١٢) في (م) و(ع): «ترتبت». والمعنى: أن المخلوقات نُظِّمَتْ بعلمه ﷻ، فعُرف كل خلق مهمته في الحياة لا يتجاوزها.
(١٣) قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة سبأ، آية ٣. وعبارة «توحد.. إلخ»، في (م) و(ع): «توحد من عالم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض».
(١٤) عبارة «محيط بما يخفيه وما» ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الطلاق، آية ١٢.
(١٦) قوله: ﴿وَأَخَصَّنَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الجن، آية ٢٨.
(١٧) في (م) و(ع): «عليك».

تستحي^(١) أن^(٢) تعصيه، قرب هذا بلا علة وأبعد هذا بلا سبب^(٣) وخلفه في تيه الحرمان يتيه^(٤)، لا فاعل سواء فويل^(٥) للجاهل وما يفتره وعفر^(٦) الثرى في فيه، إن نظر بالأنس قرب وإن نظر بالجلال خير ما هو فيه^(٧)، كم عاص مضى على عصيانه فأصبح بالمسابقة وجيه، وكم من^(٨) طائع في ميزان عمله عيب خفي عنه^(٩) ما يدره، فعند فتح كيس العمل إذا بهرج ما فيه ما يرتجيه، قبض عليه شرطي الجزاء بفعله^(١٠) يجازيه، فأسلمه أهله وماله وولده! و^(١١) ما أغفله عن تجرع هذا الشراب الكريه، ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرَّةُ مِنْ لَبْدٍ﴾ وَأَمَّا وَلِيُّهُ ﴿٢٥﴾ وَمَنْجِيهِ وَبَيِّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ مِثْلُهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنُ يَتِيهِ﴾^(١٢) [١٥٧]، فسبحان من يعلم مكائيل^(١٣) البحر وعدد كل

(١) في الأصل: «أما ما تستحي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) أي: بلا علة ظاهرة للخلق وبلا سبب واضح لهم.

(٤) إن الله ﷻ أعطى للإنسان حرية الاختيار، فهو يختار بنفسه طريق الهداية أو طريق الضلالة، وهو سبحانه عالم بعلمه الأزلي من الذي سيختار طريق الشقاء فيكتب شقياً، ومن سيختار طريق السعادة فيكتب سعيداً؛ فالقضاء بالسعادة والشقاوة إنما هو موجود في علم الله الأزلي العالم بما سيكون عليه ابن آدم والسبيل الذي سيختاره ويسير في ركابه، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة متظاهرة على ذلك، من ذلك ما رواه سهل بن سعد الساعدي ﷺ: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فأقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره، ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شأدة إلا أتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً، قال: فخرج معه، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فأستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وتبأه بين ثديه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «وما ذاك؟»، قال: الرجل الذي ذكرت أنفاً أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً، فأستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.. إلخ، رقم الحديث (١٧٩/١١٢)، ١٠٦/١.

(٥) في الأصل: «قيل»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) العفر والعفر: ظاهر التراب. وعفره في التراب: مرغه فيه أو دسه. ابن منظور، اللسان، «عفر»، ٥٨٣/٤.

(٧) عبارة «إن نظر بالأنس.. إلخ»، ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: إن أنس بالله تعالى وعبد حباً فيه لا خوفاً من ناره نال منزلة القرب منه، وإن عبده خوفاً من ناره ورهبة من سطوته وجبروته أختار ما هو فيه من الطاعة وفضله.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م): «عليه».

(١٠) في (م) و(ع): «قبض عليه حاكم الجزاء بفعله».

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) سورة عبس، آية ٣٤ إلى ٣٧.

(١٣) في (ع): «مكائيل».

قطر^(١) فيه، أحمدته حمد من أعجزه سر^(٢) القضاء^(٣) فلا يدرية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لعنوه يرتجيه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قانع هام الكفر ومرديه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وبنيه^(٤).

إخواني كيف حال المقيم مع الراحل، كيف الإقامة لمن يحثه الحمام ويعاجل، كيف يطلب أرباح الهند عاجز كاسل، القلب وراء السد والجسم في المخالفة نازل^(٥)، ذهب ذهابك للدنيا خالص وللآخرة ذهب نازل^(٦)، أتعب نفسه البهرج^(٧) يا ليتته^(٨) حاصل، ثوب الرياء من خزف^(٩) وحقه باطل، سُمَارِيَّة الخذلان تمر بك^(١٠) وجسر الهمة مقطوع ما أبعد عنك^(١١) الساحل، إذا قال عقلك الآن أتوب قال تسويفك في قابل^(١٢)، كم تحت اللحد من طلاب الدنيا مثلك رحلوا عنها ولم يحظوا منها بطائل^(١٣)، لو قيل لهم تمنوا لتمنوا^(١٤) من أنفاسك أياماً^(١٥) قلائل، عساهم^(١٦) يسألون الإقالة هيهات تمنُّ باطل، أين كنت في زمان^(١٧) الشباب من كنت تنازل^(١٨)، أين كنت في الكهولة من كنت تراحل، ما أبطأك^(١٩) إلى زمان الكبر أما كنت عاقل، عند هجوم السكرات تطمع^(٢٠) أن تعود هيهات ما يبلغ المنى كل أمل، هذا ماتم الأحزان [٥٧ب] فأين دموعك الهواطل، أين التلهف على الفائت قبل الحلول فيه، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) ﴿وَأُخْرَىٰ وَأُخْرَىٰ﴾ (٢٥) ﴿وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ﴾ (٣٦) ﴿لِكُلِّ أُمَرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾.

- (١) في (م) و(ع): «قطرة».
- (٢) في الأصل: «سوي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «القدر».
- (٤) عبارة «وذريته وبنيه»، في (م) و(ع): «وذويه».
- (٥) في (م) و(ع): «قلب وراء السد وجسم في المخالفة ناقل».
- (٦) عبارة «ذهب ذهابك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «المبهرج».
- (٨) في (م): «يا ليت له».
- (٩) الخَزَف: ما عُيِّل من الطين وشوي بالنار فصار فخَّاراً. ابن منظور، اللسان، «خزف»، ٦٧/٩.
- (١٠) عبارة «سُمَارِيَّة.. إلخ»، في (م) و(ع): «مسمارية الخذلان تمر». وسُمَارِيَّة لفظة عامية تعني ضرب من السفن، والصواب «سُمَرِيَّة»، منسوبة إلى من عملها. الصفدي، تصحيح التصحيف وتحريير التحريف، ص ٣١٩، بتصرف. والمعنى: يتوالى عليك البلاء لكي تتعظ وترتدع فتعود، لكن لا تعود.
- (١١) في (ع): «عنه».
- (١٢) في الأصل و(م) و(ع): «من قابل»، والتصويب من (ب). وقابل صفة لمحذوف، والتقدير في عام قابل، أي قادم.
- (١٣) في (م) و(ع): «كم تحت اللحد من أهل الهموم طلبوا الدنيا مثلك ورحلوا ولم يحظوا بطائل».
- (١٤) في (م) و(ع): «لسألوا».
- (١٥) في (م) و(ع): «أنفاساً».
- (١٦) في (م) و(ع): «مناهم».
- (١٧) في (م) و(ع): «ريعان».
- (١٨) في (م) و(ع): «تناقل».
- (١٩) في (م) و(ع): «ما أبطأك».
- (٢٠) في (م) و(ع): «تطلب».

قال بعض السادات^(١): «كان فتى كثير الاستهزاء»^(٢)، كثير المزاح، فمر يوماً بمقبرة فأخذ عظماً ففتته^(٣) فأنفت في يديه^(٤)، فقال: يا ويلاه هكذا أصير، وغلبه البكاء، قال: فأتى^(٥) إلى أمه وقال: يا أماه ما يفعل السيد بالعبد الأبق إذا قدر عليه؟ قالت: يضيق عليه. قال: يا أماه إن رجعت إلى ربي أيقبلني؟ قالت: يا بني، كن مع مولاك كالولد مع أمه، كلما ضربته ودفعته ترامى عليها، وكلما طردته تضرع إليها، فلا يزال كذلك^(٦) حتى تكون هي التي تضمه إليها. قال: ثم شمر في العبادة حتى نحل جسمه، ورق عظمه، ثم أخذ في البكاء فخر يوماً مغشياً عليه، فقالت له أمه: يا بني، أين الملتقى؟ فقال لها: يا أماه، إذا قدمت القيامة فأسألي^(٧) مالكا^(٨) عني، ثم صاح صيحة خروميتاً رحمة الله عليه وغفر له وعفا عنه^(٩) شعر^(١٠):

خَذَلُ^(١١) الْمُعِينُ عَنِ^(١٢) الْعَرِيقِ الْمُنْجِدِ
مَا عُذْرَهُ وَهُوَ الَّذِي أَعْدَدَتْهُ
هِيَ مُهْجَةً^(١٣) لَا دَمْعَةَ جَمَدَتْ وَقَدْ
عَجَباً لِبَيْنِهِمْ فِكَمٍ مِنْ ضَاحِكٍ
بِنْثُمْ فَلَا عَيْنِي لِبَهْجَةٍ مَنظَرٍ^(١٤)
فَلِذَا سَمِعْتُمْ فِي الْحَدِيثِ مُتَيْماً
وَلَيْنَ قَتَلْتُ لَقَدْ رَضِيْتُ لِقَاتِلِي
لِسَوَى^(١٥) النَّوَى صَبْرِي الَّذِي أَعْدَدْتُهُ^(١٦)

فَأَسْتَدْعُ دَمْعَكَ فَهُوَ عَيْنُ الْمُنْجِدِ
دُخْرًا لِيَوْمِ الْبَيْنِ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ
ذَابَتْ دَمًا وَكَأَنَّهَا^(١٧) لَمْ تَجْمُدِ
بَاكِ وَكَمْ مِنْ جَانَحٍ مُتَجَلِّدِ [١٥٨]
نَظَرْتُ وَلَا سَمْعِي لِيَوْمِ يَهْتَدِي^(١٨)
أَرْذَاهُ يَوْمَ فِرَاقِهِ فَأَنَا الرَّدِي
أَلَّا يُقَادَ بِمَا جَنَّاهُ وَلَا يَدِي^(١٩)
وَلِغَيْرِ حَادِثَةِ الزَّمَانِ تَجَلِّدِي

- (١) في (م) و(ع): «السادة». والقصة ذكرها ابن قدامة المقدسي في كتاب التوايين، ص ٢٥٦.
- (٢) في الأصل: «الاستهزاء»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «فتته».
- (٤) في (م) و(ع): «يده».
- (٥) عبارة «قال فأتى»، في (م) و(ع): «فأقبل».
- (٦) عبارة «فلا يزال كذلك» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (ع): «فسلي».
- (٨) مالك هو خازن جهنم.
- (٩) عبارة «رحمه الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «خذل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل و(م) و(ع): «على»، والصواب ما أثبتناه.
- (١٣) المهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعدما تُراق مُهْجَتُهَا. وقيل: المهجة خالص النفس. ابن منظور، اللسان، «مهج»، ٣٧٠/٢.
- (١٤) في (م) و(ع): «فكأنها».
- (١٥) في (م) و(ع): «مقتد».
- (١٦) يقاد من القود: وهو القصاص وقتل القاتل بدل القتيل، ويدي من الديّة وهي حق القتيل. ابن منظور، اللسان، «قود»، ٣٧٢/٣، و«يدي»، ٣٨٣/١٥.
- (١٧) في الأصل: «سوى»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في الأصل: «أعدته»، والتصويب من (م) و(ع).

رَدُّوا^(١) الْقُلُوبَ الْمُسْتَعَارَةَ إِنَّهَا
قَسَمَ الْهَوَى أَغْضَاءَهُ فَجَفُونَهُ^(٢)
وَرَمَاهُ مِنْ عِبَرَاتِهِ^(٤) بِتَصْوُبٍ^(٥)
جَاءَتْ بِنَشْرِكُمْ^(٧) الشَّمَالُ فَكَمْ عَلَى
وَأَسْوَدَ بَعْدَكُمْ الصَّبَاحُ كَأَنَّمَا
أَضْبُو إِلَيْكَ وَإِنِّي لَمَوْقِرٌ
إِنْ تُضْرَبَ الْأُمَثَالُ أُمَثَالُ الْهَوَى
سَهْرِي بِفَكْرِي عَزْمَةٍ^(١٣) أَوْ صَبْوَةٍ
تَشْكُو الْغَرَامَ وَنَارَهَا لَمْ تُخَمَدْ^(٢)
لِتَسْهَدَ وَضْلُوعَهُ لِتَوْقَدْ
تُضْنِي^(٦) وَمِنْ زَقَرَاتِهِ بِتَصْعُدِ
الثَّلِيعَاتِ^(٨) مِنْ مُسْتَنْشِقٍ مُتَبَرِّدٍ^(٩)
كَحُلِ الظَّلَامِ جَفُونَهُ بِالْإِثْمَدِ^(١٠)
وَأَضِلَّ فِيكَ وَإِنِّي لَمُهْتَدِي
فَأَنَا الْحَدِيثُ لِرَائِحِ^(١١) أَوْ^(١٢) مَغْتَدٍ
مَنْ يَدْعُ إِحْدَاهُمَا لَمْ يَرْقُدْ
[بحر الكامل]

ويحك جدَّ القوم في التوبة وهزلت، عانقوا العمل وشمروا أذيال الراحة^(١٤) وتكاسلت،
نظروا هلال الهدى فبيَّتوا^(١٥) على نية الصوم^(١٦) وتعاميت، صاموا أيام العمر عن الشهوات
وأفطرت، سترجع بالأسف إذا رحموا وحرمت، ستندم والله إذا قُبِلوا وطردت، سمعك فيه
طرش وكأنك على الحرمان جبلت، كأنني بك من لذاتك عن قليل سلبت، وعما قدمته وأخرته
في ديوان عملك [٥٨ب] سئلت، ما أعتذارك ما يكون جوابك إذا طلبت، جُزْ بقبور^(١٧) القوم
وقل هذا منزلي إذا نزلت، هذه جبرتي^(١٨) بينهم فيا ليت شعري أربحت^(١٩) أم خسرت، زادك

- (١) في (ع): «ودوي».
- (٢) عبارة «ونارها لم تحمد»، في (م) و(ع): «وتارة لم تحمد».
- (٣) في (م) و(ع): «وجفونه».
- (٤) في الأصل: «غمراته»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٥) التصوب: الانحدار. ابن منظور، اللسان، «ضوب»، ٥٣٤/١.
- (٦) في (م) و(ع): «يضني».
- (٧) النُّشْر: الريح الطيبة. ابن منظور، اللسان، «نشر»، ٢٠٦/٥.
- (٨) التلعات: جمع تَلْعَة، وهي أرض مرتفعة غليظة، وقيل: هي ما أنهيط من الأرض، وهو من الأضداد. ابن منظور، اللسان، «تلع»، ٣٦/٨.
- (٩) في (م) و(ع): «مستبرد».
- (١٠) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: هو نفس الكحل. ابن منظور، اللسان، «ثمد»، ١٠٥/٣.
- (١١) في (م) و(ع): «لرائع».
- (١٢) في الأصل: «و»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «عزيمة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «الراحلة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في الأصل: «بيتوا»، وهي من (م) و(ع).
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «بقبول»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «وأنسي».
- (١٩) في (م) و(ع): «هل ربحت».

من الدنيا تعجيل لرمسك فيا فرحتك إن قبلت ويا حسرتك إن طردت^(١)، فبادر قبل تجرع كأس الفراق الكريه، ﴿يَوْمَ يَرَى الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَيْسَ بِهِمْ مَقْنَعٌ﴾ وَأُتِيَهُمْ وَأَيُّهُمُ^(٢) وَصَحْبُهُمْ وَبَيْنَهُمْ^(٣) لِكُلِّ أَمْرٍ يَنْتَهُمُ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.

قال إبراهيم بن أدهم رحمة الله عليه^(٢): «أتيت ليلة باردة إلى بعض المساجد لأبيت فيه، فلما صليت العشاء الآخرة وخرج الناس أتني إليَّ الإمام وقال لي^(٣): أخرج. فقلت: رجل غريب، أبيت في^(٤) هذه الليلة هاهنا في المسجد^(٥)، فقال^(٦): لا سبيل إلى ذلك. فأطلت^(٧) معه الكلام فخرجني^(٨) برجلي وأخرجني^(٩) إلى مزبلة هناك فطرحني عليها وأغلق الباب^(١٠)، فقممت^(١١) متحيراً لا أدري أين أتوجه، فرأيت أنثون^(١٢) حمام ووقاداً يوقد^(١٣) فأتيت إليه^(١٤) وسلمت عليه، ولم^(١٥) يرد علي السلام، فجلست قريباً منه، فرأيت ينظر يميناً وشمالاً، فلما فرغ من عمله رد علي السلام. فقلت^(١٦): يا هذا، لم لم ترد^(١٧) علي السلام في وقته؟ قال: كنت مُستأجراً فخفت أن أشتغل معك فأقصر في عملي فأتم، فقلت له: إني رأيتك تنظر يميناً وشمالاً. فقال لي: إني لا أدري من أين يأتيني ملك الموت^(١٨). فقلت له: بكم تعمل كل يوم؟ قال: بدرهم ودانق، أنفق الدانق^(١٩) على [١٥٩] نفسي وأنفق الدرهم على أولاد أخي^(٢٠)؛ مات وخلف صبيّة، فانا أنفق عليهم منذ عشرين سنة. قلت: ابن أمك وأبيك؟ قال: لا، أخاً واخيته في الله تعالى^(٢١). فقلت^(٢٢): وهل^(٢٣) سألت الله ﷻ^(٢٤) في حاجة قط؟

(١) عبارة «ويا حسرتك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ويا ذلك إن قولت».

(٢) القصة ذكرها النبهاني في جامع كرامات الأولياء، ٣١٠/٢.

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «في المسجد» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (ع): «قال: فأطلت».

(٧) في (ع): «فأخرجني».

(٨) في (م) و(ع): «فقبضت».

(٩) الأثون: الموقد. ابن منظور، اللسان، «أثون»، ٧/١٣.

(١٠) في (م) و(ع): «يقد».

(١١) في (م) و(ع): «فلم».

(١٢) في (م) و(ع): «لما لا رددت».

(١٣) عبارة «فقلت له: إني رأيتك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «فانا أنفق عليهم منذ عشرين سنة».

(١٥) في (م) و(ع): «أخ لي».

(١٦) عبارة «فانا أنفق.. إلخ»، في (م) و(ع): «قلت: أبني أمك وأبيك؟ قال: لا، أخاً واخيته في الله، مات وخلف صبيّة فانا أنفق عليهم منذ عشرين سنة».

(١٧) في (م) و(ع): «قلت».

(١٨) عبارة «عز وجل»، في (م): «تعالى»، وهي ساقطة في (ع).

قال: نعم سألت الله ﷻ في حاجة منذ عشرين سنة فما قضيت بعد. فقلت: وما هي؟ قال: سألته^(١) أن يريني إبراهيم بن أدهم وأموت. فقلت^(٢): والله ما رضي ربي أن آتيك إلا مسحاً^(٣) على وجهي، وأنا إبراهيم بن أدهم. قال: أنت إبراهيم بن أدهم! قلت: نعم. فوثب علي^(٥) من مكانه وعانقني، ثم قال: ضع رأسي في حجرك ففعلت فسمعتة يقول: إلهي قضيت حاجتي فأقبضني إليك. قال: فسكن من ساعته، فحركته فإذا هو ميت رحمه الله تعالى وغفر له^(٦) شعر^(٧):

صَبَّ بَكَتٍ لِفَقْدِكُمْ عُيُونَهُ وَلَيْسَ مِنْكُمْ أَحَدٌ^(٨) يُعِينُهُ
هَتَكْتُمُوا أَسْأَرَهُ فِي حُبِّكُمْ^(٩) قُولُوا^(١٠) لَنَا مَنْ ذَا الَّذِي يَصُونُهُ
إِنَّ حَمَامَاتِ اللَّوَى^(١١) تَرْتَمَت حَنْتَ لَهُ إِذْ سَمِعْتَ حَنِينَهُ^(١٢)
وَمَا شَجَّتْ شُجُونُهَا^(١٣) لَوْ لَمْ يَكُنْ يُقْلِقُهَا لَمَّا بَكَى شُجُونَهُ
وَكَيْفَ لَا يَبْكِي حَزِينٌ^(١٤) فَأَقْدُ فَارَقَهُ عَنْ عَجَلٍ قَرِينَهُ
أَوْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي بَانَ^(١٥) وَقَدْ فَارَقَهُ تَعَمُّدًا قَطِينَهُ^(١٦)
يَا رَاحِلِينَ قَدْ سَلَبْتُمْ عَقْلَهُ^(١٧) جُودُوا^(١٨) عَلَيْهِ قَدْ^(١٩) عَلَا أُنِينَهُ
وَعَادَ مِنْ تَوْدِيعِهِ إِلَى الْجَمَى يُكْحَلُ^(٢٠) مِنْ تَرَابِهِ جُفُونُهُ [٥٩ب]

- (١) عبارة «عز وجل في حاجة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) في (م) و(ع): «فقلت له».
- (٣) في (م) و(ع): «سجاً».
- (٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (ع): «إلي».
- (٦) عبارة «رحمه الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٨) في الأصل: «وليس أحد منكم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) عبارة «هتكتموا.. إلخ»، في (م) و(ع): «هتكتموا أسراراً في حبه».
- (١٠) في الأصل: «قالوا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «أنيته».
- (١٢) في (م) و(ع): «بشجوها»، وشجنت الحمامة تشجن شجوناً: ناحت وتحزنت. ابن منظور، اللسان، «شجن»، ٢٣٢/١٣.
- (١٣) عبارة «لا يبكي حزين»، في الأصل: «لا أبكي حازن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «بنا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في الأصل: «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في الأصل: «جوداً»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل و(م): «وقد»، والتصويب من (ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «تكحل».

وقد سَقَى دِمْنَتَهُ^(١) بِأَغْيُنٍ^(٢) جَادَتْ^(٣) بِهَا مِنْ بَعْدِهِمْ عُيُونُهُ
[بحر الرجز]

مجلسي مغاص^(٤) الجوهر، عباراته أصدافه، جواهره معانيه، الغائصون في الأفهام^(٥) كل يحصل بقدر مفهومه، الثائبون على ساحله يلتقطون لؤلؤ التوبة، كم على حافاته من أشجار أشجان وأطيّار فصاحة وبلايل بلاغة، ظل معارفه ممدود، ونهر في علم^(٦) التوحيد مورود^(٧)، كلماته سبائك ذهب، فإذا أردت صرفه في سوق الأسماك سبكته دنائير معاني، ونقشت عليه سكة الأمثال، فهو للعارف هبة، وللتائب صدقة، وعن الحاسد ممنوع؛ فإنه يأخذ دنائير المعاني ويؤخر مصارفة^(٨) الشكر^(٩) فلذلك يحرم عليه.

إلهي ما حيلة من أحيل على بواقي الإفلاس، ما حيلة من رد يوم العرض لأنه لم يصلح، إلهي من للمتكسر إن لم تجبره؟ من للفقير إن لم ترحمه؟ من للحائر إن لم تدله؟ إلهي أرحم غربتنا في القبور^(١٠) إذا نسينا الذاكرون، و^(١١) أرحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم^(١٢).



(١) اللُّغَةُ: الموضع القريب من الدار. ابن منظور، اللسان، «دمن»، ١٥٨/١٣.

(٢) في (م) و(ع): «بأدمع».

(٣) في الأصل: «جادوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «مغائص»، وفي (ع): «معايض»، والتصويب من (م).

(٥) عبارة «في الأفهام»، في الأصل «للافهام»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «بحر».

(٧) في (م) و(ع): «ممدود».

(٨) في (ع): «مصافاة»، وهو تصحيف. والمصارفة من الصَّرَف وهو بيع الذهب بالفضة لأنه يُنصَرَف به عن جوهر إلى جوهر. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ١٩٠/٩.

(٩) في الأصل: «الفكر»، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «القبر».

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «يا رب العالمين... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثامن

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي جعل معرفته للعارفين عليه دليلاً، أقامهم في الدجى لمناجاته وإن كانت ناشئة الليل أقوم قِيلاً^(١)، باعوا النوم بنقد السهر وجعلوا مناجاتهم للحبيب رسولا، صفوا [٦٠] أقدامهم على بساط التهجد وقدموا شفيح الدمع^(٢) رسولا، لو عرضت عليهم الأكوان لم يريدوا بمحبوبهم^(٣) بديلاً، ترافق^(٤) في محمل وجدهم الشوق والقلق فكل أتخذ صاحبه عديلاً^(٥)، و^(٦) لهم حنين بالأذكار لم يبق منهم الشوق إلا شيئاً قليلاً، كم لهم من وجد على نفحات نجد و^(٧) تجديد أشواق بكرة وأصيلاً، أستعذبوا عذبات الغوير^(٨) وودوا لو طاروا إليه كالطير لو يجدون^(٩) إليه سبيلاً، كم لهم من^(١٠) حنين إلى بان الحمى وقد ظعن الساكن^(١١) عنه^(١٢) رحيلاً، راحتهم في الدجى ورواحهم في الذكر^(١٣) جعلوا منزل السحر مقيلاً، صبروا على مشقة السفر فأسفر لهم صبح الوصل فأهلاً به صباحاً^(١٤) جميلاً، خلعت عليهم حلل الرضى رقم^(١٥) أعلامها مدحاً جليلاً، ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾^(١٦).

- (١) ناشئة الليل: أي أوقاته وساعاته، والمقصود به قيام الليل. وأقوم قِيلاً أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار؛ لأن الليل تهدأ فيه الأصوات فتخلص القراءة، ويفرغ القلب لفهم التلاوة، فلا يكون دون سماعه وتفهمه حائل. ابن الجوزي، زاد المسير، ٨/ ٣٩٠. القرطبي، الجامع، ١٩/ ٣٩.
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «بغير محبوبهم».
- (٤) في الأصل: «يوافق»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٥) العديل: النظير والمثيل. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ١١/ ٤٣٢.
- (٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٨) في الأصل: «التعذيب»، والتصويب من (م) و(ع). والغوير: ماء بين العقبة والقاع، في طريق مكة. صفي الدين البغدادي، مرصد الاطلاع، ٢/ ١٠٠٦.
- (٩) عبارة «لو يجدون»، في الأصل: «لم يجدوا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في (ع).
- (١١) في (م) و(ع): «السكان».
- (١٢) في الأصل: «منه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «ورواهم في الذكر»، في (م) و(ع): «وراحهم». والرواح: وجدانك السرور الحادث من اليقين وراح لذلك الأمر رواحاً: أشرف له وفرح. الفيروزآبادي، القاموس، «روح»، ص ٢٨٣.
- (١٤) في (م) و(ع): «محباً».
- (١٥) الرَّم: الكتابة والختم، ورقم الكتاب: أعجمه وبينه، ورقم الثوب: خطه. ابن منظور، اللسان، «رقم»، ١٢/ ٢٤٨، ٢٤٩.
- (١٦) سورة الأحزاب، آية ٢٣.

يا أرباب القساوة حدقوا نحو هلال التوبة بالبصائر، وإن^(١) لم يبين فغشاء^(٢) الذنوب عم النواظر، هلال التوبة خفي فلا تملوا التملح فهو يلوح كالخاطر^(٣)، إذا هبت رياح^(٤) العزم أنقشع^(٥) سحاب الغفلة فيعود البصر ناظر، ويحك سرت قوافل الصالحين وما أراك معهم سائر، كم تغرس^(٦) عروق التسويف ستبقى عند الجنى حائر، ما أرى دستور^(٧) شقائقك إلا طوي^(٨) ما أرى صلاحك إلا نادر، ما أرى للتوبة عندك^(٩) [٦٠ب] علامة ما أراك في تجارتك إلا خاسر، الإخلاص منخل يفرق بين خبيث العمل^(١٠) وطيب الحاضر^(١١) الساهر، التوبة والقبول مصارفة إذا كان صيرفي^(١٢) الصدق حاضر، لله نفوس التائبين ما أطيب آصالهم والهواجر، ما أطيب سماعهم ما أحلى ماء عيونهم من المحاجر^(١٣)، كشفوا قناع الوجد عند معاناة نجد وحاجر، لله درهم أتخذوا^(١٤) الصدق إليه دليلاً، «مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا».

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى^(١٥): «عصفت بنا الريح فطرحتنا^(١٦) على جزيرة^(١٧) في البحر، فإذا برجل^(١٨) يعبد صنماً من دون الله ﷻ^(١٩)، فقلنا له: أيها الرجل ما^(٢٠) تعبد؟ فأوماً بيده إلى الصنم. فقلنا: إن معنا في هذا^(٢١) المركب من يصنع مثل هذا^(٢٢). قال: وأنتم ما تعبدون^(٢٣)؟ قلنا: نعبد الله ﷻ^(٢٤). قال: فمن^(٢٥) هو؟ قلنا: الذي في السماء عرشه،

- (١) في (م) و(ع): «فإن».
- (٢) في (ع): «فغسى». وعسا الشيء: ييس وأشدت وصلب، وفيه لغة أخرى: غيبي يغسى عسى. ابن منظور، اللسان، «عسا»، ٥٤/١٥.
- (٣) عبارة «هلال التوبة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «رياح».
- (٥) في (م) و(ع): «واقتشع».
- (٦) في (ع): «تفرش».
- (٧) في (م): «ما أرى ستور»، وفي (ع): «ما أدري ستور». وهو تصحيف.
- (٨) في (م) و(ع): «طويت».
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «الغافل».
- (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) الصيرفي: النقاد من المصارفة، وهو من التصرف. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ١٩٠/٩.
- (١٣) المحاجر: العين، وقيل: هو ما دار بالعين من العظم الذي في أسفل الجفن. ابن منظور، اللسان، «حجر»، ١٦٩/٤.
- (١٤) في (م) و(ع): «أخذوا».
- (١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٩/٤.
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «بجزيرة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في (ع): «رجل».
- (١٩) عبارة «من دون الله عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «من».
- (٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٢) عبارة «من يصنع مثل هذا»، في (م) و(ع): «من يعمل هذا».
- (٢٣) في (م) و(ع): «فأنتم من تعبدون».
- (٢٤) في (م) و(ع): «تعالى».
- (٢٥) في (م) و(ع): «ومن».

وفي الأرض سلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه. قال: كيف علمتم ذلك^(١)؟ قلنا: وجّه إلينا رسولاً أعلمنا به. قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: قبضه الله ﷻ إليه. قال: فما^(٢) ترك عندكم^(٣) علامة، قلنا: كتاب الملك^(٤). قال: أرونيه. فأتينا^(٥) بالمصحف، قال^(٦): ما أعرف هذا. فقرأنا عليه سورة، وهو يكي ثم قال: ينبغي لصاحب هذا الكلام ألا يعصى [١٦١] فأسلم وحملناه معنا، وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن. فلما جن الليل علينا، أخذنا مضاجعنا^(٨) فقال: يا قوم، إن^(٩) الإله الذي دللتكموني عليه أينام^(١٠)؟ قلنا^(١١): لا يا عبد الله هو حي قيوم لا ينام. قال: بش العبيد أنتم تنامون ومولاكم^(١٢) لا ينام. قال: فعجبنا من كلامه. فلما قرنا من عبادان أعطينا^(١٣) دراهم^(١٤) وقلنا له: أنفقها. قال: دللتكموني^(١٥) على طريق لم تسلكوه، أنا كنت في جزيرة^(١٦) أعبد صنماً من دونه فلم يضيعني فكيف الآن وقد عرفته. فلما كان بعد أيام أتاني آت فقال لي: إنه يعالج سكرات الموت. قال^(١٧): فجيته فقلت^(١٨): ألك حاجة؟ فقال: قد قضى حوائجي من عرفتموني^(١٩) به. فبينما^(٢٠) أنا أكلمه إذ غلبتني عينا، فتمت، فرأيت في المنام روضة، وفي الروضة قبة فيه سرير وعليه جارية^(٢١) أجمل من الشمس تقول: سألتك بالله عجل علي به، فأنتبهت فإذا هو قد مات^(٢٢)، فجهزته لغيره ثم رأته في المنام في القبة والجارية إلى جانبه^(٢٣) وهو يتلو ﴿وَاللَّيْلَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ

(١) في (م) و(ع): «هذا».

(٢) في (م) و(ع): «فهل».

(٣) في الأصل: «عنكم»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «ترك عندنا كتاب الملك».

(٦) في (م) و(ع): «قال فأتينا».

(٨) في (م) و(ع): «فلما جن الليل صلينا وأخذنا مضاجعنا».

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «قلنا».

(١٢) في الأصل: «وعبدكم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «فلما قرنا».. إلخ، في (م) و(ع): «فلما قدمنا عبادان جمعنا له دراهم وأعطيناها له». وعبادان

جزيرة في قم دجلة؛ لأنها تتفرق عند البحر فرقتين عند قرية، وفرقة تذهب إلى جهة اليمين يركب فيها إلى

بر العرب ناحية البحرين وغيرها، وفرقة إلى جهة اليسار يركب فيها إلى نواحي فارس. صفى الدين

البغدادى، مراصد الاطلاع، ٩١٣/٢، ٩١٤.

(١٤) في (م) و(ع): «لا إله إلا الله دللتكموني».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «عرفتني».

(٢٠) عبارة «فيه سرير».. إلخ، في (م) و(ع): «وفيها سرير عليه جارية».

(٢١) في (م) و(ع): «فإذا به قد مات رحمه الله».

(٢٢) عبارة «إلى جانبه»، في (ع): «الجنبه».

بَابُ ﴿٣٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١﴾ شعر (٢):

سَلَامٌ عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَا تَزُورُهَا^(٣) عَلَى أَنْ هَذَا الْقَلْبُ فِيهِ أَسِيرُهَا
إِذَا مَا ذَكَّرْنَا طِيبَ أَيَّامِنَا بِهَا تَوَقَّدَ فِي نَفْسِي الذُّكُورُ سَعِيرُهَا^(٤)
رَحَلْنَا وَفِي سِرِّ الْقُلُوبِ^(٥) ضَمَائِرُ إِذَا هَبَّ نَجْدِي الصَّبَا يَسْتَيْثِرُهَا^(٦)
مَحَتْ بَعْدَكُمْ تِلْكَ الْعُيُونُ بُكََاؤُهَا فَهَلْ مِنْ عِيُونٍ بَعْدَهَا نُسْتَعِيرُهَا [٦١ب]
إِذَا كَتَبَتْ أَنْفَاسُهُ بَعْضَ وَجْدِهَا عَلَى صَفْحَةِ الذُّكْرِى مَحَاهُ زَفِيرُهَا
سَقَى اللَّهَ أَيَّاماً مَضَتْ وَلَيَالِيَا تَضَوَّعَ رَيَّاهَا^(٧) وَفَاحَ عَبِيرُهَا
[بحر الطويل]

إخواني ردوا شوارد النفوس إلى وادي الزهد ففيه مرعى خصب، لا تُخرجوها حتى تظهر شمس الورع فهي إذ ذاك تطيب، إياكم وأرض الشهوة^(٨) فكل سهلها قلب، أيها العاصي لو أنكشف من^(٩) بصيرتك رمد^(١٠) الغفلة لرأيت العجب العجيب، يا مسجوناً في سجن أرباب الجرائم ما أرى لك في الخلاص^(١١) من نصيب، إذا لم تهزك مطربات التشويق ليت شعري بماذا تطيب، عزمك فيه ضعف^(١٢) وسمعتك فيه طرش وقلبك فيه قساوة وبصرك عليه ظلمة قل لي ماذا يفعل الطبيب، إذا كان الشقاء في أصل الفطرة فصاحبه يدعى فلا مجيب، من الحماقة طبيب العيش في السجن^(١٣) وكيف عساه يطيب، من فرح بحاصل الدنيا رده يوم القبر وبقي

(١) سورة الرعد، آية ٢٣ - ٢٤، في (م) و(ع): ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لابن الجوزي، انظر: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ٤٢٣/١.

(٣) في (م) و(ع): «نزورها».

(٤) عبارة «الذكور سعيها»، في (م) و(ع): «الشجي زفيرها».

(٥) في (م) و(ع): «الفؤاد».

(٦) في الأصل: «إذا ذهب نجدتي الصبا يسترها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) تَضَوَّعَ الريح: تفرَّقها وانتشارها وسطوعها. والرَّيَّا: الريح الطيبة. ابن منظور، اللسان، «ضوع»، ٨/ ٢٢٩، و«روي»، ١٤/ ٣٥٠.

(٨) في (م) و(ع): «الشهوات».

(٩) في (م) و(ع): «عن».

(١٠) الرمد: وجع العين وانتفاخها. ابن منظور، اللسان، «رمد»، ٣/ ١٨٥.

(١١) في الأصل: «ما أرى لكم في الإخلاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «وضعف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) السجن أي الدنيا، وذلك لما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، رقم الحديث (١/ ٢٢٧٢)، (٢٩٥٦).

عليه محاسبة الحسيب، من أدام الفرح بالفاني^(١) فحزنه طويل في القبر^(٢) وهو كئيب، فأهلاً بقلوب المخلصين جعلوا الإخلاص عليهم وكيلاً^(٣)، ﴿يَنْتَظِرُ الْمَوْتُ رِجَالًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.

قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى^(٤): «أرقت ذات^(٥) ليلة من [١٦٢] الليالي، فرمت السكون فلم أجده^(٦)، فأجتهدت جهدي في قضاء ورد كان علي^(٧) فلم أقدر، ثم حرصت على تلاوة القرآن فلم أقدر^(٨)، ووقع في نفسي^(٩) أنزعاج عظيم، فأخذت ثوبي على كتفي وخرجت وكان آخر الليل، فلما توسطت الدرب عثرت بإنسان^(١٠) ملتف في عباءة فرفع رأسه وقال: إلى الساعة! فقلت: سيدي هل من وعد تقدم^(١١)؟ قال: لا. قلت: وما ذلك؟ قال^(١٢): سألت^(١٣) محرك القلوب أن يحرك لي قلبك. قلت^(١٤): قد فعل ~~الله~~^(١٥) فهل من حاجة؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ فقال: يا^(١٦) أبا القاسم، متى يكون داء النفس دواها؟ قلت^(١٧): إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها^(١٨). قال: فتتفلس ثم قال^(١٩): لقد جاوبتها^(٢٠) بهذا الجواب سبع مرات وهي تقول: لا، إلا أن^(٢١) أسمع من الجنيد، فقد سمعته منك. ثم مضى فما رأيته بعد ذلك». شعر^(٢٢):

يا صَاحِبَ إِنَّ الرُّعْصَةَ قَدْ أَنْكَرْتُه لَمَّا تَنَكَّرَ بَعْدَهُمْ وَجْهَلْتُه
فَوَجَدْتُ فِيهِ نَسِيمَ نَشْرِ أَحَبَّتِي وَالْإِثْرَ مِنْ أَقْدَامِهِمْ قَبْلْتُه^(٢٣)

-
- (١) في الأصل: «على الفاني»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) عبارة «في القبر» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «كفيلًا».
(٤) في (م) و(ع): «قال الجنيد». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٥٠٤/٢.
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «فلم أجده»، في (م) و(ع): «فما وجدته».
(٧) في (م) و(ع): «لي».
(٨) عبارة «ثم حرصت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «وقع في».
(١٠) في الأصل: «في إنسان»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «سيدي أمن وعد تقدم».
(١٢) في (م) و(ع): «ولكن سألت».
(١٣) في (م) و(ع): «سألت».
(١٤) في (م) و(ع): «قلت».
(١٥) في (م) و(ع): «قال».
(١٦) عبارة «فقال: يا»، في (م) و(ع): «قال».
(١٧) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٨) عبارة «صار داؤها دواها» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) عبارة «ثم قال»، في (م) و(ع): «وقال».
(٢٠) عبارة «لقد جاوبتها»، في (م) و(ع): «لقد أجبتها الليلة».
(٢١) عبارة «إلا أن»، في (م) و(ع): «أو».
(٢٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢٣) في الأصل: «أقدامكم»، والتصويب من (م) و(ع).

ولقد عَزَمْتُ على الرَّحِيلِ ورُمْتُهُ
وَكَحَلْتُ ظَرْفِي من سَجِيقِ ثَرَابِهِ
وَسَأَلْتُهُ^(٢) عن أهله فأجَابَنِي
ماتوا ومنهم من تَشَتَّتْ شَمْلُهُ
لا كُنْتُ ويحك مِنْ غُرَابٍ مُخْبِرٍ
لم أنس يوم رَحِيلِهِمْ ما نَالَنِي
لا تَتَّهُمْ^(٥) قلبي فما قَلْبِي معي
لا أعتب الأقدار في تَشَتِّيَتِهَا

يا صَاحٍ لولا أَنَّنِي أَسْتَنْشِفُهُ
فكأَنَّنِي بِالْعَائِبِينَ^(١) كَحَلْتُهُ
عنه الغُرَابِ فَلَيْتَ ما أَسْتَخْبِرْتُهُ
فَصَرَخْتُ مِمَّا قَالَهُ^(٣) وَأَجَبْتُهُ
عَمَّا سُئِلْتُ^(٤) بِضِدِّ ما أَمَلْتُهُ [٦٢ب]
وَجَرَى عَلَيَّ لِفَقْدِهِ مَنْ أَخْبَبْتُهُ
الْقَلْبُ^(٦) عند خِيَامِهِمْ خَلَفْتُهُ
نَالِ الْمُنَى غَيْرِي بِكُمْ وَحُرْمَتُهُ
[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي لم يكن في ملكه وملكوته إلا ما يريد، صرف أقداره كما شاء^(٧) فهذا شقي وهذا سعيد، قيد العقول بقيد أوثق من قيد الحديد، كنفه^(٨) باللفظ عن العدول إلى ساحة التكليف كما يفعل بالعبيد^(٩)، قهر الكل عزه وأذلهم قهره فاستوى^(١٠) فيه الغوي والرشيد، كم له^(١١) على باب الدجى من مطرود وكم على فراش النوم من محبوب فهذا قريب وهذا بعيد^(١٢)، بنفس يرحم وبه يعذب فإن^(١٣) أردت كشفه قطع منك الوريد^(١٤)، همتك في الشهوات وتريد مرافقة الجنيد وأبي يزيد^(١٥)، هيهات غلب عليك^(١٦) الحرمان ما على شقائق من مزيد، إذا كان العمر في أنتقاص والموت في إقبال فأين النوح والتغريد، بينما^(١٧) أنت في

(١) في (م) و(ع): «بالعائنين».

(٣) في (م) و(ع): «قال لي».

(٥) في (م) و(ع): «تتهموا»، وهو تصحيف.

(٧) في (م) و(ع) زيادة: «وكيف شاء».

(٨) كَنَفَهُ عن الشيء: حَجَزَهُ عنه. ابن منظور، اللسان، «كنف»، ٣٠٨/٩.

(٩) أي: تَكَيَّفَتِ العقول على ما قَدَّرَ الله تعالى من أقدار، وذلك لما جاء في حديث رسول الله ﷺ، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كلٌّ يعمل لِمَا خُلِقَ له أو لما يُسَّرُ له. البخاري، الصحيح، كتاب القدر، باب جف القلم على علم الله... إلخ، رقم الحديث (٣)، ٢٢٠/٨.

(١٠) في (م) و(ع): «واستوى».

(١٢) في (م) و(ع): «وذاك بعيد».

(١٤) الوريدان: عِرْقَانِ في العنق. ابن منظور، اللسان، «ورد»، ٤٥٩/٣.

(١٥) هو أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى.

(١٧) في (م) و(ع): «بينما».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فلذا».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

أمل^(١) جديد جاءك من^(٢) الموت عتيد، لا يرحم من بكى من رضيع ولا وليد، وبعده أهوال في يوم مدى حسراته مديد، حذرنا من هوله من جعله للوعد والوعيد^(٣)، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُ رَيْكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ^(٥).

إخواني إياكم والانس بما عنه ترحلون، عليكم بمرافقة من برفقه ترتفقون، [١٦٣] إذا استوحشتم في ديار الغفلة فتذكروا الحبيب فبذكره تأنسون^(٦)، مهر الآخرة قطرة دمع ومخالفة ما تشتهون، ومهر الدنيا عمر في شقاء في برها تهلكون أو في بحرها تغرقون^(٧)، إذا أمهلك القضاء فلم تنتبه فعلامة رده^(٨) عند المنون، ما تعلق الشاة برأ لها بل لأمر تشتهون، بينما^(٩) العلف ينقى لها إذا هي مجزورة ما^(١٠) تعتبرون، ويحك في هوى الفاني تفنى ما هذا هوى هذا جنون^(١١)، تأملون ما لا تملكون وتعمرون ديار الفناء وديار الآخرة تخربون، تجمعون ما لا تأكلون وستفجعون فيما تجمعون، ما أمر^(١٢) كاس الحساب لو تعلمون، وبين^(١٣) أيديكم أهوال هولها شديد، ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾. قيل^(١٤):

(١) في (م) و(ع): «أملك».

(٢) أي رسول الله ﷺ، وأحاديثه في الترغيب في الجنة وأعمالها الموصلة إليها، والترهيب من النار وأعمالها، كثيرة مثورة في كتب الحديث.

(٤) سورة الحج، آية ١ - ٢.

(٥) في (م) و(ع): «إذا استوحشتم في ديار الغربة فبذكر الحبيب تأنسون».

(٦) عبارة «في برها.. إلخ»، في (م) و(ع): «في بر تسكون أو في بحر تغرقون».

(٧) عبارة «فعلامة رده»، في الأصل: «مرديه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «بينما».

(٩) في الأصل: «ما هذا جنون»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «مر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «مر»، والتصويب من (م) و(ع): «فبين».

(١٣) القصة أخرجها أبو نعيم في الحلية، ٨١/٢، عن مخلد بن يزيد عن نوفل بن عبد الله عن الضحاك. وقد علق الذهبي على هذه القصة في سير أعلام النبلاء، ٢٧/٤، فقال: «وهذا سياق منكر لعله موضوع». ويغني عنها ما ورد في صحيح مسلم؛ فعن أسير بن جابر، قال: كان عمر بن الخطاب، إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أؤيس بن عامر؟ حتى أتى على أؤيس، فقال: أنت أؤيس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع دزهم؟ قال: نعم، قال: لك والد؟ قال: نعم، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أؤيس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن أستطعت أن يستغفر لك فأفعل» فاستغفر لي، فاستغفر له، فقال له عمر:

أقام عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب عليهما السلام ^(١) يطلبان أويساً ^(٢) عشر سنين. فلما كان في آخر السنة التي مات ^(٣) فيها عمر عليه السلام ^(٤) قام على جبل أبي قبيس ^(٥) فنادى بأعلى صوته وقال ^(٦): يا أهل الحجيج من اليمن أفیکم أويس؟ فقام إليه ^(٧) شيخ كبير طويل اللحية ^(٨) فقال: أنا لا أدري من أويس ^(٩)، ولكن ابن أخ لي يقال له: أويس، وهو أخمل ذكراً، وأقل مالاً، وأهون أمراً من أن ^(١٠) أرفعه إليك، وإنه يرعى ^(١١) إبلنا، وهو ^(١٢) حقير بين أظهرنا. فعمى عليه عمر عليه السلام ^(١٣) كأنه لا يريد، فقال ^(١٤): ابن أخيك هذا قريب هو منا أو بعيد ^(١٥)؟ قال: نعم قريب ^(١٦). [٦٣ب] قال: وأين ^(١٧) يصاب؟ قال: بإزاء ^(١٨) عرفات. قال: فركب عمر وعلي عليهما السلام سراعاً إلى عرفة ^(١٩) فإذا هو قائم يصلي إلى شجرة وإبله ترعى ^(٢٠)، فشدّا حماليهما ثم أقبلّا إليه فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فخفف أويس الصلاة، ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله وبركاته. ثم ^(٢١) قالّا: من الرجل؟ قال: راعي إبل وأجير قوم. قالّا: لسنا نسأل عن

= أين تريد؟ قال الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحب إليّ، قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرفهم، فوافق عمر، فسأله عن أويس، قال: تركته رث البيت قليل المتاع، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُراد ثم من قُرن، كان به برص قَبِراً منه، إلا موضع درهم، له والدّة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فأفعل، فأتى أويساً فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح، فأستغفر لي، قال: لقيت عمر؟ قال: نعم، فأستغفر له، ففطن له الناس فأطلق على وجهه. قال أُسَير: وكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البُرْدَةُ؟». مسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني عليه السلام، رقم الحديث (٢٥٤٢/٢٢٥)، ١٩٦٩/٤.

- (١) عبارة «أقام.. إلخ»، في (م): «أقام عمر وعلي عليهما السلام»، وفي (ع): «أقام عمر وعلي».
- (٢) هو أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني اليميني العابد، كان من جُلّة التابعين ومن أولياء الله الصادقين، اختلفوا في سنة وفاته فقيل: إنه توفي زمن عمر عليه السلام، وقيل: إنه استشهد في معركة صفين وهو يقاتل في صفوف علي بن أبي طالب عليه السلام. ابن الجوزي، الصفة، ٤٣/١. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢٧٨/١.
- (٣) في (م) و(ع): «هلك».
- (٤) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (ع): «قام على أبي قبيس». وأبو قبيس جبل مشرف على مكة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٠٦٦/٣.

- (٦) كلمة «وقال» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) عبارة «طويل اللحية» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «إنّا لا ندري ما أويس».
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «ليرعى».
- (١٢) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «وقال».
- (١٥) عبارة «قريب.. إلخ»، في (م) و(ع): «قريب منا هو».
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «فأين».
- (١٨) في (م) و(ع): «بأراك».
- (١٩) في (م) و(ع): «عرفات».
- (٢٠) في (م) و(ع): «وإبله حوله ترعى».
- (٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

الرعاية ولا عن^(١) الإجارة، ما أسمك؟ قال: عبد الله. قالوا: قد عرفنا^(٢) أن هذا أسم من في السموات ومن في^(٣) الأرض كلهم عبيد الله تعالى، فما أسمك الذي سمتك به أمك؟ قال: يا^(٤) هذان ما تريدان من ذلك^(٥)؟ قالوا: وصف لنا محمد ﷺ أويماً القرني، فقد عرفنا الصهوبة والسهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيمن^(٦) لمعة بيضاء فأوضحها لنا، فإن كانت بك فانت هو. فأوضح منكبه فإذا اللمة، فأبتدرا يقبلانها^(٧)، فقالا^(٨): نشهد أنك أويس القرني فاستغفر لنا يغفر الله لنا ولك^(٩). قال: ما أخص بأستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه لمن^(١٠) في البر والبحر^(١١) من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، فمن أنتما يا هذان فقد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري^(١٢)؟ فقال علي عليه السلام^(١٣): أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب. فاستوى أويس قائماً وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا ابن أبي^(١٤) طالب، فجزاكم الله خيراً عن هذه الأمة^(١٥). قالوا: وأنت فجزاك الله عن نفسك [١٦٤] خيراً. فقال عمر رضي الله عنه^(١٦): مكانك يرحمك الله^(١٧) حتى أدخل مكة فأتيتك بنفقة من عطائي، وفضل كسوة من ثيابي، وهذا المكان الميعاد^(١٨) بيني وبينك. قال: يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك، لا أراك بعد اليوم تعرفني، و^(١٩) ما أصنع بالنفقة و^(٢٠) ما أصنع بالكسوة؟ أما ترى نعلي مخصوفتين^(٢١) متى تراني أبليهما! أما تراني أخذت من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها! يا^(٢٢) أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك^(٢٣)

(١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «علمنا».

(٣) عبارة «من في» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) عبارة «من ذلك»، في (م) و(ع): «إلي».

(٦) في (م) و(ع): «الأيسر»، إلا أن ما روي من أحاديث في هذا الشأن لم تُشير إلى الجانب الذي بقي فيه أثر البرص.

(٧) في (م) و(ع): «يقبلانه».

(٨) في (م) و(ع): «وقالا».

(٩) في (م) و(ع): «يغفر الله لك».

(١٠) في (م): «في البحر والبر».

(١١) عبارة «فمن أنتما.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا هذان قد شهر الله لكما حالي وعرفكما أمري فمن أنتما».

(١٢) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «فجزاكم.. إلخ»، في (م) و(ع): «كذلك فجزاكم الله عن هذه الأمة خيراً».

(١٥) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «يرحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «ميعاد».

(١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) خَصَفَ النعل يخصفها خَصْفاً: ظاهر بعضها على بعض وخرَّها. ابن منظور، اللسان، «خصف»، ٧١/٩.

(٢٠) في الأصل «بد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «وبين يديك».

عقبة كؤوداً^(١) لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول، فخفف رحمك الله تعالى^(٢). فلما سمع عمر مقالته^(٣) ضرب بيده الأرض وقال منادياً بأعلى صوته: ألا ليت أم عمر لم تلده، ألا^(٤) ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها. ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ أنت هاهنا^(٥) حتى آخذ أنا هاهنا^(٦)، فولى عمر عليه السلام^(٧) ناحية مكة، وساق أويس عليه السلام^(٨) إبله فوافى القوم بإبلهم^(٩) وخلى عن الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله ﷻ، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم، آمين آمين يا رب العالمين^(١٠) شعر^(١١):

تُحَذُّ شَامَةَ الْبَنَانِ مِنْ نَعْمَانٍ وَالسَّمَرِ^(١٢)
بَانُوا بِزَهْرِ النُّجُومِ الطَّالِعَاتِ فَمَا^(١٤)
وَأَيُّ نُورٍ يَشِيمُ^(١٥) الْعَيْنِ مِنْ طَلَلٍ
صَاحَ الْغُرَابُ بِهِمْ لِلْبَيْنِ^(١٨) فَأَفْتَرَقُوا
وَمِنْ جُفُونِي دِمَاءٌ لِلْغُرَابِ^(٢٠) وَلَمْ
يَا هَذِهِ طَالَ تِسْهَادِي وَأَقْصَرَ عَنْ
فَلَيْسَ فِي الْوَطَنِ الْمَهْجُورِ^(١٣) مِنْ وَطَرٍ
فِي الرُّبْعِ مِنْ مَعْنَى وَلَا فِي الرُّوْضِ مِنْ زَهَرٍ
أَمْسَى خَلَاءً بَلَا نَجْمٍ^(١٦) وَلَا قَمَرٍ^(١٧)
طَرَعَ النَّوَى لَيْتَ لَمْ يَنْتَعِقْ^(١٩) وَلَمْ يَطْرُ
يَخْكُمَ عَلَى النَّوَى إِلَّا يَدُ الْغَدْرِ [٦٤ب]
هَذَا اللَّوَا حِي^(٢١) فَمَا فِي اللَّيْلِ مِنْ قِصَرٍ

- (١) عقبة كؤود: شاقة المصعد، صعبة المرتقى. ابن منظور، اللسان، «كاد»، ٣/٣٧٤.
- (٢) في (م) و(ع): «يرحمك الله».
- (٣) في (م) و(ع): «كلامه».
- (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «من هاهنا».
- (٦) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) عبارة «رضي الله عنهم» إلخ ساقطة في (م)، وعبارة «عز وجل.. إلخ» ساقطة في (ع).
- (٨) عبارة «رحمهم» إلخ ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «إبلهم».
- (١٠) في (م) و(ع): «إلخ» ساقطة في (ع).
- (١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «السهر»، والتصويب من (م) و(ع). ونعمان: هو نعمان الأراك وهو بين مكة والطائف، ونعمان وإد سكنه بنو عمرو بن الحارث بين أدناه ومكة نصف ليلة، ونعمان أيضاً: حصن من حصون زبيد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥/٢٩٣. والسمر جمع السمرة، بضم الميم، من شجر الطلح. ابن منظور، اللسان، «سمر»، ٤/٣٧٩.
- (١٣) في الأصل: «المجهول»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «فيما»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «تسيم». وشتت مخايل الشيء: إذا تطلعت نحوها ببصرك متظراً له. ابن منظور، اللسان، «تسيم»، ١٢/٣٣٠.
- (١٦) في الأصل: «أنجم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «زهر».
- (١٨) في الأصل: «للحين»، وهي من (م) و(ع).
- (١٩) في (م) و(ع): «ينعب».
- (٢٠) عبارة «دماء للغراب»، في الأصل: «ماء للفرات»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢١) في (م): «عدل اللواحي»، وفي (ع): «عدل اللواحي».

وَحَاَنَسِي كُلَّ خِلٍّ^(١) كُنْتُ آمِلُ أَنْ
فَمَا تُرِيدُ^(٢) الْعِدَى مِنِّي وَمَا لَهُمْ
إِنْ كَانَ قَرِطٌ جُنُونِي فَبِكَ عِنْدَهُمْ
قَدْ جُنَّ مَنْ هُوَ مِنْ^(٤) عَقْلٍ عَلَى يُقَّةٍ
لَوْلَاكَ مَا أَبْتَنَعَ بِالْعَقْلِ^(٥) الْجُنُونُ بِكُمْ
وَلَا وَقَفْتُ عَلَى أَظْلَالٍ دَارَكُمْ

أَلْقَى بِهِ الْخَطْبَ حَتَّى خَانَ مُضْطَبِرِي
عِنْدِي^(٣) وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي الْهَوَى ضَرَرِي
ذَنْبِي فَمَا أَنَا مِنْ ذَنْبِي بِمُغْتَلِبٍ
فَكَيْفَ مَنْ هُوَ فِي جَهْلٍ عَلَى خَطَرٍ
قَلْبِي وَلَا بَاعَ طَرْفِي النَّوْمَ بِالسَّهْرِ
أَبْكِي وَأَتَيْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ
[بحر البسيط]

يَا عَجِبًا^(٦) مَا فِي الْمَجْلِسِ أَدُنَّ مَعِي^(٧)، يَا أَهْلَ الْأَحْزَانِ أَيْنَ مِنْ يَبْكِي مَعِي، أَيْنَ الَّذِينَ
تَلَهَّفُوا عَلَى فَوَاتِ الْمَطْلُوبِ^(٨) بِالْأَدَمِ، أَيْنَ أَسْمَاعُ^(٩) الْعَارِفِينَ أَيْنَ مَنْ يَسْمَعُ أَيْنَ مَنْ يَعِي،
كَأَنِّي بِالْغَافِلِ وَقَدْ^(١٠) طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَمَا^(١١) غَرِبَتْ حَتَّى نَعِي^(١٢)، يَا عُرُوسَ التَّوْبَةِ إِذَا
لَمْ تَجِدِي خَطَأًا فَتَبْرَقِي، يَا نَفْحَةَ الْأَحْبَابِ سِيرِي بِأَنْفَاسِ الْمُحِبِّينَ وَتَضَوَّعِي^(١٣)، يَا رِيحَ
الْقَبُولِ قَبْلِي^(١٤) قَلْبُ الْمَشُوقِ وَلَا شَوَاقِهِ^(١٥) تَفْجَعِي، يَا مِنْ أَعْمَاءِ الْهَوَى فَاسْتَوَى عِنْدَهُ مِنْ نَعَى
وَمِنْ نَعِي، كَمْ دَعَاكَ دَاعِي الْمَشِيبِ وَيَحْكُ فَلَمْ تَسْمَعْ^(١٦)، غَرَّكَ فُضَاءُ^(١٧) الْفَنَاءِ وَمَا لَكَ إِلَّا
ثَلَاثَةٌ أَذْرَعُ، شَبَابُكَ بِالْقَوَى عَامِرَةٌ وَجَاءَ الْمَشِيبُ بِالْخَرَابِ الْبَلَقِعُ، مَا يَنْفَعُ الْحُزْنَ عَلَى الْفَائِتِ
وَلَا تَفْجَعُ الْمَتَفَجِّعَ^(١٨)، إِذَا فَاتَكَ الْمَجْلِسُ^(١٩) فَمَا لَكَ فِي رِفَاقِ الثَّائِبِينَ مِنْ^(٢٠) مَطْمَعٍ، فَقُلْ
لَهَا وَيَحْكُ أَقْصَرِي وَأَرْجَعِي، الشَّيْبُ وَالْعَيْبُ وَالتَّسْوِيفُ فَعُدَّ [١٦٥] وَيَحْكُ عَنْهُمْ وَدَعِ، أَسْبَلْ

- (١) فِي الْأَصْلِ: «مَنْ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٢) فِي الْأَصْلِ: «فِيمَا يَرِيدُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٣) فِي (م) وَ(ع): «تَفْعِي».
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «فِي».
- (٥) فِي الْأَصْلِ: «فِي الْعَقْلِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «وَأَعَجِبًا».
- (٧) فِي (م) وَ(ع): «تَعِي».
- (٨) عِبَارَةٌ «عَلَى فَوَاتِ الْمَطْلُوبِ»، فِي الْأَصْلِ: «عَنِ الْمَطْلُوبِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٩) فِي (م): «سَمَاعٌ».
- (١٠) فِي (م) وَ(ع): «وَمَا».
- (١١) فِي الْأَصْلِ: «يَعِي»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٢) فِي الْأَصْلِ: «وَتَضَرَّعِي»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٣) فِي الْأَصْلِ: «قَلْبِي»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٤) فِي الْأَصْلِ: «وَبِأَشَوَاقِهِ»، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٥) عِبَارَةٌ «وَيَحْكُ... إلخ»، فِي (م): «فَلَمْ تَعِ».
- (١٦) فِي الْأَصْلِ: «فُضَاءُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٧) عِبَارَةٌ «وَلَا تَفْجَعُ الْمَتَفَجِّعَ»، فِي (م) وَ(ع): «وَلَا تَوْجِعُ الْمَتَوْجِعَ».
- (١٨) فِي (م) وَ(ع) زِيَادَةٌ: «وَلَمْ تَبِ».
- (١٩) فِي (م) وَ(ع) زِيَادَةٌ: «وَلَمْ تَبِ».
- (٢٠) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (ع).

ويحك عبرات الأسف وقل^(١) بكى بعضي على بعضي معي، دموع الحسرات في الآخرة تذيب الحديد، ﴿يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

ضل قوم في السفر^(٢) عن الطريق، فاسترشدوا راهباً قد^(٣) أشرف من صومعته فقالوا: أين الطريق؟ فأشار بيده إلى السماء. فقالوا: إنا سألناك عن الطريق أفتجيبنا^(٤). قال: سلوا ولا تُكثروا، فإن النهار لن يرجع، والعمر لن^(٥) يعود، والطالب حثيث^(٦). فقالوا: أوصنا^(٧). قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ^(٨) البغية. ثم أرشدهم إلى المحجة^(٩) وأدخل رأسه في صومعته^(١٠). شعر^(١١):

يا صَاحِبِي^(١٢) أَطِيلَا فِي مُؤَانَسَتِي
وَحَدَّثَانِي حَدِيثَ الْخَفِيفِ^(١٤) إِنْ بِهِ
مَا ضَرَّ رِيحَ الصَّبَا لَوْ نَأَسَمْتُ^(١٥) حُرْقِي
دَاءٌ تَقَادَمَ عِنْدِي مَنْ يُعَالِجُهُ
يَمْضِي الزَّمَانُ وَأَمَالِي مُضَيَّعَةٌ^(١٦)
وَاضْيَعَةُ الْعُمُرِ لَا^(١٨) الْمَاضِي أُنْتَفَعْتُ بِهِ

وَنَاشِدَانِي^(١٣) بِخِلَانِي وَعُشَّاقِي
رَوْحاً لِقَلْبِي وَتَسْهِباً لِأَخْلَاقِي
فَأَسْتَنْقَذْتُ مُهْجَتِي مِنْ أَسْرِ أَشْوَاقِي
وَحَبِئَةً لَدَعْتُ قَلْبِي مَنْ الرَّاqِي
مِمَّنْ أَحْبَبَ عَلَى مَظِلِّ وَإِمْلَاقِ^(١٧)
وَلَا حَصَلْتُ عَلَى شَيْءٍ^(١٩) مِنَ الْبَاقِي

[بحر البسيط]

(١) في الأصل: «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «إنا سألوك أفتجيبنا».

(٥) في (م) و(ع): «لا».

(٦) أي أن ملك الموت لا يفتأ يحثهم ويستعجلهم باتصال.

(٧) عبارة «فقالوا: أوصنا»، في (م) و(ع): «قالوا فأوصنا».

(٨) في (م) و(ع): «يلغ».

(٩) المحجة: الطريق. ابن منظور، اللسان، «حجج»، ٢٢٨/٢.

(١٠) القصة ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد، ١٢٤/٣.

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والأبيات للحسن بن علي بن عبد الله بن محمد، أبو علي (ت ٥٥١هـ - ١١٥٦م). انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٧/١٤.

(١٢) في (م) و(ع): «صاحباي».

(١٣) في الأصل و(م): «وأنشداني»، والتصويب من (ع).

(١٤) في الأصل: «وحدثني حديث»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «سمعت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) عبارة «وأمالي مضیعة»، في (م) و(ع): «وأيامي مصرمة».

(١٧) الإملاق: الافتقار. ابن منظور، اللسان، «ملق»، ٣٤٨/١٠.

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «علم».

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإليه ترجع الأمور، سبق القبل وجوده ومن سواه^(١) غير موجود ﴿فَأَنبِئْهُمْ أَنَّهُمْ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾^(٢)، جعل العالم صوراً كالخيال يحركها^(٣) بخيوط أقدار خفيت عن الظهور، ضرب دونها حجاب العجز [٦٥ب] فلا يفهم سرّها الناظر ولا المنظور، هي أموات في الحقيقة وحركتها إلى الوجود زور^(٤)، فعند كشف الغطاء يعلم أن لا فاطر^(٥) سواه وما^(٦) سواه مفطور، إن ادّعى الكسب فبدعواه وكيف يدّعي الكسب من هو مقهور^(٧)، بعوضة قتلت نمرود فإذا هو^(٨) على أرض الموت يخور، أين فرعون وهامان وقارون في مهواة^(٩) الخسف يدور، أين عاد وثمود ومن كان في ملكه يعدل و^(١٠)يجور، كم أمّلوا المقام على قنطرة الدنيا أما علموا أنّها للعبور، خذلهم حسام الحمام فإذا هم في ظلمة القبور^(١١)، عمرت بهم قبورهم وخربت من أوانسهم القصور، نسوا سرعة الصّرة^(١٢) أما^(١٣) علموا أنّ الدوائر تدور، ويا أطروش^(١٤) الغفلة ويا مقبّداً بالشهوات^(١٥) يا مأسور، هذا المشيب غير قواك وقد حدثت بعد الأمور أمور، ستبكي والله بدموع الحشرات لو أرسلت فيها سفن^(١٦) كانت تمور^(١٧)، بكاء حيث لا ينفع وكيف يسعى إلى نيل مراده مكسور، فيا معشر^(١٨) المذنبين أسقوا دَمَنَ الهرم بعزائم ماء التوبة قبل أن تغور^(١٩)، كم ناداكم المولى

- (١) عبارة «ومن سواه» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٢) قوله: ﴿فَاتَّبَعَ الْبَصَرُ هَلْ تَرَى مِنْ لُطُوفٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الملك، آية ٣. والمعنى: اردد طرفك إلى السماء هل ترى من شقوق وخلل ووهن. القرطبي، الجامع، ٢٠٨/١٨.
(٣) في (م) و(ع): «يجركهم».
(٤) في (م) و(ع): «هي موات في الحقيقة وحركاتها إلى الموجود زور». وقوله: هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اأَنْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَكَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَكٍ أَمْرًا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَجِفَافًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١١ - ١٢].
(٥) فطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبداهم. والفطرة: الابتداء والاختراع. ابن منظور، اللسان، «فطر»، ٥٦/٥.
(٦) في (م) و(ع): «من».
(٧) عبارة «من هو مقهور»، في (م) و(ع): «مقهور». والمعنى: مقهور بالموت.
(٨) في (م) و(ع): «به».
(٩) المَهْوَاة: موضع في الهواء مُشْرِفٌ ما دونه من جبل وغيره، والمَهْوَى والمَهْوَاة ما بين الجبلين ونحو ذلك. ابن منظور، اللسان، «هوا»، ٣٧٠/١٥.
(١٠) في (م) و(ع): «أو».
(١١) في (م) و(ع): «فإذا بهم في ظلمات القبور».
(١٢) الصَّرْع: الطرح بالأرض. ابن منظور، اللسان، «صرع»، ١٩٧/٨. والمقصود بها هنا الموت.
(١٣) في (م) و(ع): «ما».
(١٤) في (م) و(ع): «فيا مطروش».
(١٥) في (م) و(ع): «بالشهوة».
(١٦) في (م) و(ع): «سفينة».
(١٧) في الأصل: «قصور»، والتصويب من (م) و(ع). ومار يَمُور موراً: إذا جعل يذهب ويجيء ويتردد. ابن منظور، اللسان، «مور»، ١٨٦/٥.
(١٨) في (م) و(ع): «يا معاشر».
(١٩) في (م) و(ع): «يغور». وغار الماء غوراً: ذهب في الأرض وسَقَلَ فيها. ابن منظور، اللسان، «غور»، ٣٤/٥.

ولكن^(١) لا تسمعون، وكيف يسمع النداء محضور^(٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُودُ﴾^(٣)، فسبحان من يقضي ولا يقضى [١٦٦] عليه و^(٤) هو في قضائه لا يجور، أحمدته حمداً أنال به الفوز^(٥) يوم النشور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة على تحقيقها أحوم وأدور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جابر شعب الإيمان بعد أن كان مكسور، صلى الله عليه^(٦) وعلى آله وأصحابه أنهار العلم بل البحور.

ويحك بعد المشيب تلهو يا من قلبه قد مات، ظاهره أبيض نقي^(٧) وقلبك أظلم من الظلمات، كم لك تجمع الذنوب ويحك متى تجمع^(٨) الحسنات، أمتلاً بك الدستور بما^(٩) فيه من الحسرات، ما^(١٠) تقول عند قراءته أو إذا جاءتك السكرات، يا من نزل عن شاهق الأربعين أما تندم على ما فات، قد آن وقت الرّحيل فلا كانت التّبعات، ويحك بلذة ساعة ضيّعت عمرك بالغفلات، ولّى زمان الصّبا وكأنك بالهرم آت، لا كان زمان الهجران و^(١١) لا كان وقت^(١٢) المخالفات، تبني وتجمع كأنك باقي^(١٣) هيهات، لو كان عقلك موفوراً^(١٤) لازمت الوقوف بالباب أتمّ الملازمات، أملك في الهند وكفنتك في صندوقك^(١٥) فكم في الأفراح من آفات، لمّا أعتراك خناق المشيب^(١٦) وذات جنب الهرم^(١٧) أقبلت تطلب المداوات، ضيّعت باقي العمر لمّا أنقطعت زاوية الشباب يا من أنقطعت^(١٨) عنه السعادات، يا مكسور الخطايا هذا شعاب التوبة بادر قبل الوفاة^(١٩)، وتحدث بعد الأمور أمور، [٦٦ب] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُودُ﴾^(٢٠).

- (١) في (م) و(ع): «ولكنكم».
- (٢) في (م) و(ع): «وكيف يسمع ذهاب العقل مخمور». والعرب تقول: اللبن محتضر ومحضور؛ أي كثير الآفة، يعني يحتضره الجن والدواب وغيرها. ابن منظور، اللسان، «حضر»، ١٩٩/٤. والمعنى: كيف يسمع الوعظ ويستجيب لندائه من تلبسته الشياطين، فأبعدته عن الصراط المستقيم، وزينت له الدنيا الزائلة، فسكر بزخارفها الباطلة، وعمي عن الحق وأهله.
- (٣) سورة لقمان، آية ٣٣، وفي (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُودُ﴾ [فاطر: ٥].
- (٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٦) عبارة «ويحك متى تجمع»، في (م) و(ع): «أما تجمع».
- (٧) في (م) و(ع): «ماذا».
- (٨) في (م) و(ع): «ماذا».
- (٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) عبارة «كأنك باق» ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «موقوفاً». والموقوف: الشيء التام. ابن منظور، اللسان، «وفر»، ٢٨٨/٥.
- (١٢) في (م) و(ع): «الشباب».
- (١٣) في (م) و(ع): «الجناب».
- (١٤) في (م) و(ع): «الجناب: القرب. وذات الجنب يعني الذي يقرب منك ويكون إلى جنبك. ابن منظور، اللسان، «جنب»، ٢٧٥/١، ٢٧٦.
- (١٥) في (م) و(ع): «ولّت».
- (١٦) في (م) و(ع): «النفات».
- (١٧) الآية في (م) و(ع): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُودُ﴾ [فاطر: ٥].

قال حمّاد^(١) رحمه الله تعالى: «كانت امرأة من المتعبّذات لها أيتام فوكف^(٢) السّقف عليها^(٣) في يوم مطر فسمعتها تقول: يا رفيق إرفق بي فسكن المطر، فأخذت عشرة دنانير وحملتها إليها، فقالت صبية من الأيتام عليها مدرعة من^(٤) صوف: لا^(٥) حمّاد، لا تتعرّض بيننا وبين ربنا ﷻ^(٦)، ثم قالت: يا أماء قد علمنا أنّه لمّا شكونا^(٧) مولانا أنّه سيعث لنا^(٨) الدنيا ليطرдна عن بابهِ، وألصقت خدّها بالتراب متضرّعة إلى الله ﷻ^(٩) ليرضى عنها» شعر^(١٠):

أَسْمَخْتُ أَنْ يَبْقَى الْفُؤَادُ بِدَائِهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَطْعَمْتَهُ بِدَوَائِهِ
أَوْعَدْتَهُ^(١١) بِالْوَضَلِ ثُمَّ تَرَكْتَهُ حَيْرَاناً بَيْنَ مَطَالِهِ وَوَقَائِهِ
أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَزْيَابَ الْهَوَى أَشْرَى^(١٢) لِقَرْطِ سَقَامِهِ وَبِلَائِهِ
يَا مَنْ يَتِيهِ عَلَى الْوُجُودِ بِحُسْنِهِ إَغِطْ عَلَى الصَّبِّ الْمَشُوقِ الثَّائِهِ
أَضْحَى يَخَافُ مِنْ أَخْتِرَاقِ فُؤَادِهِ أَسْفَاً لِأَنَّكَ مِنْهُ فِي سَوْذَائِهِ^(١٣)

[بحر الكامل]

ما ألد شراب وعظي، كل يوم أفتح دناً من فضّ ختامه فأدير منه في أقداح العبارة على السامعين ما يخرجهم من الطرب إلى الوجد^(١٤)، فلذلك تراهم سكارى يتواجدون؛ هذا مرّق ثوبه لثوابه، وهذا رمى بطيلسانه^(١٥) في طيّ لسانه، وهذا يذكر محبوبه فيشاق إلى لقائه^(١٦) [١٦٧]

(١) في (م) و(ع): «قال حماد بن سلمة». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٥٠/٤. وحماد: هو حماد بن سلمة بن دينار البصري، يكنى أبا سلمة مولى لبني تميم. كان عالماً زاهداً فصيحاً مفوهاً إماماً في العربية صاحب سنّة له تصانيف في الحديث، توفي سنة ١٦٧هـ - ٧٨٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ٣٦١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٢٦٢.

(٢) في الأصل: «فوطف»، وهي من (م) و(ع). وكف البيت: هطل وقطر، وكذلك السطح. ابن منظور، اللسان، «وكف»، ٣٦٣/٩.

(٣) في (م) و(ع): «عليهم».

(٤) في (م) و(ع): «يا».

(٥) عبارة «أنه لما شكونا»، في (م) و(ع): «لما شكرنا»، وهو تصحيف.

(٦) في (م) و(ع): «إليتنا».

(٧) عبارة «عز وجل»، في (م): «تعالى»، وهي ساقطة في (ع).

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «واعدته».

(١٢) في الأصل: «أهوى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) البيتان الأخيران لمحمد بن إبراهيم بن ثابت، أبي عبد الله المصري الكيزاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ - ١١٦٦م. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ٥٦١ - ٥٧٠هـ، ص ١٣٤.

(١٤) في الأصل: «الواجد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) الطيلسان: ضرب من الأكسية. ابن منظور، اللسان، «طلس»، ١٢٥/٦.

(١٦) عبارة «فيشاق إلى لقائه»، في (م) و(ع): «فيشاق».

وهذا يرقص من الطرب، والحاسد وإبليس ما شربا منه قطرة، في كل مجلس يأخذ وعظي بمخائق إبليس فيبقى طريحاً^(١)، بل في هذا المجلس أصابه سهم فهو ملقى على الباب لا يعقل.

إلهي إن لم أصلح للإصلاح فإنني متوسِّل^(٢) إليك بمن صلح وأصلح، إلهي إنني متوسِّل^(٣) إلى رحمتك^(٤) برحمتك، وإلى فضلك بفضلك^(٥)، وإلى لطفك بلطفك، الطف بنا في غربة^(٦) القبر إذا نسينا الذاكرون برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً^(٧).



(١) في الأصل: «طرحاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «أتوسِّل».

(٣) عبارة «إنني متوسِّل»، في (م) و(ع): «أتوسِّل».

(٤) عبارة «إلى رحمتك» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «ظلمة».

(٧) عبارة «وصلّى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل التاسع

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي ظهر بالقدرة فلا تدركه^(١) العيون، واحد لا من عدد^(٢) جلّ عن تصوّف فعل كان أو^(٣) يكون، صمد صمدت^(٤) إليه الموجودات فأرزاقهم^(٥) في كفاية كفالتة مدموج و^(٦) مضمون، خلق الأرواح قبل الأشباح بسر من الحكمة مصون^(٧)، أسكنها ظلم^(٨) الأحشاء لينفرد بالعزة ومن سواه بالهون، نشر روض^(٩) إيوان السماء على الفلك مرصعاً بالنجوم لنزهة العيون، فمنها^(١٠) دلائل للمهتدي ورجوم للشياطين إذ^(١١) هم يسترقون، و^(١٢) دحا الأرض على بحر زاخِر والبحر على صخرة والصخرة على النون^(١٣)، فجّر فيها أنهاراً وأنبت^(١٤) منها حبّاً فمنه يأكلون^(١٥)، أمر الكل بخدمته فخدامه^(١٦) أعطاهم فوق ما يسألون، أمثلوا قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٧)، وقوم قيّدهم عن^(١٨) بابه فهم في تيه الشقاء ما يبرحون، صمّت آذانهم وبعيون بصائرهم لا يبصرون، غلبت عليهم شهواتهم فهم على [٦٧ب] مجاهدتها لا ينصرون، كم لهم تحت اللّهود من حشرات يودّون لو^(١٩) أنّهم يرجعون، وبعد

(١) في (م) و(ع): «تمائله».

(٢) في الأصل: «مدد»، والتصويب من (م) و(ع). والمعنى: يستحيل عليه سبحانه التجزئة في الذات والصفات.

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: يستحيل على الله ﷻ الحوادث التي يطرا عليها العدم ثم تكون.

(٤) صمّده صمداً: قصده واعتمده. والصمد: من صفاته تعالى وتقدّس لأنه أضحيت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره. ابن منظور، اللسان، «صمد»، ٢٥٨/٣.

(٥) في (م) و(ع): «فأرزاقها». (٦) كلمة «مدموج» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) قوله: «خلق الأرواح.. إلخ»، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١]. ابن الجوزي، زاد المسير، ١٧٢/٣.

(٨) في (م) و(ع): «مظلم».

(٩) في (م) و(ع): «رواق».

(١٠) في (م): «ومنها»، وفي (ع): «فيها».

(١١) في (م) و(ع): «إذا».

(١٢) (١٣) قوله: «ودحى الأرض.. إلخ»، رواية ذكرت في جامع القرآن للقرطبي، ٢٥٦/١، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْوَأَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩] وهي من الروايات التي لا أصل لها، ولعلها من الروايات الإسرائيلية.

(١٤) في (م) و(ع): «فأنبت».

(١٥) في (م) و(ع): «منه تأكلون».

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

ذلك أهوال الحساب يا ليتهم لم^(١) يخلقون، ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يَوْمَئِذٍ يَمْسُرُ الْمُبْطِلُونَ وَرَأَى كُلُّ أَثَرٍ جَائِيَةً كُلُّ أَثَرٍ دُعَىٰ إِلَيْكَ كَيْفَهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

يا هذا من أنقطع في صحراء القبر بلا زاد هلك^(٣) هلاك الأبد، يا تائها في ظلمة هواه مالك بصيرة المرصد^(٤)، ويحك كم تحيد عن الجادة أرى في عينك الرمد^(٥)، أوقد مصباح التَّقْوَىٰ فَيَتَبَّعُ الشَّقَاءَ مَا لَهُ^(٦) حدّ، أطلب رفقة التائبين عساك لطريقهم ترشد، من قاد زمام نفسه بالشهوة^(٧) لم ينتبه إلّا على شفير النّدم ولهيب قد توقّد^(٨)، نهار الخفّاش كله ليل والفرّاش يحرق نفسه فشملة قد تبدّد^(٩)، أندب على بعاذك يا مطرود فمثلك من بكى وعدّد^(١٠)، اعتذر يا مهجور عساك بالذلّ تسعد، يا من مات قلبه وشمله بالمعاصي تبدّد، قلب لا يقبل الموعظة قلب^(١١) رديّ ما أراه يسعد، كم لك على المعاصي من إصرار في كل يتجدّد^(١٢)، جسم عامر وقلب خراب وهو بالقساوة قد جمّد^(١٣)، ولّى زمان الشباب في الغفلة وفي المشيب تعصي كأنك مخلّد، أين من ملك من الملوك^(١٤) وحصّن الحصون وجنّد، أين من صدر إلى القبور وبعد^(١٥) ما ورد، فما منعهم من القضاء العدّد ولا العدّد^(١٦) فتراهم في الحشر^(١٧) كأس الأسف يشربون، ﴿كُلُّ أَثَرٍ جَائِيَةٌ كُلُّ أَثَرٍ دُعَىٰ إِلَيْكَ كَيْفَهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قال أبو الحسن [١٦٨] الفارسي رحمه الله تعالى^(١٨): «بلغنا أنّ رجلاً من أصحاب ذي النون المصري^(١٩) أصيب بغفلة، فكان يطوف ويقول: أين^(٢٠) قلبي؟ أين من وجد قلبي^(٢١)؟»

(١) في (ع): «لا».

(٢) سورة الجاثية، آية ٢٧ - ٢٨.

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) في (ع): «المرصد». والمرصد كالرصد وهو المراقبة، رصده رصداً ويرصده: يرقبه. ابن منظور، اللسان، «رصد»، ١٧٧/٣، ١٧٨.

(٥) عبارة «في عينك الرمد»، في (م) و(ع): «في عينيك رمد».

(٦) عبارة «ما له» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «ولهيب قد توقّد»، في (م) و(ع): «ولهيبه قد وقّد».

(٩) الخفّاش: طائر يطير بالليل لأنه يَشْتَقُّ عليه ضوء النهار. والفَرّاش ما تراه كصغار البقّ يتهافت في النار. ابن منظور، اللسان، «خفش»، ٢٩٩/٦، و«فرش»، ٣٣٠/٦.

(١٠) بكى وعدّد: أي جعل بكاءه ذا عدد.

(١٢) في (م) و(ع): «مجّد».

(١٤) عبارة «من الملوك» في (م) و(ع): «الأموال».

(١٦) العدّد: أي كثرة الأنصار والأعوان، والعدّد ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسلاح.

(١٧) في (م) و(ع): «المحشر».

(١٨) في (م) و(ع): «قال الحسن الفارسي»، والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٣٠/٤.

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) عبارة «أين من وجد قلبي» ساقطة في (م) و(ع).

والصبيان يتبعونه ويقذفونه بالحجارة فدخل يوماً^(١) بعض سكك مصر، وقد هرب من الصبيان، فجلس يستريح ساعة إذ سمع بكاء صبيّ تضربه والدته ثم أخرجته من الدار وأغلقت دونه الباب، فجعل الصبي يلتفت يميناً وشمالاً لا يدرى أين يذهب وإلى أين يقصد، فلما سكن ما به عاد ناكصاً على عقبيه^(٢) حتى رجع^(٣) إلى باب دار أمه^(٤)، فوضع خدّه على باب^(٥) الدار، فذهب به النوم، ثم أنتبه فجعل يبكي ويقول: يا أمّاه من يفتح لي الباب إذا غلقت بابك عني^(٦)؟ ومن يدنيني بعد أن غضبت^(٧) عليّ؟ قال: فرحمته أمه فقامت^(٨) فنظرت من خلل^(٩) الباب، فوجدت ولدها والدموع تجري على خدّه متمعكاً^(١٠) في التراب، ففتحت الباب^(١١) وأخذته ووضعته^(١٢) في حجرها وجعلت تقبله وتقول: يا قرّة عيني و^(١٣) يا عزيز نفسي، أنت الذي^(١٤) حملتني على نفسك، وأنت الذي تعرّضت لما حلّ بك^(١٥)، لو كنت أطعتني لم تر^(١٦) مكروهاً. قال: فتواجد الفتى وصاح حتى أجمع عليه الخلاق^(١٧)، فقالوا: ما الذي أصابك؟ قال: وجدت قلبي، وجدت قلبي^(١٨). فلما بصر بذى النون قال: يا أبا الفيض وجدت قلبي في سكة كذا وكذا عند فلانة سماها^(١٩)، ثم لم يزل إذا تواجد يقول ذلك. شعر^(٢٠):

هل مُنْقِذٌ^(٢١) لأخ الهوى أو مُنْجِدٌ إن أنْهَمُوا بِفَرِيقِهِم أو أنْجَدُوا^(٢٢) [٦٨ب]
أو ما هُم وَعَدُوا^(٢٣) بلإِنْعَادِ النَّوَى عند المقام فأين ذاك المَوْعِد
كُتِمَ الجوى يوم الفراق ودمْعُه فوق الخُدود على الصَّبابة تشهَد^(٢٤)

- (١) عبارة «والصبيان.. إلخ»، في (م) و(ع): «والصبيان قد ولّعوا به يرمونه بالحجارة من كل جانب فقبض أنه دخل يوماً».
- (٢) نكص على عقبيه: رجع عما كان عليه. ابن منظور، اللسان، «نكص»، ١٠١/٧.
- (٣) في (م) و(ع): «حتى إذا رجع».
- (٤) في (م) و(ع): «والدته».
- (٥) في (م) و(ع): «عتبة».
- (٦) في (م) و(ع): «عني بابك».
- (٧) عبارة «بعد أن غضبت»، في (م) و(ع): «إذا غضبت».
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «ظل».
- (١٠) مَعَكَ في التراب يمعك معكاً: ذلك، ومعك تمعكاً: مرّغه فيه. ابن منظور، اللسان، «معك»، ٤٩٠/١٠.
- (١١) عبارة «فوجدت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «حتى وضعته».
- (١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «وأنت الذي قد تعرضت لما قد حلّ بك».
- (١٦) في (م) و(ع): «تلق».
- (١٧) في (م) و(ع): «الخلق».
- (١٨) عبارة «وجدت قلبي» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) في (م) و(ع): «وسماها».
- (٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٢١) في (م) و(ع): «يسهد».
- (٢٢) أنهموا: أي قصدوا تهامة، وأنجدوا: أي قصدوا نجلاً.
- (٢٣) في الأصل: «أو عادوا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٤) في (م) و(ع): «يشهد».

كَمْ ذَا يُغَالِطُ مَنْ يَرَاهُ بَاكِياً^(١)
صَبَّ مَتَى صَانَ الدُّمُوعَ تَجَلُّداً
مَالِي أُمَالِي^(٢) فِي هَوَاهُ عَوَازِلِي
أَخَذَ الْغَرَامَ جَوَانِحِي فَلِعَاذِلِي^(٣)
دَغْنِي أَحُومَ عَلَى الْجِمَى وَأَزُودُهُ
سَلَّ نَارَهُمْ هَلَّا تَجُودَ بِجَذْوَةٍ
وإن اسْتَطَعْتَ فَحْيَهُمْ فِي حَيِّهِمْ
فَهَنَّاكَ يُوجَدُ كُلُّ قَلْبٍ ضَائِعٍ
وَلَكِ الْبَشَارَةُ فِي الْمَعَاهِدِ إِنْ بَدَثَ
أَيَّامَ تُثَحِّفُنِي^(٤) سُلَيْمًا سَلَمَهَا^(٥)

وَيَقُولُ^(٦) خَوْفٌ وَشَايَةٍ يَا أَرْمَدَ
رَجَعَ الشَّهَادَ لَجْفَنِهِ يَتَرَدَّدُ^(٧)
سَيِّانَ عِنْدِي أَبْرُقُوا أَمْ أَرْعَدُوا^(٨)
مِنِّي الْمَغِيبَ وَلِلْغَرَامِ الْمَشْهَدَ
فَيُضِلُّنِي وَلَهْيَ وَرُشْدِي يُرْشِدُ
أَهْدَى بِهَا وَمِيَاهُهُمْ هَلْ تُورَدُ
عَنِّي^(٩) فَإِنِّي عَنْدهُمْ أَتَبَلَّدُ
عَنْ طَالِبِيهِ وَكُلَّ قَلْبٍ يُفْقَدُ^(١٠)
عِنْدَ الْوَقُوفِ بِهَا^(١١) عَلَى مَا أَغْهَدُ
وَسُعَادَ تُسْعِدُنِي وَسُغْدَى تُسْعِدُ

[بحر الكامل]

معاشر^(١٢) السالكون رافقوا^(١٣) التائبين في طلب^(١٤) السماع، تحركوا بالموافقة فلعلَّ يحصل
الاستمتاع^(١٥)، كم من^(١٦) مقرب في الأسباب وكم من^(١٧) منقطع في الانقطاع، يا من^(١٨)
دَسَّ القلب والقالب لذكر الآخرة عندك ضيقٌ ولذكر الدنيا عندك^(١٩) اتساع، أحضر^(٢٠) قلبك

(١) في (م) و(ع): «كم ذا تغالط من تراه باكياً». (٢) في (م) و(ع): «وتقول».

(٣) عبارة «رجع.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد السهاد لجفنه متردد».

(٤) أمالي من الممالات؛ وقد سهلت الهمزة إلى ياء. ومالاته على الأمر ممالاتاً: ساعدته عليه وشايته. ابن منظور، اللسان، «ملا»، ١٥٩/١. والمعنى: يتعجب من ممالاته للعواذل بكتمان هواه رغم أنه لا يخافهم ولا يهتم بوعيلهم وتهديدهم.

(٥) برق الرجل ورعد: تهذد، وإذا أوعد الرجل قِيلَ: أرعد وأبرق، ورعد وبرق. ابن منظور، اللسان، «رعد»، ١٨٠/٣، و«برق»، ١٤/١٠.

(٦) عبارة «جوانحي فلعاذلي»، في (م) و(ع): «جوارحي فلعللي».

(٧) في الأصل: «دعني»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «مفقَد».

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٠) في الأصل: «تلحقني»، وهي من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «سلامها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «معشر».

(١٣) في (م) و(ع): «طيب».

(١٤) في الأصل: «الاستفاعة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في الأصل: «احذر»، والتصويب من (م) و(ع).

في ماتم^(١) الحزن فعساه يُسقى بناضحة^(٢) النَّدَم والاسترجاع، كم لي أداوي قلبك من ألم المعاصي والأوجاع، أرى قلبك في غير جنس القلوب لا يقبل غذاء الوعظ^(٣) إن عطش [٦٩] أو جاع، هذه علامة الهلاك قل لي متى يكون الانتجاع^(٤)، إذا ولّى الشباب في الغفلة والشيخوخة في الكسل فعلامة الهلاك بالإجماع، أستح ويحك من شيبك وأخجل من عيبك ودافع الاندفاع^(٥)، شيب أبيض وقلب أسود قل لي بماذا يكون الانتفاع، ستعلم قلبي إذا فاجأتك سكرات المنون، ﴿وَرَى كُلُّ أُنْفُوسٍ حَالَهُ كُلُّ أُنْفُوسٍ تَدْعُو إِلَىٰ كَيْبِهَا الْيَوْمَ تُجْزَىٰ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

«كان شاب يحضر مجلس ذي النون مدة، ثم أقطع عنه زماناً، ثم حضر عنده، وقد أصفر لونه ونحل جسمه وظهرت عليه آثار العبادة والاجتهاد، فقال له ذو النون: يا فتى ما الذي أكسبتك خدمة مولاك وأجتهادك من المواهب التي منحك الله^(٧) بها، ووهبها لك، وأختصك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ وهل رأيت عبداً أصطنعه مولاة من بين عبيده^(٨)، وأصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن، وأسراً إليه سراً يحسن أن يفشي^(٩) ذلك السر^(١٠). شعر^(١١)».

صَاحَ إِنِّي مِنَ الْهُوَىٰ غَيْرِ صَاحٍ
وَإِذَا لَاحَ مَنْ أَحْبَبْتُ لِعَيْنِي
كَمْ عُدُولَ لِي^(١١) قَالَ لِمَا^(١٢) رَأَاهُ
هُوَ لِي قَاتِلٌ وَمُحْيِي دَلَالاً
وَرَأَتْ جَيْشَ حُسْنِهِ أَغْيُنُ الْـ
يَا صِحَابِي^(١٣) عَلَى الْعُذِيبِ وَقَدْ
هَلْ إِلَى نَظَرَةٍ إِلَيْكُمْ سَبِيلُ
لَوْ مَنَنْتُمْ بِمَرْهَمٍ مِنْ لِمَامٍ
أَيُّنَ مَا مَرَّ مِنْ أَصِيلٍ بِنَجْدٍ

فَهُوَ رَاحِي وَفِيهِ طَابَ أَزْيَاحِي
مَا أَبَالِي بِمَا تَقُولُ اللَّوَّاحِي
مَا عَلَى مَنْ أَحَبَّ ذَا مِنْ جَنَاحٍ
بَيْنَ جَدٍّ مِنْ لَفْظِهِ وَمُزَاحٍ
نَاسٍ فَقَالُوا هَذَا أَمِيرُ الْمَلَاخِ [٦٩ب]
طَالَ غُدُوِّي فِي حُبِّكُمْ وَرَوَّاحِي
بَعْدَمَا قَصَّصْتُ^(١٤) اللَّيَالِي جَنَاحِي
أَوْ سَلَامَ دَاوَى الزَّمَانِ جِرَاحِي
وَضُحَىٰ وَاضِحٍ بَتَلِكِ النَّوَّاحِي

(١) عبارة «قلبك في ماتم»، في (م) و(ع): «ويحك ماتم».

(٢) في (م) و(ع): «بناضحة».

(٣) في (ع): «الموت».

(٤) في (م) و(ع): «الانتجاع».

(٥) في (م) و(ع): «بالاندفاع».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «من بين عبيده»، في الأصل: «بين يدي عبيده»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «يفشو».

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٢٤/٤.

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «صاحب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «قصرت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «قد».

فَاتْنِي^(١) العبد في رُبَاها فَجَفْنِي
وَبِنَفْسِي تلك الديار وأفلو
نَزَحُوا والدُّمُوع قد وَافَقَتْهُمْ^(٣)

يَدَم الدَّمْع قد عَدَا كالأَصْحاح
ها^(٢) وإن حاولوا بِبُغْدِي أَطْرَاحِي
حين بَانُوا عن أَفْقِهِم بَأْتَرِزَاح
[بحر الخفيف]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي لا تدركه الخواطر ولا الأبصار ولا اللحظات، حيٌّ ب حياةٍ ليست كحياة من مآله إلى الممات، قدير بقدرة بها^(٤) ظهر وجود الأرض والسموات، عالمٌ يعلم^(٥) يعلم به ما يهجس في السرائر والضمائر الخفيات^(٦)، مريد بإرادة^(٧) رتب بها المبتدعات والمخترعات، سميع^(٨) يسمع حنين الجنين^(٩) في الأمعاء^(١٠) وجري الماء في الأعواد اليانعات^(١١)، بصير يبصر ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء وأخفى ما يدق عن العبرات^(١٢)، اخترع العالم لا عن مثال ولا عن ترتيب كيفيات^(١٣)، أظهر فيهم من حكمته ما ظهر وكم له من حكم^(١٤) خفيات^(١٥)، جعل الكلَّ مختلفين في الصور والحركات والسكنات، فرق مطالبهم فلا يزالون مختلفين في جميع الحالات، وكيف لا وقد ركبهم في طبائع بالتضاد متنافرات^(١٦)، كسى النفوس من تكوين الاعتراض أحوالاً^(١٧) مختلفات، [١٧٠] قهرهم بهوان الهوى وأذلهم^(١٨)

(١) في الأصل: «فاقتد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «وأهلها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «ورفقتهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «عنها».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «إبرادات»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل و(م)، وهي من (ع).

(٨) في (م) و(ع): «المعاء».

(٩) ينغ الثمر فهو يانع: أذرك ونضج. ابن منظور، اللسان، «ينغ»، ٤١٥/٨.

(١٠) في (م) و(ع): «العبارات». والعبرة: الدفعة قبل أن تفيض أو تردد البكاء في الصدر، أو الحزن بلا بكاء. الفيروزآبادي، القاموس، «عبر»، ص ٥٥٨.

(١١) عبارة «لا عن مثال.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا عن مثال سبق ولا ترتيب كيفيات».

(١٢) في الأصل: «أحكام»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «وكيف لا وتركيبهم من طبائع بالتضاد متنافرات». وقوله هذا هو معنى حديث للنبي ﷺ،

فمن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع

الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسُّهْل

والْحَزْن والخبيث والطيب» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب

تفسير القرآن، باب «ومن سورة البقرة»، رقم الحديث (٢٩٥٥)، ٢٠٤/٥.

(١٤) في (م) و(ع): «أذلها».

(١٥) في (م) و(ع): «أذلها».

بشهوة الشهوات، أقام عليهم^(١) ميزان العمل وأمرهم بمعادات^(٢) العادات، ما أبعد الانسلاخ من قشرة الطبع ومن أنسلخ ظهرت له السَّعادات، فواجد^(٣) وأصل وآخر سالك في تيه الظلمات، هذه أحكام من لا ترد أحكامه بالنقص والزيادات، أخبرنا بذلك ترتيبه تعالى^(٤) في رتب المقامات، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾^(٥).

يا أخخي العمر مبني على الكدر، ما تصفو منه^(٦) ساعة من الغبر^(٧)، الدنيا جيفة من شم ريح شهواتها أستقلر، من زاحم الجيفة تدنس وما عنده خبر، من أثر الفاني على الباقي فجواد عزمه تقتطر^(٨)، إذا هزم^(٩) الهوى العقل فهزيمته^(١٠) لا تتدبر، كم قيل^(١١) خلصته إذا هو في قفص الغلبة أنفهر، ما صفا شراب المحبة للمحبين إلا بدوام أرق السَّهر^(١٢)، فيا^(١٣) من ترك الجادة حتى شاب ستعلم عند الموت ما الخبر، يا من تخلف عن الركب حتى خفي عنه الأثر، يا من يمشي في ظلمات الشهوة^(١٤) حتى تعثر، فيا^(١٥) من ضيع في الغفلة أيام الشَّباب حتى أناخ في مناخ الكبر، يا مطروداً عن الباب يا من عيشه تكدر، كلما طلبت القرب أبعادك و^(١٦) أرى ذلك في جبينك مسطر، من أولى منك^(١٧) بأن^(١٨) تتحسّر، بعث جوهر الشباب بالغفلة أما علمت أنك تخسر^(١٩)، بلذة ساعة رغبت [٧٠] عن الجنة ستندم - والله - إذا تقبر، كم تنكب^(٢٠) عن طريق الهدى^(٢١) متى تقضي من التوبة الوطر، لا حيلة في القضاء و^(٢٢) عقد القدر، بادر الهفوات^(٢٣) قبل الوفاة^(٢٤)، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

- (١) في (م) و(ع): (عليها).
 (٢) في (م) و(ع): (فواحد).
 (٣) في (م) و(ع): (فواحد).
 (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٥) سورة فاطر، آية ٣٢.
 (٦) في (م) و(ع): (عليها).
 (٧) في الأصل: «الخبر»، والتصويب من (م) و(ع). والعبر: البقاء. ابن منظور، اللسان، «غبر»، ٤/٥. والمعنى: أنه لا تصفو لنا ساعة من ساعات بقائنا ومكثنا في هذه الدار.
 (٨) عبارة «فجواد عزمه».. إلخ، في (م) و(ع): «من على جواد عزمه تقتطر».
 (٩) في (م) و(ع): «غلب».
 (١٠) في (م): «قتيل».
 (١١) في (م) و(ع): «غلب».
 (١٢) عبارة «إلا بدوام».. إلخ، في (م) و(ع): «إلا برواق السهر».
 (١٣) في (م) و(ع): «يا».
 (١٤) في (م) و(ع): «يا».
 (١٥) في (م) و(ع): «يا».
 (١٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
 (١٧) في (م) و(ع) زيادة: «بالبكا من أولى منك».
 (١٨) في (م) و(ع): «بأنك تحسّر».
 (١٩) في (م) و(ع): «بأنك تحسّر».
 (٢٠) نكب عنه: عدل، گنگب وگنگب. الفيروزآبادي، القاموس، «نكب»، ص ١٧٨.
 (٢١) في الأصل: «الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).
 (٢٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
 (٢٣) في (ع): «الهوات»، وهو تصحيف.
 (٢٤) في (م) و(ع): «الفوات».

قال يوسف^(١) رحمه الله تعالى: «سَأَلْتُ ذَا النُّونَ مَا كَانَ يَدُوَّ شَأْنِكَ وَمَا كُنْتَ فِيهِ؟ قَالَ: كُنْتُ شَاباً صَاحِبَ لَهْوٍ وَلَعِبٍ، ثُمَّ إِنِّي تَبْتُ وَتَرَكْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَخَرَجْتُ حَاجِاً إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَمَعِيَ بَضَاعَةٌ، فَرَكِبْتُ فِي مَرْكَبٍ مَعَ التَّجَارِ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ^(٢)، وَرَكِبَ مَعَنَا شَابٌ صَبِيحٌ كَأَنَّهُ يَشْرُقُ وَجْهَهُ. فَلَمَّا تَوَسَّطْنَا فَقَدَ صَاحِبَ الْمَرْكَبِ كَيْساً فِيهِ مَالٌ، فَأَمَرَ بِحَبْسِ الْمَرْكَبِ وَفُتِّشَ كُلُّ مَنْ فِيهِ^(٣)، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الشَّابِّ لِيَفْتَشُوهُ وَثَبَ وَثْبَةً مِنَ الْمَرْكَبِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى مَوْجِ الْبَحْرِ^(٤)، وَصَارَ^(٥) لَهُ الْمَوْجُ عَلَى مِثْلِ^(٦) سُرِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَوْلَايَ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَتَّهِمُونِي وَأَنَا^(٧) أَقْسَمُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ قَلْبِي أَنْ تَرِيَهُمْ آيَةً^(٨) مِنْ آيَاتِكَ، أَنْ^(٩) تَأْمُرَ كُلَّ دَابَّةٍ فِي هَذَا الْبَحْرِ أَنْ تَخْرُجَ رَأْسَهَا وَفِي أَفْوَاهِهَا جَوْهَرٌ. قَالَ ذُو النُّونِ: فَمَا تَمْ^(١٠)؟ كَلَامُهُ حَتَّى رَأَيْنَا دَوَابَّ الْبَحْرِ أَمَامَ الْمَرْكَبِ وَحَوَالِيهِ قَدْ خَرَجَتْ^(١١) رُؤُوسُهَا وَفِي فَمِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا^(١٢) جَوْهَرَةٌ تَضِيءُ وَتَتَلَا^(١٣)، وَتَلْمَعُ، ثُمَّ وَثَبَ الشَّابُّ مِنَ الْمَوْجِ^(١٤) إِلَى الْبَحْرِ^(١٥) وَجَعَلَ^(١٦) يَتَبَخَّرُ عَلَى مَتْنِ^(١٧) الْمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(١٨)، حَتَّى غَابَ عَنْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ^(١٩)». [١٧١] شعر^(٢٠):

هُمْ أَوْدَعُوا قَلْبِي الْأَسَى جِيْنَ وَدَّعُوا وَأَغْرَوْا فُرَادِي بِالْعَرَامِ وَأَوْجَعُوا
وَهُمْ وَهَمُوا أَنِّي تَسَلَّيْتُ بَعْدَهُمْ وَذَلِكَ^(٢١) أَمْرٌ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْمَعٌ

(١) في الأصل: «أبو يوسف»، والتصويب من (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٢٥/٤. ويوسف: هو يوسف بن الحسين الرازي، أبو يعقوب، شيخ الصوفية، كان إمام وقته، ولم يكن في المشايخ على طريقتة في تلليل النفس وإسقاط الجاه، توفي سنة ٣٠٤هـ - ٩١٦م. ابن الجوزي، القصص والمذكرون، ص ٦٨. اللغوي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٠١ - ٣١٠هـ، ص ١٥١. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢/ ٢٤٥.

(٢) عبارة «مع التجار... إلخ»، في (م) و(ع): «مع تجار مصر».

(٣) في (م) و(ع): «وفتش من فيه وأتهمهم».

(٤) عبارة «حتى جلس... إلخ»، في الأصل: «حتى أجلس على عرج البحر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «وقام».

(٦) في (م) و(ع): «وإني».

(٧) في الأصل: «الآية»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «أتم».

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «تلا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) عبارة «ثم وثب... إلخ»، ساقطة في (م).

(١٢) في (م) و(ع): «وجه».

(١٣) عبارة «حتى غاب... إلخ»، في (م) و(ع): «حتى غاب عني فلم أراه».

(١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) (٢١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «وذاك»، والتصويب من (م) و(ع).

وما حَدَقَ^(١) العُشَّاقُ إِلَّا حَدَاثِقَ
وكيف سُلُوِّي عنهم ولهم إذا
وأقسِم أنِّي لو تَسَلَّيْتُ في الهوى
فَمَنْ عَاذِرِي مِنْ عَادِلِينَ^(٣) مَنَحْتُهُمْ
دَنِيْتُ فَأَبْعَدُوا^(٤) أَتَيْتُ فَأَعْرَضُوا
خَلِيلِي هَذَا رَبُّهُمْ فَتَدَاوَا
ولا تَحْجُبَا عَنِّي النَّسِيمَ إِذَا^(٥) سَرَى

بها^(٢) ظَلِيَّاتِ الْحَيِّ تَرْعَى وَتَرْعُ
خَلَا رِبْعَهُمْ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ مَرْتَعُ
لَرَأُوا خِلَافِي سُرْعَةً وَتَشَفَّعُوا
وَدَادِي فَصَانُوا وَضَلَّهِمْ وَتَمَنَّعُوا
وَقَيْتُ فَخَانُونِي حَفِظْتُ فَضَيَّعُوا
بَلَّغْتُ ثَرَاهُ فَهُوَ لِلْوَجْدِ أَنْفَعُ
فَقَلْبِي بِرِيَا عِظْرِهِ يَتَنَقَّعُ^(٦)

[بحر الطويل]

إخواني ما أظلم ليل الغفلة على^(٧) عيون الغافلين، فديت أهل السهر فديت المجتهدين،
وجفت عيونهم و^(٨)جفونهم وجنوبهم لذة الفراش لمرافقة الناجين^(٩)، همَّتْهُمْ^(١٠) مقصورة على
موافقة الراكعين والساجدين، بصائرهم أسرع نفوذاً من أبصارهم في مشاهدة اليقين، قطعوا^(١١)
وادي الدُّجَى بسباحة^(١٢) السَّهْرِ وخَلَفُوا النَّائِمِينَ، حَطُّوا على سواحل السَّحَرِ مع ركائب^(١٣)
المستغفرين، طلعت طلائع دموعهم على رُبَى المحاجر وفي ساقطها الأنين، هَيَّجَ لَهُمْ نَسِيمُ
السَّحَرِ مِنَ الْوَجْدِ الدَّاءِ الدَّفِينِ، كم لهم على ثِيَّات اللَّوَى من جند غرام كمين، كم لهم على
الأبرقين من بروق يقين^(١٤)، عذبت لهم عذبات العذيب وأفناهم [٧١ب] الحنين، كم لهم على
لمعات نجدٍ من وجدٍ جديد وحزن حزين، دموعهم كالعقيق^(١٥) في وادي العقيق تندب

(١) في الأصل: «دَقَّ»، والتصويب من (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «به».

(٣) عدل عن الشيء: حاد، وعن الطريق: جار. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ٤٣٤/١١.

(٤) في (م) و(ع): «دنوت فأنانوي».

(٥) في الأصل: «إِذَا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «يتلفع». ويتنقع من النقع وهو الرُّي. ونَقَعْتُ بالخبر وبالشراب إذا أَشْتَفَيْتَ مِنْهُ، وَنَقَعَتْ

بذلك نفسي أي اطمأنت إليه وَرَوَيْتَ بِهِ. وَالتَّلْفُوعُ: الألتحاف بالشوب، وهو أن يشتمل به حتى يُجَلَّلَ

جسده. ابن منظور، اللسان، «لفع»، ٣٢٠/٨. ونقع، ٣٦١/٨.

(٧) في (م) و(ع): «عن».

(٨) الراو ساقطة في الأصل، والصواب ما أثبتناه.

(٩) عبارة «وجفت».. إلخ، في (م) و(ع): «وجفت جنوبهم وعيونهم لذة الفراش لمرافقة المناجين».

(١٠) في (م) و(ع): «همهم».

(١١) في الأصل: «واقطعوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (ع): «بسباحة».

(١٣) في (م) و(ع): «ركاب».

(١٤) في (م) و(ع): «تبيين».

(١٥) العقيق: خرز أحمر يتخذ منه الفصوص. ابن منظور، اللسان، «عقيق»، ٢٦٠/١.

الراجلين، نزلوا بوادي الأراك^(١) عسى هيمانهم يراك فقد براه^(٢) الوجد ما كاد يبين، لو رأيت حينهم بالمنحنى لرأيت أسير غرام رهين، أناخوا بوادي الصبح^(٣) عيس أشواقهم على نظرة من الظّاعنين^(٤)، عرسوا بوادي الحمى يتلمّحون آثار الراجلين^(٥)، عرف نسيم^(٦) أنفاسهم بالمحبّة أعطر من عرف دارين، أين الشيخ والضّال^(٧) أين البان والرند^(٨) من أنفاس المحبين، هذه صفاتهم هل لك فيها من صفات، **هَمُّ أَوْزُنَا الْكِتَابُ الَّذِي أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**.

قال أبو سليمان المغربي رحمه الله تعالى^(٩): «كنت أحتمل^(١٠) الحطب من الجبل وأتقوّت به، وكان طريقي فيه التّقوى والتجرد^(١١)». قال: فرأيت جماعة من البصريين في النوم منهم الحسن ومالك بن دينار وفرقد السّبخي^(١٢) فسألته عن^(١٣) حالي^(١٤) وقلت لهم^(١٥): أنتم أئمة المسلمين دلوني على الحلال الذي ليس لله **عَلَيْهِ**^(١٦) فيه تبعة ولا للمخلوق^(١٧) فيه منّة، قال: فأخذوا بيدي وأخرجوني من طرسوس^(١٨) إلى مرج خبّاز^(١٩)، فقالوا: هذا الحلال الذي

- (١) في (م) و(ع): «وادي الأراك». ووادي الأراك قرب مكة. صفى الدين البغدادى، مراصد الاطلاع، ٤٩/١.
- (٢) في الأصل: «ترى»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «الطلح».
- (٤) في (م) و(ع): «الراجلين».
- (٥) عبارة «عرسوا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) الشيخ: نبات سهلي يتخذ من بعضه المكانس، له رائحة طيبة وطعم مر. والضال: شجرة من الدّق تكون بأطراف اليمن ترتفع قدر الذراع تنبت نبات السّرو، ولها بَرَمَةٌ صفراء ذكية جداً تأتيك ريحها من قبل أن تصل إليها. والبان: شجر يسمو ويطول في استواء، وليس لخشبهِ صلابة. والرند: هو شجر من أشجار البادية وهو طيب الرائحة يستاك به. ابن منظور، اللسان، «شيخ»، ٥٠٢/٢، و«ضيل»، ٣٩٨/١١، و«بين»، ٧٠/١٣، و«رند»، ١٨٦/٣.
- (٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٨٥/٤. وأبو سليمان المغربي الزاهد، نزل طرسوس والمصيصة، وكان مشهوراً بالكرامات، معروفاً بالعبادة، روى عنه أبو عبد الله بن الجلاء. ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ٤٤٧٦/١.
- (١٠) في (م) و(ع): «أحمل».
- (١١) في (م) و(ع): «والتحري».
- (١٢) هو فرقد بن يعقوب السّبخي، يكنى أبا يعقوب، الزاهد المشهور، بصري، حدث عن جماعة التابعين، وشغله التعبد عن حفظ الحديث، توفي سنة ١٣١هـ - ٧٤٨م. ابن الجوزي، الصفة، ٢٧١/٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ١٢١ - ١٤٠هـ، ص ٥١٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٨١/١.
- (١٣) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «علم حالي».
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «تعالى».
- (١٧) في (ع): «للخلق».
- (١٨) طرسوس: مدينة بشغور الشام، بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، يشقها نهر البردان. صفى الدين البغدادى، مراصد الاطلاع، ٨٨٣/٢.
- (١٩) في (م) و(ع): «خبّازى». والخبّازى والخبّاز: نبت بقلّة معروفة عريضة الورق لها ثمرة مستديرة. ابن منظور، اللسان، «خبز»، ٣٤٤/٥.

ليست لله ﷻ فيه تبعه ولا للمخلوق^(٢) فيه منة. قال: فمكثت أكل منه نصف سنة وثلاثة أشهر في دار السبيل^(٣)، وكنت أكله نيئاً ومطبوخاً، فصار لي حديث فقلت هذه فتنة، فخرجت من دار السلام^(٤)، وكنت أكله^(٥) نصف سنة و^(٦)ثلاثة أشهر آخر^(٧)، فأوجدني الله تعالى^(٨) قلباً طيباً حتى قلت: إن كان أهل الجنة بالقلب [١٧٢] الذي لي فهم والله في شيء طيب، وما كنت أنس بكلام الناس. فخرجت يوماً من باب قلمية^(٩) إلى صهريج^(١٠) يعرف بالمدنف، فجلست عنده فإذا بفتى قد أقبل من لامس^(١١) يريد طرسوس^(١٢)، وقد بقي معي قطيعات من ثمن الحطب الذي كنت أجي به من الجبل. فقلت: أنا قد قنعت بهذه^(١٣)، أعطي هذه القطيعات^(١٤) لهذا الفقير إذا دخل طرسوس يشتري بها شيئاً يأكله^(١٥)، فلما دنا مني أدخلت يدي إلى جيبتي حتى^(١٦) أخرج الخرقه، فإذا بالفقير قد حرّك شفّتيه، وإذا كل ما^(١٧) كان حوله من الأرض ذهباً^(١٨) يتّقد حتى كاد يخطف بصري، وليستني منه هيبة فجاز ولم أسلم عليه من هيبته. قال الشيخ أبو بكر رحمه الله تعالى^(١٩): وزادني^(٢٠) أبو الفرج بن أبان في هذه الحكاية

- (١) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) (٢) في (م) و(ع): «للخلق».
- (٣) دار السبيل: أي منطقة وقف لعابر السبيل.
- (٤) عبارة «وكنتم آكله.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). ومدينة السلام هي بغداد. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٥٠٦/٢.
- (٥) في الأصل: «أكله منه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) عبارة «نصف سنة و» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) (٧) في (م) و(ع): «أخرى».
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) قلّمية: كورة واسعة برأسها من بلاد الروم قرب طرسوس، ويقال لأحد أبواب طرسوس قلّمية. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١١٩/٣.
- (١٠) الصهريج: واحد الصهاريج وهي كالحياض يجتمع فيها الماء. ابن منظور، اللسان، ٣١٢/٢.
- (١١) في الأصل و(م) و(ع): «الامين»، والتصويب من الصفة. ولامس من قرى فرغانة. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١١٩٥/٣.
- (١٢) في الأصل: «طرطوس»، والتصويب من (م) و(ع). وحيشما ورد في القصة «طرطوس» فالصواب فيه «طرطوس».
- (١٣) في (م) و(ع): «بهذه الخُبّازي».
- (١٤) (١٤) في (م) و(ع): «القطع».
- (١٥) عبارة «يشترى.. إلخ»، في (م) و(ع): «اشترى بها شيئاً وأكله».
- (١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٧) (١٧) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) عبارة «حوله.. إلخ»، في (م) و(ع): «حولتي من الأرض قد صار ذهباً».
- (١٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). وأبو بكر: هو محمد بن داود الدينوري الدقي، شيخ الشاميين، كان من أجل مشايخ وقته، وأحسنهم حالاً. توفي سنة ٣٦٠هـ - ٩٧٠م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٣٨/١٦. تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات سنة ٣٥١ - ٣٨٠هـ، ص ٢١٧.
- (٢٠) في الأصل: «وزاد مني»، والتصويب من (م) و(ع).

قال: فقلتُ له: أرايته بعد ذلك. قال: نعم، خرجتُ يوماً خارج طرسوس فإذا بالفتى جالسٌ تحت برج من الأبرجة وبين يديه ركوة فيها ماء، فسَلَّمْتُ عليه ثم أَسْتَدْعَيْتُ منه موعظة، فمدَّ رجله فقلب الماء ثم قال: كثرة الكلام تشف^(١) الحسنات كما تشف الأرض هذا الماء، يكفيك. شعر^(٢):

أَيَا سَعْدَ هَاتِيكَ الْمَنَازِلَ مِنْ سُعْدَى فَدَعْنِي أَجِدُّ فِي مَعَاهِدِهَا عَهْدَا
وَذَرَهَا تَهَبْ لِي هَبَّةً مِنْ نَسِيمِهَا تَزِدْ كِبِيدِي مِنْهَا عَلَى ظَلَمَا بَرْدَا
وَكِرِّرْ أَحَادِيثَ الْغُؤَيْرِ لِمَغْرَمٍ تُقَرِّبُ إِلَيْهِ الْبَانَ وَالطَّلْحَ^(٣) وَالرُّنْدَا
وَلَا تَسْأَلْنِي^(٤) سَلْوَةً بَعْدَ صَبْوَةٍ فَتُضْجِي^(٥) مِنَ الْأَغْدَاءِ يَا صَاحِبِي أَغْدَا [٧٢ب]
وَسَلِّهَا سَلَاماً نَافِعاً^(٦) مِنِّي الصَّدَى وَسَلِّهَا وَصَالاً مَانِعاً مِنِّي^(٧) الرَّدَى^(٨)
فِيَا صَبْرَ بَاعِدْنِي إِذَا بَعُدَ الْحِمَى وَيَا وَجِدَ أَنْجِدْنِي^(٩) إِذَا سَكَنْتَ نَجْدَا
وَيَا طَيِّفَ طِفِّ بِي حَوْلَ كَغْبَةِ طَيِّفِهَا لَعَلَّ لَهَا إِنْ مَانَعَتْ وَضَلَّهَا وَغْدَا^(١٠)

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي تفرَّد بحكمته في ظهور المقامات بالظهور^(١١)، غرس بستان الكون بيد القدرة^(١٢) فهو بترتيب الإرادة مفطور^(١٣)، لا يعزب عن علمه معلوم كلُّ ذلك في الكتاب^(١٤) مسطور، قلم ولوح^(١٥)

(١) في (م) و(ع): «ينشف».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) الطَّلْح: أعظم العُضَاء وأكثره ورقاً وأشدّه خضرة، وله شوك ضخام طوال وشوكه من أقل الشوك أذى، وله بَرَمَةٌ طيبة الريح. ابن منظور، اللسان، «طلح»، ٥٣٢/٢.

(٤) في (م) و(ع): «تسأليني».

(٥) في (م) و(ع): «ناقعاً».

(٦) عبارة «مانعاً مني»، في الأصل: «ما تعاملني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «الصدى».

(٨) في الأصل: «يا واجد أوجدني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «أوعدا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «بلا ظهور»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) عبارة «بيد القدرة»، في (م): «بقدرته».

(١٢) في (م) و(ع): «كتاب». وأراد بالكتاب ما كتب في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة، وقد يكون المراد به ما كتب على العباد من أعمالهم.

(١٥) القلم هو الذي كُتِبَ به ما كان وما يكون؛ فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «أول ما خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام فتصور قلماً من نور. فقليل له اجر في اللوح المحفوظ. قال: يا رب بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة. فلما خلق الله الخلق وكُل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِئُ عَلَيْكُمْ وَالْحَقُّ إِنَّا كُنَّا﴾

وكتابة كل ذلك عليك^(١) يدور، عرش وكرسي^(٢) وأفلاك وأملاك^(٣) على ما يصلحك تدور، أرض وجو وجبال ومعادن وأقاليم وبحور، كل ذلك لعمارة قنطرة دنياك ليكون عليها العبور، أمر ونهي ووعد ووعد وحفاظ على أعمالك لا تجور، صراط وميزان^(٤) وسؤال وقراءة ديوان عليك منشور، أنت تملي بأفعالك والكاتب^(٥) يكتب كل عليك محصور، سائل ومسؤول وحلال وحرام ومباح ومحظور، شمر إزار عزمك^(٦) فما يعلم الموصول^(٧) ما فيه المهجور، أيام البقاء قلائل وكيف وقد خط المشيب في لمتك^(٨) خط زور، إذا أعميت البصيرة في الشباب ترجو في المشيب أن تظفر^(٩) بنور، ما أغفلك عن ظلمة الرسم وأحوال تذوب لها الصخور، فبينما^(١٠) أنت نبات يانع أصبحت هشيماً بتولي^(١١) الدهور، ثم تقوم للحساب كما وعدت^(١٢) يوم الحشر والنشور، ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ لَاقٍ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ①

= سَتَنْبِئُكَ مَا كُنْتَ تَعْمَلُونَ [الجاثية: ٢٩]، عرض بالكتابين فكانا سواء، قال ابن عباس: ألتسم عرباً هل تكون النسخة إلا من كتاب، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرک، كتاب التفسير، ٤٥٣/٢. وأما اللوح فهو اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخلقة وبيان أمورهم، وذكر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، والأقضية النافذة فيهم، ومآل عواقب أمورهم. القرطبي، الجامع، ٢٩٨/١٩.

(١) في (م) و(ع): «عليه».
(٢) ذكر الله تعالى العرش والكرسي في كتابه العزيز ولم يبين ماهيتهما سوى أن قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿رَبُّ الْمَرْشَى الْغَلِيظِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، والمذهب الصحيح عند علمائنا أن كل ما ثبت بالكتاب والسنة لا يتعلق به العمل فإنه لا يجب الاشتغال بتأويله بل يجب الاعتقاد بثبوته. أكمل الدين البابرني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٩٣.
(٣) في (م): «وأملاك وأفلاك».

(٤) الصراط هو جسر يضرب على جهنم يمر عليه بنو آدم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ: فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان [هو نبت ذو شوك] أما رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق [المهلك] بعمله، ومنهم المخرذل [المصروع وما قطعت أعضاؤه جعل كل قطعة منه مقدار خردلة] ثم ينجو... الحديث. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم الحديث (١٥٦)، ٢١١/٨، ٢١٢. وأما الميزان فهو ميزان ينصب يوم القيامة لبني آدم توزن فيه أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَنُزِعَ الْمَوْتِينَ الْقِسْطَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَئِنْ كُنْتَ تَشْكَلُ حَكِيمٌ مِّنْ خَرْدَلٍ أَلَيْسَ بِهَا وَكُنْ يَسًا حَكِيمٌ﴾ ② [الأنبياء: ٤٧]. القرطبي، التذكرة، ص ٣٧٣، ٣٩٦.

(٥) في الأصل: «الكتاب»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «العزم».
(٧) في (م) و(ع): «الواصل».
(٨) اللمة: شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة. ابن منظور، اللسان، «لم»، ٥٥١/١٢.
(٩) في (م) و(ع): «تظهر».
(١٠) في (م): «وبينا»، وفي (ع): «بيننا».
(١١) عبارة «هشيماً بتولي»، في (م) و(ع): «فانياً بتوالي». (١٢) في (م) و(ع): «وعد».

وَأَنَّ السَّاعَةَ [١٧٣] ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ^(١)، فسبحان من يقضي ولا يقضى عليه، يكسر الصَّحِيح ويجبر المكسور، أحمدته حمد من يرجو رحمته لعلمه^(٢) أَنَّهُ الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم الموت وهول النشور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شفيع الأمة يوم يبعث من في القبر، صلى الله عليه و^(٣) على آله وأصحابه^(٤) ما دامت الأزمان والدهور.

إخواني لا تزال قلوب أهل المعاصي تائهة^(٥) في قفار الندم، يندبن في^(٦) ماتم الأسف دمعاً وبعده دم، ويحك كم تسافر إلى الآخرة بلا زاد^(٧) لما تنقطع تندم، إذا أخربت^(٨) يد المعاصي رُبْع التَّعَبُّد أمتحن بالعدم، يا مأسور الغفلة هذا فكاك الموعظة فبادر عساك تسلم، توبة المسوّف على طرف اللسان وتوبة الصادق من قلبه لعلمه بما ثمّ، المخلص على الجادة والمبهرج رجع من الطريق ماتمّ، معاصر^(٩) العصاة أندبوا أحزان الذنوب فهذا مجمع المآثم، ألطم خدود الأسف بأنامل الحزن و^(١٠) قل يا^(١١) ويلي ماذا علي ثمّ^(١٢)، ضيّعت أيام الشباب في الغفلة وماذا ينفع الهرم والندم، سكن حب الدنيا قلبك فرحلت الآخرة وولي^(١٣) السقم، إذا أسكن^(١٤) الزُّهد قلباً رحل عنه اللعب وقصر الأمل يهدم، ما أسرع صرعة الموت ينقص^(١٥) العيش وما يرضى^(١٦) الذَّم، يا نَظَّارة^(١٧) العروس واحد يخلو بالمحبوب [٧٣ب] والمحروم^(١٨) يعود بالخيبة والندم^(١٩)، يا متفرّجين جددوا نية التوبة فكم متفرّج^(٢٠) في زمان^(٢١) القبول أرتمس^(٢٢)، إنّما يهتَزّ بالموعظة^(٢٣) حيّ لا حيلة في الميت لأنه لا يتألم، قدّم

- (١) سورة الحج، آية ٦ - ٧.
- (٢) عبارة «من يرجو... إلخ»، في الأصل: «من يرجو بعلمه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) كلمة «عليه و» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٤) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في الأصل: «تائهة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) (٨) في (م) و(ع): «أخربت».
- (٩) (١٠) في (م) و(ع): «أخربت».
- (١١) (١٢) في (م) و(ع): «أخربت».
- (١٣) (١٤) في (م) و(ع): «أخربت».
- (١٥) (١٦) في (م) و(ع): «أخربت».
- (١٧) (١٨) في (م) و(ع): «أخربت».
- (١٩) (٢٠) في (م) و(ع): «أخربت».
- (٢١) (٢٢) في (م) و(ع): «أخربت».
- (٢٣) (٢٤) في (م) و(ع): «أخربت».

من نفسك لنفسك^(١) فَعَسَى الْأَمْرُ عَلَيْكَ يُهَوِّنُ يَوْمَ النَّشُورِ^(٢)، ﴿وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ يُحْيِ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٣).

أبو عبد الرحمن الأزدي رحمه الله تعالى قال^(٤): كُنْتُ أَدُورُ عَلَى حَائِكِ بَيْرُوتَ^(٥)، فَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ مُتَدَلِّي الرَّجْلَيْنِ فِي الْبَحْرِ وَهُوَ يَكْبُرُ، فَأَتَكَيْتُ عَلَى الشَّرْفَةِ^(٦) الَّتِي إِلَى جَانِبِهِ، فَقُلْتُ: يَا شَابَ مَالِكَ جَالِساً وَحْدَكَ؟ فَقَالَ^(٧): أَتَقَى اللَّهَ ﷻ^(٨) وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا، مَا كُنْتُ قَطُّ وَحْدِي مِنْذُ وَلَدْتَنِي أُمِّي، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي ﷻ^(٩) حَيْثُمَا كُنْتُ، وَمَعِيَ مَلَكَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيَّ عَمَلِي^(١٠)، وَشَيْطَانُ مَا يَفَارِقُنِي، وَإِذَا عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ إِلَى رَبِّي ﷻ جَاءَنِي^(١١) بِهَا وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١٢)». شعر^(١٣):

مَا لِي عَنْ وَضْلِكَ أَضْطَبَّارُ	إِلَيْكَ مِنْ هَجْرِكَ الْفِرَارُ
أَصْبَحْتُ ظَلْمَانَ ذَا جُفُونِ	مِيَاهَ أَخْدَاقِهَا غِزَارُ
أَرْوَمُ كِثْمَانَ مَا أَلَاقِي	وَبِالْمَاقِي لَهُ أَشْرَهَارُ
وَمَنْ نَسِيمَ الصَّبَا إِذَا مَا	هَبَّ عَلَى أَرْضِكُمْ أَغَارُ
أَهَا لِيذْكَرُ ^(١٤) دِيَارَ سَلَمَى	لَا أَجْدَبْتُ تِلْكَمُ ^(١٥) الدِّيَارِ [١٧٤]
لَهْفِي لِعَيْشٍ بِهَا تَوَلَّى	يَطِيرُ أَيَّامَهُ الْقِصَارُ ^(١٦)
إِذْ أَغْيُنَ الدُّهُورِ قَدْ أَقْرَتْ ^(١٧)	وَفِي غُصُونِ الْهَوَى ثَمَارُ

[مخلع البسيط]

- (١) في (م) و(ع): «قدم نفسك لرمسك».
- (٢) الآية في (م) و(ع): «وَرَوَيْتُ كُلَّ أَتَمِّ جَانِبَةٍ كُلِّ أَتَمِّ نَدَمٍ إِنْ كَتَبَهَا الْيَوْمَ تُجَزَّئُ مَا كُتِبَ تَعْمَلُونَ ﷻ» [الجبائية: ٢٨].
- (٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٨٧/٤. وأبو عبد الرحمن الأزدي يقال له الأسدي، كان يأتي المقابر كل اثنين وخميس. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٦٣/٢٩، ٦٤.
- (٤) عبارة «على حائك بيروت»، في (م) و(ع): «على حائط بيروت».
- (٥) في الأصل: «الشرفات»، وفي (م) و(ع): «الشرافة»، والتصويب من (ب).
- (٦) في (م) و(ع): «قال».
- (٧) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) عبارة «علي عملي» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) عبارة «إلى ربي... إلخ»، في (م): «إلى الله تعالى فجاءني»، وفي (ع): «إلى الله عز وجل فجاءني».
- (١٠) عبارة «وهو على كل شيء قدير» ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «الذكرى».
- (١٣) في الأصل: «لا أجاذبتكم تلك»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) البيت ساقط في (م) و(ع).
- (١٥) عبارة «قد أقرت»، في (م) و(ع): «راقداً».

يا هذا كم تلبس قميص المعاصي بالليل وتتردى بالرياء بالنهار، إذا خرجت من بيتك أبداً^(١) بالمقابر وقل^(٢) الرحيل إلى هذه الديار، فيا ليت شعري أين منزلي غداً أو بعد غد ليقر^(٣) عندهم القرار، بينما^(٤) أنت جالس حتى يقال فلان سار، قل لأهل القبور ما تشتهون وتسمع إلى الجواب في الأسرار، مناهم ساعة من عمرك يعتدرون عسى تقبل الأعذار، يا خيبة المفرطين إذا^(٥) شفهم^(٦) الأسف وحيل بينهم وبين قضاء الأوطار، أنظر ويحك طائر عزمك هل عشت في التسويف أوطار^(٧)، كم وادي عين جرت فيه عيون الأسف فأنبئت أزهار، ندم حيث لا ينفع كمطر في سبخة لا تنبت أنوار^(٨)، كم خربت المعاصي قصر قلبك عليك ببناء التوبة لأنه^(٩) معمار، يا نائح الموعظة هيج أهل الشجون بذكر الأحباب والديار، ويحك كم^(١٠) في أحمال ذنوبك من أوقار^(١١)، في الصبا لا ترعوي وهذا المشيب فأين الوقار، كيف يلد عيش^(١٢) من لا يعلم سيره^(١٣) هل إلى الجنة أو إلى^(١٤) النار، ما أغفلنا عما يراد^(١٥) منا وعند كشف الغطاء تهتك^(١٦) الأستار، فبادروا إخواني بالتوبة^(١٧) قبل أن يضرب بوق الرحيل وترحلون إلى القبور^(١٨)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِي الْمَوْتَى وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَالْنَّاسُ كَافَّةٌ لَا رَبَّ فِيهَا وَارَبُّ اللَّهِ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١٩) [٧٤].

قال معروف الكرخي رحمه الله تعالى^(٢٠): «رايت في البادية شاباً حسن الوجه له ذؤابتان حسنتان، وعلى رأسه رداء قبطي، وعليه قميص كتان^(٢١)، وفي رجليه نعل، قال معروف:

- (١) في (م) و(ع): «فأبداً».
- (٢) في الأصل: «وقال»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «يقرب».
- (٤) في (م) و(ع): «بينما».
- (٥) في (م): «إذا».
- (٦) في الأصل: «سافهم»، والتصويب من (م) و(ع). وشفه الحزن: لذع قلبه، وقيل: أنحله، وقيل: أذهب عقله. ابن منظور، اللسان، «شفف»، ١٧٩/٩. (٧) عبارة «انظر ويحك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «نوار». وأنوار جمع نؤر وهو الزهر. ابن منظور، اللسان، «نور»، ٢٤٣/٥.
- (٩) في (م): «فإنه».
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١١) أوقار: جمع وقر: الثقل يحمل على ظهر أو على رأس. وقيل: الوقر: الحمل الثقيل. ابن منظور، اللسان، «وقر»، ٢٨٩/٥.
- (١٢) في الأصل: «العيش»، والتصويب من (م) و(ع). (١٣) في (م) و(ع): «مسيره».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (ع).
- (١٥) عبارة «عما يراد»، في (م) و(ع): «عن المراد».
- (١٦) في (م) و(ع): «تكشف».
- (١٧) في (م) و(ع): «فترحلون».
- (١٨) في (م) و(ع): «وترحلون.. إلخ».
- (١٩) الآية في (م) و(ع): ﴿وَرَبِّكَ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّىٰ كُلُّ شَيْءٍ مَّمَاتٍ إِلَىٰ يَدَيْهَا آتِمٌ مَّجْزَىٰ مَا كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].
- (٢٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٨٩/٤.
- (٢١) عبارة «وعليه قميص كتان» ساقطة في (م) و(ع).

فعجبت منه في مثل^(١) ذلك المكان ومن زيّه، فقلت له^(٢): السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته^(٣) يا عم^(٤). فقلت: يا فتى من أين أقبُلتَ^(٥)؟ فقال: من مدينة دمشق. قلت: ومتى خرجت منها؟ قال: ضحوة النهار. قال معروف: فتعجبت^(٦) منه وكان بيننا^(٧) وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة. فقلت له: وأين المقصود^(٨)؟ فقال: مكة إن شاء الله تعالى^(٩)، فعلمت أنه محمول^(١٠)، فودعته ومضى ولم أره حتى مضت ثلاث سنين. فلما كان ذات يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره^(١١) وما كان منه، إذا أنا بإنسان يدق الباب، فخرجت إليه^(١٢) فإذا أنا بصاحبي، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام^(١٣) ثم قلت^(١٤): مرحباً وسهلاً^(١٥)، فأدخلته^(١٦) المنزل فرأيتُه منقطعاً والهأ تالفاً خائفاً^(١٧) حاسراً^(١٨)، فقلت^(١٩): أيها الصاحب^(٢٠) حدثني شيئاً من الخبر. فقال: يا أستاذ هو^(٢١) لاطفني حتى أدخلني الشبّكة فرماني، فمرة يلاطفني، ومرة يهذّني، ويجيعني مرة ويكرمني أخرى، ويا ليتني [١٧٥] وقّفتني^(٢٢) على بعض أسرار أوليائه ثم ليفعل بي^(٢٣) ما شاء. قال معروف: فأبكاني كلامه، فقلت له: فحدثني^(٢٤) بعض ما جرى عليك منذ فارقتنِي. فقال^(٢٥): هيهات أن أبديه وهو يريد أن يخفيه، ولكن قد فعل بي مولاي^(٢٦) ما قد^(٢٧) فعل، ثم أستفرغه البكاء^(٢٨)، فقلت: وما فعل بك؟ قال: جَوّعني ثلاثين يوماً ثم جئتُ إلى قرية فيها مقشاة^(٢٩)

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) كلمة «وبركاته» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في الأصل زيادة: «فقلت: يا عم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «بينه». (٦) في (م) و(ع): «فعمجت». (٧) في (م) و(ع): «المقصود». (٨) في (م) و(ع): «بينه». (٩) عبارة «إن شاء الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). (١٠) في الأصل: «أمري»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) عبارة «فرد عليّ السلام» ساقطة في (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «وأهلاً». (١٣) عبارة «تالفاً خائفاً»، في (م) و(ع): «خافياً». (١٤) في (م) و(ع): «وأدخلته». (١٥) رجل حاسر: لا عمامة على رأسه. ابن منظور، اللسان، «حسر»، ١٨٧/٤. (١٦) في (ع): «فقلت له». (١٧) عبارة «أيها الصاحب»، في (م): «إليه»، وهي ساقطة في (ع). (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٩) عبارة «ويا ليتني وقفتني»، في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٠) الكلمة ساقطة في (م). (٢١) في (م) و(ع): «قال». (٢٢) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٣) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٤) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٥) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٦) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٧) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٨) في (م) و(ع): «فليتني أوقفتني». (٢٩) أرض مقشاة: كثير القثاء [الخيار]. والمقشاة: موضع القثاء. ابن منظور، اللسان، «قثا»، ١٢٨/١.

قد نبذ^(١) منها المدوّد وطرح، فقعدت أكل منه، فنظرني^(٢) صاحب المقناة، فأقبل إليّ يضرب ظهري وبطني وقال^(٣): يا لص ما خرب ميقاتي إلا أنت^(٤)، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعت عليك، فبينما^(٥) هو يضربني إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً إليه وقلب السوط في رأسه، وقال: تعمد إلى وليّ من أولياء الله ﷻ^(٦) وتقول له يا لص! فأخذ صاحب المقناة بيدي وذهب^(٧) بي إلى منزله فما بقي شيء من الكرامة إلا عملها^(٨) وأستحلني وجعل مقثاته لله ﷻ^(٩) ولأصحاب معروف. فقلتُ له: صِفْ معروفاً، فوصفك لي، فعرفتُك لما كنت شاهدته منك ومن صفتك في طريقي. قال معروف^(١٠): فما أستتم كلامه حتى دقّ صاحب المقناة الباب، ودخل إليّ وكان موسيراً فأخرج جميع ماله وأنفقه على الفقراء، وصحب الشاب سنة، وخرج^(١١) إلى الحج فماتا بالربذة^(١٢) رحمهما الله تعالى ونفعنا ببركة أوليائه^(١٣). شعر^(١٤):

يَكْفِيكَ أَنْ فَوَّادِي فِي تَلَاْفِيكَ لِكُلِّ سُورَةٍ وَجِدَ قَدْ تَلَّى فِيكَ [٧٥ب]
وَأَنْ قَلْبِي مَتَى^(١٥) أَنْ رَامَ سُلُوتَهُ عَنِ الْغَرَامِ نُنَى قَلْبِي يُشْنِيكَ^(١٦)
وَأَنْتَ لِي جَنَّةُ أَرْجُو النِّعِيمَ بِهَا لَوْلَا تَجَافِيكَ^(١٧) لَمْ أَبْرَحْ أُنَاجِيكَ
يَا كَغَبَةِ الْحُسْنِ نَادِ الْقَلْبَ مُحْتَاجِباً فَلِإِنَّهُ^(١٨) مَعَ إِخْرَامِي يُلَبِّيكَ
كَمْ لَيْلَةٍ غَبْتُ عَنْ عَيْنِي فَمَا نَظَرْتُ لِلْبَدْرِ فِي الْأَفْقِ لَمَّا بَاتَ يَحْكِيكَ
وَمِلْتُ لِلْغُضْنِ لَمَّا أَنْ حَكَكَ هَوَى فَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَعْنَى مِنْ مَعَانِيكَ
أَهْوَى لِأَجْلِ هَوَاكَ الْعَذْبِ يَا أَمْلِي^(١٩) لَثَمَ الْأَقَاحَ^(٢٠) وَمَا فِيهِ^(٢١) لَمَّا^(٢٢) فِيكَ

(٢) في (م) و(ع): «نظرت».

(٤) عبارة «إلا أنت»، في (م) و(ع): «غيرك».

(٦) في (م) و(ع): «تعالى».

(٨) عبارة «فما بقي.. إلخ»، في (م) و(ع): «فما أبقى من الكرامة شيئاً إلا عمله».

(٩) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٠) عبارة «فقلتُ له: صف.. إلخ»، ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «وخرج»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) الرَبْذَةُ: من قرى المدينة، على ثلاثة أميال منها قريبة من ذات عرق، على طريق الحجاز إذا رحلت من

فيد تريد مكة. صفي الذين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٦٠١/٢.

(١٣) عبارة «رحمهما الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٦) في (م) و(ع): «تَشْنِيكَ».

(١٧) في (م) و(ع): «تَجْنِيكَ». (١٨) في (م) و(ع): «وإنه».

(١٩) في الأصل: «أهوى لأجل ثنائك العذاب هوى»، وفي (ع): «أهوى لأجل هواك العذاب هوى»، وهي من (م).

(٢٠) الأقاح جمع الأقحوان وهو نبت طيب الريح، حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر. ابن منظور، اللسان،

«قحا»، ١٧١/١٥.

(٢٢) في الأصل: «المنى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في (م) و(ع): «فيها».

تَعَلَّلًا لِفَوَادٍ لَمْ يُفِذْهُ سَوَى
لَاخِبَسَنَ عَلَيْكَ النَّفْسَ مُحْتَسِبًا
إِنْ كُنْتَ أَنْكَرْتَ مَا بِي^(٢) مِنْ هَوَى وَجَوَى
وَحَسْبُ حُبِّكَ أَنَّ الْقَلْبَ فِي وَلَوِ
رَدَّ يَا غَرَامِي وَإِنْ زَادَ الْحَبِيبَ قِلَى

هَجَرَ فَيَعْتَاضَ عَنْ وَضَلِ تَمْنِيكَ
دَمْعِي^(١) لَعَلَّ الَّذِي أَخْفَاكَ يُبْدِيكَ
فَانْظُرْ لَشَاهِدِ حَالِي فَهُوَ يُنْبِيكَ
وَمَا تَعَدَّاهُ يُودِيهِ^(٣) تَعْدِيكَ
فَلَنْ أَدْنَى وَصَالٍ مِنْهُ يُرْضِيكَ^(٤)

[بحر البسيط]

مجلسي روضة ربيع جمعت^(٥) أزهار الفصاحة وفواكه الأمثلة، وأطيار فصاحته تهيج البلابل
لذوي الألباب، كم تحمل^(٦) منه في أودية الأسماع وأوعية القلوب من نفائس الذخائر وهو
يزيد، هو نهر لا يزال يمد لا تنقصه^(٧) دلاء^(٨) الواردين، أجري منه على السامعين بقدر ما
يفهمون، وأجري عليهم الدعاء بالمغفرة والنجاة من النار ولجميع المسلمين، وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين والحمد لله رب
العالمين^(٩) [١٧٦].



-
- (١) في (م) و(ع): «دمي».
 - (٢) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٣) في (م) و(ع): «يوليه». ووديت الأمر ودياً: قرَّبه. ابن منظور، اللسان، «ودي»، ٣٨٥/١٥.
 - (٤) قوله: «إخواني لا تزال قلوب أهل المعاصي.. إلخ»، ورد في (م) و(ع) بعد انتهاء الخطبة الأولى من هذا الفصل.
 - (٥) في الأصل: «جمع»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٦) في (م) و(ع): «يحمل».
 - (٧) في (م): «ينقصه».
 - (٨) في (م) و(ع): «إدلاء». والدلاء جمع دَلْوٍ: معروفة. ابن منظور، اللسان، «دلو»، ٢٦٤/١٤.
 - (٩) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل العاشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أَلَفَ بحكمته بين لطائف الأرواح وكثائف الأشباح^(١)، جعل الليل والنهار جناحي الأعمار يطير^(٢) للفناء بلا ريش ولا جناح، سقى أرواح المحبِّين شراب المحبَّة فلله ما أحلاه من راح، غَتَّى لهم في مجلس الأنس بعود^(٣) الوجد فشرَّبوا بالدُّنان لا بالأقداح، زَيَّنوا روضة الدُّجى بأزهار التَّهَجُّد وصابحوا الأذكار أيَّ أصطباح، فهم بين صبح وغبوق وبين ريحان^(٤) وراح، قلبهم في قوالب الابتلاء^(٥) فنادى^(٦) لسان تصبُّرهم لا براح، خلع عليهم خلعة الرُّضى وأجلسهم بين أفراح من الشوق وأقتراح^(٧)، نظروا إلى الكون فما رأوا فيه^(٨) سواه فليس عليهم في هيمانهم جناح، غشي بصائرهم نور معرفته فترنَّم عارفهم باللسنة من التوحيد فصاح، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْقَا ذَرَّةٍ فِي الْبَحْرِ مِثْقَالُهَا كَمِثْقَالِ الذُّبَابِ﴾^(٩).

يا مزكوم الغفلة هذه نفحات نجد^(١٠) متى تستنشق، أنت عند ذكر الدنيا حاضر^(١١) وعند ذكر الآخرة مستغرق، لا يطرق باب التَّهَجُّد في الدُّجى^(١٢) إلا محقَّق، يا مزين الظاهر بالرياء على من تخرَّق^(١٣)، تحدَّث ويحك مع نفسك وزِن بميزان الأخلاق^(١٤) وحقَّق، ما ينفع الأسود أسمه كافور^(١٥) فأفهم المعاني وصدَّق، ويحك تخرب قصر العمر وثوب إيمانك تمرَّق، ما حمل ثقل السهر عن^(١٦) المجتهدين^(١٧) إلا هَمٌّ [٧٦] مزعج وخوف مقلق، تنسَّموا نسيم

(١) الأرواح لطيفة لكونها لا تُرى ولا يدركها البصر، والأشباح كثيفة لما لها من حيٍّ ومكان.

(٢) في (م) و(ع): «طير». (٣) في (م) و(ع): «معبد».

(٤) الريحان: نبت طيب الرائحة. الفيروزآبادي، القاموس، «روح»، ص ٢٨٢.

(٥) في الأصل و(ع): «الابتداء»، والتصويب من (م). (٦) في الأصل: «فناداهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) الاقتراح: ابتداء الشيء. ابن منظور، اللسان، «قرح»، ٥٥٨/٢. والمعنى: أنعم عليهم بأفراح متجددة مبتدعة لم تخطر على قلب بشر.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٩) سورة النور، آية ٣٥.

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «يقظان».

(١٢) عبارة «باب.. إلخ»، في (م) و(ع): «باب الدُّجى».

(١٣) في الأصل و(م) و(ع): «تمخرق»، والصواب ما أثبتناه. والتخرق لغة في التخلُّق من الكذب. ويقال: خلق الكلمة واختلقها وخرقها واخترقها إذا ابتدعها كذباً. ابن منظور، اللسان، «خرق»، ٧٥/١٠.

(١٤) في (م) و(ع): «الإخلاص».

(١٥) الكافور: نبات له نور أبيض كَنُور الأبقوان. ابن منظور، اللسان، «كفر»، ١٤٩/٥.

(١٦) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع). (١٧) في (م) و(ع): «المتهجِّدين».

السحر لأن فيه عطرية^(١) ينزل ربنا^(٢) إلى سماء الدنيا^(٣) فيرحم من هو من خوفه مشفق، قاذوا نفوسهم لله تعالى^(٤) بزمام المخالفة^(٥) فمسك القبول عليهم يعبق، من ينجذك عند هزيمة الموت من ذا الرحيم الذي يشفق^(٦) ما أطيب عيش العارفين تلذذوا بذكر الحبيب في المساء والصباح، «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَيْشْكُورٍ فِيهَا يَصْبِحُ الصَّبَاحُ».

داود بن رشيد رحمه الله تعالى قال^(٧): حَدَّثَنِي الصَّبِيحُ وَالْمَلِيحُ - شَابَانُ كَانَا يَتَعَبَّدَانِ بِالشَّامِ سَمِيًّا^(٨) بِذَلِكَ لِحَسَنِ عِبَادَتِهِمَا - قَالَا: تَحَدَّثْنَا يَوْمًا^(٩) فَقُلْتُ لِصَاحِبِي أَوْ^(١٠) قَالَ لِي: أَخْرَجْنَا بِنَا إِلَى الصَّحْرَاءِ لَعَلَّنَا نَجِدَ رَجُلًا نَعْلَمُهُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِ لَعَلَّ اللَّهَ ﷻ يَنْفَعُنَا بِهِ، قَالَ: فَخَرَجْنَا^(١١) فَاسْتَقْبَلَنَا رَجُلٌ^(١٢) أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِهِ حِزْمَةٌ حَطَبٍ، فَدَنَوْنَا مِنْهُ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا هَذَا مِنْ رَبِّكَ؟ فَرَمَى الْحِزْمَةَ مِنْ رَأْسِهِ وَجَلَسَ عَلَيْهَا^(١٣) وَقَالَ: لَا تَقُولُوا لِي^(١٤): مِنْ رَبِّكَ، وَلَكِنْ قُولَا لِي^(١٥): أَيْنَ مَحَلُّ الْإِيمَانِ مِنْ قَلْبِكَ. فَنَظَرْتُ إِلَى صَاحِبِي وَنَظَرُ إِلَيَّ، فَقَالَ: سَلَا^(١٦) فَإِنَّ الْمَرِيدَ لَا تَنْقُطُ مَسَائِلُهُ. فَلَمَّا رَأَانَا لَمْ^(١٧) نَجِدْ جَوَابًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لَكَ عِبَادًا كَلَّمَا سَأَلُوكَ أَعْطَيْتَهُمْ فَحَوِّلْ حَزْمَتِي هَذِهِ ذَهَبًا، فَرَأَيْنَاهَا قَضِيانَ ذَهَبٍ تَتَقَدُّ وَ^(١٨) تَلْمَعُ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لَكَ عِبَادًا الْخَمُولَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ^(١٩) مِنَ الشُّهْرَةِ فَرَدِّهَا حَطْبًا كَمَا كَانَتْ [١٧٧] أَوَّلَ

- (١) عبارة «لأن فيه عطرية»، في (م) و(ع): «وفيه عطرية».
- (٢) في الأصل: «ينزل أمر ربنا»، والتصويب من (م) و(ع). وذلك لما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا...»، تقدم الحديث في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.
- (٣) عبارة «إلى سماء الدنيا» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «لله تعالى»، في (م) و(ع): «إليه».
- (٥) أي مخالفة النفس وشهواتها.
- (٦) عبارة «الذي يشفق»، في (م) و(ع): «المشفق».
- (٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٩١/٤. وداود بن رشيد: هو أبو الفضل الخوارزمي، كان ثقة واسع الرواية، خوارزمي الأصل، بغدادى الدار، مولى بني هاشم، توفي سنة ٢٣٩هـ - ٨٥٣م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣٦٧/٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٩١/٢.
- (٨) في الأصل: «سمي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) عبارة «تحدثنا يوماً»، في (م) و(ع): «جعنا أياماً».
- (١٠) في (م) و(ع): «و».
- (١١) عبارة «لعلنا نجد... إلخ»، في (م) و(ع): «لعلنا نرى رجلاً نعلمه بعض أمر دينه لعل الله تعالى أن ينفعنا به. فلما أصبحنا أسحرنا».
- (١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «رمى الحزمة... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) عبارة «وقال... إلخ»، في (م) و(ع): «فقال: لا تقولاً».
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «سَلَا سَلَا».
- (١٧) في (م) و(ع): «لا».
- (١٨) كلمة «تتقدو» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) في (م) و(ع): «الخمول إليهم أحب».

مرة^(١)، فرجعت - والله - حطاً ثم حملها على رأسه ومضى فلم نجسر أن تتبعه. شعر^(٢):

يا صَاحِبِي إِنْ كُنْتَ لِي أَوْ مَعِي
وَسَلَّ عَنِ الْوَادِي وَأَزْأَيْهِ^(٥)
حَيَّ كُتَيْبَ الرَّمْلِ رَمْلَ الْجَمَى
وَأَسْمَعَ حَدِيثاً قَدْ رَوَّهَ الصُّبَا
وَأَبْكَ فَمَا فِي الْعَيْنِ مِنْ فَضْلَةٍ
وَأَنْزَلَ عَلَى الشَّيْخِ بِوَادِيهِمْ
بَلَّغَ نَحْيَتِي^(٩) إِلَى رُبْعِهِمْ
رِفْقاً بِجَسْمٍ^(١٠) قَدْ بَرَّاهُ الضَّنَى^(١١)
فَعَجَّ^(٣) بَنَا نَحْوَ الْجَمَى^(٤) نَزَّعَ
وَأَتَشَدَّ فَوَادِي فِي رُبَى الْمَجْمَعِ^(٦)
وَقَفَ وَسَلَّم لِي عَلَى لَفْلَعِ^(٧)
تُسْنِدُهُ عَنْ بَانَةِ الْأَجْرِ^(٨)
وَقَفَ قَدْ تَكَ النَّفْسُ عَنْ مَذْمَعِ
وَأَشْمَمَ عُشْبَ الْبَلَدِ الْبَلَقِ
وَقُلْ دِيَارَ الظَّاعِنِينَ أَسْمَعِي
يَا عَذْلِي^(١٢) لَوْ كَانَ قَلْبِي مَعِي

[بحر السريع]

يا مزين الظاهر يا مدنس^(١٣) الباطن، ويحك أما تعلم بأحوالك^(١٤) من تباطن، أنت في طلب المعاصي متحرّك وفي الطاعة ساكن، تفرح وتلهو و^(١٥) ما تعلم أي الدارين ساكن^(١٦)، ويحك أمدد يد المعاهدة على الصُّلح حتى^(١٧) يمحي عنك أسم الخائن، لو علمت ما ضاع من رأس مالك في الشُّباب ظعنت في الظعائن، إنما استعملت مشارفاً^(١٨) على إقليم البدن

(١) عبارة «كما كانت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع)، والآيات لابن الجوزي. انظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٧٦/٦.

(٣) في (م) و(ع): «فجّر».

(٤) أرباب: جمع رب وهو السيد والمالك. ابن منظور، اللسان، «رب»، ٣٩٩/١.

(٥) عبارة «في ربي.. إلخ»، في الأصل: «كيما يرجع»، والتصويب من (م) و(ع). والمجمع: يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه. ابن منظور، اللسان، «جمع»، ٥٣/٨.

(٦) لَفْلَعٌ: جبل به وقعة للعرب. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٢٠٥/٣.

(٧) عبارة «بانة الأجر»، في الأصل: «بنات الأرجع»، والتصويب من (م) و(ع). والأجرع: كتيب جانب منه رمل وجانب حجارة. ابن منظور، اللسان، «جرع»، ٤٦/٨.

(٨) في (م) و(ع): «تحياتي».

(٩) في (م) و(ع): «بنضو». والنضو: المهزول من جميع الدواب. ابن منظور، اللسان، «نضا»، ٣٣٠/١٥.

(١٠) في (م) و(ع): «الهوى».

(١١) في (م) و(ع): «عاذلي».

(١٢) في (ع): «مدلس».

(١٣) في (م) و(ع): «بأنفالك». والحال: كنية الإنسان، وما هو عليه. الفيروزآبادي، القاموس، «حول»، ص ١٢٧٩.

(١٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «أنت ساكن».

(١٦) أي أميناً على جوارحك وثقماً عليها.

وَأَنْفَاسِكَ عَلَيْكَ^(١) رَهَائِنَ، أَمَرْتُ بِجَمْعِ حَاصِلِ الْعُمَرِ^(٢) وَ^(٣) وَقْتُ الْمَحَاسِبَةِ تَعْلَمُ مَا هُوَ كَائِنٌ، إِذَا فَرَطْتَ فِي حَاصِلِ الْعُمَرِ فَمَاذَا تَوَازَنَ، كُلُّ الْأَعْمَالِ لَكَ أَسْتِيفَاءً^(٤) فَالْمَفْرُطُ خَائِفٌ^(٥) وَالْأَمِينُ آمِنٌ، كَمْ عَلَيْكَ مِنْ تَشَوُّفٍ^(٦) فِي جَوَارِحِكَ وَكَيْفَ مِنْكَ^(٧) عَلَيْكَ تَأْمِنٌ^(٨)، [٧٧ب] وَ^(٩) الْأَمِينُ فِي الْوَلَايَةِ^(١٠) يَرْجُو السَّلَامَةَ وَالْوَيْلَ لِلخَائِنِ، نَعَّمُ الْمَحْبُوبُ أَحِبَابَهُ^(١١) بِالْمَحَبَةِ فَقُلُوبُهُمْ^(١٢) إِلَى مَحْبُوبِهِمْ تَرْتَاحُ^(١٣)، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَيْشْكُورٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ﴾.

أَشْتَرَى الْفَيْضَ بْنِ إِسْحَاقَ^(١٤) دَاراً بِمِائَتِي دِينَارٍ وَكُتِبَ كِتَاباً وَأَشْهَدُ عَلَيْهِ^(١٥) عَدُولاً، فَاتَى إِلَيْهِ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ وَقَالَ: سَيَأْتِيكَ مِنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ وَلَا يَسْأَلُ عَنْ حَالِكَ حَتَّى يَخْرُجَكَ إِلَى قَبْرِكَ، وَلَوْ أَنْبَأْتَنِي لَكُتَبْتُ لَكَ^(١٦) كِتَاباً نَسَخْتُهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا أَشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ مَيِّتٍ أَزْعَجَ بِالرَّحِيلِ، أَشْتَرَى هَذَا الْمَغْرُورَ بِالْأَمَلِ الْمَزْعُوجَ بِالْأَجَلِ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ يَحْدُهَا^(١٧) مِنَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ عَسَاكِرِ^(١٨) الْهَالِكِينَ، حَدَّهَا الْأَوَّلُ إِلَى دَوَاعِي الْمَنِيَّاتِ، وَالثَّانِي إِلَى دَوَاعِي الْمَصِيبَاتِ، وَالثَّلَاثُ إِلَى دَوَاعِي الْبَلِيَّاتِ، وَالرَّابِعُ إِلَى الْهَوَى الْمَرْدِيِّ وَالشَّيْطَانِ الْمَغْوِيِّ^(١٩)، وَفِيهِ يَشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ بِالْخُرُوجِ عَنِ الْقَنُوعِ وَالِدُخُولِ فِي ذَلِّ الطَّمَعِ^(٢٠)، فَمَا أَدْرَكَ الْمَشْتَرِي فُضْمَانَهُ عَلَى مِثْلِ^(٢١) أَجْسَامِ الْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ وَالْفَرَاعِنَةِ مِثْلَ كَسْرِي وَقِصْرِ وَتَبَعٍ

(١) فِي (م) وَ(ع): «عَلَيْهَا».

(٢) الْوَاوُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).

(٤) عِبَارَةٌ «لَكَ اسْتِيفَاءٌ»، فِي الْأَصْلِ: «لَهَا إِلَّا اسْتِخْفَاءٌ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). وَالْمَعْنَى: كُلُّ أَعْمَالِكَ مَسْجُودَةٌ عَلَيْكَ مَحْفُوظَةٌ.

(٥) فِي (م) وَ(ع): «خَائِنٌ».

(٦) فِي (ع): «مُسْتَوْفٌ». وَالْمَعْنَى: كَمْ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلَعٍ وَنَظَرٍ.

(٧) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (ع). (٨) عِبَارَةٌ «كَمْ عَلَيْكَ.. إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م).

(٩) الْوَاوُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

(١٠) فِي الْأَصْلِ: «الْأُولِيَّةُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). وَالْمُرَادُ بِالْوَلَايَةِ اسْتِخْلَافُ الْإِنْسَانِ فِي الْأَرْضِ وَالْقِيَامِ بِالْأَمَانَةِ الَّتِي كُلِّفَ بِهَا.

(١١) فِي (م) وَ(ع): «أَوْلِيَائِهِ».

(١٣) فِي (ع): «يَرْتَاحُ».

(١٤) هُوَ الْفَيْضُ بْنُ إِسْحَاقَ، أَبُو يَزِيدَ الرَّقِّي، خَادِمُ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ، كَانَ صَاحِبَ حَدِيثٍ وَخَيْرٍ وَغَزْوٍ، مَاتَ بِالرَّقَّةِ سَنَةَ ٢١٦ هـ - ٨٣١ م. ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى، ٤٨٦/٧. الذَّهَبِيُّ، تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، حَوَادِثُ وَوَفَايَاتُ ٢١١ - ٢٢٠ هـ، ص ٣٤٩.

(١٥) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

(١٧) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

(١٩) فِي (م) وَ(ع): «الْمَغْوِيُّ».

(٢١) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).

وحمير^(١)، فما أبين الحق لذوي^(٢) عينين، وإن الرحيل إلى الآخرة ليومين^(٣)، فتزودوا من صالح الأعمال، فقد دنت الرحلة للترال^(٤). شعر^(٥):

يا مَنْ يَبِيتُ عَلَى لَهْوٍ وَلَذَاتِ
يا غَافِلاً وَهُوَ لَا يَذَرِي مَنِيَّتَهُ
كَمْ قَدْ رَأَيْتَ رَخِيَّ الْبَالِ^(٦) عَاجِلُهُ
غَدُوا سِرَاعاً بِسَيْرِخَتْ أَوْلَهُمْ
وَأَضْبَحَ الْقَوْمَ صَرْعَى فِي قُبُورِهِمْ
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ مَا يُنْجِي وَكُنْ رَجُلًا
الْعَمْرُ يَفْتَنِي بِأَيَّامٍ وَسَاعَاتٍ
مَتَى تَكُونُ تَأَهُّبٌ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ [١٧٨]
مُنْقُصَ عَيْشِهِ مِنْ بَعْدِ رَاحَاتٍ
إِلَى الْمَثُونِ وَقَدْ حَلُّوا بِآفَاتِ^(٧)
لَا يَسْتَفِيْقُونَ مِنْ سُكْرِ الْمَنِيَّاتِ
رَاعَى عَوَاقِبَهُ حَقَّ الْمَرَاعَاتِ
[بحر البسيط]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي قدر مقادير الأمور^(٨) قبل أن تكون، أحصى أعمارهم وأرزاقهم وأخلاقهم وأعطاهم فوق ما يسألون، قبض القبضتين^(٩) هؤلاء للنعيم^(١٠) وهؤلاء في الجحيم يعذبون، سوابق سبقت بما أراد ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^(١١)، قرب بسر علمه وأبعد بحكمته حكمة من^(١٢) لا تدركه الأبصار ولا الظنون، ليس له شريك في الملك و^(١٣) الملكوت يعلم ما كان وما يكون، كم تحير من فكر وكم عجز من عقل وكم هام من وهم وكل في سجن السجن^(١٤) مسجون، أحكم ما أقسمه^(١٥) في أم الكتاب^(١٦) فكل شيء في ديوان إحصائه

- (١) جَمِير: بطن عظيم، من القحطانية، يتسب إلى حمير بن سبا بن يَشْجُب بن يَغْرُب بن قحطان. عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ٣٠٥/١.
- (٢) في (م) و(ع): «الذي».
- (٣) عبارة «إلى الآخرة.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلى آخر اليومين».
- (٤) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ١٠١/٨. وقد رويت القصة في الأصل و(م) و(ع) وجعلت بين شريح القاضي وسعدون، وهذا باطل لوجود فترة زمنية بينهما؛ إذ إن شريح توفي سنة ٩٨هـ - ٧١٦م، بينما كانت وفاة سعدون بعد سنة ٢٥٠هـ - ٨٦٤م، والتصويب من الحلية.
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٦) عبارة «رخي البال»، في الأصل: «نحيل البلا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع):
- (٨) «غدوا سراعاً بهم نجب المنون إلى
- (٩) في (م) و(ع): «الوجود».
- (١٠) في (م) و(ع): «في النعيم».
- (١١) قوله: ﴿لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأنبياء، آية ٢٣.
- (١٢) عبارة «وأبعد.. إلخ»، في (م) و(ع): «وأبعد بحكمة حكمه».
- (١٣) في (م) و(ع): «ولا».
- (١٤) في (م) و(ع): «العجز».
- (١٥) في (م) و(ع): «قسمه».
- (١٦) أم الكتاب قيل: اللوح المحفوظ. ابن منظور، اللسان، «أمم»، ٣١/١٢.

موزون، جعل عمارة الدنيا لظهور مصنوعات^(١) ونزول رسائله^(٢) ليعمل بها العاملون، أعلمهم أنها للسفر وأنهم عنها راحلون^(٣)، وجعل الآخرة دار مقام^(٤) فكم فيها من مسرور ومغبون، كم تجمعون الأموال والذنوب ستندمون على ما تجمعون، أما تراكم بالمنون في أحبابكم تفجعون^(٥) ما ينفعكم الأهل والأموال وإذا سألتهم الرجعة لا ترجعون، أما أنذركم من غاب تحت التراب وأنتم لما حلَّ به [٧٨ب] تنظرون^(٦)، أما لكم أسماع واعية أما لكم في الاعتبار^(٧) عيون، أين ما جمعتموه وحضنتموه من الحصون، خلقتموه ورحلتم وأنتم والله نادمون، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٨).

إخواني معاملة الخلق بالأبدان ومعاملة^(٩) الخالق بالقلوب^(١٠)، لا تبهرجوا بزيينة الظاهر فالناقد^(١١) علّام الغيوب، يا من كلّه للدنيا أما علمت أنك عن الأحباب محجوب، تسلك على جادة الشهوات وغاب عنك - ويحك - المطلوب^(١٢)، تصفّح - ويحك^(١٣) - دستور عملك ونظفه قبل أن تصبح وأنت مطلوب، قدّم زاد القبر بقدر الإقامة والمسافر^(١٤) بلا زاد متعوب، الفكرة في طلب الحلال تكدر وقت الصّفا فكيف إذا كان الحرام هو المطلوب، لحم الحرام حرام وفي جهنم يذوب، من دخل تحت أسر الهوى فهو مغلوب، واحزنه على ذهاب العمر والدين إلى أن يقال هو في الموت^(١٥) مسلوب^(١٦)، إذا لم تتعظ بالمشيبي فسطر الشقاء في جبينك مكتوب، كم نادتك العير ولكن لا تسمعون^(١٧)، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [١٧٩].

(١) في الأصل: «مصنوعات»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (ع): «سائله»، وهو تصحيف.

(٣) في (م) و(ع): «يرحلون».

(٤) في (م) و(ع): «المقام».

(٥) عبارة «أما تراكم.. إلخ» ساقطة في (م).

(٦) في (م) و(ع): «تنظرون».

(٧) عبارة «في الاعتبار»، في (م) و(ع): «للاعتبار».

(٨) سورة الأنعام، آية ٩٤.

(٩) قوله هذا هو معنى حديث لرسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصابعه إلى صدره. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره وتحريم دمه وعرضه وماله، رقم الحديث (٢٥٦٤/٣٣)، ١٩٨٦/٤.

(١٠) في (ع): «والناقد».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (١٤) في (م) و(ع): «فالمسافر».

(١٣) عبارة «أن يقال.. إلخ»، في (م) و(ع): «أن يقال في التراب».

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «ولى الشباب والصبا وأنت في الغفلة في أسلوب».

(١٥) عبارة «ولكن لا تسمعون»، في (م) و(ع): «بالعيون ولا تسمعون».

قال صالح المرّي رحمه الله تعالى^(١): «كانت جارية تغني فمرّت بقاري يقرأ: ﴿وَلَنْ جَهَنَّمَ لَنُوعِدْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) لها سبعة أنوب لكل بابٍ منهنّ جزءٌ مقسومٌ»^(٣). قال: فصرخت فوقعت^(٤) على وجهها، ثم قامت وأخذت^(٥) في العبادة، فدخلت عليها وكلمتها في الرّق في نفسها^(٦)، فبكت وقالت: ليت شعري أهل المعاصي من القبور كيف يخرجون، وعلى الصّراط الرّقيق كيف يعبرون، ومن أهوال^(٧) الآخرة^(٨) كيف يخلصون، و^(٩) من الجحيم^(١٠) والرّزوم كيف يتجرعون، ولعتاب المولى كيف يسمعون، ثم وقعت مغشيةً عليها، ثم أفاقت وقالت: مولاي عصيتك وأنا غضة رطبة، وأطعتك يابسة خشبة، أترك تحرق الخشبة بالنار. فلم يبق أحد في مجلسها حتى غشي عليه^(١١) من شدة بكائها. هذه صفة الخائفين المشفقين المحزونين الوجلين». شعر^(١٢):

أَمَّا وَالَّذِي قَدْ قَدَّرَ الْبُغْدَ بَيْنَنَا وَعَذَّبَنِي بِالشُّوقِ وَهُوَ شَدِيدُ
وَحْصَكُم بِالصَّبْرِ دُونِي وَحْصَنِي بِحُزْنٍ عَلَيْكُمْ يَغْتَدِي^(١٣) وَيُعيد
وَصَيَّرَنِي مَهْمَا شَمَنْتُ نَسِيمَكُم أَشَدَّ لِقَلْبِي رَاحَتِي وَأَمِيدُ
لَقَدْ ذَابَ قَلْبِي فِي دُمُوعِي عَلَيْكُمْ عَلَى أَنَّهُ فِي النَّائِبَاتِ حَدِيدُ^(١٤)
فِيالْتِ شِعْرِي هَلْ عَلَى مَا لَقِيتُهُ وَكَابَدْتُ مِنْ حَرِّ^(١٥) الْفِرَاقِ مَزِيدُ
لَيْتَنِي عَادَ ذَاكَ الْوَضْلُ أَوْ عَادَ بَغْضُهُ وَهِيَ هَاتِ مِنْهُ إِنَّنِي لَسَعِيدُ [٧٩ب]
عَلَى أَنَّهَا الْأَقْدَارُ قَدْ تَبْعَدَ الْفَتَى قَرِيباً وَقَدْ تُذْنِبُهُ وَهُوَ بَعِيدُ
[بحر الطويل]

إخواني اغتنموا فرصة الشباب فزمان الشيب^(١٦) كله كدر، لا يهولنكم^(١٧) كثرة الذنوب فصدق التوبة تغفر^(١٨)، إياك أن تعامل في بضائع عمرك^(١٩) مفاليس الغفلة فمن عاملهم أفقر،

- (١) القصة ذكرها شبيب الحريش في الروض الفائق، ص ١٣٨.
- (٢) سورة الحجر، آية ٤٣ - ٤٤. والآية في (م) و(ع): ﴿وَلَنْ جَهَنَّمَ لَنُوعِدْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.
- (٣) في (م) و(ع): «ووقعت».
- (٤) في (م) و(ع): «فأخذت».
- (٥) في الأصل: «على نفسها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) في (ع): «أهل»، وهو تصحيف.
- (٧) في (م) و(ع): «القيامة».
- (٨) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «عليها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١١) في (م): «جليد»، وفي (ع): «جليد».
- (١٢) في (م) و(ع): «المشيب».
- (١٣) في (م) و(ع): «تهولنكم».
- (١٤) في (م) و(ع): «فصدق التوبة تغفر».
- (١٥) عبارة «فصدق.. إلخ»، في (م) و(ع): «فصدق التوبة تغفر».
- (١٦) في (م) و(ع): «العمر».

أحفظ رأس مال الشيبة ولا تضيّعها في الكبير^(١)، أدّخر بضائع الطّاعة ليوم يريح فيه من أدّخر، لا ندم^(٢) أشدّ من ندم المفرط إذا غيره ربح في المتجر، عرّجوا بوادي التوبة فربيعه قد أزهّر، زاحم رفاق التائبين وإياك أن تتأخّر، إذا خالفت صحراء التّخلف^(٣) حصلت في مغاص^(٤) الجوهر، قلب التائب بلد عامر وقلب العاصي خراب بلقع^(٥) أقفر، حاذر صاعقة^(٦) الشهوة فإنّها إن أصابت قلبك لا تبقي ولا تذر، يا مريض الخطايا^(٧) تنسّم ويحك نسيم السحر، فيه^(٨) عطريّة هل من تائب ذنوبه تغفر، لازم ويحك باب الفجر إذا الفجر أنفجر، أنظر لنفسك فما عند السعيد من الشقيّ خبر، إياكم والغفلة إلى يوم ترحلون، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمَا حَوْلَكُمْ وَرَبَّاهُكُمْ وَرَبَّاهُكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَمَنْ عَنكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

منصور بن عمار رحمهم الله تعالى قال^(٩): قال لي رجل من أهل الشام: بالشام يا أبا السّري عندنا رجل من العبّاد من أهل واسط^(١٠) العراق [١٨٠] و^(١١) لا يأكل إلا من كدّ يده^(١٢)، وقد دبرت يده^(١٣) من شقّ الخوص، ولو رأيته لأطلت النظر إليه، قال^(١٤): فهل لك أن تمضي بنا إليه؟ قلت: نعم. فأتيناه فوقفنا^(١٥) على بابه، فخرج إلى الباب فسمعته يقول: اللهم إني أعوذ بك ممن جاءني^(١٦) يشغلني عنك^(١٧) عمّا أتلذّذ به^(١٨) من مناجاتك. ثم فتح

(١) في (م) و(ع): «أحفظ رأس مال الشيبة ولا تضيّع ما في الكبير».

(٢) في (م) و(ع): «حزن».

(٣) عبارة «إذا خالفت.. إلخ»، في الأصل: «إذا خلقت في صحرا التخلف»، وفي (م): «إذا خالفت صحرا التخلف»، والتصويب من (ع).

(٤) في الأصل: «مغاص»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الصاعقة: نار تسقط من السماء في رعد شديد. ابن منظور، اللسان، «صعق»، ١٩٨/١٠. والمعنى أن الشهوة متى استحكمت بالقلب عصفت به، وملائته بحب الدنيا وحجبت عنه نور الإيمان، فكان أثرها في الضرر والأذى تماماً كآثر الصاعقة.

(٧) في (ع): «الخطا».

(٨) في (م) و(ع): «فيه».

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٣٩/٤.

(١٠) في الأصل: «واسطة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «يمينه».

(١٣) في (م) و(ع): «وقد دبرت صفحة يديه». والذّبر: الجرح الذي يكون في ظهر الدابة، والمدبور: المجروح. ابن منظور، اللسان، «دبر»، ٢٧٤/٤.

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «فوقفت».

(١٦) في (م) و(ع): «جاء».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «بك»، والتصويب من (م) و(ع).

الباب، ودخل ودخلنا^(١)، فإذا رجل ترى به أثر^(٢) الآخرة وإذا قبر محفور، ووصيته قد كتبها في الحائط، وكساء^(٣) قد أعدّه لكفنه، فقلت: أي موقف لهذا الخلق؟ فقال: بين يدي من؟ ثم صاح وخرّ مغشياً عليه^(٤)، ثم أفاق من غشيته، فقال له صاحبي: يا عابد^(٥) هذا أبو السري منصور بن عمار. فقال لي: مرحباً بك يا أخي مازلت إليك مشتاقاً، وإلى استماع مواعظك تواقفاً^(٦)، أعلمك أنّ لي داء قد أعيا الأطباء^(٧) قبلك قديماً فهل لك أن تأتي^(٨) عليه برفقك وتلصق عليه من^(٩) بعض مراهمك لعلّ الله ﷻ ينفعني بك^(١٠). قال: قلت: و^(١١) كيف يُعالج مثلي مثلك وجرحي أدغل^(١٢) من جرحك؟ قال: وإن كان كذلك فأني مشتاق إلى ذلك. قال: فقلت^(١٣): إنّ كنت قد تمسكت بأحفار قبر^(١٤) في بيتك، وبوصية رسمتها^(١٥) بعد وفاتك، وبكفن أعدته ليوم موتك، فإنّ الله ﷻ عباداً أقطعهم خوفهم^(١٦) عن النظر إلى قبورهم. قال: فصاح صيحة فوق^(١٧) في قبره، وجعل يفحص برجله^(١٨) وبال، فعرفت ذهاب عقله [٨٠ب] فخرجت إلى طحان عند بابه، فقلت: أدخل وأعنا على هذا الشيخ، فأستخرجناه من قبره^(٢٠) وتركناه^(٢١) صريعاً فلمّا كان من الغداة^(٢٢) عدتُ إليه، فإذا بسلخ في وجهه وإذا بشريط قد شدّ به رأسه لصداع وجده، فلمّا رأيته قال^(٢٣): يا أبا السري المعاودة يرحمك الله تعالى^(٢٤). فقلت له^(٢٥): أين^(٢٦) بلغت بك^(٢٧) أيّها المتعبد أحزانك بالله، فكأنّي أنظر إلى أكل الفطير

- (١) عبارة «ودخل ودخلنا»، في (م) و(ع): «فدخلنا».
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «وكساء».
- (٤) عبارة «وخرّ مغشياً عليه»، في (م) و(ع): «وخرّ لوجهه».
- (٥) في (م) و(ع): «عباد».
- (٦) عبارة «وإلى استماع... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «المتطيين».
- (٨) في (م) و(ع): «تألي».
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «لعلّ الله أن ينفع بك».
- (١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) الدّغل: الفساد. ابن منظور، اللسان، «دغل»، ١١/٢٤٤.
- (١٣) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٤) في (م) و(ع): «قبرك».
- (١٥) في (م) و(ع): «قد رسمتها».
- (١٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «خوفه».
- (١٨) في (م) و(ع): «برجليه».
- (٢٠) في (م) و(ع) زيادة: «وهو في غشيته فقال لي الطحان ما صنعت فخرجت».
- (٢١) في (م) و(ع): «وتركته».
- (٢٢) عبارة «من الغداة»، في (م) و(ع): «الغد».
- (٢٣) في (م) و(ع): «قال لي».
- (٢٤) عبارة «يرحمك الله تعالى»، في (م) و(ع): «رحمك الله».
- (٢٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٦) في الأصل: «إني»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

وَالصَّابِرَ عَلَى خِزْ (١١) الشَّعِيرِ يَأْكُلُ مَا أَشْتَهَاهُ (١٢) وَيَسْعَى إِلَيْهِ (١٣) بِلَحْمٍ وَطَيْرٍ وَيَسْقَى (١٤) مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ (١٥). فَشَهَقَ شَهْقَةً فَحَرَّكَتَهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ (١٦) فَارَقَ الدُّنْيَا رَحِمَةً اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ (١٧). شَعَرَ:

لَوْ صَحَّ فِي عِقْدِ السُّلُو أَمَانَهُ
وَلَكَمْ نَوَى كَيْثَمَانَ سِرِّ جُفُونِهِ
صَبُّ مَتَى هَبَّتْ صَبًّا نَجْدِيَّةً
وَمَتَى تَأَلَّقَ بَارِقَ أَهْدَى لَهُ
يَا صَاحِبِ يَا صَاحِبِ الْفُؤَادِ وَإِنِّي
عَرَّجٌ عَلَى الْمَغْنَى (١١) فَفِيهِ أَحْبَبْتِي
قِفْ فِيهِ وَفَقَّةً حَائِزٍ مُتَبَلِّدٍ
وَأَشْكُرُ لِطَرْفِكَ أَنْ أَرَاكَ أَرَاكَ
وَأَتَحَرَّ جُفُونِكَ فِي ثَرَاهِ فَلِئِنَّهُ
وَعَهْدُتُهُ مَاوَى الْجِسَانَ فَطَالَمَا (١٥)

لَأَتَاهُ مِنْ مَلِكِ الْغَرَامِ (٨) أَمَانَهُ
فَوَشَّتْ عَلَيْهِ لِحَالِهِ (٩) أَشْجَانَهُ
نَثَرَتْ ثِمَارَ (١٠) دُمُوعِهِ أَجْفَانَهُ
ذُكِرَ الْهَوَى وَمَعَانَهُ لَمَعَانَهُ
ثَمِلُ الْفُؤَادِ مِنَ الْهَوَى سَكْرَانَهُ
مَعْنَى يَدُقُّ عَنِ اللِّسَانِ بَيَانَهُ (١٢)
مُتَبَلِّلُ (١٣) أَحْزَانِهِ أَحْزَانَهُ
وَأَخْلَعَ فُؤَادَكَ حِينَ يَرْقُصُ (١٤) بَانَهُ
لَمُنَى مُنَاكَ هَوَى وَذَاكَ مَكَاثُ
أُولَى فَرَزَيْنَ حُسْنَهُ إِخْسَانَهُ (١٦)

[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي لا يردّ قضاؤه فله الحكم فيما قضى (١٧) وقدر، عدل فيما [١٨١] حكم
وحكمه في أم الكتاب مسطر، كل شيء له عنده مقدار وأقدار فيما بطن وظهر، ليس في
الوجود مدبّر غيره (١٨) وكل من (١٩) سواء مدبّر، كل البسه ثوب الفقر فهذا فقير وهذا أفقر،
طبعهم على الضعف والعجز فلسان المدّعي قصر وأقصر، من أوله قطعة طين وآخره جيفة في

(١) في (م) و(ع): «أكل».

(٣) في (م) و(ع): «عليه».

(٥) الرحيق: من أسماء الخمر يريد خمر الجنة، والمختوم: المصون الذي لم يُبْتَذَلْ لأجل ختامه. ابن منظور، اللسان، «رحق»، ١٠/١١٤.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «رحمة الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «بحاله».

(١١) المغنى: المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا. الفيروزآبادي، القاموس، «غنى»، ص ١٧٠.

(١٢) البيت ساقط في الأصل، وهو من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «مبلبل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م): «وطالما».

(١٧) في (م): «قد قضى».

(١٩) في (م): «ما».

(١٤) في (م): «ترقص».

(١٦) الأبيات الأربعة الأخيرة ساقطة في (ع).

(١٨) في (م): «غيره مدبّر».

القبر رهين أما عنده خبر، يا ليت له لم يخلق يا^(١) ليت له لم يبعث ويا ليت له جدّ وشمر، أستان فراش الغفلة حتى ولّى زمان الصّبا وجاء الكبر، يا ليت له بادر إلى^(٢) المتاب قبل أن يقبر، كيف يطيب^(٣) عيش من لا يدري مآله إمّا إلى الجنة وإمّا^(٤) إلى سقر، بينما المغرور يجرّ إزار الغفلة إذ^(٥) به في ديوان الموت يتعثر، لا يُقال ولا يقام ولا تقال له عشرة^(٦) إن عشر، فسيندم^(٧) المفرطون عند معاينة المحتوم بالقدر، ﴿إِنَّا بِرَقِّ الْبَصَرِ ۖ وَخَسَفِ الْقَمَرِ ۖ وَجَمْعِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّنِ الْفَرُّ﴾^(٨)، فسبحان من لا تحيط به العقول ولا الفكر، أحمده حمدا يليق بعظمته وهو أعلى من حمد^(٩) الحامدين وأكبر^(١٠)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها^(١١) ليوم أقبر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيّين وسيّد البشر، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه^(١٢) الذين أذهب عنهم الرّجس^(١٣) وطهر.

إخواني جدّوا في طلب الآخرة فإنّ دونها^(١٤) أهوال، النار قرنت بأدنى شهوة تنال^(١٥)، أهل الهوى في تيه [٨١ب] الشقاء ضلال، عجباً لهم كيف يحملون الأوزار وهي ثقال، إذا حلّوا منزل القبر ظهرت لهم^(١٦) الآلام^(١٧) والأنكال، تيقظوا يا أهل الغفلة فهذا^(١٨) نذير الشيب ينادي^(١٩) بالارتحال، أنت في علم الآخرة بليد وفي علم^(٢٠) الدنيا لك ارتجال، كم شيعتم من^(٢١) جنازة وهي تناديكم يا للرّجال، بصوت لو سمعتموه لتمزّقت أوصالكم^(٢٢) قبل

(١) في (م): «ويا».

(٢) في (م): «طاب».

(٣) في (م): «إذا».

(٤) في (م): «ولا يقال له لعاً». ولعا كلمة يُدعى بها للعائر معناها الارتفاع. ابن منظور، اللسان، «لعا»، ٢٥٠/١٥.

(٥) في (م): «سيندم».

(٦) في الأصل: «حمده»، والتصويب من (م).

(٧) في الأصل: «نستعدها»، والتصويب من (م).

(٨) سورة القيامة، آية ٧ إلى ١٠.

(٩) في الأصل: «المأثم والشك». ابن منظور، اللسان، «رجس»، ٩٥/٦.

(١٠) في (م): «فدونها».

(١١) عبارة «النار قرنت.. إلخ»، في (م): «الجنة قريبة بترك أدنى شهوة تنال»، وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم الحديث (٧٤)، ١٨٣/٨.

(١٢) في الأصل: «الآمال»، والتصويب من (م).

(١٣) في الأصل: «يا أهل الغفلة تيقظوا هذا».

(١٤) في (م): «علاوا»، والتصويب من (م).

(١٥) في (م): «لو سمعتموه.. إلخ»، في (م): «لو سمعتموه أوصالكم». وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرّجال على =

الوصال، لكن عليكم^(١) طرش الغفلة ولكم^(٢) في البطالة مجال، يا قيس التوبة متى تظفر بليلي الوصال، كم قطع من موصل ووصل من مقطوع فطال لسانه وصال^(٣)، واعجبا^(٤) كم في المجلس من التظارة فأين الأبطال، يا مخنث العزيمة رضىت بأن توسم بأسم البطال^(٥)، يا أرباب الجرائم^(٦) أسبلوا عبراتكم قبل حلول القبر^(٧)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٨) وَخَسَفَ الْقَمَرُ^(٩) وَجِئَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(١٠) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَرُّ^(١١).

أبو إسحاق الهروي رحمه الله تعالى قال^(٨): «كنت مع ابن الحنوطي^(٩) بالبصرة فأخذ بيدي وقال قم حتى نخرج إلى الأبلّة^(١٠)، فلما قربنا من^(١١) الأبلّة ونحن نمشي على شاطئها^(١٢) بالليل والقمر طالع إذ مررنا بقصر جندي^(١٣) فيه جارية تغني، فوقفنا في فناء^(١٤) القصر نستمع، وفي جناب^(١٥) القصر الآخر فقير بخرتين^(١٦) يستمع^(١٧) واقفاً، فقالت الجارية:

كُلَّ يَوْمٍ نَتَلَوْنَ غَيْرَ هَذَا بِكَ أَجْمَل
مَا تَرَى الْعُمَرُ تَوَلَّى^(١٨) وَرَسُولُ الْمَوْتِ أَقْبَل

[مجزوء الرمل]

قال^(١٩): فصاح الفقير: أعيدي، هذا^(٢٠) حالي مع الله ﷻ^(٢١). فنظر صاحب الجارية إلى

= أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدّموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق». البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب قول الميت وهو على الجنائز قدّموني، رقم الحديث (٧٣)، ١٨٤/٢.

- (١) في (م): «لكن غلب عليك».
- (٢) في (م): «ولك».
- (٣) صال: استطال. ابن منظور، اللسان، «صول»، ٣٨٧/١١.
- (٤) في (م): «واعجبا».
- (٥) عبارة «يا مخنث.. إلخ» ساقطة في (م).
- (٦) في (م): «الإجرام».
- (٧) في (م): «العبر».
- (٨) في (م): «قال أبو إسحاق الهروي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٥٢/٤. وابن قدامة المقدسي في كتاب التوايين، ص ٢٤٨. والقشيري في الرسالة القشيرية، ص ٣٤٦، وإنما ساق القصة عن الدراج.
- (٩) في الصفة «ابن الخروطي»، وفي كتاب التوايين «ابن الخيوطي»، وفي الرسالة القشيرية «ابن القوطي»، والله أعلم.
- (١٠) الأبلّة: بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى، في زاوية الخليج الذي يَدْخُل إلى مدينة البصرة. صفى الدين البغدادى، مراصد الاطلاع، ١٨/١.

- (١١) في (م): «إلى».
- (١٢) في (م): «على شاطئ الأبلّة».
- (١٣) في (م): «الجندي».
- (١٤) عبارة «في فناء»، في (م): «فناء».
- (١٥) في (م): «فناء».
- (١٦) عبارة «فقير بخرتين» ساقطة في الأصل، وهي من (م).
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م).
- (١٨) في الأصل: «أما ترى العمر ولى»، والتصويب من (م).
- (١٩) الكلمة ساقطة في (م).
- (٢٠) في (م): «فهذا».
- (٢١) في (م): «تعالى».

الفقير، فقال^(١) لها: [١٨٢] أتركي العود وأقبلي على هذا^(٢) فإنه صُوفِي، فأخذت تقول والفقير يقول: هذا حالي مع الله ﷻ^(٣)، والجارية تُردد إلى أن زعق الفقير زعقة^(٤) خرَّ مغشياً عليه، فحرَّكناه فإذا هو ميتٌ رحمة الله عليه^(٥). فلمَّا سمع صاحب القصر بموته نزل وأدخله القصر، فأغتمنا وقلنا هذا يكفُّه من غير وجهه. فصعد الجندي وكسر كل ما كان عنده^(٦) بين يديه. وقلنا: ما بعد هذا إلا خير. ومضينا إلى الأبلَّة، وبتنا وعرَّفنا الناس، فلمَّا أصبحنا رجعنا إلى القصر وإذا الناس يقبلون من كل جانب^(٧) إلى الجنازة و^(٨) كأنما نُودِي بالبصرة^(٩) حتى خرج العدول والقضاة وغيرهم، وإذا الجندي يمشي^(١٠) خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفناه. فلمَّا همَّ^(١١) الناس بالانصراف قال للشهود^(١٢): أشهدوا^(١٣) أن كل جارية لي حرَّة لوجه الله ﷻ^(١٤)، وكلُّ متاعي^(١٥) وعقاري حبس في سبيل الله ﷻ^(١٦)، وفي صندوقي أربعة آلاف دينار هي في سبيل الله ﷻ^(١٧)، ثم نزع الثوب الذي كان عليه فرماه وبقي في سراويله. فقال القاضي: عندي مئزران من وجههما تقبلهما مني^(١٨)؟ فقال: شأنك. فحملهما إليه فأنزَّر بواحد وتوشَّح بآخر^(١٩) وهام على وجهه، فكان بكاء النَّاس عليه^(٢٠) أكثر من بكائهم على الميت. شعر^(٢١):
 ما حال^(٢٢) راية وُضِّلَكم أن تنشرا
 كرمًا وميتٌ هَجَرِكم أن يُنشرا
 أخْبأبنا كم ذا الجفَّا تجنِّيا
 إلى متى هذا الصُّدود تَكْبُرُا^(٢٣) [٨٢ب]
 إن غُيِّبَت صَفَحَاتُ صَفْح^(٢٤) وجُوهكم
 فالحَظُّ منها في الفؤاد^(٢٥) تَسْطُرُا^(٢٦)

(٢) عبارة «على هذا»، في (م): «عليه».

(١) في (م): «وقال».

(٣) في (م): «تعالى».

(٤) عبارة «زعق.. إلخ»، في الأصل: «زهق الفقير زهقة»، والتصويب من (م).

(٦) الكلمة ساقطة في (م).

(٥) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م).

(٨) الواو ساقطة في (م).

(٧) في (م): «جهة».

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(٩) في (م): «بأهل البصرة».

(١٢) في (م): «قال للقاضي والشهود».

(١١) في الأصل: «هوى»، والتصويب من (م).

(١٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م).

(١٣) الكلمة ساقطة في (م).

(١٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م).

(١٥) في (م): «ضياعي».

(١٧) عبارة «وفي صندوقي.. إلخ» ساقطة في (م).

(١٨) عبارة «تقبلهما مني»، في (م): «أقبلهما».

(١٩) عبارة «وتوشح بآخر»، في (م): «واتشح بالآخر».

(٢١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(٢٢) في (م): «دان».

(٢٣) عبارة «إلى متى هذا.. إلخ»، في الأصل: «إلى متى في حبكم أن تهجر»، والتصويب من (م).

(٢٥) في الأصل: «فؤاد»، والتصويب من (م).

(٢٤) في (م): «صنّف».

(٢٦) في (م): «مسطراً».

لي بعدكم قَلْبٌ تَقْلَبُ فِي الْجَوَى
وَتَحْدَرُ الدَّمْعُ الَّذِي لَوْلَاكُمْ
يَزْتَاحُ قَلْبِي كُلَّمَا ذُكِرَ الْجَمَى
وَإِذَا رِيَّاحُ دِيَارِكُمْ هَبَّتْ لَنَا^(٢)
مَا زَالِ جَيْشُ تَوَاضَلِي فِي غِبْطَةٍ
كَانَ الْوِصَالُ مُقَدِّمًا بِدُنُوكُمْ^(٣)
مَا لَمْ فِيكُمْ عَاذِلٌ^(٤) فَرَأَى الَّذِي
هِيَهَاتَ أَنْسَاكُمْ وَأَنْسَى ذِكْرَكُمْ
أَمِنَ الْمَرْوَةَ أَنْ تَنَامُوا عَنْ فَتَى
جَرَتْ الْمَدَامُ مِنْ شُؤُونٍ^(٥) جَفُونَهُ
مَا هَمَّ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ فُؤَادَهُ
قَدْ كَانَ أَيْسَرَ بِالتَّدَانِي بُرْهَةً
قَدْ أَنْزَلَتْهُ الْبَانُ عُرْبَانُ النَّقَى

وَجُفُونُ عَيْنِي قَدْ جَفَتْ سَنَةَ الْكَرَى
وَجَرَتْ بِهِ رِيحُ الْجَنُوبِ^(٦) لَمَّا جَرَى
شَوْقًا كَأَنِّي قَدْ شَرِبْتُ الْمُسْكِرَا
تُغْنِي^(٧) الْمَعَاطِسُ^(٨) أَنْ تَشُمَّ الْعَنْبِرَا
حَتَّى أَعْدَّ^(٩) الْبَيْنَ مِنْهُ عَسْكَرَا
فَأَتَى النَّوَى فَأَزْتَدُّ مِنْهُ مُؤَخَّرَا
بِي مِنْ جَوَى إِلَّا أَتَى مُسْتَغْفِرَا^(١٠)
مَنْ ذَا^(١١) لَمَّا طَبَعَ الْإِلَهَ مُغَيَّرَا
حَيْرَانَ صَادٍ^(١٢) لِلْوِصَالِ فَيَسْهَرَا
بَعْدَ النَّوَى حَتَّى جَرَّخَنَ الْمَخْجَرَا
إِلَّا نَهْنَهُ دُمُوعُهُ أَنْ يَضْطَرَّ
فَالْيَوْمَ أَضْبَحَ بِالتَّفَرُّقِ مُغْسِرَا
فَمَتَى يَرَى بِالْوِصَالِ بَعْدَ مُبَشَّرَا^(١٣)

[بحر الكامل]

واعجبه كم لي أعاتب المهجور والعتب لا^(١٣) ينفع، كم لي أنادي الأطروش لو كان النداء
يسمع، كم لي أحدث قلبك وفي سماعك أطمع، واهأ عليك يا جامد العين قط ما تدمع، من

(١) ريح الجنوب تخالفت الشمال، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا. الفيروزآبادي، القاموس، «جنب»، ص ٨٩.

(٢) عبارة «وإذا رياح.. إلخ»، في (م): «وإذا يهب نسيم ريح دياركم».

(٣) في (م): «يغني».

(٤) المعاطس: الأنوف. ابن منظور، اللسان، «عطس»، ١٤٢/٦.

(٥) في الأصل: «أعاد»، والتصويب من (م). (٦) في (م): «يدنو بكم».

(٧) في (م): «لائم».

(٨) في (م): «أضحى».

(٩) صاد: هو اسم فاعل من الصدى وهو العطش الشديد. ابن منظور، اللسان، «صدى»، ٤٥٥/١٤.

(١٠) الشؤون: عروق الدموع من الرأس إلى العين. والشؤون هي مواصل قبائل الرأس وملتهاها، ومنها تجيء الدموع. ابن منظور، اللسان، «شان»، ٢٣٠/١٣، ٢٣١.

(١١) عبارة «فمتى يرى بالوصل.. إلخ»، في الأصل: «فمتى يرى منه بالوصل مبشراً»، والصواب ما أثبتناه على ما جاء في الأصل في الخطبة الأولى من الفصل الرابع والعشرين، والآيات الخمسة الأخيرة ساقطة في (م).

(١٣) في (م): «ما».

علامات^(١) الخذلان قلب لا يخشع^(٢)، طويت بساط^(٣) العزم ونشرت بساط الأمل [١٨٣] أما ترجع^(٤)، عقلك ذهب في حب^(٥) الفاني وأنت في الحرام تجمع، عليك^(٦) في جمعه الحساب^(٧) وتخلّفه لمن لا ينفع، بينما أنت في بستان اللّهُو^(٨) إذ قيل فلان سافر وليس في رجع^(٩) مطمع، ليت شعري أعجب^(١٠) أهل القبور المقام في ضيق لحيد خراب بلقع؟ كم بكى عليهم^(١١) الباكي وناح عليهم النَّائح وما ينفع، شغله عن أهله وولده ماهو فيه من الجزع، يتجرّع شراب الأسف على الفائت جرع، لقد وعظوا بسكنهم ومسكنهم وسكونهم فأين من يسمع، كانوا يتزيّنون في المأكّل والملبس فهام تحت اللّهُود^(١٢) هَجَج، ملّهم العائد ونسيهم الزائر وكلّهم إلى ما قدّموا أنقطع^(١٣)، فبادروا إخواني قبل أن تبادر^(١٤) الحُبْر والحَبَر^(١٥)، ﴿وَإِنَّا بِقَدِّ الْبَصَرِ ۖ وَخَسَفِ الْقَمَرِ ۖ وَجَمْعِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ۖ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ﴾.

سالم بن زرعة بن حمّاد رحمه الله تعالى أبو المرضي - شيخ بعبّادان له عبادة وفضل - قال^(١٦): ملح عندنا الماء^(١٧) منذ نيف^(١٨) وستين سنة، وكان هاهنا رجل من أهل السّاحل له فضل. قال: ولم يكن في الصّهاريج شيء فحضرت صلاة المغرب، فنهضت لأتوضّأ للصلاة،

(١) في (م): «علامة».

(٢) قسوة القلب: معناه خلوه من الإنابة والإذعان لله تعالى، وهو علامة من علامات البعد عن الله تعالى؛ لذا استعاذ منه رسول الله ﷺ؛ فعن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكّاها أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها». مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم الحديث (٢٧٢٢/٧٣)، ٢٠٨٨/٤.

(٣) عبارة «طويت بساط»، في (م): «سوّفت نشاط».

(٤) عبارة «ونشرت.. إلخ»، في (م): «وسطت بساط المضطجع».

(٥) في (م): «طلب».

(٦) في (م): «غلبك».

(٧) في الأصل: «في الحساب»، والتصويب من (م).

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(٩) في (م): «رجوعه».

(١٠) في (م): «أعجب».

(١١) في (م): «تحت صم للهود».

(١٢) عبارة «وكلهم إلى.. إلخ»، في (م): «وكل إلى ما قدمه انقطع».

(١٣) في (م): «تعاينوا».

(١٤) الحَبَر: النّبأ. والخُبْر: العلم بالشيء. ابن منظور، اللسان، «خبر»، ٢٢٧/٤. والمعنى: بادروا المتاب قبل أن يفجاكم نبأ الموت.

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٥٩/٤، وإنما قال: «سَلِمَ بن زرعة بن حماد». وفي المنتظم، ١٩/١٢، وإنما قال: «مسلم بن زرعة بن حماد».

(١٦) في (م): «ملح الماء عندنا».

(١٧) في الأصل: «ونيف»، والتصويب من (م).

وكان ذلك في رمضان وكان يوم حر^(١) شديد، وإذا أنا به وهو يقول: سيدي أَرْضَيْتِ عَمَلِي
 حَتَّى أَتَمَّنَى عَلَيْكَ أَمْ رَضَيْتِ طَاعَتِي حَتَّى أَسْأَلَكَ؟ سَيِّدِي غَسَّالَةُ الْحَمَّامِ لَمْ^(٢) عَصَاكَ كَثِيرَ،
 سَيِّدِي لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ غَضَبَكَ لَمْ أَذُقِ الْمَاءَ وَلَوْ^(٣) أَجْهَدُنِي الْعَطَشُ [٨٣ب]. قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ
 بِيَدَيْهِ فَشَرِبَ شَرِبًا صَالِحًا^(٤)، فَتَعَجَّبْتُ^(٥) مِنْ صَبْرِهِ عَلَى مَلُوحَتِهِ، فَأَخَذْتُ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي
 شَرِبَ مِنْهُ^(٦) فَإِذَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الشُّكْرِ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ^(٧) حَتَّى رَوَيْتُ. قَالَ أَبُو الْمَرْضِيِّ: قَالَ^(٨)
 لِي^(٩) هَذَا الشَّيْخُ يَوْمًا: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمَ كَأَنَّ رَجُلًا يَقُولُ لِي قَدْ فَرَعْنَا مِنْ بِنَاءِ دَارِكَ لَوْ
 رَأَيْتَهَا قَرَّتْ عَيْنَاكَ، وَقَدْ لَهَوْنَا بِتَنْجِيدِهَا وَالْفَرَاغِ مِنْهَا إِلَى سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَأَسْمَاهَا دَارُ السَّرُورِ، فَهَيَّا
 لِلْقُدُومِ إِلَيْهَا^(١٠) فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنَ الْآنَ وَأَبَشِّرْ بِخَيْرٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَهُوَ يَوْمُ
 الْجُمُعَةِ بَكَرَ لِلْمَوْضِعِ فَتَزَلَّ فِي النَّهْرِ وَقَدْ مَدَّ قَدَمَيْهِ^(١١) فَزَلَّ فَفَرَّقَ، فَأَخْرَجَنَاهُ مَيْتًا وَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ
 وَدَفَنَاهُ^(١٢). قَالَ أَبُو الْمَرْضِيِّ: فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي النَّوْمِ، وَهُوَ يَجِيءُ إِلَى الْقَنْطَرَةِ وَهُوَ يَكْبُرُ
 وَعَلَيْهِ حُلٌّ خَضَرٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْمَرْضِيِّ أَنْزَلْنِي الْكَرِيمُ دَارَ السَّرُورِ فَمَاذَا أَعَدَّ لِي فِيهَا! فَقُلْتُ
 لَهُ: صَفِّ لِي ذَلِكَ^(١٣)، فَقَالَ: هِيَاتُ يَعْبُزُ الْوَاصِفُونَ أَنْ^(١٤) تَنْطِقَ أَلْسِنَتُهُمْ بِمَا فِيهَا، فَأَكْتَسَبَ
 مِثْلَ الَّذِي أَكْتَسَبْتُ^(١٥)، وَلَيْتَ عِيَالِي يَعْلَمُونَ أَنَّ قَدْ هَيَّئْتُ لَهُمْ مَنَازِلَ مَعِي، فِيهَا كُلُّ مَا أَشْتَهَتْ
 أَنْفُسُهُمْ، نَعَمْ وَإِخْوَانِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى^(١٦) ثُمَّ أَتَيْتُهُ. شَعَرَ^(١٧):

أَلَا هَلْ عَلَى اللَّيْلِ الطَّوِيلِ مَعِينٍ إِذَا نَزَحْتَ دَارَ وَحْنٍ حَزِينٍ^(١٨)
 أَكَابِدِ هَذَا اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَى نَجْمِهِ أَلَا يَغِيبُ يَمِينِ [١٨٤]
 فَوَاللَّهِ مَا فَارَقْتُكُمْ قَالِيًا لَكُمْ وَلَكِنْ مَا يُقْضَى فَسَوْفَ يَكُونُ

- (١) عبارة «وكان يوم حر»، في (م): «وفي حر».
- (٢) عبارة «غسالة الحمام لمن»، في الأصل: «غسالة الحمامين»، والتصويب من (م). و«غسالة كل شيء ماؤه الذي يُغْسَلُ بِهِ». والغسالة: ما غَسَلْتُ بِهِ الشَّيْءَ. ابن منظور، اللسان، «غسل»، ٤٩٤/١١.
- (٣) في (م): «ولولا»، وهو تصحيف.
- (٤) في الأصل: «فشرب شراباً صالحاً»، وهي من (م).
- (٥) في (م): «ففعجبت».
- (٦) عبارة «الذي شرب منه»، في (م): «الذي أخذ».
- (٧) الكلمة ساقطة في (م).
- (٨) في (م): «فقال».
- (٩) في الأصل: «له»، والتصويب من (م).
- (١٠) عبارة «للقدوم إليها»، في (م): «للقدومها».
- (١١) الكلمة ساقطة في (م).
- (١٢) عبارة «فأخرجناه بعد الصلاة فدفعناه».
- (١٣) عبارة «لي ذلك» ساقطة في (م).
- (١٤) في (م): «عن أن».
- (١٥) عبارة «فاكتسب .. إلخ» ساقطة في (م).
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م).
- (١٧) تقدمت الآيات في الخطبة الأخيرة من الفصل الرابع.
- (١٨) في الأصل و(م): «حين»، وقد وردت لفظة «حزين» في ديوان أبي نواس، ص ٦٢٩، وهي الأصوب.

حتى رجع من الدفن^(١)، فلماً رجع^(٢) إلى بيتها، فوجد الكفن الذي كَفَّنَها فيه ولم يجد المرقعة، فناداه منادٍ من جانب البيت: يا هذا خذ كفنك الذي كَفَّنَها فيه^(٣) فقد كَفَّنَها فيما يصلح لها، وجعلنا مرقعتها لها حفظاً لوصيتها، فرجع من ساعته إلى القبر وكشف^(٤) التراب عنها فلم يجدها، فتحيّر فنودي من جانب القبر: يا هذا أما علمت أنّ مثلها من المستغفرين لا يترك وحيداً غريباً^(٥) بين التراب والديدان». شعر^(٦):

باتت ترى نحو^(٧) العقيق رامة^(٨) ما بعده لولا الغرام نظرا
طوى لها الشوق البعيد^(٩) فأنبرت ترى بأبصار الهوى ما لا يرى
واهاً لها ما للحمى وما لها أوطراً تبغي به^(١٠) أو^(١١) خطرا
ولا يفيد قولها برامة إن وصلت هل من قرى ولا^(١٢) قرى
لا تشتكي^(١٣) من الردى توجّهاً^(١٤) ولا تخاف من دجى تحييراً
رفقاً فلو جاز^(١٥) السحاب طرّفها ونوّرت^(١٦) نورا وفاضت غُزراً [٨٦ب]
ما ورَدَتْ غير الدموع مَنهلًا ولا ارتعت^(١٧) إلا القلوب زهرا
تُثني إلى حداثتها أعناقها كأنما تأخذ عنهم خبرا

- (١) في (م): «الدفن».
- (٢) في (م): «به».
- (٣) في (م): «غريباً وحيداً».
- (٤) في (م): «على».
- (٥) رامة: منزل في طريق البصرة إلى مكة، وهي هضبة. صفي الدين البغدادى، مراصد الإطلاع، ٥٩٧/٢.
- (٦) في (م): «الشديد».
- (٧) عبارة «أوطراً.. إلخ»، في (م): «وطراً تبغي بها»، وهو تصحيف.
- (٨) في الأصل: «أمرأ»، والتصويب من (م).
- (٩) في الأصل: «ولا من»، والتصويب من (م). وقرى الضيف قرى: أضافه. ابن منظور، اللسان، «قرا»، ١٧٩/١٥.
- (١٠) في الأصل: «تشكي»، والتصويب من (م).
- (١١) عبارة «من الردى توجّهاً»، في (م): «من الوجا تغيرا». والوجا: الحفا، أو أشد منه. الفيروزآبادى، القاموس، «وجا»، ص ١٧٢٩.
- (١٢) في (م): «حاز».
- (١٣) في الأصل: «لنوّرت»، وهي من (م). ونوّرت الشجرة أي أخرجت نورها. ابن منظور، اللسان، «نور»، ٢٤٤/٥.
- (١٤) عبارة «ولا ارتعت»، في الأصل: «ولوعت»، والتصويب من (م). ورعت الماشية ترعى رغيّاً وأزّعت. ابن منظور، اللسان، «رعى»، ٣٢٦/١٤.

تُخْدِي بِشَعْرِي فَتَمِيلُ طَرِيبًا قُلْ لِي مَتَى صَارَ الْقَرِيضُ مُسْكِرًا^(١)
حَسْبُكَ لَمْ يُبْقِ الْهَوَى مِنْ جَسَدِي عَيْنَا وَلَا جَوْرُ الْغَرَامِ أَثَرًا^(٢)
[بحر الرجز]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أوحى إلى أسرار العارفين أن صفاء التوحيد يرفع عن القلب الحجاب، أنشأ لهم سفينة الاستدلال وجعل لهم فيها^(٣) من مدلول المعاني العجيب العجائب، وسع لهم في ديوان^(٤) الزيارة بإغاثة الملهوفين والطلاب، نصب لهم^(٥) شراعها في الشريعة ورقائقها من خالص الاكتساب، جعل دلالتها نور^(٦) العلم يستدل بحركات الأقطاب، وثبت مراسيها بالصدق والإخلاص ومدامع بأنسكاب، أفلعوا في بحر الإقلاع عن^(٧) الشهوات فبلغوا نهاية المطلب للطلاب، ساعدتهم رياح العناية فقربت^(٨) لهم الغاية أي اقتراب، حطوا على ساحل^(٩) التهجد يتنسمون^(١٠) ديار الأحباب، وجدوا بضاعتهم^(١١) رابحة وافرحتهم بالكواعب^(١٢) الأتراب، كم لهم تحت الدجى من حنين وأنين وتملق^(١٣) وآداب، والمحروم صريع النوم لا يفهم معنى الخطاب، ﴿أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ عَائَةَ أَيْلًا سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١٤).

يا أعمى عن طريق القوم عليك بإصلاح نور البصر، القلب المظلم [٨٧] يمشي في شوك الشك وما عنده خبر، وقت التائب كله عمل نهاره نوم وليله سهر، وقت^(١٥) المصر كله غفلة وسيظهر له ما أصر، نهار الغافل ليل وليله غفلة^(١٦) وبصيرته عميت عن النظر، كم تسافر لرؤية العجائب وكم فيك من أسرار وعبر، وأنفك^(١٧) المزكوم لا يشم ريح المسك ولا ما هو أعطر، والأطروش لاحظ له في سماع الوتر، كم فيك آلات^(١٨) أعتبار لا^(١٩) تظهر إلا لمن

(١) في (م): «منكرا».

(٢) عبارة «الحمد لله الذي أخلص بخلاصه.. إلخ» ساقطة في (ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م).

(٤) في (م): «ديار».

(٥) الكلمة ساقطة في (م).

(٦) عبارة «جعل.. إلخ»، في (م): «جعل دليلهم».

(٧) في الأصل: «من»، والتصويب من (م).

(٨) في (م): «فقرب».

(٩) في الأصل: «يستنسمون»، والتصويب من (م).

(١٠) عبارة «وجدوا بضاعتهم» ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(١١) كَمَبَتِ الجارية: نهذ ثديها، وجارية كاعب، وجمع الكاعب كواعب. ابن منظور، اللسان، «كعب»، ٧١٩/١.

(١٢) الْمَلَقُ: الود واللفظ الشديد، مَلَقَ مَلَقًا وَمَلَقًا وَمَلَقَهُ، أي تودَّد إليه وتلطف له. ابن منظور، اللسان، «ملق»، ٣٤٧/١٠.

(١٣) سورة الزمر، آية ٩.

(١٤) عبارة «وسيطظهر له.. إلخ» ساقطة في (م).

(١٥) كلمة «وأنفك»، في (م): «أنف».

(١٦) في (م): «من الآيات».

(١٧) في (م): «ما».

تفكر^(١)، جرت في مجاري الفكر^(٢) والعارف في جريه لا يعثر^(٣)، من ذاق حلاوة الزهد أستحلى التهجّد والسهر، إن لم تدرك المتهجدين في أول الساقّة ففي^(٤) أعقاب السحر، فيا من قطعه النوم حتى غاب من القوم الأثر، نالوا المني وحرمت عجباً لك كيف لا تتحسر، تيقظ ويحك من نوم الغفلة فهذا فجر المشيب أنفجر، واذلة المحبوب^(٥) إذا تخلف عن الأحباب ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنَاطٌ أَتَى آلِ سَالِحٍ وَقَائِمًا بَحْذَرِ الْآخِرَةِ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

قال أبو عامر الواعظ رحمه الله تعالى^(٦): «بينما^(٧) أنا جالس في مسجد رسول الله ﷺ إذ جاءني غلام أسود برقعة فقرأتها فإذا^(٨) فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم^(٩)، متعك الله يا أبا عامر^(١٠) بمسامرة الفكرة، ونعمك بمؤانسة العبرة، وأفردك بحب الخلوة، يا أبا عامر [٨٧ب] أنا رجل من إخوانك بلغني قدومك المدينة فسررت بذلك وأحببت زيارتك وبي من الشوق إليك و^(١١) إلى مجالستك والاستماع لمحادثتك ما لو كان فوقني لأظلني، ولو كان تحتي لأقلني^(١٢)، فسألتك^(١٣) بالذي أدهق^(١٤) كؤوس بلاغتك وأوسع جداول إصابتك إلا أتحتني^(١٥) جناح التوصل برؤياك وزيارتك^(١٦)، والسلام. قال أبو عامر رحمه الله تعالى^(١٧): فقممت مع الرسول حتى أتى بي^(١٨) إلى فناء دار فأدخلني منزلاً خرباً، قال: فإذا فيه بيت في الخربة منفرد^(١٩) له^(٢٠) باب من جريد^(٢١) النخل وإذا بكهل

- (١) في (م): «فكر».
- (٢) عبارة «جرت.. إلخ»، في (م): «خربت مجاري الفهم».
- (٣) في (م): «يتغير».
- (٤) في (م): «المحب».
- (٥) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ١٨٤/١٠. وأبو عامر: هو أبو عامر البناني واعظ أهل الحجاز. ابن قدامة المقدسي، كتاب التوايين، ص ٢٥٦، حاشية.
- (٦) في (م): «بيناً».
- (٧) عبارة «فقرأتها فإذا» ساقطة في (م).
- (٨) عبارة «يا أبا عامر» ساقطة في (م).
- (٩) كلمة «إليك و» ساقطة في (م).
- (١٠) أقل الشيء يُقِلُّه إذا رفعه وحمله. ابن منظور، اللسان، «قلل»، ٥٦٥/١١.
- (١١) في (م): «سألتك».
- (١٢) أدهقت الكأس إلى أصبارها أي ملأتها إلى أعاليها، ودهقت الكأس أي ملأتها. ابن منظور، اللسان، «دهق»، ١٠٦/١٠.
- (١٣) في (م): «الحققتي».
- (١٤) عبارة «برؤياك وزيارتك»، في (م): «بزيارتك». (١٧) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م).
- (١٥) في الأصل: «به»، والكلمة ساقطة في (م)، والصواب ما أثبتناه.
- (١٦) عبارة «قال: فإذا فيه.. إلخ»، في (م): «فإذا بيت مفرد في الخربة».
- (١٧) في الأصل: «منه»، والتصويب من (م). (٢١) في (م): «جرايد».

قاعد مستقبل القبلة تخاله من الوله مكروباً، ومن الخشية محزوناً، قد ظهرت في وجهه أحزانه، وذهبت من البكاء عيناه، وقرحت أجفانه^(١) فلم يطق القيام، فسلمت^(٢) فرد علي السلام، ثم تخلخل^(٣) فإذا هو أعمى مقعد مسقام^(٤)، فقال^(٥): يا أبا عامر غسل الله من رين^(٦) الذنوب قلبك، ونقى من دنس الشهوات لبك^(٧)، فلم^(٧) يزل قلبي إليك تواقاً، وإلى أستماع مواعظك^(٨) مشتاقاً، وبني جرح قد أعيا الواعظين دواؤه، وأعجز المتطبيين شفاؤه، وقد بلغني نفع مراهمك للجراح فلا تنسنا - يرحمك الله تعالى^(٩) - في إيقاع الدرياق وإن كان مر المذاق فلإني ممن يصبر^(١٠) على ألم الدواء رجاء الشفاء. قال أبو عامر: فنظرت إلى منظر بهرني، وسمعت كلاماً قطعني، فتفكرت^(١١) طويلاً ثم تأتني لي^(١٢) من كلامي ما تأتني، وسهل [١٨٨] من صعوبته ما قد قسى^(١٣)، قلت^(١٤): يا شيخ أرم ببصر قلبك في ملكوت السماء، وأجل^(١٥) سمع معرفتك في سكان الأرجاء، فيمثل لك^(١٦) بحقيقة إيمانك جنة المأوى، فترى ما أعد الله للأولياء^(١٧)، ثم تشرف^(١٨) على نار تتلظى^(١٩) فترى ما أعد الله فيها^(٢٠) للأشقياء، فشتان ما بين الدارين، ليس^(٢١) الفريقان في موقف^(٢٢) سواء فأين أنت^(٢٣)؟ قال أبو عامر: فأنَّه، وصاح صيحة، وزفر والتوى وقال: يا أبا عامر وضع الله^(٢٤) دواءك على دائي، وأرجو أن يكون عندك شفائي، زدني رحمك الله تعالى^(٢٥). فقلت له^(٢٦): يا شيخ إن الله ﷻ عالم بسر سيرتك،

(١) عبارة «وقرحت.. إلخ»، في (م): «وذهبت من البكاء أجفانه».

(٢) في (م): «فسلمت عليه».

(٣) الحَلَل: الفساد والوهن في الأمر. وعسكر متخلخل: غير مُتَّصِم كأن فيه منافذ. ابن منظور، اللسان، «خلخل»، ٢١٥/١١.

(٤) في الأصل: «مستقام»، والتصويب من (م). (٥) في (م): «وقال لي».

(٦) الرِّين: الطَّيِّع والدُّنْس، ران ذنبه على قلبه رَيْنًا: غلب. الفيروزآبادي، القاموس، «رين»، ص ١٥٥١.

(٧) في (م): «لم». (٨) في (م): «موعظتك».

(٩) عبارة «فلا تنسنا.. إلخ»، في (م): «فلا تبال رحمك الله».

(١٠) في (م): «أصبر». (١١) في (م): «فأفكرت».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م).

(١٣) عبارة «ما قد قسى»، في (م): «ما منه رق لي».

(١٤) في (م): «فقلت».

(١٥) في الأصل: «واجعل»، والتصويب من (م).

(١٦) عبارة «فيمثل لك»، في (م): «فتمثل لي».

(١٧) في الأصل: «شرف»، والتصويب من (م). (١٨) في (م): «تلظى».

(١٩) عبارة «فترى ما أعد.. إلخ»، في الأصل «قرر الله ما أعد»، والتصويب من (م).

(٢٠) في الأصل: «ليس»، والتصويب من (م). (٢١) في (م): «الموقف».

(٢٢) عبارة «فأين أنت» ساقطة في (م). (٢٣) عبارة «وضع الله»، في (م): «وقع والله».

(٢٤) عبارة «يرحمك الله تعالى»، في (م): «يرحمك الله».

(٢٥) عبارة «فقلت له»، في (م): «قال: فقلت».

مطلع على خفيته^(١)، مشاهدك في خلوتك، فعيناه تراك^(٢) عند أستتارك من خلقه ومبارزتك إياه بمعصيته^(٣)، قال: فصاح صيحة أشد من الأولى^(٤) ثم قال: من لفقري؟ من لفاقتي؟ من لذلي^(٥)؟ من لخطيئتي؟ أنت يا مولاي، وإليك منقلبي، ثم خر رحمه الله تعالى^(٦). قال أبو عامر^(٧): فسقط في يدي وقلت^(٨): ماذا جنيت على نفسي، فيينا أنا كذلك^(٩) إذ خرجت إلي^(١٠) جارية عليها مدرعة صوف وخمار من صوف، و^(١١) قد ذهب السجود بجبهتها وأنفها، وأصفر وجهها لطول الصيام^(١٢)، وتورمت قدمها من طول القيام^(١٣)، وقالت: أحسنت والله^(١٤) يا حادي قلوب العارفين، ومثير أشجان علل المحزونين، لا ينسى لك هذا المقام رب العالمين، يا أبا عامر هذا الشيخ والذي مبتلى بالسقم منذ عشرين سنة، صلى حتى أقعد^(١٥) [٨٨ب] وبكى حتى عمي، وكان يتمنك على الله ﷻ^(١٦)، ويقول: إن^(١٧) حضرت مجلس أبي عامر^(١٨) فأحيا موات قلبي وطرد وسن عيني، وإن سمعته ثانية قتلني، فجزاك الله من واعظ خيراً ومتعك بما أعطاك من حكمة^(١٩)، ثم أنكبت على أبيها تقبله في عينيه وتبكي وتقول: يا أبتاه^(٢٠)، يا من قتله ذكر وعيد ربه، يا من قتله البكاء على ذنبه، ثم أقبلت على البكاء^(٢١) والنحيب والاستغفار والدعاء وجعلت تقول: يا أبتاه^(٢٢) يا صريع^(٢٣) المذكورين^(٢٤) والخطباء، يا أبتاه^(٢٥) يا قاتل الواعظين^(٢٦) والحكماء، قال أبو عامر: فأجبتها وقلت لها: أيتها الباكية الحيرى^(٢٧)، والنادبة الشكلى، إن أباك نجبه قد^(٢٨) قضى، وورد

- (١) في الأصل: «حقيقة»، والتصويب من (م).
- (٢) عبارة «فعيناه تراك»، في (م): «بعينه كنت». والمعنى: إنك في مراقبته سبحانه لا تخفى منك خافية.
- (٣) عبارة «ومبارزتك.. إلخ»، في (م): «ومبارزته».
- (٤) عبارة «فصاح.. إلخ»، في (م): «فصاح كصيحته الأولى».
- (٥) في (م): «الذني».
- (٦) عبارة «ثم خر.. إلخ»، في (م): «ثم خرمتنا ﷻ».
- (٧) عبارة «قال أبو عامر» ساقطة في (م).
- (٨) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م).
- (٩) عبارة «فيينا.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م).
- (١٠) في (م): «علي».
- (١١) عبارة «من طول القيام» ساقطة في (م).
- (١٢) في (م): «القيام».
- (١٣) عبارة «من طول القيام» ساقطة في (م).
- (١٤) كلمة «والله» ساقطة في (م).
- (١٥) في الأصل: «قعد»، والتصويب من (م).
- (١٦) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م).
- (١٧) في (م): «أبي عامر البناني».
- (١٨) عبارة «ومتعك.. إلخ»، في (م): «ومتعك من حكمتك بما أعطاك».
- (١٩) في (م): «أبتاه».
- (٢٠) في (م): «أبتاه».
- (٢١) في (م): «أبتاه».
- (٢٢) في الأصل: «المذكورين»، والتصويب من (م).
- (٢٣) في (م): «الوعاظ».
- (٢٤) في (م): «الوعاظ».
- (٢٥) عبارة «يا أبتاه» ساقطة في (م).
- (٢٦) في (م): «الحزنى».
- (٢٧) في (م): «الحزنى».
- (٢٨) الكلمة ساقطة في (م).

دار الجزاء، وعاین کل ما عمل علیه محصی فی کتاب عند ربی لا یضل^(۱) ولا ینسی، محسن له^(۲) الزلفی، ومسیء یجازی بما أساء^(۳)، فصاحت الجاریة صبیحة^(۴) کصیحة أبیها، وجعلت تترشح عرقاً، وخرجت مبادرة^(۵) إلى مسجد المصطفی ﷺ وشرف وكرم^(۶)، وفزعت إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والتضرع والبكاء، حتی كان عند العصر فجاءني^(۷) الغلام الأسود فأذنني بجزائیهما جميعاً رحمهما الله تعالى^(۸) وقال^(۹): احضر الصلاة علیهما، فحضرت وسألت عنهما فقیل لي من ولد الحسن^(۱۰) بن علي بن أبي طالب رضي الله عن جميعهم^(۱۱) ونفعنا بهم آمین^(۱۲). قال أبو عامر: فبقیت مفكراً فی أمرهما [۱۸۹] وما جنیت^(۱۳) علی نفسي من قتلهما، فبینا أنا نائم فی بعض الليالي^(۱۴) إذ رأیت الرجل فی المنام وعليه حلتان خضراوتان فقال: یا أبا عامر لا تخف فقد أعطیت مثل ما أعطیت^(۱۵)، وجعل یقول هذه الآیات^(۱۶):

أنت شریکی فی الذی نزلته^(۱۷) مثلاً بمثل یا أبا عامر
من ردّ عبداً آبقاً مذنباً فناصح للسید الغافر^(۱۸)
وكل من أیقظ ذا غفلة^(۱۹) فنضف ما یغطاه للآمر^(۲۰)
[بحر السریع]

وأشدّ رحمه الله تعالى ونفعنا ببرکاته وبأمثاله آمین آمین^(۲۱):

لَهْفِي عَلَى مَنْ وَدَّعَا وسار عني مُنْزِعَا
فليتني يوم النُّوَى كنت له مُشِيْعَا
وقد جَزِغْتَ بَعْدَهُ^(۲۲) وحق لي أن أجزعا

(۱) عبارة «في كتاب... إلخ»، في (م): «في كتاب لا يضل ربي».

(۲) في (م): «قله».

(۳) عبارة «ومسيء... إلخ»، في (م): «ومسيء فدار من أسي».

(۴) في (م): «صبيحة عظيمة».

(۵) عبارة «وشرف وكرم» ساقطة في (م).

(۶) عبارة «حتى كان عند العصر فجاءني»، في (م): «حتى إذا كان وقت العصر جاءني».

(۷) عبارة «جميعاً... إلخ» ساقطة في (م).

(۸) في (م): «وقال لي».

(۹) عبارة «من ولد الحسن»، في (م): «هما من ولد الحسين».

(۱۰) عبارة «عن جميعهم»، في (م): «عنهم أجمعين».

(۱۱) عبارة «ونفعنا بهم آمين» ساقطة في (م).

(۱۲) عبارة «وما جنيت»، في (م): «وخشيت».

(۱۳) عبارة «فبينما أنا نائم... إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م).

(۱۴) في (م): «أعطيته».

(۱۵) عبارة «هذه الآيات» ساقطة في (م).

(۱۶) في الأصل: «قد نلته»، والتصويب من (م).

(۱۷) في الأصل: «غفلته»، والتصويب من (م).

(۱۸) في الأصل: «الأمر»، والتصويب من (م).

(۱۹) عبارة «وأشد... إلخ»، في (م): «شعرا».

(۲۰) في (م): «بعدكم».

لا كان يوم البين كم
وَمَنْ عَلَيْنَا بالفراق
ومن لَشْتُ شملنا
وكم أذاب أنفسا
وَحَقَّكُمْ مَا^(١) زلت من
قطع قلبي قطعاً
والبعاد قد دعا
من غير ذنب قد سعى
وكم أسال أذمعا
بمعدكم مُفَجَّعا

[مجزوء الرجز]

يا من حديث الآخرة عنده مضمهر وحديث الدنيا^(٢) عنده مظهر، إنما تلين الغصون والخشب إذا قومتها تتكسر، كم تحدثك^(٣) نفسك بالتوبة ولسان غفلتك^(٤) يقول تصبر، لو علمت أن للعزمات^(٥) بدوات ما [٨٩ب] كنت تتأخر، أهجم هجوم الطفيلي فوليمة الكبير أكبر، كم أدخل من طفيلي وكم متصنع استثقل^(٦) منه المنظر والمخير، زرع عمرك أخذ في الذبول فاستسق ماء التوبة عساه يعود أخضر، أبك على ظلمة قلبك وأندب على خراب عمرك^(٧) وتغير الغير، إذا عدمت الزاد للرحلة قل^(٨) لي بماذا يكون السفر، سفر بعيد ولا زاد^(٩) أما علمت أن آخره المحشر، إعراب توبتك مبهم وعزيمة عزمك مضمهر، مجاهدتك حلم وعلمك^(١٠) في الآخرة نكرة وأنت أنكر، ما أفلحت في الشباب ولا في الكهولة وهذا حالك في الكبر، ماذا عسى يصف فيك الواصف أنت بنفسك أخبر، الرياء والسمعة والحرص والأمل والتسويق كل في محشر قلبك يحشر، سلام على صلاحك سلام مودع ما أراه يرد بعد أن صدر، إذا لم تهزك المواعظ^(١١) فعند الموت تسمع الخبر والخطاب^(١٢)، «أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ عَائَةَ الْيَلِي سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْدُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ». مصعب بن ثابت رحمه الله تعالى قال^(١٣): بت ليلة في مسجد رسول الله ﷺ^(١٤) بعد ما

(١) في (م): (لا).

(٢) في (م): (يا من حديث الدنيا عنده مبهم وحديث الآخرة)، وهو تصحيف.

(٣) في (م): «تحدث».

(٤) في الأصل: «عقلك»، والتصويب من (م).

(٥) في الأصل: «المعزمات»، والتصويب من (م).

(٦) في (م): «وكم من متصنع قد استثقل».

(٧) في (م): «عملك».

(٨) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م).

(٩) في (م): «همة».

(١٠) عبارة «مجاهدتك.. إلخ»، في (م): «مجاهرتك علم وهمتك».

(١١) في (م): «الموعظة».

(١٢) عبارة «تسمع.. إلخ»، في (م): «تسمع الخطاب».

(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٩٧/٢. ومصعب: هو مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله القرشي، وهو من أعبد أهل زمانه، كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ويصوم الدهر، توفي سنة ١٥٧هـ - ٧٧٣م. ابن الجوزي، الصفة، ١٧٦/٢. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤٢/١٠.

(١٤) عبارة «في مسجد.. إلخ»، في (م): «في المسجد».

خرج الناس منه، فإذا رجل جاء إلى بيت النبي ^(١١) ﷺ، ثم أسند ظهره إلى الجدار، ثم قال: اللهم إنك تعلم أنني كنت أمس صائماً أمسيت فلم أفطر على شيء ^(٢)، اللهم إني قد ^(٣) أمسيت أشتيت طعاماً يزيد ^(٤) فأطعمه [٩٠] لي من عندك. قال: فنظرت إلى وصيف قد دخل من خوخة ^(٥) المنارة ليس في خلقة ^(٦) الناس، و ^(٧) معه قصعة فأهوى بها إلى الرجل، فوضعها بين يديه، وجعل ^(٨) الرجل يأكل وحده، فقال ^(٩): هلم فجتته وظننت أنه من الجنة وأحببت أن أكل معه ^(١٠)، فأكلت منها لقمة فما ^(١١) هي مما يشبه طعام الدنيا ^(١٢)، ثم احتشمت وقمت ورجعت إلى مجلسي، فلما فرغ من أكله أخذ الوصيف القصعة ثم أهوى راجعاً من حيث أتى، وقام الرجل منصرفاً، فأتبعته لأعرفه فما أدري أين سلك، فظننت أنه ^(١٣) الخضر ^(١٤). شعر ^(١٤):

في طاعة الحبِّ في عِصيان مَنْ عَدَلَا
وفي سبيل الهوى نفسي التي ^(١٥) ذَهَبَتْ
وَجُدَّ وجذْتُ هواي ^(١٦) فيه يَغْذِبُ لي
لا تعذّلوا وأعذروا في الحبِّ وأقتصروا ^(١٨)
حَرَآن حيران قد ضاقت مذاهبه
دلّوا على الصّبر قلبي أو دعوه وما
كيف السّبيل إلى دار السّلوى ^(٢٠) وقد
قالوا جرى لك دمْعٌ فأفتضخت به

قلبي الذي ذاب والجسم الذي نحلا
شوقاً وعقلي الذي في الحبِّ قد وهلا
وكلّما أشتدَّ من مرَّ ^(١٧) الغرام حلا
في عاشق في الهوى عن قُضده عَدَلَا
فأنفَقَ الدَّمع حتى أَسْتَفَقَدَ ^(١٩) الحملا
قد أودعوه فما يَبْغِي به بدلاً
أصبحتُ مشتغلا بالوجد مشتغلا ^(٢١)
ليس الفضيحة إلا أن يُقال سَلا

- (١) في (م): «رسول الله».
- (٢) عبارة «اللهم إنك تعلم.. إلخ» ساقطة في (م).
- (٣) الكلمة ساقطة في (م).
- (٤) عبارة «اشتيت طعاماً يزيد»، في (م): «أريد الزيد». والزُّيد: زيد السمن قبل أن يُسَلَا [يطبخ]، والقطعة منه زُيدة وهو ما خلص من اللبن إذا مُخَض. ابن منظور، اللسان، «زيد»، ١٩٢/٣٠.
- (٥) في الأصل: «خوخ»، والتصويب من (م). والخوخة: كُوَّة في البيت تؤدّي إليه الضوء، والخوخة مُخْتَرَق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب. ابن منظور، اللسان، «خوخ»، ١٤/٣.
- (٦) في (م) زيادة: وصفات.
- (٧) الواو ساقطة في (م).
- (٨) في (م): «وجلس».
- (٩) في (م): «قال».
- (١٠) في (م): «منها».
- (١١) في (م): «أهل الدنيا».
- (١٢) عبارة «ظننت أنه»، في (م): «ظننته».
- (١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م). والآيات وردت في الخطبة الثانية من الفصل السادس.
- (١٤) في الأصل: «الذي»، والتصويب من (م).
- (١٥) في (م): «عذابي».
- (١٦) في (م): «ما».
- (١٧) في (م): «واقتصدوا».
- (١٨) في (م): «استأنف».
- (١٩) في الأصل: «كيف السلو إلى دار الحبيب»، والتصويب من (م).
- (٢٠) في (م): «مشتغلا».
- (٢١) في (م): «مشتغلا».

إني لأشكر دمعاً ظلَّ ينصرني
يا ساعة^(١) البين قد أوقدت في كبدي

يوم الوداع وجيش الصبر قد رحلا
نارا تزيد إذا طَفِئَتْها^(٢) شعلا^(٣) [٩٠ب]

[بحر البسيط]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي فتح بصائر العارفين فزهّدوا في الدنيا لَمَّا علموا أَنَّ البقاء فيها^(٤) قليل، دلّ قلوبهم عليه^(٥) فأهلاً به من مدلول ومن^(٦) دليل، أعمى بصيرة الغافل فليس له إلى الوصول سبيل، عَطَّر محارِب الدجى بأنفاس المتجهدين^(٧) فلهم في روضة^(٨) السحر مقيّل، سقى قلوب المحبّين شراب المحبّة وسكرهم^(٩) دائم في^(١٠) الغدو والأصيل، هذا أسكره المدام وهذا دَقَله^(١١) جمال الساقى الجميل، فطينة الوجود معجونة بحبه فهذا موصول وهذا مهجور ذليل، فقوم هداهم لقربه^(١٢) وقوم حَيَّرهم بالقال والقليل، إن جال فكر بين صفوف القضاء والقدر فما^(١٣) أسرع من قتيل، وإن سلك على ساحل التسليم بلغ^(١٤) مقام الأمن في الزمان^(١٥) القليل^(١٦)، فبادروا إخواني الرحلة إلى المتاب قبل الرّحيل، فما^(١٧) ينفع نداء المسرفين إذا نادوا بالويل والعويل، ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتَيْنَا وَأَحْيَيْنَا أَفْتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(١٨)، فسبحان من بطن^(١٩) في شدّة ظهوره فليس إلى إدراك ظهور ذاته^(٢٠) من سبيل، أحمده حمد عاجز عن معرفة نفسه وبصره عما سواه كليل^(٢١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدّخرها ليوم

(١) في الأصل: «سادة»، والتصويب من (م). (٢) في (م): «أطفأتها».

(٣) عبارة «الحمد لله الذي أوحى إلى أسرار.. إلخ» ساقطة في (ع).

(٤) الكلمة ساقطة في (م). (٥) في (م): «به عليه».

(٦) الكلمة ساقطة في (م). (٧) في (م): «المتجهدين».

(٨) في (م): «روضات». (٩) في (م): «فسكرهم».

(١٠) «في» ساقطة في الأصل، وهي من (م). (١١) في (م): «أذله».

(١٢) في (م): «بقربه». (١٣) في (م): «ما».

(١٤) في (م): «بلغ منزل». (١٥) في (م): «الزمن».

(١٦) قوله هذا فيه إرشاد إلى الدواء عند وقوع المقدور، وذلك بالتسليم لأمر الله والرضا بقضائه وقدره،

والإعراض عن الالتفات لما مضى؛ لأن ذلك يؤول إلى الخسران؛ وقد أخرج الإمام مسلم في هذا المعنى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير،

أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا،

ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان». الإمام مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب

في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم الحديث (٢٦٦٤/٣)، ٢٠٥٢/٤.

(١٧) في (م): «ما». (١٨) سورة غافر، آية ١١.

(١٩) في الأصل: «بطر»، والتصويب من (م).

(٢٠) عبارة «إلى إدراك ظهور ذاته»، في (م): «إلى إدراكه».

(٢١) كَلَّ بصره كُلولاً: بَكا، وطَرَف كليل إذا لم يحقّق المنظور. ابن منظور، اللسان، «كلل»، ٥٩١/١١.

لا ينفع فيه^(١) مال ولا خليل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأنهم حكمة وأكمل تنزيل، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه^(٢) صلاة أستعدها ليوم الرحيل.

يا مضيعاً عمره في البطالة ويبكي على الأمل، كم أمل كاذب أوصل آمله إلى الأجل، سنك [٩١] يضحك في تحصيل الحرام وشبك يبكي من هذا العمل، أنت ما يطيب عيشك مع القرب قل لي كيف طاب مع الكسل، إذا خرج توقيع القدر بقدر شخص^(٣) فكل توقيع سواء أبطل^(٤)، كم قرب إلى الباب من مبعده^(٥) وكم أبعد من قريب ردت حسناته زلل، كيف تخضر^(٦) رياض قلبك وما سكبت عليه مزنة دمع وما هطل، وما أجريت له عيناً من عين^(٧) قل لي كيف العمل، أجذبت أرض قلبك^(٨) من أزهار التوبة وداخلها الخراب والخلل، كم تدّعي العقل وتتلاها بك جنون الأمل^(٩)، قد^(١٠) أفترس شبابك سبع المشيب وما أرى الرُشى^(١١) فيك يقبل^(١٢)، تيه الشقاء لا آخر له وفي بُدُن^(١٣) العزائم كسل، زادك^(١٤) قليل وما أراه مبلغاً فالهلاك لعمرى بك قد حل، إذا خرجت من المجلس كما دخلت عانقك إبليس وقال هكذا كان لي فيك الأمل، فديت من لم^(١٥) يفلح فديت من عانق الكسل، كم تحت اللُحود من حشرات ينادون بالويل والعويل^(١٦)، ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَتَيْنَا أَسْثَيْنَ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَيْنِ فَاعْرِفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾.

قال الأوزاعي^(١٧) رحمه الله تعالى: «حدّثني رجل حكيم قال: خرجت أريد^(١٨) الرباط وإذا

(١) الكلمة ساقطة في (م).

(٢) في (م): «وأصحابه».

(٣) في (م): «الشخص».

(٤) في (م): «بطل».

(٥) في (م): «كم قرب للباب من بعيد».

(٦) في الأصل: «يخضر»، والتصويب من (م).

(٧) المعنى: كيف النجاة والرجوع إلى باب الحبيب، ولم تغض من عينيك الدمع المدرار الذي لا يتوقف، كعين الماء التي تجري ولا تنقطع ليلاً ونهاراً.

(٨) في الأصل: «أرض أزهار قلبك»، والتصويب من (م).

(٩) عبارة «وتتلاها» الخ، في (م): «ويتلهى بك جنون جنون الأمل».

(١٠) في (م): «كم».

(١١) الرشوة: الجُعْل، والجمع رُشَى. ابن منظور، اللسان، «رشا»، ٣٢٢/١٤.

(١٢) في (م): «تقبل».

(١٣) في (م): «نوق». والبَدَنَةُ ناقة أو بقرة تُنَحَّرُ بمكة، سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يُسَمِّنُونَهَا، والجمع بُدُن وبُدُن. ابن منظور، اللسان، «بدن»، ٤٨/١٣.

(١٤) في (م): «وزادك».

(١٥) في (م): «لا».

(١٦) في (م): «ينادون بالعويل».

(١٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٢٦/٤. والأوزاعي: هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أبو عمرو من كبار تابعي التابعين، وأئمتهم البارعين، كان عالم الأمة منفرداً بالسيادة مع اجتهاد في إحياء الليل، أفتى في سبعين ألف مسألة، توفي سنة ١٥٧هـ - ٧٧٣م. ابن الجوزي، الصفة، ٢٥٥/٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٤١/١.

(١٨) في الأصل: «أردت»، والتصويب من (م).

أنا بظلة عريش عليه رجل قد ذهبت^(١) يده ورجلاه وهو يقول: اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك^(٢) كفضلك على سائر خلقك إذ فضّلتي على كثير ممّن خلقت تفضيلاً، فدنوت منه مسلماً فقلت^(٣): [٩١ب] وأيّ نعمة وأنت هكذا؟ فقال: لو صبّ عليّ الماء^(٤) ناراً فأحرقني، وأمر الجبال فدككتني^(٥)، وأمر البحار فأغرقتني^(٦)، والأرض فحسفت بي، ما أزددت له إلا حباً. ثم قال: كان لي ابن يتعاهدني لصلاتي وطعامي ففقدته^(٧) من أمس. قال الرجل: فخرجت في طلبه فإذا^(٨) بسبع قد أفترسته^(٩)، فتلطفت في إعلامه بحاله، فقلت^(١٠): أنت أكرم على الله أم أيوب عليه السلام^(١١)؟ فقال: بل أيوب^(١٢). فقلت^(١٣): إن الله تعالى^(١٤) قد ابتلاك بفقد ولدك وإن السبع قد أفترسه. فشقق شهقة ومات رحمة الله تعالى عليه^(١٥). وإذا^(١٦) يركب فتزلوا فغسلوه^(١٧) وكفّنوه ودفنوه. فبئ في مظلته^(١٨) فرأيت في النوم في روضة خضراء وعليه ثياب خضر يتلو القرآن^(١٩)، فقلت: ما الذي صيرك إلى ما أرى؟ فقال^(٢٠): رقيت^(٢١) منازل الصابرين. فكان الأوزاعي رحمته الله^(٢٢) يحب البلاء منذ^(٢٣) حدثه الحكيم رحمه الله تعالى^(٢٤). شعر^(٢٥):

يا مَنْ دُموعي فيه لا تَرَقَا رِفْقاً بِقَلْبِي في الهوى رِفْقَا
قَدْ جِئْتُ إِذْ لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُو إِلَيْكَ^(٢٦) عَظِيمَ مَا أَلْقَى
حَاشَاكَ مِنْ هَجْرِي لَدَيْكَ وَقَدْ عَلِقْتُ يَدَيَّ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
نَعَمَتَنِي دَفَرًا^(٢٧) وَهَذَا أَنَا مِنْ بَعْدِ مَا نَعَمَتَنِي أَشْقَى
وَسَقَيْتَنِي كُنَاساً سَكَرْتُ بِهَا وَتَرَكْتَنِي ظِمَاناً لَا أَشْقَى

- (١) في (م): «بظلة عريش فيها رجل ذهبت».
(٢) في (م): «وقلت».
(٣) في (م): «فدمرتني».
(٤) في (م): «ففرقتني».
(٥) عبارة «وطعامي ففقدته»، في (م): «ووضوئي فقد فقدته».
(٦) في (م): «وإذا».
(٧) في (م): «وقلت».
(٨) عبارة «فقال: بل أيوب»، في (م): «قال: وما الخبر».
(٩) في (م): «قلت».
(١٠) عبارة «فشقق فمات»، في (م): «فشقق فمات».
(١١) في (م): «ووغسلوه».
(١٢) في (م): «الوحي».
(١٣) في (م): «رأيت».
(١٤) في (م): «مذا».
(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م).
(١٦) في (م): «دائماً».
(١٧) في (م): «قلت».
(١٨) في (م): «فقلت».
(١٩) في (م): «فقلت».
(٢٠) في (م): «فقلت».
(٢١) في (م): «فقلت».
(٢٢) في (م): «فقلت».
(٢٣) في (م): «فقلت».
(٢٤) في (م): «فقلت».
(٢٥) في (م): «فقلت».
(٢٦) في (م): «فقلت».
(٢٧) في (م): «فقلت».

فَالآنَ قَدْ أَبْقَاكَ لِي أَلَمْ قد جاءني والشوق ما أبقي^(١) [١٩٢]
يَا لَيْتَ لِي^(٢) مِمَّا أَحَاوِلُهُ رزقاً فهب لي ذلك الرزقا

[بحر الكامل]

إخواني من أراد أن ينشد ضائلة قلبه فعليه بالأسحار، هو سوق المستغفرين لا يخرج فيه إلا سلع الاستغفار، مجلس الذكر مقام^(٣) الملهوفين ومرتع الأخيار وعدة الأسحار^(٤)، ناد بلسان الأحزان هل رأيتم منقطعاً عن الرفاق بعيد الدار، هل عايتم حزناً يتلمح الآثار في^(٥) الآثار، هل رأيتم تائهاً عليه آثار الدلّ والانكسار، ما أستيقظ من نوم الغفلة إلا وقد قدح زناد^(٦) المشيب في لمتة^(٧) نار^(٨)، ففتح^(٩) قفل شبابه^(١٠) وأنتهب منه القوى فليس له على النهوض اقتدار، كم زارع^(١١) زرع من آمال في أرض الغفلة ولم يجد^(١٢) لزرعه ثمار، قامر بعمره^(١٣) في البطالة حتى قهره^(١٤) الهرم فأصبح نادماً من هذا القمار، أمت قلبه وأحيا هواه ولئى^(١٥) عمره ولم يقض أوطار، كم حدثه نسيم السحر عن القائمين بأخبار، خاطر يا أخي بنفسك فما تنال الأخطار إلا بالخطر^(١٦) إن غلق في وجهك باب التوبة بعد المشيب فما بعد^(١٧) الرّحيل إلا النار، إنما يزرع في زمان^(١٨) الشباب وفي المشيب يكون الأدخار، و^(١٩) إذا لم يحركك وعظي فربوع قلبك خراب قفار، وسيظهر لك نصحي^(٢٠) عن قليل، «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ».

- (١) في الأصل: «فالآن قد أبقي المدامة سرها لما قد جاءني والشوق ما أبقي»، وفي (م): «فالآن أبقاك لما جاءني والشوق بالصب فما أبقي»، والتصويب من (ب).
- (٢) في الأصل: «يا ليتني»، والتصويب من (م). (٣) في (م): «بقاع».
- (٤) عبارة «ومرتع الأخيار وعدة الأسحار»، في (م): «ومحدث الأسمار».
- (٥) عبارة «والحمد لله الذي فتح بصائر العارفين.. إلخ» ساقطة في (ع).
- (٦) عبارة «وقد قدح زناد»، في (م) و(ع): «والهب».
- (٧) في الأصل: «لمة»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «النار».
- (٩) في (م) و(ع): «فتح».
- (١٠) في الأصل: «شبابك»، وهي من (م) و(ع).
- (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «يوجد».
- (١٣) عبارة «قامر بعمره»، في الأصل: «قام لعمره»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «قمره».
- (١٥) في (م) و(ع): «وولى».
- (١٦) الأخطار: جمع الخطر، وهي: ارتفاع القدر والمال والشرف والمنزلة، وخطر يخطر خطراً إذا جَلَّ بعد دقة، والخطير من كل شيء النبيل. والخطر جمع الخطر: الإشراف على الهلكة، وخطر بنفسه يخطر أشقى بها على خطر مُلك. ابن منظور، اللسان، «خطر»، ٢٥١/٤، ٢٥٢. الفيروزآبادي، القاموس، «خطر»، ص ٤٩٤.
- (١٧) في (م) و(ع): «لدى».
- (١٨) في (م) و(ع): «إنما الزرع في أيام».
- (١٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «نصحي لك».

إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى قال^(١): سَلَكْتُ [البادية سِتَّةَ عَشَرَ طَرِيقاً عَلَى غَيْرِ الْجَادَةِ فَأَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ فِيهَا رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ يَدَانِ وَلَا رِجْلَانِ وَعَلَيْهِ مِنَ الْبَلَاءِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَزْحَفُ زَحْفاً، فَتَحِيرَتْ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ^(٢): وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا إِبْرَاهِيمَ، فَقُلْتُ: بِمَا عَرَفْتَنِي وَلَمْ تُرْنِي قَبْلَ هَذَا^(٣)؟ فَقَالَ: الَّذِي جَاءَ بِكَ عَرَّفَنِي بِكَ^(٤). فَقُلْتُ: صَدَقْتَ إِلَى أَيْنَ تَرِيدُ؟ فَقَالَ: إِلَى مَكَّةَ شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى^(٥). فَقُلْتُ: وَمَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فَقَالَ^(٦): مِنْ بَخَارَى^(٧). فَبَقِيتُ مُتَعَجِّباً أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ شِزْراً وَقَالَ: يَا إِبْرَاهِيمَ تَعْجَبُ^(٨) مِنْ قَوِيٍّ يَحْمِلُ ضَعِيفاً وَيُرْفِقُ بِهِ. ثُمَّ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَسَالَتْ^(٩) الدَّمُوعُ، وَتَرَكْتَهُ^(١٠) عَلَى حَالِهِ وَمَضَيْتُ^(١١)، فَلَمَّا دَخَلْتُ مَكَّةَ رَأَيْتُهُ فِي الطَّوَافِ وَهُوَ يَزْحَفُ^(١٢). شَعَرَ^(١٣):

أَرَاكَ الْحِمَى هَلْ فِي ذُرَاكَ مَقِيلٌ وَهَلْ فِيكَ مِنْ جَوْرِ^(١٤) الْغَرَامِ مُقِيلٌ
وَهَلْ سَلَسِيلٌ^(١٥) تَحْتَ ظِلِّكَ بَارِدٌ لِظَمَانٍ وَرْدٍ^(١٦) مَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ
وَهَلْ ذَلِكَ الْمَغْنَى أَهْلَةً أَهْلُهُ بِهِ نَظَرُوا أُمَّ عَنْ سَمَاءِ^(١٧) أَقُولُ
أَأَسْأَلُ^(١٨) عَنْهُمْ رَبَّعَهُمْ وَهُمْ مَعِيَ وَمَا بَيْنَ أَخْنَاءِ^(١٩) الضُّلُوعِ حُلُولُ

- (١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٧١/٤. وإبراهيم: هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، كنيته أبو إسحاق، هو أحد من سلك طريق التوكل، وكان أواحد المشايخ في وقته، توفي سنة ٢٩١هـ - ٩٠٣م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٨٤. ابن الجوزي، الصفة، ٩٨/٤.
- (٢) في (م) و(ع): «فقال لي».
- (٣) عبارة «قبل هذا»، في (م) و(ع): «قبلها».
- (٤) عبارة «عرفني بك»، في (م) و(ع): «عرف بيني وبينك».
- (٥) عبارة «شرفها الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «قال».
- (٧) بخارى من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يُغبر إليها من أمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان، وهي مدينة قديمة نزهة البساتين، وهي على أرض مستوية. صفى الدين البغدادي، مراصد الإطلاق، ١/١٦٩.
- (٨) في (م) و(ع): «أتعجب».
- (٩) في (م) و(ع): «وَأُرْسِلُ».
- (١٠) في (م) و(ع): «فتركته».
- (١١) في (م) و(ع): «ثم مضيت».
- (١٢) في (م) و(ع) زيادة: «ويطوف».
- (١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «جوهر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) السلسيل: اللين الذي لا خشونة فيه، وربما وُصف به الماء. ويقال: عين سلسيل معناه أنه عذب سهل الدخول في الحلق. ابن منظور، اللسان، «سلسل»، ٣٤٤/١١.
- (١٦) في الأصل: «بظمان ورد»، والتصويب من (م) و(ع). والورد: النصيب من الماء. ابن منظور، اللسان، «ورد»، ٤٥٧/٣.
- (١٧) في الأصل: «سواء»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في الأصل: «أسأل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٩) في الأصل: «أخلاء»، والتصويب من (م) و(ع). والجنو: كل شيء فيه أعوجاج أو شبه الأعوجاج، كعظم الضلع، والجمع أخناء. ابن منظور، اللسان، «خنا»، ٢٠٤/١٤.

فهم^(١) أهل وُدِّي إن تَدَانُوا وَإِنْ نَأَا^(٢)
لَقَدْ غِظَّتَنِي يَا دَمْعُ إِذْ غَضَّتَ^(٣) بَعْدَهُمْ
أَجِرْنِي بَأَنْ تَجْرِي مِنَ الْوَجْدِ إِنَّمَا
فَمَا أَتَقَرَّتْ مِنْ كَنْزِ^(٥) دَمْعِي مَحَاجِرِي
أَأَنْسَى^(٦) أَنَسَا أَنَسُونِي بِقُرْبِهِمْ^(٧)
وَأَسْأَلُ سُلُونَا وَتَضْدِيقُ حُبِّهِمْ
حَلَالِي هَوَاهُمْ حِينَ حَلَّ بِمُهْجَتِي
وَسَمْعِي^(١١) عَدَا فِي الْحَجْرِ مِنْ حَاكِمِ الْهَوَى
إِذَا مَا قَبُولِ^(١٣) الرِّيحِ مِنْ نَحْوِهِمْ سَرَتْ
وَيَعْبُدُنِي^(١٤) الرِّيحُ الشَّمَالِي نَشْوَةَ
سَلَامٍ عَلَى سَلَمِي^(١٦) وَإِنْ حَالَ دُونَهَا^(١٧)

وَهُمْ أَهْلُ وُدِّي وَ الْحَنِينَ دَلِيل
وَسَائِكَ^(٤) وَاشْ أَوْ نَهَاكَ عَذُول
هُمُوكَ لِلَّهِمَّ الدَّخِيلَ دَلِيل
وَقَدْ أَقْفَرْتُ لِلظَّيَاعَيْنِ طُلُول
وَتَغْذِيبُهُمْ^(٨) إِنِّي إِذَا لَجَّهُول [١٩٣]
عَدَا مُحْكَمًا فِي الْقَلْبِ لَيْسَ يَحُول
فَحَالَفْتُهُ^(٩) أَنْ لَسْتُ عَنْهُ أَزُول^(١٠)
وَقَلْبِي^(١٢) عَنِ الْأَحْبَابِ فِيهِ فُضُول
فَمَا أَنَا لِلْعَذْلِ الْمَقُولِ قَبُول
فَهَلْ لِي إِلَى^(١٥) رِيحِ الشَّمَالِ شُمُول
بِذِي سَلَمٍ يَحْيِي^(١٨) النَّسِيمَ عَلِيل

- (١) في (م) و(ع): «هم»، وهو تصحيف.
(٢) في الأصل: «أهل وادي إن تناوا ودنوا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «يا دمعي إذا غضت»، والتصويب من (م) و(ع). وغاز الماء يغيض غيضاً: قل ونقص.
وغيض دمه تغييضاً: نقضه. الفيروزآبادي، القاموس، «غيض»، ص ٨٣٨.
(٤) في (ع): «وشابك».
(٥) في (م) و(ع): «كثر».
(٦) في الأصل: «أنسى»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «بقربكم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في الأصل: «وواصلهم»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (ع): «فخالفته»، وهو تصحيف.
(١٠) في (م): «أحول».
(١١) في الأصل: «وسعي»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) كلمة «وقلبي»، في (م): «مجيباً»، وهي ساقطة في (ع).
(١٣) القَبُول: رِيح الصَّبَا؛ لأنها تقابل الدُّبُور، أو لأن النفس تقبلها. الفيروزآبادي، القاموس، «قبل»، ص ١٣٥١.
(١٤) في (م) و(ع): «ويهفولي». والعهد: الأمان، أنا أعهدك من هذا الأمر أي أؤمنك منه أو أنا كفيلك. ابن منظور، اللسان، «عهد»، ٣/٣١١، ٣١٢.
(١٥) عبارة «فهل لي إلى»، في (م) و(ع): «فقل لي هل».
(١٦) في الأصل «سنى»، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «وإن حل أرضها».
(١٨) في (م) و(ع): «حيث».

وإِنِّي لَأَزْعَى النَّجْمِ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا لِيَبْرُدَ وَجْدٌ^(١) أَوْ يُبَلَّ غَلِيلُ
[بحر الطويل]

إلهي أَرْحَمَ غَرِيقِ الْخَطَايَا لَا مَلْجَأَ لَهُ سِوَاكَ، دَارِكَ بِعَفْوِكَ مَنْ عَفَّتْ آثَارُ صَلَاحِهِ^(٢)، أَخِي
قُلُوباً أَمَانَتُهَا الْبُعْدُ عَنْ بَابِكَ، وَقَعَ^(٣) عَلَى قِصَصِ الْأَبْقَيْنِ بِالصَّفْحِ، سَامِعِ مِنْ بَقِيَّتِ عَلَيْهِ بَقَايَا^(٤)
أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، يَا أَرْحَمَ^(٥) الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٦).



-
- (١) فِي (م) وَ(ع): «ذُو وَجْدٍ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.
 - (٢) عِبَارَةٌ «آثَارُ صَلَاحِهِ»، فِي الْأَصْلِ: «آثَارُهُ بِإِصْلَاحِهِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
 - (٣) فِي الْأَصْلِ: «رَفَعَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
 - (٤) فِي الْأَصْلِ: «بَاقِيَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
 - (٥) فِي (م) وَ(ع): «بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ».
 - (٦) عِبَارَةٌ «وَصَلَّى اللَّهُ... إلخ»، سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

الفصل الثاني عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي ظهر في صنعه^(١) ظهوراً حَيَّرَ العقول وبهر الأمثال، كتب سطور الوجود بقلم كن لقارئ المثال، أبرز من كن التَّقدير صور التكوين تلعب على بساط البسيطة لعب الخيال، تحركها رقائق الأقدار بلطف اللطف^(٢) من طيف الخيال، أنطق ألسنة الأكوان بتوحيده بالسنة الحال والمقال^(٣)، مَيِّع المانع وجَمَّد الجامد بحكمة الترتيب [٩٣ب] في الأفعال، حَرَّكَ المتحرك وسَكَّن السَّاكن وأخدم العقل جنديَّ التَّخَيُّل والخيال، نَوَّع الأنواع وجَسَّس الأجناس فظهرت حكمته في الجمع^(٤) والانفصال، طَوَّر الأطوار ودَوَّر الأدوار ليعلم التَّخصيص في الإِدبار والإقبال، قَدَّر الأقدار ورَتَّب المقدار بميزان عدل ومكيال، جعل أسماءه علاماً^(٥) تدلُّ عليه بلسان النطق^(٦) والاستدلال، ألهم جوهر^(٧) العقل نظم^(٨) جواهر المعقولات في سلك العلم لرتبة^(٩) الكمال، أقام الكل بتوحيده لتوحيده في الجلال والجمال، ﴿وَلِلَّهِ تَسَعَّدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلُّهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾^(١٠).

يا هذا كم لك على المعاصي مصرّ متى يكون المتاب، جسمك بالهوى عامر وقلبك من التَّقَى^(١١) خراب، ضَيَّعت الشباب في الغفلة وعند الكبر تبكي على زمان الشباب، في المجلس تبكي على الفائت وإذا^(١٢) خرجت عُذْتُ للتَّصاب، لا حيلة لوعظي فيك وقد غلقت في وجهك الباب، كم لي أهدت قلبك أرى قلبك غائباً مع الغيَّاب، تبكي لعمري دماً في موقف الحساب، بالله يا من عقله مشغول كيف تفهم الخطاب، وافرحه الشَّامت إبليس إذا طردت عن الباب، الشَّيب والعيب والحرمان سيبدو ما تخفي عند فتح الكتاب، هذا ماتم الأحران هذا المجلس قد طاب، رحلت رفاق الثَّائِبين إلى ديار^(١٣) الأحباب، يا وحشة المقطوع إذا لم يجد

- (١) في (م) و(ع): «صنعه».
- (٢) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿يَسْجُ لَّهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْجُ بِحُودِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].
- (٣) في (م) و(ع): «فظهرت حكمة الجمع».
- (٤) في (م) و(ع): «أعلاماً».
- (٥) في (م) و(ع): «النظر». والمعنى: بلسان الوحي والخلق الذي يستدل به على الخالق.
- (٦) في (م) و(ع): «جوهري».
- (٧) (٨) الكلمة ساقطة في (ع).
- (٩) في الأصل: «لترتبنا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) سورة الرعد، آية ١٥.
- (١١) في الأصل: «بالتقى»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «وإذا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «دفاق».

مؤنساً [١٩٤] سوى الأسباب^(١)، تعلّق بأعقاب السّاقة بذلّ وأنكسار ومدامع^(٢) بأنسكاب^(٣)، وقل تائه في برّية الحرمان مقطوع في تيه^(٤) الشقاء مسدول دونه الحجاب، كُلماً رام القيام أقعده وأبعده بذنوبه الحجاب^(٥)، لا زّاد ولا راحلة ولا قوّة فأين الذّهاب، عسى عطفة^(٦) من وراء ستر الغيب تهون عليك مصائب^(٧) المصاب، فإذا صحت لك سيجدة على أرض التوبة^(٨) بلغت بها الآمال، ﴿وَلِلّٰهِ تَسَحَّدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمٌ لَّهُمْ بِالْفُجْدِ وَالْأَصٰلِ﴾.

بلغنا عن أبي قدامة الشّامي رحمه الله تعالى قال^(٩): «كنتُ أميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوت الناس إلى الغزو ورغبتهم في الثّواب، وذكرتهم^(١٠) فضل الشهادة وما لأهلها. ثم تفرّق الناس وركبت فرسي وسرت إلى منزلي، وإذا^(١١) بأمرأة من أحسن الناس وجهاً وهي^(١٢) تنادي: يا أبا قدامة، فقلت هذه مكيدة من الشيطان، فمضيت ولم أجب. فقالت: ما هكذا كان الصّالحون. فوقفت فجاءت فمدّت^(١٣) إلي رقعة وحزمة مشدودة وأنصرفت باكية، فنظرت إلى الرقعة فإذا مكتوب فيها^(١٤): إنك دعوتنا للجهاد ورغبتنا في الثّواب، ولا قدرة لي على ذلك، فقطعت أحسن ما بي^(١٥)، وهما ضفيرتان^(١٦)، وأنفذتهما إليك لتجعلهما قيداً لفرسك^(١٧) لعلّ الله^(١٨) يرى شعري قيد فرسك في سبيل الله^(١٩) فيغفر لي. فلمّا كانت [٩٤ب] صبيحة القتال^(٢٠) فإذا بغلام بين يدي^(٢١) الصّفوف يقاتل، فتقدّمت إليه وقلت: يا فتى أنت غلام غير راكب^(٢٢) ولا آمن عليك^(٢٣) أن تجول الخيل فتطاك، فأرجع عن

(١) أي: يا حسرة لأولئك الذين اشتغلوا بأسباب الحياة ونسوا المسبب الذي هو الله ﷻ والذي أمروا أن يعبدوه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٢) في (م) و(ع): «مدمع». (٣) في (ع): «باسكاب»، وهو تصحيف.

(٤) في (م) و(ع): «ثنية».

(٥) عبارة «كلما رام.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (٦) في (ع): «نفحة».

(٧) في (م) و(ع): «مصيبة».

(٨) عبارة «فإذا صحت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فإذا صح لك على أرض التوبة سجدة».

(٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٩٨/٤. (١٠) في (م) و(ع): «وذكرت».

(١١) في (م) و(ع): «وإذا أنا». (١٢) عبارة «وجها وهي» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فدفعت». (١٤) في (م) و(ع): «فإذا فيها مكتوب».

(١٥) في (م) و(ع): «في». (١٦) في (م): «ضفيرتاي».

(١٧) عبارة «قيداً لفرسك»، في (م) و(ع): «قيد فرسك».

(١٨) عبارة «لعلّ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «في سبيل الله»، في (م) و(ع): «في سبيله».

(٢٠) عبارة «صبيحة القتال»، في (م) و(ع): «صبيحة يوم القتال».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٢٢) في (م) و(ع): «غلام غر راجل».

(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

موضعك هذا. فقال: أفتأمرني^(١) بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۝ وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَهُمْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءٌ يَفْضَسُ مِنْ اللَّهِ وَءَاوَنُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢). قال: فحملته على هجين كان معي. فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم. فقلت: ما هذا^(٣) موضع قرض، فما زال يلح عليّ^(٤) حتى قلت بشرط إن من الله عليك بالشهادة أكن في شفاعتك. قال: نعم. فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع السهم الأول^(٥) في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة، فقتل رومياً. ثم رمى بالثاني^(٦) وقال: السلام عليك يا أبا قدامة، فقتل رومياً، ثم رمى بالثالث^(٧) فقتل رومياً وقال: السلام عليك يا أبا قدامة^(٨) سلام مودع، فجاءه سهم فوق في عينه، فوضع رأسه في قربوس^(٩) سرجه، فتقدمت إليه وقلت^(١٠): لا تنس. فقال: نعم، ولكن لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة فأت والدتي وسلم إليها خرجي^(١١) وأخبرها، وهي^(١٢) التي أعطتك شعرها لتقيّد به فرسك، وسلم عليها، فإنها العام الأول أصيبت بوالدي، وهذا العام بي، ثم مات رحمه الله تعالى^(١٣)، فحفرت له ودفنته. فلما [١٩٥] هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها^(١٤)، فقال أصحابي: إنه غلام غزي^(١٥)، ولعلّه خرج بغير إذن والدته^(١٦). فقلت: إن الأرض لتقبل من هو شر منه، فقمّت وصلّيت ركعتين ودعوت الله ﷻ^(١٧)، فسمعت قائلاً^(١٨) يقول: يا أبا قدامة أترك وليّ الله ﷻ^(١٩)، فما برحت حتى نزلت طيور فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت إلى دار والدته، فلما قرعت الباب خرجت أخته إليّ، فلما رأتني عادت فقالت^(٢٠): يا أمّاه هذا أبو قدامة ليس معه أخي؛ فقد أصبنا في العام الأول بأبي، وفي هذا العام بأخي. فخرجت أمّه فقالت: أمعزيا أم مهنيّا؟ فقلت: ما معنى هذا الكلام^(٢١)؟ فقالت^(٢٢): إن كان مات فعزّني^(٢٣)، وإن كان أستشهد فهنّني. فقلت: لا بل مات شهيداً.

-
- (١) في (م) و(ع): «أأمرني».
(٢) عبارة «ما هذا»، في (م) و(ع): «أهذا».
(٣) في (م) و(ع): «فوضع سهماً».
(٤) في (م) و(ع): «بالآخر».
(٥) عبارة «يا أبا قدامة» ساقطة في (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «على قربوس». والقربوس: جنو السرج. ابن منظور، اللسان، «قربس»، ١٧٢/٦.
(٧) في (م) و(ع): «وقلت له».
(٨) في (م) و(ع): «فهي».
(٩) في (م) و(ع): «ظهرها».
(١٠) في (م) و(ع): «أمه».
(١١) في (م) و(ع): «صوتا».
(١٢) في الأصل: «قالت»، وهي من (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «قالت».
(١٤) سورة الأنفال، آية ١٥ - ١٦.
(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «بالآخر».
(١٧) عبارة «يا أبا قدامة» ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «خرجي إليها».
(١٩) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٠) في (م) و(ع): «غري».
(٢١) عبارة «ﷻ» في (م) و(ع): «تعالى».
(٢٢) عبارة «ﷻ» ساقطة في (م) و(ع).
(٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢٤) في (ع): «فعزّني».

فقلت له^(١): إن^(٢) له علامة فهل رأيته؟ قلت: نعم، قدفته الأرض وأكلته الطير^(٣) وتركت عظامه فدفنتها. فقالت: الحمد لله. فأسلمت^(٤) إليها الخرج، ففتحت فأخرجت^(٥) منه مسحاً^(٦) وغلاً من حديد وقالت: إنّه كان إذا أجته^(٧) الليل لبس هذا المسح وغلّ نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، وكان يقول^(٨) في مناجاته: أحشرنى في حواصل الطير، فقد أستجاب الله دعاءه، والله الحمد^(٩). شعر^(١٠):

هَلْ الطَّرْفُ يُغْطِي نَظْرَةً مِنْ حَبِيبِهِ أَوْ الْقَلْبُ يَلْقَى رَاحَةً^(١١) مِنْ وَجِيبِهِ^(١٢)
هَلْ لِلْبَالِي عَظْفَةٌ بَعْدَ نَفْرَةٍ وَهَلْ لِعَلِيلِ الشُّوقِ وَضَل طَلِيبِهِ^(١٣) [٩٥ب]
وَلِلَّهِ^(١٤) أَيَّامٌ عَفْزُونَ كَمَا عَفَا ذَوَائِبَ مَيَّاسٍ^(١٥) الْغُصُونِ رَطِيبِهِ
أَجِزْ إِلَى نَوْرِ الْحَمَى^(١٦) فِي بِطَاحِهِ وَأَظْمَأْ إِلَى مَرِّ الْهَوَى فِي مُبُوبِهِ
وَذَاكَ الْجَمَى يَغْدُو عَلِيلًا نَسِيمُهُ وَيُنْمِيسِي صَاحِبِحاً مَأْوُهُ فِي قَلْبِهِ
حَبِيبٌ لِقَلْبِي ظِلُّهُ^(١٧) فِي هَجِيرِهِ إِذَا مَا بَدَأَ أَوْ سَمَّئُهُ فِي غُرُوبِهِ
هُوَ الشُّوقُ مَذْلُولٌ عَلَى مَقْتَلِ^(١٨) الْفَتَى إِذَا لَمْ يَعُدْ قَلْبًا يَلْقَى حَبِيبَهُ
يَغْيِرُنِي^(١٩) تَلْوِيحٌ وَجْهِي وَأَنَا مَضَارِبِهِ مَدْفُونَةٌ فِي شَحُوبِهِ^(٢٠)
قُرْبٌ شَقَاءٌ قَدْ نَعِمْنَا بِقُرْبِهِ^(٢١) وَرُبُّ نَعِيمٍ قَدْ شَقِينَا بِقُرْبِهِ
[بحر الطويل]

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) عبارة «وأكلته الطير»، في (م) و(ع): «ونزلت الطيور فأكلت لحمه».
(٣) في (م) و(ع): «فأسلمت».
(٤) في (م) و(ع): «وأخرجت».
(٥) في (م) و(ع): «مسح»، ٥٩٦/٢.
(٦) في (م) و(ع): «جته».
(٧) عبارة «وكان يقول»، في (م) و(ع): «وقال».
(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٩) في الأصل: «روحه»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) وَجِبَ القلب وجبياً: خفق واضطرب. ابن منظور، اللسان، «وجب»، ٧٩٤/١.
(١١) عبارة «وهل لعليل.. الخ»، في (م): «بها يتسلى ناظري عن غروبه»، وفي (ع): «عني ناظري عن غروبه»، وهو تصحيف.
(١٢) في (م) و(ع): «فله».
(١٣) غصن مَيَّاس: مائل. ابن منظور، اللسان، «ميس»، ٢٢٤/٦.
(١٤) في (م) و(ع): «اللوى».
(١٥) في الأصل و(م) و(ع): «ظلمة»، وقد وردت لفظة «ظله» في الديوان، وهي الأصوب.
(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «تغيرني».
(١٨) في الأصل: «شجون»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٩) في (م) و(ع): «يبعده».

يا هذا طاب الهوى للقوم فجدوا وأقعد المأسور، أملك في الهند وربما خرج أسمك في أهل القبور، كم من^(١) طلعت عليه الشمس وهو مسرور وغربت وهو مقبور، يا من خرب شبابه بالغفلة^(٢) وقلبه بالشهوات مقبور^(٣)، ويحك كم تبهرج بالرياء^(٤) ظاهر صحيح^(٥) وباطن مكسور، غلب عليك طرش الغفلة لا حيلة لمن^(٦) سمعه موقور^(٧)، غداً - ويحك^(٨) - تندم إذا نفخ في الصور وبعث من في القبور ﴿وَحْصِلْ مَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٩)، ذكر الآخرة عندك لمحة ولذكر الدنيا في قلبك سرور^(١٠)، يا من أبعدته الحرمان هذه رفاق التائبين عليك عبور^(١١)، لا رسالة دمع ولا نفس أسف ما أراك إلا مهجور، إذا^(١٢) لم تتل في زمان^(١٣) الشباب أرباح العمل فقد ثبت شقاؤك^(١٤) في المسطور، هذا نذير المشيب^(١٥) ينذر بالرحلة تهيأ يا منذور، كم أعذار كم كسل كم غفلة ما أحد يوم الحساب^(١٦) [٩٦] معذور، بيت وصلك خراب وبيت هجرتك معمور، هذا شعاب التوبة ينادي أين من هو مكسور^(١٧)، بادر عساك تجبر بالتوبة وتعود مجبور، سجدة بها وصل السحرة^(١٨) ونجوا من الأهوال، ﴿وَلِلَّهِ تَسَعَّدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَيُظِلُّهُمْ بِالْقُدْرِ وَالْأَسَالِ﴾.

قال إبراهيم بن شبيب رحمه الله تعالى^(١٩): «كُنَّا نَتَجَالَسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَاتَى رَجُلٌ يَوْمًا^(٢٠)

- (١) عبارة «كم من»، في الأصل: «فمتى»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢) في (م) و(ع): «في الغفلة».
- (٣) في (م) و(ع): «معمور».
- (٤) عبارة «ويحك.. إلخ»، في (م) و(ع): «كم تبهرج ويحك برياء».
- (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «فيمن».
- (٧) التوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله. الفيروزآبادي، القاموس، «وقر»، ص ٦٣٥.
- (٨) في (م) و(ع): «وحقك».
- (٩) عبارة «ويعث من في القبور.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع)، وقوله: ﴿وَحْصِلْ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، اقتباس من قوله تعالى من سورة العاديات، آية ١٠.
- (١٠) عبارة «في قلبك سرور»، في (م) و(ع): «عندك مرور».
- (١١) في (م) و(ع): «تمور».
- (١٢) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «زمن».
- (١٤) في (م) و(ع): «ذلك».
- (١٥) في (م) و(ع): «الشيء».
- (١٦) في (م) و(ع): «القيامة».
- (١٧) في (م) و(ع): «أين المكسور».
- (١٨) في (م) و(ع): «سجدة وصل بها السحرة». والمعنى: أن السحرة من قوم فرعون نجوا من عذاب الله يوم القيامة بإيمانهم بالله وسجودهم له إقراراً وخضوعاً، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ آلَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٠، ١٢١].
- (١٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٩/٤. وإبراهيم هو إبراهيم بن شبيب بن شبية بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم، كان والده شبيب إخبارياً علامة مفوهاً، ورجلاً شريفاً يفرغ إليه أهل البصرة في حوائجهم، وأميراً جليلاً. ابن الجوزي، الصفة، ٩/٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ١٦١ - ١٧٠هـ، ص ٢٥٧. ابن حجر، التهذيب، ٣٠٧/٤.
- (٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

عليه ثوب متلحف^(١) به، فجلس إلينا، فألقى مسألة فما زلنا نتكلم في الفقه حتى أنصرفنا، ثم جاء^(٢) في الجمعة المقبلة، فأحبيناه وسألناه عن منزله، فقال: أنزل الخريبة^(٣). فسألناه عن كنيته فقال: أبو عبد الله، فرغبنا في مجالسته ورأينا مجلسنا مجلس ثقة. فمكثنا كذلك زماناً ثم أنقطع عنا. فقال^(٤) بعضنا لبعض: ما حالنا^(٥)؟ قد كان مجلسنا عامراً بأبي عبد الله وقد صار موحشاً. فوعد بعضنا بعضاً إذا أصبحنا^(٦) أن نأتي^(٧) الخريبة فنسأل عنه. فأتينا الخريبة وكنا عدداً فعدنا^(٨) نستحي أن نسأل عن أبي عبد الله. فنظرنا إلى صبيان قد أنصرفوا من المكتب، فقلنا: أبو عبد الله، فقالوا: لعلكم تعنون الصياد، قلنا: نعم. قالوا: هذا وقته الآن يجيء. فقعنا ننظره فإذا هو قد أقبل متزراً بخرقه، وعلى كتفيه^(٩) خرقه، ويده أطيار مذبوحة وأطيار أحياء^(١٠)، فلما رأنا [٩٦ب] تبسم تبسم الإقبال^(١١) وقال: ما جاء بكم؟ قلنا: فقدناك وقد كنت عمرت مجلسنا^(١٢) فما غيبك^(١٣) عنا؟ قال: إذا أحدثكم، كان لنا جار وكنت أستعير منه كل يوم جمعة^(١٤) ذلك الثوب الذي كنت آتيكم به، وكان غريباً فخرج إلى وطنه، ولم يكن لي ثوب^(١٥) آتيكم فيه، وهل لكم أن تدخلوا المنزل فتأكلوا مما رزق الله تعالى^(١٦)؟ فقال بعضنا لبعض: أدخلوا منزله، فجاء إلى الباب فسلم ثم صبر قليلاً، ثم دخل فأذن^(١٧) لنا في الدخول فدخلنا فإذا هو قد أتانا^(١٨) بقطع من البواري^(١٩) فبسطها لنا وقعدنا^(٢٠)، وقام إلى المرأة

- (١) في (م) و(ع): «ملتحف».
- (٢) في (م) و(ع): «جاءنا».
- (٣) في الأصل: «منزلي الخريبة»، والتصويب من (م) و(ع). والخريبة تصغير خربة: موضع بالبصرة، كانت مدينة للفرس خربت لتواتر غارات المثنى عليها، فلما مصرت البصرة ابتنوا إلى جانبها فسُميت الخريبة لذلك. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاء، ٤٦٣/١.
- (٤) في (م) و(ع): «قال».
- (٥) في (م) و(ع): «ما بالنا».
- (٦) في (م) و(ع): «أصبح».
- (٧) في (ع): «يأتي».
- (٨) في الأصل «فعدنا أن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «كتفه».
- (١٠) في الأصل (م) و(ع): «بالحياة»، ووردت لفظة «أحياء» في الصفة، وهي الأصوب.
- (١١) عبارة «تبسم تبسم الإقبال»، في (م) و(ع): «تبسم إلينا».
- (١٢) عبارة «وقد كنت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد كان مجلسنا عامراً بك».
- (١٣) في (م) و(ع): «غيبتك».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) عبارة «كنت آتيكم به.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «وأذن».
- (١٨) في (م) و(ع): «أتى».
- (١٩) في الأصل «البراري»، والتصويب من (م) و(ع). والبوري: الحصار المنسوج. الفيروزآبادي، القاموس، «بور»، ص ٤٥٢.
- (٢٠) في (م) و(ع): «فقعنا».

وسَلَّمَ^(١) إليها الأَطْيَار المذبوحين^(٢)، وأخذ الأَطْيَار الحَيَّة وقال: أنا آتِيكم إن شاء الله تعالى^(٣) عن قريب، فأتى السُّوق فباعها واشترى خبزاً وجاء به^(٤)، وقد صنعت أمراًته تلك الطيور وهيأتها، وقَدَّم^(٥) إلينا خبزاً ولحم طير فأكلنا، وجعل يقوم ويأتينا^(٦) بالملح والماء، وكلَّما قام قال بعضنا لبعض: رأيتم مثل هذا ألا تغيرون حاله^(٧) وأنتم سادات^(٨) أهل البصرة؟ فقال أحدهم: عليَّ خمسمائة درهم^(٩). وقال الآخر: ثلاثمائة درهم^(١٠)، وَضَمِن بعضهم أن يأخذ لهم من بعض^(١١)، فبلغ الذي جمعوا له^(١٢) في الحساب خمسة آلاف درهم، وقالوا: قوموا نذهب فنأتيه بالمال فنسأله^(١٣) أن يغير^(١٤) بعض ما هو فيه، فقمنا وأنصرفنا^(١٥) فمررنا بالمرید، فإذا بمحمد^(١٦) بن سليمان أمير البصرة قاعد في منظره له^(١٧)، فقال [١٩٧] لغلّامه^(١٨): يا غلام إئتني بإبراهيم بن شبيب من بين القوم، فجئت فسَلَّمْتُ عليه، فسألني عن قضيتنا من أين أقبلنا، فأصدقته الحديث^(١٩)، فقال: أنا أسبقكم إلى بره، يا غلام إئتني ببدره^(٢٠) دراهم وفراش، فجاء بها^(٢١)، فقال: يا غلام^(٢٢) أحمل هذه^(٢٣) مع هذا الرجل حتى يدفعها إلى من أمرناه، ففرحت ثم قمت مسرعاً، فلمّا أتيت الباب سلَّمْتُ فأجابني أبو عبد الله، ثم خرج إليّ، فلمّا رأى

- (١) عبارة «وقام.. إلخ»، في (م) و(ع): «ودخل إلى المرأة فسلم».
- (٢) في (م) و(ع): «المذبوحة».
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) عبارة «وقد صنعت.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقد صنعت المرأة ذلك الطير وهيأته فقدم».
- (٦) عبارة «فأكلنا.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأكل فجعل يقوم فيأتينا».
- (٧) عبارة «رأيتم.. إلخ»، في (م) و(ع): «أرأيتم مثل هذا لا تغيرون أمره».
- (٨) في (م) و(ع): «سادة».
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) عبارة «ثلاثمائة درهم»، في (م) و(ع): «علي ثلاثمائة».
- (١١) في (م) و(ع): «غيره».
- (١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «ونسأله».
- (١٤) في الأصل: «يتغير»، والتصويب من (م) و(ع). (١٥) في (م) و(ع): «فأنصرفنا على حالة ركبانا».
- (١٦) في (م) و(ع): «محمد». ومحمد: هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي البصرة أيام المنصور، كان فارس بني هاشم، جواداً مُمَدِّحاً، توفي سنة ١٧٣ هـ - ٧٨٩ م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٤٠/٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١٠/٢٨٢.
- (١٧) عبارة «في منظره له»، في الأصل: «في منتظره»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) عبارة «فسلمت عليه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فدخلت إليه وأخبرته».
- (٢٠) البدره: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. الفيروزآبادي، القاموس، «بدر»، ص ٤٤٤.
- (٢١) عبارة «وفراش.. إلخ»، في (م) و(ع): «فجاء بها فقال اتتني بغلام فراش فجاء».
- (٢٢) عبارة «يا غلام» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٣) في (م) و(ع): «هذه البدره».

الغلام^(١) والبدره على عنقه كأنما نسفت^(٢) في وجهه التراب، وأقبل^(٣) عليّ بغير الوجه الذي رأينا أولاً^(٤) وقال: مالي ولك بهذا^(٥)؟ أتريد أن تفتنني؟ فقلت: يا أبا عبد الله أقعد حتى أخبرك؛ إنه من القصة كذا وكذا، وهذا الذي تعلم أنه من أحد الجبابرة^(٦)، يعني محمد بن سليمان، ولو كان أمرني أن نضعها^(٧) حيث أمرني لرجعت إليه وأخبره^(٨) أني وضعتها، فإله^(٩) في نفسك. فأزداد عليّ غيظاً وقام ودخل^(١٠) منزله وأطبق الباب في وجهي. فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى^(١١) ما أدري ما أقول للأمير، ثم لم أجد بداً من الصدق، فجئت الأمير^(١٢) فأخبرته الخبر، فقال: خارجي^(١٣) والله أعلم^(١٤)، يا غلام آتيني بالسيف^(١٥)، وقال^(١٦) لي: خذ بيد هذا الغلام حتى تأتي^(١٧) به إلى هذا الرجل، فإذا أخرجه إليك^(١٨) فأضرب عنقه، وأتني برأسه. قال إبراهيم: قلت^(١٩): أصلح الله الأمير أتق الله، والله^(٢٠) لقد رأينا^(٢١) رجلاً ما هو من الخوارج ولكن^(٢٢) [٩٧ب] أذهب فأتيك به، وما أريد بذلك إلا أن يهدأ^(٢٣). قال: فضمنته ومضيت حتى أتيت الباب فسلمت، فإذا بالمرأة تبكي^(٢٤) ثم فتحت الباب وتوارت^(٢٥) وأذنت لي، فدخلت فقالت لي: ما شأنكم وشأن أبي عبد الله؟ فقلت: وما

-
- (١) في (م) و(ع): «الغراش».
(٢) عبارة «على عنقه.. إلخ»، في (م) و(ع): «على كتفه كاني سفيت».
(٣) في (م) و(ع): «فأقبل».
(٤) عبارة «الذي رأينا أولاً»، في (م) و(ع): «الأول».
(٥) في (م) و(ع): «يا هذا».
(٦) عبارة «وهذا الذي تعلم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو الذي يعلم أحد الجبابرين».
(٧) في (م) و(ع): «أضعها».
(٨) في (م) و(ع): «فأخبرته».
(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع): «فدخلت».
(١١) عبارة «فجئت الأمير»، في (م) و(ع): «فجئته».
(١٢) في (م) و(ع): «فجئته».
(١٣) في (م) و(ع): «فجئته».
(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) في (م) و(ع): «فجاء بالسيف».
(١٦) في (م) و(ع): «فقال».
(١٧) عبارة «فإذا أخرجه إليك» ساقطة في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «فقلت».
(١٩) عبارة «أتق الله والله»، في (م) و(ع): «الله الله فوالله».
(٢٠) في (م) و(ع): «رأيت».
(٢١) عبارة «إلا أن يهدأ»، في (م) و(ع): «إلا اقتداء».
(٢٢) عبارة «فإذا بالمرأة تبكي»، في (م) و(ع): «فإذا المرأة تحن وتبكي».
(٢٣) في الأصل: «وتوارت عليه»، والتصويب من (م) و(ع).

حاله؟ قالت: دخل ومال إلى الركوة وفرغ^(١) منها ماء فتوضأ ثم صلى، فسمعت^(٢) يقول: اللهم أقبضني إليك ولا تفتني، ثم تمدد وهو يقول ذلك حتى مات، وهو ذلك ميت^(٣)، فقلت: يا هذه إن لنا قصة عظيمة فلا تحدثوا فيه شيئاً. فجنث محمد بن سليمان فأخبرته بالخبر^(٤)، فقال: أنا أركب وأصلي عليه^(٥). قال: وشاع خبره بالبصرة فصلى عليه عامة الناس رحمه الله تعالى. شعر^(٦):

مَنْ بَاتَ رَهْنًا بُكَائِهِ وَسُهَادِهِ
دَعِ يَا عَذُولَ مَلَامِهِ إِنَّ الْهَوَى
حَلَّ اللَّحَاةَ قُوَى عُقُودِ عَزَائِهِ
فَمَحَى مَحَاسِنَ عَقْلِهِ بِجُنُونِهِ
وَنَحَّ الْعَوَازِلَ لَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَرَوْا
وَ رَحْمَةً لِلصَّبِّ نَاءَ وَمَالِهِ
هُوَ فِي الْعِرَاقِ^(٩) وَقَلْبُهُ بِتِهَامَةِ
يَهْوَى الْجَمَى وَهَوَاهُمْ فِي بَابِلَ
هَٰذِي الْخِيَامِ خِيَامِ سُعْدَى قَانَتْ بِي^(١٠)
وَأَزْجَعَ إِلَى الْوَادِي^(١١) الَّذِي فِيهِ الْحَمَى^(١٢)
إِنْ كَانَ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ رَجِيلِهِمْ
لَا جَادَ دَارَهُمُ السَّحَابَ وَلَا سَقَّتْ
مَا يَهْتَدِي نَظْرًا إِلَى عَوَادِهِ
لَهَبٌ يَزِيدُ اللَّوْمَ فِي إِيْقَادِهِ
فَوَهَى وَمَا حُلَّتْ عُقُودُ^(٧) وَدَادِهِ
وَرَمَى وَجُوهَ صَلاَحِهِ بِفَسَادِهِ
إِسْعَادَهُ مَا عَرَضُوا لِسَعَادِهِ^(٨)
جَلَدٌ وَلَا جِنْلُ الْأَسَى مِنْ عَادِهِ
يَا قُرْبَ مَسْمَعِهِ وَيُبْغِدُ فُؤَادِهِ
شَتَّانَ بَيْنَ مُرَادِهِمْ وَمُرَادِهِ
وَأَسْتَغْمِلُ الْإِنْصَافَ فِي إِسْعَادِهِ [١٩٨]
وَأَسْتَغْلِمُ الْأَخْبَارَ مِنْ وُرَادِهِ
فَالْيَوْمَ مِنْ دُنْيَاهُ آخِرَ زَادِهِ
عَطَشًا بِوَادِيهَا^(١٣) أَكُفْتُ عَهَادِهِ
[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي سبق^(١٤) علمه أن السعادة لا تنال إلا^(١٥) بالاكتساب، تفرّد في

(١) عبارة «إلى الركوة وفرغ»، في (م): «إلى الركبي فرغ»، وفي (ع): «إلى الركبي ففرغ».

(٢) في (م) و(ع): «ثم سمعته».

(٣) عبارة «وهو يقول ذلك.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو يقول كذلك فلحقته وقد قضى فهو ذاك ميت».

(٤) في (م) و(ع): «الخبر».

(٥) عبارة «وأصلي عليه»، في (م) و(ع): «فأصلي على هذا».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٧) في الأصل: «وعقود»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «بسعاده».

(٩) في (م) و(ع): «فأتد».

(١٠) في الأصل: «وراجع الوادي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الهوى».

(١٢) في الأصل: «يسبق»، والتصويب من (م) و(ع). (١٣) في (م) و(ع): «معاهدها».

سابق^(١) علمه بما^(٢) أوعد في أم الكتاب، لا يعلم سره في خلقه غيره في الجبر والاكْتساب^(٣)، تجلّى في أفعاله لخلقه واحتجب عن المبعدين وظهر للأحباب، أنفرد بعلم السوابق وجعل الغيب عن^(٤) المغيب كالستر على الباب، ألهم أسرار العارفين معرفته ورفع عن بصائرهم الحجاب، أمر القلم أن يكتب في اللوح ما يليق بالأسباب، لا تضجره مسائل السّؤال واختلاف ألسنة^(٥) الطّلاب، أباح جماله للعارفين والعاصي عليه من شهواته حجاب، كم تحت ستر الدّجى من متّيم واقف بالباب، دعاه الشّوق فلبّى وبادر وأجاب، والمحروم سكران من خمرة^(٦) الغفلة سيّان عنده البعد والاقتراب، كم قرّب من دعاه لخدمته^(٧) وآخر أبعد وقطع عنه^(٨) حيل الأسباب، فيا معشر المذنبين تعرضوا لنفحات الأبواب، تشفّعوا بالانكسار وعبرات بالانسكاب^(٩)، فلعل من أبعد يقرب وعسى يعود الغياب^(١٠)، لا تياس فرّما جاء اللّطف من غير احتساب، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١١) [٩٨ب].

معشر^(١٢) السالكين تعالوا بنا^(١٣) نَبِّكِ الذنوب فهذا ماتم الأحران، تعالوا نكتب^(١٤) بالمدامع ونشتك الهجران، لعل زمان الوصل يعود كما قد كان، هذا بياض المشيب ينذر بخراب الأوطان، يا من تخلف حتى شاب قد رحل الأظعان، يا تائها في تيه التّخلف يا حائراً في برّية الحرمان، نهارك للأسباب وليلك الرّقاد^(١٥) هذه الخسارة عيان، إذا ولّى الشباب ولم تريح ففي المشيب يكون^(١٦) الخسران، ويلي مع من أتحدث! الهوى أصم الأذان، دخلت^(١٧) إقليم قلبك لصوص الغفلة وتطمع بالأمان، أملك وراء السد وربما هيئت لك الأكفان، قف على ساحل التوبة فبحار المعاصي طوفان، دينار الرّياء مطلى تزوّر^(١٨) تلك الطلاوة بالنيران، ضيّعت ربيع الشباب حتى ذبل من معاصي^(١٩) الرحمن، فعند ضيف^(٢٠) المشيب ندمت على ما قد كان، إن لم يساعدك رفيق التوفيق وإلا فالحرمان حرمان، وقد

-
- (١) عبارة «في سابق»، في (م) و(ع): «يسابق».
- (٢) (٢) في (م) و(ع): «علم ما».
- (٣) عبارة «في الجبر والاكْتساب»، في (م) و(ع): «في الحين والمآب»، والمعنى: في القضاء المبرم والعمل المكتسب.
- (٤) في (م) و(ع): «على».
- (٥) في (م) و(ع): «مسايل».
- (٦) في (م) و(ع): «شراب».
- (٧) في (م) و(ع): «لخلوته».
- (٨) في (م) و(ع): «منه».
- (٩) في (م) و(ع): «بالنسكاب».
- (١٠) في (م) و(ع): «العتاب».
- (١١) في (م) و(ع): «نبتك».
- (١٢) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٣) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٤) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٥) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٦) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٧) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٨) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (١٩) في (م) و(ع): «أدخلت».
- (٢٠) في (م) و(ع): «أدخلت».

يرحم المولى من ضعف عن الأسباب، ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

عمر بن عبد العزيز رحمه الله شيع جنازة فلما أنصرفت تأخر عنها، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركها؟ فقال: إني تأخرت فناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما فعلت^(١) بالأحبة؟ مرّقت الأبدان، وقطعت الأكفان^(٢)، ومصصت الدم، وأكلت اللحوم^(٣). [١٩٩] ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ فرّقت^(٤) الكتفين من الذراعين^(٥)، والرُكبتين من السّاقين، والساقين من القدمين، ثم بكى عمر رحمه الله^(٦) وقال: إنّ الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشبابها يهرم^(٧)، وحيها يموت، فلا يغرّثكم^(٨) إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، أين قرأ القرآن؟ أين حجاج بيت الله الحرام؟ أين صوّام شهر رمضان؟ ما صنع التراب بأبدانهم، والديدان بأجسادهم^(٩)، والبلاء بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا والله في الدنيا على سرر^(١٠) مهدة، وفرش منضدة^(١١)، بين خدام^(١٢) يخدمون، وأهل يكرمون، أليس هم بعدها في مدلهمة^(١٣) ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل، فارقوا الأهل والوطن، و^(١٤) قد فارقوا الحقائق وصاروا بعد السّعة في المضائق، وتزوّجت نساؤهم، وتردّدت في الطّرقات^(١٥) أبناؤهم، وتزوّجت القربات^(١٦) ديارهم وتراثهم^(١٧)، فمنهم والله الموسع عليه^(١٨) في قبره، ومنهم والله المضيق عليه^(١٩) في لحده، هيهات هيهات يا مغمّض الوالد والأم^(٢٠) وغاسله، و^(٢١) يا مكفّن الميت وحامله، يا مدخله^(٢٢) في القبر وراجعا عنه، ليت شعري بأيّ يد و^(٢٣) عضو يبدأ البلاء^(٢٤)؟ ثم بكى حتى غشي عليه، فما بقي إلا

- (١) في (م) و(ع): «صنعت».
- (٢) عبارة «مرّقت.. إلخ»، في (م) و(ع): «خرقت الأكفان ومرّقت الأبدان».
- (٣) في (م) و(ع): «اللحم».
- (٤) في (م) و(ع): «فرّقت الأوصال فرقت».
- (٥) في (م) زيادة: «والذراعين من الكتفين».
- (٦) عبارة رحمه الله «ساقطة في (م) و(ع)».
- (٧) في (م) و(ع): «هرم».
- (٨) في الأصل: «يغثركم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «بأجسامهم».
- (١٠) في (م) و(ع): «أسرة».
- (١١) نَضَد متاعه يَنْضُدّه: جعل بعضه فوق بعض، فهو منضود ومُنْضَد. الفيروزآبادي، القاموس، «نضد»، ص ٤١١.
- (١٢) في (م) و(ع): «خدم».
- (١٣) اذْلَهَم الظلام: كفف. الفيروزآبادي، القاموس، «دلهم»، ص ١٤٣١.
- (١٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (ع): «طرقات».
- (١٦) في (م) و(ع): «القربات».
- (١٧) في (م) و(ع): «وأموالهم».
- (١٨) في (م) و(ع): «له».
- (١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) عبارة «يا مغمض الوالد والأخ والولد»، في (م) و(ع).
- (٢١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٢) في (م) و(ع): «مُجْلَه».
- (٢٣) الكلمة «يد و» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٤) في (م) و(ع): «البلى».

جمعة ومات رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بركاته آمين^(١). شعر^(٢):

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَشَقُّوا عَنْهُ أَكْثَفَانَا رَقَاقاً
وَمِنْ حُفَرِ^(٣) التَّرَابِ فَوَسَّدُوهُ فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَطَّضَتْ
وَفِي الرُّمَسِ الْبَعِيدِ فَعَيَّبُوهُ [٩٩ب] وَقَدْ سَأَلْتُ نَوَاطِرَ^(٥) مُقْلَتَيْهِ
صَبِيحَةَ^(٤) ثَالِثِ أَنْكَرْتُمُوهُ وَقَدْ نَادَى الْيَلَىٰ هَذَا فُلَانُ
عَلَىٰ وَجَنَاتِهِ وَأَظْمَسَ فُوهُ حَبِيبِكُمْ وَجَارِكُمُ الْمُفْدَىٰ
هَلُمُّوا فَانْظُرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَانْسِيْتُمُوهُ

[بحر الوافر]

يا مضيئاً شبابه في البطالة هذا المشيب^(٦) نذير، كم تطاوع إبليس وعند^(٧) الكبر تبكي على التقصير، الشيب وطول الأمل والغفلة قل لي إلى أين تسير^(٨)، وا وحشتي لشباب^(٩) بعته بالزر اليسير، وا حسرتي للمشيب قاذني للكبر كالأسير، كم لي^(١٠) أقول لك يا نفسي^(١١) توبي فصافي الهوى تكدير، أي شيء^(١٢) أعمل فيما^(١٣) مضى ما حيلتي في التقدير، كلما^(١٤) قلت صعدت و^(١٥) إذا بي^(١٦) في وسط الحفير، طول ليلي مفكر في تغيير أحوالي بالتغيير، وطول النهار أهذي في طلب الفاني الحفير^(١٧)، ويلي على هذا التدبير ويلي^(١٨) وطير العزائم ما يطير، بعد خمسين تصبو وبعد ستين تفرح وما تعلم إلى أين تصير، هلال عمرك ما يبقى^(١٩) منه إلا اليسير، إلى أي يوم تدخر^(٢٠) توبتك إلى يوم الحفير، ما ينفعك من^(٢١) تجمع له يوم تسافر إلى القبر بنقير، ما عند من على الأرض خبر ممن وقع في البير، ما ينفعك لظم الخدود وتمزيق الجيوب وأنت في الحشرات بين شهيق وزفير، فقدم قدأمك ما تقدم عليه لهول منكر

(١) عبارة «نكث.. إلخ»، في (م) و(ع): «رحمة الله عليه ورضوانه لديه». والقصة ذكرها شعيب الحريش في الروض الفائق، ص ٩٩.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «عفر».

(٤) في الأصل: «صبيحة»، وفي (م): «صبيحة»، والتصويب من (ع).

(٥) في (م) و(ع): «حدائق». (٦) في (م) و(ع): «الشيب».

(٧) في (م) و(ع): «وفي». (٨) في (م) و(ع): «أسير».

(٩) في (م) و(ع): «للشباب». (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «نفس». (١٢) عبارة «أي شيء»، في (م) و(ع): «أيش».

(١٣) في الأصل: «فيها»، والتصويب من (م) و(ع). (١٤) في (ع): «فلما».

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع). (١٦) في (م): «أنا».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع) زيادة: «لمن أخطب».

(١٩) في (م) و(ع): «بقي». (٢٠) في (ع): «تؤخر».

(٢١) في الأصل: «أن»، والتصويب من (م) و(ع).

ونكبير، فبادر يا أخي قبل غلق الدستور^(١)، [١٠٠] فعسى دعوة تستجاب^(٢)، ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

سفيان الثوري رحمه تعالى قال^(٤): دخلت على بنت أم حسان^(٥) الأسدية وفي جبهتها مثل ركة العنز^(٦) من أثر السجود. فقلت لها: يا ابنة أم حسان ألا تأتين^(٧) عبد الله بن شهاب بن عبد الله^(٨)، فلو رفعت إليه رقعة لعلّه أن يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحال التي أراها بك. فدعت بمعجر^(٩) لها فأعتجرت^(١٠) به وقالت: يا سفيان قد كان لك في قلبي رجحان كثير^(١١) فقد أذهب الله ﷻ رجحانك^(١٢) من قلبي، يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا ممن^(١٤) لا يملكها؟ وعزّته وجلاله إنّي لأستحي أن أسأله الدنيا وهو يملكها^(١٥). قال سفيان: فدخلت عليها بعد ثلاث، وإذا الجوع قد أثر في وجهها، فقلت لها: يا ابنة^(١٦) أم حسان إنك لن تؤتين أكثر مما أوتي موسى والخضر ﷺ^(١٧) إذ^(١٨) أتيا إلى^(١٩) أهل قرية أستطعما أهلها^(٢٠).

(١) عبارة «قبل غلق الدستور» ساقطة في (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «مستجاب».

(٣) الآية في (م) و(ع) ﴿لِكُلِّ أَمَلٍ كِتَابٌ يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَرَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

(٤) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٩/٧. وابن الجوزي في الصفة، ٤٥/٤. وسفيان هو

أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، الفقيه سيد أهل زمانه علماً وعملاً، توفي سنة ١٦١ هـ - ٧٧٧ م.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٢٩/٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٥٠/١.

(٥) ابنة أم حسان: كانت ذات اجتهاد وعبادة، وورع وتصوف وزهادة، وكان سفيان الثوري وابن المبارك

وغيرهما يزورونها. ابن الجوزي، الصفة، ٤٥/٤. المناوي، الكواكب الدرية، ٨٧/١.

(٦) في الأصل: «المعزي»، والتصويب من (م) و(ع). يقال للمصلي الذي أثر السجود في جبهته بين عينيه:

مثل ركة العنز؛ ويقال لكل شئيين يستويان ويتكافآن: هما كركبتي العنز، وذلك أنهما يقعان معاً إلى

الأرض منها إذا ربضت. ابن منظور، اللسان، «ركب»، ٤٣٣/١.

(٧) في الأصل «ياتينا»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) عبارة «بن عبد الله» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) المعجّر: ثوب تُلْفُه المرأة على استدارة رأسها ثم تجلبب فوقه بجلبابها. ابن منظور، اللسان، «عجر»،

٥٤٤/٤.

(١٠) في (م) و(ع): «اعتجرت». (١١) في (م) و(ع): «كثير وكبير».

(١٢) عبارة «ذهب الله» ساقطة في (م) و(ع). (١٣) في (ع): «برجحانك».

(١٤) في (م) و(ع): «من».

(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «قال سفيان: وكانت إذا جن عليها الليل دخلت محراباً لها وأغلقت عليها الباب، ثم

قالت: إلهي خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن يسجن من عصاك إلا

جهنم ولا عذاب إلا النار، إلا أنه في (ع): «إذا جن الليل» بدل «إذا جن عليها الليل»، و«أغلقت» بدل

«أغلقت»، و«محبوب» بدل «محبوب».

(١٦) في (م): «بنت». (١٧) عبارة «ذهب الله» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «وإذا»، والتصويب من (م) و(ع). (١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) قوله هذا إشارة إلى ما كان من الخضر وموسى ﷺ، حينما طلبوا الطعام من أهل قرية مروا بها فلم =

فَقَالَتْ: يَا سَفِيَانُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. فَقَالَتْ: أَعْتَرَفْتُ^(١) لَهُ بِالشُّكْرِ. فَقُلْتُ^(٢): نَعَمْ. قَالَتْ: وَجِبَ عَلَيْكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الشُّكْرِ شُكْرٌ، وَشُكْرٌ^(٣) مَعْرِفَةُ الشُّكْرِ شُكْرٌ لَا يَنْقُضِي أَبَدًا. قَالَ سَفِيَانُ: فَقَصِّرْ - وَاللَّهِ - عَلَيَّ، وَوَقِفْ لِسَانِي فَوَلَّيْتُ أَرِيدُ الْخُرُوجَ. فَقَالَتْ: يَا سَفِيَانُ كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَعْجِبَ بِعِلْمِهِ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ ﷻ^(٤)، أَعْلَمُ يَا سَفِيَانُ^(٥) أَنَّهُ لَنْ تُنْتَقَى^(٦) الْقُلُوبُ مِنَ الرَّدَى حَتَّى تَكُونَ [١٠٠ب] الِهِمُومُ هَمًّا وَاحِدًا. فَقَالَ سَفِيَانُ: فَقَصَّرْتُ وَاللَّهِ نَفْسِي عِنْدِي رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى^(٧). شَعَرَ^(٨):

هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ أَبَيْتَ مُسَهَّدًا
وَأَلْبَسَ ثَوْبَ السَّقَمِ^(٩) أَضْفَرُ فَاقِعًا
وَأَرْقُبُ بَرْقِ الْأَبْرَقَيْنِ^(١٠) عَسَى بِهِ
وَأَرْصُدُ نَجْمَ الْأَفْقِ عِنْدَ إِفْقَاتِي
وَلِي مَنْ إِذَا مَا^(١١) تَهْتُ فِي لَيْلٍ شَعْرَهَا
أَمَا أَنَّ لِلصَّادِي مِنَ الصَّدِّ أَنْ يَرَى
وَبَيْنَ ثَنِيَّاتِ اللَّوَى مُغْرَمٌ عَدَا
إِذَا كَتَبَتْ أَيْدِي اللَّطَافَةِ^(١٢) أَخْرَفَا
وَيَضْبُو إِلَى رِيحِ الصَّبَا مُتَرَنِّمًا
وَلَمْ يَبْقَ فِي سَلْعٍ^(١٣) عَلَى الدَّمْعِ مُسْعِدٌ
أَسْكَانَ وَادِي الرَّمْلِ مَا يَخْلُقُ الْهَوَى

بِمَنْ بَاتَ مِنْ فَوْقِ الْحَشَايَا^(١٤) مُمَهَّدًا
وَأَسْبَلُ دَمْعَ الْعَيْنِ وَزْدًا^(١٥) مُورَّدًا
لِسَلْمَى سَلَامٍ بِالْوِدَادِ تَرَدَّدًا
عَسَى خَبَرٌ يَزُورِي غَلِيلِي^(١٦) مِنَ الصَّدَى
أَرْتَنِي صُبْحَ الْوَجْهِ مِنْهَا فَأَرْشِدَا
بِإِحْسَانٍ مَنْ يَهْوَى مِنَ الْوَضَلِ مُورِدَا
يُسِرُّ الْهَوَى وَجَدًا وَيُبْدِي تَجَلُّدًا
تَلَاهَا بِالْفَظِ الصَّبَابَةِ مُنْشِدَا
لِصَوْتِ الصَّبَا عَهْدًا قَدِيمًا وَمَغْهَدَا
وَلَمْ يَرِ^(١٧) فِي نَجْدٍ عَلَى الْوَجْدِ مُنْجِدَا
وَحَقِّكُمْ حَتَّى يُقَالَ تَجَدَّدَا

- = يطعموهما الطعام؛ قال تعالى: ﴿وَحَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَمَلٌ مِّنْهُمَا لَمُدَّ إِلَىٰ قَوْمِ الْأَوَّلَةِ أَخْلَفَهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، وإنما ساق سفيان ذلك ليدل لها على أن من جاع وجب عليه أن يطلب ما يرد جوعه.
- (١) في (م) و(ع): «اعترف».
- (٢) في (م) و(ع): «قلت».
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «يا سفيان» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) عبارة: «عندي.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلي».
- (٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «الحشا»، والتصويب من (م) و(ع). والحشاياء واحدتها حشية وهي الفراش المحشو. ابن منظور، اللسان، «حشى»، ١٨٠/١٤.
- (٨) في (م) و(ع): «الصبر».
- (٩) في (م): «الأرقمين»، وهو تصحيف.
- (١٠) الكلمة ساقطة في (ع).
- (١١) في الأصل: «سمع»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «بردا».
- (١٣) في (م) و(ع): «ويروي».
- (١٤) في (م) و(ع): «الكأبة».
- (١٥) في (م) و(ع): «يبيق».

ولا سَمَح الصَّبُّ الكَثِيبَ بَسْلَوَةً فَيُلْجِيهِ^(١) قَاضِي الحُبِّ أَنْ يَتَرَشَّدَا^(٢)
مَتَى هَبَّ رِيح الصَّبِّ مِنْ أَفْقِ العُلَى على جَمَرَاتِ الوُجْدِ زَادَ^(٣) تَوَقُّدَا
[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي زين السماء بالتَّيْرَيْنِ ورصَّعها بالأنجم الزاهرة، و^(٤) جعل الليل والنهار حثيثين على بواقي الأعمار وأرتفاعها لديوان الآخرة، بعث عمال الأيام إلى جمع خراب^(٥) الشباب وقد خربت الساعات [١٠١] العامرة، فيا إفلاس البطالين وخيبتهم عند^(٦) المحاسبة في ديوان الساهرة^(٧)، فيا من غرته الآمال ما ينفع عند الموت التزين بالثياب^(٨) الفاخرة، أين من قاد الجيوش وجمع الأموال وتعزز بالقوة القاهرة، تجرع - والله^(٩) - كأس الحمام وأنفرد بأعماله الرابحة والخاسرة، هذه قبورهم وهذه قصورهم تندبها أيدي البلاء في الدُّجْنَة^(١٠) والهاجرة، بدلوا بغريان بَيْنَ تندب أعظمهم^(١١) الناخرة، أضحوا كأن لم يكونوا بالأمس وأمست ربوع أذكارهم دائرة^(١٢)، منادي سكراتهم^(١٣) ينادي يا ويلنا على ما فرطنا في الأيام الخالية^(١٤)، ألهاننا الهوى عن هول هذا المصرع فما أفقنا إلا ودوائر الحدثان دائرة، فيا أهل الغفلة آستعدوا الزاد^(١٥) ليوم^(١٦) فيه العقول حائرة، ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(١٧)، فسبحان من يعطي ويمنع وحكمته في المنع والعطاء ظاهرة، أحمده حمد مذهب يرجو عفوهِ في الدنيا والآخرة^(١٨)، وأشهد أن لا إله إلا الله

- (١) ألجأه إلى الشيء: اضطره إليه. والتلجئة أن يُلجئَكَ أن تأتي أمراً باطنه خلاف ظاهره، وأحوجك إلى أن تفعل فعلاً تَكَرَّهه. ابن منظور، اللسان، «لجأ»، ١٥٢/١.
- (٢) في الأصل: «يسترشدا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «زادت».
- (٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «خراج».
- (٦) في (م) و(ع): «في».
- (٧) في الأصل: «المشاهرة»، والتصويب من (م) و(ع). والساهرة: وجه الأرض، كأنها سميت بهذا الاسم لأن فيها الحيوان نومهم وسهرهم. ابن منظور، اللسان، «سهر»، ٣٨٣/٤.
- (٨) عبارة «التزين بالثياب»، في (م) و(ع): «الثياب».
- (٩) كلمة «والله» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في الأصل: «الجنة»، والتصويب من (م) و(ع). والدُّجْنَة: الظلمة. الفيروزآبادي، القاموس، «دجن»، ص ١٥٤٢.
- (١١) عبارة «تندب أعظمهم»، في الأصل «تندب أعظامهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «مدائرة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «سكونهم».
- (١٤) في (م) و(ع): «الغابرة».
- (١٥) في (م) و(ع): «الزاد».
- (١٦) في (م) و(ع): «السفر».
- (١٧) سورة القيامة، الآية ٢٠ - ٢١. والآية في (م) و(ع): ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(١٨) وَبُورَةُ يُوسُفَ تَأْتِيهِ^(١٩) إِنَّ فِيهَا نَاطِلَةً^(٢٠)، وكذا في الموضعين التاليين من هذه الخطبة.
- (١٨) عبارة «أحمده حمد.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

- وحده لا شريك له شهادة ظاهرة وباطنة^(١)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أحيا به ملة الإسلام بعد أن^(٢) كانت دائرة، صلى الله عليه وسلم وآله^(٣) وأصحابه الأنجم الزاهرة.
- يا تائهاً في الضلال^(٤) بلا دليل ولا زاد، متى يوقظك بوق الرحيل فترحل عن الأموال والأولاد، كم تتعثر في ظلمات^(٥) [١٠١] الشهوة وآمالك فيه^(٦) تزداد، فواحسرتي عليك على الدوام أما آن لك التردد^(٧)، جميع عمرك في جمع الدنيا^(٨) سيحرمك في الكبر المراد، قل لي متى تنيقظ وماضي الشباب ما يعاد، في كل مجلس تقول ويلي متى ألتحق^(٩) بالعباد، يا مخنث الهمة دع عنك عزائم الأنجاد^(١٠)، بعث النفس^(١١) النفس بالثمن^(١٢) الخسيس لا مزيد ولا مزاد، يا مبهرجا بالرياء وافضيحتك عند^(١٣) النقاد، ويحك كيف^(١٤) تقدم على سفر الآخرة بلا راحلة ولا زاد، عودت نفسك الكسل^(١٥) فعميت بالتسويق^(١٦) ولكل جسد^(١٧) ما أعتاد، ستندم إذا حان^(١٨) الرحيل وأمسيت مريضاً تعاد، منعت التصرف فيما جمعت وقطعت الحشرات منك الأكباد، فجاءت^(١٩) السكرات ومنع عنك العواد، وكُفِّت في أحقر^(٢٠) الثياب وحملت على الأعواد، ووضعت^(٢١) في ضيق لحد وغربة ما لها من نفاذ، تغدوا عليك الحشرات وتروح إلى يوم التناد^(٢٢)، ثم بعده أهوال عظيمة فيا ليتك لمعاينتها لا تُعاد، أغتتموا^(٢٣) بضائع الطاعة فبضائع المعاصي^(٢٤) خاسرة، ﴿كَلَّا بَلْ يَشِيعُونَ الْعَاكِلةَ ۝ وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.
- أحمد بن محمد البزاز رحمه الله تعالى قال^(٢٥): «كنت بعبادان وكانت ليلة عاشوراء،
-
- (١) في (م) و(ع): «باطنة وظاهرة».
- (٢) عبارة «وسلم وآله»، في (م) و(ع): «وعلى آله».
- (٣) في (م) و(ع): «ظلمة».
- (٤) الرد: صرف الشيء ورجعه. ورده عن وجهه يرده تزداداً: صرفه. ابن منظور، اللسان، «ردد»، ١٧٢/٣.
- (٥) عبارة «في جمع الدنيا»، في الأصل: «في جميع»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «الحق».
- (٧) رجل نجد شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره، والجمع أنجاد. ابن منظور، اللسان، «نجد»، ٤١٧/٣.
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «بالمثل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «ماذا يرى».
- (١١) في (م) و(ع): «عودت جسمك بالكسل».
- (١٢) في (م) و(ع): «جسم».
- (١٣) في الأصل: «جاز»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «حقار»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «وأودعت».
- (١٦) يوم التناد هو يوم القيامة سمي بذلك لمناذاة الناس بعضهم بعضاً فينادي فيه كل أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء. ابن الجوزي، زاد المسير، ٢١٩/٧، بتصرف.
- (١٧) في (م) و(ع): «فأغتنموا».
- (١٨) في (م) و(ع): «المعاصي».
- (١٩) القصص ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٦١/٤.

فدخلت إلى دار السبيل فرأيت فقيراً يأكل خبز الشعير وملحاً جريشاً^(١)، فأحترق قلبي عليه، [١٠٢] وكانت معي ألف دينار للتفريق^(٢)، فسألت عنه فقالوا هو أفضل من هاهنا في الزهد ومنازلة الفقر، فقلتُ في نفسي: أعطيه الدنانير التي معي فإنني لا أعرف المستحقين. فلما أصبحنا^(٣) قصدته وسلمت عليه وجلست إليه وباسطته فقلت له: رأيت الشيخ البارحة يأكل^(٤) خبز الشعير وملحاً جريشاً، وأعلمت به^(٥) أنه كان صائماً، فحملت إليه شيئاً ليتحكم فيه، وقدمت إليه الكيس وقلت له: هو^(٦) ألف دينار، فشدد النظر إلي وقال: خذ دراهمك فهذا^(٧) جزاء من أفسى سره للناس. شعر^(٨):

تلك نجد وأين سگان نجد
هي لي^(٩) قبلة فلا تمنعوني
وأداوي داء السقام بلثمي
وأداوي قلبي ليدراً^(١٢) عنه
حدث^(١٣) الدمع عن جفوني فقالوا
وأجابتنني^(١٤) الصبابة حتى صرث
وليسث الشَّبَاب^(١٦) بُرداً^(١٧) فسألهم
رغبوا في والشباب نضير
آسث أو حشث أفادث أفاثث

أثراهم يوفون بغدي بعهدي
أن أؤدي فيها فريضة وزدي^(١٠)
ثريها إنه عبيري وندي^(١١)
شبهات السلو توجيد وجدي
من روى عنه مئسدا قلت خدي
أفتي من مذهب^(١٥) العشي وخدي
كيف أفنوا بُردِي وأفنوا بُردِي
فتولّى عني قولوا^(١٨) بزهد
أوجدث أغمث^(١٩) بوضل وصد [١٠٢]

- (١) جَرَش الشيء: لم يُنعم دَهه، فهو جريش. الفيروزآبادي، القاموس، «جرش»، ص ٧٥٦.
- (٢) في (م) و(ع): «للتفرقة».
- (٣) في (م) و(ع): «أصبحت».
- (٤) في (م) و(ع): «يأكل البارحة».
- (٥) عبارة «وأعلمت به»، في (م) و(ع): «وأعلم».
- (٦) عبارة «وقلت له هو»، في (م) و(ع): «وقلت هي».
- (٧) عبارة «خذ.. إلخ»، في (م) و(ع): «خذه فإن هذا».
- (٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٩) الكلمة ساقطة في (ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «ودي».
- (١١) عبارة «تريها.. إلخ»، في الأصل: «فترابها عبيري وندي»، والتصويب من (م) و(ع). والتد: طيب، أو العنبر. الفيروزآبادي، القاموس، «ندد»، ص ٤١١.
- (١٢) في الأصل: «لندراً»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «فردت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «وأجازتنني».
- (١٥) في الأصل: «ذهب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في الأصل: «الثوب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) البُرد: ثوب مُحَطَّط، وأكثيية يُلتَحَف بها. الفيروزآبادي، القاموس، «برد»، ص ٣٤١.
- (١٨) في (م): «فتولوا»، وفي (ع): «فتلوا»، وهو تصحيف.
- (١٩) عبارة «أوحشث.. إلخ»، في الأصل: «وحشث أفادت فانت أو وجدت أو عدت»، والتصويب من (م) و(ع).

أرفعت^(١) نحوي السرور فلما
قَبِلْتَنِي^(٢) بالصَّفْحِ جِيناً^(٣) فَلَمَّا
أَعْرَضْتُ^(٥) ثُمَّ أَعْرَضْتُ فَهِيَ لَا تَبْدُ
لَيْتَهَا حِينَ وَدَّعْتُ أَوْدَعْتُنِي
قلت قد نِلْتُ أَوْثَقْتَنِي بِقَيْدِ
أَنْ دَنَا الْحَيِ^(٤) قَاتَلْتَنِي بِجِدِّ
رَحِّ قَضْدًا تَرْتَدُّ^(٦) عَنِّي وَتُرْذِي
أوعدتني^(٧) أَنْ لَا تَبْهَو بِنَجْدِي^(٨)

[بحر الخفيف]

سبحان من أعطى أهل العزائم فوق ما أملوه من الآمال، وخلف المحروم يبكي على الأطلال، باعوا النوم بنقد السهر فأهلاً بهم من أبطال، نعمهم^(٩) في التلاوة ودموعهم تجري كالزلال، يا^(١٠) مخنث العزم دع عنك مقامات الرجال، أفنيت^(١١) شبابك في الغفلة وبين يديك كروب و^(١٢) أهوال، غيرك على الجادة وأنت من الشقاء في أحوال، تُرى متى تستقيل مولاك فيقال أستقال، متى تخرب ديار اللُهو وتعمر ديار الأعمال، ويحك كم تتوب ثم^(١٣) تعود وكم عليك من أسجال^(١٤)، قد وافاك متقاضي المشيب بعد التَّلُوم^(١٥) وضرب الآجال، لا بد من قبض مبلغ العمر على أي حال، ما أمهلت إلا رفقاً لتدبر حالك وإلا فالذَّيْنِ حال^(١٦)، ما

(١) في الأصل: «وقدت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «قابلتني».

(٣) في (ع): «جياً».

(٤) في (م) و(ع): «الجفن»، وهو تصحيف.

(٥) في (م) و(ع): «عرضت».

(٦) في الأصل: «بردي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «أودعتني».

(٨) في (م) و(ع): «بحدني». والنَّجْد: العرق من عمل أو كَرْب، والمنجود: المكروب، وقد نُجِدَ نَجْدًا فهو

منجود. ابن منظور، اللسان، «نجد»، ٤١٨/٣.

(٩) في (م) و(ع): «نعيمهم».

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «أفنت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) كلمة «كروب» ساقطة من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «كم».

(١٤) أسجلت الكلام أي أرسلته. ابن منظور، اللسان، «سجل»، ٣٢٦/١١. والمعنى: كم عليك من نقاش

وحساب يوم القيامة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عُذِّبَ». فقلت

أليس قد قال الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، فقال: «ليس ذاك الحساب، إنما ذاك

العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّبَ». مسلم، الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها،

باب إثبات الحساب، رقم الحديث (٢٨٧٦/٧٩)، ٢٢٠٤/٤. ومعنى نوقش استقصى عليه، وقوله عُذِّبَ

يعني أن هذا الحساب مفض إلى العذاب بالنار، لأن التقصير غالب في العباد، فمن استقصى عليه ولم

يسامح هلك ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر، ما دون الشرك، لمن يشاء.

(١٥) التَّلُوم: الانتظار والتلُّث. ابن منظور، اللسان، «لوم»، ٥٥٧/١٢.

(١٦) عبارة «ما أمهلت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

اعتذارك إذا سئلت و^(١) ما جوابك للسؤال، ضيعت الشباب وتخلفت في المشيب ومن الحرام تجمع المال، نهارك في الغفلة وليك في الكسل و^(٢) ما عندك خبر من الانتقال، شباب أدبر ومشيب أقبل وحال الهوى ما حال^(٣)، بالله من يبكي معك عليك يا متعللاً بالمُحال، هذه رفاق التائبين لهم بين الصفوف [١٠٣] مجال، فبادروا إخواني فالأمور ظاهرة، ﴿كَلَّا بَلْ تُؤْمِنُونَ الْكَلِمَةَ﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ.

إسرائيل بن محمد القاضي رحمه الله تعالى قال^(٤): كان بجرجان^(٥) رجل يقال له سابق^(٦)، وكان معتوفاً ذاهب العقل قد توحش، وكان مأواه الخربات^(٧) والغياض والمقابر، وكنت أحب^(٨) أن أكلمه وأسمع جوابه، فقبل لي يوماً: هو بالمقابر^(٩). فقممت حافياً فدخلت المقابر، فإذا به منكس رأسه في قبر فلم يعلم حتى سلمت عليه فرفع رأسه^(١٠) وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته^(١١). قال: وهبته فأنقطعت عنه ولم أقدر أن أكلمه^(١٢)، فرأى ذلك بي^(١٣)، فقال لي^(١٤): يا إسرائيل خف الله ﷻ^(١٥) خوفاً لا يشغلك عن الرجاء، فلنك إن ألزمت قلبك الرجاء أشغلتك^(١٦) عن الخوف، وفر إلى الله ﷻ^(١٧) ولا تفر منه فإنه ﷻ^(١٨) لا يتركك ولن تعجزه، ولا تطع المخلوق في معصية الخالق، وأعلم أن الله ﷻ^(١٩) يوماً: ﴿تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مَهْطِلِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾^(٢٠)، قال: ثم قام

- (١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) عبارة «وحال الهوى... إلخ»، في (م) و(ع): «وحال القوى حال».
- (٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٦٣/٤. وإسرائيل هو إسرائيل بن محمد النهري، أبو تمام، وقيل: أبو همام، قاضي الرحاب. وكيع، أخبار القضاة، ٣/٣١٣، ٣٢٢.
- (٥) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهي قطعتان إحداها المدينة والأخرى بكر آباد، وبينهما نهر كبير، يحتمل جري السفن فيه. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣٢٣/١.
- (٦) هو سابق العباداني المجنون، كان يسكن المقابر والخربات والغياض مستوحشاً عن الخلق. المناوي، الكواكب الدرية، ١/١١٣.
- (٧) في (م) و(ع): «الخربات».
- (٨) في (م) و(ع): «أريد».
- (٩) في (م) و(ع): «في المقابر».
- (١٠) عبارة «في قبر... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «ورحمة الله وبركاته» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «وهبته... إلخ»، في (م) و(ع): «فهبته فأنقطعت ولم أكلمه».
- (١٣) في (م) و(ع): «فني».
- (١٤) في الأصل: «له»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) في (م): «شغلته».
- (١٧) عبارة «إلى الله»، في (ع): «الله».
- (١٨) عبارة «عز وجل»، في (م) و(ع): «تعالى».
- (١٩) عبارة «عز وجل»، في (م) و(ع): «تعالى».
- (٢٠) قوله: ﴿تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مَهْطِلِينَ مُقْنِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة إبراهيم، آية ٤٢ - ٤٣.

فتخطى خطوطاً^(١) فمضى في الخربات^(٢). فقلت للذي يحفر القبور: إذا جاء فأتني، فمكثت^(٣) شهراً أو أكثر، قال: وأتاني الرجل وقال^(٤): قد دخل الساعة المقابر. فمضت إليه مسرعاً من غير نعل ولا رداء، فلما أبصرني ولّى وأسرع، فقلت^(٥): يا سابق لا أعود إليك بعد اليوم، فوقف، فقلت: [١٠٣ب] علمني كلمات أدعو بهن، فقال: إن خير^(٦) الكلام للقلوب ما جاء من القلوب^(٧)، وإن أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس. ثم^(٨) قال: اللهم أجعل نظري عبرة، وسكوتي فكرة^(٩). شعر^(٩):

اخْذَرْ ذُنَيْكَ وَغَرَّتْهَا
تَبْغِي وُدّاً مِمَّنْ قَدَمَا
وَعَلَى الْجِيرَانِ فَقَدْ جَارَتْ
عَاداً وَتُمُوداً مَعَ إِزَمِ^(١٢)
كَمْ مِنْ مَلِكٍ ذِي مَمْلَكَةٍ
رَجُلٌ وَالْخَيْلُ إِذَا رَكِبَتْ^(١٤)
أَضْحَى فِي اللَّخْدِ مُعْفَرَةٌ
اطْلُبْ أَخْرَاكَ^(١٥) وَدَعْ دُنْيَا
كَمْ مِنْ قَضَرٍ قَدْ شِيدَ بَنَى
يَا طَالِبَهَا لَا تَلْهُ بِهَا
أَبْنِ الْمَاضُونَ لَقَدْ سَكَنُوا

و^(١١) أَخْذَرْ أَنْ تُبْدِيَ^(١١) لَهَا طَلَبَا
لَكَ قَدْ قَتَلْتَ أُمّاً وَأَبَا
فِي فُرْقَتِهِمْ سَكَنُوا التُّرْبَا
كُلّاً قَهَرَتْ^(١٣) أَوْلَتْ عَطَبَا
قَدْ مَالَ لَهَا سُكْرًا وَصَبَا
تَرْتَلُجُ الْأَرْضُ إِذَا رَكِبَا
بِتُرَابِ اللَّخْدِ قَدْ اخْتَجَبَا
كَ فِي أَخْرَاكَ تَرَى عَجَبَا
بِالْمَوْتِ وَهَى أَضْحَى خَرِبَا
كَمْ لَاهِي^(١٦) بِهَا مَلِكٌ نَصَبَا^(١٧)
لَخْدَا خَرِبَا قَفَرَا^(١٨) تَرِبَا

(١) في (م) و(ع): «خطأ». والخط: الطريق. الفيروزآبادي، القاموس، «خطط»، ص ٨٥٨.

(٢) في (م) و(ع): «الخرابات».

(٣) عبارة «فأتني فمكثت»، في (م) و(ع): «فأتني به قال فمكث».

(٤) في (م) و(ع): «فقال».

(٥) عبارة «وأسرع فقلت»، في (م) و(ع): «فأسرعت وقلت له».

(٦) في (م) و(ع): «أخذ».

(٧) في الأصل: «الغيوب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «تبذل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) إرم: اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة. ابن الجوزي، زاد المسير، ٩/ ١١٠.

(١٣) في الأصل: «قهر»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «رجل.. إلخ»، في الأصل: «ذو الخيل وذو الرجال ومن»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «مولاك».

(١٦) في (م) و(ع): «تاه».

(١٧) في (م) و(ع): «غصبا».

(١٨) في (م) و(ع): «لحداً فرداً خرباً».

كَانُوا وَمَضُوا ثُمَّ انْقَرَضُوا
فَالْعُمْرُ مَضَى وَالشَّيْبُ أَتَى
فَأَعِدَّ الزَّادَ إِلَى سَفَرٍ
بَادِرٍ بِالتَّوْبِ^(١) وَكُنْ قَاطِنًا
فَلَعَلَّ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ

فَتَأْدَّبَ أَنْتَ بِهِمْ أَدَبًا
وَالْمَوْتُ لَحَيْنِكَ قَدْ قَرُبَا
عُمَرَ الْأَيَّامِ قَدْ أَنْتَهَبَا
لَا تَلْقَ بِحَفْرَتِكَ^(٢) النَّصَبَا [١٠٤]
يُبْقِي بِالْعَفْوِ لَنَا سَبَبَا

[بحر المتدارك]

اللهم يا منور قلب العارفين، ويا قاضي حوائج السَّائِلِينَ، ويا قابل توبة^(٣) التَّائِبِينَ، تب
علينا أجمعين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام
المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه أجمعين، وسلم تسليما كثيرا^(٤).



-
- (١) في الأصل: «بالتوبة»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «في حفرتك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «التوبة»، والصواب ما أثبتناه.
(٤) عبارة «اللهم يا منور.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثالث عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي اخترع الأكوان بلا مثال ولا أعوان ولا أنصار، رفع قبة السماء على^(١) إيوان الجو ورسعها بجواهر الكواكب والقمر النّوّار، أدار أفلاكها بسرّ التسخير لتظهر حكمته بالليل والنهار، كتب على صفحات المصنوعات خطوط التصوير وحروف المقدار^(٢)، ألهم عقول العارفين وفهموا^(٣) ما في خَفِيّ الأسرار، خصص الخواص بسابق العناية فأزهار أذكّارهم^(٤) أعقب من الأزهار، فلو سمعت في الدجى حنينهم سمعت نغمة أشجى من نغمة الأوتار، فإذا تنسموا نسيم السحر خامرهم من شراب^(٥) الاستغفار خمار، فليله ما أطيب^(٦) أوقاتهم تركوا الأوطان والأطوار^(٧)، سما بهمهم نحو الحبيب فلا يقر لقلوبهم عنه قَرار، قهر الخلاق بالفناء فالدنيا لهم أستار، يفنيهم بنفخة^(٨) الصّعق فلا يبقى على الأرض منهم ديار^(٩)، ليظهر عزّه في قهره وأنه في حُكمه ما جار، [١٠٤ب] قضى على الدنيا بالخراب ويمحو من آثارها الآثار، ثم يناديهم أين الجابرة والأكاسرة ومن جار^(١٠)، لا يجيبه منهم^(١١)

(١) في (م) و(ع): «عن».

(٢) في (م) و(ع): «فهموا».

(٣) في الأصل: «شارب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «فله طيب».

(٥) في (م) و(ع): «الأوطان والأوطار والأطوار». والطّور: ما كان على حدّ الشيء أو بحذائه. والأطوار: الحالات المختلفة والتارات والحدود. ابن منظور، اللسان، «طور»، ٥٠٧/٤.

(٦) في الأصل: «بنفخات»، والتصويب من (م) و(ع)؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا نَفُخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]. والصّعق: أن يُغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً، وأصعقه: قتله. ابن منظور، اللسان، «صعق»، ١٩٨/١٠.

(٧) في (م) و(ع): «منهم على الأرض ديار». ويقال: ما بالدار ديار، أي ما بها أحد، وهو قِيَعَال من دار يَدُور. ابن منظور، اللسان، «دور»، ٢٩٨/٤.

(٨) عبارة «قضى على الدنيا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقوله: هذا هو معنى حديث لرسول الله ﷺ؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة؛ ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». مسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث (٢٤/٢٧٨٨)، ٢١٤٨/٤.

(٩) عبارة «لا يجيبه منهم»، في (م) و(ع): «فلا يجيبه». وذلك لأن الخلق حينئذٍ أموات؛ فالحديث السابق =

مَجِيبٌ ثُمَّ يَحْيِيهِمْ لِدَارِ الْقَرَارِ، يَحْصِي مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْكِبَائِرَ^(١) وَالصَّغَارَ، ﴿لَا يَنْتَقِ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَيْنَ الْمُلْكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَيْلُ الْقَهَّارُ﴾^(٢).

يا من سفينة عمره تلعب بها أمواج الكبر كم في آمالك^(٣) من آفات، كم في أسواق الدنيا من شهوات^(٤)، وكم فيها من^(٥) قاطع الشهوات، إذا استغرق فيها القلب ضُمٌّ عن سماع الخيرات، إقليم الشهوات خراب لا يسكنه أرباب المعاملات، بلوغ الأمل مع الكسل تَمَرٌّ وهيئات أن يدرك وهيئات^(٦)، ما كل كيمياوي^(٧) حصل على الإكسير فشمر ودع سماع الترهات، ترى لماذا^(٨) أظمأوا أكبادهم وأضنوا أجسادهم وشدوا^(٩) رقادهم وحلت بهم الحالات، شاهدوا الآخرة بلا حجاب، فعاینوا ما أعد للمطيعين وأهل المخالفات، عملوا على^(١٠) بصيرة حملت عنهم أنقال المشقات، أسمع يا من وسع على نفسه في الشهوات، وريحك كم تضيق عليها في الحسنات، أنت^(١١) في جمع^(١٢) الدنيا فرقت عمرك^(١٣) وفي وصلها قطعت الساعات^(١٤)، حديثها^(١٥) يلهو عن سماعه^(١٦) من له عنها أنفلات، أشد الحسرات عند الموت من يجمع لغيره ويدفن مع الحسرات، رب ساع لقاعد هذا ينعم بما خلقه وهذا عليه التبعات، [١٠٥] كلما أسمعك الواعظ حديث القوم قلت هذه مقالات، حب الدنيا في قلبك حاصل وحب الآخرة قد مات^(١٧)، تصفح العارفون ديوان الحسنات^(١٨) ورأوا

= يدل على أن الله ﷻ يعني جميع خلقه ثم يقول: ﴿لَيْنَ الْمُلْكِ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ويكون ذلك بين النفختين [أي بين النفخة الأولى التي يصعق فيها الخلق والنفخة الثانية التي يحيون فيها] حين فني الخلاق وبقي الخالق وحده، فيجيب نفسه المقدسة بقوله: ﴿وَالْوَيْلُ الْقَهَّارُ﴾ [غافر: ١٦]؛ لأنه بقي وحده وقهر خلقه. القرطبي، الجامع، ٣٠٠/١٥. والتذكرة، ص ٢١١. بتصرف.

(١) في (م) و(ع) زيادة: «والصغائر ومن خلقهم الكبار».

(٢) سورة غافر، آية ١٦. (٣) عبارة «في آمالك»، في (م) و(ع): «أمامك».

(٤) في (م) و(ع): «شبهات».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) عبارة «أن يدرك وهيئات»، في (م) و(ع): «أن تدرك هيئات».

(٧) في (م) و(ع): «كيمياوي».

(٨) في (م) و(ع): «لماذا».

(٩) عبارة «عملوا على»، في الأصل: «عموا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «جميع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فرقت عمرك»، في (م) و(ع): «فرقته».

(١٣) عبارة «قطعت الساعات»، في (م) و(ع): «قطعته بالآفات».

(١٤) في (م) و(ع): «حديثها بحديث».

(١٥) في (م) و(ع): «فات».

(١٦) في (م) و(ع): «سماعها».

(١٧) في (م) و(ع): «فات».

(١٨) في (م) و(ع): «الحساب».

مَثَاقِيلُ الْجَزَاءِ بِالْمَعْيَارِ^(١)، «لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ». كان فتح الموصل^(٢) رحمه الله تعالى يبكي بالدموع^(٣) حتى نفدت^(٤) ثم بكى الدم، فلما مات رُوي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال^(٥): قال لي: يا فتح بكيت الدموع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك. قال: فلم بكيت الدم؟ قلت: يا رب على دموعي خوفاً^(٦) ألا تكون صحت لي. قال^(٧): ما أردت بهذا كله؟ قلت: شوقاً إلى لقائك. قال^(٨): وعزتي وجلالي لقد صعد إلي حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة واحدة^(٩). شعر^(١٠):

سَلُّوْا بَعْدَكُمْ وَاذِي الْغَضَا مَا أَسْأَلُهُ
وَصَارِخَةً^(١١) تَشْدُو كَأَنَّ قُلُوبَنَا
أَتْبَكِي أَسَى وَالْإِلْفَ دَانٍ وَتَشْتَكِي
وَلَوْ كَانَ حَقًّا نَوَحُهَا لَمْ يَطْرُ^(١٢) بِهَا
لَكَ اللَّهُ يَا وَرَقَاءَ مَا هَكَذَا الْهَوَى
دَمِي أَمْ دُمُوعُ الْعَاشِقِينَ أَمْ الْقَطَرِ
هِيَ الطَّيْرُ أَوْ فِي كُلِّ قَلْبٍ لَهَا وَكِر
غَرَامًا^(١٣) وَفِي أَغْصَانِهَا وَرَقٌ خُضِرَ
جَنَاحَ وَلَمْ يَرْقُصْ^(١٤) بِهَا غُضُنٌ نَضِرُ
أَنْوُحٌ وَلَا وَجْدٌ وَشَكْوَى وَلَا ضُرٌّ
[بحر الطويل]

يا أخي من سبقت له السعادة سبقت عزيمة^(١٥) عمله، قَصَّروا عنان الأمل فما أفلح من أرسله، طريق الجنة فيها صعوبة^(١٦) وطريق النار ما أسهله، بينما^(١٧) الإنسان في زخرف أمله صاح به الموت وأستعجله، [١٠٥ب] طلب^(١٨) المهلة لتدارك الفائت ما أمله^(١٩)، فجاءته

- (١) في (م) و(ع): «مَثَاقِيلُ الْحِسَابِ بِالْعِيَارِ». والمعيار من المكايل: ما غُيِّرَ. قال الليث: العِيَارُ ما عَايَرَتْ به المكايل، تقول: عَايَرْتُ به أي سَوَّيْتُهُ، وهو العِيَارُ والمُعْيَارُ. ابن منظور، اللسان، «عير»، ٦٢٣/٤.
- (٢) هو فتح بن سعيد الموصل، أبو نصر، كبير الشأن في باب الورع والمعاملات، توفي سنة ٢٢٠هـ - ٨٣٥م. ابن الجوزي، الصفة، ١٨٣/٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣٥٠/٧.
- (٣) في (م) و(ع): «الدموع».
- (٤) عبارة «حتى نفدت» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «فقال».
- (٦) في (م) و(ع): «خوفاً على دموعي».
- (٧) في (م) و(ع): «فقال».
- (٨) عبارة «قلت: شوقاً.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٨٨/٤.
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١١) الصارخة: المغيث. ابن منظور، اللسان، «صرخ»، ٣٤/٣.
- (١٢) في (م) و(ع): «الغرام».
- (١٣) في الأصل: «تطر»، وهي من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «ينقض».
- (١٥) في (م) و(ع): «عزيمته».
- (١٦) عبارة «فيها صعوبة»، في (م) و(ع): «فيه نصب».
- (١٧) في (م) و(ع): «بيننا».
- (١٨) في (م) و(ع): «طالب».
- (١٩) في (م) و(ع): «أهمله». والمعنى: ما الذي أمله حتى آخر فعل الخيرات وأهملها إلى أن فاجأه الموت.

السكرات وعاین ما هیئ له^(١)، الأهل والأولاد یبكون علیه فما فی الكل من یبکی له، الملك یحصی ما قدم والوارث یحصی ما خلف والویل فی الحالین له، ما أسرع حثو^(٢) التراب علیه ما أعجله، رجعوا إلى ما خلف فرحین وأنفرد المسکین بما عمله، عقرُوا خَدَّه فی التراب وأطبَقُوا^(٣) علیه الجنادل^(٤) وخلفوه للیدان مأكله، فمر به حبیبه و^(٥)قد جفاه ومَلَّه، واحسرتة فی طول غربته ویا له من سفر ما أطوله، استبدلت حلیته^(٦) غیره وأنفقت فی عرسها ما حصله، هذه فجائع^(٧) الدنیا فکیف^(٨) یرضی^(٩) العاقل بهذه الحالة^(١٠)، فیا من باع عمره بثمان بخیس^(١١) هلاً سألت الإقالة، هذا باب التوبة مفتوح فإلی متى^(١٢) هذه البطالة، کم قیدت علیک^(١٣) الحفظة ما نسیته فتعاینه عند كشف الأستار^(١٤)، ﴿لَا يَتَخَنَّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

قال عبد الواحد بن زید رحمه الله تعالى^(١٥): «خرجت أنا وفرقد السبخی ومحمد بن واسع ومالك بن دینار نزور أخاً لنا بأرض^(١٦) فارس، فلما جاوزنا رام هرمز^(١٧) إذا نحن برجل صوفي^(١٨) فی سفح جبل فتراکضنا نحوه، فإذا نحن برجل مجذوم يتقطر قیحاً ودماً^(١٩)، فقال له [١٠٦] بعضنا: یا هذا لو دخلت المدينة فتداويت وتعالجت من بلاتک^(٢٠)، فرفع طرفه^(٢١) إلى السماء وقال: اللهم أتيتنی^(٢٢) بهؤلاء یُسَخِّطُونِي علیک، لك الکرامة والعُتْبَى^(٢٣) فإني^(٢٤) لا أخالفک أبداً». شعر^(٢٥):

(١) عبارة «وعاین.. إلخ»، فی (م) و(ع): «وعاین هولاً ما أهوله».

(٢) فی الأصل: «حث»، والتصویب من (م) و(ع).

(٣) فی الأصل: «وأطبَقُوا»، والتصویب من (م) و(ع).

(٤) الجنْدُل: الحجارة. والجنْدُل: صخرة مثل رأس الإنسان، وجمعه جَنَادِل. ابن منظور، اللسان، «جندل»، ١٢٨/١١، ١٢٩.

(٥) الواو ساقطة فی الأصل، وهي من (م) و(ع). (٦) فی (ع): «خلیته».

(٧) فی الأصل: «فجائع»، والتصویب من (م) و(ع). (٨) فی (م) و(ع): «فکم».

(٩) فی الأصل: «یرضیک»، والتصویب من (م) و(ع).

(١٠) فی (م) و(ع): «المنزلة».

(١٢) الكلمة ساقطة فی الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٣) الكلمة ساقطة فی (م) و(ع).

(١٤) عبارة «فتعاین.. إلخ»، فی (م) و(ع): «ستعاینه يوم كشف الأسرار».

(١٥) القصة ذکرها ابن الجوزي فی الصفة، ٨٦/٤. (١٦) فی (م) و(ع): «فی أرض».

(١٧) رام هرمز مدينة مشهورة بنواحي خوزستان، والعامه یسمونها رامز؛ اختصاراً. صفی الدین البغدادي، مرصد الاطلاع، ٥٩٧/٢.

(١٨) عبارة «برجل صوفي»، فی (م) و(ع): «بصوفي».

(١٩) فی (م) و(ع): «دماً وقیحاً».

(٢١) فی (م) و(ع): «رأسه».

(٢٢) عبارة «اللهم أتيتنی»، فی (م) و(ع): «إلهی أتیت».

(٢٣) العُتْبَى: الرضا، الفيروزآبادي، القاموس، «عتب»، ص ١٤٣.

(٢٤) فی (م) و(ع): «بأن».

(٢٥) الكلمة ساقطة فی الأصل، وهي من (م) و(ع).

أَيَا^(١) عَاذِلِي لَوْ كُنْتَ شَاهِدَ وَقْفَةٍ
هَوَى فِيهِ^(٢) إِتْلَافَ الثُّفُوسِ وَمَا عَلَى الْإِ
ذَا كَانَ حُبُّ الشَّيْءِ يُغْمِي بِصَائِرِهَا
قَلْبُكُمْ جَعَلَ الْعُدَّالَ عَذْلِي هَمُّهُمْ
يَزُومُونَ^(٦) سَتَرَ^(٧) الْحَبَّ وَالْحَبَّ ظَاهِرُ
عَدِمْتُ قُوَادِي مُذْ حَمَدْتُ بِهِ الْهَوَى
وَأَفْتَى^(١٠) الْقَلَى دَمْعِي فَمُذْ جَاءَتْ النُّوَى^(١١)
لِوَدَاعٍ لَيْلَى لَمْ^(٢) تَكُنْ فِي الْهَوَى خَضَمِي
حَرَامٌ^(٤) إِذَا مَا أَتَلَفَ الشَّيْءُ مِنْ غُرْمٍ^(٥)
فَإِنَّ هَوَى لَيْلَى يُصِمُّ كَمَا يُغْمِي
وَلَيْسَ اسْتِمَاعُ الْعَذْلِ فِي الْحُبِّ مِنْ هَمِّي
وَيَرْجُونَ^(٨) نَقْصَانَ الْأَسَى وَالْأَسَى هَمِّي
فَعَدَمِي وَجُودِي ثُمَّ وَجَدِي^(٩) فِي عَدَمِ
عَزَمْتُ مُجِيباً لِلْفِرَاقِ عَلَى رَغَمِ
[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي ألف بحكمته بين لطائف الأرواح وكثائف الأجساد، رتب قوارير القوى على محكم التدبير وأحكمها في القرب والإبعاد، فهذا^(١٢) قَرْبُهُ لِمَرَادِهِ وَهَذَا حُكْمُ بَيْعَادِهِ^(١٣) فثَنَانُ مَا بَيْنَ مُرِيدٍ وَمُرَادٍ، آسَ قُلُوبُ^(١٤) الْخَائِفِينَ بِالْخُلُوتِ وَلَذَّ عَيْشُهُمْ بِالْإِنْفِرَادِ، فَتَحَ بَابَ الْقَرَبِ لِلْمَحْبُوبِينَ فَأَتْنَاهُمْ الشُّوقَ عَنِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، بَاعُوا النَّوْمَ بِقَدِّ السَّهْرِ فَلِلَّهِ دَرَاهِمُ مِنْ أَبْطَالِ أَنْجَادِ^(١٥)، وَقُرَّ لَهُمْ نَصِيبُ السَّعَادَةِ يَوْمَ الْقِسْمَةِ وَلِلْمَحْرُومِ الطُّرْدُ وَالْإِبْعَادُ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا جَرَى بِهِ^(١٦) الْقَدَرُ فَكُلُّ^(١٧) مِنْ بَحْرِ الْقَضَاءِ وَزَادَ، فَلِلَّهِ دَرَاهِمُ مِنْ قُلُوبِ^(١٨) فَهَمَّتْ عَنْهُ الْمَرَادُ، فَتَجَانَبَتْ جَنْبَهُمْ^(١٩) لِذِي الرِّقَادِ، [١٠٦ب] فَلَوْ تَرَاهُمْ فِي مَجْلِسِ الدَّجَى بَيْنَ قَطَرَاتِ الْعِبْرَاتِ وَخُرْقَةٍ^(٢٠) الْأَكْبَادِ، فَيَا مِنْ أْبَعْدِهِ^(٢١) التَّسْوِيفِ حَتَّى هَجَمَ الْمَشِيبَ وَفَاتَ

(١) فِي (م) وَ(ع): «يَا»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ.

(٢) عِبَارَةٌ «لِوَدَاعٍ لَيْلَى لَمْ»، فِي الْأَصْلِ «وَدَعَ لِلَّيْلِ يَم»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٣) فِي الْأَصْلِ: «فِيهَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). (٤) فِي الْأَصْلِ: «الْغَرِيمُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٥) غَرِمَ يَغْرِمُ غُرْمًا وَغَرَامَةً، وَالْغُرْمُ: الدِّينُ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «غَرِمَ»، ٤٣٦/١٢.

(٦) فِي (ع): «تَزُومُونَ». (٧) فِي (م) وَ(ع): «يَسِرُّ».

(٨) فِي (ع): «تَرْجُونَ».

(٩) عِبَارَةٌ «فَعَدَمِي.. إلخ»، فِي الْأَصْلِ: «فَعَدَمِي فِي وَجَدِي وَوَجَدِي»، وَفِي (ع): «فَعَدَمِي وَوَجَدِي وَوَجَدِي»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م).

(١٠) فِي الْأَصْلِ: «وَأَيْنَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(١١) فِي الْأَصْلِ: «الْهَوَى»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). (١٢) فِي (م) وَ(ع): «هَذَا».

(١٣) عِبَارَةٌ «وَهَذَا حُكْمُ بَيْعَادِهِ» سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ وَ(ع)، وَهِيَ مِنْ (م).

(١٤) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (ع). (١٥) فِي (م) وَ(ع): «وَأَنْجَاد».

(١٦) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع). (١٧) فِي (م) وَ(ع): «فَالْكُلُّ».

(١٨) عِبَارَةٌ «فَلِلَّهِ دَرَاهِمُ مِنْ قُلُوبٍ»، فِي (م) وَ(ع): «فَلِلَّهِ دَر قُلُوبٍ».

(١٩) عِبَارَةٌ «فَتَجَانَبَتْ جَنْبَهُمْ»، فِي (م) وَ(ع): «فَتَجَانَبَتْ جَنْبُهَا».

(٢٠) فِي (م) وَ(ع): «حَرْقٌ». (٢١) فِي (م) وَ(ع): «أَبْعَدُهُمْ».

المراد، بادروا بقيّة عمر ذهب أطيبه وأبكوا على بعد السفر وقلة الزاد^(١)، ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢).

واعجباً كم^(٣) تناديكم العبر بأصوات فصاح، يا آدم المعصية مر^(٤) بوادي التوبة فيه ترتاح، يا نوح الندم^(٥) عليك بالبكاء والنواح، يا هود الهداية أدع على هلاك الشهوة بالرياح^(٦)، يا صالح العمل أثبت على قدم^(٧) الصلاح، يا إبراهيم الهمة كسر أصنام الأسباب فهي بلا أرواح^(٨)، يا موسى الأنس ألق عصا الدعوى فإذا عادت حية فخذها ولا جُناح^(٩)، يا داوود

(١) عبارة «بادروا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) سورة غافر، آية ٤٤. وفي (م) و(ع) زيادة: «شعر:

لله ما أطيب هذا السهاد
يا ناقضاً للعهد عاملتنا
بمن تشاغلنا وأين الذي
شمر من اليوم ودع ما مضى

[بحر السريع]

إلا أنه في (ع): «من حملة» بدل «من جملة».

(٣) عبارة «واعجباًكم»، في (م) و(ع): «واعجابه».

(٤) في (م) و(ع): «جز»، وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝ ثُمَّ لَجِنَا رَبَّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَكَذَّيْن﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٢].

(٥) وفي ذلك إشارة إلى استغفار نوح وندمه عما فرط منه من السؤال عن ابنه الذي هلك مع الهالكين لكفره؛ قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي آخِذٌ بِكَ أَن أُنْشَاكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرَ لِي وَرَحْمَتِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

(٦) قوله هذا إشارة إلى العذاب الذي نزل بقوم هود حين عصوا الله؛ قال تعالى: ﴿وَرَبِّيَ عَلَا إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ۝ مَا تَدْرِي مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَلَلَةٌ كَالْمُيرِ﴾ [الدَّارِيَات: ٤١ - ٤٢].

(٧) في الأصل: «قدوم»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى رد سيدنا صالح على قومه الذين رفضوا الإيمان بما جاء به، والذين كانوا يرجون رجوعه إلى دينهم قبل دعوته النبوة، فلما دعاهم إلى الله انقطع رجاؤهم منه، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكَّنْ مِنَّا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبِينَ ۝ قَالِ يَتَّبِعُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَإِن كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّهِ وَآتَيْنَاهُ مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَغْيِيرٍ﴾ [هود: ٦٢ - ٦٣].

(٨) في هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلَىٰ ۝ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً لَّا عِدَّةَ لَهَا عِبَادَةٌ إِلَّا كَمَا فَعَرَسُوا وَإِنَّا فِي شَكٍّ مِّمَّا تَكْفُرُ بِهِ ۝ قَالُوا لِمِثْلُ مَا عَلِمْنَا آلُكَ مِنَ اللَّعِينِينَ ۝ قَالِ بَلْ زَكَّيْتُ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَإِنَّا عَلَىٰ ذِكْرِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَتَالِ اللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينَ ۝ فَعَلَهُمْ جَذْدًا إِلَّا كَيْدَ لَقَمٍ لَّمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ يَرْجِعُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥١ إلى ٥٨].

(٩) أي ادع إلى الله ولا تبالي بما يصادفك من المصاعب، وفي قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنُؤْمِنُ بِشَيْءٍ ۝ قَالَتْهَا فَلَا مَنَ حِينَ تَسْتَعِ ۝ قَالِ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَعِيدٌ مَّا سِيرَتُهَا الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٩ إلى ٢١].

الْوَدَّ عُذَّ إِلَى الْوَدِّ فَجَبَالَ الْإِنْذَارَ تَسَخَّرَ مَعَكَ وَأَطْيَارَ الْمَعَارِفِ تُظَلِّكَ بِالْجَنَاحِ^(١)، يَا سَلِيمَانَ التَّسْلِيمِ قَدْ اسْتَعْدَمْنَا لَكَ^(٢) الثَّقَلَيْنِ وَزَدْنَا لَكَ^(٣) الرِّيحَ، يَا عَيْسَى الزَّهْدَ رَفَعْنَاكَ مَكَانًا عَلِيًّا وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مَائِدَةَ الْأَفْرَاحِ^(٤)، يَا مُحَمَّدَ الرِّضَا أَنْتَ خَاتَمُ الْمَقَامَاتِ فَكُلْ الصَّيْدَ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٥) أَنَّى لَهُ بَرَا، فَيَا أَرْيَابَ الذُّنُوبِ التَّوْبَةَ التَّوْبَةَ قَبْلَ حُلُولِ الْمُنِيَةِ وَمِفَارِقَةِ الْأَرْوَاحِ الْأَجْسَادِ، ﴿فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

أَبُو عُتْبَةَ الْخَوَاصِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ^(٦): «حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ^(٧) الزَّهَادِ وَمِمَّنْ يَسِيحُ فِي الْجِبَالِ قَالَ: لَمْ تَكُنْ لِي [١٠٧] هِمَّةٌ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا لَذَّةٌ إِلَّا فِي لِقَائِهِمْ^(٨)، يَعْنِي الْأَبْدَالِ وَالزَّهَادِ^(٩). قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى سَاحِلِ^(١٠) مِنْ سَوَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ يَسْكُنُهُ النَّاسُ وَلَا تَرُقَى^(١١) إِلَيْهِ السَّفِينُ، إِذَا^(١٢) بِرَجُلٍ قَدْ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ^(١٣) تِلْكَ الْجِبَالِ، فَلَمَّا رَأَيْتِي هَرَبَ مُنِّي^(١٤) وَجَعَلَ يَسْعَى، فَأَتَّبَعْتُهُ^(١٥) أَسْعَى خَلْفَهُ فَسَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ فَأَدْرَكْتُهُ، وَقُلْتُ^(١٦): مِمَّنْ تَهْرَبُ يَرْحَمُكَ^(١٧) اللَّهُ، فَلَمْ يَكَلِّمْنِي، فَقُلْتُ^(١٨): إِنِّي^(١٩) أُرِيدُ الْخَيْرَ فَعَلِمْنِي، فَقَالَ: عَلَيْكَ

- (١) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَطِيمٌ﴾ [الأنبياء: ٧٩].
- (٢) في (ع): «استخدمناك»، وهو تصحيف.
- (٣) في (م) و(ع): «وزدناك»، وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ وَآمَنُوا بِأُمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [٨١] وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَوْصِلُكُمْ لَمْ تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١ - ٨٢].
- (٤) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَفَمٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الْمُنْقَرِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وإلى قوله تعالى: ﴿قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرِزْنَا وَنُصْرًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْآرِزِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].
- (٥) والفرا: الحمار الوحشي. وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فأصطاد أحدهم أرنباً، والآخر ظيئاً، والثالث حمراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالاه، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفرا، أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي. الميداني، مجمع الأمثال، ١٣٦/٢. وهذا المثل يضرب لمن يفضل على أقرانه.
- (٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٧١/٤. وأبو عتبة هو عباد بن عباد الرملي الأرسوفي - نسبة إلى أرسوف مدينة على ساحل بحر الشام - أبو عتبة الخواص، كان من فضلاء أهل الشام وعبادهم، ذكره ابن حبان في الضعفاء فقال: كان ممن غلب عليه التقشف والعبادة حتى غفل عن الحفظ والضبط. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٢٨١/٨. ابن حجر، التهذيب، ٩٧/٥.
- (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «لقيامهم».
- (٩) عبارة «رضي الله عنهم» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «فبينما أنا ذات يوم في ساحل».
- (١١) في (م) و(ع): «إذا أنا».
- (١٢) في (م) و(ع): «وأتبعته».
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «وأتبعته».
- (١٥) في (م) و(ع): «وأتبعته».
- (١٦) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٧) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٨) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٩) في (م) و(ع): «فإني».

بلزوم الخير حيثما^(١) كنت، فوالله ما أنا حامد لنفسي فأدعوك إلى مثل عملها، ثم صاح صيحة فسقط ميتاً، فمكثت لا أدري كيف أصنع به، وهجم^(٢) الليل علينا فتنحيت عنه^(٣) ناحية فتمت^(٤)، فرأيت في منامي أربعة نفر هبطوا عليه من السماء^(٥)، فحفروا له وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، فاستيقظت فازعاً^(٦) للذي رأيت، فذهب^(٧) عني سنة النوم بقية الليل، فلما أصبحت أنطلقت إلى موضعه فلم أره فيه، فلم أزل أطلب أثره وأنظر حتى رأيت قبراً جديداً فظننت أنه القبر الذي رأيته^(٨) في منامي». شعر^(٩):

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْحَبِيبِ تَرَفَّقُوا^(١٠) فَاَلْقَلْبَ بَيْنَ رَحَالِكُمْ خَلَّفْتُهُ
مَا لِي سِوَى قَلْبِي وَفِيكَ أَذْبَنْتُه مَا لِي سِوَى دَمْعِي وَفِيكَ أَرَقَّتُهُ
أَبْكِي إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ تَشَوُّقاً فِي طَوْل لَيْلٍ^(١١) فِي هَوَاكَ سَهَرْتُهُ
وَأَنُوحَ إِنَّ^(١٢) نَاحَ الْحَمَامِ لِأَنَّهُ^(١٣) إِلْفٌ فَقَدْتُ الصَّبْرَ حِينَ فَقَدْتُهُ [١٠٧ب]
مَا كُنْتُ أَغْرِفُ مَا^(١٤) الْغَرَامُ وَمَا^(١٥) الْأَسَى وَالشَّوْقُ وَالتَّئْبِيرِ حَتَّى ذُقَّتُهُ

[بحر الكامل]

يا أخي^(١٦) كم قبض من عاص على الإصرار لم يُفْسَح^(١٧) له في الرجوع، عجباً ممن^(١٨) يفرح بالأسباب وهو عنها مقطوع^(١٩)، ما أشدَّ عُيُنَ من باع الجنة بشهوة ظهر عليه القطوع، يا من صحيفة عمله سوداء أغسلها بماء الدموع، طعام الأمل: ﴿لَا يَسْتَيْنُ وَلَا يَبْقَى مِنْ جُرْعٍ﴾^(٢٠)، إذا لم تهزك المواعظ فقلبك^(٢١) في قالب الطرد مطبوع، ثوب معاملتك متسخ بالرياء وكم فيه

(١) عبارة «الخير حيثما»، في (م) و(ع): «الحق حيث».

(٢) في (م) و(ع): «قال» وهجم.

(٣) في (ع): «منه».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «فزعاً».

(٦) في (م) و(ع): «رأيت».

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «تفرقوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) عبارة «في طول ليل»، في الأصل: «وطول ليلي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م): «إذا»، وفي (ع): «إذا»، وهو تصحيف.

(١١) في (م) و(ع): «فإنه».

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «وإعجابه».

(١٤) في (م) و(ع): «يسمح».

(١٥) أي عجباً لمن يبتهج ويسر بأسباب الحياة الدنيا وزينتها وهو مقطوع عنها بالموت.

(١٦) قوله: ﴿لَا يَسْتَيْنُ وَلَا يَبْقَى مِنْ جُرْعٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الغاشية، آية ٧.

(١٧) في (م) و(ع): «أنت».

بالتصنع من زور مطبوع^(١)، حَسُنْتَ ظاهرك بالسكون وقلبك لطلب^(٢) الدنيا شديد الشروع،
 عمرت البدن وخربت القلب من الخشوع، وَلْ خراب^(٣) قلبك لعمَّار التقى^(٤) ومكنه من
 آلات^(٥) السهر والجوع، عليك بشعاب الصدق فله صناعة في جبر المصدوع^(٦)، عليك برقاء^(٧)
 الندم تصل^(٨) كل مقطوع، إذا لم يقبل ثوب عملك الرفو^(٩) فرَّقه فشتان ما^(١٠) بين المرفو^(١١)
 والمرفوع، تعرض ويحك لمحمل^(١٢) المجتهدين وقل ضال ضل عن الطريق مقطوع، اتَّبِعْ
 آثارهم كالطفيلي ففضل رب البيت لا مقطوع ولا ممنوع، هذا ماتم الأحزان فإلى أي وقت
 تدَّخر الدموع، هذا مجلس الشكوى هذا وقت الرجوع^(١٣)، فبادروا إخواني وأفهموا أسرار
 المراد، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

أحمد بن أبي الحواري^(١٤) رحمه الله تعالى قال^(١٥): «حججت أنا وأبو سليمان^(١٦)»، فبينما^(١٧)

- (١) عبارة «من زور مطبوع»، في (م) و(ع): «من مخدوع».
- (٢) في الأصل: «لطالب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) عبارة «وَلْ خراب»، في الأصل: «وخراب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) عبارة «لعمَّار التقى»، في (م) و(ع): «لعمَّار التقوى».
- (٥) في (م) و(ع): «آلة».
- (٦) إن الصدق سبب كل خير؛ قال تعالى: ﴿تَلَوَّ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يُنَادِيكَ الرَّبُّ ۖ آمِنُوا أَنْتُمْ وَأَقْبُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، رقم الحديث (١٠٥/٢٦٠٧، ٢٠١٣/٤).
- (٧) رَقَا الثوب: لَأَمْ خَرَقَهُ، وضم بعضه إلى بعض وأصلح ما وهى منه، ورفوث الثوب رَفُوءاً. ورجل رَفَاءٌ: صنعته الرَفَاءُ. ابن منظور، اللسان، «رفأ»، ٨٧/١.
- (٨) في (م) و(ع): «يصل».
- (٩) في الأصل: «الرفق»، والتصويب من (م) و(ع). (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «المرفع»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «المحامل».
- (١٣) عبارة «هذا مجلس... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «أحمد بن الحواري»، والتصويب من (م) و(ع). وهو أحمد بن عبد الله بن ميمون، الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن الثعلبي الغطفاني الدمشقي الزاهد، أحد الأعلام، أصله من الكوفة، توفي سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م. ابن الجوزي، الصفة، ٢٣٧/٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٥/١٢.
- (١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٧٩/٤.
- (١٦) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، العنسي الداراني، أبو سليمان، الإمام الكبير، زاهد العصر، توفي سنة ٢١٥هـ - ٨٣٠م. ابن الجوزي، الصفة، ٢٢٣/٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٨٢/١٠.
- (١٧) في (م) و(ع): «فبينما».

نحن نسير إذ سقطت السطيحة^(١) [١٠٨] مني وكان برد عظيم، فلما أفتقدت^(٢) السطيحة، قلت: بقينا بلا ماء، فأخبرت أبا سليمان، فقال: سلم الأمر لمالكه، وصل على سيدي محمد وصحبه وسلم تسليمًا^(٣)، وقل: يا راد الضالة رد علي سطیحتي^(٤). فإذا الرجل^(٥) ينادي من سقط^(٦) له سطيحة، فأخذتها منه، فقال لي أبو سليمان: أحسبته يتركنا^(٧) بلا ماء. فبينما^(٨) نحن نسير فإذا^(٩) برجل^(١٠) عليه طمران رثان، وقد تدرّعنا بالفرو^(١١) من شدة البرد وهو يرشح عرقًا، فقال له أبو سليمان: ألا ندترك ببعض ما معنا^(١٢)؟ فقال له^(١٣) الرجل: يا داراني، أتدثرني من الحرّ^(١٤) والبرد^(١٥)؟ هما خلقان من خلق الله ﷻ^(١٦)، إن أمرهما أن يغشيانني غشيانني^(١٧)، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني، يا داراني^(١٨) ويحك تصف الزهد وتخاف من البرد، أنا أسبح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما أنتفضت ولا أرتعدت^(١٩)، يلبسني في البرد فيحاً من محبته، ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته، ثم ولي وهو يقول: يا داراني تبكي و^(٢٠) نصيح وتستريح إلى^(٢١) الترويح. فكان أبو سليمان رحمه الله تعالى يقول له: لم يعرفني غيره^(٢٢). شعر^(٢٣).

أَيْتَفَعُنِي فِي حُبِّ لَيْلَى التَّكْتُمِ^(٢٤) وكيف ودَمَعِي عن ضَمِيرِي مُتَرْجِمِ^(٢٥)

- (١) السَّطِيحَةُ والسَطِيح: المَزَادَةُ التي من أَدِيمَيْنِ قَبْلَ أَحَدِهِمَا بِالْآخِرِ، وَتَكُونُ صَغِيرَةً وَتَكُونُ كَبِيرَةً، وَهِيَ مِنْ أَوَانِي الْمِيَاهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «سطح»، ٤٨٤/٢.
- (٢) فِي (م) وَ(ع): «فَقَدْتُ».
- (٣) فِي (م) وَ(ع): «وَصَلَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ».
- (٤) عِبَارَةٌ «رَدَّ عَلَيَّ سَطِيحَتِي» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (٥) عِبَارَةٌ «فَإِذَا الرَّجُلُ»، فِي (م) وَ(ع): «فَفَعَلْتُ فَإِذَا بِرَجُلٍ».
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «ذَهَبْتُ».
- (٧) عِبَارَةٌ «أَحْسَبْتُهُ يَتْرُكُنَا»، فِي الْأَصْلِ: «لَا تَتْرُكُنَا»، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٨) فِي (م) وَ(ع): «فَبَيْنَمَا».
- (٩) فِي (م) وَ(ع): «إِذَا».
- (١٠) فِي الْأَصْلِ: «بِالرَّجُلِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١١) فِي (م) وَ(ع): «بِالْفُرِّ».
- (١٢) فِي (م) وَ(ع): «أَمَّا».
- (١٣) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (١٤) الْوَاوُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (١٥) عِبَارَةٌ «مَنْ خَلَقَ.. إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (١٦) عِبَارَةٌ «يَا دَارَانِي» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (١٧) فِي (م) وَ(ع): «أَصَابَانِي».
- (١٨) فِي (م) وَ(ع): «مَا ارْتَعَدْتُ وَلَا انْتَفَضْتُ».
- (١٩) فِي (م) وَ(ع): «مَنْ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٢٠) عِبَارَةٌ «فَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ.. إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
- (٢١) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٢٢) فِي الْأَصْلِ: «التَّكْتُمُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٢٣) عِبَارَةٌ «عَنْ ضَمِيرِي مُتَرْجِمِ»، فِي (م) وَ(ع): «عَنْ زَفِيرِي يَتَرْجِمُ».

مَتَى حُتِمَتْ أَفْوَاهُ شُكَّوَيْي كَانَ فِي
لَقْد صُمَّ سَمْعِي عَنْ عَوَازِلِ حُبِّهَا
أَلَا هَلْ يَنْجِدُ مُنْجِدٌ لِي عَلَى الْهَوَى
وَهَلْ مُنْتَهَامٌ بَعْدَمَا فَارَقَ الْحِمَى
وَإِنِّي لَكُلُّ مِرٍّ مَضُونٍ وَمَذْمُوعٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُ الرِّيحَ حَلَّتْ^(٣) بِرَأْمَةٍ
يُرْوَعُنِي الْبَرْقُ الْيَمَانِي جَهْرَةً^(٥)
وَعِنْدِي دُيُونٌ^(٧) لِلْغَرَامِ وَكَلَّفَتْ

أَنَامِلُ وَجَدِي لِلوُثَاةِ تَخْتُمُ^(١)
كَمَا أَنَّهُمْ بِالشُّكِّ عَنْ حُسْنِهَا عَمُوا
فَقَدْ طَالَ مَا يُبْذِبُهُ دَمْعِي وَيَكْتُمُ [١٠٨ب]
يَرْقُ لَهُ قَلْبُ الزَّمَانِ وَيَرْحَمُ
بِلَيْلِي^(٢) وَاشِينَا يَقُولُ وَيَزْعَمُ
فَلْيَلْوَجِدِ جَيْشٌ فِي فُؤَادِي مَرْمَرٌ^(٤)
بِصَوْتِ قَيْضِيْنِي وَأَبْكِي^(٦) وَيَبْسُمُ
جُفُونِي أَذَاهَا فَهِيَ لِلدَّمْعِ تَغْرَمُ
[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي دَبَّرَ الخلائق بالإيجاد بلطف التدبير، تفرد باختراعهم لم يفكر إلى معين ولا^(٨) مشير، قسم أقداره على الخلائق بميزان العدل ومثاقيل^(٩) التقدير، فكلٌ ميسر لما خلق له^(١٠) من تيسير وتعسير، قسم القبضتين على سابق علمه فريق في الجنة وفريق في السعير، يَسِّرُ المرید للمراد وجعل اليسير على المحروم عسير، جعل الليل والنهار جناحي الأعمار إلى أرض الفناء تطير، كم فرق المنون من أحباب وكم غيب من أتراب تحت الحفير، بينما^(١١) الإنسان في قسيح الأمل قيل غافصه^(١٢) المصير، فترك ماله وأهله وتقدم بأعماله^(١٣) لمساءلة

(١) تَخْتُمُ عت: تغافل وسكت، وتَخْتُمُ بأمرو: كتمه. الفيروزآبادي، القاموس، «ختم»، ص ١٤٢٠.

(٢) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «لاحت».

(٤) في (م) و(ع): «عمرم». ورمم إذا أصلح شأنه. ابن منظور، اللسان، «رمم»، ٢٥٦/١٢.

(٥) في (م) و(ع): «يمنة».

(٦) في (م) و(ع): «فأبكي».

(٧) في الأصل: «ديوان»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) المثقال في الأصل، مقدار من الوزن أي شيء كان من قليل أو كثير، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله. ابن منظور، اللسان، «ثقل»، ٨٧/١١.

(١٠) عبارة «فكلٌ ميسر لما خلق الله». وقوله هذا هو بعض حديث الرسول ﷺ؛ فمن علي عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالسا وفي يده عود يَنْكُتُ به، فرفع رأسه فقال: «ما منكم من نفس إلا وقد عَلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، قالوا: يا رسول الله: قَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا تَنْكِيلُ؟ قال: «لا، اعملوا، فكلٌ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَمَنَّ وَالَّذِي وَصَّلَكَ بِالتَّقَى﴾ إلى قوله: ﴿تَسْتَبِيرُ﴾ [الليل ٥ إلى ١٠]. مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث (٢٦٤٧/٧)، ٢٠٤٠/٤.

(١١) في (م) و(ع): «بيننا».

(١٢) في الأصل: «غصفه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «بعمله».

منكر ونكير، وكلُّ لمقام^(١) غربة لا يدري بعدها إلى أين يصير^(٢)، ماء الأمل سَرابٌ^(٣) كم هلك فيه من مالك^(٤) ووزير، كم تناديكُم العبر ورحائل أعماركم^(٥) إلى الفناء تصير، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ يَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّنْ مَّلَاجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّكَيرٍ﴾^(٦)، فسبحان من بيده مقادير^(٧) التقدير، أحمدُه حمد عبد بحبل رجاء^(٨) [١٠٩] مستجير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها لهول الموت المرير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله مهدي الضَّال وجابر الكسير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس بالتطهير.

يا أخي لا تغسل^(٩) دنس الذنوب إلا بمدامع^(١٠)، و^(١١) لا ينجو من قفار المعصية إلا من يُسارع، لا حيلة في أطروش سَدَّتْ الغفلة منه المسامع، أحضر قلبك ساعة عساه بناجحة^(١٢) الموعظة يراجع، كم لي أتلو عليك صحف الموعظة وما أظنك سامع، كم تمشي في ظلمة الهوى والغفلة^(١٣) عن الأحبة^(١٤) قاطع، لا كان يوم المعصية ما أنحسه من طالع، يوم الطاعة مُحَبٌّ للقلوب^(١٥) وكل سعود فيه طالع، أطلب ويحك رفاق التائبين وجدد رسائلك للحبيب وطالع^(١٦)، أجعل زمام عزمك بيد^(١٧) التقى^(١٨) تكن في البلوغ طامع، من أنقطع في منقطع القبر بلا زاد أهلكته الفجائع، غيره ينعم بما قدم وهذا بالخيبة راجع، مصباح التقوى يدل على العجادة وكم في ظلمات^(١٩) الغفلة من باضع^(٢٠) وقاطع، تعوَّض الخفاش من النور بالظلمة

-
- (١) في (م) و(ع): «مقام».
- (٢) في (م) و(ع): «يسير».
- (٣) السراب الذي يجري على وجه الأرض كأنه الماء، وهو يكون نصف النهار. ابن منظور، اللسان، «سرب»، ١/٤٦٥.
- (٤) في (م) و(ع): «ملك».
- (٥) عبارة «ورحائل أعماركم»، في (م) و(ع): «لعل رحائل أعمالكم».
- (٦) سورة الشورى، آية ٤٧.
- (٧) في (م) و(ع): «رجايه».
- (٨) في (م) و(ع): «يغسل».
- (٩) في (م) و(ع): «يغسل».
- (١٠) في (م) و(ع): «بماء المدامع».
- (١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «بنائحة». والنَّجْح والنجاح: الظفر بالشيء، وقد نجحت حاجتي، وأنجحها الله تعالى: أسعفني بإدراكها، ونجح أمر فلان: تيسر وسهل، فهو ناجح. ابن منظور، اللسان، «نجح»، ٢/٦١١، ٦١٢.
- (١٣) كلمة «والغفلة» في (م) و(ع): «نوم الغفلة».
- (١٤) عبارة «عن الأحبة»، في الأصل: «للأحبة»، وهي من (م) و(ع).
- (١٥) عبارة «محب للقلوب»، في (م) و(ع): «مختار».
- (١٦) عبارة «اطلب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في الأصل: «بين»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «التقوى».
- (١٩) في (م) و(ع): «ظلمة».
- (٢٠) في (م) و(ع): «قاطع». ويضع الشيء يوضعه: شقه، وسيف باضع إذا مرَّ بشيء بضعه أي قطع منه بضعة. ابن منظور، اللسان، «بضع»، ٨/١٣.

فعمره كله ضائع، أبك ويحك على موت قلبك وعمى بصيرتك^(١) وكثرة الموانع، إذا لم يعظك الدهر والشيب وضعف القوى فما أنت صانع، أيام عمرك^(٢) تقدّمك للحمام وأملك يؤخر^(٣) فأعجب برائع و^(٤) راجع، فبالله يا^(٥) [١٠٩ب] إخواني بادروا المتاب فالأمر خطير، ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

قال بعضهم^(٦): كانت إلى جانبي عَجُوز وكان لها ولد مسرف على نفسه، فلما حضرته الوفاة ندم على ما كان فيه، و^(٧) استيقظ من غفلته، وقال لأُمّه: إذا أنا متُ فلا تعلمي الناس بموتي فإنهم لا يصلون علي، وأجعلني قبري في بيتي فلاني قد^(٨) أذيت جيراني في حياتي، وما أريد^(٩) أن أضّر الموتى بعد وفاتي، ففعلت ما أوصاها^(١٠) به ودفتته في بيته، وأقبلت تبكي وتقول: يا ابني و^(١١) يا ولدي ما أعظم غربتك، وما أشد محنتك، فقد ضمك القبر والموعِد^(١٢) بيني وبينك الحشر، وأقامت مدة تسأل الله تعالى في رؤيته، فرأته في النوم وهو في رياض مُروّنة، وأنوار^(١٣) مشرقة، وبين عينيه سطر من نور^(١٤): هذا عبد أعترف بذنبه وزلته وندم على خطيئته، وأستحي^(١٥) مما قدمه وجناه، فعفى عنه مالكة ومولاه. فقالت له أمّه^(١٦): يا بني، أخبرني بأمرك كيف كان؟ فقال^(١٧) لها: يا أماء^(١٨)، لما قبضت أوقفني المولى جل وعلا^(١٩) بين يديه وقال^(٢٠): يا عبدي، أما علموا أنني مولاك! فلم هجروك ولم يصلوا عليك، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك، كأن عفوي ضاق عن سيئاتك، ثم تخوفت

(١) في الأصل: «حيرتك»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «عزلك».

(٣) عبارة «وأملك يؤخر»، في (م) و(ع): «وأمالك تؤخر».

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في بستان الواعظين، ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) عبارة «فلاني قد»، في (م) و(ع): «فقد».

(٩) في (م) و(ع): «أحب».

(١٠) في (م) و(ع): «أوصاها».

(١١) عبارة «يا أبني و» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «الوعد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «وهو في رياض.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو في رياض من الجنة مونة، وأنهار»، إلا أنه في (ع): «رياض الجنة» بدل «رياض من الجنة».

(١٤) عبارة «سطر من نور»، في (م) و(ع): «مكتوب سطور بالنور».

(١٥) في (م) و(ع): «أستحي».

(١٦) عبارة «فقالت له أمّه»، في (م) و(ع): «قالت».

(١٧) في (م) و(ع): «قال».

(١٨) عبارة «يا أماء» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «جل وعلا» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) في (م) و(ع): «وقال لي».

من شدة إشفائك على الموتى بعد وفاتك، لقد غفرت لكل مدفن قريب منك إكراماً لك [١١٠] ولحشمتك، ورحمنك لذلك وفرك^(١). شعر^(٢):

مَا وَجَدْتُ لِي سَبَبَا أَتَقِي بِهِ الْعَطَبَا
قَلْبِي الْمُبْرَحُ بِي^(٣) بِالذُّنُوبِ قَدْ حُجِبَا
قَدْ أَلَحَّ فِي تَلْفِي^(٤) مِنْ قَبِيحٍ مَا أَرْتَكِبَا
كُلَّمَا عَذَلْتُ هَوَى^(٥) كَلَّمَا نَصَخْتُ أَبَى
فَانْظُرُوا لِمَخْنَنِهِ^(٦) تَنْظُرُوا بِهِ^(٧) عَجَبَا
كَمْ رَكِبْتُ مِنْ قَصَّة كَمْ تَرَكْتُ مَا وَجَبَا
كَمْ ظَوَّاهِرَ خَسَنَتْ أَبْتَغِي بِهَا الْكَذِبَا

[بحر المقتضب]

يا من مات قلبه أي شيء^(٨) تنفع حياة البدن، إذا فقدت حاسة^(٩) الحواس فالتصرف لمن، أعمى بصيرتك دخان الشهوة فلا تفرق بين القبيح والحسن، يا مخنثا في العزيمة^(١٠) نازلاً^(١١) في الهزيمة يا ممحونا بالمحن، الدنيا قنطرة العبور يبت عليها لبكورك للوطن، إذا جاءك تيار الموت حملك وأنت نائم لم تستيقظ إلا بحس الكفن، سلبك المشيب من الشباب فأين البكاء وأين الحزن، إذا كان القلب من التقى^(١٢) خراباً فما ينفع البكاء في البدن^(١٣)، يا قتيل الهجران هذا أوان الصلح بادر عسى يزول هذا الحزن، رافقوا^(١٤) التائبين في التوبة قبل أن ينادي الحمام النفير النفير^(١٥)، «أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ» [١١٠ب] مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ.

بعض السادات^(١٦) رحمه الله تعالى لما حضرته الوفاة قال لولده^(١٧): يا ولدي^(١٨)، لا

(١) عبارة «ورحمنك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ورحمنك لفركك ومثلثك».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٣) في (ع): لي.

(٤) في (م): «قلقي».

(٥) في الأصل: «الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «لمحتي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «بها».

(٨) في (م) و(ع): «حاييئة».

(٩) عبارة «أي شيء»، في (ع): «إيش».

(١٠) عبارة «يا مخنثا.. إلخ»، في (م) و(ع): «يا مخنث العزيمة يا».

(١١) في (م): «بازلاً».

(١٢) في (م) و(ع): «التقوى».

(١٣) في (م) و(ع): «الدمن».

(١٤) في (م) و(ع): «وافقوا».

(١٥) تنافروا: ذهبوا. ابن منظور، اللسان، «نفر»، ٢٢٥/٥.

(١٦) في (م) و(ع): «السادة».

(١٧) في الأصل: «لولدي»، والتصويب من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «بني».

تسعى^(١) مخالفتي، فقال: نعم، فقال: كَفَّنِي^(٢)، وأجعل في عنقي حبلاً، وأجذبني^(٣) إلى محرابي، ومرغ خدي على التراب، وقل هذا جزاء عبد عصى مولاه، وآثر^(٤) شهوته وهواه. قال: فلما فعل به ذلك رفع طرفه إلى السماء وقال: مولاي، قد آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك، ثم خرجت روحه في الحال، فإذا هو^(٥) بصوت من زوايا البيت سمعه كل^(٦) من حضر يقول: تذلل العبد لمولاه، وأعتذر مما^(٧) جناه، فقبله وأدناه. شعر^(٨):

يَا خَلِيلِي أَنْزِلَا بِي^(٩) فِي الْحِمَى وَأَزْتَعَا مَا بَيْنَ أَظْلَالِ الْخِيَامِ
فَرُسُومِ الدَّارِ قَدْ مَاءَ رَسَمَتْ فِي فُؤَادِي حِفْظٌ وَدِّي وَالذَّمَامِ
وَأَسْأَلُ^(١٠) الْأَظْلَالَ عَنْ سُكَّانِهَا كَيْفَ بَانُوا بَعْدَ حُسْنِ الْأَلْتِمَامِ
يَا خَلِيلِي أَسْأَلَاهَا عَنْ سَمِي^(١١) مُغْرَمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ حِلْفِ السَّقَامِ
قُلْتُ لِلْحَادِي وَقَدْ رَاحَ بِهِمْ عُجْ عَلَى صَبِّ كَثِيبِ^(١٢) مُسْتَهَامِ

[بحر الرمل]

عذب كلامي لا يذوقه إلا من له ذوق لطيف، ألفاظي لا يفهمه إلا من له شوق^(١٣)، المجلس حلة طرازها^(١٤) الموعظة، ويد العناية تخلع على التائبين من هذه اللطائف مرهما^(١٥) على القلوب الصافيات ألطف^(١٦) من مر النسيم على^(١٧) الروض. إلهي كل كلام لا يوافقه [١١١] التوفيق نبات لا يثمر^(١٨)، إلهي أهل مجلسي قد نقلوا

(١) في (م) و(ع): «يسعى».

(٢) عبارة «فقال كفني»، في (م) و(ع): «قال كفني».

(٣) في الأصل: «واجبني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «وآثر عليه».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «وسل».

(٨) عبارة «عن سمي»، في (م) و(ع): «مخبراً».

(٩) في الأصل: «كاتب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) عبارة «لا يفهمه.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا يهز إلا صاحب وجد».

(١١) في (م) و(ع): «طرازه».

(١٢) عبارة «تخلع على التائبين.. إلخ»، في (م) و(ع): «تخلع على التائب مر هذه المواعظ».

(١٣) في الأصل: «ألطف من النسيم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «في».

(١٥) في (م) و(ع): «بلا ثمر».

أقدامهم للإقدام إلى بابك ما منهم إلا منه قصة ندم^(١)، وبعضهم غلب عليه الخجل؛ إما حياء منك، وإما^(٢) احتقاراً لنفسه و^(٣) خوفاً من ذنوبه، إلهي أبعث رسول عفوك يلتقط القصص من أيدي نياتهم، إلهي كل قصة ترجمتها: ﴿مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُّ﴾^(٤) ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٥)، وختامها: ﴿وَلَنْ لَّا تَقْفِرَ لَنَا وَرَحْمَتَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾^(٦)، إلهي وقع^(٧) على قصتنا بمسامحة^(٨) ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾^(٩)، أغفر لنا^(١٠) ولا تطردنا عن بابك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين^(١١).



(١) عبارة «إلا منه .. إلخ»، في (م) و(ع): «إلا من له قصة».

(٢) كلمة «وإما»، في (م) و(ع): «أو».

(٣) في (م) و(ع): «أو».

(٤) قوله: ﴿مَسْنَا وَأَهْلْنَا الْفُرُّ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة يوسف، آية ٨٨.

(٥) قوله: ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأعراف، آية ١٥١. ومن سورة الأنبياء،

آية ٨٣. والآية ليست في (م) و(ع).

(٦) قوله: ﴿وَلَنْ لَّا تَقْفِرَ لَنَا وَرَحْمَتَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأعراف، آية ٢٣.

(٧) في الأصل: «وقع»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «على قصتنا بمسامحة»، في (م) و(ع): «على قصصنا مسامحة».

(٩) قوله: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة

يوسف، آية ٩٢.

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) عبارة «وصلى الله ... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الرابع عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أحصى علمه ما في الدارين مما كان أو يكون^(١)، يرى خفي الهاجس في الهاجس^(٢) وخفي ما تخفي العيون، أمتنع في عز ألوهيته^(٣) بالعظمة عن^(٤) مدارك الأوهام والظنون، فرض معرفته على العقول^(٥) وكلف الأبدان العمل^(٦) فهي ديون^(٧)، قهر^(٨) جبروته^(٩) جبار النفوس^(١٠) بالوعيد لعلمه أنها جموح عن الحق خؤون^(١١)، جعل التوحيد أمانة في القلوب^(١٢) ووعد الأمين وتوعد الخؤون، جمع في وجودك معاني الموجودات وكم فيه^(١٣) من شأن وكم فيه^(١٤) من شؤون، أظهر في حركاتك وسكناتك أقداره تعالى^(١٥) فكم فيه^(١٦) من سر مكنون، [١١١] فأنت بالعقل ملك وبالشهوة شيطان فأفهم الحديث سجون^(١٧)، عمرك بستان وأيامه أغراسه^(١٨) والهرم خشبه^(١٩) والشبية^(٢٠) غصون، فيا مضيقاً شبابه في اللعب أما علمت أن أيام الكبير سجون، متابعة ما يبقى دليل على الصحة ومتابعة ما يفنى دليل على

- (١) في (م) و(ع): «مما كان ويكون، لا يعزب عن علمه معلوم يعلم مقادير الحركات والسكون».
- (٢) عبارة «في الهاجس» ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في الأصل: «أمتنع في الإلهية»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «القلوب».
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) الديون جمع دين، وهو معروف، وكل شيء غير حاضر دين، وإنما سمي الأعمال ديون لأنه يتأخر قضاؤه إلى يوم القيامة، فالله ﷻ سيوفي الناس أعمالهم يوم الحساب، فيجازيهم بما عملوا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فكما يلين المرء يدان.
- (٨) في (م) و(ع): «قهرت».
- (٩) في الأصل: «جبروتيه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «النفس».
- (١١) في (م) و(ع): «حرون». وفرس حرون: لا ينقاد، إذا اشتد به الجري وقف. ابن منظور، اللسان، «حرن»، ١١٠/١٣.
- (١٢) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ رُبُّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَا دَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَكْبَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَمْ قَالُوا بَلَىٰ سَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].
- (١٣) في (م) و(ع): «فكم فيك».
- (١٤) في (م) و(ع): «فيك».
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «فيك».
- (١٧) عبارة «فأنت بالعقل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «أغراس».
- (١٩) في (م) و(ع): «خشب».
- (٢٠) في (ع): «الشبية».

الجنون^(١)، كم أبادت الأيام من أحباب وكم^(٢) مرّقت من قرون، دُونت عليهم أعمالهم وكم عليهم من شهود جوارح^(٣) وعيون، ﴿وَقَالُوا لِمُجْلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ﴾^(٤).

إخواني الطاعة^(٥) أرباح والمعاصي خسران، دار المفلس من الطاعة سيّج^(٦) ودار الرابع الجنان، لا يلوذ بملاذ النفوس^(٧) من يطلب راحة الأبدان، كم شاهد العقل مراكب الأعمار تغرق من الآجال في الطوفان، كم تطلبون السفر بعد هذا الخبر ما أراكم إلا عميان، دسار^(٨) سفينة الغفلة واهية وليس فيها أيضاً سَكَن^(٩)، شراع آمالها مقطوع وملاح عزمها مقعد وأنت بلا زاد ما أسرع ما يقال هاهنا قد^(١٠) كان، إذا نصحك الناصح ولم تقبل فعلامة الحرمان، عجباً كيف تسمع النصيح وأنت غافل وعقلك في طلب الفاني ولهان، لو علمت^(١١) ما مهّد للصالحين^(١٢) من نعيم وأمان، [١١٢] وما هيء للعصاة^(١٣) من عذاب ونيران، لعلمت ما أنت إليه صائر وعدوك من أعمالك الصبح والميزان^(١٤)، لا تُبهرج فنقاد الحساب بصير بمقادير الأثمان، إنما هيئت^(١٥) مطية الشباب لتنجو بها إلى بر الأمان، أفلتتها حتى شردت في قفار العصيان، ولما أستحثك رسول المشيب ندمت على ما قد كان، أين سرعة الشباب من تأخر الكبر أين^(١٦) الشجاع من الجبان، كيف يطيب عيش من جوارحه بفضائحه يشهدون، ﴿وَقَالُوا

(١) عبارة «ومتابعة ما يفنى.. إلخ»، في (م) و(ع): «ومتابعة الفاني علامة الجنون».

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «جوارح شهود».

(٤) سورة فصلت، آية ٢١. (٥) في (م) و(ع): «الطاعات».

(٦) سيّج فعل من السجّ، وسيّج وادي في جهنم، نعوذ بالله منها، مشتق من ذلك. ابن منظور، اللسان، «سجّ»، ٢٠٣/١٣.

(٧) في (م) و(ع): «النفس».

(٨) في الأصل و(م) و(ع): «دسار»، والصواب ما أثبتناه. والدسار: المسمار، وجمعه دُسر، والدُسر مسامير السفينة وشرطها التي تُشدّ بها. ابن منظور، اللسان، «دسر»، ٢٨٥/٤.

(٩) عبارة «وليس فيها.. إلخ»، في (م) و(ع): «وليس أيضاً فيها ريان».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «عانيت».

(١٢) في الأصل: «الصالحين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «للعاصين».

(١٤) الصبح أي يوم القيامة حيث يحاسب كل إنسان بما عمل، ويرى ما قدّم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها عليه الرب تبارك وتعالى، فكما أن الصبح يكشف بنوره معالم الأشياء ويوضحها ويزيل عنها أستارها، فكذلك يوم القيامة يكشف الإنسان بأعماله كبيرها مهما عظم، وصغيرها مهما دق. والميزان هو ذلك الذي ينصب يوم القيامة فتوزن فيه أعمال بني آدم؛ فمن ثقلت موازينه بالحسنات نجى، ومن خفت موازينه هلك.

(١٥) في (م) و(ع): «هيئت لك».

(١٦) عبارة «من تأخر.. إلخ»، في (م) و(ع): «من تأخير الكبر وأين».

يُجْلِدُونَهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِنْ تَرْجِعُونَ ﴿١﴾

لما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا له: نأخذ ماءك فيراه فلان الطبيب النصراني^(١)، فما رأى ماء عليل إلا عرف علته في أول ما يرفع عليه، فأبى عليهم، فالحوا عليه، وأخذوا ماءه ومضوا به إلى النصراني فقال لهم: أرفعوه، فرفعوه. ثم قال: أنزلوه، فأنزلوه^(٢). وفعلوا ذلك مرات، فقالوا له: ما هذه عادتك أنت تعرف العلة من أول نظرة^(٣) إلى الماء. فقال: والله ما رفع إلي من أول مرة^(٤) حتى عرفت علة صاحبه، هذا ماء رجل قد أحرق خوف الله تعالى^(٥) كبده، فإما أن يكون فلاناً الراهب أو بشراً الحافي، فقالوا: إنه بشر الحافي^(٦)، فقطع الطبيب زناره من وسطه وقال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن [١١٢ب] محمداً رسول الله ﷺ^(٧). فرجعوا إلى بشر ليخبروه، فلما دخلوا عليه قال لهم: أسلم النصراني، فقالوا: نعم، من أين علمت؟ قال: لما خرجتم من عندي وقف بي هاتف فقال: أبشري يا بشر لن تخرج من الدنيا حتى يسلم النصراني على يدك، ثم قضى نحبه ﷺ^(٨). شعر^(٩).

عَرَجًا بِي نَحْوِ أَعْلَامِ الشَّامِ وَأَشَقِيَانِي مِنْ حُمَيَّا حُبُّهُمْ
وَأَشْمَعَانِي اسْمَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ وَالْحِجَّانِي نَفْسًا مِنْ رَبْعِهِمْ
وَقَفَا لِي^(١٦) فِي مَغَانِي أَرْضِهِمْ وَأَظَرَحَانِي بَيْنَ أَطْنَابِ^(١١) الْخِيَامِ
فَهَيَّ أَشْهَى لِي^(١١) مِنْ شُرْبِ^(١٢) الْمُدَامِ فَلَقَدْ زَادَ مِنَ الشُّوقِ غَرَامِي
فَهَيَّ أَذْكَى^(١٣) لِي^(١٤) مِنْ شَمِّ^(١٥) الْخُرَامِ وَأَقْرَبَا سُكَّانَهَا عَنِّي سَلَامِي^(١٧)

(١) في (ع): «النصراني الطبيب».

(٢) عبارة «من أول نظرة»، في الأصل: «في أول النظرة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «نظرة».

(٤) في (م) و(ع): «نظرة».

(٥) عبارة «فقالوا إنه.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) عبارة «أنا أشهد.. إلخ»، في (م) و(ع): «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله».

(٧) في (م) و(ع): «رحمه الله تعالى»، والقصة ذكرها الأبيشي في المستطرف، ١/١٤٣.

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) الطُّبُّ: جبل طويل يُشَدُّ به سُراوق البيت، أو الوَتْدُ، وجمعه: أطْنَاب. الفيروزآبادي، القاموس، «طنب»، ص ١٤٠، ١٤١.

(١١) عبارة «أشهى لي»، في الأصل: «أشد إلي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «طيب».

(١٣) في (م) و(ع): «أشهى».

(١٤) في الأصل: «إلي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «نشر».

(١٦) في (م) و(ع): «وقفاني».

(١٧) في الأصل: «السلام»، والتصويب من (م) و(ع).

ثُمَّ قُولَا هَذِهِ الدَّارُ وَذَا
فَعَسَى أَنْسُكَبَ فِي دِمْنَتِهَا
كُلَّمَا قَلْبُكَ طَرْفِي فِي الْجَمَى
ذَكَرَ اللَّهُ زَمَانًا قَدْ مَضَى
فَلَعَلَّ الدُّهْرَ أَنْ يَسْمَحَ لِي

مَنْزِلَ الْقَوْمِ بِهَاتِيكَ^(١) الْخِيَامَ^(٢)
دَفَعَ طَرْفِي مِنْ مَسِيلِ الدَّمْعِ دَامِي
طَلَبَ الْقَلْبَ زَمَانَ الْإِتِّمَامِ
فِيكَ يَا دَارَ بِأَنْوَاعِ السَّلَامِ
فِيهِمْ يَوْمًا فَأَخْطَى بِالْمَرَامِ^(٣)

[بحر الرمل]

يا أخي لو أنقشعت سحائب المعصية لرأيت^(٤) أعلام منزل القبول، يهون عليك السلوك إذا وافقت^(٥) أهل الوصول، أبك أياماً ذهبت في المخالفة فما ينفع البكاء على الطلول، رافق رفاق التائبين فدمع محاجرهم مكلول^(٦)، أنت في طلب [١١٣] الشهوات منصف وفي طلب الآخرة مَطْلُول^(٧)، رافق رفاق المجتهدين^(٨) في بيداء الليل وإن كان فيها طول، أضرب راحلة النفس بسوط الجد وأسمع ما أقول، الخوف وله الخائفين ففي أكبادهم حرق وفي عبراتهم سيول، وفي أنفاسهم أنين وفي أجسادهم^(٩) نحول، إذا لاحت لهم^(١٠) أعلام السحر بكوا على فراق الليل ما أجمله من بكاء مقبول، فُلِّلْهُ طيب أوقاتهم علقوا همهم به لا بالمشروب ولا بالمأكول، المحروم^(١١) صريع على فراش الغفلة مقيد مكبول، كم قيدت عليه^(١٢) الحفظة من قبائح يسمعها^(١٣) إذا جوارحه^(١٤) ينطقون، ﴿وَقَالُوا لِمُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قال عثمان الدخاني رحمه الله تعالى^(١٥): «خرجت من بيت المقدس في حاجة أريد بعض القرى، فلقيتني عجوز عليها جبة صوف وخمار صوف، فسلمت عليها^(١٦) فردت علي السلام

(١) في الأصل (م) و(ع): «وهاتيك»، والتصويب من (ب).

(٢) في (م) و(ع): «خيام». (٣) الأبيات الأربعة الأخيرة ساقطة في (م) و(ع)، والمرام:

المطلب. ابن منظور، اللسان، «روم»، ٢٥٨/١٢.

(٥) في (م) و(ع): «وافقت».

(٤) في (م) و(ع): «رأيت».

(٦) عبارة «التائبين... إلخ»، في (م) و(ع): «البكائين فدمع محاجرهم مَطْلُول».

(٧) في (م): «مطلول». والطل هدر الدم، وقد طُلَّ طلاً وطُلُولاً فهو مَطْلُول وطليل، وطل فلان غريمه يطلُّه كأنه مَطْلُهُ، وقيل يطلُّها يسعى في بطلان حقها كأنه من الدم المطول. ابن منظور، اللسان، «طلل»، ٤٠٥/١١، ٤٠٦.

(٨) في (م) و(ع): «المتجهدين».

(٩) في (م) و(ع): «أجسامهم».

(١٠) عبارة «إذا لاحت لهم»، في الأصل: «إذا لاحت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «المحروم».

(١٢) في الأصل: «عليك»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «جوارحها»، وهي من (م) و(ع).

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٥٢/٤. وعثمان: هو عثمان بن عبد الله العابد، رجل من العباد، روى عنه أحمد بن عبد الله الرصافي. ابن العديم، بغية الطلب، ٩٦٢/٢.

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

وقالت: يا بني^(١)، من أين أقبلت؟ فقلت: من هذه القرية، قالت: وأين تريد؟ قلت: إلى بعض القرى في حاجة. قالت: كم بينك وبين أهلك ومنزلك؟ قلت: ثمانية عشر ميلاً، قالت: ثمانية عشر ميلاً^(٢) في حاجة! إن هذه لحاجة مهمة. قلت: أجل، قالت: فما أسمك؟ قلت: عثمان. قالت: يا عثمان ألا سألت صاحب القرية أن^(٣) يوجه إليك [١١٣ب] حاجتك ولا تتعنى لها^(٤)، قال: ولم أعلم الذي أردت، قال^(٥): قلت: يا عجوز ليس بيني وبين صاحب القرية معرفة. قالت: يا عثمان، وما الذي أوحش بينك وبين معرفته، وقطع بينك وبين الاتصال به؟ فعرفت الذي أردت، فبكيت، فقالت: من أي شيء تبكي؟ من^(٦) شيء كنت فعلته فنسيته^(٧)، أو من شيء نسيته وذكرته، قلت: لا بل من شيء كنت أنسيته^(٨) وذكرته. فقالت^(٩): يا عثمان أحمد الله ﷻ^(١٠) الذي لم يتركك في حيرتك^(١١)، أتحب الله ﷻ^(١٢)؟ قلت: نعم. قالت: فأصدقني. قلت: إي والله، إني أحب الله ﷻ^(١٣). قالت: فما الذي أفادك من طرائف حكمته إذا^(١٤) أوصلك إلى محبته؟ قال: فبقيت متحيراً^(١٥) بين يديها لا أدري ما أقول. فقالت: يا عثمان لعلك ممن يحب^(١٦) أن يكتم^(١٧) المحبة، فتحيرت في الجواب. فقالت: يأبى الله ﷻ^(١٨) أن يدنس طرائف حكمته، وخفي معرفته، ومكنون محبته بممارسة قلوب المطالين^(١٩)، قلت: رحمك الله لو دعوت الله ﷻ^(٢٠) أن يشغلني بمحبته، فنفضت يديها في وجهي، فأعدت القول أبغني^(٢١) الدعاء، فقالت: يا عبد الله أمض لحاجتك فقد^(٢٢) علم المحبوب ما نجاه الضمير من أجلك، ثم ولت وقالت: لولا خوف^(٢٣) السلب لبحت بالعجب، ثم قالت ثلاثاً^(٢٤): أواه من شوق لا يبرأ إلا بك، ومن حنين لا يسكن إلا إليك، فأثنى^(٢٥) لوجهي الحياء منك، [١١٤]

(١) عبارة «وقالت.. إلخ»، في (م) و(ع): «ثم قالت يا فتى».

(٢) عبارة «قالت: ثمانية عشر ميلاً» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «أين».

(٧) في (م) و(ع): «ونسيته».

(٨) في (م) و(ع): «قالت».

(٩) في (م) و(ع): «خزيك».

(١٠) عبارة «قالت فأصدقني.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «إذا».

(١٢) في (م) و(ع): «تحب».

(١٣) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وقد».

(١٦) في الأصل: «خوفك»، والتصويب من (م) و(ع). (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «فأين».

وَأَتَى^(١) لِعَقْلِي الرُّجُوعَ إِلَيْكَ، قَالَ عَثْمَانُ: فَوَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ إِلَّا بِكَيْتُ وَغَشِي عَلَيَّ^(٢).
 خَلِيلِي هَلْ لِي فِي الرُّفَاقِ رِسَالَةٌ
 وَقُولَا فُؤَادِي أَيْنَ قَرَّ قَرَارِهِ
 فَإِنَّ ذَاقَعَتْ عَمَّا أَجْنَتْ صُدُورَهَا
 فَتِلْكَ مُرُوطٌ^(٥) بَاشَرَتْ ثُرْبَةَ الْحِمَى
 أَلَا إِنَّ دَائِي فِي فُؤَادِي^(٧) وَإِنْ^(٨) تَرَى
 فَلِلَّهِ أَشْجَانٌ إِذَا عَزَّ ذِكْرُهَا
 تَهَبْ صَبَاكُم^(١١) لَيْسَ بَيْنَ رُكُودِهَا
 وَيَسْرِي هَوَاكُم فِي الْبُرُوقِ فَإِنَّهَا^(١٢)
 فَحَالِي^(١٣) مِنْ جُورِ الْأَحِبَّةِ لَمْ يَزَلْ
 وَتِلْكَ الْخَيَالَاتِ الَّتِي كُتِلَمَا أَمْتَطَلَتْ
 أَلَمْتُ فَأَذْنَاهَا الْكَرَى وَنَأَتْ بِهِ
 وَيَا^(١٤) طَيْفَ لَا تَرْكَبْ غُرُوراً فَإِنِّي
 يُذَكِّرُنِي الْعَهْدَ الْقَدِيمَ جَدِيدَهَا^(٣)
 هُدَيْتُمْ وَعَيْنِي أَيْنَ بَاتَ هَجُودَهَا^(٤)
 فَلَا تَذْهَلَا عَمَّا أَذَاعَتْ بُرُودَهَا
 وَأَوْدَعَهَا أَشْجَانُ قَلْبِي صُعودَهَا^(٦)
 كَذِي عِلَّةٍ يَبْغِي شِفَاءَ يَزِيدُهَا
 يُقَبَّلُ^(٩) مَغْنَاهَا وَيُلْتَمُ^(١٠) جِيدَهَا
 وَبَيْنَ رُكُودِ النَّفْسِ إِلَّا رُكُودَهَا
 وَقُودِ الْحَشَى مِمَّا اسْتَطَارَ وَقُودَهَا
 مُقِيمًا إِلَى أَنْ عَادَ وَضَلًا صُدُودَهَا
 لِنَيْلِ الْمُنَى أَمْسَى قَرِيبًا بَعِيدَهَا
 قِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ رُقَادِي يَزِيدُهَا
 إِذَا وَرَدَتْ عَيْنِي غُرُوراً أَذُودَهَا^(١٥)
 [بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي كتب أسفار الموجودات فظهرت^(١٦) لقارئ العقل حروفاً وخطاً، جعل أفعالها دلائل عليها وضبطها في ديوان الإحصاء ضبطاً، فأفعالها إعرابها في العلو والسفل^(١٧)

- (١) في (م) و(ع): «وَأَيْنَ».
- (٢) في الأصل: «حديثها»، والتصويب من (م) و(ع). وهذا البيت مع البيتين السابع والثامن اقتباس من قصيدة لابن القيسراني محمد بن نصر بن صغير، شرف الدين المتوفى سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م. ينظر خريدة القصر وجريدة العصر للأصبهاني، ١/ ١٣٠.
- (٣) في الأصل: «جموعها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) المِرْطُ: كل ثوب غير مخيط، وجمعه: مروط. ابن منظور، اللسان، «مرط»، ٤٠١/٧، ٤٠٢.
- (٥) في (م) و(ع): «صعيدها».
- (٦) في (م) و(ع): «وَأَيْنَ» هُنَا تَفِيدُ النَّفْيَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَكِنْ زَالًا إِنَّ أَسْكَهَمَا مِنْ لَمَوْزٍ يَبْرِءُ» [فاطر: ٤١]، فَإِنَّ الْأَوَّلَى شَرْطِيَّةٌ، وَالثَّانِيَّةُ نَافِيَّةٌ. ينظر: المغني لابن هشام، ٢٢/١، ٢٣.
- (٧) في (م) و(ع): «دوائِي».
- (٨) في الأصل: «تقبل»، وهي من (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «تقبل»، وهي من (م) و(ع).
- (١٠) في الأصل: «تقبل»، وهي من (م) و(ع).
- (١١) عبارة «تهب صباكم...»، في الأصل: «يهب صباكم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «وإنما».
- (١٣) في (م) و(ع): «فيالي».
- (١٤) في الأصل: «ولا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «وأرودها».
- (١٦) في الأصل: «فظهر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) أي في الخير والشر.

والقدر ينقطها للتعريف نقطا، نظم جواهر الموجودات [١١٤ب] في سلك الإيجاد وجعلها سمطا^(١)، عميت بصيرة من أدعى خلق^(٢) الأعمال وعن سبيل الرشد أخطا، من ذا الذي يدرك سر القدر ومن إلى بساط الكمال يتخطى، بحر القدر لا ساحل له ومكفوف العجز متى يدرك له شطا، لئله ما أطيب عيش الزاهدين كيفما أقامهم قاموا قبضاً وبسطاً، نيلهم من الدنيا نيل المضطر^(٣) وحط^(٤) حمل الشهوات عن ظهورهم حطا، حالفوا النفوس على الفاقة والزهد وجعلوا ذلك عليها شرطا، طالباها بوزن المبلغ^(٥) من العلم قسطوه عليها قسطا، قبلوا منها حاصل الفقر والفاقة وراقبوا مولاها^(٦) يخافون منه سخطا، أكرمهم تعالى^(٧) بولايته وجعلهم لنبه ورثا وبسطا^(٨)، أمره ﷺ^(٩) بالمقام معهم وكشف له^(١٠) عن حقيقتهم المغطى، ﴿وَأَمَّا نَبُذَ النَّفْسِ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْغَيْبِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَضَعُ مَانَائِهِمْ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَبَّيْكَ وَأَنَّى حُورٌ﴾^(١١).

(١) السَّمَط: الخيط الواحد المنظوم. ابن منظور، اللسان، «سمط»، ٣٢٢/٧.

(٢) في الأصل: «كسب»، والتصويب من (م) و(ع). وفيه رد لقول المعتزلة، إذ إنهم قالوا: أفعال العباد بخلقهم لا بخلق الله، والطريق المستقيم والمنهج القويم ما قاله أهل السنة: وهو أن الأفعال بخلق الله وكسب العباد؛ أما الدليل على أن الأفعال بخلق الله فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، وأما الدليل على أنه بكسبهم فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا كَفَرْتُمْ بِآيَاتِهِ﴾ [الحج: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ آيَاتُهُ﴾ [الشورى: ٣٠]. البابرني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ١٣٧، بتصرف.

(٣) وذلك لأنهم اعتبروا الدنيا دار ممر وعبور يقطعها السائر إلى الدار الآخرة؛ فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب الزهد، باب ما أنا في الدنيا إلا كراكب.. إلخ، رقم الحديث (٢٣٧٧)، ٥٨٨/٤.

(٤) في (م) و(ع): «يحط».

(٥) في (م) و(ع): «السلع».

(٦) في الأصل: «مرادهم»، وهي من (م) و(ع).

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) السَبَط: ولد الابن والابنة. ابن منظور، اللسان، «سبط»، ٣١٠/٧.

(٩) عبارة «صلى الله عليه وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «لهم»، والتصويب من (م) و(ع)، وقوله هذا إشارة إلى ما أمر الله ﷺ به نبيه ﷺ من البقاء مع من أسلم من الفقراء والصبر معهم على أداء الصلوات، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا نَبُذَ النَّفْسِ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْغَيْبِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ﴾ الآية [الكهف: ٢٨]، وسبب نزول هذه الآية أن المؤلفلة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، وذوهم، فقالوا: يا رسول الله، لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عنا، يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، جلسنا إليك وأخذنا عنك، فنزلت هذه الآية، فقام رسول الله ﷺ يلمسهم، حتى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله قال: «الحمد لله الذي لم يمّتي حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات» هذا قول سلمان الفارسي. ابن الجوزي، زاد المسير، ١٣٢/٥.

(١١) سورة الكهف، آية ٢٨.

يا أخي^(١) من وسع على نفسه في الشهوة^(٢) فتلك علامة شقوته، من ضيق عليها بالقناعة شكر سعيه يوم رحلته، من أشتري برأس مال عمره الغفلة ما أخسره في سلعته، طريق الإخلاص^(٣) ضيق من سافره طوي له في سفرته، يا معشر الفقراء [١١٥] منزل الفقر واسع وفرحته في نزته^(٤)، الفقراء الصابرون^(٥) جلساء الله^(٦) فكم يتمنى ذو الغنى أن تبدل جلسته^(٧) بجلسته، حلة الفقراء حلل^(٨) المقربين وحلة^(٩) أهل الصفا من صفوته، إذا طفئت سرج بيوتكم فقد أوقد لكم مصباح اليقين في حضرته، إذا طويتم بالطوى^(١٠) فقد طوي لكم بيداء قرب محبته، إذا أجاع بطونكم فكم^(١١) هيا لكم من موائد نعمته، إذا عريت أبدانكم وظهوركم^(١٢) فأطماركم طرز^(١٣) حلل السندس والاستبرق في جنته^(١٤)، إذا ملئكم^(١٥) أهل الدنيا فكم لكم من جولان بين الصفوف فكل يشفع في معرفته^(١٦)، إذا لم تتبع جنازكم فكم للملائكة عليها من أزدحام ومن أنس في بريته، إذا نسيكم الذاكرون فأنتم بعين من صبرتم على خدمته^(١٧)، فقد أمر تعالى^(١٨) المصطفى ﷺ وشرف وكرم^(١٩) أن يكون معكم ومن

(٢) في (م) و(ع): «الشهوات».

(١) في (م) و(ع): «هذا».

(٣) في (م) و(ع): «الإخلاص».

(٤) عبارة «وفرحته.. إلخ»، في (م) و(ع): «وَفُرَّجَتْه في فُرْجَتِهِ».

(٥) في (م) و(ع): «الصَّبْرُ».

(٦) قوله هذا إشارة إلى الحديث الموضوع الذي رواه أحمد بن داود، ونصه: «مفتاح الجنة المساكين والفقراء هم جلساء الله»، وأحمد بن داود بن عبد الغفار أبو صالح الحراني المصري كذبه الدارقطني وغيره، وقد ذكر ابن حبان في الضعفاء أحمد بن داود هذا فقال: وكان بالفسطاط يضع الحديث لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل التنبيه. ابن حجر، لسان الميزان، ١/١٦٨.

(٧) في (ع): «جلستك».

(٨) عبارة «الفقراء حلل»، في (م) و(ع): «الفقر حلة». (٩) في (م) و(ع): «حلية».

(١٠) في (ع): «بالمطوى». والمَطْوَى: الجوع، وقد طَوَّى يَطْوِي طَوًى وطوى نهاره جائعاً يطوي طَوًى. ابن منظور، اللسان، «طوى»، ٢٠/١٥.

(١١) في (م): «فقد».

(١٢) الطَّرْزُ: الشكل، يقال: هذا طرز هذا أي شكله. ابن منظور، اللسان، «طرز»، ٣٦٨/٥.

(١٤) عبارة «حلل.. إلخ»، في (م) و(ع): «حلل الاستبرق والسندس في رحمته».

(١٥) في (م) و(ع): «مقتكم».

(١٦) قوله هذا هو معنى الحديث المنكر الذي يرويه ابن عدي من حديث موسى بن محمد، ثنا أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمساكين دولة قيل: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم في الله لقمة وكساكم ثوباً أو سقاكم شربة ماء فأدخلوه الجنة». ابن عدي، الكامل، ٦/٢٣٤٦. قال ابن حجر: موسى بن محمد أحد التلقاء، وقال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه كان يضع الحديث. ابن حجر، لسان الميزان، ٦/١٢٧.

(١٧) في (م) و(ع) زيادة: «سيادتكم تظهر في المحشر وحرمتكم من حرمة».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «صلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

خالفكم فقد^(١) أخطأ، ﴿وَأَسِيرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْأَيْمَانِ وَيُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

عطاء بن السائب^(٢) رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٣) أن رسول الله ﷺ^(٤) لما زوج فاطمة بعث معها بخميلة^(٥) ووسادة من أديم^(٦) حشوها ليف، ورحاين^(٧) وسقاء وجرتين. فقال علي لفاطمة [١١٥ب] عليها السلام^(٨) ذات يوم: والله لقد أستقيت حتى أشتكيت صدري، وقد أتى^(٩) الله تعالى^(١٠) أباك بغيء^(١١) فأذهبي فأستخدميه^(١٢). فقالت: وأنا والله لقد^(١٣) طحنت حتى^(١٤) مجلت^(١٥) يداي. فأتت النبي ﷺ، فقال لها^(١٦) ﷺ^(١٧): ما جاء بك أي بنيتي؟^(١٨) فقالت^(١٩): جئت لأسلم عليك، وأستحييت^(٢٠)

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «عطاء بن المسيب»، والتصويب من مسند الإمام أحمد. وعطاء هو عطاء بن السائب بن مالك الثقفي، أبو السائب الكوفي، الإمام الحافظ محدث الكوفة، تابعي مشهور، حسن الحديث، توفي سنة ١٣٦هـ - ٧٥٣م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١٠/٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ١/١٩٤. والحديث رواه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب عليه السلام، رقم الحديث (٨٣٨/٢٧٧)، من حديث حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي عليه السلام، ورجاله كلهم ثقات، وحماد سمع من عطاء قبل اختلاطه، فسماعه منه صحيح على ما جاء في تهذيب التهذيب: ترجمة عطاء بن السائب ٧/٢٠٦. وبعضه في الصحيحين: البخاري، الصحيح، كتاب الخمس، باب الدليل على أن الخمس لنواب رسول الله ﷺ والمساكين وإيثار النبي ﷺ أهل الصفة والأرامل، رقم الحديث (٢١)، ١٨٦/٤. ومسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، رقم الحديث (٢٧٢٧/٨٠)، ٢٠٩١/٤.

(٣) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع). (٤) في (م) و(ع): «أن النبي».

(٥) الخميطة: القطيفة وهي كل ثوب له خمل والخمل ريش النعام. ابن منظور، اللسان، «خمل»، ٢٢٢، ٢٢١/١١.

(٦) في (م) و(ع): «أدم»، والأديم: الجلد ما كان. ابن منظور، اللسان، «أدم»، ٩/١٢.

(٧) الرّحى معروفة التي يطحن بها. ابن منظور، اللسان، «رحا»، ٣١٢/١٤.

(٨) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «جاء».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بسبي». والفيء ما رَدَّ الله تعالى على أهل دينه من أموال من خالف دينه، بلا قتال. ابن منظور، اللسان، «فيأ»، ١٢٦/١.

(١٢) استخدمه فأخذته: استوبه خادماً فأوبه له. ابن منظور، اللسان، «خدم»، ١٦٧/١٢.

(١٣) في (م) و(ع): «قد». (١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) مجلت يده: نفطت من العمل فمرنت وصلبت وثخن جلدھا وظھر فیھا ما یشبه البشر. ابن منظور، اللسان، «مجل»، ٦١٦/١١.

(١٦) في الأصل: «له»، والصواب ما أثبتناه، وهي ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «صلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «بنية».

(١٩) في (م) و(ع): «قالت». (٢٠) في (م) و(ع): «فأستحييت».

أن تسأله ورجعت، فقال لها علي عليه السلام: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: أستحييت أن أسأله^(٢)، فأتياه جميعاً، فقال علي^(٣): يا رسول الله، لقد أستقيت حتى أشتكيت صدري، وقالت فاطمة عليها السلام^(٤): لقد^(٥) طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاء الله بخير وسعة فأخدمنا، فقال النبي ﷺ^(٦): والله لا أعطيكم^(٧) وأدع أهل الصفة^(٨) تطوى بطونهم و^(٩) لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن^(١٠) أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا عليهما السلام^(١١)، فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما^(١٢) إذا غطيا رؤوسهما تكشفت^(١٣) أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما أنكشفت^(١٤) رؤوسهما، فأحشما من رسول الله ﷺ^(١٥)، فقال ﷺ^(١٦): مكانكما، ثم قال^(١٧): ألا أخبركما بخير مما سألتما؟ قالوا: بلى، قال: كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، فإذا آويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، وأحمدا [١١٦] ثلاثاً وثلاثين، وكبرا ثلاثاً وثلاثين^(١٨). قال علي عليه السلام^(١٩): ما^(٢٠) تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ، فقال له ابن الكواء^(٢١): ولا ليلة

(١) عبارة «فقال لها علي... إلخ»، في (م) و(ع): «فقال ما فعلت».

(٢) عبارة «أن أسأله» ساقطة في (م) و(ع). (٣) عبارة «فقال علي»، في (م) و(ع): «فقالا».

(٤) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (م) و(ع). (٥) في (م) و(ع): «قد».

(٦) عبارة «النبي ﷺ» ساقطة في (م) و(ع). (٧) في (م) و(ع): «أعطيكم».

(٨) الصُّفَّة: الظلة، وأهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه. ابن منظور، اللسان، «صف»، ١٩٥/٩.

(٩) الواو ساقطة من (م) و(ع). (١٠) في (م) و(ع): «ولكني».

(١١) عبارة «رضي الله عنهما» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) القطيفة: القُرْطُفَة وجمعها القُطائف، والقراطيف: فُرَش مُخَمَّلَة، والقطيفة: دِثَّار مُخَمَّل. ابن منظور، اللسان، «قطف»، ٢٨٦/٩.

(١٣) في الأصل: «انكشف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «تكشفت».

(١٥) عبارة «فأحشما... إلخ»، في (م) و(ع): «فتارا».

(١٦) عبارة «صلى الله عليه وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «ثم قال»، في (م) و(ع): «فقال».

(١٨) عبارة «وكبرا ثلاثاً وثلاثين» على ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التكبير والتسبيح عند المنام، رقم الحديث (١٤)، ١٢٦/٨، وهي في (م) و(ع): «وكبرا أربعاً وثلاثين» على ما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري أيضاً في صحيحه، كتاب الخمس، باب الدليل أن الخمس لنواب رسول الله ﷺ... إلخ، رقم الحديث (٢١)، ١٨٦/٤. ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح... إلخ، رقم الحديث ٢٧٢٧/٨٠، ٢٠٩١/٤.

(١٩) عبارة «رضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع). (٢٠) في (م) و(ع): «فوالله ما».

(٢١) هو عبد الله بن الكواء، وهو رجل من بني يشكر، من رؤوس الخوارج، قال البخاري: لم يصح حديثه، =

صفين^(١)، فقال له^(٢): قاتلكم الله يا أهل العراق، نعم^(٣) ولا ليلة صفين^(٤). وأنشد^(٥):

أَجِنَ إِلَى مَنْ بِالْعَقِيقِ دِيَارَهُ
وَأَقْسِمَ لَوْ قَاضَتْ عَلَى الْجَمْرِ أَدْمُعِي
لَقَدْ فَضَّلْتُ لَيْلِي عَلَى النَّاسِ كَالْتِي
سَاصِرٍ^(٩) لِلْأَيَّامِ حَتَّى يَسْرَنِي
وَقَدْ صِرْتُ لَا أَذْرِي إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا
تَنَفَّسْتُ لَمَّا هَاجَ شَوْقِي بِذِكْرِهَا
وَسَكَرَ^(١٠) الْهَوَى أَوْدَى^(١١) بَعْظَمِي وَمِفْصَلِي
سَلَامَ عَلَى مَنْ لَا أَمَلَ حَدِيثُهَا

حَيْنًا يُبْكِي الْوُزُقَ^(٥) فِي وَرَقِ السُّدْرِ^(٦)
لَأُظْفَأَ أذُنِي حَرَّهَا لَهَبُ^(٧) الْجَمْرِ
عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ^(٨)
بِهَا الدَّهْرُ أَوْ تَفَنَّى حَيَاتِي مَعَ الدَّهْرِ
كَمْ الشَّهْرُ مِنْ يَوْمٍ أَوْ الْحَوْلُ مِنْ شَهْرٍ
فَأَمْسَكْتُ مِنْ خَوْفِ الْحَرِيقِ عَلَى صَدْرِي
كَمَا سَكَنَ^(١٢) التَّدْمَانُ مِنْ عَاتِقِ الْخَمْرِ
وَلَوْ عِشْتُ طَوْلَ الدَّهْرِ عُمرًا إِلَى عُمرٍ

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي لا يخفى عليه شيء من مسموع أو منظور فهو يسمع يرى، رفع السماء على عمد القدرة فمن خفائها لا ترى، زينها بالنجوم فمنها دلائل لمن يحيد عن الطريق إذا سرى، ومنها رجوم للشياطين ترميه فترميه من حيث لا يرى، منها يهبط^(١٣) الأملاك والوحي بما في^(١٤) القلم جرى، بسط الأرض مهاداً لتمهيد الموجودات وقدر لهم فيها ما ترى^(١٥)، جعل الأيام رواحل أعمارهم لم [١١٦ب] يبق^(١٦) منها عيناً ولا أثراً، كم فرقت يد الحدثان^(١٧)

- = وله أخبار كثيرة مع علي، وكان يلزمه ويعينه في الأسئلة، وقد رجع عن مذهب الخوارج، وعاود صحبة علي. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤٧٤/٢. ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ٣٢٩/٣.
- (١) صفين موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من غربيها. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٨٤٦/٢.
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) كلمة «وأنشد»، في (م) و(ع): «شعر».
- (٥) الوزق جمع ورقاء وهي الحمامة. قال ابن دريد: جمل أورق وحمامة ورقاء والجميع وزق. ابن دريد، جمهرة اللغة، «رقو»، ٤١٠/٢.
- (٦) عبارة «في ورق السدر»، في الأصل: «في غصن السار»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «لهب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) البيت مقتبس من قصيدة لقيس بن ذريح. انظر: الأغاني للأصبهاني، ١٢٠/٨.
- (٩) في الأصل: «سافر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في الأصل: «وسكن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «ودي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «كما سكن»، في (م) و(ع): «إذا سكر».
- (١٣) في (م) و(ع): «تهبط».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م).
- (١٥) عبارة «ما ترى»، في (م) و(ع): «أثراً».
- (١٦) في (م) و(ع): «تبق».
- (١٧) في (م) و(ع): «الخذلان».

من أحباب ما تركت من أفقر ولا^(١) من أثرى، تساوا في ظلمة الأرماس فأصبحوا للعاشرين معتبراً، قيدت أعمالهم الحفظة كتاباً محققاً محبراً، لا يغادر^(٢) نفساً ولا يجاوز^(٣) لحظة ولا لفظة^(٤) نسخوها حروفاً وأسطراً، يدفن معك في قبرك^(٥) حقاً يقيناً بلا أمتري، فأهل البعد عن الله ألفوا الشهوات وسلكوا^(٦) سبيلاً وعراً، وأهل العناية تأتيتهم ملائكة البشرى بما تسمع في الحساب وما ترى^(٧)، فإذا كان في القيامة نودوا أين الذين أجروا عبراتهم من أعينهم^(٨) قطراً، وقد خلع عليهم حلة الرضوان وأجرى لهم من السلسبيل نهراً، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾^(٩)، فسبحان من أعجز عن إدراك ذاته عقولاً وفكراً، أحمدته تعالى^(١٠) حمد راض^(١١) عليه مسطراً^(١٢)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة، أستعدها إذا برق البصر لما يرى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي لم يزل في دين الله مجاهداً و^(١٣) مشمراً^(١٤)، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه^(١٥) صلاة يكون ثوابها مدخراً.

يا هذا من أشغل^(١٦) عن صلاحه أشغل، من جمعها فرقتها في القول والعمل، من وصلها قطعتة عن بلوغ الأمل، حديثها ضعيف ما عليه في شريعة الحق عمل، سماعه أحدىة لهو و^(١٧) يتولد عنه الكسل، ما أشد حسرة من ضيع عمره حتى غافسه الأجل، ويحك لمن تجمع ويحك لمن تبني [١١٧] ويحك لمن تعمل، ما أخسر من سافر إلى الآخرة بلا زاد وخلف^(١٨) ما جمع ولا يمهل^(١٩)، قدم لنفسك ما عليه تقدم فانت عما ملكته^(٢٠) ترحل، واعجبا^(٢١) حب الدنيا في قلبك راسخ وحب الآخرة قد^(٢٢) رحل، سفينة عزمك^(٢٣) تلعب بها أمواج الكبر فأوان الغرق قد حل، واعجبا^(٢٤) مرتعش القوى يحمل قوارير الأمل، ما أسرع كسرهما عند مُزاحمة الأجل، فأهل الزهد^(٢٥) في جنة الراحة آمنين، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ

-
- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في (م) و(ع): «تغادر».
(٣) عبارة «ولا لفظاً» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «وسلوكاً في تحصيلها».
(٥) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].
(٦) في (م) و(ع): «أشواقي».
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمّقها. ابن منظور، اللسان، «سطر»، ٣٦٤/٤.
(٩) (١٤) في (ع): «أشمرأ».
(١٠) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).
(١١) (١٦) في (م) و(ع): «شغل».
(١٢) (١٧) في (م) و(ع): «ويخلف».
(١٣) (٢٠) في (م) و(ع): «تركته».
(١٤) (٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٥) (٢٤) في (م) و(ع): «واعجبا».
(١٦) (٢٣) في (م) و(ع): «ضعفك».
(١٧) عبارة «فأهل الزهد» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

زَمَرًا حَقًّا إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَلِيدِينَ ﴿١﴾

أحمد بن علي الإخميمي رحمه الله تعالى قال^(١): «كنا ذات يوم^(٢) عند ذي النون، وقد ذكر كرامات الله ﷺ لأوليائه، فقال بعض من حَضَرَ: هل^(٣) رأيت منهم أحداً يا أبا الفيض؟ فقال: كان عندي فتى من أهل خراسان^(٤) عجمي^(٥)، بقي عندي في المجلس^(٦) سبعة أيام لم^(٧) يطعم الطعام، وكنت أعرض عليه^(٨)، فبينما^(٩) نحن جلوس ذات يوم إذ^(١٠) دخل سائل فسأل شيئاً، فقال له الخراساني: لو قصدت الله ﷺ^(١١) دون خلقه أغناك، فقال له^(١٢) السائل: مالي هذا المقام^(١٣). فقال له الخراساني: فأَيُّ شيء تريد؟ فقال^(١٤): ما يسد فاقتي، ويستر عورتني، فقام^(١٥) إلى المحراب وصلى ركعتين، ثم أتاه بثوب جديد، وطبق فاكهة، فأعطى السائل. قال ذو النون: فقلت له^(١٦): يا عبد الله لك هذا [١١٧ب] الجاه عند الله ﷺ^(١٧) ولك منذ سبعة أيام لم تطعم شيئاً^(١٨)، فجبنا على ركبته^(١٩) وقال: يا أبا الفيض كيف^(٢٠) تنبسط الألسن بالمسألة والقلوب ممتلئة بأنوار الرضا عنه تعالى^(٢١). قال ذو النون: فقلت له: فالرَّاضُونَ^(٢٢) لا يسألون؟ فقال: منهم من يسأل من باب الإدلال، ومنهم من يملؤه غنى به^(٢٣)، ومنهم من يستخرج المسألة منه عطفة على غيره، ثم أقيمت الصلاة، فصلى معنا العشاء الآخرة وأخذ ركوته وخرج من المسجد يريد الطهارة، فلم أره بعد ذلك». شعر^(٢٤):

أَقُولُ لِرَكْبٍ رَاحِلِينَ لَعَلَّكُمْ تَحِلُّونَ مِنْ بَغْدِي الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا

(١) في (م) و(ع): «قال أحمد بن علي الإخميمي». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٧٦/٤.

(٢) عبارة «ذات يوم»، في (م) و(ع): «يوماً». (٣) في (م) و(ع): «تعالى».

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) خراسان بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أَرَاذُورْد، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان. صفي الدين البغدادى، مراصد الاطلاع، ٤٥٥/١.

(٦) في (م) و(ع): «أعجمي». (٧) في (م) و(ع): «المسجد».

(٨) في (م) و(ع): «لا». (٩) في (م) و(ع) زيادة: «الطعام فيأبى».

(١٠) في (م) و(ع): «فبينما».

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «المكان».

(١٥) في (م) و(ع): «قال». (١٦) في (م) و(ع): «فقام الخراساني».

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «لم تطعم شيئاً»، في (م) و(ع): «لا تطعم الطعام».

(٢٠) في (م) و(ع): «ركبته». (٢١) في (م) و(ع): «كيف لا».

(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٢٣) في (م): «الراضون».

(٢٤) عبارة «من يملؤه غنى به»، في الأصل: «من يجعله في عيانة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضي، انظر الديوان، ٥٧٠/٢.

خُذُوا نَظْرَةً مِنِّي وَلَا تَقُوا بِهَا الْحِمَى
وَمُرُوا عَلَى أَيْمَانٍ حَيٍّ بِرَامَةٍ
عَدِمْتُ فَوَادِي بِالْعِرَاقِ^(٣) فَرِيبًا
وَقُولُوا لِنَجْرَانِي^(٤) عَلَى الْخَيْفِ مِنْ مِنَى
وَمَنْ حَلَّ ذَاكَ الرَّبْعَ بَعْدِي وَرَاشَقْتُ
وَمَنْ وَرَدَ الْمَاءَ الَّذِي كُنْتُ وَارِدًا
فَوَأَسَفِي كَمْ لِي عَلَى الْخَيْفِ وَفَقَّةً^(٥)
فِيَا رُبَّعَ إِنْ أَلْبَسْتَنِي السَّقَمَ وَالضَّنَى
وَيَا قُرْبَ مَا أَنْكَرْتُمْ الْعَهْدَ بَيْنَنَا
أَنْتِمْ^(٦) تَسْلِمُنَا لَيْلَةَ النَّقَا
وَمِنْ جَلْدِي لَا أَسْأَلُ^(٧) الرُّكْبَ عَنْهُمْ^(٨)
وَمَنْ يَسْأَلِ الرُّكْبَانَ عَنْ كُلِّ غَائِبٍ

وَنَجْرًا^(٩) وَكُفْبَانَ اللَّوَى وَالْمَطَالِيَا^(١٠)
وَقُولُوا لَدَيْغٍ يَبْتَغِي الْيَوْمَ رَاقِبًا
وَجَدْتُمْ بَنَجْدَ لِي طَبِيبًا مُدَاوِيَا
تُرَاكُمُ^(١١) مَنْ أَسْتَبْدَلْتُمْ بِجَوَارِيَا^(١٢)
لَوَاحِظُهُ تِلْكَ الطُّبَاءُ الْجَوَالِيَا^(١٣)
بِهِ وَرَعَى الْعَشِيبَ الَّذِي كُنْتُ رَاعِيَا
تَذُوبٌ عَلَيْهَا قِطْعَةٌ مِنْ فَوَادِيَا
فَلِإِنِّي سَأَلْتُكُمْ الدُّمُوعَ الْجَوَارِيَا
نَسِيتُمْ وَمَا أَسْتَوْدَعْتُمْ^(١٤) الشَّرَّ نَاسِيَا
وَمَوْقِفَ رَمِي لِلْجِمَارِ لِيَالِيَا [١١٨]
وَأَغْلَاقُ^(١٥) وَجِدِي بَاقِيَاتٍ كَمَا هِيََا
فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى بَشِيرًا وَنَاعِيَا
[بحر الطويل]

يا هذا أوَّل قَتِيلٍ فِي الْقِتَالِ الْجَبَانَ وَيَسْلُمُ الشَّجَاعَ، مِيدَانُ الْمَجَاهِدَةِ فِيهِ ضَيْقٌ وَحِيَاةٌ
وَسِبَاعٌ، رَافِقٌ رِفَاقُ التَّائِبِينَ وَأَبْكُ التَّخْلَفَ وَالْإِنْقِطَاعَ، أَجْهَدُ نَفْسَكَ فِي سَوْرَةِ^(١٤) الدَّجَى عَلَى
رَاحِلَةِ التَّهْجِدِ فِي بَاعِهَا أَتَسَاعُ، خَفَفَ عَنْهَا ثِقَلُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّهَا تَتَلَذَّذُ بِطِيبِ السَّمَاعِ،
فَإِذَا حَلَلْتَ^(١٥) مَنَزَلَ السَّحَرِ فَأَرْحَحُهَا بَعْدَ الْإِسْتِغْفَارِ تَذْهَبُ عَنْهَا الْأَوْجَاعُ، لَا تَوْرِدُهَا نَهْرٌ

- (١) فِي (م) وَ(ع): «وَنَجْرًا». وَنَجْرٌ عَلَمٌ لَأَرْضِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. صَفِي الدِّينِ الْبَغْدَادِي، مَرَاوِدُ الْإِطْلَاعِ، ١٣٦٠/٣.
- (٢) الْمَطَالِي: مَوْضِعُ بَنَجْرَانَ. وَقِيلَ: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مِنْ بِلَادِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ كَلَابٍ. صَفِي الدِّينِ الْبَغْدَادِي، مَرَاوِدُ الْإِطْلَاعِ، ١٢٨٣/٣.
- (٣) فِي (م) وَ(ع): «عَدِمْتُ دَوَايَ بِالْعَقِيقِ».
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «الْجِيرَانِي».
- (٥) فِي الْأَصْلِ: «مَتَى يَرَاكُمُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٦) فِي الْأَصْلِ: «جَوَارِيَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٧) فِي (م) وَ(ع): «الْحَوَارِيَا».
- (٨) فِي (م) وَ(ع): «شَهَقَةً».
- (٩) عِبَارَةٌ «وَمَا اسْتَوْدَعْتُمْ»، فِي الْأَصْلِ: «يَسْتَوْدَعُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٠) فِي (م) وَ(ع): «أَأَنْكَرْتُمُو».
- (١١) فِي الْأَصْلِ: «سَلِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٢) فِي (م) وَ(ع): «عَنْكُمْ».
- (١٣) الْعِلْقَى: النَّفِيسُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، جَمْعُهُ: أَعْلَاقٌ وَعُلُوقٌ، وَعِلْقٌ عِلْمٌ، أَيُّ يُجِبُّهُ وَيَتَّبِعُهُ. الْفَيَرُوزِآبَادِي، الْقَامُوسُ، «عِلْقٌ»، ص ١١٧٦.
- (١٤) فِي (م) وَ(ع): «سُرُوءَ». وَسُرُوءُ الْخَمْرِ وَغَيْرُهَا: حَدَّثَتْهَا. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «سُورٌ»، ٣٨٤/٤.
- (١٥) فِي (م) وَ(ع): «حَلَّتْ».

الشهوات فليس في مائه أنتفاع، الدنيا بحر^(١) طالوت من أكثر من^(٢) شربه عطش أو^(٣) جاع، ومن أغترف بيد الزهد غرفة للقت^(٤) أسرع في الإسراع، يا داوود التوبة أضرب جالوت الهوى بحجر المخالفة في الإقلاع، فإذا مات وقعت الهزيمة في جنود^(٥) الشهوات بالاسترجاع^(٦)، فبادروا إخواني رفاق الثائبين فإنها من الفائزين^(٧)، ﴿وَسَيَقُ الَذِينَ اتَّقَوْا رَحْمَةً إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقًّا إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

محمد بن رافع رحمه الله تعالى قال^(٨): أقبلت من بعض بلاد الشام، فبينما^(٩) أنا في بعض الطريق إذ^(١٠) رأيت فتى عليه جبة صوف^(١١) وبيده ركوة، فقلت: أين تريد؟ فقال^(١٢): لا أدري. فقلت: من^(١٣) أين جئت؟ فقال^(١٤): لا أدري [١١٨ب] فظننته موسوساً، فقلت له^(١٥): من خلقت؟ فأصفر وجهه حتى خلته صبغ بالزعفران، فقال: خلقتني من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. فقلت: رحمك الله أنا من إخوانك وممن يأنس بالصالحين^(١٦) أمثالك فلا تنقبض عني. قال: فكيف وأنا والله إني^(١٧) أود لو جاز لي ترك الجماعات^(١٨)

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «للقوت».

(١) في (م) و(ع): «نهر».

(٣) في (م) و(ع): «و».

(٥) في (م) و(ع): «جند».

(٦) وقوله هذا إشارة إلى ما كان بين داود وطالوت وبين من خالفهم من بني إسرائيل جنود جالوت، قال تعالى: ﴿قَلْنَا فَصَلْ طَالُوتَ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ مَبْتَلِكُمْ يَهْكِزُ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً يَخُوضُ فَخَرُّوا وَنَهَى الَذِينَ يَتْلُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهُ كَمَ مِنْ فَتْرٍ قَلِيلَةٍ عَلَيَّتْ مِنْهُ كَثِيرَةٌ يَأِذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦﴾ وَلَمَّا بَرَرُوا لِبَالُوتَ وَخُوضُوا قَالُوا رَيْسَا أُنْجِ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكُنْتَ أَقْدَمًا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٧﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَأِذِبُ اللَّهُ وَقَتْلَ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَكَا يَسْكَا وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِمَنْهُمْ يَبْغِضُ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَكِينِ﴾ [البقرة: ٢٤٩ إلى ٢٥١].

(٧) عبارة «فإنها من الفائزين» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «عن محمد بن رافع قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٢٦. ومحمد: هو محمد بن رافع بن أبي زيد سابور، الإمام الحافظ الحجة القدوة، بقية الأعلام، أبو عبد الله القشيري مولاهم النيسابوري، شيخ عصره بخراسان في الصدق والرحلة، توفي سنة ٢٤٥هـ - ٨٥٩م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ، ص ٤٣٠. وسير أعلام النبلاء، ١٢/٢١٤.

(٩) في (م) و(ع): «فبينما».

(١٢) في (م) و(ع): «قال».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «قال».

(١٣) عبارة «قلت من»، في (م) و(ع): «قلت فمن».

(١٦) في (م) و(ع): «إلى الصالحين».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «الجماعة».

(١٧) في (م) و(ع): «وكيف لا، إني والله».

حتى أنفرد في شاهق الجبل^(١) منيف^(٢) صعب المرتقى، أو في غارٍ موحش لعلني أجد في نفسي ساعة أسلو^(٣) عن الدنيا وأهلها، فقلت: وما جنت عليك حتى أستحقت هذا البغض منك؟ قال: جنايتها العمى عن جنائتها^(٤). فقلت: هل من دواءٍ أعالج به هذا^(٥) العمى الذي قد حجب عني^(٦) ما يراد بي؟ قال: ما أراك تقدر على العلاج، فأستعمل من الدواء أيسره. فقلت: صِف لي دواءً لطيفاً. قال: فما داؤك؟ قلت: حب الدنيا، فتبسم وقال: و^(٧)أي قرحة أعظم من هذه^(٨)؟ ولكن أشرب السموم الطرية، والمكارة الصعبة، قلت: ثم ماذا^(٩)؟ قال: الزم^(١٠) من الصبر الذي لا تجزع^(١١) فيه، والتعب الذي لا راحة فيه^(١٢)، قلت: ثم ماذا^(١٣)؟ قال: الوحشة التي لا أنس فيها، والفرقة التي لا أجتمع معها. قلت: ثم ماذا؟ قال: السلو عما تريد، والصبر عما تحب، فإن أردت فأستعمل هذا وإلا فتأخر، وأحذر الفتن فإنها كقطع^(١٤) الليل المظلم، قلت: فدلني على عمل يقربني إلى الله ﷻ^(١٥)، قال: يا أخي، قد نظرت في جميع العبادات فما وجدت أنفع^(١٦) [١١٩] من الفرار من الناس وترك مخالطتهم، يا أخي رأيت القلب^(١٧) عشرة أجزاء: تسعة^(١٨) مع الناس، وجزء مع الدنيا، فمن قوي على الانفراد^(١٩) حاز تسعة أجزاء^(٢٠) من القلب، ثم غاب عني فلم أره. شعر:

سَأُبْكِي عَلَيْكُمْ بِالذُّمِّوعِ تَأْسُفًا وَأَنْدُبُ أَيَّاماً بِوَضْلِي تَقَضَّتْ
فَلَهْفِي عَلَى رُبِّعٍ خَلَا مِنْ أَنْيْسِهِ وَصَاحَ بِهِ دَاعِي الْفِرَاقِ الْمُشْتَّتْ
وَدَارَ لَنَا بِالرَّقَمَتَيْنِ عَهْدُهَا بِهَا كَانَ^(٢١) أَحْبَابِي وَأَهْلُ مَوْدَّتِي
أَطُوفُ بِهَا طُوفَ الْحَجَّاجِ بِمَكَّةَ وَأَسْعَى بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ^(٢٢) وَلَيْلَةٍ

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) ناف الشيء نوفاً، ارتفع وأشرف، ويقال لكل مشرف على غيره: إنه لمُنِيف. ابن منظور، اللسان، «نوف»، ٣٤٢/٩.

(٣) في الأصل: «نسال»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) في (م) و(ع): «جناياتها العمى عن جنائياتها».

(٥) في (م) و(ع): «من هذا».

(٦) في الأصل: «عيني»، والتصويب من (م) و(ع). (٧) الواو ساقطة من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من هذه» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) عبارة «ثم ماذا»، في (م): «بماذا».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «جزع».

(١٢) في (م) و(ع): «ثم قال ماذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «قطعة»، والتصويب من (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «تعالى».

(١٥) في الأصل: «نفعاً»، والتصويب من (م) و(ع). (١٦) في (م) و(ع): «الخلق».

(١٧) في (م) و(ع): «فتسعة».

(١٨) في (م) و(ع): «أشياء».

(١٩) في (م) و(ع): «وأسعى إليها طول يومي».

وَبِي^(١) زَفَرَاتٍ بِالْغَرَامِ تَأَجَّجَتْ
سَأَطَرَحَ نَفْسِي فِي الْخِيَامِ لَعَلَّنِي
فَيَا مَغْشَرَ الْعُشَّاقِ رُقُوا لِمَذْنَفِ

بِهَا فِي فُؤَادِي نَارَ شَوْقٍ تَلْظَتِ
تَجُودُ عُيُونِي جَارِيَاتٍ بِعَبْرَتِي
غَرِيبَ بُلِي بِالشَّوْقِ^(٢) فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
[بحر الطويل]

حلة كلامي ديباج بلاغة، رقت بأنامل الفصاحة، فيها من بدائع صنوف المعاني، نساج فكري^(٣) ينسج على منوال العلم حلة المعارف، نسجها^(٤) صانع العبارة بأعتدال الترتيب فإذا ظهرت في سوق الأسماع على يد دلال اللسان^(٥) بادر العارفون لتقليب ثقله^(٦) ومقداره وحده، فإذا ثوب البيان نسيج وحده، كم من^(٧) غائص يرفع الدر ولا كاليتيمة، من قنع بالساحل كفاء جمع^(٨) الصدف، فإذا صادف صدفة فما حصل على طائل، يا أرباب المعاملات عليكم بسوق^(٩) الفهم فما يباع فيه^(١٠) إلا الرفيع، [١١٩ب] لولا الحاسد لزدت سلوكا في السلوك تقصر^(١١) الأفهام عن أثمانها، وما يعرض في الأسواق إلا ما يعرف ثمنه، وفي الأسفاط نفائس الذخائر، وما يطلع عليها إلا كابر بعد كابر^(١٢).

إلهي خصنا بالفهم عنك، أسمعنا نداء القرب^(١٣) بأسماع الفهم، أفتح لنا من لطفك^(١٤) فهم اللطائف عنك، أجعل ملاذنا بملاذ جودك، خصنا بخاصية الخواص، أرحمنا برحمتك التي سابق بها السابقون فسبقوا^(١٥) برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وآله وأصحابه وأزواجه وسلم^(١٦).

-
- (١) في (م) و(ع): «ولي».
 - (٢) في (م) و(ع): «بالعشق».
 - (٣) في (م) و(ع): «فكرتي».
 - (٤) في (م) و(ع): «ثم يلحمها».
 - (٥) الكلمة بياض في الأصل، وهي من (م) و(ع).
 - (٦) في (م) و(ع): «ثقله».
 - (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 - (٨) في الأصل: «جميع»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٩) عبارة «عليكم بسوق»، في (م) و(ع): «احضروا سوق».
 - (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 - (١١) في (م) و(ع): «تقصر أكثر».
 - (١٢) في الأصل: «الأكابر»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (١٣) في (م) و(ع): «الوجود».
 - (١٤) في (م) و(ع): «من لطائف لطفك».
 - (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 - (١٦) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الخامس عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي كتب سطور القضاء بحروف خفيت عن مدارك العيون، علم صبيان العقول في مدرسة^(١) الإيجاد أن أمره بين^(٢) الكاف والنون، أنطق السنة أفعاله بالدلالة عليه لأنه يقول لها كن فيكون^(٣)، دبرها بما شاء كيف شاء^(٤) في الحركات والسكون، رتب المسببات على الأسباب ترتيباً لا يفهمه إلا العارفون^(٥)، ربط نواصي الخلائق بسلسلة^(٦) بها يتحركون، فالكل لعب خيال على بساط البسيطة لا يعلمون بماذا يُحركون^(٧)، المحرك لهم سواهم والمتكلم عنهم غيرهم وهم لا يشعرون، نغم أحبابه بالفهم عنه فهم بمفهومهم يتنعمون^(٨)، وأبعد أهل الحرمان عن بابه فهم في تيه الغفلة [١٢٠] يلعبون، كم تمر عليهم آيات العبر وهم لا يعتبرون، كم ناداهم المشيب بالرحلة لكنهم لا يسمعون، غرهم الإمهال حتى ظنوا أنهم يهملون، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^(٩).

إخواني^(١٠) غضوا أبصاركم عن الشهوات فالمراقبة^(١١) بالمرصاد، قيدوا خطاكم عن الخطايا فكم عليكم من أرصاد، جوارحك تشهد عليك ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١٢)، أجمعوا سهام الغيبة عن أغراض الأعراض فمستوفي الحساب نقاد، رُبَّ رمية أصابت الرامي فأصابت منه الفؤاد^(١٣)، كم نظرة أذهبت نظارة وكم كلمة خرجت فخرقت الأكباد^(١٤)، كم تحقر صغار

(١) في الأصل: «مدرسة»، والتصويب من (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «في معنى».

(٣) في (م) و(ع): «فتكون». (٤) في (م) و(ع): «كيف شاء بما شاء».

(٥) في (م) و(ع): «العالمون». والمعنى أن الله ﷻ رتب مجريات الأمور على حسب ما خلق لها من أسباب، فلكل مسبب سبب يفسره، وسبب الأسباب هو الله تعالى، ومخلوقاته تدل على ذاته العلية وعظيم قدرته التي لا تحدّها حدود.

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) عبارة «فالكل لعب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) عبارة «بمفهومهم يتنعمون»، في (م) و(ع): «بأفهامهم يتمتعون».

(٩) سورة الزخرف، آية ٨٠. (١٠) في (م) و(ع): «معشر السالكين».

(١١) في (م) و(ع): «فالمراقب».

(١٢) قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة غافر، آية ٥١. والمعنى يوم القيامة، وواحد الأشهاد شاهد، والأشهاد أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح. ابن الجوزي، زاد المسير، ٢٣٠/٧.

(١٣) عبارة «رب رمية.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) عبارة «خرجت فخرقت الأكباد»، في (م) و(ع): «حرق أكباد».

الذنوب وعليها حفظة وأشهداد، جواد معاملتك كثير العثار يخلفك عن الأنجاد، بصيرتك^(١) فيها رمد وجدّ وجدك على^(٢) الجد ما جاد، كم يطلب اللحوق بالساقه من أنقطع عن طريق التوبة^(٣) وحاد، يا معشر المذنبين^(٤) كم تحضرون مأتم الأحزان وما أفاد، أعلمت^(٥) بأي وسيلة صار المرید مراد، كان أمهلهم^(٦) أقصر من النفس^(٧) وباعوا النوم بالشهاد، تصاعد أنفاسهم أرق من نسيم الصبا أو كاد، عيونهم جارية بالعيون وأنسوا^(٨) بالانفراد، روض رياضهم^(٩) زاهر بالمعاملة فهم بين واردات وأوراد، همهم همومهم وسوق شوقهم قائم^(١٠) بالاجتهاد، راقبوا مولاهم^(١١) في خواطر [١٢٠ب] النفوس ولحظات العيون، **﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾**.

قال بعضهم^(١٢): سمعت ذا النون المصري رحمه الله تعالى يقول: بينما أنا أسير في البادية إذ رأيت امرأة متعبدة^(١٣)، فلما دنت مني سلمت عليّ، فرددت عليها السلام، فقالت: من أين أقبلت؟ فقلت: من عند حكيم لا يوجد مثله، فصاحت وقالت: ويحك^(١٤) كيف فارقتك وهو أنيس الغُرباء، فأوجعت قلبي بكلامها، فبكيتُ. فقالت لي: مم^(١٥) أبكيت^(١٦)؟ قلت: والصادق لا يبكي؟ قالت: لا^(١٧)، لأن البكاء راحةً للقلب^(١٨)، وهذا نقص عند ذوي العقول يا بطال، قلت: علميني شيئاً^(١٩) ينفعني الله به. قالت: ويحك ما^(٢٠) أفادك الحكيم ما تستغني به عن طلب الزوائد^(٢١)؟ فقلت: إن رأيت أن تعلميني فعلت. قالت: أخدم مولاك شوقاً إلى لقائه فإنّ له تعالى^(٢٢) يوماً يتجلى فيه لأولياؤه^(٢٣)، وإنه تعالى سقاهم في الدنيا كأساً لا

-
- (١) في (م) و(ع): «بصر بصيرتك».
- (٢) في (م) و(ع): «الحق».
- (٣) عبارة «يا معشر المذنبين»، في (م) و(ع): «معشر التائبين».
- (٤) في الأصل: «علمت»، وهي من (م) و(ع).
- (٥) في الأصل: «أمهلهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) عبارة «من النفس»، في الأصل: «بالنفس»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) عبارة «بالعيون وأنسوا»، في (م) و(ع): «كالعيون أنسوا».
- (٨) في (م) و(ع): «رياضتهم».
- (٩) في الأصل: «قائمة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في الأصل: «قائمة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «مولاهم فهم».
- (١٢) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٣٤١/٩. وابن الجوزي في الصفة، ٤٢٧/٤.
- (١٣) في (م) و(ع): «بينما أنا سائر رأيت امرأة في البادية متعبدة».
- (١٤) في (م) و(ع): «ويلك».
- (١٥) في الأصل: «ممن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «بكيت».
- (١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «القلب».
- (١٩) في (م) و(ع): «مما».
- (٢٠) في (م) و(ع): «أما».
- (٢١) في (م) و(ع): «الزيادة».
- (٢٢) في (م) و(ع): «الزيادة».
- (٢٣) عبارة «يتجلى.. إلخ»، في (م) و(ع): «يتجلى إلى أولياؤه».

يظماون^(١) بعدها أبداً. ثم أقبلت تبكي وتقول: سيدي إلى متى تدعني في دار لا أجد فيها من يساعدي على بلائي، ثم مضت وتركتني رحمة الله عليها^(٢). شعر^(٣):

نَمَّ النَّسِيمُ^(٤) بِذِكْرِ سَاكِتَةِ الْحِمَى
أَرَجَ الطَّرِيقَ بِعَرَفِهِ فَعَرَفْتُهُ
يَا نَسَمَةَ الرِّيحِ الْقَبُولِ تَنْسَمِي
هَبْنِي أَهْبُ^(٥) لَكَ مُقْلَةً فَرُطُ^(٦) الْهَوَى
أَتَظُنُّ فِي تَرْكِ^(٧) الْغَرَامِ تَنَاسِيًا
وَحَيَاةَ مَنْ أَسَرَ الْفُؤَادَ وَكُلَّمَا
لَمْ أُجْرَ فِي مَيْدَانِ سُلُوفَانِ^(٨) الْهَوَى
يَا عَاذِلِي قَدْ عَادَ لِي^(٩) مَا كَانَ مِنْ
دَغْنِي أَبَدُّ فِي مَدَامِعِ^(١٠) صَبَوْتِي
وَأَشِيمُ^(١١) بَرَقَ الْأَبْرَقِينَ مِنَ الْحَمَى^(١٢)
وَأُرُودُ قَلْبًا^(١٣) بِالْعَقِيقِ تَرَكْتُهُ
وَأُحُولُ^(١٤) حَوْلَ الْحَيِّ شَوْقًا^(١٥) إِنَّهُ

أَهْلًا بِذِيَاكَ النَّسِيمِ وَمَرْحَبًا
وَعَدَا يُجَانِبُنِي السَّرُورَ بِمَا حَبَا^(١٦)
كَيْمَا أَقْبَلَ مِنْكَ تُغَرًّا أَشْنَبَا
وَجَدًا^(١٧) عَلَيْهَا أَنْ تَجُودَ وَأَوْجَبَا
فَأَعَدْتُ لِي عَهْدَ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا [١٢١]
أَبْدَى لَهُ وَصَبَا يَذُوبُ بِهِ^(١٨) صَبَا
يَوْمًا جَوَادَ تَفَكُّرِي إِلَّا كَبَا
وَجَدًا^(١٩) الصَّبَابَةِ وَالْكَابَةِ قَدْ خَبَا
دَمْعَ الْعُيُونِ مُفَضَّضًا وَمُذْهَبَا
لَهْبًا^(٢٠) وَإِنْ أَدْكَى الْفُؤَادَ تَلْهَبًا
قَدْ عَقَّنِي وَأَبَى وَكُنْتُ لَهُ أَبَا
لَا رَيْبَ فِي وَجْدِي بِهَاتِيكَ الرَّبَّى

- (١) عبارة «كأساً.. إلخ»، في (م) و(ع): «من محبته كأساً لا يضحون».
- (٢) عبارة «وتركتني.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «نسيم»، وهو تصحيف. (٥) في (م) و(ع): «جنى».
- (٦) عبارة «هبني أهب»، في (م): «هي أصحب»، وفي (ع) «هي أحب»، وهو تصحيف.
- (٧) في (م) و(ع): «فرض».
- (٨) وجد على الأمر: أكرهه. الفيروزآبادي، القاموس، «وجد»، ص ٤١٤.
- (٩) عبارة «أتظن في ترك»، في (م) و(ع): «أتراك أدراك».
- (١٠) في الأصل: «لما»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في (م) و(ع): «بستان».
- (١٢) عبارة «قد عاد لي» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٣) في (م) و(ع): «وهج».
- (١٤) عبارة «أبدد في مدامع»، في (م) و(ع): «أجدد في مذاهب».
- (١٥) في الأصل: «وأشير»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «برق.. إلخ»، في (م) و(ع): «برق الأفق من نحو الحمى».
- (١٧) في (م) و(ع): «وهنا».
- (١٨) عبارة «وأرود قلباً»، في (ع): «وأرود ذا قلب»، وهو تصحيف. والرود مصدر فعل الرائد، والرائد: الذي يُرسل في التماس التُّجعة وطلب الكلا، وراد الكلا يروده أي طلبه. ابن منظور، اللسان، «رود»، ١٨٧/٣.
- (١٩) في (م) و(ع): «وأحوم». وحال الشخص إذا تحرك، وقد حال يحول، ويقال: إنه ليحول أي يجيء ويذهب. ابن منظور، اللسان، «حول»، ١٨٩/١١، ١٩٤.
- (٢٠) في الأصل: «حيا»، وهي من (م) و(ع).

لِلَّهِ أَيَّامًا خَلَتْ لَمَّا خَلَتْ مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَدَيَّ وَأَظْيَبَا^(١)
 أَيَّامَ غُضُنْ شَيْبَتِي غَضُّ الْجَنَى بِرَضَى الْحَبِيبِ وَضِدَهُ أَنْ يَغْضَبَا
 [بحر الكامل]

إخواني وصل المجدون ورجعنا، و^(٢) وصل الواصلون وقطعنا، منحوا اللطائف ومنعنا،
 نجوا من مهالك الشهوات ووقعنا، نالوا من محبوبهم المنى وحرمنا، لازموا الباب حتى دخلوا
 وطرردنا، بلغوا منزل الأمن^(٣) في الطريق وسلبنا، قربوا فتقربوا وأبعدنا فأبعدنا^(٤)، يا عبد
 السوء إلى أين تبعد^(٥) عنا، كم تعصي ونستر كم تطفئ ونرزق أما تستحي منا، يا عبدي أذكر
 لطفي بك في الأمعاء^(٦) إذ صورتك من نطفة^(٧) تمنى، سخرت لك الوجود حساً ومعنى،
 جعلت لك قلباً وشققت لك عيناً وفتحت لك أذنًا، صرفتك في الأكوان ووهبت لك^(٨) مني
 إذنًا، خَوَّلْتُكَ مني^(٩) ظاهراً وباطناً، [١٢١ب] تَوَجَّهْتُك بتاج أحسن التقويم^(١٠) والأمالك لخدمتك
 سخرنا، و^(١١) منهم من أستخدمناه في^(١٢) الدعاء لك^(١٣) أما^(١٤) أحسنًا، اخترنا لك الباقي
 فتركته وأخذت ما يفنى، ترخي الأستار على المعاصي وهل شيء يسترك منا، كم أناديك في
 الأسحار والنوم يشغلك عنا، لو بكيت بعد الدموع الدم^(١٥) كان قليلاً على^(١٦) ما فاتك منا،
 ويحك إذا لم يطب عيشك بي فأبي عيش لك^(١٧) بغيري يهنا، ضيعت الصبا والشباب
 والاكتهال وفي الكبير مُعْنَى، بأي وجه تلقاني وتخالف أمري وليس لك غنى عنا^(١٨)، أنا أرحم

- (١) عبارة «أحسنها.. إلخ»، في (م) و(ع): «أطيبها لدي وأعذبا».
- (٢) الواو ساقطة من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «الأمان».
- (٤) في (م) و(ع): «أبعدنا».
- (٥) في (م) و(ع): «تدبر».
- (٦) في (م) و(ع): «البعي».
- (٧) في (م) و(ع): «مني».
- (٨) عبارة «وهبت لك»، في (م) و(ع): «وهبتك». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ فِيهِ فُجَارُهُمْ وَلِيُنْجِيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ وَلِكَلَّا تَشْكُرُوا﴾ [٧] وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الجاثية: ١٢ - ١٣].
- (٩) في (م) و(ع): «بعيني».
- (١٠) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].
- (١١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «وفي»، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُخَيِّطُونَ لَهُمْ يَوْمَ يَخْمَدُ رَبُّهُمْ وَيُوَفِّيهِمْ بِدَعْوَتِهِمْ وَسَتَقْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ أَمْثَلًا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُخَيِّطُونَ لَهُمْ يَوْمَ يَخْمَدُ رَبُّهُمْ وَسَتَقْبِرُونَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ آثَامٌ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُقَوِّرُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: ٥].
- (١٤) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «بالدم».
- (١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٨) عبارة «غنى عنا»، في الأصل: «غنى»، وفي (م): «عني غنى»، وهي من (ع).

بك منك ألا ترى أنك إذا دعوت أجبتاً^(١)، إذا رحت عن بابي^(٢) فإلى^(٣) باب من تقصد ومن يلي دعوتك إذا نحن غضبنا، يا^(٤) معشر المذنبين تعالوا نجدد توبة قبل حلول المنون ونفني، هذا أوان الصلح فبادروا قبل أن ترحلون^(٥)، ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلْ وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾.

عبد الله بن ميمون رحمه الله تعالى قال^(٦): «سمعت ذا النون المصري عليه السلام يقول: كنت في تيه بني إسرائيل^(٨) ومعني صاحب لي، فرأيت امرأة عليها مدرعة من شعر، وخمار من^(٩) صوف، وفي يدها عكاز من جريد النخل^(١٠)، فقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقالت: وعليك السلام، ما للرجال وخطاب النساء عافاك الله! فقلت: أخوك ذو النون المصري. فقالت: مرحباً، حيّاك الله بالسلام. قلت: ما^(١١) تصنعين هاهنا؟ قالت: كلما أتيت بلداً يعصى فيه الحبيب^(١٢) [١٢٢] ضاق عليّ ذلك البلد، فأنا أطلب بقعة طاهرة آخر عليها ساجدة وأناجيه^(١٣) بقلب قد ذاب من شدة الشوق إلى لقائه. قلت: ما سمعت أحداً يذكر الحبيب بأحسن^(١٤) من ذكرك فأني شيء المحبة؟ فقالت^(١٥): سبحان الله وأنت الحكيم الواعظ وتسالني أدلك على المحبة^(١٦)! أهل المحبة^(١٧) تعبت أجسادهم على الكد حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفاء جرعههم من محبته لذيذ الكؤوس». شعر:

يَا أَهْلَ نَجْدٍ وَجُودِي بَغْدُكُم عَدَمٌ عُمَرُ يَرْوَحُ^(١٨) وَعَيْنُ كُلِّ نَدَمٍ

(١) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿أَتَنْبِئُ الْمُظْطَرِّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

(٢) في الأصل: «بابه»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «فيا».

(٥) عبارة «أن ترحلون»، في (م) و(ع): «أن تروا ترحلون».

(٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٢٩. وعبد الله هو عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث، ويقال: عبد الله بن محمد بن ميمون، أبو الحواري التغلبي الغطفاني، والد أحمد بن أبي الحواري الزاهد، كان من الزهاد أيضاً. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨٥/١٤.

(٧) عبارة «المصري.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) التيه هو الموضع الذي ضل فيه موسى ج وبنو إسرائيل، أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام. صفى الدين البغدادى، مراصد الاطلاع، ٢٨٨/١.

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «كلما أتيت إلى بلد يعصى الله تعالى فيه»، إلا أنه في (ع) كلمة «تعالى» ساقطة.

(١٣) كلمة «وأناجيه» ساقطة في (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع): «أحسن».

(١٥) في (م) و(ع): «قالت». (١٦) عبارة «أدلك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «أهل المحبة» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «يلزم».

يَنْتُمْ وَخَلَفْتُمُونِي^(١) بَعْدَ بُعْدِكُمْ
يَنْتُمْ فَلَا أَنْتُمْ نَحْوِي فَأَنْظُرْكُمْ
وَأَقْسَمْتُ مُقْلَتِي لَا مَسَّهَا وَسَنُ
لِي عَبْرَتِي وَلِغَيْرِي صَفْوُ وَضَلِكُمْ
آثَارَكُمْ فِي ثَرَاكُمْ أَثَرْتُ حُرْقًا
أَطُوفُ فِيهَا وَأَسْتَخْلِي حَدِيثَكُمْ
مَا أَنْصَفَ الْبَرُّ لِمَا شِمْتُ بَارِقَهُ

مُسْتَسْلِمًا لِلْأَسَى وَالصَّبْرُ مُنْصَرِمٌ^(٢)
وَلَا الْخَيَالُ الَّذِي يَسْرِي بِهِ الْحُلُمُ
فَقَالَ دَمْعِي بِجَرِي قَدْ^(٣) جَرَى الْقَلَمُ
فَالْهَجْرُ وَالْوَضَلُ فِي حُكْمِ الْهَوَى قَسَمُ
بَيْنَ الضُّلُوعِ فَجَنَرَ الْوَجْدَ يَضْطَرِمُ
مِنْ سَفْحِهَا وَنَسِيْمِكُمْ^(٤) فَأَسْتَلِمُ^(٥)
مِنْ أَنْ تُسَابِقَنِي مِنْ سَفْيِهَا الدِّيمُ

[بحر البسيط]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه ليكون بعباده حليماً، أحكم ما أَرَادَهُ مِنْ قَضَائِهِ فِي خَلْقِهِ
قَسَمَ لِهَذَا جَنَّةً وَلِهَذَا جَحِيمًا، قَضَى لِهَذَا بِالطَّاعَةِ وَعَلَى^(٦) هَذَا بِالْمَعْصِيَةِ وَأَدْخَلَ لَهُ عَذَابًا أَلِيمًا،
لَا يَدْرِي كَيْفَ جَرَتْ أَحْكَامُهُ فِي خَلْقِهِ^(٧) أَعَدَ لِهَذَا أَبْوَسًا^(٨) وَلِهَذَا نَعِيمًا، فَرَّقَ الْكُلَّ [١٢٢] بـ
بِأَحْكَامِهِ تَعَالَى^(٩) جَعَلَ هَذَا سَلِيمًا^(١٠) وَهَذَا سَلِيمًا، لَا يَعْرِفُ سِرَّ الْوُجُودِ سِوَاهُ وَلِهَذَا سَمَى نَفْسَهُ
حَكِيمًا، عَمَّتْ رَحْمَتُهُ تَعَالَى^(١١) الْمَوْجُودَاتِ كَبِيرًا وَصَغِيرًا رَضِيْعًا^(١٢) وَفَطِيْمًا، عَامَلَهُمْ بِلُطْفِهِ لَمَّا
عَلِمَ ضَعْفَهُمْ وَتَكْرَمَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ^(١٣) تَكْرِيمًا، دَلَّهُمْ عَلَى كَرَمِهِ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَسْأَلُونَ^(١٤) تَعْلِيمًا،
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١٥).

يَا هَذَا إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَ الْمَلِكِ فَأَنْظُرْ بِمَاذَا تَشْتَغِلُ^(١٦)، إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ
الْقُرْبِ وَلَاكَ خَالِصُ الْعَمَلِ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْبَعْدِ قَطَعَكَ بِقَاطِعِ الْأَمَلِ، كَمْ بِيَابِ الْخَوَاصِ
مِنْ وَاقِفٍ بِقِصَّتِهِ^(١٧) مَا دَخَلَ، مَا يَدْخُلُ إِلَّا مَنْ عَنِى بِهِ وَيُعْطَى مَا سَأَلَ، مَا يَوْقَعُ إِلَّا لِمَنْ لَازِمُ

(١) عبارة «بستم وخلفتُموني»، في (م) و(ع): «نأيتم فسلوني». (٢) في (م) و(ع): «منهزم».

(٣) عبارة «بجريي قد» في (م) و(ع): «وفي جريي». (٤) في (م) و(ع): «ووسيتكم».

(٥) استلم من السلام لا يدل على معنى الاتخاذ، واستلام الحجر افتعال من السلام وهو التحية. ابن منظور،
اللسان، «سلم»، ٢٩٧/١٢، ٢٩٨.

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) عبارة «جرت.. إلخ»، في (م) و(ع): «جرت أفعاله».

(٨) في (م) و(ع): «بؤسًا». والأبؤس جمع بؤس. ابن منظور، اللسان، «بأس»، ٢٣/٦.

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «سالمًا». والسليم من الأضداد؛ فهي قد تكون بمعنى السالم، وقد تكون بمعنى اللديغ والجريح.

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «ورضيعة».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «يسألونه».

(١٥) سورة النساء، آية ١١٠.

(١٦) عبارة «بماذا تشغل»، في (م) و(ع): «بم تشغل».

(١٧) في (م) و(ع): «بقصة».

الباب ويحرم أهل الكسل، ما كل قلب يصلح للقرب ولا كل صدر للمحبة يحمل، ما كل نسيم من نجد ولا كل أمل^(١) يبلغ ما أمل، ما كل معروف معروف^(٢) فأفهم المعنى وتأمل، ما كل جندي جنيد^(٣) ولا^(٤) كل ساري سري^(٥) جدّ فما على الكسل معول، ما نالوا الراحة إلاّ لما كان سيرهم على العجل^(٦)، ملئت^(٧) قلوبهم بالمحبة فتفجرت مدامعهم كأنها جدول، جمعوا شتات^(٨) قلوبهم بالعزلة ليتم لهم العمل، غمضوا بازي^(٩) الهوى عن الطيران مخافة أن يحصل^(١٠)، أطلقوه في فضاء القضاء فأقتنص المعارف وحصل، يا^(١١) مُضَيَّعاً عمره في البطالة^(١٢) حتى ولّى ورحل، بإدر بقية ما يبقى^(١٣) [١٢٣] فأنت تعامل ربا كريماً، ﴿وَمَنْ يَمَلِّ سَوْماً أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

محمد بن داود الدينوري رحمه الله تعالى قال^(١٤): «حدثني أبو الحسن اللؤلؤي^(١٥)، وكان خيراً^(١٦) فاضلاً، قال: ركب^(١٧) في البحر فأنكسر المركب وغرق كلّ من فيه، وكان في وطني شيء فيه^(١٨) لؤلؤ قيمته أربعة آلاف دينار، وقربت أيام الحج وخفت^(١٩) الفوات، فلما سلّم الله ﷺ^(٢٠) روحي ونجّاني مشيت، فقال لي^(٢١) جماعة كانوا معي^(٢٢) في المركب: لو

-
- (١) في الأصل: «العامل»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) هو معروف الكرخي الزاهد.
(٣) هو أبو القاسم الجنيد العابد.
(٤) في (م) و(ع): «ما».
(٥) هو السري بن المغلس السَّقَطِي، أبو الحسن البغدادي، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، وإمام البغداديين في الإشارات، توفي سنة ٢٥٣هـ - ٨٦٧م. وقيل سنة ٢٥١هـ - ٨٦٥م. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ١٠/١١٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/١٨٥.
(٦) في (م) و(ع): «عجل».
(٧) في (م) و(ع): «أشتات».
(٨) البازي ضرب من الصقور. ابن منظور، اللسان، «بزي»، ٧٢/١٤.
(٩) الحَصَل من الطعام: ما يُخْرَج منه قَيْرَمِي به من دَنَقَة وزَوَان ونحوهما. وفي الطعام حَصَلُهُ وحُثَالته بمعنى واحد. وحصلت الدابة حَصَلاً أكلت التراب فبقي في جوفها ثابتاً. ابن منظور، اللسان، «حصل»، ١١/١٥٤.
(١٠) في (م) و(ع): «فيا».
(١١) في (م) و(ع): «بقي».
(١٢) في (م) و(ع): «بقي».
(١٣) في (م) و(ع): «بقي».
(١٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/٤٠٢.
(١٥) هو سُرَيْج بن النعمان بن مروان، أبو الحسين، ويقال أبو الحسن البغدادي الجوهري اللؤلؤي، خراساني الأصل، بغدادي الدار، سمع حماد بن سلمة، وصالحاً المري، وسفيان بن عيينة، وجماعة. روى عنه البخاري، وأحمد بن حنبل، وخلق، توفي سنة ٢١٧هـ - ٨٣٢م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٩/٢١٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢١١هـ - ٢٢٠هـ، ص ١٦١. ابن حجر، التهذيب، ٣/٤٥٧.
(١٦) في الأصل: «خياراً»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «كنت».
(١٨) عبارة «شيء فيه» ساقطة في (م) و(ع).
(١٩) في (ع): «وحق».
(٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٢١) عبارة «فقال لي»، في الأصل: «فقالوا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

وقفت^(١) عسى^(٢) أن يخرج إلينا من رحلك^(٣) شيء، قلت^(٤): قد علم الله ﷻ بأمرى^(٥)، وكان في وطائي شيء قيمته أربعة آلاف دينار، وما كنت أؤثره على وقفة بعرفة، قالوا: وما الذي أورتك هذه المنزلة؟ قلت^(٦): أنا رجل مولع بالحج أطلب الربح والثواب، حججت في بعض السنين وعطشت عطشاً شديداً، فأجلست عديلي^(٧) في وسط المحمل^(٨)، ونزلت أطلب الماء والناس معطشون^(٩)، فلم أزل أسأل رجلاً رجلاً و^(١٠)مَجْمَعاً مَجْمَعاً: أعندكم ماء^(١١)؟ حتى صرت في ساقه^(١٢) القافلة بميل أو ميلين، فمررت بموضع^(١٣) مصهرج، وإذا فقير جالس والماء ينبع من موضع عصاه^(١٤) وهو يشرب، فنزلت إليه وشربت حتى رويت، وجئت إلى القافلة والناس قد نزلوا، فأخرجت قربة ومضيت فملأتها^(١٥) ورجعت، فلما رأي الناس [١٢٣ب] والقربة على كتفي مملوءة فكأنه نودي فيهم أن الماء وراءكم، فتبادروا إليه بالقرّب، فلما روي الناس عن آخرهم و^(١٦)سارت القافلة، جئت لأنظر الماء^(١٧) فإذا البركة ملأى تلطم^(١٨) بأمواجها والناس يرمون الدلاء ويرتجزون عليه^(١٩)، فقلت: موسم^(٢٠) يحضره مثل هؤلاء^(٢١) يقولون اللهم أغفر لمن حضر الموسم^(٢٢) ولجماعة المسلمين أؤثر عليه أربعة آلاف

-
- (١) في (م) و(ع): «توقفت».
 - (٢) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٣) عبارة «إلينا من رحلك»، في (م) و(ع): «لك من رحالك».
 - (٤) في (م) و(ع): «فقلت».
 - (٥) عبارة «عسى... إلخ»، في (م) و(ع): «بحالي».
 - (٦) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (٧) عبارة «فأجلست عديلي»، في الأصل: «فلما جلست عدلي»، والتصويب من (م) و(ع). والعديل الذي يعادلك في المحمل. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ٤٣٣/١١.
 - (٨) المحمل: الذي يركب عليه، والمحمل شقان على البعير يُحمل فيهما العديلان. ابن منظور، اللسان، «حمل»، ١٧٨/١١.
 - (٩) في (م) و(ع): «معطشون أيضاً».
 - (١٠) عبارة «أعندكم ماء»، في (م) و(ع): «أمعكم ماء والناس على حال واحد».
 - (١١) في (ع): «مسافة».
 - (١٢) في (م) و(ع): «العصا».
 - (١٣) عبارة «ومضيت فملأتها»، في (م) و(ع): «فملأتها ماء».
 - (١٤) الواو ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، والصواب ما أثبتناه.
 - (١٥) عبارة «جئت لأنظر الماء»، في (م) و(ع): «حيث لا ماء يظهر».
 - (١٦) في (م) و(ع): «تلتطم».
 - (١٧) عبارة «الدلاء... إلخ»، في الأصل: «الدلاوين تجوز»، والتصويب من (م) و(ع).
 - (١٨) عبارة «فقلت موسم»، في (م) و(ع): «فموسم». (٢١) في (م) و(ع): «هؤلاء القوم».
 - (١٩) في (م) و(ع): «الموقف».

دينارا لا والله ولا الدنيا^(١) بما فيها^(٢) بأسرها، وترك اللؤلؤ وجميع قماشه، قال الشيخ رحمه الله تعالى^(٣): بلغني أن فيما كان معروفاً^(٤) له خمسون ألف ديناراً. شعر^(٥):

خُذِي نَفْسِي يَا رِيحُ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى
فَلَنْ بِذَاكَ الْحَيِّ حَبِياً عَرَفْتُهُ^(٧)
فَلَوْلَا تَدَاوِي الْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى
وَيَا صَاحِبِي الْيَوْمَ عُوجاً^(٩) لَتَسَالَا
عَنْ^(١١) الْحَيِّ بِالْجَرْعَاءِ جِرْعَاءَ^(١٢) مَالِكٍ
كَأَنَّ بَعِينِي بَعْدَهُمْ غَائِرَ الْقَدَى^(١٥)
شَمَمْتُ بِنَجْدِ نَفْحَةٍ حَاجِرِيَّةٍ
ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ^(١٩) الْحَبِيبِ عَلَى الثَّوَى
وَأَنِّي لَمَجْلُوبٌ إِلَى الشُّوقِ كُلَّمَا

فَلَا قِي بِهَا لَيْلَى تَشْمُ^(٦) رَبِّي نَجْدٍ
وَيَا لِرَّغْمِ مَنِّي أَنْ يَطُولَ بِهِ^(٨) عَهْدِي
بِذِكْرِ تَلَاقِنَا قَضَيْتُ مِنَ الْوَجْدِ
رَبِوعاً شَكَّتْ مَا قَدْ شَكُوتُ مِنَ الْبَعْدِ^(١٠)
هَلْ أَرْتَبِعُوا^(١٣) أَوْ سَالِ^(١٤) وَادِيهِمْ بَعْدِي
إِذَا أَنَا^(١٦) لَمْ أَبْلُغْ إِلَى الْعَلَمِ^(١٧) الْفَرْدِ
فَأَمْطَرْتُهَا دَمْعِي^(١٨) وَأَفْرَشْتُهَا خَذِي
وَهِيَّاهُ ذَا يَا^(٢٠) بُغْدَ بَيْنَهُمَا عِنْدِي
تَأْلَمُ شَاكٍ أَوْ تَنْفَسُ ذُو وَجْدٍ

[بحر الطويل]

يا هذا إذا أستحكم عقد الصدق أنحل عقد^(٢١) الكسل، يا أخي [١٢٤] عَرَفَ المحبة^(٢٢)

- (١) في (ع): «بالدنيا».
- (٢) عبارة «رحمه الله تعالى»، ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) عبارة «بلغني.. إلخ»، في (م) و(ع): «فبلغني أن ما فيه ما كان عرف».
- (٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضي، انظر: الديوان، ٣٨٩/١.
- (٥) في الأصل: «تشم بها»، وهو تصحيف، وفي (ع): «يشم»، وهي من (م).
- (٦) في (م) و(ع): «عهده».
- (٧) في الأصل: «عرجا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) عبارة «شكوت من البعد»، في (م) و(ع): «شكيت من الوجد».
- (٩) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وجرعاء مالك: موضع فيه سهولة ورمل لا تنبت، وهذه الجرعاء بالدهناء، قرب خُزَوَى. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٣٢٦/١.
- (١١) ارتبج بمكان كذا: أقام به في الربيع. الفيروزآبادي، القاموس، «ربيع»، ص ٩٣٠.
- (١٢) عبارة «أو سال»، في (م) و(ع): «أم كيف».
- (١٣) عبارة «غائر القذى»، في الأصل: «غامر القضا»، وفي (م) و(ع): «غابر القضا»، والتصويب من الديوان والقذى: ما يقع في العين وماترمي به. ابن منظور، اللسان، «قذى»، ١٧٢/١٥.
- (١٤) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في الأصل: «دعي»، وهي من (م) و(ع).
- (١٦) في الأصل و(م) و(ع): «وهيأت هل ما»، والتصويب من الديوان.
- (١٧) في الأصل: «عزم»، وهي من (م) و(ع).
- (١٨) عبارة «عرف المحبة»، في (م) و(ع): «عرب المحب».

يعرب عما جنى عليه جنانه^(١) وما يحمل^(٢)، ما أصبر المحب على نار الشوق كأنه سَمَنْدَل^(٣)، لولا تدارك حريق الشوق بسواقي الدموع تلف قبل بلوغ الأجل^(٤)، كم عقدت الدنيا لمحبيها من عقد فعند أمنه أنحل، ما أصبح أحد منها على رَفْع أمل إلا وأصبح في خَفْض أجل، أصدق مواعيدها^(٥) مواعيد عرقوب في ضرب المثل^(٦)، كم حريص عليها حرصه الأجل فأسلب منه^(٧) ما حَصَّل، ألقاه في تيه مظلم خرب في بطنه حصل^(٨)، يا من عوقته العوائق كم تعامل متقاضي^(٩) التوبة بالمطل، لو شملت ثرى نجد الوجد هان عليك العمل، تضيق من سجن^(١٠) وهو أوسع من قبرك إذا قضى^(١١) الأجل، ويحك لمن تجمع ويحك^(١٢) لمن تتعب وأنت عنه ترحل، إذا ولى الشباب في الغفلة والمشيب في البطالة متى تبلغ الأمل، فبادروا إخواني التوبة قبل غلق الدستور وفراغ العمل، فالكريم يعطي لا يزال كريماً، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

محمد بن عيسى القرشي رحمه الله تعالى قال^(١٣): «حدثنا^(١٤) إبراهيم بن المهلب قال: رأيت بين الثعلبية والخزيمية^(١٥) غلاماً قائماً يصلي عند بعض الأميال قد أنقطع عن الناس، فانتظرت حتى فرغ من صلاته. ثم قلت: أما^(١٦) معك مؤنس؟ قال: بلى، قلت: وأين هو؟

(١) عبارة «عما جنى.. إلخ»، في الأصل: «مما جنى عليه جناً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م): «تحمل».

(٣) السَمَنْدَل: طائر بالهند لا يحترق بالنار. الفيروزآبادي، القاموس، «سمندل»، ص ١٣١٤.

(٤) في (م) و(ع): «الأمل».

(٥) في الأصل: «مواعيد»، وهي من (م) و(ع).

(٦) في الأصل و(ع): «الأجل»، وهي من (م). وأصل هذا المثل أن رجلاً من العماليق أتاه أخ له يسأله، فقال له عرقوب: إذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعتها، فلما أطلعت أتاه للعدة، فقال: دعها حتى تصير بلحا، فلما أبلحت قال: دغها حتى تصير زهواً، فلما زهت قال: دعها حتى تصير رطباً، فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمراً، فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجدها ولم يعط أخاه شيئاً، فصار مثلاً في الخلف. الميداني، مجمع الأمثال، ٣١١/٢.

(٧) عبارة «حرصه.. إلخ»، في (م) و(ع): «حرصه الموت فاستلب». والحرص: الشق، وحرص الثوب يحرصه حرصاً: خرقه. ابن منظور، اللسان، «حرص»، ١١/٧.

(٨) عبارة «ألقاه في تيه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «تقاضي».

(١٠) في (م) و(ع): «سجن القبر».

(١١) عبارة «من قبرك.. إلخ»، في (م) و(ع): «من قفر إذا قصر».

(١٢) في (ع): «ويلك».

(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤٠٣/٤. (١٤) في (م) و(ع): «حدثني».

(١٥) في الأصل: «البلعية والجبرمية»، وفي (م) و(ع): «البلعية والجبرية»، والتصويب من الصفة. والثعلبية: منسوب، من منازل مكة، قد كانت قرية فخريت، وهي مشهورة. والخزيمية: منسوب مصغر، منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢٩٦/١، ٤٦٦.

(١٦) عبارة «قلت أما»، في (م) و(ع): «قلت له: ما».

قال: أمامي ومعني وخلفي^(١) [١٢٤ب] وعن يميني وعن شمالي وفوقي. فعلمت أن عنده علماً ومعرفة، فقلت له^(٢): أما معك زاد؟ قال: بلى، قلت: وأين هو؟ قال: الإخلاص لله ﷻ^(٣)، والتوحيد، والإقرار بنبيه محمد ﷺ، وإيمان صادق، وتوكل واثق. فقلت له^(٤): هل لك في مرافقتي؟ قال: الرفيق يشغلني عن الله ﷻ^(٥)، ولا أحب أن أرافق أحداً فأشتغل به عنه طرفة عين فيقطعني عن بعض ما أنا عليه. فقلت^(٦): أما تستوحش وحدك في هذه البرية؟ فقال: الأنس^(٧) بالله قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها ولا أستوحشت منها، فقلت: من^(٨) أين تأكل؟ قال: الذي غذاني في ظلمة الأحشاء والأرحام^(٩) صغيراً قد^(١٠) تكفل برزقي كبيراً، قلت: ففي أي وقت^(١١) تجيئك الأسباب، قال لي: وقت مفهوم وأجل معلوم، و^(١٢) إذا أحتجت إلى الطعام وجدته في أي موضع كنت، وقد علم ما يصلحني وهو غير غافل عني، قلت: ألك حاجة؟ قال: نعم. قلت: ما هي؟ قال: إن رأيتني فلا تكلمني، ولا تعلم أحداً أنك تعرفني. قلت^(١٣): لك ذلك فهل حاجة غيرها؟ قال: نعم، قلت: وما هي؟ قال: إن أستطعت أن لا تنساني من^(١٤) دعائك عند^(١٥) الشدائد إذا نزلت بك فأفعل. قلت: كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل مني [١٢٥] خوفاً وتوكلأ؟ فقال^(١٦): لا تقل هذا، إنك قد صليت لله ﷻ^(١٧) وصمت قبلي، ولك حق الإسلام ومعرفة الإيمان، قلت: وأنا لي أيضاً^(١٨) حاجة، قال: وما هي؟ قلت: أدع لي. قال^(١٩): حجب الله ﷻ^(٢٠) طرفك عن كل معصية، وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه حتى لا يكون لك هم إلا هو، قلت: يا حبيبي متى ألقاك وأين أطلبك؟ فقال^(٢١): أما في الدنيا فلا تحدث نفسك بقلائي^(٢٢)، وأما في الآخرة فهي^(٢٣) مجمع المتقين، وإياك أن تخالف الله ﷻ^(٢٤)

-
- (١) في (ع): «وخلفي ومعني».
(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «يشغلني.. إلخ» في (م) و(ع): «يشغل عن الله».
(٤) في (م) و(ع): «قلت».
(٥) عبارة «فقلت من»، في (م) و(ع): «قلت فمن».
(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «فقلت».
(٩) في (م) و(ع): «وعند».
(١٠) في (م) و(ع): «تعالى».
(١١) عبارة «لي أيضاً»، في (م): «لي»، وفي (ع): «أيضاً لي».
(١٢) عبارة «أدع.. إلخ»، في (م) و(ع): «ادع وقل».
(١٣) في (م) و(ع): «قال».
(١٤) عبارة «وأما في الآخرة فهي»، في (م) و(ع): «وأما الآخرة فإنها».
(١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «قلت له»، في (م) و(ع): «قلت».
(١٧) في (م) و(ع): «قلت».
(١٨) في (م) و(ع): «قلت».
(١٩) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٠) في (م) و(ع): «قلت».
(٢١) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٢) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٣) في (م) و(ع): «قلت».
(٢٤) في (م) و(ع): «قلت».

فيما أمرك به^(١) وندبك إليه، إن كنت تبغي لقائي فأطلبيني مع الناظرين إلى الله ﷻ^(٢) في زمرةهم. قلت: وكيف علمت ذلك^(٣)؟ قال: بغض بصري^(٤) عن^(٥) كل محرم، وأجتنابي فيه^(٦) كل منكر ومأثم، وقد سأله تعالى^(٧) أن يجعل حظي النظر إليه، ثم صاح وجعل^(٨) يسعى حتى غاب عن بصري رحمه الله تعالى ونفع به^(٩). شعر^(١٠):

هذه من بعدهم^(١١) آثارهم
ما وقوفي في محل ساكن
واصل السقم الحش^(١٢) مُذْ^(١٤) هجروا
أُصدود في التَّداني والنَّوى
يتمنئ طيفكم صببكم
والتَّمني منع^(١٦) الطَّيف الكرى
يَعثْ نومي^(١٧) طائعا لا كارهأ
عجبا لي ولقلب^(١٩) ضائع
حرَّم الله على البان الصِّبا
يا مُبيح القتل في دين الهوى

فأسأل الأطلال عنهم والأثل^(١٢)
في فؤادي أهله لا في المحل
آه من قطع ضئي^(١٥) يدعى بوض
يا ولاة الحُكم ما ذا حُكم عدل
مُسْتَهام والمُنَى جَهْد المُقِل
مَنْ لعيني أن ترى التَّوْم وَمَنْ لي
في رضاكم^(١٨) فاشْتروا عِزِّي بذلي [١٢٥ب]
بان عني بين بانات وأثل
وحباه الغيث من طل وويل
أنت من قتلي^(٢٠) في أوسع حل

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «عز وجل»، في (م): «تعالى»، وهي ساقطة في (ع).

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في الأصل: «به»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «وأقبل».

(٧) عبارة «رحمه الله... إلخ»، في (م) و(ع): «فما رأيته».

(٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات ورد بعضها في الخطبة الثانية من الفصل الثالث.

(٩) في الأصل: «بعده»، وهي من (م) و(ع).

(١٠) عبارة «فأسأل الأطلال... إلخ»، في (م) و(ع): «وقوفي ببلى الأطلال يبلى». والأثل شجر طوال في السماء مستطيل الخشب، وخشبه جيد يحمل من القرى فتبنى عليه بيوت المدر، وورقه هذب طوال دقاق وليس له شوك. ابن منظور، اللسان، «أثل»، ١١/١٠.

(١١) في الأصل: «الأسى».

(١٢) في الأصل: «صب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «إزار»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «في رضاكم»، في (م) و(ع): «برضاكم».

(١٥) كلمة «ولقلب»، في الأصل: «ولي قلب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «قتلي»، والتصويب من (م) و(ع).

ما على السائق لوَحَلَ النَّقَى وأراح العيس من شدّ وحل
 فعسى يُدني المُنَى مني مِنَى ولعلي أن أرى الطّيف لعلّي
 وليالٍ في المُصلى^(١) لم أزل في الهوى السابق فيها والمصلي
 [بحر الرمل]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي أباح للعارفين^(٢) معرفته وحماهم من التغيير، غرس في قلوبهم غرس المحبة ولاطفهم^(٣) بالطف تديير^(٤)، فدلّت عليه ببقائه ودلت عليهم^(٥) بفنائهم بمعان لا تدرك بالتعبير، نسيم معارفهم عطر^(٦) من دارين ومن عرف الأزاهير، كم يمر عليهم من مسك نسك وعنبر عبير، كم وَدَقَ^(٧) عبرات خرجت من خلال محاجرهم في الدجى والهجير، أحييت^(٨) نبات المعاملات فهو لكل نزهة^(٩) لكل نظر نظير^(١٠)، كم حوت رياض رياضهم^(١١) من أنين^(١٢) أسف وياسمين أنس وأنوار نيلوفر^(١٣) وريحان آرتياح ومنثور دموع ووَزِد ووَزِد ومن الأنين^(١٤) دوايب ونواعير، أطيّار أذكّار بتغريد ألحان في دوحات السحر تطير، وشراب الوجد يدب في أبدان المشتاقين فواجدهم معنّى بها أسير، ومدام إلهام لم يدنس^(١٥) بعصر المعاصير، وأعطاف أعطافهم [١٢٦] للحبيب تميس^(١٦) طرباً بنسائم الأشواق وتشير، كلما غنى لهم معبد^(١٧) الوجد^(١٨) بأوتار وطنابير^(١٩)، خلعوا عذار الأعذار وهاموا من طيب الشراب وجمال المدير، رقصوا بأكمّام القنّاعة في إيوان الزهد ومنثور الرضا عليهم نثير^(٢٠)، هذه آثار المعاملة

(١) في (م) و(ع): «الهوى».

(٢) في (م) و(ع): «لاطفها».

(٣) في (م) و(ع): «التديير».

(٤) في (م) و(ع): «النج» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «ببقائه» في (م) و(ع).

(٦) الودق: المطر، وَدَقَ: قطر. الفيروزآبادي، القاموس، «ودق»، ص ١١٩٧.

(٧) في الأصل: «أجيب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (ع): «نصير».

(٩) في (م) و(ع): «أس». والآس: شجر. الفيروزآبادي، القاموس، «أوس»، ص ٦٨٤.

(١٠) التيلوفر: ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة. الفيروزآبادي، القاموس، «نيلوفر»، ص ٦٢٥.

(١١) في (م) و(ع): «الأنين».

(١٢) الميس: التبختر، ماس يمس فهو مائس. الفيروزآبادي، القاموس، «ميس»، ص ٧٤٣.

(١٣) هو معبد بن وهب، أبو عباد المدني، مولى لبني مخزوم، كان يضرب به المثل في جودة الغناء، وكان أديباً فصيحاً، توفي سنة ١٢٦هـ - ٧٤٣م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٢١ - ١٤٠هـ، ص ٢٦٩. الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٦٤.

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) الطنبور الذي يُلعب به، معرّب وقد استعمل في لفظ العربية. ابن منظور، اللسان، «طنبر»، ٤/ ٥٠٤.

(١٦) في (م) و(ع): «يشير».

تظهر كامن الكرامة وتشير^(١)، فأفهم ضرب المثال وكن لفهم المعاني خبير، ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنِجٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ولا أحد عليه يجير، أحمدته حمد من تردى برداء العجز وأتزر بإزار التقصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها لمساءلة منكر ونكير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء لمن يسير.

يا أخي لا تستبعد طريق الصالحين^(٣) فما أقربها من آثار، لله درهم صبروا على قطع مسافة الأعمار، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من هو في الانتظار، إذا كان المعين يعين فما أسرع الوصول إلى الدار، رُبَّ مطلب خاب منه^(٤) الطالب فلم يقض منه أوطار، وناله^(٥) من رافق^(٦) رفيق الذل والانكسار، تعرّض ويحك لمن أعطاهم وقدّم أمامك الافتقار، سل بلسان الفقر من أغناهم ما أسرع جابر فضله [١٢٦ب] بالانجبار، بالله ما قعودك عن الركب وتخلفك في القفار^(٧)، كم تمشي في ليل الغفلة وترك ضوء النهار، ما أرى ركائب العزائم إلا وقفت ليس لسيرها^(٨) آثار، أترى نام الحادي أم ضعفت عن مرافقة ركب الأسحار، تيامن بها إلى وادي الدجى ففيه من النقاوة^(٩) أزهار، وعج بها على منحنى حنينهم في الأذكار، وإذا شممت^(١٠) صبا نجد الوجد تحرك الوجد وزاد الحُمار، زدني من حديثك يا سعد فقد التهب في قلبي^(١١) النار، ويلي على خراب قلبي ما وجدت له معمار، ضيعت الشباب في الغفلة والكبر في الاعتذار^(١٢)، سكبت ماء العمر على سبّاخ^(١٣) البطالة هيهات أن يجنى منها^(١٤) ثمار، متى تردّه إلى زرع المعاملة فعسى أن يعود عود المعاملة فيه أخضرار، ويحيي به رياض المعاملة فيعبق بالقبول والأزاهير^(١٥)، ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنِجٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٢) سورة الروم، آية ٥٠.

(٤) في الأصل: «عنه»، وهي من (م) و(ع).

(١) في (م) و(ع): «وتشير».

(٣) في (م) و(ع): «الآخرة».

(٥) في (م) و(ع): «وباله».

(٦) في الأصل: «موافق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «الأقفار»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «تسير بها».

(٩) في (م) و(ع): «شممت».

(١٠) عبارة «التهب في قلبي»، في (م) و(ع): «ألهمت في كبدي».

(١١) في (م) و(ع): «الأعذار».

(١٢) عبارة «على سبّاخ»، في (م) و(ع): «في ديار».

(١٣) عبارة «أن يجنى منها»، في (م) و(ع): «أجني منها».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) عبارة «ويحيي به... إلخ»، في (م) و(ع): «يحيي رياض فيعبق من العقول بالأزاهير».

الوليد بن مسلم^(١) رحمه الله تعالى عن ابن جابر^(٢) أن أبا عبد ربه^(٣) كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أذربيجان^(٤) في تجارة^(٥)، فأمسى إلى جانب مرعى ونهر فنزل به. قال أبو عبد ربه: فسمعت صوتاً يُكثر حمد الله تعالى^(٦) في سياحته^(٧)، فأتبعته فرأيت رجلاً في حفير من^(٨) الأرض ملفوفاً في حصير، فسلمت عليه وقلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: رجل من المسلمين. [١٢٧] قلت: وما حالك هذا^(٩)؟ قال: حال نعمة يجب علي حمد الله فيها. قال: قلت: وكيف وأنت^(١٠) ملفوف في حصير؟ قال: ومالي لا أحمده الله إذ خلقتني فأحسن خلقي، وجعل مولدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركانها وستر علي ما أكره نشره، فمن أعظم نعمة ممن أمسى في مثل ما أنا فيه! فقلت: رحمك الله إن^(١١) رأيت أن تقوم معي إلى المنزل^(١٢) فأنا نَزُول على النهر هاهنا. قال: ولمه؟ قلت: لتصيب من الطعام ونعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير. قال: فأبى، قال الوليد: فحسبت أنه قال: إن^(١٣) لي في أكل العشب كفاية. قال أبو عبد ربه: فأردت أن يتبعني فأبى وقال: ما لي به حاجة^(١٤)، فأنصرفت وقد تقاصرت^(١٥) إلي نفسي. فذكر أنه رجع من تجارته^(١٦) وتصدق

(١) في (م) و(ع): «سعيد بن مسلم»، وهو تصحيف. والوليد هو أبو العباس اللدشمقي، الإمام الحافظ عالم أهل الشام، مولى بني أمية، كان من أوعية العلم، ثقة حافظاً، توفي سنة ١٩٥هـ - ٨١٠م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢١١/٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٤٤/١.

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «أبو جابر»، والتصويب من تاريخ الإسلام للذهبي. وابن جابر هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، أبو عتبة الأزدي الداراني اللدشمقي الحافظ، ثقة، مات سنة ١٥٤هـ - ٧٧٠م، وقيل سنة ثلاث وقيل سنة ست. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠هـ، ص ٥٠٠. ابن حجر، التقريب، ٥٠٢/١.

(٣) في الأصل: «عبد ربه»، والتصويب من (م) و(ع). وهو أبو عبد رب اللدشمقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال أبو عبد رب العزة، كان رومياً اسمه قسطنطين فلما أسلم سمي عبد الرحمن، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من أيسر أهل دمشق فخرج من ماله كله، مات سنة ١١٢هـ - ٧٣٠م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠هـ، ص ٥١٤. ابن حجر، التهذيب، ١٥٢/١٢.

(٤) أذربيجان هو صقع حده من بَرْذَعَة مُشْرِقاً إلى زَنْجَان مغرباً، ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الدَّيْلَم والجبل والْقَرْم. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٤٧/١.

(٥) في (م) و(ع): «غارة».

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) السياحة الذهاب في الأرض للعبادة. الفيروزآبادي، القاموس، «سيح»، ص ٢٨٨.

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «وما حالك هذا»، في (م) و(ع): «ما حالك هذه».

(١٠) في (م) و(ع): «وانما أنت».

(١١) في (م) و(ع): «إني».

(١٢) في (م) و(ع): «منزلي».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «من حاجة».

(١٥) في (م) و(ع): «غارته».

بعله^(١). شعر^(٢):

رضيتُ بذلي فيك يا غاية المُنَى
ويعذلني فيك المضل^(٣) بعلمه
وسي منك سرُّ لستُ أفهم بعضه
إذا كان من يهوى عزيزاً مُكترماً
فإن وقعت منك العناية لامرئ
وإن كان لا يُغنى^(٦) به في طريقه^(٧)
وكيف^(٩) أحتياي فيك^(١٠) أم كيف حيلتي
فلا ترمني بالهجر عندا لأنني^(١١)

إذا كان ذاك الذل يُرضيك فغله
وأغذره لِمَا تبين جهله
فاشرح حتى يُفهم الحال كله
وفي يده^(٤) عَقْد القضاء^(٥) وحله
يقيناً علمنا أنه تمَّ شغله
فذاك الذي قد حان^(٨) وأنبتَ حبله
وأنت الذي تَهدي الفتى وتُضِلّه
رضي بطلّ الوصل إن عزَّ وتلّه^(١٢) [١٢٧ب]

[بحر الطويل]

يا أخي ما أطيب أيام الوصال وأمرّ الهجران، ما أعذب ساعة^(١٣) العذيب لولا رحيل
الأطعان، ما ألطف نسيم نجد لأنه برّياً الحبيب ريان، شفيح المشتاقين قطرات دموع الأجفان،
قطرات المدامع في رياض الخدود تنبت^(١٤) أشجار الأشجان، طيب المعاملة ما أخلص^(١٥)
من معاناة^(١٦) العيان، ما طاب عيش القوم إلا لما هجروا الأوطان، قلبهم في قلب الزهد
وأقطعهم الأكوان، أسكن في^(١٧) قلوبهم سكينه السكون إليه^(١٨) فهم في أمان، سقامهم رحيق
التحقيق فعبق نشر مدحهم في الأكوان، غابوا عن النفوس وهاموا في فلولات الخلوات فكم
لشجونهم من أشجان، لهم تواجد عند سماع رب أشعث أغبر^(١٩) سره غائب عن العيان، هذه

(١) القصة ذكرها ابن قدامة المقدسي في كتاب التوايين، ص ٢١٦.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل و(م) و(ع): «المدل»، وهي من (ب).

(٤) في الأصل: «يليه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م): «الفصاح»، وفي (ع): «الفصاحة»، وهو تصحيف.

(٦) في (م) و(ع): «يعبا».

(٧) في الأصل: «طرقه»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «حار».

(٩) في (م) و(ع): «فكيف».

(١٠) في الأصل: «منك»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) عبارة «بالهجر عنداً لأنني»، في (م) و(ع): «بالبعد عذاً لأنني».

(١٢) في الأصل: «وابله»، والتصويب من (م) و(ع). (١٣) في (م) و(ع): «ساعات».

(١٤) في الأصل: «نبتت»، وهي من (م) و(ع). (١٥) في (م) و(ع): «خلص».

(١٦) في (م) و(ع): «معاملة».

(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) قوله: «رب أشعث أغبر» هو بعض حديث أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: =

أحاديث القوم لا أحاديث أهل العصيان، يا من باع الباقي بالفاني أما ظهر^(١) لك الخسران^(٢)، بصرك أعمى وعزيمك مقعد وفهمك أطرش وخاتمة الشقاء الحرمان، إذا لم تتيقظ بالراحلين فغن قريب تلحق خبر كان، هذه قبورهم وهذه قصورهم وكان ما كان، ما أفصح خطاب القبور لمن يسمع^(٣) بالقلب إلا بالأذان، هذه عساكر^(٤) الموتى ينتظرونك يا مضيعاً طيب الزمان، ما ينفعك بعد الموت أعتذار ولو أجريت المدامع طوفان، إذا لم يُلَيْكْ وعظي فانت خشبة لا تلين إلا بالنيران، فبادروا^(٥) بالتوبة فهي حياة القلوب وغيمها مطير، ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُنِجِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

حكيم بن جعفر السعدي^(٦) رحمه الله تعالى قال^(٧): حدثني أبو يوسف عبد الله بن أبي نوح وكان من المتعبدين^(٨) قال: صحبت شيخاً في بعض طريق مكة، فأعجبني هيأته، فقلت: إني أحب أن أصحبك. فقال^(٩): أنت وما أحببت، فكان يمشي بالنهار^(١٠) فإذا أمسى أقام^(١١) في منزل كان أو غيره، قال: فيقوم في الليل^(١٢) يصلي، وكان^(١٣) يصوم في ذلك الحر فإذا أمسى عمد إلى جراب معه وأخرج منه شيئاً فألقاه^(١٤) في فيه مرتين أو ثلاثاً، وكان يدعوني ويقول: هلم فأصحب من هذا. فأقول في نفسي: والله ما هذا مجزئك أنت فكيف أشركك فيه، فلم يزل على ذلك، ودخلت له في قلبي هيبة عندما رأيت من أجهاده وصبره. قال: بينما^(١٥) نحن في بعض المنازل إذ نظر إلى رجل يسوق حماراً، فقال لي: أنطلق فأشتر ذلك الحمار. فأنطلقت وأنا أقول: والله ما معي ثمنه، ولا أعلم أن معه ثمنه فكيف^(١٦) أشتريه. فأتيت صاحب الحمار فساومته فأبى أن ينقص من ثلاثين ديناراً. قال: فجئت إليه فقلت له: إنه^(١٧) أبى أن ينقص من

= «رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره». قال الحاكم صحيح، ووافقه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرک، کتاب الرقاق، ٨٢/٤.

- (١) عبارة «أما ظهر»، في (ع): «ما أظهر».
- (٢) في (م) و(ع): «سمع».
- (٣) عبارة «هذه عساكر»، في (م) و(ع): «عسكر».
- (٤) في الأصل و(م) و(ع): «جعفر السعدي»، والتصويب من الجرح والتعديل، ٢٠٢/٣. وحكيم بن جعفر روى عن صالح المري. الرازي، الجرح والتعديل، ٢٠٢/٣.
- (٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٩٧/٤.
- (٦) في (م) و(ع): «العابدين».
- (٧) في (٩) في (م) و(ع): «قال».
- (٨) عبارة «فكان يمشي.. إلخ»، في (م) و(ع): «قال فكان يمشي في النهار».
- (٩) في الأصل: «قام»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في (م) و(ع): «فيقوم الليل كله».
- (١٠) في الأصل و(م) و(ع): «فكان»، والصواب ما أثبتناه.
- (١١) في (م) و(ع): «وألقيه».
- (١٢) في الأصل: «وكيف»، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «فقلت له إنه»، في (م) و(ع): «وقلت قد».

ثلاثين ديناراً. قال: خذه وأستخر الله ﷻ^(١). قال^(٢): قلت الثمن؟ قال: قل بسم الله ثم أجعل يدك في الجراب تجد^(٣) الثمن فأعطه، [١٢٨ب] قال: فأخذت الجراب ثم قلت: بسم الله، فأدخلت^(٤) يدي في الجراب فإذا بصرة^(٥) فيها ثلاثون ديناراً لا تزيد ولا تنقص. قال: فدفعتها إلى الرجل وأخذت الحمار وجئت به، فقال لي: أركب. فقلت: أنت أضعف مني فأركب أنت. قال: فما زاد في الكلام، فركب^(٦) وكنت أمشي مع حمارة، فحيث أدركه الليل فهو قائم راکع^(٧) حتى أتينا عسقلان^(٨)، فلقيه شيخ فسلم عليه ثم جلسا فجعلا يبكيان، فلما أرادا أن يفترقا قال صاحبي للشيخ^(٩): أوصني. قال: نعم^(١٠)، الزم التقوى قلبك، وأنصب ذكر الآخرة^(١١) أمامك. قال: زدني. قال: أستقبل الآخرة بالحسنى من عملك، وبإشر عوارض الدنيا بالزهد من قلبك، وأعلم أن الأكياس هم الذين عرفوا عيب^(١٢) الدنيا حين عمي عن^(١٣) أهلها، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال: ثم أفترقا فقلت لصاحبي: من هذا الشيخ رحمه الله تعالى فما رأينا^(١٤) أحسن منه كلاماً^(١٥)؟ قال: عبد الله بن عبيد ربه^(١٦)، قال: فخرجنا من عسقلان حتى أتينا مكة فلما أنهينا إلى الأبطح نزل عن حمارة فقال^(١٧): أثبت مكانك حتى أنظر إلى بيت الله ﷻ الحرام^(١٨) نظرة ثم أعود إليك إن شاء الله تعالى^(١٩). قال: فأنتلتي، وعرض لي رجل فقال: تبيع^(٢٠) الحمار؟ قلت: نعم. قال: بكم؟ قلت: بثلاثين ديناراً. قال: قد أخذته منك. قلت^(٢١): يا هذا، والله [١٢٩] ما هو لي، هو لرفيق

-
- (١) في (م) و(ع): «تعالى».
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «فخذ».
- (٤) في (م) و(ع): «وأدخلت».
- (٥) في (م) و(ع): «صرة».
- (٦) في (م) و(ع): «وركب».
- (٧) في (م) و(ع): «وراكع وساجد».
- (٨) عسقلان مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر، يقال لها عروس الشام، وكان يربط بها المسلمون لحراسة الثغر منها. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٩٤٠/٢.
- (٩) في (ع): «الشيخ».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «المعاملة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «عليها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) عبارة «رحمه الله.. إلخ»، في (م) و(ع): «رحمك الله فما رأيت».
- (١٥) عبارة «أحسن منه كلاماً»، في (م): «كلاماً أحسن منه».
- (١٦) في (م) و(ع): «عبد الله بن عبيد الله».
- (١٧) في (م) و(ع): «وقال لي».
- (١٨) عبارة «عز وجل الحرام»، في الأصل: «الحرام عز وجل»، والصواب ما أثبتناه، وهي ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «أتبيع».
- (٢١) في (م) و(ع): «فقلت».

لي، وقد ذهب للمسجد^(١)، لعله يجيء^(٢) الآن، فبينما أنا أكلمه إذ^(٣) طلع الشيخ فقامت إليه فقلت: إني سمت الحمار بثلاثين ديناراً. قال: نعم^(٤). ودفعت الحمار إليه وجئت بالدنانير فقلت: ما أصنع بها؟ قال: هي لك فأنفقها. قلت^(٥): لا حاجة لي بها، قال: ألقها^(٦) في الجراب، فألقيتها في الجراب^(٧)، وطلبنا^(٨) منزلاً بالأبطح فنزلناه، فقال: إئتني بدواة^(٩) وقرطاس، فأتيته بدواة وقرطاس^(١٠)، قال: فكتب كتابين ثم شدهما^(١١)، فدفع أحدهما إلي وقال: أنطلق^(١٢) إلى عباد بن عباد^(١٣) وهو نازل في موضع كذا وكذا^(١٤) فأدفعه إليه، وأقره مني السلام ومن حضر^(١٥) من المسلمين، ثم دفع إلي الآخر وقال لي^(١٦): ليكن هذا معك فإذا كان يوم النحر فأقرأه إن شاء الله تعالى. قال: فأخذت الكتاب وجئت^(١٧) به عباد بن عباد وهو قاعد يحدث وعنده خلق كثير، فسلمت عليه وقلت: يرحمك^(١٨) الله كتاب بعض إخوانك. فأخذ الكتاب فإذا فيه^(١٩): بسم الله الرحمن الرحيم، و^(٢٠) صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا^(٢١)، أما بعد، يا عباد فلإني أحذرك الفقر يوم يحتاج الناس إلى الذخائر، فقر الدنيا يسده غنى^(٢٢)، و^(٢٣) فقر الآخرة لا يسده غنى، وإن مصاب الآخرة لا تجبر مصيبتها^(٢٤) أبداً، وأنا رجل من إخوانك وأنا ميت الساعة إن شاء الله تعالى فأحضرني [١٢٩ب] لتكفني، وتول^(٢٥) الصلاة علي، وأدخلني في حفرتي، وأستودعك الله ﷻ^(٢٦) وجميع المسلمين، وأقر السلام مني

(١) في (م) و(ع): «إلى المسجد».

(٢) في الأصل: «حج»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) عبارة «فبينما.. إلخ»، في الأصل: «فأنا أكلمه إذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) عبارة «قال نعم» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «فقلت».

(٦) في (م) و(ع): «أألقها».

(٧) في (م) و(ع): «قال فطلبنا».

(٨) عبارة «إئتني بدواة»، في (م): «إبغني دواة»، وفي (ع): «أبغني دواة».

(٩) عبارة «بدواة وقرطاس»، في (م) و(ع): «بهما».

(١٠) عبارة «ثم شدهما»، في الأصل: «وشدهما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «انطلق به».

(١٢) كلمة «وكذا» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «أجمعين».

(١٤) في (م) و(ع): «فقر الدنيا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «فمصيبت».

(١٦) في (م) و(ع): «فمصيبت».

(١٧) في (م) و(ع): «وتتولى».

(١٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

على رسول الله ﷺ وعليكم جميعاً ورحمة الله تعالى^(١) وبركاته. قال^(٢): يا هذا أين الرجل؟ قلت: بالأبطح. قال: أمرىض هو؟ قلت: تركته الساعة صحيحاً. قال: فقام وقام الناس معه حتى دخل^(٣) عليه فإذا هو مستقبل القبلة ميت مستجى عليه عباءة. فقال^(٤) عباد: هذا^(٥) صاحبك؟ قلت^(٦): نعم. قال^(٧): تركته^(٨) صحيحاً؟ قلت^(٩): نعم، تركته الساعة^(١٠) صحيحاً. قال: فجلس عند رأسه ثم أخذ في جهازه، وصلى عليه ودفنه. قال: وأنحشر^(١١) الناس في جنازته. قال: فلما كان يوم النحر قلت: لا بد - والله^(١٢) - أن أقرأ الكتاب كما أمرني، فإذا فيه مكتوب^(١٣): بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، وأنت^(١٤) يا أخي فنفعك^(١٥) الله بمعروفك يوم يحتاج الناس إلى الصالح من أعمالهم^(١٦)، وجزاك الله عن صحبتنا^(١٧) خيراً فإن صاحب المعروف يجده تحت مضجعه^(١٨) يوم القيامة، وإن حاجتي إليك إذا قضى الله تعالى^(١٩) بما يقضي فأسألك أن تنطلق^(٢٠) إلى بيت المقدس فتدفع ميراثي إلى والدي^(٢١)، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقلت^(٢٢) في نفسي: كان أمرك رحمك الله عجباً وهذا من أعجب أمرك، كيف آتي بيت المقدس ولم تسم^(٢٣) لي أحداً ولم تصف^(٢٤) لي موضعاً ولا أدري لمن^(٢٥) أدفعه. قال: وخلف^(٢٦) قدحاً وجرا به ذلك وعصاً كان يتوكأ عليها. قال: وكفناه في ثوبين وألقينا عليه العباءة^(٢٧) [١٣٠] فوق ذلك. قال: فلما أنقضت

(١) عبارة «السلام مني.. إلخ»، في (م) و(ع): «السلام على رسول الله ﷺ مني وعليكم جميعاً السلام ورحمة الله».

(٢) في (م) و(ع): «فقال لي».

(٣) في (م) و(ع): «دخلوا».

(٤) في (م) و(ع): «فقال لي».

(٥) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «قال»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «نعم تركته الساعة»، في (م) و(ع): «تركته الآن».

(٩) في (م) و(ع): «وأنحشر».

(١٠) في (م) و(ع): «فقلت».

(١١) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٢) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٣) في الأصل: «فقلت».

(١٤) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٥) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٦) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٧) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٨) في (م) و(ع): «فقلت».

(١٩) في (م) و(ع): «فقلت».

أيام الحج^(١) قلت: والله لأنطلقن إلى بيت المقدس، فدخلت المسجد وهم في^(٢) حلق حلق؛ فقوم^(٣) فقراء، وقوم مساكين. قال: بينما^(٤) أنا أدور و^(٥) أتصفح الناس^(٦) لا^(٧) أدري^(٨) عمن^(٩) أسأل إذ ناداني رجل من بعض تلك الحلق باسمي: يا فلان، فالتفت^(١٠) فإذا شيخ كأنه صاحبي، فقال: ميراث فلان. قال: فدفعت إليه العصا والقدح والجراب، ثم وليت راجعاً. فوالله^(١١) ما خرجت من المسجد حتى قلت لنفسي: تضربين من مكة إلى بيت المقدس وقد رأيت من الشيخ الأول ما رأيت، و^(١٢) من الثاني ما رأيت^(١٣) ولا تسألين هؤلاء القوم أي شيء هما و^(١٤) قصتهما وتسألهم عن أمرهما^(١٥)! فرجعت^(١٦) ومن رأيي ألا أفارق هذا الشيخ^(١٧) حتى أموت أو يموت. قال: فجئت أدور في^(١٨) الحلق وأجتهد على أن^(١٩) أعرفه أو أقع عليه، فلم أقع عليه. قال: وجعلت أسأل عنه فلم أجد أحداً يدلني عليه. فرجعت منصرفاً إلى العراق^(٢٠). شعر^(٢١):

ولما نَفَرْنَا بالركائب من مِنى
وقد رُفِعَتْ تلك القبابُ وقد غدا
ولمَّا حَدا حادي المطيِّ تقاطَرت
وعدتُ من التَّوديع والقلب لم يَعدُ
فقلت لنفسي كلِّما قد أخذته^(٢٢)
وتوبي إلى مَنْ يعلم السرَّ توبة
أليس من الخسران أن^(٢٣) لياليا
مروعة للبين في ساعة النِّفر
فؤادي المعنى بالفراق^(٢٤) على الجمر
دموعي يُضاهي فيضها وإبل القَطَر
ولكنَّه قد عاد مُنْقَسِم الفكر
جری فأصبري إنَّ المَثوبة في الصبر
عساك تنالين السلامة في الحشر [١٣٠ب]
تمرُّ بلا نفع وتُخسب من عمري
[بحر الطويل]

- (١) عبارة «قال فلما.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلما انقضى».
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «قوم».
- (٤) في (م) و(ع): «فبينما».
- (٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في الأصل: «في الناس»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «ولا».
- (٨) في الأصل: «ندري»، وهي من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «من».
- (١٠) في (م) و(ع): «فالتفت إليه».
- (١١) في (م) و(ع): «قال فوالله».
- (١٢) في (م) و(ع): «الشيخ الثاني كذلك».
- (١٣) عبارة «الثاني.. إلخ»، في (م) و(ع): «الشيخ الثاني كذلك».
- (١٤) كلمة «هما» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «زيادة: «ومن هما»».
- (١٦) في (م) و(ع): «الشيخ الآخر».
- (١٧) في (م) و(ع): «أني».
- (١٨) في (م) و(ع): «وأنا متحسر».
- (١٩) في (م) و(ع): «بالعراق».
- (٢٠) في (م) و(ع): «حذرت».
- (٢١) في (م) و(ع): «حذرت».
- (٢٢) في (م) و(ع): «حذرت».
- (٢٣) في (م) و(ع): «حذرت».
- (٢٤) في (م) و(ع): «حذرت».

معشر العارفين معكم أتحدث، أيها الفقراء إليكم أشير، معاشر العلماء نحوكم أحقق، لأنني^(١) تغربت في إقليم^(٢) العلوم، وتعلمت اللغات المختلفة، فأنا أتحدث في المجلس^(٣) مع كل قوم بلغتهم؛ فالعارفون بالإيمان، والعالمون^(٤) بالإشارة، والساكنون بالأمثال^(٥)، والأدباء بالبلاغة، والفضلاء بالتلويح، والعامّة بالعبارة، و^(٦) مفهوم كلامي أرواح لصور المعاني، والمحققون بالذوق، والمحبون بالتعريض، والفقراء بالرمز، وقد أخذ^(٧) كل أناس مشربهم. طب كلامي أنفع من طب بقراط^(٨) لأنه يطب بعقاقير النبات، وأنا أطب بلطائف^(٩) الكلمات، ذلك^(١٠) يطب الأجساد وهذا يطب القلوب ليوم التناد^(١١)، أجمع عقاقير الخوف والرجاء، وأنعم سحقه بالعبارة، وأنخله بمنخل الفصاحة، وأعقده في قدر الحكمة بشراب الأمثال، وأسق منه عليل الذنوب ما يستخلص منه أخلاط الخطايا فيعود إلى الصحة والتوبة وقد أقلعت عنه - إن شاء الله تعالى - العلة^(١٢).

إلهي أجزى عندك أن تجري ذكرى على السنة^(١٣) أوليائك بالدعاء لي أن يرحم الله ﷺ غريتي إذا نسينا^(١٤) الذاكرون يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته وسلم تسليماً كثيراً^(١٥).

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «أقاليم».

(٣) عبارة «في المجلس» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «والعلماء».

(٥) في (م) و(ع): «بالمثال».

(٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «وقد أخذ»، في (م) و(ع): «قد علم».

(٨) هو بقراط بن إيراقليدس بن أبقرط، الطبيب الفيلسوف، تعلم صناعة الطب من أبيه إيراقليدس ومن جده أبقرط، وهما أسرا إليه أصول صناعة الطب. ابن النديم، كتاب الفهرست، ص ٣٤٦. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤٣.

(٩) في (م) و(ع): «بعقاقير».

(١٠) في (م) و(ع): «ذاك».

(١١) عبارة «ليوم التناد» ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «إن شاء.. إلخ»، في (م) و(ع): «الحوية».

(١٣) في (م) و(ع): «لسان».

(١٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «نسيني».

(١٦) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م). وقد وردت هذه الخطبة الثالثة ثانية في (م) و(ع)، بينما وردت الخطبة الثانية ثالثة فيهما مع الحاق خاتمة الفصل بها.

الفصل السادس عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي لطف قلوب أحبابه بأنسه وتقرَّب^(١) إليهم بالطف تقريب، أباح جميل^(٢) جماله تعالى^(٣) للمحبين فهو لهم نغم الحبيب، كم لهم^(٤) تحت ستر الدجى من مقيم عيشه بالأشواق يطيب^(٥)، نغم المجتهدين بالمسامرة وأظهر لهم من لطفه الشيء العجيب، أذابهم الوجد فإذا بهم من تقلب^(٦) الحب في تقلب^(٧)، فجَّر من قلوبهم ينابيع الحكمة فأنبتت من العرفان كل غريب، كل مجلس من مجالس أنسهم لسان أذكاهم فيه خطيب، كم لهم في ديوان القلوب من وارد^(٨) أوراد وصادر^(٩) أذكار ودمع سكيب، وافرحتهم قسم لهم من التحقيق أوفر^(١٠) نصيب، وزيد لهم من مزيد النظر نصيباً من نصيب^(١١)، هم الأصفياء الأتقياء النقباء تعوَّدوا^(١٢) من خوفهم مراقبة الرقيب، نُفِّرة^(١٣) إخلاصهم زائدة في ميزان القبول تتلقاهم الملائكة بالترحيب^(١٤)، إذا فُتِح باب السحر حنَّوا إلى الذكر فلحنينهم بالأذكار تطرب، وأهل المعاصي في تيه الغفلة تدعوهم العبر ولا مجيب، تالت عليهم أسقام المعاصي فما ينفعهم طب ولا^(١٥)

(١) في (م) و(ع): «تعرف».

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «من مقيم.. إلخ»، في (م) و(ع): «من نسَم عينيه بالأشواق تطيب».

(٤) في (م) و(ع): «تقلب».

(٥) في الأصل: «قلب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «مصادر».

(٧) عبارة «وزيد لهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُنُوبُهُمْ أَعْدُوا لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٦]، والزيادة هي النظر إلى الله ﷻ؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخُلْنَا الجنةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُنُوبُهُمْ أَعْدُوا لِلَّهِ﴾. مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، رقم الحديث (٢٩٧، ٢٩٨/١٨١)، ١٦٣/١.

(٩) عبارة «النقباء تعوَّدوا»، في (م) و(ع): «الأغنياء عوضوا».

(١٠) في (م) و(ع): «نفرة». والنفرة: فراخ العصافير، وهو البلبل عند أهل المدينة، واحدته نفرة. ابن منظور، اللسان، «نفرة»، ٢٢٣/٥.

(١١) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٥٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَيِّثُمْ كَانَ مَا أَشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ يَخْلَفُونَ ﴿١٥٧﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ إلى ١٠٣].

(١٢) كلمة «ولا» ساقطة في (م) و(ع).

طبيب، مدّوا بساط الأمل حتى طواه الموت وألقاهم في قلب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ
وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(١).

يا من سوّف [١٣١] بالمتاب حتى شاب، يا من ضيّع في الغفلة أيام الشباب، يا مطرودا
بذنوبه عن الباب^(٢)، يا متعلّقاً بالأمال وهي سراب، يا عامراً قنطرة الدنيا وهي خراب، يا
شارباً خمر الشهوات بشس الشراب، عمرك في طاعة إبليس متى يكون المتاب، إذا كنت في
الشباب غافلاً وفي المشيب مسرفاً^(٣) متى تقف بالباب، كم عوملت على الوفاء فخنت ما هكذا
يفعل^(٤) الأحباب، الظاهر منك عامر والباطن ويحك خراب، كم عصيان كم مخالفة كم من^(٥)
رياء كم حجاب، ولى طبيب العمر في الخطايا ترى^(٦) متى يعود إلى الصواب، ما بعد
الشيّب^(٧) لهو وكيف^(٨) يجمل بالشيخ النصاب، أنت لو قدّمت في متقدم^(٩) عمرك الطاعة
خفت عليها الحساب، كيف والعمر ولى في الغفلة وفي طلب الأسباب، إذا لم تبك عينك^(١٠)
بمدامع بأنسكاب^(١١)، فمن يعيرك عينه تبكي بها من ذا يذوق مصيبة^(١٢) المصاب، إذا أنذرك
الشيّب^(١٣) بالرحلة ولم تقدّم الزاد ماذا يكون الجواب، يا من غلبه^(١٤) طرش الغفلة قل لي
متى^(١٥) يكون العتاب، معشر المذنبين هذا ماتم الأحزان فأين البكى والانتحاب، لأي يوم
تدّخر التوبة^(١٦) وهذا المجلس قد طاب، لأي يوم تدّخر^(١٧) دموعك وما صونها- لعمرى -
صواب، إذا لم يهزك شفاء نسيم المواعظ فالشقاء [١٣٢] ميثوب^(١٨) في الكتاب، ليت شعري
أهل المعاصي كيف عيشهم يطيب، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

أبو عامر الواعظ رحمه الله تعالى قال^(١٩): «بينما^(٢٠) أنا ذات ليلة أسير في بعض
الجبال إذ^(٢١) سمعت صوتاً حزيناً من قلب قريح وهو يقول: يا دليل الحائرين في

(١) سورة سبأ، آية ٥١.

(٢) في (م) و(ع): «مسوفا».

(٤) عبارة «ما هكذا يفعل»، في (م) و(ع): «ما هذا فعل».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «الخطايا ترى»، في (م) و(ع): «الخطا».

(٨) في الأصل: «وطيف»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «عليك».

(١٢) في الأصل: «مصيب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «الشيّب».

(١٥) في الأصل: «لمن متى»، وفي (م) و(ع): «كم»، والصواب ما أثبتناه.

(١٦) عبارة «تدّخر التوبة»، في (م) و(ع): «تؤخر توبتك».

(١٧) في (م) و(ع): «تؤخر».

(١٩) القصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص ١٠١.

(٢٠) في (م) و(ع): «بينما».

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

طريق^(١) الفلوات، ومؤنس كل واحد^(٢) في مُضَلَّات الموحشات، أنت أنسي إذا أستاذس البطالون بسواك^(٣)، وأنت فخري إذا أفتخر الجاهلون بغيرك^(٤). قال أبو عامر: فأسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال: من أين أقبلت في سواد هذا الليل وإلى أين تريد؟ فقلت^(٥): رجل ضل عن الطريق، وقد سمعت منك كلاماً أثار بقلبي أحزانه، وأثار بلبّي أشجانه. فصاح صبيحة خر^(٦) مغشياً عليه، ثم أفاق وأخذ في البكاء، قلت: فلم هذا البكاء؟ قال: إني أكره الأمانى. ثم ولى فأتبعته فأشرف على واد فجلس وهو يبكي، فقلت: رحمك الله إني على غير الجادة. فأشدت بكأوه وصياحه، فقال^(٧): ويحك! و^(٨) أين الجادة! و^(٩) أين ذات اليمين! و^(١٠) أين مراتب عليين. ثم ضرب على يدي وتخطى فإذا نحن بجانب الوادي من الجانب الآخر^(١١). قلت: هذا الفجر قد طلع ونحن نحب الوضوء، فضرب يديه^(١٢) الأرض فإذا نحن بماء عذب زلال. فقال: دونك فتوضأ وتوضأت^(١٣) [١٣٢ب] ثم أذن وأقام الصلاة، وصلى^(١٤) وصليت معه، ثم^(١٥) قال: يا عبد الله^(١٦) قد دنت^(١٧) مفارقتك إياي^(١٨) فعليك السلام. فقلت له^(١٩): بالذي أباح لك^(٢٠) الارتوع في رياض الإقبال إلا جُذت لي بالمصافحة، ومننت عليّ بدعوة صالحة بعد المؤاكلة^(٢١)، ثم أومأت إلى ميزودي^(٢٢) لأحلّه. فقال: أوجائع^(٢٣) أنت؟ قلت: نعم. قال: شغلك^(٢٤) قلبك عن التفكير في الملكوت بأكل القوت، و^(٢٥) لو ذقت طعم اليقين وما أعد الله للمتقين للأن خشوعك وهذا جوعك، ثم ضرب بيده الأرض فإذا بقرص كأنها خرجت من التنور^(٢٦)، فقال:

-
- (١) في (م) و(ع): «طرق».
- (٢) في (م) و(ع): «متوجه».
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «قلت».
- (٥) في (م) و(ع): «وقال».
- (٦) في (م) و(ع): «قلت».
- (٧) في (م) و(ع): «قلت».
- (٨) في (م) و(ع): «قلت».
- (٩) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٠) في (م) و(ع): «قلت».
- (١١) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٢) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٣) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٤) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٥) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٦) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٧) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٨) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٩) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢٠) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢١) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢٢) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢٣) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢٤) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢٥) في (م) و(ع): «قلت».
- (٢٦) في (م) و(ع): «قلت».

دونك^(١) يا بطل، إن الله ﻻ ^(٢) عباداً^(٣) صدقوا في ترك الشهوات فأخدمهم الأكوان في الحياة وبعد^(٤) الممات، ثم غاب عني فلم أره^(٥). شعر^(٦):

أَلِفُ الضُّنَى فسقامه موجود
قَلَقٌ يحول عن المزار^(٧) ودونه
خَبْرَانِ مِنَ أَلَمِ الْفِرَاقِ مُؤَلِّه
ويحُنُّ من طَرَبٍ حَنِينَ نِيَابَتِهِمْ
مالي أرى ذِكْرَ الْعُذَيْبِ وأهله
فجِئى^(٨) الْعُذَيْبِ وقاطنيه^(٩) أريدهم
وَيَلُومُنِي مَنْ لَيْسَ بَيْنَ جَفُونِهِ
حَبِيرًا أَعَارِبَ الْعُذَيْبِ وسائلوا
وسألوهم^(١٠) ردَّ الجوابِ عليكم
أَمْخِيْمُونَ عَلَى الْحِجَازِ فَيَعْتَنِدِي

وَجَفَا الْكَرَى فَمَنَامُهُ مَفْقُودُ
سهل العراق ووعدته والبَيْدِ
سكران من خمر الهوى عزْبِيدِ
بِهَا^(١١) وكلُّ وَآلِهِ مَغْمُودُ^(١٢)
مطر الركاب فمأوؤه مَزُورُودُ
وَبُجَاحٌ لِي خَلْفُ^(١٣) وَلَسْتُ أريد
عينَ قَنَاهَا^(١٤) الدَّمْعَ والتَّسْهِيدِ
هل ما مَضَى لِي فِي الْعُذَيْبِ يعود^(١٥) [١٣٣]
وأظنُّ أَنَّ سؤَالَكُمْ مَرْدُودُ
أم عائدون إلى الجِمْى فيعود

[بحر الكامل]

يا راحلين^(١٦) بلا زاد السفر بعيد، العين جامدة والقلب أقسى من الحديد، من أولى منك بالعزاء وأنت في المعاصي في كل يوم تزيد^(١٧)، ما أيقظك الشباب ولا أُنذرك الاكتهال ولا نعاك المشيب ما أرى صلاحك إلا بعيد، فديت أهل العزائم لقد نالوا أفضل مزيد، طروا

(١) في الأصل: «دون»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «رجالاً».

(٣) في (م) و(ع) زيادة: «بعد».

(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) في الأصل: «قلق قلبي يحرم على المزار»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «فيها». وتاه في الأرض يتيه: ذهب متحيراً وضل. وامرؤ تاه: ضال متحير. ابن منظور،

اللسان، «تیه»، ٤٨٢/١٣.

(٧) في الأصل: «عميد»، والتصويب من (م) و(ع). والعميد والمعمود الذي بلغ به الحب مبلغاً. ابن منظور،

اللسان، «عمد»، ٣٠٥/٣.

(٨) في الأصل: «يهوى»، وهي من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «قاطنيهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «حلب».

(١١) عبارة «هل ما مضى.. إلخ»، في (م) و(ع): «إن كان تنال العذيب بفيد».

(١٢) في الأصل: «واسألوهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «راحلاً».

(١٤) عبارة «في كل يوم تزيد»، في (م) و(ع): «كل يوم جديد».

فراش النوم فلهم بكاء وتغريد، دموعهم تجري خدَّت في الخدود تخديد^(١)، ما أنت من أهل الحب ولا من العشاق يا قليل الهمة يا طريد، يا مخنث العزم تدَّعي^(٢) مقام الجنيد وأبي يزيد، فنيث^(٣) عمرك في الهوى^(٤) غيرك نال المقصود وأنت منه بعيد، غيرك على الجادة وأنت من الشهوة في أوجال^(٥) وتنكيد، ترى^(٦) متى يقال فلان أستقال يا له من وقت سعيد، متى تخرب ديار الهوى^(٧) قبل أن يخرب عمرك الجديد، لو عاينت قلق التائبين وتملعل الخائفين من هول^(٨) الوعيد، غدرت ولم تعذر^(٩) لهم في النوح والتغريد، إذا تذكروا^(١٠) أيام الصبا ذابوا من الحياء بزفرات تزيد، وإذا تعلقوا بذيل الدجى تدرعوا بثوب^(١١) حزنه والتسهيد، فأنقلب ليلهم نهاراً في طلب المزيد، جعلوا قرة أعينهم في الفقر والزهد^(١٢) والتزهيد، لا جرم أن^(١٣) قرة أعينهم [١٣٣ب] في النظر^(١٤) إلى المحبوب وأعطى طالبهم فوق ما يريد، وأهل الحرمان ضيعوا أعمارهم^(١٥) في الغفلة الشباب والمشيبي، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَلَا يَذُورُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

إبراهيم بن يسار^(١٦) رحمه الله تعالى قال: «مررت أنا ويوسف في طريق الشام، فوثب إليه رجل فسلم عليه وقال^(١٧): يا يوسف عظمي بموعظة أحفظها عنك. فبكى وقال^(١٨): أعلم يا أخي أن أختلاف الليل والنهار يتعاونان على هدم بيتك^(١٩) وفناء عمرك وأنقضاء أجلك، فلا تطمئن يا أخي حتى تعلم أين مستقرك ومصيرك غدا يوم تجزى كل نفس بما كسبت». شعر^(٢٠):

باتت ترى من^(٢١) العقيق رامة يا بُغده لولا الغرام نظرا

-
- (١) في (م) و(ع): «أخايد».
- (٢) في (م) و(ع): «دع».
- (٣) في (م) و(ع): «أفنيث».
- (٤) في (م) و(ع): «اللعب».
- (٥) عبارة «من الشهوة.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الشهوات في أرحال». والوجل: الفزع والخوف. وقد وجل وجلّاً، وفي قلبه وجلّ، وفي قلوبهم أوجال. الزمخشري، أساس البلاغة، «وجل»، ص ٦٦٦. ابن منظور، اللسان، «وجل»، ٧٢٢/١١.
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «اللّهو».
- (٨) في (م) و(ع): «ذكر».
- (٩) في (م) و(ع): «تعذر».
- (١٠) في (ع): «تذكروا».
- (١١) في (م) و(ع): «بشوت»، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «والتزهد».
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «بالنظر».
- (١٥) في (م) و(ع): «بالنظر».
- (١٦) إبراهيم ذكره ابن حجر في لسان الميزان، ١٦٨/٧؛ فقال: إبراهيم بن يسار الرمادي، ولم يذكر له ترجمة.
- (١٧) في (م) و(ع): «فقال».
- (١٨) في (م) و(ع): «ثم قال».
- (١٩) في (ع): «بيتك».
- (٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والآيات وردت في الخطبة الأولى من الفصل الحادي عشر.
- (٢١) في (م) و(ع): «على».

طوى لها^(١) الشوق البعيد فأتبّرت
 واهأ لها ما للجمى ومالها
 ولا يُفِيد قولها برامة
 لا تُشَتِّكيه من وجأ تغثّيرا
 لا بأس يا سائقها إن عثّرت
 رفقاً فلو جاز^(٢) السحاب طَرْفها
 ما^(٣) وردت إلا^(٤) الدموع مَنهلًا
 تُشْزِي إلى حُداثها أعناقها
 تحدو^(٥) بشعري فتميل طربا^(٦)
 حُسبك لم يُبْقِ الهوى^(٧) من جسدي

تري بأبصار الهوى ما لا يُرى
 أوْظراً تبغني بها أم خطرا^(٨)
 إن وَصَلْت هل من قِرى ولا قِرى
 ولا تخاف من دُجى تَحْيِيرا
 لولا أعتراضات الهوى^(٩) ما عثرا
 ونوَّرت روضا^(١٠) وفاضت عُثْرا^(١١)
 ولا أَرْتَعَت إلا القلوب زهرا
 كأنما تأخذ عنهم خبرا [١٣٤]
 قل لي متى صار القريض منكرا
 عيناً ولا جور الغرام أثرا
 [بحر الرجز]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي وهب للعقول^(١٢) لطائف المدارك وخزائن الأفكار، كتب في ألواح
 الفطرة^(١٣) تعريف المعارف وشرح الأسرار، ألقى عليه درس^(١٤) علم المعلومات وتطوير
 الأطوار، وأقام له دليلاً^(١٥) على وحدانيته تعالى^(١٦) أظهر من ضوء النهار، أَلَفَ بحكمته بين
 اللطيف والكثيف وكشفه من الحكمة بمقدار^(١٧)، نظم شمل الجسم بواسطة الروح فاستقر له في
 دار البدن القرار^(١٨)، شرفه بتشريفه^(١٩) ونفخه وأظهر فيه خطوط الأقدار، جعل أفعاله

- (١) في (م) و(ع): «له».
- (٢) في الأصل: «عطرا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٤) عبارة «رفقا فلو جاز»، في (م) و(ع): «فقا فلو جاز». (٥) في (م) و(ع): «نورا».
- (٦) عُثْر جمع الغدير. ابن دريد، جمهرة اللغة، «درغ»، ٢٥١/٢.
- (٧) في (م) و(ع): «أو».
- (٨) في (م) و(ع): «غير».
- (٩) في (م) و(ع): «يحدو».
- (١٠) في الأصل: «تطربا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «النوى».
- (١٢) في (م) و(ع): «المقول».
- (١٣) في (م) و(ع): «دروس».
- (١٤) عبارة «أقام له دليل»، في (م) و(ع): «أقام له الدليل».
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «وكشفه.. إلخ»، في (م) و(ع): «بكيفية من الحكمة ومقدار».
- (١٧) في (م) و(ع) زيادة: «حجبه عن مدارك المدارك فلا تتركه الأبصار».
- (١٨) عبارة «شرفه بتشريفه» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: =

تعالى^(١) دليلاً عليه لذوي الاعتبار، صَفَى لَهُمْ مجاري الفهم من سُدد الأكدار، حمى إقليم قلوبهم غيرة من الأغيار، حليتهم مثبتة في ديوان الخواص بحل^(٢) الأبرار، خلع عليهم خلعة^(٣) المدائح مرقومة برسم الأخيار^(٤)، «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَذَابَ آثَارِ ۖ إِنَّكَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ»^(٥).

يا أخي أدخر من البضائع ما هو أغود عليك^(٦) بالأرباح، صاحب بضائع^(٧) التقوى في إقليم القبر ترتاح، أحسن الثياب في سوق الحساب ثياب الزهد لصاحبه أفرح، سلع الفقير تأتبه^(٨) في إقليم الآخرة لكل ناظر إليها أقترح، من رافق ركائب^(٩) تنجافى^(١٠) أصبح^(١١) المنزل أسعد صباح، والمنقطع في أعقاب الركب^(١٢) مُتَّخِذٌ من الحرام بالجراح، [١٣٤ب] إن لم تلتحق بساقية الركب^(١٣) وإلا فعليك بالبكاء^(١٤) والنواح، معدن الذهب لا يظهر إلا في ظلم^(١٥) الليل لذي^(١٦) أعين صحاح، فيضع عليه علامة تستره من الافتضاح، فإذا طلعت عليه^(١٧) شمس القيامة جنى ما أدخر وما عليه من^(١٨) جناح، ذهب الأنس في معدن^(١٩) الدجى ليس لهم عنه براح، وضع عليه المجتهدون رماد^(٢٠) الحزن^(٢١) فهو لهم مباح، وأهل الغفلة مردودة أعمالهم فلا يقبل منهم صلاح^(٢٢)، كم وعظهم المشيب^(٢٣) كم أنذرهم المساء والصباح، فديت قلوب التائبين كم^(٢٤) عادت من الظلام إلى الأنوار، «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا

= «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْآلَةِ وَالْبَحْرِ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنْ الْأَلْبَانِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» [الإسراء: ٧٠].

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: أن الله ﷻ خلق أفعال العباد وأعمالهم.
- (٢) في (م) و(ع): «بخل».
- (٣) في (م) و(ع): «خلعت عليهم خلع».
- (٤) عبارة «برسم الأخيار»، في (م) و(ع): «برسم الاختيار».
- (٥) سورة آل عمران، آية ١٦ - ١٧.
- (٦) في الأصل: «إليك»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «صانع».
- (٨) في (م) و(ع): «نافقة».
- (٩) في (م) و(ع): «رفائق».
- (١٠) قوله: «تنجافى» إشارة إلى الآية الكريمة التي تصف الصالحين: «تَنَجَّاهُ جُنُودُهُمْ عَنِ الْمَضَالِجِ يَدْعُونَ بِهِمْ حَوْقًا وَطَمَمًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُقْنُونَ» [السجدة: ١٦].
- (١١) في (م) و(ع): «صبح». وأصبح القوم: دخلوا في الصباح، وأصبحنا وأمسينا أي صرنا في حين ذاك، وأما صَبَّحْنَا ومُسِينَا فمعناه أتيناه صباحاً ومساءً. ابن منظور، اللسان، «صبح»، ٥٠٢/٢.
- (١٢) في (م) و(ع): «النوم».
- (١٣) في (م) و(ع): «الفجر».
- (١٤) في (م) و(ع): «زيادة: «والصباح».
- (١٥) في (م) و(ع): «ظلام».
- (١٦) في (م) و(ع): «لذوي».
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «معدان».
- (١٩) في (م) و(ع): «معدان».
- (٢٠) في الأصل: «ورماد»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢١) في (م) و(ع): «الحرق».
- (٢٢) عبارة «فلا يقبل.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلا تقبل الإصلاح».
- (٢٣) في (م) و(ع): «الشيب».
- (٢٤) في (ع): «كيف».

ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ الْكَافِرِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ
بِالْأَسْجَارِ ﴿١٢﴾

قالت عائشة بنت سليمان^(١): زوج يوسف بن أسباط قالت^(٢): «قال لي يوماً إنني لأشتهي على الله ثلاثة أشياء^(٣). قلت: وما هن؟ قال: أشتهي على ربي ﷻ^(٤) أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون^(٥) علي دين، ولا على عظمي لحم. قالت: ولقد أعطاه الله تعالى^(٦) ذلك كله. و^(٧) قال لي في مرضه^(٨): هل بقيت^(٩) نفقة؟ قلت: لا. قال: فأني شيء ترين؟ قالت^(١٠): قلت: أخرج هذه الخاية^(١١) للبيع. قال: لا، إذا فعلنا ذلك آنكشف أمرنا للناس وقالوا^(١٢) إنما باعوها من الحاجة. قالت^(١٣): وكان عندنا خروف أهدها إليه^(١٤) بعض أصحابه، فأمر به فبيع بعشرة دراهم. فقال لي^(١٥): إغزلي منها درهما لحنوطي، [١٣٥] وأنفقي سائرهما. قالت: فمات رحمه الله تعالى^(١٦)، ولم يبق في البيت^(١٧) إلا الدرهم الذي أمر به للحنوط. شعر^(١٨):

عسى من كسى الجسم السقام يعود
ومن سلب الجفن المنام يُعيد

(١) هي عائشة بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمها أم جعد بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، تزوجها عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام. وكان أبوها سليمان شريفاً جواداً، ولي البصرة للمنصور. البلاذري، أنساب الأشراف، ١٧٠/٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ - ١٦٠ هـ، ص ١٥٩. الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٦/٦.

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٦٥/٤. ويوسف هو يوسف بن أسباط الزاهد، من قرية يقال لها شيخ، أحد مشايخ القوم، له مواعظ وجكم، وكان مرابطاً بالثغور الشامية، وتوفي سنة ١٩٩ هـ - ٨١٥ م. ابن الجوزي، الصفة ٢٦١/٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠ هـ، ص ٤٨٥.

(٣) عبارة «على الله.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الله تعالى ثلاث خصال»، إلا أن كلمة «تعالى» ساقطة في (ع).

(٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع). (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (ع). (٧) الواو ساقطة في (م).

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «الذي توفي فيه». (٩) في (م) و(ع): «بقي عندك».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الخاية وهي الحب، والحب: الجرة الضخمة، وهو الذي يجعل فيه الماء. ابن منظور، اللسان، «خبأ»، ٦٢/١، و«حب»، ٢٩٥/١.

(١٢) عبارة «لن الناس وقالوا»، في (م) و(ع): «وقال الجيران».

(١٣) في (ع): «قال».

(١٤) عبارة «أهداه إليه»، في (م) و(ع): «قد أهداه له».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (١٦) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «في البيت» ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

فما يُبرئ المجهود إلا مُعلِّه
ويكتم^(١) خوف الكاشح^(٢) الصبُّ حُبَّه
ولو سَلِمَت أعضاؤه من نكاله
أأرجو سكون القلب والقلب^(٣) خافق
أحبَّ رُبى نجد ولولا حلولة
وأهوى خُزامه^(٤) ولولا ظبَّاءه
دعوا البان إن لم تُثني أغصانه الصبا
ولا تردوا ماء العُذيب^(٥) فريما
وشاكٍ إلى الأطلال وقفة ذي الهوى
أينشد شعراً أو يُناشد قلبه
يثوب على^(٦) الشكوى فقلت له أتند
فيا^(٧) لائم المشتاق كُفَّ فإئما
أتدعو إلى السِّلوان قلبي والهوى

ويُنقص داء الحب إلا مزيده
ويجحده لو كان يُغني جحوده
لأبطل حكماً أسجَلته شهوده
لَوْشك الهوى^(٨) أعلامه ويُنوده
لَمَّا شاقني نَعْمانه ويروده^(٩)
لَمَّا كان دمع العاشقين يجوده
سُحيراً فأنفاس^(١٠) الغرام تميده
فرائس غزلان^(١١) العُذيب^(١٢) أسوده
برسم بعيد بالعهد عهوده
وهل نافع نشدانه ونشيد
فما^(١٣) كلَّ مَنْ يشكو الغرام يفيد
مَلامته في الحبِّ مما يزيد^(١٤)
إلى غير ما تدعو^(١٥) إليه يقوده
[بحر الطويل]

يا نائهاً في الشقاء^(١٦) بلا دليل ولا زاد، متى تسمع بوق الرحيل فتعمل في الاستعداد، إلى متى في تيه الشقاء والعمر في بعاد، [١٣٥ب] واحسرة^(١٧) عليك على الدوام من المعاصي

- (١) في (ع): «أيكتم».
- (٢) الكاشح: مُضمر العداوة. الفيروزآبادي، القاموس، «كشح»، ص ٣٠٥.
- (٣) في (م) و(ع): «والحي».
- (٤) في (م) و(ع): «لوشك النوى». ووشك البين: سرعة الفراق. ابن منظور، اللسان، «وشك»، ٥١٣/١٠.
- (٥) عبارة «نعمانه ويروده»، في (م) و(ع): «نعماءه وزروده». والزود مقصود بها غضاضة العيش وسهولته؛ يقال عشب زرد: غض، وطعام زمط وزرد أي لين سريع الانحدار. ينظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عباد، «زرد»، ٢٩/٩، ولسان العرب لابن منظور، «زرد»، ١٩٤/٣. والنعمان هو فعلان من نعمة العيش، ونعمة العيش: حسنه وغضارته. والبرود: البارد، والبرود ما ابتُرد به، وليلة باردة العيش وبُرْدته هينته. ابن منظور، اللسان، «نعم»، ٥٨٢/١٢، و«برد»، ٨٣/٣، ٨٤.
- (٦) في (م): «خزاماه»، وفي (ع): «خزاما».
- (٧) في (م) و(ع): «فأغصان».
- (٨) في (م) و(ع): «النقيب».
- (٩) عبارة «فرائس غزلان»، في الأصل: «أصغر يغزلان»، وفي (ع): «غزلان»، والتصويب من (م).
- (١٠) في (م) و(ع): «النقيب».
- (١١) في (م) و(ع): «عن».
- (١٢) في الأصل: «فيا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «فلا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «تزيده».
- (١٥) في (م) و(ع): «تتشكو».
- (١٦) في (م) و(ع): «الفضلال».
- (١٧) في (م) و(ع): «واحسرتي».

تزداد، ظاهره مبهرج^(١) بالرياء وافضحتك عند النقاد، أفنيت^(٢) شبابك في جمع المال وفي المشيب مريض ما تعاد، ألهاك الهوى عن طلب الآخرة ما أراك معتقداً أنك تعاد^(٣)، العمر مضى في الغفلة^(٤) قل لي متى تتيقظ وماضي الصبا ما يعاد، يا أبرد من كانون^(٥) ويا أسكن من جماد، متى تكون أحر من كانون وفي عزيمتك أنقياد^(٦)، يا مخنث الهمة دع عنك عزائم الأنجاد، عند ذكر الدنيا أنت يقظان وعند ذكر الآخرة غلبك^(٧) الرقاد، بعث الدين بالدنيا سيظهر خسرانك^(٨) على رؤوس الأشهاد، ما ينفعك الاعتذار غداً بالأهل والأولاد، الرياء في الظاهر والقبائح في الباطن لمثل هذا البلاء يراد، مجلس الوعظ حوض الكوثر كم إليه من وراد، هذا يسقى بقدر نياته^(٩) وكم من محروم عنه يذاد، إذا أنقضى المجلس ولم تقض دين التوبة فلا بد من سجن البعاد، فله ما أجمل ركب التائبين ما أجملهم^(١٠) في الأسفار، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّاكَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَوَقْنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ١١ ﴿الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ﴾^(١١).

قال بعضهم^(١٢): جاورني فتى وكنت أؤذن^(١٣) للصلاة، فإذا صليت صلى ثم دخل إلى منزله، فكنت أتمنى أن أقضي^(١٤) له حاجة، قال^(١٥) لي يوماً: أعزني مصحفاً أقرأ فيه، فدفعت له مصحفاً، فضمه إلى صدره ثم قال: ليكون^(١٦) لي ولك اليوم شأن. ثم غاب يومه، فلما صليت [١٣٦] العشاء الآخرة أتيت إلى الدار التي هو فيها؛ فإذا فيها دلو ومطهرة وعلى بابهِ ستر، فدفعت الباب فإذا هو ميت والمصحف في حجره، فأستعنت على حمله على سريره، وبقيت ليلي أفكر في كفته، فلما أذنت للفجر دخلت المسجد لأركع فإذا كفن^(١٧) ملفوف، فأخذته وأقمت الصلاة، فلما سلمت فإذا على^(١٨) يميني مالك بن دينار وثابت البناني وصالح المري رحمهم الله تعالى^(١٩)، فقلت: ما شأنكم؟ فقالوا: مات في جوارك الليلة أحد؟ قلت^(٢٠): مات شاب، فقالوا: أريناه. فلما دخلوا عليه كشف مالك الثوب عن وجهه ثم قبَّل

- (١) في (م) و(ع): «بهرج».
- (٢) أي يعاد بعثك يوم القيامة للحساب.
- (٣) في الأصل: «كافور»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) في الأصل: «انقاد»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٥) عبارة «سيظهر خسرانك»، في (م) و(ع): «ستظهر خسرتك».
- (٦) في (م) و(ع): «نيت».
- (٧) الآية في (م) و(ع): ﴿الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ﴾.
- (٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣/ ٣٥٥.
- (٩) في الأصل: «أذن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «فقال».
- (١١) في (م) و(ع): «بكفن».
- (١٢) عبارة «رحمهم الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «العمر ولى في غفلة».
- (١٥) في (م) و(ع): «غلب عليك».
- (١٦) في (م) و(ع): «أنجبهم».
- (١٧) عبارة «أن أقضي» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «ليكونن».
- (١٩) عبارة «فإذا على»، في (م) و(ع): «إذا عن».
- (٢٠) في (م) و(ع): «فقلت».

موضع سجوده، ثم قال: بأبي وأمي أنت^(١) يا حجاج^(٢)، كنت إذا عرفت في موضع^(٣) تحولت إلى غيره، وجاء كل واحد منهم بكفن، فأعلمتهم قصة الكفن فكفناه فيه، وما كدنا نرفع جنازته من كثرة أزدحام الخلق عليه رحمه الله تعالى ونفعنا به^(٤)». شعر^(٥):

يَشِيمُ وَمِيضُ الْبَرْقِ فِيهِ^(٦) سَقَامُهُ
فَمَا هُوَ لِلْبَلَوِ بِنَجْدٍ مَعْرُضُ
يَزِيدُ عَلَى لَمْعِ الْبُرُوقِ أَشْنِيَاقَهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ مَنْ سَكَنَ الْجَمَى
يُطِيعُ بِنَا الْوَاشِي فَيُبْنِدِي مَقَالَهُ
لَعَنَرُ اللَّوَاخِي كَيْفَ يَلْحُونُ نَازِحاً
يُرَى^(٩) حَاضِراً شَطَّتْ بِهِ الدَّارُ أَوْ دَنَتْ
يَذْكُرُنَا^(١٠) الْبَرْقُ الْحَجَازِي لَمَعَهُ
وَيَهْدِي لَنَا مِنْهُ النِّسِيمَ تَحِيَةً
دَعَوْنِي وَرَوْضَ الْحَزْنِ عَلَّ صَبَابَتِي
وَحَلُّوا الصَّبَا تُظْفِي التَّهَابِي وَتَكْبُرُوا^(١٢)
فَمَنْ عَجَبِي^(١٣) أَنْ الصَّبَا تَخْمَدُ الْهَوَى

وَيَهْوَى غِنَاءَ الْوُزْقِ وَهُوَ جَمَامُهُ
بَدَا بَرْقُهُ أَوْ نَاحَ وَجَدَا حَمَامُهُ
وَيَقْوَى عَلَى سَجْعِ^(٧) الْحَمَامِ ضِرَامُهُ^(٨)
عَلَى عِلْمِهِ أَنَّ الْقُلُوبَ خِيَامُهُ
وَيَعْصِي بِنَا اللَّاحِي فَيُخْفِي مَلَامُهُ
وَفِي السَّرِّ مِنْهُ ثَوْرُهُ وَتَمَامُهُ
وَمَا وَاحِدُ نَأْيِ الْهَوَى وَمَقَامُهُ [١٣٦ب]
وَلَيْسَ سِوَاءَ وَمُضَةٍ وَأَبْنَسَامِهِ
هِيَ الْعَرَفُ إِذْ عَرَفَ النَّسِيمَ سَلَامُهُ
تَحَقُّظُ^(١١) مِنْهَا شَيْحُهُ وَخَزَامُهُ
مَقَالَتَكُمْ فَالْوَجْدُ زَادَ ضِرَامَهُ
وَيُذَكِّيهِ^(١٤) وَقَدْ دَمَعَهُ^(١٥) وَأَنْسَجَامُهُ

[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي تعرف لقلوب العارفين فعرفوه، نزه أسرارهم بالتوحيد^(١٦) فبتنزيهه^(١٧)

(١) في (م) و(ع): «أبي أنت وأمي».

(٢) هو الحجاج العابد، ذكره ابن الجوزي من المصطفين من أهل البصرة. ابن الجوزي، الصفة، ٣/٣٥٥. والمتنظم ١٤٨/٧.

(٣) عبارة «في موضع»، في (م) و(ع): «بموضع».

(٤) عبارة «من كثرة... إلخ»، في (م) و(ع): «من كثرة الخلائق».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «وهو».

(٧) في الأصل: «سمع»، وهي من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «غرامه».

(٩) في (م) و(ع): «ترى».

(١٠) في الأصل: «تذكرنا»، والتصويب من (م) و(ع). (١١) في الأصل: «أتخفف»، والتصويب من (م) و(ع). وتحققت الكتاب: استظهرته شيئاً بعد شيء. ابن منظور، اللسان، حفظ، ٤٤١/٧.

(١٢) في الأصل: «واكففوا»، والتصويب من (م) و(ع). (١٣) في (م) و(ع): «عجب».

(١٤) في الأصل: «وإني»، وهي من (م) و(ع). (١٥) في الأصل: «معي»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «في التوحيد».

(١٧) في الأصل: «بياض»، وهي من (م) و(ع).

نزوه، قريهم إلى حضرة الجمال فبجماله^(١) وصفوه، طوى لهم مادة^(٢) السلوك وصفاهم من ظلمة الطبع فشاهدوه^(٣)، أثبت في ديوان القضاء الشقاء^(٤) والسعادة والمحبوب والمكروه، بسط بساط الخلوة في مجلس الدجى فعبده، و^(٥)عطر محاريب صدورهم بأزهار الأذكار و^(٦)أعطى لهم^(٧) ما سألوه، فكم^(٨) بين محبوب ومبعد^(٩) هذا ساعده التوفيق وهذا خذله^(١٠) القضاء فما رحموه^(١١)، فيا معشر المذنبين كم ذا التعامي والحق واضح رأيتموه، كم وعظكم^(١٢) الأيام والشيب كأنكم ما سمعتموه، كم تسيلون الأستار على المعاصي^(١٣) أما تعلمون أنكم^(١٤) بعين من تعصوه، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَآخَذُوا﴾^(١٥)، فسبحان من شهدت له القلوب بالربوبية وعنت الوجوه^(١٦)، أحمدته حمد من لعفوه عن ذنوبه يرجوه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أشهد [١٣٧] بها^(١٧) إذا عنت الوجوه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شفيع الأمم^(١٨) يوم يستشفعوه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين عزروه^(١٩) ونصروه.

يا أخي أنظر كل^(٢٠) يوم في دستور عملك قبل أن^(٢١) يتلف رأس المال، في ديوان المفالس^(٢٢) أنقطعت بك^(٢٣) الآمال، ما أجمل حلة الزهد وأحلاها^(٢٤) من حال، يا من عليه بقايا الطاعة أما علمت أن الأيام^(٢٥) عليك عُمال، النهار يطلبك بالتحصيل والليل يطلب قبض المبلغ من الأعمال، أسع ويحك في أيام الشباب وحصل ما ينجي من الأهوال، من عزم على

(١) عبارة «قريهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «هاموا في حبه وبجماله».

(٢) في (م) و(ع): «بادية».

(٣) في (م) و(ع): «الشقاوة».

(٤) (٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) عبارة «أعطى لهم»، في (م) و(ع): «أعطاهم».

(٨) في (م) و(ع): «مبعد».

(٩) عبارة «فما رحموه»، في (م) و(ع): «فأرحموه».

(١٠) في الأصل: «الأسرار»، وهي من (م) و(ع).

(١١) (١٤) الكلمة ساقطة في (ع).

(١٢) سورة البقرة، آية ٢٣٥.

(١٣) عبارة «فسبحان.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وعنوت للحق عُتُوا خضعت، وعنوت لك خضعت لك وأطعنتك، وقيل: كل خاضع لحق أو غيره عان. ابن منظور، اللسان، «عنا»، ١٥/١٠١.

(١٤) عبارة «أشهد بها»، في (م) و(ع): «أستعدها».

(١٥) (١٨) في (م) و(ع): «الامة».

(١٦) عَزَّره عَزَّراً وَعَزَّره: أعانه وقواه ونصره. ابن منظور، اللسان، «عزر»، ٤/٥٦٢.

(١٧) في (م) و(ع): «كم».

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «به».

(٢٠) في (م) و(ع): «الأعمال».

(٢١) في (م) و(ع): «وَأَحلى حلاها».

وفاء الدّين عامل نفسه بالإقلال، واعجباً^(١) كم أسّلك عن^(٢) الشهوات وأنت تكثر عنها السؤال^(٣)، فتأمل^(٤) ما تستحسن من الدنيا تراه حقيقة^(٥) كالخيال، ودلّ الاكتساب بعد الحساب على ما يُسمع وما يقال، دع عنك حديث الرباب وزينب وسل عما ينفعك في المآل، ظاهر مزين وباطن مشحون بقبيح الفعال، ما كفى دينار عملك بهرج إلا وكشّره ظاهر فمن عليك^(٦) يحتال^(٧)، العجب والرياء والسمعة والدعوى وحال حرمانك ما حال، واخجلتك بين يدي^(٨) نقاد الحساب إذا عاينت تلك الأهوال، معشر التائبين هذا ماتم الأحران هذا مندب الضلّال، فبادروا إخواني قبل أن تطلبوا العمل فما^(٩) تجدوه، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذَرُوا﴾.

قال إبراهيم بن المهلب رحمه الله تعالى^(١٠) [١٣٧ب]: «رأيت في بعض السياحات^(١١) شاباً ما معه أحد، قد أنقطع عن الناس، وهو قائم يصلي، فانتظرت حتى فرغ من صلاته، فقلت^(١٢): يا فتى، ما^(١٣) معك مؤنس هاهنا؟ قال^(١٤): بلى. قلت: وأين^(١٥) هو؟ قال: أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي. فعلمت أن عنده معرفة، فقلت^(١٦): أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: وأين^(١٧) هو؟ قال: إيمان صادق وتوكل واثق. فقلت: هل لي في مرافقتك^(١٨)؟ قال^(١٩): إن الرفيق يشغلني عنه^(٢٠). قلت^(٢١): أما تستوحش في هذه البرية؟ فقال: إن الأنس بالله قطع عني كل وحشة. فقلت: من أين تأكل وما معك طعام^(٢٢)؟ فقال: إليك عني يا ضعيف اليقين. فقلت^(٢٣): سألتك بالله تعالى^(٢٤) إلا ما^(٢٥) أعلمتني. فقال^(٢٦): الذي غذاني في الأحشاء صغيراً تكفل برزقي كبيراً. فقلت^(٢٧): على كل حال؟ قال: حد

-
- (١) في (م) و(ع): «واعجابه».
- (٢) في (م) و(ع): «التسأل».
- (٣) في (م) و(ع): «تر حقيقته».
- (٤) في (م) و(ع): «تحتال».
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٦) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل السادس.
- (٧) في الأصل: «السياحة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «قلت له».
- (٩) في (م) و(ع): «فأين».
- (١٠) في (م) و(ع): «قلت».
- (١١) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٢) في (م) و(ع): «هل لك في مرافقتي».
- (١٣) في (م) و(ع): «عنك».
- (١٤) عبارة «وما معك طعام»، في (م) و(ع): «وما طعامك».
- (١٥) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «قلت».

معلوم ورزق مقسوم ووقت مفهوم^(١)، فإذا أحتجت إلى الطعام وجدته في أي وقت شئت^(٢)». شعر^(٣):

يا بانه الجَرْعاء هل من عَظْفَة
يَهْوَى حَصَى^(٥) ماء العُذَيْب لأنه
وتَشْوَقُه تلك الرِّياض لأنَّها
وتَنَسَّمت ريح الوِصال فأظْفَأت
ولقد رَماني الوُجْد عن قوس^(٨) الهوى
وهرنْتُ من نار الهوى وعذابها
وسرَّيت في ليل الشَّباب فلم أصِل
وعجَّبت من قلبي وطول ثباته
ذهب الزمان وما ظَفِرْتُ بطائل
وإذا تصفَّختُ الشَّبيبة^(١١) لم أجد
فأزددتُ في حُبِّ الشَّقاء حاجة

فتريح^(٤) قلباً في هواك معذباً
ما زال يَرشُف^(٦) منه^(٧) ثَغْراً أَشْنَباً
لَيْسَتْ على الأَهْضابَ وشياً مُذهِبا
بالقُرْب ما أذكى البعاد وألهبا
وأصابني^(٩) ورميَّته فتَنَكَّبا
نحو السَّلْو فلم أجد لي مَهْرباً [١٣٨]
أدنى نهار الشَّيب إلا مُتَعَباً
كلفاً وكنت عهدتُ قلبي قلباً
مَمَّن أحبُّ فاستلذ المشربا
لي من يذكّرني بأيام الصَّبا
ولربَّما كان الشَّقاء محبِّبا

[بحر الكامل]

بالله أعزني سمعك حتى أحدثك بالحديث^(١١) الصحيح، إياك وبهرج الرياء فرونقه عند نقاد الحساب قبيح، العمر ضيف لا يتخلف عن إكرامه إلا الشحيح^(١٢)، أيام الشباب^(١٣) روض أنيق وطير قوامه^(١٤) فصيح، وأرض المشيب مجدبة ليس فيها ظل لمستريح، إن^(١٥) فانتك الأرباح في الشباب فانت في الكبر على ظهر العجز طريق، سفينة عمرك داخلها^(١٦) ماء الضعف وما وافقها من الطاعة ريح، وزاد قواك نفد وماء شبابك فرغ وجواد عزمك^(١٧)

(١) في (م) و(ع): «وقت مفهوم ورزق مقسوم». (٢) في (م) و(ع): «أردته».

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل السادس.

(٤) في الأصل و(م) و(ع): «تعلل»، والتصويب من (ب).

(٥) في الأصل: «حي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «يشرب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «منك».

(٨) في (م) و(ع): «فأصابني».

(٩) في الأصل: «المشيبة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «بالخبر».

(١١) في (م) و(ع): «شحيح».

(١٢) في (م) و(ع): «قواه».

(١٣) عبارة «أيام الشباب»، ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «دخلها».

(١٥) في (م) و(ع): «فإن».

(١٦) عبارة «جواد عزمك»، في الأصل «وعمرك»، وفي (م) و(ع): «جواد عمرك»، وهي من (ب).

جريح، فبادروا^(١) السباحة إلى ساحل التوبة قبل أن يصيح الصائح^(٢)، إذا لم تبك عينك على مصابك فما أرى عقلك صحيح، إذا كنت لا تتركب مركب التوبة وسباحة^(٣) الندم لا تحسن فما^(٤) في موزون صلاحك ترجيح، ونجائب النجاة^(٥) لا تتركب وطريق^(٦) العزائم لا توافق^(٧) فأنت في منقطع الحرمان بالتصريح، كم لإبليس في وجهك من قبلة يقول فديت الوجه^(٨) القبيح، ضيع شبابه في اللعب والكبر بالتسويق^(٩) فهو من الأشقياء صحيح، [١٣٨ب] فيا معشر التائبين^(١٠) هذا علم التوبة^(١١) فأتبعوه، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَآخِذُوا بِهِ﴾.

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: «بينما^(١٢) أنا أسير في خراب مصر إذا^(١٣) أنا بجارية حاسرة عن وجهها، وقد علاها صفار، وغشيها^(١٤) أنوار، وعليها من المحبة آثار...» تقدمت هذه الحكاية في الفصل السابع^(١٥). شعر^(١٦):

مزجت لأقوام شراباً من الوُضَلِ وأسقيتني صرفاً فِئمت^(١٧) عن الكلِّ
ولو شربوا بعض الذي أنا شارب لأخرجهم ما يشربون عن العقل
سألتك يا ساقِي الحُمَيَّا^(١٨) ترفُّفاً بهم وأسقني صرفاً فليس هم^(١٩) مثلي

(١) في (م) و(ع): «فبادروا».

(٢) في الأصل و(م) و(ع): «النصيح»، والصواب ما أثبتناه؛ لأن النصيح هو الناصح، ولا يحمل معنى الموت، والمعنى المراد هنا سارعوا بالمتاب قبل أن يفجأكم صائح الموت فلا ينفع حيثل المتاب. ويقال صيح في آل فلان إذا هلكوا.

(٣) في الأصل: «سباحتك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «وما» (٥) في (م) و(ع): «النجابة».

(٦) في الأصل: «ولا طريق»، والصواب ما أثبتناه، وفي (م) و(ع): «ونوق».

(٧) في (م) و(ع): «ترافق».

(٨) في (م) و(ع): «هذا الوجه».

(٩) في (م) و(ع): «في التسويق».

(١٠) في (م) و(ع): «المذنبين».

(١١) في (م) و(ع): «المتاب».

(١٢) في (م) و(ع): «بينما».

(١٣) في (م) و(ع): «إذاذا».

(١٤) في (م) و(ع): «وعلتها».

(١٥) عبارة «تقدمت هذه الحكاية... إلخ» ساقطة في (م) و(ع)، وقد أعيد ذكرها فيهما بكاملها في هذا الموطن. والقصة تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل السابع.

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فتئت».

(١٨) عبارة «ياساقِي الحميا»، في الأصل: «بالساقِي الحما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «لهم».

تجلّى لهم لآلؤها^(١) في زجاجها
فها أنا سكران أنادي^(٢) منادمي^(٣)
فتاهوا بذاك الضوء عن منهج السبل
فلا شارب بعدي ولا شارب قبلي
[بحر الطويل]

يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة أرحمنا بالتائبين إليك في هذه الساعة يا رحيم^(٤)،
تعطف على أيدي أمتدت إليك^(٥) بالذل والضراعة، أدخلنا في همم أهل الشفاعة، برحمتك يا
أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته
وسلم تسليماً كثيراً كثيراً دائماً أبداً^(٦).



-
- (١) في (م) و(ع): «لآلاء ما».
(٢) في (م) و(ع): «أناجي». وناديته: جالسته. ابن منظور، اللسان، «ندى»، ٣١٦/١٥.
(٣) في الأصل: «منادي»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) عبارة «يا رحيم» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٦) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل السابع عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أحصى علمه ما كان وما يكون، أحاط بتفصيل جزئيات أنفاس الخلائق والحركات والسكون، كتب المقادير في [١٣٩] الكتاب المكنون^(١)، قبض القبضتين فمَنَعَمُون ومَعَذَبُون، أخذ العهد على الخلائق^(٢) بأنه الرب تعالى^(٣) وهم^(٤) المربوبون، أجابوه بالتوحيد فمنهم مشاهدون^(٥) ومنهم محجوبون، رتب لهم دارين فهم^(٦) بمقتضاها^(٧) عاملون، بعث الرسول إليهم^(٨) ليميز الخبيث من الطيب مما^(٩) يعملون، رتب الحفظة فكتابة أعمالهم يضبطون، يقابلون بكتابهم^(١٠) ما في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١١)، قسم أخلاقهم وخلقهم وأرزاقهم وآجالهم^(١٢) ﴿وَلَكُمْ أَجَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾^(١٣)، أدار عليهم الأفلاك لتقرب رحلتهم للمنون، فالنهار لحركاتهم والليل فيه يسكنون، فأهل الطاعة أعمالهم^(١٤) نهار وفي الليل يتعهدون، و^(١٥) أهل الغفلة أعمالهم ظلمة كم يشاهدون العبر ولا يشهدون^(١٦)، جعل^(١٧) الدنيا قنطرة عليها يعبرون، آتخذوها منزلاً بينون ما عنه يرحلون، رتب^(١٨) أرزاقهم على أيام حياتهم فليت شعري لماذا يجمعون، ما خلقوا إلا عبيداً^(١٩) للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادَةٍ﴾^(٢٠) حظوظ الدنيا بالقسمة وحظوظ الآخرة بالعمل أما تفهمون^(٢١)، فيا مضيعين الأعمار في الغفلة على ماذا تتكلمون، الموت والحساب والعقاب ما

- (١) في (م) و(ع): «وأودعها في الكتاب المكنون». والكتاب المكنون قالوا هو اللوح المحفوظ. القرطبي، الجامع، ٢٢٤/١٧، بتصرف.
- (٢) في (م) و(ع): «الخلق».
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «وأنهم».
- (٥) في (م) و(ع): «مُشَاهِدُونَ».
- (٦) في (م) و(ع): «وهم».
- (٧) في (م) و(ع): «بمقتضاها».
- (٨) في (م) و(ع): «بعث الرسل».
- (٩) في (م) و(ع): «بكتابهم».
- (١٠) قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الجاثية، آية ٢٩.
- (١١) في (م): «وآجالهم وأرزاقهم».
- (١٢) قوله: ﴿وَلَكُمْ أَجَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة المؤمنین، آية ٦٣.
- (١٣) في (م) و(ع): «أعمارهم».
- (١٤) في (م) و(ع): «يعتبرون».
- (١٥) في (م) و(ع): «رُتِبَتْ».
- (١٦) في (م) و(ع): «رُتِبَتْ».
- (١٧) قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادَةٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الذاریات، آية ٥٦.
- (١٨) في (م) و(ع): «إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والمعنى: أن نعيم الآخرة لا ينال إلا بالجد والاجتهاد =

تعملون^(١)! كم أنذركم النذير^(٢) وأنتم لا تسمعون، كم ناداكم بحمل الزاد السفر^(٣) بعيد منه^(٤) لا ترجعون، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا [١٣٩ب] قَدَّمَتْ لِغَيْرِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

يا هذا كم تتزيا^(٦) بزي الزهاد والباطن بالدنيا مشغول، لا تصلح المحبة لمن قلبه بالدنيا مشغول^(٧)، لا تصلح المحبة لمن مال للشمال والشمول^(٨)، لولا مكابدة المجاهدة لم يرتج القوم^(٩) إلى الوصول، يا ميت القلب يا من وحل من الشهوات في وحول^(١٠)، إذا لم تكن لك رسالة في رفقة المجتهدين ليت شعري في^(١١) يوم اللقاء ما تقول، إذا^(١٢) تخلفت عن رفاق السحر فأنت^(١٣) بالحرمان^(١٤) مكبول، ما أجمل خلعة المجاهدة طرازها لوعة ونحول، عامل مولاك بصحة القصد^(١٥) وإياك أن تحول، لا تنقطع عن بابه ولو كان قدر الإقامة يطول، أبسط يد الالتجاء إليه وأعص في هواء العذول، البس بُرد الندم ودموع الأسف همول^(١٦)، رافق^(١٧) عيس الخائفين فمآلهم إلى الأمان^(١٨) يؤول، أندب على أنقطاعك عن السابقين يا من بذر إقباله في الأفول، أين حظك من قيام المجتهدين يا نائماً عن الحق يا جهول، أين نصيبك^(١٩)

= والعمل الصالح، أما الدنيا فقد قسم الله ﷻ للخلائق فيها أرزاقهم فلن يأخذوا أكثر مما قُسم لهم ولا أقل.

(١) عبارة «ما تعملون»، في (م) و(ع): «أما تعلمون».

(٢) في (م) و(ع): «المشيب».

(٣) في (م) و(ع): «السفر».

(٤) في (م) و(ع): «عنه».

(٥) سورة الحشر، آية ١٨.

(٦) في (م) و(ع): «تتزين».

(٧) عبارة «لا تصلح.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «إلى الشمال والشمول». والمعنى: لمن وافق أصحاب الشمال في أعمالهم؛ وهم أهل

النار الذين يأخذون كتبهم بشمالهم يوم القيامة، والذين أسكرهم الباطل كأنهم سُقوا خمرأ شمولاً شملت

عقولهم فأغفلتهم عن الحق وأذهلتهم.

(٩) في الأصل: «القول»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في الأصل: «وحل»، وهي من (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «إن»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «فإنه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «من الحرمان».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». البخاري، الصحيح، كتاب

بده الوحي، باب كيف كان بده الوحي، رقم الحديث (١)، ٢/١.

(١٦) في (م) و(ع) زيادة: «رافق ركائب المحزونين واسمع ما أقول».

(١٧) في (م) و(ع): «وافق».

(١٨) في (م) و(ع): «الأمّن».

من هدايا المستغفرين مالك في ركابهم^(١) رسول؟ هيهات من تخلف من^(٢) المنقطعين كيف يرجو الوصول، يا مستقبلاً وجه اللذات أستدبرت وجه العاقبة ولك عنه عدول، ما ألد شراب الإخلاص يا مرائي أنت من الرياء في وحول، ما أجمل وجه الصدق و^(٣) ما ألد الوصول^(٤) للموصول، فيا معشر المذنبين بادروا المتاب قبل أن يحال بينكم [١٤٠] وبين ما تشتهون، ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَكَانَتْ قُلُوبُهُمْ رَاسَةً عَلَى أَثَرِهِمْ أَن يَدْعُوا وَلَئِنَّ اللَّهَ لَآتِيهِم بِخَبْرٍ يَظُنُّونَ﴾.

قال ذو النون رحمه الله تعالى^(٥): «حججت سنة إلى بيت الله الحرام^(٦) فضللت عن الطريق، ولم يكن معي ماء ولا زاد^(٧)، فاشرفت على الهلاك^(٨)، فلاح لي أشجار كثيرة فطرحت نفسي في^(٩) ظل شجرة، فلما غربت الشمس إذا أنا بشاب متغير اللون، نحيل الجسم، يؤم المحراب، فركض^(١٠) برجله ربوة من الأرض، فظهرت عين تفيض بماء عذب، فشرب وتوضأ، وقام في المحراب، فقامت إلى العين فشربت ماء عذباً، وتوضأت وقمت أصلي بصلاته، حتى برق عمود الصبح، فلما رأى الصبح وثب قائماً على قدميه ونادى بأعلى صوته: ذهب الليل بما فيه وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقض من خدمتك وطراً، آه خسر من أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همه^(١١). فلما رأي^(١٢) أن يمشي، ناديته: بالذي منحك لذيق الرغب^(١٣)، وأذهب عنك ملل^(١٤) التعب إلا خففت لي جناح الرحمة، فإنني غريب أريد بيت الله^(١٥) الحرام، وقد ضللت. فقال: يا بطل، وهل قطع بوفده دون البلوغ إليه؟ ثم قال: أتبعني. فرأيت الأرض تطوى من تحت أرجلنا حتى رأيت المحجة، وسمعت ضجة، فقال لي^(١٦): هؤلاء قومك». و^(١٧) أنشأ يقول^(١٨):

يا صاحبي^(١٩) أطبلاً في مؤانستي وناشداني بخلائي وعشأقي

- (١) في (م) و(ع): «ركبهم».
- (٢) عبارة «يا مرائي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «الوصول».
- (٤) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤٠٧/٤.
- (٥) عبارة «إلى بيت الله الحرام» ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «زاد ولا ماء».
- (٧) في (م) و(ع): «إلى».
- (٨) الركض الضرب بالرجل والإصابة بها. ابن منظور، اللسان، «ركض»، ١٦٠/٧.
- (٩) في (م) و(ع): «هممه».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) الرغب: الضراعة والمسالمة. ابن منظور، اللسان، «رغب»، ٤٢٢/١.
- (١٢) في (م) و(ع): «ملال».
- (١٣) في (م) و(ع): «أريد البيت».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «ثم».
- (١٦) تقدمت الآيات في الخطبة الثانية من الفصل الثامن.
- (١٧) في (م) و(ع): «صاحباي».

وحدَّثاني حديث الحَئِيف إنَّ به
ما ضرَّ ريح الصُّبا لو ناسَمَت حُرقي
داء تقادَم عندي من يُعالِجه
بمضي الزمان وآمالي^(١) مُضَيِّعة
يا ضَيِّعة العمر لا الماضي أنتفعتُ به

روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقي [١٤٠ب]
فأَسْتَنْقَذت مُهْجَتِي من أسر أشواقي
وحَيَّة لدَغَتْ قلبي من الرَّاقي
مع مَنْ أَحَبَّ على مَظَل وإِغلاق
ولا حَصَلْتُ على شيء^(٢) من الباقي
[بحر البسيط]

إلهي ما حيلة من خرجت حوالته^(٣) على الشقا، ما حيلة ممتحن غدا باب الصبر عنه ضيقاً،
ما حيلة من حيل بينه وبين المطلوب وأعطى قلباً ضيقاً^(٤)، تهيج أحزانه على أحزانه^(٥) فيندب
أيام سلع والنقا، ضيع رأس مال العمر^(٦) في الغفلة وفي اللهو أنفقا، أسرته الشهوات لم يبق
من رقبها مُعْتَقاً، طال هجرانه في بلاد البعاد تُراه يرى مُطلقاً، لازم^(٧) الحرمان إلى المشيب بعد
أن كان غصناً مُورِقاً، لا متاب ولا خشية ولا ندم ولا تقى^(٨)، أستباح المشيب خير^(٩) شبابه
فأصبح بالكبر موثقاً، فركب^(١٠) به داء التفريط فلازمته علل^(١١) الشقا، شغل بالأسباب عن
محبوبه ومن شغل بغيره ما وفَّقاً، حسنات المبعود تُرد^(١٢) وليس له إلى الصعود^(١٣) مرتقى،
كلما أراد فتح باب الرضى وإذا به في وجهه مغلقاً، شهر أسمه بالمبعود وعم الوجود وطبقاً،
كلما طلب الانفلات من قفص الشهوات عوّض عنه مكاناً ضيقاً، نصيبه من القضاء قد حل^(١٤)
وسهم القدر^(١٥) رماه فأرشقا، أنت تعلم من الرامي وكيف رمى^(١٦) مُخْدِقاً^(١٧)، ما أضيق الدنيا
على المهجور [١٤١] مغربها والمشرق، هكذا جرى القدر ومهما^(١٨) هجر المستهام تشوقاً،

(١) في (م) و(ع): «وأيامي».

(٢) أحال الغريم: زجَّاه عنه إلى غريم آخر، والاسم الحِوَالَة. ويقال للرجل إذا تحوّل من مكان إلى مكان أو
تحوّل على رجل بدراهم: حال. ابن منظور، اللسان، «حول»، ١١/١٩٠.

(٤) في (م) و(ع): «شيقاً». والضيق: الشك في القلب. الفيروزآبادي، القاموس، «ضيق»، ص ١١٦٥.

(٥) في (م) و(ع): «إخوانه».

(٧) في (م) و(ع): «لازمه».

(٨) في الأصل: «تلقا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «فرط».

(١٢) في (م) و(ع): «ذنوب». والمعنى: حسنات الكافر ترد عليه يوم القيامة، ولا أجر له فيها في الآخرة،
ولنما يؤجر عليها في الدنيا.

(١٣) في (م) و(ع): «الوصول».

(١٥) في (م) و(ع): «القضاء قد».

(١٧) خلق به الشيء وأخلق: استدار. وكل شيء استدار بشيء وأحاط به فقد أخلق به. ابن منظور، اللسان،
«أخلق»، ٣٨/١٠.

(١٨) في (م) و(ع): «جرى المقدور مهما».

يا أخي رافق البكائين في سفر التوبة عساك تدرك يوم الملتقى، تزود التقوى لتقوى على الجادة ويذهب الشقا، فإن ضعفت في صحراء السلوك ناد في أعقاب الركب أرحموا ضعيفاً منقطعاً بقى، عسى عطفة همة وربما سأل الأسير المطلقاً، فهم الذين لا يشقى جليسهم^(١) يكاد عنبر^(٢) همهم أن يغبقا، لو شممت عاطر أنفاسهم علمت أن بيت قلوبهم بالرضى مخلقا^(٣)، إن تعلقت بأذيالهم نم^(٤) عليك يسك نسكهم فعدت روضاً مؤنفاً، ما كل من سافر وصل ولا كل داء يداوى بالرقى، ما كل من قال يدرك الصواب وإن أكثر الكلام ولققا^(٥)، الزاد قبل الطريق ما أظلم السفر في ليل الغفلة وأغسقا^(٦)، ضحكت لضحك المشيب أظننت^(٧) أنك مخلصي ومطلقاً، لو جرت مدامعك عقيقاً وجدته في طرس^(٨) الخدود نيقاً^(٩)، أين أيام الشباب يكاد^(١٠) من حسنهما أن تغسقا، ذهب أطيبها^(١١) في الغفلة ولم أجد لزهراها^(١٢) رونقا، واحسرتي على الشباب واحزني على المشيب أصبحت بغلّ الكبير مطوقاً، من أحق منك بإرسال

(١) في (م) و(ع): «رفيقهم». وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا. قال: فيسألهم ربهم - وهو أعلم منهم - ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيذاً وأكثر لك تسبيحاً. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا - والله - يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فممن يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا - والله - ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم». البخاري، الصحيح، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله ﷻ، رقم الحديث (٩٩)، ١٥٥/٨.

(٢) في (م) و(ع): «عير».

(٣) تخلّق وخَلَقْتُهُ: طليته بالخلوق. والخلوق: ضرب من الطيب. ابن منظور، اللسان، «خلق»، ٩١/١٠.

(٤) نم الشيء: سطعت رائحته. ابن منظور، اللسان، «نم»، ٥٩٢/١٢.

(٥) عبارة «أكثر.. إلخ»، في (م) و(ع): «كثّر الكلام وأنقا».

(٦) غَسَقَ الليل يَغْسِقُ غَسْقاً: أظلم. وغَسَقَ الليل: ظلمته. ابن منظور، اللسان، «غسق»، ٢٨٨/١٠.

(٧) في (م) و(ع): «ظننت».

(٨) الطُّرْس: الصحيفة. ابن منظور، اللسان، «طرس»، ١٢١/٦.

(٩) النيق لغة في اتقني إيناقاً ونيقا إذا أعجبنى. ابن دريد، جمهرة اللغة، «قني»، ١٦٨/٣.

(١٠) عبارة «أين أيام الشباب يكاد»، في (م) و(ع): «ابن آدم تكاد».

(١١) في (م) و(ع): «أطاييها».

(١٢) في (م) و(ع): «لزهرتها».

المدامع عسى لسان أعتراك أن يصدقا، إذا لم تجر مدامعك^(١) على مصابك فلاحى الغرام ولا سقى، ليت شعري لأي يوم تدخر بضائع التوبة^(٢) وكاد باب العمران^(٣) يغلقا^(٤)، فيا^(٥) معشر المجاهدين حثوا عيس المجاهدة والأنيقا، بادروا باب الحبيب [١٤١ب] قبل حلول المنون، ﴿يَتَأْتِيهَا أَكْزَبُ ءَامَتْوَا أَنْقَوَا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قال أبو بكر الكتاني رحمه الله تعالى^(٦): «قبل^(٧) كان رجل يحاسب نفسه، فحسب يوماً سنينه ووجدها ستين سنة، فحسب أيامها فوجدها أحداً وعشرين ألف يوم وخمسمائة^(٨) يوم، فصرخ صرخة عظيمة وخر مغشياً عليه، فلما أفاق قال: يا ويلاه، أنا آتي ربي ﷻ بأحد وعشرين ألف ذنب وخمسمائة^(٩) ذنب، يقول: هذا من له في كل يوم^(١٠) ذنب واحد فكيف لي بذنوب كثيرة، ثم قال: آه عَمَرْتُ دُنْيَايَ وَخَرَّبْتُ أُخْرَايَ وَعَصَيْتُ مَوْلَايَ فَأَنَا لَا أَشْتَهِي النِّقْلَةَ^(١٢) إِلَى دَارِ الْعِتَابِ وَالْحِسَابِ^(١٣) والعقاب ولا عمل يرجى^(١٤) له ثواب، ثم شق شقة خر مغشياً عليه، فحركته^(١٥) فإذا هوميت رحمة الله عليه^(١٦)». شعر^(١٧):

من عذيري يوم جدوا^(١٨) للحمى من هوى جد بقلبي برحاً^(١٩)
نظرة كانت^(٢٠) فعادت حسرة قتل الرامي بها من جرحاً
سل طريق العيس عن^(٢١) وادي الغضا فعسى الأحباب جازوا رَوْحاً

(١) في (م) و(ع): «دموعك».

(٢) في (م) و(ع): «الفقران».

(٣) في (م) و(ع): «يا».

(٤) القصة ذكرها شعيب الحريفيش في الروض الفائق، ص ١٧. وأبو بكر هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني، أبو بكر، بغدادي الأصل، وأقام بمكة مجاوراً بها إلى أن مات. كان أحد الأئمة، وسراج الحرم. توفي سنة ٣٢٢هـ - ٩٣٣م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٧٣. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣٥٧/١٠.

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «عز وجل» ساقطة من (م) و(ع).

(٧) عبارة «في كل يوم»، في (م) و(ع): «في اليوم».

(٨) في (م) و(ع) زيادة: «من العمران إلى الخراب فكيف أشتهي النقلة».

(٩) في (م) و(ع): «دار الحساب والكتاب».

(١٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١١) عبارة «رحمة الله عليه»، في (م): «رحمة الله تعالى»، وفي (ع): «رحمة الله».

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.

(١٣) في (م) و(ع): «شرقي».

(١٤) في (م) و(ع): «مرحاً».

(١٥) في (م) و(ع): «من».

وسل^(١) الورَّاد ما العهد بهم
يانسيم الرِّيح من كاظمة
الصِّبا إن كان لا بدَّ الصِّبا
يانداماي بسَّلْع^(٣) هل أرى
اذكرونا ذكرونا عهدكم
اذكروا^(٥) صَبًا إذا غنَّى بكم
قد شربنَّ الدَّمع فيكم مُكرها
وعرَفْتُ الهَمَّ من بعدكم

تركوا نجدا وحلُّوا الأبطحا
أنت هيَّجت الهوى^(٢) والبرحا
إنها كانت لقلبي أزوحا
ذلك المَغْبِق والمُضْطَبِّحا [١٤٢]
رُبَّ ذكرى قرَّبت^(٤) مَنْ نَزَّحا
شرب الدمع وعَاف القَدْحا
وتبعثُ السَّقَم فيكم مُسمِّحا^(٦)
فكأني ما عرفت الفَرَحَا
[بحر الرمل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي تفرد بقدرته في صناعة التكوين، أظهر من كُنْ كُنْ^(٧) صور الموجودات بلا معين، ألف بين الأرواح والأشباح سر خفي عن إدراك المدركين، تجلَّى بأسمائه في أفعاله فظهر لبصائر^(٨) العارفين، ظهر فلا يحويه^(٩) مكان ولا زمان ولا حين، بطن فلا تدركه عقول العقلاء ولا نواظر الناظرين، علا فلا نهاية لعلوه منزهاً عن أفكار المتفكرين، دنا دنواً إلى سمائه بلا^(١٠) ملاصقة ولا تحديد ولا تعيين، ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١١) منزهاً عن التمكن^(١٢)، فالיום^(١٣) نهاية حدود الزمان فهو صرف المصروفين^(١٤)، تقرب إلى أحبابه في نفس النفس بلا حلول في كون ولا تكوين، وتباعد عن أعدائه بلا مسافة فهذا^(١٥) هو الحق المبين، عز فقهر وتلطف فغفر ذنوب المذنبين، نعم أحبابه بحبه فلقلوبهم إليه شوق وحنين، أطلع على

- (١) في (م) و(ع): «أوسل».
- (٣) في الأصل: «في سلع»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) في الأصل: «قرب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «وارحموا».
- (٦) في الأصل و(م) و(ع): «سمحا»، والصواب ما أثبتناه وذلك تبعاً لما جاء في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.
- (٧) عبارة «كن كن» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٨) في الأصل: «لبصر»، وهي من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «يحببه».
- (١٠) في (م) و(ع): «ولا».
- (١١) قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الرحمن، آية ٢٩. والمعنى: من شأنه سبحانه أن يحيي ويميت، ويُعز ويذل، ويشفي مريضاً، ويعطي سائلاً، إلى غير ذلك من أفعاله. ابن الجوزي، زاد المسير، ١١٤/٨.
- (١٢) في (م) و(ع): «التلون».
- (١٣) في (م) و(ع): «اليوم». والمراد به يوم القيامة حيث لا حدود زمانية فيه.
- (١٤) الصرف: التوبة. ابن منظور، اللسان، «صرف»، ١٩٠/٩. والمراد أن يوم القيامة هو صَرَفٌ لمن يعلن توبته عن التوبة؛ أي لا يقبل منهم توبة.
- (١٥) في (م): «هكذا».

قلوبهم فلم^(١) ير فيها غيره فأصطفاهم مع المصطفين، لم يصلحوا إلا له أجتباهم بعنايته في أول التكوين، بسط لهم بساط الرحمة يوم نزولهم منزل الرحمة^(٢) فيالهم من مرحومين، [١٤٢ب] نقش في طينة وجودهم أسطار التوفيق وفيها رطوبة^(٣) قلبت الكتابة إلى الجبين^(٤)، خلص من نفوسهم نصيب الشيطان^(٥) وأسكنهم^(٦) في ديوان عليين، أقامهم وأنام غيرهم ودفن في قلوبهم حبه فهو دفين، ضن بهم عن الأكوان فأهلاً بهم من مضمون^(٧) ومن ضنين، سبقت لهم سابق^(٨) العناية بلا سبب فهم أهل اليمين، وأبعد المحروم بلا علة فهو بدين الحرمان يدين، شغله بالشهوات أيام عمره وأعماه عن الحق وهو مبين، كلما رام قريباً أبعد فهو عن الدار ظعين، أطال نوم الغفلة على فراش التسويف فلا ناصر له ولا معين، ما حيلة الغريق المكتوف من ذا يساعده من ذا يعين، ما ينفع الأسف إذا أسكرته^(٩) السكرات وعرق الجبين، ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْتُونَكَ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(١٠).

يا أخي إذا أذهبت^(١١) أيام الشباب في الغفلة من يعيدها، إذا عشت الشهوة في وكر القلب فالحرمان عميدها^(١٢)، إذا خرج توقيع^(١٣) العناية لشخص قُدِّم له من خلع التقوى

- (١) في (م) و(ع): «لم». والمراد هنا الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه لرسالته.
- (٢) في (م) و(ع): «الكرامة». والمراد رحمة الله تعالى لعباده الصالحين يوم القيامة بإدخالهم الجنة، إذ لا يدخل أحد الجنة بعمله وإنما برحمة الله، وذلك تبعاً لما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل». مسلم، الصحيح، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، رقم الحديث ٢١٧٠/٤، (٢٨١٦/٧٦).
- (٣) أي رحمة، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَمَعَهُ يَوْمَ يَنْفَعُ الْوَعْدُ الْحَقُّ لَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
- (٤) أي انعكس ما كتب لهم من التوفيق للأعمال الصالحة والخيرة على جبينهم نوراً مشرقاً، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ سُبْحَةَ ﴿٣٨﴾ شَرِيفَةً﴾ [عبس: ٣٨ - ٣٩].
- (٥) قوله هذا إشارة إلى ما حصل للرسول ﷺ وهو طفل، فقد أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه. وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظئره) فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم الحديث (١٦٢/٢٦١)، ١٤٧/١.
- (٦) في (م) و(ع): «وأثبتهم».
- (٧) في (م) و(ع): «مضمونين».
- (٨) في (م) و(ع): «سابق».
- (٩) في (م) و(ع): «أسكرت».
- (١٠) سورة الأنبياء، آية ٩٧.
- (١١) عميد الأمر: قوامه. ابن منظور، اللسان، «عمد»، ٣٠٥/٣.
- (١٢) عبارة «إذا خرج توقيع»، في الأصل: «إذا خرق توقيع»، والتصويب من (م) و(ع).

جديدها، يسر له المطلوب في بابه^(١) وشوارد المعارف^(٢) يصيدها، ما ألد عيش العارف دعوى صِدْقِه مُرَكِّي شهودها، والمرائي في تردد الحيرة نار حنينه بطيء خمودها، و^(٣)التائب يندب أيام الغفلة ويكي عهودها، العابد يذل شارد النفوس ويقودها، والخائف يردد ذكر آيات [١٤٣] الحبيب ويعيدها، والمحب كلما بدت له لوعة^(٤) يستزيدها، والعاشق دائم الحزن تمر به ذكر أحوال البعاد وصدودها، والخائف بعيد عن الأوطان ذلت له الخلوة ولان شديدها^(٥)، والمجتهد^(٦) غرس رياض الدجى بأشجار^(٧) التلاوة فأخضر بالتهجد عودها، والمريد مغمى عليه يخرب^(٨) من أيام الغفلة عودها^(٩) وعديدها، والمراد قطب الكون لولاه لزال عمودها، والعارف تزاحم^(١٠) عليه المعارف سعدا وسعيدها، والمحروم عليه من الشقاوة أغلالها وقبودها، ليت شعري هل فرغت أيام هجرك أم يطول صدودها، أمدد يد المعاملة^(١١) على الصلح عسى يعود من أيام الوصال^(١٢) شرودها، جنب عيس الأمل^(١٣) وزد ماء^(١٤) الشهوات عسى يكون من ماء الأوراد ورودها، يا أخي هذا ماتم الأحزان ونار المعارف^(١٥) شب وقودها، إلى أي يوم تسوف بالتوبة وأيام المشيب هجمت جنودها، هذا متقاضى المشيب جد في الطلب فانتبهوا معشر^(١٦) الغافلين، ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَازِلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

محمد بن الحسن البصري^(١٧) رحمه الله تعالى قال^(١٨): «سمعت ذا النون المصري رحمه الله تعالى^(١٩) يقول: بينما^(٢٠) أسير في تيه بني إسرائيل إذ^(٢١) أنا بجارية سوداء قد أستلبها^(٢٢) [١٤٣ب] الوله من حب الرحمن تعالى^(٢٣) شاخصة ببصرها إلى^(٢٤) السماء. فقلت: السلام عليك يا أختاه. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت لها: من أين عرفتيني يا جارية؟

(١) عبارة «يسر.. إلخ» في الأصل: «ليس له في المطلوب بابه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «المعاصي»، وهو تصحيف.

(٣) عبارة «والمرائي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «من لوعة».

(٥) في (م) و(ع): «شرودها».

(٦) في الأصل: «بإشارة»، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «عدتها».

(٨) في (م) و(ع): «المعاهدة».

(٩) في (م) و(ع): «النفس».

(١٠) في (م) و(ع): «المواعظ».

(١١) في (م) و(ع): «محمد بن محمد المصري».

(١٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٤٣٠.

(١٣) في (م) و(ع): «بيننا».

(١٤) في (ع): «أسلبها».

(١٥) في (م) و(ع): «نحو».

(١٦) في (م) و(ع): «معاشر».

فقلت^(١): يا بطل إن الله ﷻ خلق الأرواح قبل أن يخلق^(٢) الأجساد بألفي عام^(٣)، ثم أدارها تعالى^(٤) حول العرش فما تعارف منها أئتلف وما تنافر منها آختلف، فعرفت روحي روحك في الملكوت^(٥) في ذلك الجولان. فقلت^(٦): إني أراك حكيمة فعلميني^(٧) شيئاً مما علمك الله تعالى^(٨). فقلت: يا أبا الفيض ضع على جوارحك ميزان القسط حتى يذوب^(٩) كل ما كان لغير الله ﷻ^(١٠) ويبقى القلب مصفى ليس فيه غير الرب تعالى^(١١)، فعند ذلك يقيمك على الباب، ويوليک ولاية جديدة، ويأمر لك الأكوان^(١٢) بالطاعة. فقلت: يا اختاه زيديني. فقلت: يا أبا الفيض خذ من نفسك لنفسك، وأطع^(١٣) الله تعالى^(١٤) إذا خلوت بجيک إذا دعوت. شعر^(١٥):

ففي شغلٍ عن الرِّقَادِ شاغلٍ^(١٦) مَن هَاجَهُ البرقُ بِسَفْحِ بَابِلَ
يا صاحبي هذي رياح رَنعهم^(١٧) قد عَطَّرت شمائلَ الشَّمَائِلِ
ما للضُّبَا مُولعةٌ بذِي الضُّبَا أَوْصَبَا^(١٨) فوق الغرامِ القتالِ^(١٩)
ما للهوى العُذْرِيّ في بلادنا أين العُذْيَبِ من قصورِ بَابِلَ
لا تطلبوا بشارنا^(٢٠) يا قومنا دِمَاؤُنَا في أذرعِ^(٢١) الرُّوَاهِلِ [١٤٤]

(١) في (م) و(ع): «قلت».

(٢) عبارة «أن يخلق» ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «إن الله عز وجل.. إلخ»، إشارة إلى حديث موضوع وهو «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام وجعلها تحت العرش..» وقد روى هذا الحديث عبد الله بن أيوب بن أبي علاج، وهو متهم بالوضع كذاب، غير ثقة، لا تحل الرواية عنه. ابن حجر، لسان الميزان، ٢٦١/٣.

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «قلت».

(٦) في (م) و(ع): «إني لأراك حكيمة عليمه علميني».

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «يلوق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «الخزان».

(١٠) في الأصل: «واطلع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «واطلع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والآيات لابن الجوزي، انظر الليل على طبقات الحنابلة لابن رجب، ٤٢٣/١.

(١٣) في الأصل: «شغل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «يا صاحبي.. إلخ»، في (م) و(ع): «هذي رياح رنعمهم بعرفها».

(١٥) في الأصل: «أو لصبا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «القتيل»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في الأصل: «الثرى لنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في الأصل: «رحل»، والتصويب من (م) و(ع).

لله دَرّ العيش في أظلالهم^(١)
واظربني إذا ذكرت أرضهم
يا نظرة الشيخ سقيت أدمعي
مِيلك عن زهرٍ وميلي عن أسي

ولّى وأبقى السقم في مفاصلي
هذا وفيها أذميت^(٢) مقاتلي
إذا أمالك الهوى تمايلي
ما ظرب المخمور مثل الشاكل
[بحر الرجز]

يا أخي لا ظلام أظلم من الغفلة لمن يعي، ولا عَمى^(٣) أشد من عَمى القلب وشمسه لم تطلع^(٤)، ولا خذلان أخذل من التسويف في كل مصرع، إن خالف علمه عمله ياله من سقيم موجه^(٥)، من أقتصر على^(٦) المطعم والمشرب سلّم على صلاحه سلام مودع، ما أشبهه بالأنعام في مربع ومرتع^(٧)، أندب ويحك أيام الشباب التي^(٨) مضت لا^(٩) ترجع، أبك على نفسك ما ينفعك البكاء على الطلول^(١٠)، البلقع، يا تائها في تيه المعاصي متى تكون عن الذنوب مقلع^(١١)، يا غافلا عن المقصود تذكر ضيق ثلاثة أذرع، أعزم على سفر التوبة وقدم زاد الأدمع، سرت قوافل الصالحين فبادر مبادرة من دُعي، يا غارساً عروق^(١٢) التسويف في أرض الكسل تجني ما جنى^(١٣) كسرى وتبع، ما من الشباب عِوض^(١٤) فأنعه وأعلم مقدار من نُعي^(١٥)، أيام الشباب كلها تعلل فدع حديث المدعي، ما ينفع المهجور ذكر العذيب ولعلع، أما تعتبرون بالراحلين عن الحمى^(١٦) والأجرع، كانوا كالسلك المنظوم و^(١٧) أنزلهم الحمام في مضجع، خلا الربع من أوانسه ومن ذلك^(١٨) الجمال المصنع^(١٩)، يا أعمى البصيرة نح على قلب [١٤٤ب] خراب من التقى^(٢٠) بلقع، من فرح بحاصل الدنيا رُدَّ^(٢١) يوم القبر ولا لعوده^(٢٢) مرجع، هذه رفاق التائبين فأوقد نار الحشرات في الأضلع، يا مسجوناً في سجن الجرائم ناد

- (١) في (م) و(ع): «لله در العيس في أظلالهم».
(٢) في الأصل: «أعمى»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في الأصل: «يطلع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٤) في الأصل: «موضع»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).
(٦) في (م) و(ع): «فالتى».
(٧) في (م) و(ع): «الطلل».
(٨) في (م) و(ع): «غروس».
(٩) عبارة «ما من الشباب عوض»، في الأصل: «ما كان الشباب»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) في (م) و(ع): «المتع».
(١٤) في (م) و(ع): «رده».
(١٥) في (م) و(ع): «ذاك».
(١٦) عبارة «من التقى» ساقطة من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «لعود».

يا ديار^(١) هل لفرقتي من تجمع، كم ترائي كم تخادع رضيت من الأسماء بالتصنع^(٢)، مالك في دستور الصالحين^(٣) اسم عجباً لفؤادك لم يتصدع، نمت عن رفاق تتجافى فمُزَّق^(٤) شملك بعد التجمع، لا أسف ولا ندم ولا أذار^(٥) ولا بكاء المتوجع، ستعلم إذا شخص البصر بمن نَعَى^(٦) وَمَنْ نُعِي، تنقل من لين الفراش إلى قبر مهول مفزع، تسأل عما قدمت وأخرت وعقلك يسمع ويعي، فيا ليت شعري بما سبق لك الكتاب إما بضيق أو توسع، قدمت على ما قدمت لم يبق لك^(٧) موضع للترجع^(٨)، فبادر يا أخي التوبة ورقع ثوب العمر^(٩) قبل التودع، ما عند المنعم خبر من المعذب ولا الصحيح من الموجه، واحسرتي على أيام الشباب ليت شعري هل لها من رجع، هذا ماتم المذنبين فبادروا قبل أن يعرق الجبين، ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَوَّلُهَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

عن الحسن بن جعفر^(١٠) رحمه الله تعالى أنه سمع أباه يقول^(١١): «مررت بدار فإذا أنا بعجوز مكفوفة تبكي وتقول: يا حليم تقرب الناس إليك بالأعمال يدعونك بها، وكيف^(١٢) أدعوك بالذنوب ولا عمل أَرْضَاهُ، يا رب هب لي من حلمك ما تكفيني به وينجيني^(١٣) من عذابك. قال: فوقفت عليها فوعظتها وقلت لها: هل لك من^(١٤) ولد؟ قالت: لا. قلت: [١٤٥] و^(١٥) من معك في دارك؟ قالت: سبحان الله معي من أناجيه فهل علي وحشة معه وهو أنسي^(١٦). قال: فأبكتني. قلت لها: ما معاشك؟ قالت: دع عنك ما لا تحتاج^(١٧) إليه، بلغت هذا المبلغ^(١٨) فما أحوجني إليك ولا إلى غيرك، أما تقرأ القرآن: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾^(١٩). فقلت: أئذني لي في زيارتك. قالت^(٢٠): أعزم عليك إن فعلت وذكرت لي اسماً، ثم غلقت^(٢١) الباب في وجهي». شعر^(٢٢):

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «الصائمين».

(٣) في (م) و(ع): «اعتذار».

(٤) في (م) و(ع): «فك».

(٥) في (م) و(ع): «التوبة من».

(٦) في (م) و(ع): «فك».

(٧) في (م) و(ع): «وتنجيني».

(٨) في (م) و(ع): «فك».

(٩) في (م) و(ع): «فك».

(١٠) في (م) و(ع): «فك».

(١١) في (م) و(ع): «فك».

(١٢) في (م) و(ع): «فك».

(١٣) في (م) و(ع): «فك».

(١٤) في (م) و(ع): «فك».

(١٥) في (م) و(ع): «فك».

(١٦) في (م) و(ع): «فك».

(١٧) في (م) و(ع): «فك».

(١٨) في (م) و(ع): «فك».

(١٩) في (م) و(ع): «فك».

(٢٠) في (م) و(ع): «فك».

(٢١) في (م) و(ع): «فك».

(٢٢) في (م) و(ع): «فك».

أنت من^(١) موضع البعيد^(٢) قريبٌ
تَسْمَعُ الصوتَ حيث^(٣) لا يُسْمَعُ الصو
ليس إلا بك التُّفوس^(٤) تَطِيبُ
بك يَذْنُو البعيد من كلِّ أمر
كلَّ وَضَلٍ خلاف وَضَلَك زور

من منيب^(٥) إلى الوصال يؤوب^(٦)
ت ومن حيثما^(٧) دعاك تجيب
يا شفاء السَّقام أنت الطَّبيب^(٨)
بك يَنْأَى عن الذنوب القريب^(٩)
كلُّ حَبٍّ خلاف حَبِّكَ حُوب^(١٠)

[بحر الخفيف]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي فتح بصائر العارفين فزهّدوا في الدنيا لما علموا أن البقاء فيها قليل، دل
عقولهم عليه بعنايته فأهلاً به من مدلول ومن^(١١) دليل، وأعمى بصيرة الغافل فليس له إلى
الوصول سبيل، عطر محاريب الدجى بأنفاس المجتهدين فلهم^(١٢) في روضات السحر ألد
مقيل، و^(١٣) رسم سمات المحبين بالولاية^(١٤) فسكرهم دائم^(١٥) الغدو والأصيل، سقى
أرواحهم شراباً مختوماً للعارف صِرْف^(١٦) وللمحب فيه مزج قليل، هذا أسكره الشراب وهذا
أذهله جمال الساقى الجميل^(١٧)، فطينة الوجود معجونة [١٤٥ب] بحبه فهذا مطلوب عزيز وهذا
طالب ذليل^(١٨)، فقوم هداهم لقربه^(١٩) وقوم حيرهم^(٢٠) بالقال والقليل، وإن^(٢١) جال فكر بين
صَفَى القضاء والقدر فما أسرع من قتيل، وإن سلك على ساحل التسليم بلغ منزل السلامة في
الزمان^(٢٢) القليل، فيا صحيح البدن وقلبه بالغفلة عليل، إن^(٢٣) لم تجر غيث المدامع فمتى تبلى
الغليل، ويحك كم ترافق رفيق الغفلة بشس والله الدليل، أما أنذرك المشيب بالموت أما أنذرك

(٢) في (م) و(ع): «البعد».

(٤) في (م) و(ع): «قريب».

(١) في (م) و(ع): «في».

(٣) في الأصل: «منية»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (ع): «حين».

(٦) في الأصل: «حيث»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «القلوب».

(٩) البيت ورد في (م) و(ع) آخر.

(٨) في (ع): «الحبيب».

(١٠) الحُوب: الحزن. ابن منظور، اللسان، «حوب»، ٣٣٨/١.

(١٢) في (م) و(ع): «ولهم».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) الوَلْي: القرب والدنو، وتولّاه: اتخذ له ولياً، وإنه لَبَيِّن التولي والولاء والولاية. ابن منظور، اللسان،

«ولي»، ٤١١/١٥.

(١٥) في (م) و(ع): «دائم في».

(١٧) في (م) و(ع): «جمال الباقي الجليل».

(١٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٨) المطلوب هو الله سبحانه، عز شأنه، وجل جلاله، والطالب هو العبد الفقير البتغي رضاه ورحمته.

(٢٠) في (م) و(ع): «حيرهم فيه».

(١٩) في (م) و(ع): «بقربه».

(٢٢) في (م) و(ع): «الزمن».

(٢١) في (م) و(ع): «فإن».

(٢٣) في (م) و(ع): «إذا».

الكبر بالرحيل، أما يبلي^(١) الجديدان جدتك^(٢) أما يورثانك^(٣) الحزن الطويل، فبا معشر المختلفين^(٤) عن رفاق التائبين أين البكاء وأين العويل، ﴿يَتَأْتِيهَا الذُّيْتُ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٥)، فسبحان من بطن مع^(٦) شدة ظهوره فحير^(٧) فيه المدل والدليل، أحمدته تعالى^(٨) حمد عبد^(٩) عاجز عن بلوغ حمده فبصره عن إدراكه كليل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها^(١٠) ليوم لا ينفع فيه مال ولا خليل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بآتم حكمة وأكمل تنزيل، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة أستعدها ليوم الرحيل.

يا أخي لا يبيع الباقي بالفاني إلا من هو في بيعه^(١١) خاسر، إياك والأنس بما عنه ترحل^(١٢) فتبقى كالحائر، رافق من يؤنسك إذا أستوحشت في المقابر، رفيق التقوى رفيق ورفيق المعاصي غادر، مهر الآخرة يسير: قلب مخلص^(١٣) ولسان ذاك، ومهر الدنيا ذبح الشهوات بالخناجر في المحاجر^(١٤)، ربها خسر ولينها [١٤٦] شوك في لمس الحساب لا يغادر، إذا شبت ولم تتب^(١٥) ولم تنته عن الشهوات فأعلم أنك صائر^(١٦)، فديت أهل التهجد لسان تالي وجفن ساهر، ضَمَرُوا^(١٧) رواحل أبدانهم بالخدمة وغَضُوا عن النظر إلى الدنيا النواظر، كم لهم على باب «تجافى» من تملق ودمع قاطر، إذا تَنَسَّمُوا نسيم السحر أغناهم عن نسيم العذيب وحاجر، غصت بهم رواشن^(١٨) الاستغفار بالعشي والبواكر، عمروا منازل

(١) في الأصل: «تبلي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (ع): «حدتك». ورجل حدث أي شاب ابن منظور، اللسان، «حدث»، ١٣١/٢.

(٣) في (م) و(ع): «يؤثر بك». (٤) في (م) و(ع): «المختلفين».

(٥) سورة التوبة، آية ٣٨. والآية في (م) و(ع): «﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾»، وقد وردت على هذه الصورة في الموضعين التاليين من هذه الخطبة.

(٦) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «وحي». (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «أدخرها». (١٠) في (م) و(ع): «ترحل عنه».

(١١) في (م) و(ع): «ترحل عنه». (١٢) في (م) و(ع): «الحناجر».

(١٣) في (م) و(ع): «فأعلم أين أنت سائر». والمعنى: أعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جئت وما قدمت من أعمال.

(١٤) في (م) و(ع): «فأعلم أين أنت سائر». والمعنى: أعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جئت وما قدمت من أعمال.

(١٥) في (م) و(ع): «فأعلم أين أنت سائر». والمعنى: أعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جئت وما قدمت من أعمال.

(١٦) في (م) و(ع): «فأعلم أين أنت سائر». والمعنى: أعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جئت وما قدمت من أعمال.

(١٧) في (م) و(ع): «فأعلم أين أنت سائر». والمعنى: أعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جئت وما قدمت من أعمال.

(١٨) في (م) و(ع): «فأعلم أين أنت سائر». والمعنى: أعلم أنك صائر إلى الموت حيث الحساب عسير، والسؤال خطير عما جئت وما قدمت من أعمال.

الخدمة ومنزل الغفلة خراب بلاقع^(١) دائر، كم لهم^(٢) إلى دير المحبة من موارد ومصادر،
نَبَّهوا^(٣) راهب الشوق ليكون لهم ساهر^(٤)، طلبوا منه^(٥) شراباً عتيقاً جل عن معاصرة
المعاصر^(٦)، فتح لهم دنان^(٧) التوبة^(٨) فأنفض منه رحيق تحقيق^(٩) له شعاع يملأ^(١٠) البصائر،
أدار عليهم أقداح^(١١) الوجد فحنوا إلى المزيد حنين الذاكر، خامرهم سكر التوبة فوالههم^(١٢)
غائب حاضر، استزادوا من هذا الشراب الطيب الطاهر، بذلوا فيه النفوس والأوطان
والأموال^(١٣) والغائب والحاضر، أطربهم تلحين أهل دين^(١٤) المحبة فتواجدوا تواجد كابر عن
كابر، محبوبهم ساقبهم ومجلس أنسهم متَّصِد بأنواع الأزاهر، ملوك في وقت السكر عبيد في
وقت السحر^(١٥) فهم بين غائب وحاضر، شربة من هذا المدام رخيصة ببذل الكون والأوائل
والأواخر، لا يتركه إلا سفيه ليس لثبه شقائه من آخر، أقبل نصحي وبادر قبل فتح باب الجنة^(١٦)
وباكِر، يغنيك عن كل مطعوم ومشروب وعن كل نسيم [١٤٦ب] عاطر، منها شرب آدم وناح
عليها نوح ونشر زكريا بالمناشر^(١٧)، وعرض الخليل على النار فما أحس ما هو إليه صائر^(١٨)،

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وبلاقع جمع بلقع، وإنما قالها بصيغة الجمع لأنه عنى بالمنزل المنازل؛ أي
منازل الغفلة.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «نَبَّهوا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «ساهر».

(٥) عبارة «جل.. إلخ»، في (م): «من معاصرة العاصر»، وفي (ع): «معاصرة العاصر».

(٦) في الأصل: «دنانير»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «التولة».

(٨) في الأصل: «على»، وهي من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «سكر التولة فواطنهم».

(١٠) في (م) و(ع): «دير».

(١١) في (م) و(ع): «حُبّه».

(١٢) في الأصل: «ونشر بن زكريا المنشار»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى مقتل سيدنا

زكريا عليه السلام؛ وذلك أنه لما قتل بنو إسرائيل ولده يحيى انطلق هارباً بدينه في الأرض حتى دخل بستاناً فيه

الأشجار، فنادته شجرة: يا نبي الله إلي ههنا، فلما أتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها. فانطلق

إيليس لعنه الله حتى أخذ بطرف رداءه فأخرجه من الشجرة، ثم دلّ بني إسرائيل عليه، وأراهم طرف رداءه،

فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فنشروها نصفين، فسلط الله عليهم أحبث أهل الأرض علجاً مجوسياً

فانتقم الله به من بني إسرائيل بدم يحيى وزكريا. الثعلبي، قصص الأنبياء، ص ٣٤١، بتصرف.

(١٣) قوله هذا إشارة إلى ما كان بين سيدنا إبراهيم وبين قومه المشركين، وذلك حين دعاهم إلى الإسلام وكسّر

أصنامهم التي يعبدون، فأمر حيثل ملكهم النمرود بإحراقه، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، فلم تحرق النار

من إبراهيم إلا وثاقه، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ٦٨﴾ قُلْنَا يَنْتَازُ كُونِي بَرَاً

وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

لِلْعَالَمِينَ ﴿[الأنبياء: ٦٨ إلى ٧١].

وعاجل الشوق موسى فقال أرني لعلي أرى^(١) المنظور بالناظر^(٢)، وكم لداود من سكر أشواق وتلحين بالمزامر^(٣)، وهام في البراري عيسى^(٤) لا يلوي على باد^(٥) ولا حاضر، شربها صِرْفاً نبينا وحبينا^(٦) محمد ﷺ يوم ألتست^(٧) فأبقت له^(٨) بقية أوجبت له المدائح والمفاخر، ملك مفتاح^(٩) الكون فأختار هذا الشراب الطيب الطاهر^(١٠)، قطرة منها حوض الكوثر يروى منها من ظمأ في الهواجر^(١١)، دارت على الصديق والفاروق والشهيد والسعيد^(١٢) إلى

(١) في (م) و(ع): «أنظر». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا سَاحَا لَرَبِّهِ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوًّا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) في الأصل: «في المناظر»، والتصويب من (م) و(ع). والناظر: العين. الفيروزآبادي، القاموس، «نظر»، ص ٢٢٣.

(٣) في (م) و(ع): «بمزامر». وقوله هذا إشارة إلى ما اختص به الله سبحانه نبيه داود ﷺ من الصوت الطيب، والنغمة الجميلة، والترجيح والألحان، فقد كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً، فشبّه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزامر، فالمراد بالمزامر هنا الصوت الحسن، وأصل الزمر الغناء. ينظر: الثعلبي، قصص الأنبياء، ٢٤٤.

(٤) في (م) و(ع): «عيسى في البراري».

(٥) في الأصل: «باب»، والتصويب من (م) و(ع). (٦) كلمة «وحيينا» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَيْتِ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٨) في (م) و(ع): «منه».

(٩) في (م) و(ع): «مفتاح». وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أحد صلاته على الميت. ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط [أي شفيح] لكم، وأنا شهيد عليكم. وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها». مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، رقم الحديث (٢٢٩٦/٣٠)، ١٧٩٥/٤.

(١٠) عبارة «الطيب الطاهر»، في (م) و(ع): «الباطن الظاهر». وقوله هذا إشارة إلى بعض ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «فأنيت بلنّامين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقبل لي: خُذ أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته. فقال: هُديت الفطرة، أو أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غرت أمتك». مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم الحديث (١٦٨/٢٧٢)، ١٥٤/١.

(١١) عبارة «يروى.. إلخ»، في (م): «تروى منه يوم ظمأ الهواجر»، وفي (ع): «تروى منه في ظمأ الهواجر». وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض من مرّ علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردّ علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي». البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم الحديث (١٦٤)، ٢١٦/٨.

(١٢) في (م) و(ع): «والسعيد والشهيد».

العاشر^(١)، اجتمعوا في شربها^(٢) في الأول وجمعوا لشربها في الآخر^(٣)، أبقوا في دنان المعاني بقايا الكرام فعل الأكابر، صُفِّيت^(٤) لأهل الصفة فصفيت^(٥) بشربها السرائر^(٦)، فأخلع في شربها العذار فمالك إن خلعت من عاذر، زمزم^(٧) وأطرب وأرقص فالكون كونه^(٨) ومحبوبك حاضر، صُن^(٩) موضع السر عن سواء وإياك والخاطر الخاطر، إن نظرت إلى غيره^(١٠) أبعدك وما لك إن يُعَذَّب^(١١) من ناصر، فيا^(١٢) معشر الفقراء هذا سماعكم فأين من هو معي حاضر، فيا^(١٣) أرباب الأحوال معكم أتحدث ولكم أصف وركبكم السائر^(١٤)، معشر^(١٥) التائبين أما يهون عليكم بذل^(١٦) معصية لنيل هذا الجوهر الفاخر، إن فاتك هذا السماع ولم تطرب فأنت في قلب الحرمان حائر، إن فاتك^(١٧) هذا الشراب ولم تشرب فأنت سفيه [١٤٧] ما يرجى صلاحك^(١٨) إلا في النادر، هذا منادي الموعظة ينادي بالرحيل إلى الآخرة السرحيل، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. محمد بن داود^(١٩) رحمه الله تعالى قال^(٢٠): «سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول: كنت بذئ الحليفة^(٢١) وأنا أريد الحج، والناس يحرمون^(٢٢)، فرأيت شاباً قد صب عليه الماء يريد

(١) قوله هذا إشارة إلى العشرة المبشرين بالجنة، وهم: أبو بكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب، والشهيد عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله أبو محمد التيمي، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح. وقد أسهب المحب الطبري في الحديث عن مناقب العشرة المبشرين بالجنة في كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة.

- (٢) في (م) و(ع): «لشربها». (٣) في (ع): «الآخرة». (٤) في (ع): «صُفِّيت». (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٦) في الأصل: «السائر»، والتصويب من (م) و(ع). (٧) في (م) و(ع): «وزمزم». (٨) في (م) و(ع): «كونك». (٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٠) في (م) و(ع): «لغيره». (١١) في (م) و(ع): «بعدت». (١٢) في (م) و(ع): «يا». (١٣) في (م) و(ع): «يا». (١٤) في (م) و(ع): «أساير». (١٥) في (م) و(ع): «معاشر». (١٦) أي ترك معصية. (١٧) عبارة «هذا الجوهر.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «فلاحك». (١٩) في (م) و(ع) زيادة: «البرقي»، وهو تصحيف. (٢٠) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤٠٨/٤. (٢١) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، منها ميقات أهل المدينة. صفى الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٤٢٠/١. (٢٢) في (م) و(ع): «محرمون».

الإحرام، وأنا أنظر إليه. فقال: يا رب، أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك فأخشى أن تجيبني بلا لبيك ولا سعديك. وبقي يردد هذا القول مراراً كثيرة وأنا أسمع، فلما أكثر قلت: يا فتى^(١) ما لك بُدٌّ من الإحرام. فقال: يا شيخ أخشى إن قلت لبيك أن^(٢) يجيبني بلا لبيك ولا سعديك. فقلت له: أحسن الظن^(٣) وقل معي لبيك اللهم لبيك. فقال: لبيك اللهم^(٤) وطولها، فخرجت نفسه مع قوله لبيك^(٥) اللهم، وسقط ميتا رحمة الله عليه. شعر^(٦):

عَمِلَ صَبْرِي وَبَاحَ بِالسُّرِّ دَمْعِي فَمَصُّونَ الْأَسْرَارَ غَيْرَ مَصُونِ
حَسَرَاتُ تُشَيِّبُهَا^(٧) زَقَرَاتُ هِيَ نَارُ الْحَشَى وَمَاءُ الْجَفُونِ
يَا لِقَوْمِي وَمَا^(٨) الْحَزِينَ إِذَا لَمْ يَفْضُ فِي الدَّارِ نَخْبَهُ^(٩) بِحَزِينِ
لَوْ شَهِدْتُمْ^(١٠) يَوْمَ النَّوَى وَوَقُوفِي خَلْفَ دَمْعٍ وَافٍ وَصَبْرَ خَوْفِ
وَخُضُوعٍ لَوْلَاهُ لَمْ يَعْلَمْ الْوَا شُونَ^(١١) مَا^(١٢) بِي مِنَ الْغَرَامِ الدَّفِينِ [١٤٧ب]
[بحر الخفيف]

اللهم قوِّ عزائم التائبين على ترك العصيان، يا أخي النفس بالفطرة^(١٣) عارفة^(١٤) ولها في عالمها بيان^(١٥)، والعقل دليل على الجادة بما^(١٦) فيه من البيان، والقلب لوح تظهر^(١٧) فيه خطوط السعادة والحرمان^(١٨)، والجوارح خدّام فمن سريع وكسلان، وبين حياة عين الروح^(١٩) ظلمات^(٢٠) من الشهوات والنيران^(٢١)، فإذا قطع^(٢٢) إسكندر القلب ظلمة الطبع ظهرت عين

- (١) عبارة «قلت يا فتى»، في (م) و(ع): «قلت له».
- (٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٣) عبارة «أحسن الظن»، في (م) و(ع): «حسن ظنك».
- (٤) في (م) و(ع) زيادة: «لبيك».
- (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والآيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الرابع.
- (٧) في (م) و(ع): «جمرات تشبها».
- (٨) في الأصل: «وأنا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «دمعه».
- (١٠) في الأصل: «شاهدتم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «الوشاة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «بالقنطرة».
- (١٤) في الأصل: «عارية»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «السان».
- (١٦) في الأصل: «فما»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٨) قوله هذا هو معنى بعض الحديث الذي أخرجه مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».
- مسلم، الصحيح، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم الحديث (١٥٩٩/١٠٧)، ١٢١٩/٣.
- (١٩) في (م) و(ع): «وبين عين حياة خضر الروح».
- (٢٠) في الأصل: «وظلمات»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢١) في (م) و(ع): «ونيران».
- (٢٢) في الأصل: «انقطع»، والتصويب من (م) و(ع).

الحياة للروح عيان، فشرب مياه^(١) حياة المعرفة على توالي الأزمان، لا يهلك بُعد^(٢) هذا السفر فما هو إلا العزم وقد كان، التسويف سَدَّ في وجه العزيمة شرابه شراب^(٣) لا^(٤) يروي الظمآن، النفس سماوية بالوضع أرضية بطبع الإنسان، إذا ذُكرت تذكرت^(٥) معاهدها الأهلين^(٦) والجيران، وحنَّت إلى المألوف الأول حنين من خانه السلوان، كم لها من حسن^(٧) أشواق عند ذكر العقيق والبان، كم^(٨) لها من تلهف عند ذكر رحيل الأظعان، كم^(٩) لها عند ذكر المعاهد^(١٠) من مدمع هتَّان، وكم لها من الأشواق^(١١) عند ذكر المعاهد و^(١٢) جيران النقي والغزلان، وكم لها من تأوه إذا^(١٣) ذكر الفراق والصبابة عنوان، هل ذلك إلا لطول غربتها فذكر الرسوم يهيج^(١٤) لها الأشجان، كأن ذكر المعالم وضع لها في الطبع بستان، لطفها^(١٥) بحديث الزاهدين كيف تركوا الأوطان، عجب بها على وادي الدجى عسى تأنس بالمجتهدين عند^(١٦) ذكر نجد^(١٧) ونعمان، ما ألد أحاديث العشاق ما بين نشوان [١٤٨] وسكران، ما أطيّب عيش الفقراء روض رياضهم بالمعاملة^(١٨) ريان، فاحت أزهار^(١٩) أحوالهم ما بين رُوح^(٢٠) من الصدق وريحان، و^(٢١) أفناهم سماع مثاني المثاني عن التلحين^(٢٢) والألحان، قنعوا من الدنيا بالميسور من الخرق وكلهم^(٢٣) من ثوب الدعاوى عريان، وقَّع لهم من مبلغ^(٢٤) الرضى على ديوان الإخلاص ما أطفه^(٢٥) من ديوان، والمحروم نائم نوم أصحاب الكهف لا^(٢٦) يدري ما يكون وما قد كان، قيدته شهوته^(٢٧) : بطنه وفرجه فهو من ثوب

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «لا يهلك بعد»، في (م) و(ع): «لا يهلك».

(٣) في (م): «سراب».

(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).

(٥) عبارة «معاهدها الأهلين»، في (م) و(ع): «معالمها الأول».

(٦) في (م) و(ع): «حنين».

(٧) في (م) و(ع): «وكم».

(٨) في (م) و(ع): «وكم».

(٩) في (م) و(ع): «أشواق».

(١٠) في (م) و(ع): «عند».

(١١) في الأصل: «لطفها»، وهي من (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «روض رياضهم بماء المعاملة».

(١٤) الرُّوح: السرور والفرح. والروح الاستراحة من غم القلب. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٤٥٩/٢.

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «من الخرق.. إلخ»، في (م) و(ع): «من الكسر والخرق وكل».

(١٧) في (م) و(ع): «بمبلغ».

(١٨) عبارة «نوم.. إلخ»، في (م) و(ع): «لا نوم أهل الكهف ما».

(١٩) في (م) و(ع): «شهوة».

التقوى^(١) عريان، فيا معشر المذنبين إلى متى هذا التسويف والعلل^(٢) بالتعليل، ﴿يَتَأْتِيهَا
الذِّكْرُ مَأْسُومًا لَوْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِيكُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى قال^(٣): «بينما^(٤) أنا أسير في طريق بيت المقدس
إذا^(٥) أنا بجارية عليها مسح من شعر^(٦)، وعلى رأسها خمار من^(٧) صوف، و^(٨) رأسها بين
ركبتيها وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقلت: و^(٩) كيف لا أبكي وأنا أحب لقاءه. فقلت لها:
لقاء من تحبين؟ فقلت^(١٠): وهل يحب الحبيب غير لقاء المحبوب؟ قلت لها: ومن محبوبك؟
قالت: علام الغيوب غفار الذنوب^(١١). قلت لها^(١٢): يا جارية، كيف تكونون^(١٣) في
محببتكم^(١٤) لله ﷻ؟ قالت: بأبدان ناحلة^(١٥)، واللوان متغيرة، وعيون هاطلة، وأرواح
ذابلة^(١٦)، والسن ذاكرة. شعر: [١٤٨]

أقول لأصحابي غداة تنافروا
وما طاب نشر الريح إلا وعندها
إذا ما قد ختم نار شوقي^(١٩) فإنما^(٢٠)
رؤيئدكم إن الهوى داؤه يُغدي
أحاديث من نجد ومن ساكني^(١٨) نجد
شراستها فيكم وجفرتها^(٢١) عندي

(٢) في (م) و(ع): «والتعليل».

- (١) في (م) و(ع): «التقى».
- (٢) في (م) و(ع): «قال أبو سليمان الداراني».
- (٣) في (م) و(ع): «بينما».
- (٤) في (م) و(ع): «وإذا».
- (٥) عبارة «من شعر» ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «قالت».
- (١٠) عبارة «غفار الذنوب» ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «تكونين».
- (١٣) في (م): «محببتكم»، وفي (ع): «محببتك».
- (١٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع) زيادة: «وقلوب وجله».
- (١٦) في (م) و(ع): «ذاهبة».
- (١٧) في الأصل: «سكان»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «شوق».
- (١٩) في الأصل: «فإنها»، وهي من (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «وحسرتها».

تظنُّون حالي في الهوى مثل حالكم
وهيهات إنِّي في الهوى أمة وحدي
أذم جفوناً ليس يقرحها البُكى
وأُنكر^(١) قلباً لا يذوب من الوجد^(٢)
[بحر الطويل]

اللهم وفقني^(٣) توفيقاً يوفقنا^(٤) عن معاصيك، وأرشدنا برشدك حتى تُرشد إلى ما يرضيك،
برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته
وأهل بيته أجمعين وسلم تسليماً^(٥).



-
- (١) في الأصل: «أنظر»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢) البيتان الأخيران لأبي إسماعيل، الحسين بن علي، الدثلي الطغراني، المتوفي سنة ٥١٤هـ - ١١٢٠م.
انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، ٢٦٨٧/٦.
(٣) في (م) و(ع): «وفقنا».
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثامن عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي خلق^(١) الخلائق لا حاجة^(٢) إليهم وكل خلق على قدرته يهون، قدّر مقادير الخلائق قبل وجودهم وجفّ القلم بما يكون^(٣)، أدار الفلك لتعاقب الجديدين وظهور ما هو مكنون، غيب أسرار الأقدار عن مدارك البصائر والعيون، فلا^(٤) يطمع في كشف سره طامع ممن كان أو^(٥) يكون، قهر الموجودات بذل الحدوث وسجنهم مع^(٦) الأسباب في سجون، وكل من سواه ذليل خاضع مقهور بالمنون^(٧)، أباد الملوك بذل البلى فما ينفعهم^(٨) ما يخلّفون، أصبحت قصورهم خراباً ونُقِلوا إلى قبور^(٩) مظلمة فيها يسكنون، أين الحارس والمحروس والجيوش والحصون، أين الأوانس من الحور العين الكحيلات^(١٠) العيون، [١٤٩] أين الحشم والخدم والحُجّاب الذين يحجبون، أين الاتباع والجلساء وأرباب الدول وأهل السجون^(١١)، أين حماة^(١٢) الأبطال فهم بين طبقات الثرى^(١٣) ركون، أين الرعايا^(١٤) أين جُباة الأموال والذين يظلمون^(١٥)، أين المظلوم والظالم ومن أحتاج إليه المحتاجون، أين

- (١) عبارة «الذي خلق»، في (م) و(ع): «خالق».
- (٢) (٢) في (م) و(ع): «لحاجة».
- (٣) أي مضت به المقادير وسبق علم الله تعالى به وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به وامتنعت فيه الزيادة والنقصان، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرضه على الماء».
- مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم الحديث (٢٦٥٣/١٦)، ٢٠٤٤/٤.
- (٤) في (م) و(ع): «لا».
- (٥) في (م) و(ع): «و».
- (٦) في (م) و(ع): «من».
- (٧) عبارة «وكل من سواه».
- (٨) في (م) و(ع): «لما نفعهم».
- (٩) عبارة «ونقلوا إلى قبور»، في (م) و(ع): «وانتقلوا لبقور».
- (١٠) عبارة «من الحور».. إلخ، في (م) و(ع): «من الخرد الغيد الكحلات». والخَوْر شدة سواد المقلة في شدة بياضها في شدة بياض الجسد، والعَيْن عظم سواد العين وسعتها. والخريدة من النساء هي الحبيبة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المسترة، والجمع خُرْد، والقَيْد النعومة. ابن منظور، اللسان، «حور»، ٢١٩/٤، و«عين»، ٣٠٢/١٣، و«خرد»، ١٦٢/٣، و«غيد»، ٣٢٨/٣.
- (١١) في (م) و(ع): «المجون».
- (١٢) في الأصل: «جمالات»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «فهم بين».. إلخ، في (م) و(ع): «ضمّتهم من طبقات البلى».
- (١٤) في الأصل: «الرعايات»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «والذين كانوا فيه يظلمون».

من^(١) مُهَّدت لهم^(٢) الفرش و^(٣) الذين لا يجدون ما يفترشون، أين الذين يوقدون الشمع^(٤) والذين لا يجدون ما يوقدون، أين الذين تروح عليهم^(٥) الموائد وتغدو^(٦) والذين لا يجدون ما يأكلون، أين الذين جمعوا^(٧) الأموال وبحسراتها يتفجعون، أين الذين طَوَّأ أعمارهم بالفقر ويذُلُّ المسألة يسألون، رحل الكل إلى دار البلى وكلُّ بما قدموه^(٨) مرهون، تساوا تحت التراب وذهبت تلك الحركة^(٩) بهذا السكون، فيا من تُثَلِّى عليه العبر^(١٠) كيف لا يكون تَرَكُّ الدنيا عندك يهون، تسأل غير الله تعالى^(١١) حاجتك وهو أحسن مسؤول ممن هو^(١٢) بماله وجاهه مفتون، أبعد الهدى ضلال^(١٣) أبعد اليقين شك أما تعتبرون، كيف يُقَوِّي الضعيف ضعيفاً أو يغني الفقير فقيراً هيهات ما يكون، كيف يعز^(١٤) الدليل ذليلاً فالركون إلى ما سوى الله ﷻ^(١٥) جنون، فيا أهل الغفلة تيقظوا ولا تُهَوِّنُوا في الحديث ما لا يهون، ذلك شاهد عليكم وجوارحكم عليكم يشهدون^(١٦)، ما حيلتك^(١٧) في الجواب في يوم فيه الجوارح ينطقون، [١٤٩ب] ﴿الْيَوْمَ نَخْتَرُ عَلَيْكُمْ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٨).

إخواني ما لِقَلْبِ العزائم قُلْبِ ليت شعري ماله^(١٩)، ما لنور^(٢٠) البصائر^(٢١) حُجِبَ هذا الشقاء لا محالة، ما للعقل مال إلى الهوى ليت شعري من أماله، ما لديوان البعاد كُتِبَ وأُثْبِتَ في ديوان الضلالة، ما لسبيل الهداية سُلْبَ وقال الشقاء^(٢٢) عليَّ الإحالة، أدرك العمى^(٢٣) بصيرتك والبصر فانت تتعثر في الضلالة^(٢٤)، إذا نام ركب العزائم فمن يسري وفي الطريق

- (١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٢) في (م) و(ع): «له».
- (٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «الشموع».
- (٥) في (م) و(ع): «عنهم».
- (٦) كلمة «وتغدو» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «يجتمعون»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «قدمه».
- (٩) في الأصل: «هذا العبرة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «قدمه».
- (١١) في الأصل: «أبعد الضلال هدى»، وهو تصحيف.
- (١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) عبارة «وهو أحسن.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهو أحسن مسؤول».
- (١٤) في (م) و(ع): «أبعد الضلال هدى»، وهو تصحيف.
- (١٥) في (م): «يعين».
- (١٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (ع): «تشهدون».
- (١٨) في الأصل: «حيلة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٩) سورة يس، آية ٦٥.
- (٢٠) في الأصل: «ما من ماله»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢١) في الأصل: «من النور»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٢) في (م) و(ع): «البصيرة».
- (٢٣) عبارة «وقال الشقاء»، في الأصل: «وما للشقاء»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٤) في الأصل: «العلماء»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٥) في (م) و(ع): «البطالة».

مهالك قتالة، إذا كسدت أسواق المعاملة فممن^(١) تطلب الإقالة، إذا رحلت عن مدينة الشباب بلا زاد ففي الكبر لا تنفع العُلالة^(٢)، يا حرامي^(٣) الفعل أعمالك عُمالك فلا تكثر الإطالة، شجرة الرياء لَبْلَاب^(٤) لا تُظَلَّ المراني يمينه ولا شماله، طريق الإخلاص قريب بكل سعي وعلى أي حالة، دمع العين عنوان كتاب الندم وعلى كتبه^(٥) جلاله، فيا من مزق شبابه بالغفلة^(٦) وقَطَعَت يد المشيب أوصاله، سكرت من خمرة الدنيا فسَجَنَكَ شرطي القبر^(٧) وأعدَّ لك أنكاله، كم تتيه في وادي^(٨) المعاصي كم تُطِيل في الضلالة^(٩)، عين بصيرتك فيها رمد وعليها غبار^(١٠) الغفلة هالة، هبَّت على عزائمك دُبُور^(١١) الإدبار فإدبارك صاحب أذياله، قَرُبْتَ^(١٢) من ساحل الشيب فأنكسرت سفينة العمر فأين عبراتك الهطالة، و^(١٣) عن قريب تعثر في مَهْوَاة الأجل وتحل أوحاله، فيا من طوى أربعين سنة [١١٥٠] على الغفلة أين فكرتك الجواله، خدعتك الآمال بزخرف فإني ومصباح عمرك ما يبقى^(١٤) فيه إلا ذُبالة^(١٥)، أنت بعد ما جمعت حاصل العمر كيف ترجو تمامه^(١٦)، إخواني^(١٧) داركوا التوبة قبل وصول النوبة ولا^(١٨) ترجعون، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَنصِتُهُمْ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

عمر بن عبد العزيز رحمه الله وقف يوماً على الجبانة وأمعن^(١٩) فيها النظر، ثم عاد إلى من كان معه^(٢٠) وقد أحمرت عيناه، فقليل له من أين أتيت؟ قال: أتيت قبور الأحبة فسلمت عليهم فلم

(١) في الأصل: «فمن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) عبارة «إذا رحلت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). والعُلالة بَقِيَّةُ قوة الشيخ. ابن منظور، اللسان، «علل»، ٤٦٩/١١.

(٣) في (م) و(ع): «خزي».

(٤) اللَّبْلَاب نبت يلتوي على الشجر. ابن منظور، اللسان، «لبب»، ٧٣٥/١.

(٥) في (م) و(ع): «كتابه».

(٦) في (م) و(ع): «في الغفلة».

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «بوادي».

(٩) عبارة «في الضلالة»، في (م) و(ع): «فيها الإطالة».

(١٠) في (م) و(ع): «بخار».

(١١) الدُّبُور الريح التي تقابل الصُّبَا والقبول، وهي ريح تهب من نحو المغرب، والصبا تقابلها من ناحية المشرق. ابن منظور، اللسان، «دبر»، ٢٧١/٤.

(١٢) في الأصل: «وهو قريب»، وهي من (م) و(ع). (١٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «بقي».

(١٥) الذُبالة: الفتيلة التي تُشْرَج. ابن منظر، اللسان، «ذبل»، ٢٥٦/١١.

(١٦) في (م) و(ع): «المعاملة».

(١٧) في (م) و(ع): «فلا».

(١٨) عبارة «عمر.. إلخ»، في (م) و(ع): «دخل عمر بن عبد العزيز يوماً الجبانة فأمعن».

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

يردوا علي سلاماً^(١)، فلماً ذهب عنهم^(٢) ناداني التراب: ألا تسأل عن الأحباب؟ قلت: بلى. قال: مزقت^(٣) الأكفان، وأكلتهم الديدان^(٤)، ونزعت الحدقتين، وقطعت الكفين، ومزقت^(٥) العضدين، ومزقت الفخذين، وأبليت الساقين. فلما فرغ من كلامه ناداني^(٦): يا عمر، عليك بأكفان لا تبلى. قلت: وما هي^(٧)؟ قال: تقوى الله العظيم^(٨) والعمل الصالح^(٩). شعر^(١٠):

يا بان إن كان سكان الحمى بانوا ففئض دمعى لهم في الحي عنوان^(١١)
ويا حمائم إن نحتنن مسعدة فلي على ذوخة الأشواق ألحان^(١٢)
أبكي الأحبة أو^(١٣) أبكي منازلهم وإن^(١٤) مضى ذكر نغم قلت نغمان
من لي بأقمار أنس في دجى طرر^(١٥) أفلاكها العيس والأرواح أظعان
يا يوم توديعهم ماذا به ظفرت عيني من الحسن إذ^(١٦) والاه إحسان [١٥٠ب]

[بحر البسيط]

يا هذا كم عهدت^(١٧) الدنيا لمحبتها من عهد فعند ركوبه^(١٨) على جوادها كبا^(١٩)، ما أمسى أحد في رفع الأمل إلا أصبح في خفض الأجل قد سلبا، مواعيدها مواعيد عرقوب تعرب عرقوب^(٢٠) الأمل فإذا به كبا، كم حريص عليها حرصه الموت فأنقطع أمله وسلبا^(٢١)، يا من

(١) عبارة «علي سلاما» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (ع): «مزقتهم».

(٣) عبارة «وأكلتهم الديدان»، في (م): «وأكلت الأبدان».

(٤) في (م) و(ع): «ورميت».

(٥) عبارة «فلما فرغ.. إلخ»، في (م) و(ع): «فلما ذهب نادى».

(٦) في (م) و(ع): «هن».

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٢٦٣/٥.

(٩) الأبيات لابن الذروي، علي بن يحيى القاضي، توفي سنة ٥٧٧هـ - ١١٨١م. انظر: فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی، ١١٥/٣.

(١٠) عبارة «لهم في الحي عنوان»، في (م) و(ع): «في آثارهم شان».

(١١) في الأصل: «نوحان»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «و»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فإن».

(١٤) طرأت النجوم أي أعضاء، وبدت طرّة الفجر، ويجمع الطرّة طررا. ابن دريد، جمهرة اللغة، «رطط»، ١/ ٨٣. ابن منظور، اللسان، «طرر»، ٤٩٩/٤.

(١٥) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في الأصل: «ركوبها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «شبا». وشبا الفرس: قامت على رجليها. الفيروزآبادي، القاموس، «شبا»، ص ١٦٧٤.

(١٨) العرقوب: طريق ضيق يكون في الوادي البعيد القعر لا يمشي فيه إلا واحد. والعرقوب خياشيم الجبال وأطرافها، وهي أبعد الطرق. وتعربت إذا أخذت في تلك الطرق. ابن منظور، اللسان، «عرب»، ٥٩٥/١.

(١٩) في (م) و(ع): «فأنقطع آماله أماله وسبا».

عَوَّقَتْهُ العَوَاتِقُ فِي الصِّغَرِ^(١) وَفِي الْكِبَرِ صَبَا، لَوْ شِئْتُ ثَرَى نَجْدَ الْوَجْدِ^(٢) مِنْ أَغْصَانِ أَحْوَالِهِمْ
وَالْكَثْبَا، أَحْضَرَ قَلْبِكَ لِلطَّاعَةِ وَلَوْ سَاعَةً عَسَاهُ يَدْرُكُ مَا طَلَبَا، يَا جَامِداً^(٣) عَلَى الْغَفْلَةِ جُمُودَ الْجَمَادِ
سَقَرًا^(٤) الْحَاسِبَانِ مَا كَتَبَا، طَبَعَكَ لِلْمَعَاصِي مُتَحَرِّكٌ وَلِلطَّاعَةِ سَاكِنٌ وَسَيْفُ عَزْمِكَ نَبَا، أَمَّا لَكَ
قَلْبٌ تَبْصُرُ بِهِ مِنْ خَانَةِ الْأَمَلِ وَلِلْقَبْرِ قَدْ ذَهَبَا، أَمَّا لَكَ سَمْعٌ تَسْمَعُ بِهِ حَدِيثَ مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا
مَطْلَبًا^(٥)، أَمَّا لَكَ عِبْرَةٌ بِالرَّاحِلِينَ^(٦) وَدَمْعٌ حَسْرَاتِهِمْ أَنْسَكِبَا، مَا أَطُولُ يَوْمَ^(٧) غَفْلَتِكَ فَلَمَنْ أَحْدَثَ
مَا كُلُّ طَالِبٍ نَالَ مَا طَلَبَا، وَاحْزَنَاهُ عَلَى فِرَاقِ^(٨) الْجَادَةِ مِنْ رِفَاقِ التَّائِبِينَ وَحَدِيثِ تَسْوِيفِكَ كَذِبَا،
كَمْ أَذْلَجَ فِي رَكْبٍ تَتَجَافَى مِنْ مَحْمَلٍ وَلِالْحَانَ^(٩) حَنِينُهُمْ^(١٠) طَرِبَا، وَ^(١١) كَمْ دَخَلَ مِنْ^(١٢) قِصَصِ
الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ وَالْهَاكِ عَنْهُمْ هَوَاكِ وَاللَّعْبَا، يَا تَائِهًا فِي لَيْلِ الْغَفْلَةِ أَمَا تَتَخَذُ لَطَرِيقِ النِّجَاةِ
مَهْرَبًا^(١٣)، رَحَلَ رُكَّابُ^(١٤) التَّائِبِينَ وَقَطَعَتْ^(١٥) وَبَقِيَتْ حَزِينًا حَائِرًا وَصَبَا، سَرَتْ قَوَافِلُ الشَّبَابِ
وغيَّارُ الْمَشِيبِ بِضَائِعِ عَمْرِكَ أَنْتَهَبَا^(١٦)، مَا أَسْرَعَ خِرَابُ قَلْبٍ حَرَقَ^(١٧) بَنَارَ الْحَرَصِ وَ^(١٨) التَّهَبَا،
تَحَدَّثَ [١٥١] نَفْسُكَ بِأَرْبَاحِ الْهِنْدِ وَرَبَّمَا أَسْمُكَ^(١٩) فِي دِيْوَانِ الْأَمْوَاتِ كَتَبَا، قَدَمُوا إِخْوَانِي زَادًا
لِيَوْمِ فِيهِ^(٢٠) تَرَحَّلُونَ ﴿أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَنشَئُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

قَالَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِيُّ^(٢١) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَزَائِرًا قَبْرِ
نَبِيِّهِ ﷺ^(٢٢)، فَبَيْنَمَا^(٢٣) أَنَا فِي الطَّوَافِ وَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةِ ذَاتِ حَسَنِ^(٢٤) وَبِهَاءٍ وَكَمَالٍ وَمَنْظَرِ
حَسَنِ^(٢٥) مُتَعَلِّقَةٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَهِيَ تَقُولُ: إِلَهِي بِسُكْرِ الْبَارِحَةِ وَخِمَارِ الْيَوْمِ أَعْفَ عَنِّي. قُلْتُ:

- (١) فِي (م) وَ(ع): «الشَّبَابُ».
- (٢) فِي (م) وَ(ع): «يَا مِنْ جَمْدٍ».
- (٣) فِي (م) وَ(ع): «يَا مِنْ جَمْدٍ».
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «يَا مِنْ جَمْدٍ».
- (٥) عِبَارَةٌ «أَمَّا لَكَ قَلْبٌ.. إلخ»، فِي (م) وَ(ع): «أَمَّا لَكَ سَمْعٌ تَسْمَعُ بِهِ حَدِيثَ مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا لَهُ أَرَبَا، أَمَّا لَكَ عَيْنٌ تَبْصُرُ بِهِ مِنْ خَانَةِ الْأَمَلِ وَلِلْقَبْرِ ذَهَبَا».
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٧) فِي (ع): «رِفَاقٌ».
- (٨) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٩) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٠) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١١) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٢) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٣) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٤) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٥) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٦) عِبَارَةٌ «بِضَائِعِ.. إلخ» سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٧) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٨) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (١٩) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٢٠) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٢١) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٢٢) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٢٣) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٢٤) فِي (م) وَ(ع): «فِي الرَّاحِلِينَ».
- (٢٥) عِبَارَةٌ «وَمَنْظَرِ حَسَنِ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

مثل هذه الجارية في مثل هذا الموضع تتجراً على الله تعالى^(١) بالسكر والخمار، فأتيتها وجذبته^(٢)، فقالت: و^(٣)مالك يا ذا النون تتعرض بيني وبينه، والله ما شربت بكأس مدام ولكن شربت بكأس الود مسرورة فأصبحت من ألم الشوق مخمورة. شعر:

أَنَامَ لَعْلَ الطَّلِيفِ فِي النَّوْمِ يَطْرُقُ وَأَهْوَاكَ يَا حَسَنَ الْحَبِيبِ وَأَعَشَقُ
وَأَعْرَضَ عَنِ خَوْفِ الرَّقِيبِ^(٤) تَعَلُّلاً وَفِي كَيْدِي جَمْرٌ مِنَ الْوَدِّ تَحْرُقُ^(٥)
فِيَا^(٦) مُخْسِناً هَامَ الْفُؤَادِ بِحَبِّهِ وَمَنْ لَأَسْمَهُ يَرْتَاحُ قَلْبِي وَيُشْرِقُ^(٧)
مَتَى يَطْفُرَ الْمَهْجُورُ مِنْكُمْ بِوَعْدِهِ وَيَخْضُرَ عُودُ الْوَصْلِ يَوْمَا وَيُورِقُ
فَإِنَّ الْأَسَى وَالسَّقَمَ أَنْحَلَ جِسْمَهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا دَمْعُهُ يَتَرَقَّرُ^(٨)
مَلَكَتْ قِيَادِي فِي الْهَوَى يَا مُعَذِّبِي وَإِنِّي أَسِيرُ فِي جِبَالِكَ مُوثِقٌ [١٥١ب]
[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

والحمد لله الذي فتح الأقفال عن قلوب العارفين ورفع عنهم الحجاب، أشهدهم أسرار المصنوعات فشاهدوا العجب العجيب، بسط رداء السماء على مبسوط الجو فكأنها خيمة ذات أطناب، وكان^(٩) الكواكب في رواشن^(١٠) البروج كواعب أتراب، أدار^(١١) الفلك بشمعة الشمس وزنجي الدجى منهزم على أعقاب، هذا يركض في إثر هذا وهذا يركض في إثر هذا وقد ولعنا^(١٢) بتفريق الأحباب، ودحى الأرض مهاداً لترتيب المشيات^(١٣) على الأسباب، أحكمت حكمته نظام الملك والملكوت على ما سبق في أم الكتاب، أثبت في ديوان الوجود عساكر الموجودات وأوردها من الأصلا، كتب خطوط تخطيطها في ألواح الأرحام^(١٤) بواسطة^(١٥) حفظة كتاب، قسم لهم من مقسوم الشقاء^(١٦) والسعادة ما لا يدخل تحت

- (١) الكلمة ساقطة في (ع).
(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «جمر من الوجد يحرق». (٤) في (م) و(ع): «ويخفق».
(٥) في الأصل: «تدقق»، والتصويب من (م) و(ع). (٦) في الأصل: «رواشق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «إذا أدار»، والتصويب من (م) و(ع). (٨) في الأصل: «ولع»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَكَيْنِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ يَكُونُ إِلَهٌ عَلَى السَّمَاءِ وَيَكُونُ إِلَهًا عَلَى الْإِلَهِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْفَعْلُ [الزمر: ٥].
(٩) في (م) و(ع): «المسيبات». (١٠) في الأصل: «واسطة»، والتصويب من (م) و(ع).
(١١) في (م) و(ع): «الشقاوة».

الحساب، وأصدره إلى إقليم الدنيا وأذله بذل الكسب^(١) والاكتساب، أستعمله على جمع حاصل^(٢) العمر وأعلمه بهول الحساب، فالليل والنهار يطويان له الأجل^(٣) لبلوغ الأجل^(٤) فأين له^(٥) الذهاب، فالعارفون تمسكوا بمعمور^(٦) التقوى فسدوا في وجه عدو الشهوات الباب، والغافلون خربوا مدينة العمل فكيف يجمع الخراج من الخراب^(٧)، مدوا يد^(٨) الغفلة وسرقوا من تحت حرز النّهي ما مآله إلى العذاب^(٩)، ليت [١٥٢] شعري كيف نسوا العبور على تلك العقاب^(١٠)، لو رأيتهم عند ورود متقاضي بقايا الأنفاس ونقل الغافل^(١١) إلى تحت التراب، و^(١٢) لا يقبل منه الفدى بالأهل والقربات والآباء والأصحاب، لا يرحم فيه يُثم^(١٣) البنين والبنات ولا الشيخوخة ولا الشباب، ولا يؤثر جاهه ولا علمه^(١٤) ولا الأتباع ولا^(١٥) الأتراب، يختلسه^(١٦) ساعة وصوله ولا يمكنه من توديع الأحباب، يُرخّله كُرْهاً على رغم أنفه إلى إقليم موحش بلقع خراب، يعرض عليه سِجِلّ معاملته فإن أوفى أمين وإلا دُفع إلى العذاب^(١٧)، لا لوم بعد التَّلَوّات ولا عذر بعد الإنذار^(١٨) ولا جواب، فطوبى لمن شمر عن ساق الجد وجانب الهوى بالاجتناب، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلُعَاتِ أَنْ يَبْدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أَزْكَىٰ﴾^(١٩).

إخواني أين الذين جمعوا الأموال و^(٢٠) لم يغنهم ما جمعوا، و^(٢١) أين الذين أفنوا^(٢٢) أعمارهم في الشهوات وما شبعوا، أين الذين بانوا عن الأوطان وما ودعوا، أين الذين جدوا في طلب الفاني وأسرعوا، أين الذين تفرقوا بعد الجمع ياليت لو دام ذلك الجمع^(٢٣)، أين

(١) في (م) و(ع): «التكسب».

(٢) عبارة «يطويان.. إلخ»، في (م) و(ع): «يضريان له الآجال».

(٣) في الأصل: «الآمال»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٥) عبارة «تمسكوا بمعمور»، في (م) و(ع): «سكنوا معمار».

(٦) في الأصل: «يجمع الخراب من الخراب»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «أيدي».

(٨) في (م) و(ع): «العقاب».

(٩) العقبة طريق في الجبل وعرة طويلة صعب شديد، والجمع عَقَبَ وَعِقَاب. ابن منظور، اللسان، «عقب»، ٦٢١/١.

(١٠) في (م) و(ع): «العامر».

(١١) في الأصل: «يتيم»، وهي من (م) و(ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) عبارة «إلى العذاب»، في (م) و(ع): «للعذاب».

(١٤) سورة الزمر، آية ١٧ - ١٨.

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «التجمع».

(١٧) في (م) و(ع): «فنا».

عيون تلك^(١) الدُّمى [١٥٢ب] أصبحت على الفراق تَدْمى وتدمع، أين الذين شربوا الخمر^(٢) على الراحة وإليها أنقطعوا، أين الذين هَزَمَ شرخ الشباب وشملهم بالأنس مجتمع، أين من قاد الجيوش والخُزَّانَ لأمواله تجمع^(٣)، أين مبانيهم^(٤) المشيَّدة وحجابهم^(٥) الممنَّع، أين نضارة أيامهم^(٦) وعَرَفَ أزهارها يتَضَوَّع، أين أرباب الدول ومن كان لهم يتصنع، أين الرعية والراعي والمودَّع^(٧) والمودَّع، أين من^(٨) خدعتهم الدنيا بالشهوات فأنخدعوا^(٩)، أين الذين نُصبت لهم شباك الغفلة حتى وقعوا، أين من^(١٠) رَجى^(١١) من الأيام ما لا يناله^(١٢) أفرد الكل عنها^(١٣) وتقطعوا، هذا شملهم مبدد وعهدهم مجمَّع، قد^(١٤) حلَّ بهم مفرَّق الأحباب فذَلُّوا بعد العز وخضعوا، كم حَدَّثَهم العبر بالعبر لو أنهم سمعوا، صَنَّتْهم^(١٥) الغفلة وأضيع شيء عتب ماله من يتسمع^(١٦)، أزعجوا من الأحباب وبالفجائع فجعوا، تبكيه أهله وأحبابه^(١٧) ياليتهم لو^(١٨) نفعوا، أفردوه بأحزانه ونسوه وأنقطعوا، أترأهم أعجبهم المقام بل حبسوا مارجعوا، هيهات عود ماضي عيشٍ مضى ليس يرجع، هذه أطلالهم أصبحت خراباً والأزُّع، سل من بان عنها إن كان سؤالك ينفع، واوحشتي للأصحاب^(١٩) أصبحوا واللحد لهم مضجع، مناديتهم بلسان الحشرات ينادي ياليت أحبابه سمعوا، أرحموا من صار رهيناً في التراب ليس له مهرب ولا مفزع، هيهات شربوا كأس الأسف والندامة وتجرعوا، مزقت الديدان [١٥٣] أوصالهم فتقطعوا، ودوا لو ردوا ساعة^(٢٠) لعل لهم إلى الحسنات مرجع، هيهات حصدوا والله من أعمالهم ما زرعوا، فيا مضيعين أيامهم في الغفلة هذه جناثركم تشيع، هذا ماتم الأحزان فتباكوا فربما البكاء يريح وينفع، بادروا باب التوبة قبل حدوث الحوادث التي تتوقع، إن فاتك هذا المجلس ولم تتب فقد شقيت والشقاء^(٢١) بالشقاء مولع، إذا كنت

-
- (١) في الأصل: «بكت»، والتصويب من (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «الراح».
- (٣) في (م) و(ع): «يجمع».
- (٤) في (م) و(ع): «مبانيه».
- (٥) في (م) و(ع): «وحجاب».
- (٦) في (م) و(ع): «رياضهم».
- (٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «الذين».
- (٩) عبارة «بالشهوات فانخدعوا»، في (م) و(ع): «وبالشهوات خُدعوا».
- (١٠) في (م) و(ع): «الذين».
- (١١) في (م) و(ع): «رجوا».
- (١٢) عبارة «ما لا يناله»، في (م): «ما لم ينالوه».
- (١٣) عبارة «أفرد الكل عنها»، في (م) و(ع): «مضوا منها».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «أصمتهم».
- (١٦) في (م) و(ع): «يسمع».
- (١٧) في (م) و(ع): «يبكيه أحبابه وأهله».
- (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٢٠) في (م) و(ع): «ولو ساعة».
- (٢١) كلمة «والشقاء»، في (م): «والتسويق»، وهي ساقطة في (ع).

بالموعظة^(١) لا ترعوي فالقلب قاس^(٢) والعين لا تدمع، فبادروا إخواني بالتوبة قبل طي الدستور وغلق الباب، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَبْدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَرَىٰ فَلْيَتَرَّ عِبَادُ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

قال بعض السادات^(٤) عليه السلام: «خرجت ليلة من المسجد الحرام أريد جبل أبي قبيس، فصحبني عبد أسود، عليه أظمار رثة وهو يقول: أنت أنت هو أنت^(٥) يا هو أنت^(٦)، لا يزيد على ذلك شيئاً، فلما كثر^(٧) من هذا القول قلت: يا هذا أمجنون أنت؟ قال لي: يا شيخ إنما المجنون من يمشي ألف خطوة ولا يذكر فيها^(٨) مولاه. فقلت^(٩): أفضل الذكر عند المحققين ما كان بالقلب. قال: صدقت، ولكن القلب إذا امتلأ بالذكر فاض على اللسان. ثم غاب عني ولم^(١٠) أره، فندمت على جفائي عليه، فلما كان الليل ونمت وقف بي هاتف وقال لي: يا شيخ إن لذلك العبد الأسود يوم القيامة نوراً يملأ ما بين السماء والأرض». شعر:

يا رفيقي قفالي ^(١١) وأنظرا	إن عيني لدموعي ما ترى
هل خبت نارهم أو أوقدت ^(١٢)	أو جرى واديهم أو أقفرا
لا وشعب ^(١٣) فارقوا أوطانهم	يستلينون ^(١٤) السبيل الأوعرا
كلما غنى بهم حاديهم	أخذت عيسهم جذب البرى ^(١٥)
أغسفت ^(١٦) في سيرها إذ طربت	أمنا ذكراها ^(١٧) والأجفرا ^(١٨)

(١) في (م) و(ع): «بالوعظ».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٣) الواو ساقطة في (ع).

(٤) في (م) و(ع): «السادة». والقصة ذكرها شعيب الحريش في الروض الفائق، ص ١٠٤.

(٥) عبارة «هو أنت» ساقطة في (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع) زيادة: «هو».

(٧) في (م) و(ع): «أكثر».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «فقلت له».

(١٠) في (م) و(ع): «بي».

(١٢) في الأصل: «وقدت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (م): «لا وشعث»، وفي (ع): «رب وشعث»، وهو تصحيف.

(١٤) في (م) و(ع): «يستيلون».

(١٥) عبارة «جذب البرى»، في (م): «نحو السرى»، وفي (ع): «جد السرى». وجذبه: حوَّله عن موضعه،

وجاذبته الشيء: نازعته إياه. والبرى: التراب. ابن منظور، اللسان، «جذب»، ٢٥٨/١، «وبرا»، ٧١/٤.

والمعنى: أن العيس لشدة سيرها وسرعتها كأنها تتجاذب البرى.

(١٦) في (م): «أعتقت»، وفي (ع): «أغسقت». وأغسف إذا سار بالليل خبط عشواء. ابن منظور، اللسان،

«عسف»، ٢٤٦/٩.

(١٧) الكلمة ساقطة في (ع).

(١٨) الأجفر: موضع بين قيد والخزمية، بينه وبين قيد ستة وثلاثون فرسخاً نحو مكة. صفى الدين البغدادي،

مراصد الإطلاع، ٣١/١.

وَأَفَقْتُ مِنْ حَمَلَتْ^(١) فِي سِيرهَا
مَا عَرَفْتُ الْوَجْدَ^(٣) مِنْ قَبْلِهِمْ
إِنَّ قَلْبِي فَأَنَّهُ شَرِبَ الْحِمَى
أَهْ مِنْ طِيبِ لَيْالٍ سَلَفَتْ
أَتُرَى يَرْجِعُ لِي دَهْرَ مَضَى
نَمْ دَمْعِي بِغَرَامِي فَأَعْذِرُوا
وَأَبْكِ^(٥) يَا عَيْنَ^(٦) أَعْيَنِي قَلْقِي

فَتَنَاسَتْ بِالطُّوَى طُولَ^(٢) السَّرى
كَيْفَ لِلوَاجِدِ أَنْ يَضْطَبِرَا
وَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ أَنْ يَمْطُرَا
كَانَ كُلَّ اللَّيْلِ فِيهَا سَحْرَا
أَتُرَى^(٤) يَنْفَعَنِي قَوْلِي تُرَى
رُبُّ أَمْرٍ كَانَ سَرًّا فَسَرَى
إِنْ تَوَانَيْتِ فَلَا ذُقْتُ الْكِرَى

[بحر الرمل]

إِخْوَانِي تَفَكَّرُوا فِيمَا^(٧) تَصِيرُونَ إِلَيْهِ وَتَحَقُّقُوا، وَتَذَكَّرُوا مَصَارِعَ الْأَحْبَابِ الَّذِينَ سَبَقُوا، وَمَا
الَّذِي جَرَى لَهُمْ لَمَّا أَوْثَقُوا^(٨)، هَلْ قِيدُوا بِأَعْمَالِهِمْ أَوْ^(٩) أَطْلُقُوا، كَيْفَ^(١٠) أَفْرَدُوا مِنْ أَحْبَابِهِمْ
وَتَفَرَّقُوا^(١١)، سَعِدُوا- وَاللَّهِ - بِمَا قَدَمُوا أَوْ شَقُوا، وَكَأَنِّي^(١٢) بِكَ لَا قِيَّ مَا لَقُوا، وَتَشْرَبُ بِالْكَأْسِ
الَّذِي بِهِ^(١٣) سَقُوا، يَا مَغْتَرًّا بِالْأَمَالِ وَهِيَ خِيَالٌ يَطْرُقُ، يَا حَامِلًا لِقَبْرِهِ [١٥٤] الْخَطَايَا وَ^(١٤) هُوَ
بِهَا مَوْثِقٌ، بَشْ مَا حَمَلْتَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْجَوَارِحَ تَنْطِقُ، كَمْ أَسْكُرُكَ^(١٥) التَّسْوِيفَ بِكَاسِ
سُوفَ وَبِنَفْسِكَ لَا تَرْفُقُ^(١٦)، وَيَحْكُ تَجْمَعُ الْمَالُ لَغَيْرِكَ أَنْتَ^(١٧) الْمَحَاسِبَ وَهُوَ الْمُنْفَقُ، يُنْعَمُ
غَيْرِكَ وَأَنْتَ الْمَعْدَّبُ وَسَهَامُ الْمَنَايَا عَلَيْكَ تُرْشَقُ^(١٨)، كَمْ تَغْتَرُّ بِالسَّلَامَةِ وَعَنْ قَلِيلٍ شَمْلُكَ
يَمْزُقُ^(١٩)، كَمْ تَعْلِي مَشِيدَ الْبَنِيَانِ وَكَمْ تَتَوَنَّقُ^(٢٠)، أَبْعَدُ^(٢١) الْمَشِيبَ لَا تَرْعَوِي أَبْعَدَ الْعِيَانِ

(١) فِي الْأَصْلِ: «حَمَلَهَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٢) فِي الْأَصْلِ: «طُور»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٣) فِي الْأَصْلِ وَ(ع): «ذَا الْوَجْدِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م).

(٤) فِي (م) وَ(ع): «وَتُرَى».

(٥) فِي (ع): «عَيْنِي».

(٦) فِي (م) وَ(ع): «وَتَقُوا».

(٧) فِي (م) وَ(ع): «وَكَيْفَ».

(٨) فِي الْأَصْلِ: «وَكَانَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٩) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

(١٠) الْوَاوُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).

(١١) فِي الْأَصْلِ: «أَسْكُرْتُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(١٢) فِي (ع): «تَرْفُقُ».

(١٣) فِي (م): «فَأَنْتَ»، وَفِي (ع): «وَأَنْتَ».

(١٤) فِي (م) وَ(ع): «تَقُوقُ».

(١٥) فِي (م) وَ(ع): «مَشِيدَ الْبِنَاءِ كَمْ تَتَأَنَّقُ».

(١٦) فِي الْأَصْلِ: «وَأَبْعَدُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٥) فِي (م) وَ(ع): «وَيْكَ».

(٧) فِي (م) وَ(ع): «مَا».

(٩) فِي (م) وَ(ع): «أَمْ».

(١١) فِي (م) وَ(ع): «وَأَفْتَرَقُوا».

(١٩) فِي (م) وَ(ع): «مَمْزُقُ».

لا^(١) تصدق، أين من زعم أنه ربح عمره وثوب شبابه تمزق^(٢)، أين من كان مجلسه بين الصدور والعيون نحوه تتألق، أين من توالى أيامه بالأفراح و^(٣) خذه بالتراب مخلّق، أين من خلا بلذاته ودون الخلائق بابه مغلق، أين من شيد المباني وهو لهواه يعيش، عادت مبانیه^(٤) خراباً فيها غراب البين ينق، أين الذين تزينوا بالرياء وفي أحوالهم ما صدقوا، أتراهم ما رعوا^(٥) من يراهم أتراهم لذلك^(٦) ما حققوا، ما ينفع الندم إذا فات هلاً كان وأنت حي ترزق، من ضيع أيام الشباب في اللهو والمشيبي في الغفلة فذاك الأحق، أما ترى ديار المترفين خراباً والريح فيها تصفّق، مناهم في اللحد ساعة من عمرك يا بُعد ما يتشوقوا^(٧)، أين كنت وغصن الشباب نضر مورق، ندمت وأنت خشبة تصلح للنار وتحرق، لما^(٨) أوثقتك الكبير عدت بأذيال الآمال تتعلق، واعجباً مالك^(٩) تخطب والمنون تطلق، هذا ماتم الأحزان فأين الدموع السّبْق، إذا لم تتب في هذا [١٥٤ب] المجلس فما^(١٠) أرى عودك عوداً يورق، فبادورا إخواني^(١١) التوبة فمن بادر أصاب، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَبْدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولَٰؤُا الْأَنْبِيَاءِ﴾.

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى^(١٢): «عصفت بنا الريح^(١٣) فطرحتنا على جزيرة في البحر، فإذا رجل يعبد صنماً. «تقدمت هذه الحكاية^(١٤). شعر:

سمحوا باللقاء بعد^(١٥) النفر أي يُسْرِ قد أُمَزَّجوه^(١٦) بعُسر
فتشوا لي قلباً فقد ضاق^(١٧) قلبي وأرؤني صبرا فقد عزَّ صبري
كُلّ فاء في ظاهر القول عنكم فهو في باطن الملامة مُغري
هان عندي^(١٨) الردى وعزَّ عليّ الـ وصل ويلى ما قام خيرى بشري

(١) في (م) و(ع): «ما».

(٣) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «علموا». ورعى النجم رعيّاً: راقبها. ابن منظور، اللسان، «رعى»، ٣٢٧/١٤.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) عبارة «يا بعد ما... إلخ»، في (م) و(ع): «النازحين تشوقوا».

(٨) في (ع): «أما».

(٩) عبارة «ما لك»، في (م) و(ع): «أمالك».

(١٠) في (م) و(ع): «ما».

(١٢) القصة تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثامن.

(١٣) في (م) و(ع): «الريح بنا».

(١٤) عبارة «تقدمت... إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقد أعيد ذكر القصة في (م) و(ع) بكاملها في هذا الموطن.

(١٥) في (م) و(ع): «يوم».

(١٦) عبارة «قد أُمَزَّجوه»، في (م) و(ع): «مزجوه».

(١٧) في (م) و(ع): «ضاع».

(١٨) في (م) و(ع): «علي».

هل حياة لديكم لأسير الـ آه من رمة^(٢) وما يجلب الدم
ولعمري لونال رضى^(٣) الذي نا
ساخ في الأرض وهو صخر فما يصـ
هل مجيري من الحوادث أم من
حب إن لم يكن فگاك الأسير^(١)
ع لطرف المَشوق من غير عذر
ل فؤادي منهم و^(٤) حمل ظهري
نع صب قد صيغ من^(٥) غير صخر
منقذ الصب من حوادث دهر
[بحر الخفيف]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي ليس لدوام بقاءه^(٦) من نفاذ، واحد لا من طريق الآحاد في الأعداد، إذا أراد
شيئاً كان فكلمة من أمره لا تُعاد، أسعد بالقرب رجلاً أثروه على المال^(٧) والأولاد، وفر لهم
نصيب السعادة يوم [١٥٥] القسمة فلا تؤثر فيهم الأضداد^(٨)، أوقد في مشكاة صدورهم نور التوحيد
فأشرق وادي الفؤاد، حصل لعقولهم^(٩) معرفته وإن كانت شاردة لا تُصاد، حلّاهم بخلى المحبة
فأستوحشوا من العباد والبلاد^(١٠)، ملأ فساقي قلوبهم بأشواق^(١١) الحكمة فمثله لمثلها يراد^(١٢)،
نظر^(١٣) حافاتها بأزهار الأذكار ووزد الأوراد، غنى معبد تعبدهم بعود^(١٤) ذكر العود ورجع تلحينه
وأعاد، حرّك ساكن وجدهم بمثاني المثاني فتمايلهم كالغصن المياد^(١٥)، صفت زجاجة^(١٦)
أرواحهم ورق شراب وجدهم وطاب لهم سماع الإنشاد، أدار عليهم حمياً الحماية^(١٧) فالفت
عيونهم الشهاد، فمنهم نشوان ومنهم سكران^(١٨) وكل أيامهم بمحبتهم أعياد، مد عليهم أطلس^(١٩)

- (١) في (م) و(ع): «لأسري».
- (٢) في (م) و(ع): «رمة».
- (٣) رضى جبل بين مكة والمدينة، قرب ينبع، به مياه كثيرة وأشجار في شعبه. صفي الدين البغدادي،
مراصد الإطلاع، ٦٢٠/٢.
- (٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «ملكه».
- (٧) في (م) و(ع): «الأموال».
- (٨) أي لا تؤثر فيهم التقلبات والتغيرات فهم ثابتون على الصلاح، مثابرون على الخير والعمل الصالح.
- (٩) في (م) و(ع): «لقلوبهم».
- (١٠) في (م) و(ع): «من سواقي». والفَسَقِيَّة: المُتَوَضَّأ،
والجمع الفساقِي. الزبيدي، تاج العروس، «فسق»، ٤٩/٧.
- (١١) في (م) و(ع): «فمثله لمثلها يزداد».
- (١٢) في (م) و(ع): «نقض».
- (١٣) في (م) و(ع): «بذكر»، وهي من (م) و(ع).
- (١٤) غصن مياد: مائل. ابن منظور، اللسان، «ميد»، ٤١٢/٣.
- (١٥) في (م) و(ع): «زجاجات».
- (١٦) في (م) و(ع): «حميات»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) عبارة «فمنهم نشوان.. إلخ»، في (م) و(ع): «فمنهم سكران ونشوان».
- (١٨) الأطلس: الأسود. ابن منظور، اللسان، «طلس»، ١٢٤/٦.

ليل الخلوة غيرة من رقيب الرقاد، فهم يتشاكرون الأشواق بنفَس تَلَف^(١) في حبه أو كاد، والمحروم نهاره في الشقاء وليله في النوم وعمره لا يعاد^(٢)، ركب مركب القضاء للمحبة ففي أصل تركيبه فساد^(٣)، ضيع أيامه في الغفلة^(٤) وفي الكبر يكي على فائت لا يعاد، فيا معشر المذنبين جدوا قبل الرحيل عن الأجساد، ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾^(٥) يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ^(٥)، فسبحان من وقَّ من شاء لخدمته فالان له الخطوب الشداد، أحمدته حمد من لم يعرف سواه حتى أمثل^(٦) أمره وطاب المراد، وأشهد أن لا إله إلا الله [١٥٥ب] وحده لا شريك له شهادة أشهدا عند هجوم الموت بالإبراق والإرعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رحمة الله للعباد والبلاد^(٧) صلى الله عليه وسلم^(٨) وعلى آله وأصحابه الذين عزَّروه ونصروه وكان أحب إليهم من النفوس والأموال والأولاد.

يا تائهاً في ليل الغفلة عدلت عن الطريق^(٩) عُج على سبيل الهدى، تزوَّد فقد بلغ المنزل من تزوَّد، دارك بقية أنفاسك عسى ما فاتك اليوم تدركه غدا^(١٠)، قدموا ماء الخشية فإنه ينفع الصدى^(١١)، استعدوا جواباً للسؤال يوم مؤرد الردى، ركائب الأعمار تسري^(١٢) أما تسمع نغم الحُدا، واعجبا^(١٣) كلما أبيض شيبك عاد قلبك أسودا، كلما ضعفت قواك كثر^(١٤) الحرص وغاب الهدى، كلما قصر الأجل طال الأمل وشمل العزم تبددا، يا مريض الخطايا أطل الخطى^(١٥) إليها ترددا، هذا بحر^(١٦) التوبة متى ترد منه موردا، كم يصيح النصيح وطرش الغفلة عدا^(١٧)، ليت شعري مع من أتحدث^(١٨) من أنادي من لم^(١٩) يسمع النداء، جمع بك

(١) في الأصل: «تلفت»، وهي من (م) و(ع).

(٢) في (م): «وعمره في نفاذ»، وفي (ع): «وعمره نفاذ».

(٣) عبارة «ركب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى معنى قول الإمام الحسن البصري: «إن قوماً ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حصة يقول إني أحسن الظن بري، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل». الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء، ٤١٠/٢.

(٤) عبارة «في الغفلة» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) سورة غافر، آية ٣٢ - ٣٣.

(٦) عبارة «حتى أمثل»، في (م) و(ع): «لذ له جنى».

(٧) في (م) و(ع): «للبلاد والعباد».

(٨) كلمة «وسلم» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «عدلت عن الطريق» ساقطة في (م) و(ع). (١٠) في الأصل «في غدا»، وهي من (م) و(ع)؛ وذلك لمراعاة السجع.

(١١) الصدى: شدة العطش. ابن منظور، اللسان، «صدي»، ٤٥٣/١٤.

(١٢) عبارة «ركائب.. إلخ»، في (م) و(ع): «وكائب يسري».

(١٣) في (م) و(ع): «واعجبا».

(١٤) في (م) و(ع): «ظهر».

(١٥) في (م): «بخطاه»، وفي (ع): «الخطاه».

(١٦) في (م) و(ع): «بحران».

(١٧) عداه عن الأمر: صرفه وشغله. ابن منظور، اللسان، «عدا»، ٣٤/١٥.

(١٨) عبارة «مع من أتحدث»، في (م) و(ع): «من أحدث».

(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).

جواد الشباب وبالمشيب أوردك الردى، تمسي وتصبح في لهو وغفلة كأنك خلقت سدى، ما كأنك شيعت جنازة ما كأنك شهدت مشهدا، أين أيامك التي ذهب أطيبها^(١) ما^(٢) تعود أبداً، لو نذبت عمرك عمر نوح^(٣) ما بلغت له مدى، أين أرباب السلوك أين الذين وهبوا الدجى حساً ومشهداً^(٤)، [١٥٦] أين عمّار الزوايا أين أرباب الاهتدا، أين أرباب^(٥) الهمم أين^(٦) الذين كان بهم يقتدى^(٧)، أين آيات^(٨) المحبين إذا وردوا من المحبة موردا، أين إشارات العارفين أما^(٩) وجدوا على النار هدى^(١٠)، أين سكر الواجدين وقد غنى لهم فثار^(١١) الشوق و^(١٢) عربدا، أين الفقراء الصادقون أين الذين ركبوا من الشوق فرقدا^(١٣)، أين عقلاء المجانين ما أحلى مذاقهم وأبردا، أين الزاهدون وأرباب الورع من^(١٤) راح في القفار وغدا، أين أرباب التهجّد وعقد عبراتهم منضدا، أين سُمّار الأسحار^(١٥) ومن أتهم منهم وأنجدا، أين الذين جعلوا الآخرة موعداً^(١٦)، أين الذين طهروا^(١٧) أجسادهم بالرياضة حتى جاوزوا في تطهيرها المدى، أين أرباب المشاهدة الذين جعلوا الآخرة موعداً، أين الذين^(١٨) شغلهم ذكر الحبيب وعزمهم إليه تجدداً، أين الخاشعون من خشية الله^(١٩) ما أطيب عيشهم وأسعدا، أين الثابون

(١) في (م) و(ع): «ذهبت أطايبها».

(٣) عاش نوح ﷺ طويلاً وعمر كثيراً، فقد أقام في قومه تسعمائة وخمسين عاماً يذكرهم ويعظمهم. محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء، ص ١٣٥، بتصرف.

(٤) عبارة «حسا ومشهدا»، في (م) و(ع): «جفنا مسهدا».

(٥) في (م) و(ع): «أصحاب».

(٦) الكلمة ساقطة في (ع).

(٧) في (م) و(ع): «يهتدي».

(٨) في (م) و(ع): «أنات».

(٩) في (م) و(ع): «لما».

(١٠) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَّ أَتْنَكَ حَدِيثَ مُوسَى ۖ إِذْ رَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّوْنِيَ عَلَيْكُمْ مِنهَا يَذَّابُونَ أَوْ يُحْدِثُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ٩ - ١٠]. وقد ذكر أهل التفسير أن موسى ﷺ استأذن شعبياً في الرجوع إلى والدته فأذن له، وبينما هو في طريق عودته في ليلة مظلمة إذ ضل الطريق الصحيح فأبصر ناراً، فعلم أن النار لا تخلو من موقد، فرجا أن يجد من يهديه الطريق، فلما أتى النار كلمه الله ﷻ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا نُورِي يَتُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه: ١١ - ١٢].

(١١) في (م) و(ع): «بنار».

(١٣) في (م) و(ع): «فدفا». والفرقدان نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، وربما قالت العرب لهما الفرقد. والفدفا: المكان المرتفع فيه صلابة. ابن منظور، اللسان، «فرقد»، ٣/ ٣٣٤، و«فدفا»، ٣/ ٣٣٠.

(١٤) في (م) و(ع): «ومن».

(١٦) عبارة «أين الذين جعلوا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «ضمروا».

(١٩) عبارة «من خشية الله»، في (م) و(ع): «من خشيته».

من الضلال الراحون في^(١) الهدى، أترى أين رحل القوم و^(٢) أين من^(٣) راح منهم وغدا، خلت منهم المنازل وعقد شملهم تبتداً، هذه قبورهم قريبة واعجباً ما أقرب الأحباب وأبعدا، أنت لأي يوم تدخر^(٤) التوبة وقد ولّى الشباب ولست مخلداً، يا من غلبه الكبر هيهات أن يعود الشباب كما بدا^(٥)، فبادروا إخواني فما تنفعكم الأموال والأولاد^(٦)، ﴿وَيَتَقَوَّمُ إِلَيْهِ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ﴾^(٧) يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا [١٥٦] لَهُ مِنْ هَادٍ . منصور بن عمار رحمه الله تعالى قال^(٨): «خرجت ذات ليلة فجزت^(٩) بدار فسمعت^(١٠) صوتاً يكرر قول الله ﷻ^(١١): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١٢)، فحسبت أنه أرتج عليه، فقرأت الآية إلى آخرها، فسمعت عند فراغي من الآية صيحة عظيمة^(١٣) وهذا، ولم أعلم ما في^(١٤) ذلك. فتوجهت في حاجتي، وعدت في ذلك الطريق، فإذا أنا^(١٥) بنعش على باب الدار ونفر من الرجال قعد^(١٦)، وعجوز تدخل وتخرج، فقلت: يا عجوز من الميت؟ فقلت: ولدي و^(١٧) من كان به أنسي، أتى عليه في هذه الدار أربعون سنة يكرر آية من القرآن يمنعه الخوف من إتمامها، فلما كان آخر هذه الليلة جاز^(١٨) بنا رجل فقرأ الآية^(١٩)، فلما أنتهى إلى آخرها صاح ولدي صيحة ووقع^(٢٠) ميتاً. فقلت: هكذا يكون الخوف من الله تعالى يا بن عمار^(٢١)، شيع قتيلك، فتقدمت في جملة الناس حتى دفنوه رحمه الله تعالى^(٢٢)». شعر: خيالك نضب لي^(٢٣) بكل مكان وذكرك معقود^(٢٤) بعقد^(٢٥) جناني

- (١) في (م) و(ع): «الراحون من».
(٢) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «تؤخر».
(٤) عبارة «كما بدا»، في الأصل «كلما أبدا»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «ولا الأولاد».
(٦) القصة تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل الثالث.
(٧) عبارة «خرجت.. إلخ»، في (م) و(ع): «اجتزت يوماً».
(٨) في (م) و(ع) زيادة: «في تلك الليلة».
(٩) سورة التحريم، آية ٦. والآية في (م) و(ع): «نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ».
(١٠) في (م) و(ع) زيادة: «أحد».
(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٢) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٣) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٤) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٥) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٦) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٧) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٨) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(١٩) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(٢٠) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(٢١) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(٢٢) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(٢٣) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(٢٤) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».
(٢٥) في (م) و(ع): «الكلمة ساقطة في (م) و(ع)».

ولي بك شغل عن سواك وإنني
أتيتك فأحكم بين قلبي وناظري
فقلبي يقول الطَّرْف ساق لي الهوى
وما منهما في الحب عندي مُبَرَّأ
ولولا كما^(٥) ما كان^(٦) خصمان في الهوى

لَبَّأى فؤادي أَنْ يَمِيل لِثَانِي
فلأتهما في الحب^(١) يختصمان
وطرفي يقول القلب فيه رماني
لأنهما^(٣) في الفعل يشتركان^(٤)
وما^(٧) كنت مقتولاً بغير سنان [١٥٧]

[بحر الطويل]

فيا^(٨) معشر المذنبين كم قيدتكم الشهوات عن الصعود، كم حجبتمكم^(٩) الزلات عن
الورود، كم عدا بكم العصيان عن الحدود، كم^(١٠) أوردتكم المعاصي إلى^(١١) الطغيان بئس
الورود، ستندمون والله حيث لا ينفعكم الندم ولا^(١٢) والد ولا مولود، تنفرد وحدك^(١٣)
بأعمالك ويدنك بالدود، ولا ينفعك تمزيق الثياب ولطم الخدود، ودّعك أحبابك وداع من لا
يعود، أما تتفكر في هذا السفر الذي يعم الوجود، ما^(١٤) لك عين تبكي على الهجر والصدود،
في كل مجلس تقول لست أعود ثم تعود، كم من طلعت عليه^(١٥) الشمس وهو موجود وغربت
وهو مفقود، أملك في طلب التوبة محلول وفي طلب الدنيا معقود، تُرائي بأعمال^(١٦) جوارحك
وهي^(١٧) والله عليك شهود، سافر ويحك عن ظلمة طبعك عساك^(١٨) تفهم معنى الوجود، يا
عبد الشهوة يا طريحاً عن^(١٩) الباب يا مبعود، تركتنا وأطعت إبليس تُرى متى إلينا تعود، ليالي
المتهجدين بيض وليالي النّوم كلها^(٢٠) سود، يا عبدي أقبل عليّ^(٢١) عسى يلين قلبك الجلمود،
لئلا تطول الغيبة فتكثر الوحشة ويدوم^(٢٢) الصدود، رافق في سفر السحر^(٢٣) رفاق تتجافى
والعيون هجود، مهما صعدوا ثنية ركوع هبطوا وادي سجود، يتواجدون بذكري فواجدهم بين

- (١) عبارة «في الحب»، في (م): «والحب».
- (٢) في (م) و(ع): «إلا».
- (٣) في الأصل: «لأنها»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «مشاركان».
- (٥) في الأصل و(ع): «ولولاك»، والتصويب من (م).
- (٦) في الأصل: «كنا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «ولا».
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «حجبتكم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «وكم».
- (١١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) عبارة «لا ينفعكم... إلخ»، في (م) و(ع): «لا ينفع».
- (١٣) في (م) و(ع): «وروحك».
- (١٤) في (م) و(ع): «أما».
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «بأعمالك».
- (١٧) كلمة «وهي» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «عسى».
- (١٩) في (م) و(ع): «إلى».
- (٢٠) في (م) و(ع): «النّوم عنا».
- (٢١) في (م) و(ع): «فدوم».
- (٢٢) في (م) و(ع): «السهر».
- (٢٣) في (م) و(ع): «السهر».

التهائم والنجود، ما زالت همهم عالية فهم من صعود لسعود، ساعدهم التوفيق فجعل الوجود [١٥٧ب] لهم جنود، رجال مجاهدة وأبطال مشاهدة وأسود، عشقوا الفضائل وذلوا النفوس وهي شرود، يا عبدي أصف لك طريق أحبابي وكيف هم^(١) من الطافي في مهود، كم تعصيني وأطلب رضاك وأنت بإصرارك مبعود، مالي شريك في إيجادك ولا شاهد ولا مشهود، غذيتك بنعمتي وظل رحمتي^(٢) عليك ممدود، إذ كنت في الصبا لا ترعوي وفي^(٣) الكبرترجو أن تعود^(٤)، معاشر المذنبين أعملوا لوحشة اللحد، قدّموا الزاد قبل سفر الموت وبعد الخلود، فليت شعري فإلى^(٥) أي الدارين تكون الرحلة ما أحقّ بلطم الخدود، إذا خرجت من المجلس ولم تتب فلواء الشقاء عليك معقود، فبادروا إخواني قبل مقام^(٦) يشهد عليكم فيه الأشهداء، ﴿وَنَفَقُوا إِلَىٰ أَخَاهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الثَّانِي﴾^(٧) يَوْمَ تُولَدُونَ مُدْرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ.

إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى قال^(٧): «بينما^(٨) أنا في جبانة^(٩) اعتبر بالموتى، وأذكر طول البلاء، إذ رأيت شاباً أستفرغه الوله، فسلمت عليه وقلت: من أين أقبلت؟ فقال: من عند^(١٠) هذا العسكر، وأشار بيده إلى الموتى. فقلت^(١١): وأي شيء قلت لهم؟ قال: قلت لهم^(١٢) متى ترحلون؟ قالوا حتى تقدموا. فقلت: أراك حكيماً فأخبرني من أين وقف سالك الطريق في فجاج المضيق؟ فقال: من ضعف جواد التصديق. قلت^(١٣): أخبرني عن الصادق لله [١٥٨] تعالى^(١٤) في حبه متى يشتاق إلى رؤية ربه؟ قال: إذا نزع حب الدنيا من قلبه وتبرم ببقائه^(١٥) اشتاق إلى رؤية^(١٦) ربه. شعر^(١٧):

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى فأغنيّني بالفهم عنك^(١٨) عن الكشف

- (١) في الأصل: «وهم»، وهي من (م) و(ع).
- (٢) عبارة «وظل رحمتي»، في (م) و(ع): «وظلها».
- (٣) في (م) و(ع): «ففي».
- (٤) في (م) و(ع): «تسود».
- (٥) في (م) و(ع): «إلى».
- (٦) في (م) و(ع): «يوم».
- (٧) في (م) و(ع): «قال إبراهيم التيمي». وإبراهيم هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، تيم الرباب، أبو أسماء الكوفي الفقيه العابد، كان كبير القدر، مات سنة ٩٢هـ - ٧١٠م، وهو شاب لم يبلغ أربعين سنة. ابن الجوزي، الصفة، ٩٠/٣. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث وفيات ٨١ - ١٠٠هـ، ص ٢٨٣.
- (٨) في (م) و(ع): «بينما».
- (٩) في (م) و(ع): «الجبانة».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «قلت».
- (١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «فقلت».
- (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «ببقائه»، وهو تصحيف.
- (١٦) في (م) و(ع): «فاشتاق إلى لقاء».
- (١٧) الأبيات لأبي حمزة الخراساني الصوفي، المتوفى سنة ٢٩٠هـ - ٩٠٢م. انظر: مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ٢٤٥/٢٨.
- (١٨) في (م) و(ع): «منك».

تَلَطَّفْتُ فِي أَمْرِي فَأَبْدَيْتُ شَاهِدِي
تَرَاءَيْتَ لِي بِالْغَيْبِ حَتَّى كَأَنَّمَا
أَرَاكَ وَلِي مِنْ وَحْشَتِي^(٢) لَكَ وَحْشَةٌ
وَتُخَيِّبِي مُحِبًّا أَنْتَ فِي الْحَبِّ حَتْفَهُ

إِلَى غَايَتِي وَاللُّطْفُ يُذَرِّكَ بِاللُّطْفِ
يُمَثِّلُ^(١) لِي بِالْغَيْبِ أَنَّكَ فِي الْكَفِّ
وَتُونِسْنِي بِاللُّطْفِ مِنْكَ وَبِالْعَظْفِ
وَذَا عَجَبٌ كَوْنُ الْحَيَاةِ مِنْ^(٣) الْحَتْفِ

[بحر الطويل]

إِخْوَانِي أَحْضَرُوا قُلُوبَكُمْ^(٤) لِلْإِخْلَاصِ وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ^(٥) فِي طَلَبِ الْخِلَاصِ، وَنَادُوا بِلِسَانِ
الْإِفْتِقَارِ يَا دَلِيلَ الْحَاطِرِينَ^(٦)، يَا رَاحِمَ الْمُنْقَطِعِينَ، يَا جَابِرَ الْمُنْكَسِرِينَ^(٧)، يَا قَابِلَ التَّائِبِينَ،
أَرْحَمَ غَرِبَتْنَا إِذَا نَسِينَا الذَّاكِرُونَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا
مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٨).



-
- (١) فِي الْأَصْلِ: «تَبَيَّنَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
(٢) فِي (م) وَ(ع): «دَهَشْتِي». وَالْوَحْشَةُ: الْخَلُوعُ وَالْوَهْمُ، وَقَدْ أَوْحَشْتَ الرَّجُلَ فَاسْتَوْحَشَ. ابْنُ مَنْظُورٍ،
اللِّسَانُ، «وَحْشٌ»، ٣٦٨/٦.
(٣) فِي (م) وَ(ع): «مَعٌ».
(٤) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ، وَهِيَ مِنْ (م) وَ(ع).
(٥) الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
(٦) عِبَارَةٌ «يَا دَلِيلَ الْحَاطِرِينَ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).
(٧) فِي (م) وَ(ع): «الْمَكْسُورِينَ».
(٨) عِبَارَةٌ «بِرَحْمَتِكَ... إلخ» سَاقِطَةٌ فِي (م) وَ(ع).

الفصل التاسع عشر

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي نظم سلك الوجود وحلّى به جيد الوجود^(١) فبدا وهو نظيم، قَسَمَ مقادير المقادير على وفق ما تقدّم في علمه القديم، مدّ طينلس^(٢) الليل على إيوان الوجود فظهر ليله البهيم، أوقد شمعة الشمس في فُسطاط^(٣) الفلك والقمر بين سلك النجوم كالذُرّ اليتيم، جعل بعض النجوم زينة وبعضها رجوماً للشيطان الرجيم، [١٥٨ب] فالفصاحة زينة^(٤) سماء العبارة فمن فهم المعنى يهيم، نبّه عيون العارفين في خلوة الدجى فهمانهم بحبه يهيم^(٥)، قدّ^(٦) من أديم الزمان شراك^(٧) الليل والنهار ومنظومها^(٨) الراحل والمقيم، حنّت نفوس العاشقين إلى عشيات الحمى فالسلو عنها^(٩) راحل^(١٠) والشوق مقيم، كيف يسلو فؤاد صب يحبيه نفس^(١١) النسيم، واعجباه كيف صحّ العاشق مع العشق^(١٢) وهو السقيم، كم تحت ستر الدجى ممن تخاله سليماً وهو سقيم^(١٣)، يكفكف ماء المدامع و^(١٤) فؤاده مكلوم^(١٥) وسمعه كليم، كم سبيت^(١٦) سلمى وزينب والرباب^(١٧) ومن لها صوت^(١٨) رخم، ومحبوبها^(١٩) يغار أن يسميه ولا يشير إشارة التسليم، سكروا بحبه فهموا في الفلوات ومن طلب عظيماً خاطر بعظيم، حديث غرامهم صحيح

- (١) في (م) و(ع): «الموجود».
- (٢) الفسطاط ضرب من الأبنية، وكل مدينة فسطاط. ابن منظور، اللسان، «فسط»، ٣٧١/٧.
- (٣) عبارة «وبعضها رجوماً.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «فيه.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) القُدّ: القطع المستأصل، والشق طولاً، قدّه يقده قدّاً. ابن منظور، اللسان، «قدد»، ٣٤٤/٣.
- (٦) في (م): «سير»، وفي (ع): «سر».
- (٧) في (م) و(ع): «ومنطق بهما». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْحَيَّ يَكُونُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ اللَّيْلَ عَلَى أَيْلَ﴾ [الزمر: ٥].
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٠) عبارة «يحبيه نفس»، في (م) و(ع): «نحيه بنفس».
- (١١) عبارة «مع العشق»، في (م) و(ع): «على الشوق».
- (١٢) في (م) و(ع): «سليم».
- (١٣) كلمه يكلمه: جرحه، ورجل مكلوم وكليم. ابن منظور، اللسان، «كلم»، ٥٢٤/١٢.
- (١٤) في (م) و(ع): «شيت».
- (١٥) في (م) و(ع): «دل».
- (١٦) في (م) و(ع): «سليم».
- (١٧) في (م) و(ع): «سليم».
- (١٨) في (م) و(ع): «سليم».
- (١٩) في (م) و(ع): «سليم».

وحديث سلوهم سقيم، لو رأيتهم يوم زينة المحشر عليهم خلع الرضى والتكريم، والمحروم في تيه الآمال وفيه مرعى وخيم^(١)، يتوهم أنه متع^(٢) في الدنيا وهو من الغفلة في عذاب أليم، بينما^(٣) نضارة حسنها^(٤) يروق للناظر وقلبه^(٥) بها يهيم، هبت عليها سموم الفناء فعاد حميدها ذميم^(٦)، فانتبه أيها المغرور لفهم مثال مثله العزيز العليم^(٧)، ﴿حَرَجَ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا [١٥٩] وَأَزْيَنَتْ وَظَرَبَ أَهْلَهَا أَتَمَّتْ فَنَدَرُونَ عَلَيْهَا أَتَمَّتْ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَقَفْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْعِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٨).

إخواني^(٩) النظر إلى الفضول علامة الحرمان^(١٠)، غضوا بصائر^(١١) البصائر عن الأكوان، فالمراقب^(١٢) بالمرصاد فيما يكون وفيما قد كان، قيّدوا خطا الخطايا عن جوّ الجوّلان، فالناقد^(١٣) بصير وليس الخبر كالعيان، أجمعوا سهام الغفلة^(١٤) والكذب والبُهتان، أغراض الأعراض مرمى كل جبار^(١٥)، رُبّ رمية أصابت الرامي فأعمت منه الإنسان^(١٦)، كم كلمة گلّمت المتكلم وحينه بها قد^(١٧) حان، و^(١٨) كم نظرة أذهبت بصيرته^(١٩) وكانت سبب الحرمان، يا مسوفاً بالتوبة طول الزمان، ضيعت الشباب في الغفلة والمشيب في العصيان، كم

(١) شيء وخيم: وبيء، وبلدة وخيمة وخيمة إذا لم يوافق سكنتها. ابن منظور، اللسان، «وخم»، ٦٣١/١٢.

(٢) في (م) و(ع): «متعم». (٣) في (م) و(ع): «بيننا».

(٤) في (ع): «حملها». (٥) في (م) و(ع): «يروق الناظر ولبه».

(٦) في (م) و(ع): «وهو ذميم». (٧) في (م) و(ع): «الكريم».

(٨) سورة يونس، آية ٢٤ - ٢٥. (٩) في (م) و(ع): «معاشر السالكين».

(١٠) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه الطبراني وأحمد عن الحسين بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ

قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث (٨/١٧٣٦)، ١/

٢٤٩. الطبراني، المعجم الكبير، رقم الحديث (٢٨٨٦)، ١٢٨/٣. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني

في الثلاثة، ورجال أحمد والكبير ثقات. الهيثمي، كتاب الأدب، باب من حسن إسلام المرء تركه ما لا

يعنيه، ١٨/٨. وقال المناوي: حسنه النووي بل صححه ابن عبد البر. المناوي، فيض القدير، ١٣/٦.

(١١) في (م) و(ع): «أبصار». (١٢) في (م) و(ع): «المراقب».

(١٣) في (م) و(ع): «الناقد». (١٤) في (م) و(ع): «الغنية».

(١٥) في (م) و(ع): «جبان».

(١٦) في الأصل «فأعمى منها الإنسان»، والتصويب من (م) و(ع). والإنسان: إنسان العين، وإنسان العين:

ناظرها. ابن منظور، اللسان، «أنس»، ١٣/٦.

(١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار، أبعد ما بين المشرق

والمغرب». مسلم، الصحيح، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، رقم

الحديث (٢٩٨٨/٥٠)، ٢٢٩٠/٤.

(١٨) الواو ساقطة في (م).

(١٩) في (م) و(ع): «بصره».

لي أحدث قلبك و^(١) سمعك ما كان لك^(٢) آذان^(٣)، أما تعتبر بالراحلين عن الأوطان، ديارهم أقفرت منذ أزمان، كم من^(٤) أمل^(٥) أصبح في أمله أمسى وهو خبر كان، خلف الأهل والأولاد والأموال^(٦) والغلمان، وسافر إلى أمد بعيد نسيه الأهل والجيران، رأى زاده قليلاً فَجَرَتْ منه دموع الأحزان، أصبحت حَليلته عروساً^(٧) لغيره وأبتم الولدان، أين من قاد الجيوش من طوائف الطوفان، أين من قاد الجيوش في أقاليم^(٨) من [١٥٩ب] ساسان^(٩)، أين عاد وكسرى والإيوان، أين باني الخورنق^(١٠) أين السدير والنعمان، أين من حصّن الحصون أين ابن ذي يزن^(١١) وعُمدان^(١٢)، خُرِبَتْ قصورهم بيد الحداث وأصبحت خراباً من السكان، أمحلت^(١٣) - والله - باناتها والكثبان، أين من حل بها ومن^(١٤) قد كان، تسارعوا على البلى تسارع الرُكبان، تباعدوا في المزار وقد كانوا جيران، فيا^(١٥) لهفي على تلك الأوطان، أما تسمع حديث القوم أما لعينك^(١٦) عيان، أفردوا بأعمالهم فهم من الخسران كل يوم^(١٧) في شان، ينادي مناديههم^(١٨) بلسان الأسف وتدمع منه العينان، يا طول غربتهم بعدما كانوا في شجر المنى كالأغصان، لو سئلوا عن أيام^(١٩) الدنيا لقالوا نوم في جفون يقظان، ندموا على ما قدموا وخلفوا^(٢٠) وما ينفع الشجّي الأشجان، فيا من تخلف عن المتاب حتى شاب أما آن

- (١) كلمة «قلبك و» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢) عبارة «ما كان لك»، في الأصل: «أما كان»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «أذنان».
- (٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في الأصل: «مؤول»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «والأموال والأولاد».
- (٧) في (م) و(ع): «عزساً».
- (٨) عبارة «أين من قاد الجيوش في أقاليم»، في (م) و(ع): «أين من ساس الأقاليم».
- (٩) وهم الأكاسرة الساسانية من ولد ساسان بن ازدشير، وقد زال ملكهم بالإسلام. عماد الدين أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ٤٧/١.
- (١٠) في الأصل: «الحرق»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «أين ذي يزن». وابن ذي يزن هو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح الحميري، يكنى أبا مرة، أقام ملكاً من قبل كسرى على اليمن حتى غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده. ابن كثير، البداية والنهاية، ١/١٧٧. الألويسي، بلوغ الأرب، ١٧١/٢، ١٧٢.
- (١٢) عُمدان قصر بصنعاء باليمن، كان منزل الملوك، ولم يزل قائماً حتى هدمه عثمان بن عفان رضي الله عنه. صفي الدين البغدادي، مرصد الاطلاع، ١٠٠٠/٢.
- (١٣) أرض مُخل وقحط: لم يصبها المطر في حينه، المَخل الجذب، وهو انقطاع المطر وبُس الأرض من الكلال. ابن منظور، اللسان، «مخل»، ٦١٧/١١.
- (١٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٥) في (م) و(ع): «يا».
- (١٦) في (م) و(ع): «لعيئك».
- (١٧) في الأصل: «كل يوم هو»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «وما خلفوا».

لك أما^(١) آن، دنا^(٢) حصاد زرعك^(٣) وخينك لعمرى قد حان، إذا لم تبك بياض المشيب^(٤)
فعند السكرات دمعك طوفان، لأي يوم تدخر التوبة أما هذا ماتم الأحزان، يا محامل^(٥)
التائبين ترفقوا لمنقطع وهو^(٦) عطشان، لعل فاضل همة تحمل المتخلف الكسلان، يا مراني
أنت نائم ما أنت يقظان، متى تُخلص متى تصدق متى تكون يقظان، فيا مسوفاً بالتوبة ليس ليل
السليم كليل السقيم^(٧)، «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ نَارِ الْكَلْبَرِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

قال أبو سليمان المغربي^(٨) [١٦٠] رحمه الله تعالى: «كنت أحمل الحطب من الجبل
وأثقت به، وكان^(٩) طريقي فيه الورع^(١٠)... تقدمت هذه الحكاية^(١١). شعر^(١٢):

أما وقد ذهب الزمان الأول ما ينفع الرّبع الرّحيب وقد خلا
وكأنما^(١٤) كانوا خيالاً طارِقاً كأروم^(١٥) من عيشي المُقَدَّم رَجْعَة
وأقول للحادين رفقا بعدما خيران يُسْعِدُنِي على ما حلّ بي
لم أذر كيف تُصَبِّرِي من بعدهم فوقفت أسأل في خلال مطيهم
لكن لنا عند التّلاخُظ رَجْعَة

فطِلابُ ما قد بان منه تَعَلُّل^(١٣)
من أهل وُدِّي ربيعهم والمنزل
نادى الفُراق بجمّعهم فترَحَّلوا
من بعد ما ولّى الزمان المُقبِل
شَدَّوا^(١٦) المطايا للرحيل وعَجَّلوا
زفراثُ محزونٍ ودمع مُسَبَّل
عنهم على أيّ الأمور أعوّل
ولّهان ما^(١٧) أدري لماذا أُنْكَسِل^(١٨)
فيها رسول بالتواصل مُرْسَل

[بحر الكامل]

- (١) في الأصل: «ما»، وهي من (م) و(ع).
- (٢) في (م): «عمرى».
- (٣) في (م): «عمرى».
- (٤) في (م) و(ع): «محمل».
- (٥) عبارة «ترفقوا... إلخ»، في (م) و(ع): «توقفوا لمنقطع فهو».
- (٦) عبارة «كليل السقيم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل التاسع.
- (٨) في (م) و(ع): «فكان».
- (٩) في (١٠) في (م) و(ع): «التقوى».
- (١١) عبارة «تقدمت... إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وقد أعيد ذكر القصة في (م) و(ع) بكاملها في هذا الموطن.
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) تعلل به أي تلهى به. ابن منظور، اللسان، «علل»، ٤٦٩/١١.
- (١٤) في (م): «فكأنما».
- (١٥) في الأصل: «أروم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٦) في (م) و(ع): «زموا».
- (١٧) في (م) و(ع): «أسأل». والكسل التثاقل عما لا ينبغي أن يتثاقل عنه. ابن منظور، اللسان، «كسل»، ٥٨٧/١١.

إخواني ما أوحش قلباً خربت من التقوى منازلها، عج بوادي الدجي عسى تُشجيك^(١) بلابله، أستوقف ركب المتجهدين^(٢) لعل تمر^(٣) بك محامله، ناد أرحموا منقطعاً شغله من الحرمان شواغله، لازاد ولا تقوى تساعده^(٤)، ليت شعري من أقامكم^(٥) وأنامه ولاحت^(٦) عليه من الهجران مخايله، من نجاكم من سهام المعاصي وأصيب^(٧) بها مقاتله، من قرّب لكم^(٨) البعيد وأبعده فما نفعه طل^(٩) دمع ووابله، من سلك بكم سبيل الهدى في سبيل لا تخاف غوائله، من أبعد المحروم رفيقه خادع الأمل^(١٠) وباطله، لا ينفعه التأسف على الفائت وما لا^(١١) يحاوله، فيا رفاق [١٦٠ب] تتجافى عسى فضلة همة على من لف^(١٢) له عاذله، يا نازلين وادي^(١٣) السحر أذكروا من كان ينزله، تذكروا المنقطعين ومن قُطعت عنه رواحله، تحمّلوا رسالة محزون عساه تقبل منه رسائله^(١٤)، لازم الباب وإن^(١٥) طردت عساك ترحم من أعاليه أو من^(١٦) أسافله، كم طفيلي وجد الباب مفتوحاً فدخل فإذا الفضل شامله، ويحك كم توسع منزل^(١٧) الخطايا وغريم التوبة تماطله^(١٨)، أما تخاف فجاءة المنون إذا نزلت نوازله، لا تنفعه^(١٩) النوادب ولو ناحت عليه حلائله، ما أسرع ما يُرحل^(٢٠) به للرмс وآماله وأمواله تزايله، يدفع^(٢١) مع ما قدّم فأسمع نصح عليم بما أنت جاهله، إن كان صالحاً آتسك وإن كان فاسداً أوحشك فأعماله عوامله^(٢٢)، يا حاضر الجسم يا غائب القلب يا من عميت سبله

(١) في (م) و(ع): «تشجيك».

(٢) في (م): «يمر».

(٣) في (م) و(ع): «أنامكم»، وهو تصحيف.

(٤) في (م) و(ع): «وأصيب».

(٥) الطل: المطر الصغار القطر الدائم، وقيل: هو فوق الندى ودون المطر. ابن منظور، اللسان، «طلل»، ٤٠٥/١١.

(٦) في (م) و(ع): «الآمال».

(٧) في (م) و(ع): «ورق».

(٨) في (م) و(ع): «زيادة: وسيلته قلب منكسر وقد تقبل من الأسير وسائله».

(٩) في (م) و(ع): «ولو».

(١٠) في (م) و(ع): «طريق».

(١١) في (م) و(ع): «ينفعه».

(١٢) في (م) و(ع): «يدفن».

(١٣) في (م) و(ع): «يسرع».

(١٤) في (م) و(ع): «ولا ما».

(١٥) في (م) و(ع): «بوادي».

(١٦) في (م) و(ع): «بوادي».

(١٧) في (م) و(ع): «بوادي».

(١٨) في (م) و(ع): «بوادي».

(١٩) في (م) و(ع): «بوادي».

(٢٠) في (م) و(ع): «بوادي».

(٢١) في (م) و(ع): «بوادي».

(٢٢) في (م) و(ع): «بوادي».

(٢٢) وقوله هذا إشارة إلى ماجاء في بعض حديث رسول الله ﷺ الذي أخرجه الحاكم عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل المسلم إذا كان في قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا جاء ملك الموت فقعده عند رأسه... ويمثل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده. فيقول: من أنت فوجهك وجه يبشر بالخير. قال: فيقول: أنا عمك الصالح. قال: فهو يقول رب أتم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي، ثم قرأ: ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وأما الفاجر فإذا كان في قبل من الآخرة، وانقطع =

ودلائله، هذا منادي^(١) التوبة ينادي بالرحيل فكيف^(٢) يجيب من عزمه خاذله، إذا نزل المشيب ولم ترحل عن الذنوب فقد هلك^(٣) هلاك الأبد فأفهم ما أنا قائله، يود الخاسر يوم الحشر^(٤) لو يفتدي من الأهوال بالوجود لو يقبل باذله، هيهات^(٥) كيف يطيق النهوض من أصيبت^(٦) بالحرمان مقاتله، فبادروا إخواني قبل هول يوم عظيم، ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَىٰ دَارِ الْأَلَكِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أبو عبيدة الخواص رحمه الله تعالى قال^(٧): «رأيت شيخاً في مسجد^(٨) بيت المقدس كأنه قد أحترق [١٦١] بالنار، عليه مدرعة سوداء وعمامة سوداء، طويل الصمت، كربه المنظر، كثير الشعر، شديد الكآبة. فقلت: يرحمك^(٩) الله لو غيرت لباسك هذا فقد علمت ما في البياض، فبكى و^(١٠) قال: هذا أشبه بلباس أهل المصائب^(١١)، وإنما أنا وأنت في الدنيا في حداد، فكأنني بي وبك قد^(١٢) دُعينا، فما تم كلامه حتى غشي عليه». شعر^(١٣):

خذوا النوم ^(١٤) عني لأنني من ^(١٥) عياده ^(١٦)	ضعيف فكيف اليوم ^(١٧) وهو ثقيل
وخلّوا فضول الدمع تهمي ^(١٨) فإنّها	بقية نفس بالدموع تسيل
ولا تسألوا عما أجنّ فليس لي	لسان يؤدي ما الغرام يقول
ولائي إذا ^(١٩) ما حَدَثَ الرّكب عنكم	نسيم بتصديق الوشاة كفيل

= من الدنيا أتاه ملك الموت... ويمثل له رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده، قال: فيقول: من أنت فوجهك الوجه يبشر بالشر. قال: فيقول أنا عملك الخبيث. قال: وهو يقول رب لا تقم الساعة. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. الحاكم، المستدرک، کتاب الإيمان، ٣٧/١.

- (١) عبارة «هذا منادي»، في (م) و(ع): «فإذا دليل».
- (٢) في (م) و(ع): «كيف».
- (٣) عبارة «فقد هلك»، في (م) و(ع): «فهلك».
- (٤) عبارة «يوم الحشر» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «أصيب».
- (٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٤٧/٤. وأبو عبيدة هو عباد بن عباد، وقد اشتهر بأبي عبيدة وإنما هو أبو عتبة. ابن الجوزي، الصفة، ٢٧٥/٤.
- (٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «رحمك».
- (١٠) في (م) و(ع): «ثم».
- (١١) عبارة «لباس.. إلخ»، في (م) و(ع): «لباس أهل المصيبة».
- (١٢) في (م) و(ع): «وقد».
- (١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «اللوم».
- (١٥) في (م) و(ع): «في».
- (١٦) في (م) و(ع): «عناده».
- (١٧) في (م) و(ع): «اللوم».
- (١٨) هَمَت عينه تهمو: صبت دموعها، والمعروف تهمي. ابن منظور، اللسان، «همي»، ٣٦٤/١٥.
- (١٩) في (م) و(ع): «متى».

وأشفق من مرّ النسيم إذا جرى
وكيف أنتفاعي^(٢) بالشّمائل والصّبا
وما بال خفّاق النّسيم يميلني
يطارحني البرق الحديث كأنما
دموع كمنهل الحيا^(٦) مُستَهَلّة
ويطلع لي إذا ذكرت طوالع^(٧)
فلله هذا الطّرف أما بكاؤه
وليس يبالي أن يقال إذا بكى

عليلاً^(١) وهل يخشى العليل عليلٌ
إذا كان لا يُشقى بهنّ عليل^(٣)
هل^(٤) الريح راح والشمال شمول
أضاء كأن^(٥) البرق منك رسول
وجسم كما لاح الهلال نحيل
من الشوق لا يُرجى لهنّ أفول
فهّظل وأما نومه فقليل
مُريبٌ ويخشى أن يقال بخيل
[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي جعل معرفته للعارفين دليلاً، أعجز العقول [١٦١ب] أن تتخذ^(٨) إلى كُنْه ذاته
سبيلاً، آنس المشتاقين بحبه فأتخذوا أنسهم^(٩) به خليلاً، شوّقهم لرؤيته فلم يريدوا به
بديلاً^(١٠)، نزّهوا نفوسهم عن الأسباب لَمّا كان لهم كفيلاً، بذلوا نفوسهم في رضاه وما بذلوا
تبديلاً، سهّل عليهم ترك الشهوات وإن كان حمله^(١١) ثقيلاً، عاملوه بالإخلاص فكان لهم في
معاملتهم وكيلاً، كم لهم تحت ستر الدجى من مجلس أنس يرتلون ذكره تعالى^(١٢) ترتيلاً،
ذابت لآلئ مدامعهم بعد الجمود فأبَلَّتْ لهم غليلاً، فمشتاقهم واله لوعاد طيفهم عاد عليلاً،
تعطّر نسيم السحر بأنفاسهم ينمّ^(١٣) عَرَفَه بكرة وأصيلاً، عبراتهم رسائل وأتخذوا شوقهم
لرسائلهم سبيلاً، وافرحتهم يوم اللقاء في منازل القرب فأهلاً بها^(١٤) منازل ونزيلاً، وأهل
المعاصي بذّلوا من السعادة بالشقاوة^(١٥) تبديلاً، أقيموا من الهجران والبعد مقاماً ذليلاً، الدنيا
دار غرور أتخذوها منزلاً ومقيلاً، كم أسمعهم واعظ العبر وكم فضّل لهم الحديث تفصيلاً،
غلب عليهم طرش الغفلة ما سمعوا إلا بكاء وعويلاً، وبين أيديهم أهوال يود أحدهم لو يجد

(١) في (م) و(ع): «مريضاً».

(٣) في (م): «غليل».

(٥) «كأن» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) الحيا المطر لإحيائه الأرض. ابن منظور، اللسان، «حيا»، ٢١٥/١٤.

(٧) في (م) و(ع): «وتطلع لي أما طلعت طوالع». والطلع: الهلال. الفيروزآبادي القاموس، «طلع»، ص ٩٦١.

(٨) في (ع): «يتخذوا».

(١٠) في (م) و(ع): «سواء بديلاً».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (ع): «به».

(٢) في (ع): «التقاعي»، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «أنفسهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «حملها».

(١٣) في (م) و(ع): «فتم».

(١٥) في (م) و(ع): «بالشقاء».

إلى المهرب سبيلاً، ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾^(١).

إخواني أحذروا غرور التسويف وطول الأمل، وأعتبروا بمن رحل من الأحباب أين رحل، وتفكروا في منزله أين [١٦٢] نزل، قد فاجأه^(٢) ما لم يكن له في الأمل، كم ضُربت له الأمثال^(٣) فما أمثل، حتى عاد مُثَلَّةً يضرب^(٤) به^(٥) المثل، أستلان مهاده التسويف وتردّى بالكسل، تخلف عن ساقه المجتهدين^(٦) ففاته العمل، نام عن المقصود فلا^(٧) نامت تلك المقل، خُربت^(٨) حوالبه على ديوان الحرمان والمطل، نصب له الكبر شوكة^(٩) الضعف حتى رحل، عامل مراني التسويف على بضاعة العمر فإذا بمتقاضي^(١٠) المشيب حصل، حصل^(١١) منه حاصل الشباب وطالبه بالباقي بعد ضرب الأجل، ما حيلته إذا عاين سجن القبر بين الخوف والرجل، لو علم الغافل ما فاته فكيف^(١٢) قدمه تزل، لو علم أيام عمره لأنصبت وجناته صبغة الخجل، ما كان تبسّم ولا تنسّم في سهل ولا جبل، ما أفزع سرعة^(١٣) الموت تأتي على غفلة^(١٤) بلا مهل، ويحك نفس نفيس ووقت عزيز ضيعته لا في علم ولا في^(١٥) عمل، هلّا رافقت رفاق التائبين وأسرعت على عجل، كيف تخلفت عن محامل أهل^(١٦) السحر وقد زينت بالاستغفار منازلهم^(١٧) بالحلل، إذا فاتتك مواسم الأرباح فقد فُقدت في تدبيرك الحيل، يا مريض القلب يا من أدركه بُحْران^(١٨) التوبة وما أبل، ويلي^(١٩) من أعاتب! أعدل^(٢٠) من لا يسمع العذل! أنادي أطروش الغفلة كم ينادي الربيع الدائر والطلل، ويليك ما لك^(٢١) عزم في الداهيين الأول، أين الأكاسرة والفراعنة وأرباب الدول، أين من جمع الأموال وحصّن الحصون [١٦٢ب] وأستعبد العبيد والخول، أين من أسكرته أيام الولاية وإدام^(٢٢) السكر قتل، ما ينفعه إذا داعي الممات دعاه^(٢٣) شجاع ولا بطل، ويحك ضيعت بدر

(١) سورة المزمل، آية ١٧ - ١٨.

(٣) في (م) و(ع): «الأمثال له».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «لا».

(٩) في (م) و(ع): «شرك».

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «ما أسرع صرعة».

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «وقد زينت من الاستغفار».

(١٨) بَحر الرجل يَبْحر إذا تَحَيَّر من الفزع، ويقال أيضاً: بَحر إذا أَشْتد عطشه فلم يَزو من الماء. والأطباء يسمون التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادة: بُحراناً. ابن منظور، اللسان، «بحر»، ٤/٤٦.

فالبُحْران تأويله تغيّر يكون دفعة إما إلى جانب الصحة فيشفى، وإما إلى جانب المرض فيضعف.

(١٩) في (م) و(ع): «ويلاه».

(٢١) في (م) و(ع): «ويحك أمالك».

(٢٣) في (م) و(ع): «ما يمنعه إذا دعاه الممات».

(٢٠) في (م) و(ع): «أعدل».

(٢٢) في (م) و(ع): «وإذا دام».

الشباب في الغفلة حتى أفل، بماذا تستضيء في ليل الكبر يا من تعلل بالعلل، كم ترائي ويحك من يراك كم تغدل عمن عدل^(١)، كم تماطل التوبة^(٢) بالتسويق بليت وعسى ولعل، سنك يضحك على حرمانك يا كثير الزلل، إلى أي وقت^(٣) تذخر^(٤) التوبة إلى متى هذا المطل، إن خرجت من المجلس كما دخلت فستندم طويلاً، ﴿أَلَسْمَا مُنْقِطِرٌ بِدءٍ كَانَ وَعَدُّهُ مَقُولًا﴾^(٥).

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر^(٦) رحمه الله تعالى قال^(٧): «حدثني^(٨) مولاة لأبي أمامة^(٩) قالت: كان أبو أمامة الباهلي عليه السلام^(١٠) يحب الصدقة^(١١)، ولا يرد السائل قط خائباً^(١٢) ولو ببضة أو تمرة أو بشيء^(١٣) مما يؤكل، فأتاه سائل فأعطاه جميع ذلك^(١٤)، فغضبت أمرته^(١٥) وقالت: لم تترك لنا شيئاً. قالت^(١٦): فوضع رأسه للقائلة، فلما نودي للظهر^(١٧) أيقظته، فتوضأ ثم راح إلى المسجد^(١٨). قالت: فشفت عليه وهو صائم^(١٩)، فأقترضت ما جعلته^(٢٠) له عشاء، وأسرجت له سراجاً، وجئت إلى فراشه لأمهده^(٢١) له فإذا بذهب^(٢٢)، فعددته^(٢٣) فإذا هو ثلاثمائة دينار. قالت: قلت: ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما^(٢٤) خلف. فأقبل

(١) عدل عن الشيء: حاد، والعدل: الحكم بالحق يقال هو يقضي بالحق، ويعدل. ابن منظور، اللسان، «عدل»، ٤٣٠/١١، ٤٣٤.

(٢) في (م) و(ع): «المتاب».

(٣) في (م) و(ع): «يوم».

(٤) في (م) و(ع): «بوماً يجمل الولدان شيئاً» ﴿أَلَسْمَا مُنْقِطِرٌ بِدءٍ كَانَ وَعَدُّهُ مَقُولًا﴾.

(٥) عبارة «ابن جابر» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «حدثني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) وهي عابدة من عابدات الشام المجهولات الأسماء. ابن الجوزي، الصفة، ٣٠٦/٤.

(٨) عبارة «الباهلي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). وأبو أمامة هو صدى بن عجلان بن الحارث بن وهب، أبو

أمامة الباهلي السهمي، غلبت عليه كنيته، وهو صاحب رسول الله ﷺ، ونزيل حمص، توفي سنة ٨٦ هـ -

٧٠٥ م. ابن الجوزي، الصفة، ٧٧٣/١. ابن الأثير، أسد الغابة، ١٦/٣.

(٩) في (م) و(ع) زيادة: «فيجمع لها».

(١٠) في (م) و(ع): «شيء».

(١١) عبارة «فأعطاه.. إلخ»، في (م) و(ع): «ذات يوم وقد أقفر من ذلك كله وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله

فأعطاه ديناراً، ثم جاء آخر فأعطاه ديناراً، ثم آخر فأعطاه ديناراً» إلا أن عبارة «ثم جاء آخر.. إلخ»

ساقطة في (ع).

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «فشفت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فوقفت عليه وكان صائماً».

(١٥) في (م) و(ع): «جعلت».

(١٦) في (م) و(ع): «ذهب».

(١٧) في الأصل: «فاعدته»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٨) في (م) و(ع): «بالذي».

بعد العشاء فلما رأى المائدة والسراج تبسم وقال: هذا خير من عنده^(١) تعالى^(٢). قالت: فقامت على رأسه حتى تعشى [١٦٣] فقلت: رحمك الله خلفت هذه النفقة ولم تخبرني فأرفعها. قال: وأي نفقة؟ ما خلفنا^(٣) شيئاً. قالت: فرفعت الفراش فلما رأى ذلك^(٤) فرح وزاد سروراً^(٥). قالت: فقامت وقطعت زناري وأسلمت. قال ابن جابر^(٦): فأدركتها بمسجد^(٧) حمص وهي تعلم الناس القرآن والفرائض والسنن وتفقههم في الدين^(٨). شعر^(٩):

رُدُّوا عَلَيَّ شَوَارِدَ الْأُظْلَعَانِ
لَا يَغْرِزُكُمَا^(١٠) أَضْطَبَارِي إِنَّهُ
فَعَلَامٌ اسْتَسْقَى الطَّلُولُ وَمَا الَّذِي
يَا صَاحِبَيَّ وَمَا الْمَلَامُ بِنَافِعِي^(١١)
عَنِّي^(١٢) مَلَامِكُمَا الْمَلِيمُ فَقَدْ رَأَى
كَمْ أَكْثَرَ^(١٣) اللُّؤَامُ فِيهِ وَمَا وَعَى
قُلُوبُ^(١٤) كَيْفَ تَأْمُرُنِي^(١٥) الْعَوَاذِلُ مَلُوءَةٌ
يَا سَاكِنِي نَعْمَانِ أَيْنَ زَمَانُنَا
إِنْ زِلْتُمْ عَنِّي فَلَسْتُ^(١٦) بِزَائِلٍ
وَلَكُمُ^(١٧) مَعَ الْهُجْرَانِ وَجَدِي بَعْدَكُمْ
وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ^(١٨) أَمِيلُ صَبَابَةً
وَيُخَوِّنُنِي ظَرْفِي فَيَنْطِقُ بِالَّذِي

- (١) في (م) و(ع): «غيره»، وهو تصحيف.
(٢) في (م) و(ع): «خلفت».
(٣) في (م) و(ع): «تعجبه».
(٤) في (م) و(ع): «في مسجد».
(٥) البيتان الأول والثامن مقتبسان من قصيدة لابن المعلم. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، ٦/٥.
(٦) في الأصل: «يفرنكم»، وفي (م): «يفرنكم»، والتصويب من (ع).
(٧) في (م) و(ع): «بنافع».
(٨) في الأصل: «دعني»، والتصويب من (م) و(ع).
(٩) في (م) و(ع): «وما».
(١٠) في (م) و(ع): «بل».
(١١) في (م) و(ع): «نهاني».
(١٢) طویل: ماء لبني يربوع، من تميم، وقيل: موضع بنجد. صفى الدين البغدادي، مرصد الاطلاع، ٨٩٨/٢.
(١٣) في (م) و(ع): «فليس».
(١٤) في (م) و(ع): «ونعم».
(١٥) في (م) و(ع): «أشجاني».
(١٦) في الأصل: «ذكرتهم»، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «أشجاني».
(١٨) في الأصل: «ذكرتهم»، وهي من (م) و(ع).

شوقاً وإن لم تسمَحُوا بزيارة وهو وإن لم تبْنَعُوا بِتَدَان [١٦٣ب]

[بحر الكامل]

معاشر^(١) العصاة كم تعاهدون المولى ثم تنقضون العهود، وكم تعقدون عقد المتاب ولا توفون بالعقود، وكم تعملون الأعمال السيئة والحفظة عليكم شهود، كم^(٢) تسون الجوارح مع المعاصي وترك الحدود، ستندمون^(٣) إذا برق البصر حيث لا ينفع^(٤) والد ولا مولود، وتسلم إلى قبر ضجيعك فيه الأحزان والدود، خلّفت ما جمعت من مال و^(٥) من^(٦) موجود، أما تطلع عليك الشمس وأنت موجود^(٧) وتغرب وأنت مفقود، لك الخطاب يا أطروش أنت بهذا الكلام مقصود، رافق التائبين^(٨) وخيّم مع الرُّكّع السجود^(٩)، ليالي المتهجدين مشرقة وليالي النائمين سود، سافر إلى إقليم السحر تتل في سفرك المقصود، أرفع قصتك على يد رسول الشهر^(١٠) وقل إلهي لا أعود، كم عاص يرفع^(١١) إلى الله رسالته فيقابله^(١٢) طالع السعود، وآخر قطع به فإذا في أقدام عرضه^(١٣) قيود، ويحك رافق البكائين فلائى مدامعهم في سوق القبول قعود، ما أجمد عينك^(١٤) وقلبك أقصى من الجلمود، تعرض لنفحات الدجى والعيون هجود، قدّم زاد السفر ليوم^(١٥) طويل لست منه تعود، كم لك من ستر مرخى على المعاصي وتشهد عليك الجوارح والجلود، هذا أوان الصلح يا غائب القلب متى تعود^(١٦)، إن فاتك السفر في ركب التائبين فأنت منقطع في صحراء^(١٧) الغيبة مفقود، [١٦٤أ] يا أرباب السلوك رافقوا أرباب^(١٨) المجاهدة فهم رجال حرب أسود، يا خجلة المنهزمين بالخيبة^(١٩) حُقّ لهم لَظْم الخدود، ميلوا إلى ألوية الأولياء فظل لوائهم ممدود، ليت شعري من أسرته الشهوات كيف يسود، يا ماشياً في ليل الرياء ويلك كم ذا الجحود، حظ المخلص الوصول^(٢٠) وكم^(٢١) أرى لك الصدود،

(١) في (م) و(ع): «معشر».

(٢) في (م) و(ع): «ستندم».

(٣) في الأصل: «أو»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) عبارة «وأنت موجود» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «مع الركوع والسجود».

(٦) عبارة «تتل في سفرك» .. إلخ ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م): «يرفعه».

(٨) عبارة «إلى الله .. إلخ»، في (م) و(ع): «الله ساعده».

(٩) في (م) و(ع): «غرضه».

(١٠) في (م) و(ع): «قدّم زاداً لسفر».

(١١) عبارة «فأنت منقطع .. إلخ»، في (م) و(ع): «فأنت في منقطع».

(١٢) في (م) و(ع): «أبطال».

(١٣) في (م) و(ع): «الوصول».

(١٤) في الأصل: «وما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «بالغفلة».

(١٦) في (م) و(ع): «وكم».

(١٧) في (م) و(ع): «وكم».

أثواب الرياء عارية وشهر^(١) المرائي في الحقيقة خمود، دينار عملك^(٢) بهرج وعند نقاد الحساب مردود، يا أرباب الأفهام سارعوا قبل الموت فما ينفع ذكر الحمى وزرود^(٣)، هذه رسائل المواعظ تتلى عليك والملائكة شهود، مولاك ينادي^(٤) يا عبدي^(٥) بحق عظمي عليك بحق الجود، بحلمي بعفوي بما^(٦) بيننا من موائق^(٧) وعهود، لا تخجل^(٨) من كثرة معاصيك فجودي لك موجود^(٩)، إذا لم أجِدْ بعفوي على المذنبين^(١٠) فعلى من تراني أجود، أقنع منك بقطرة دمع تخذ^(١١) في الخد أخذود، إذا تركتني فمن^(١٢) تعاض غيري من الوجود، إبليس يريدك للنار وأنا أريدك للجنة ذات^(١٣) الخلود، بحقي^(١٤) عليك تقرب إلي فما تصلح لغيري يا معنى الوجود، فأنا لكل منقطع كفيلاً^(١٥)، ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ٧٧ ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾.

ذكر عن بعض السلف رحمه الله تعالى قال^(١٦): «رأيت في بعض الجبال شاباً أصفر اللون، غائر العينين، مرتعش الأعضاء، لا يثبت^(١٧) على الأرض [١٦٤ب] و^(١٨) كأن به وخز الأسنة، ودموعه تتقاطر^(١٩)، فقلت: من أين؟ قال: أبى هرب^(٢٠) من مولا. قلت: تعود وتعتذر^(٢١). قال: العذر يحتاج إلى إقامة الحجة^(٢٢) فكيف يعتذر المقصر. قلت: تتعلق بمن يشفع لك^(٢٣). قال: كل الشفعاء يخافون منه، قلت: من^(٢٤) هو؟ قال: مولاي^(٢٥) رباني صغيراً وعصيته^(٢٦).

- (١) في (م) و(ع): «وشهوة».
- (٢) في (ع): «عمله».
- (٣) زرود موضع بطريق مكة بعد الرمل فيه قصر أصفر لعلها سميت به وبركة وآبار. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٦٦٤/٢.
- (٤) في (م) و(ع): «يتاديك».
- (٥) في الأصل: «عبادي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٦) في الأصل: «بماذا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «وائق»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «لا تعجب».
- (٩) قوله: هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكْبَادُونَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ الدُّنْيَا جُثَّةٌ كَذِبٌ﴾ [الزمر: ٥٣].
- (١٠) في الأصل: «للمذنبين»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «تخذد».
- (١٢) في (م) و(ع): «فمن».
- (١٣) في (م) و(ع): «دار».
- (١٤) في (م) و(ع): «فبحقي».
- (١٥) عبارة «فأنا لكل منقطع كفيلاً»، في (م) و(ع): «إن فاتك ركب التائبين في هذا المجلس فستبقى في الخيبة ذليلاً».

- (١٦) في (م) و(ع): «بلغنا عن بعض السادة أنه قال». والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٧/٤.
- (١٧) في (م) و(ع): «يستقر».
- (١٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) في (م) و(ع): «تتحدار».
- (٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢١) في (م) و(ع): «فقلت: يعود ويعتذر».
- (٢٢) في (م) و(ع): «حجة».
- (٢٣) في (م) و(ع): «فقلت: يتعلق بمن يشفع فيه».
- (٢٤) في (م) و(ع): «فمن».
- (٢٥) في (م) و(ع): «مولي».
- (٢٦) في (م) و(ع): «فبعصيته».

كبيراً، شرط لي^(١) شرطاً^(٢) فوفى لي^(٣)، وضمن لي فأعطاني، فختته في ضمانني، وعصيته وهو يراني، فواحيائي من حسن صنعته وقبيح^(٤) فعلي. فقلت: أين هذا المولى؟ قال^(٥): أينما^(٦) توجهت لقيت أعوانه، وأينما أستقررت^(٧) ففي داره. فقلت: أرفق بنفسك يرحمك^(٨) الله فربما أحرقتك هذا الخوف. فقال: الحريق بنار خوفه أحق لعله يرضى^(٩)، ثم ولى وجعل يقول^(١٠):

لم يُبْقِ خوفك لي دمعاً ولا جلدأ لا شكَّ إنِّي بهذا ميّت كمدا
عبد كئيب أتى بالعجز مُعْتَرِفاً وناره تحرق الأحشاء والكبد
ضاقّت مسالكه في الأرض من وجَلٍ فمنّ منك بلُطف في الحساب غدا
[بحر البسيط]

فقلت: يا غلام، الأمر أسهل من هذا^(١١). فقال: هذا من فتن البطالين، هبك تخافه وعفا عنك^(١٢) أين آثار الإخلاص والصفاء، ثم صاح صيحة، وخرّ ميتاً رحمة الله عليه^(١٣). فخرجت عجوز من كهف جبل عليها ثياب رثة، فقالت: من أعان على قتل البائس الحيران؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلى الرجاء. فقالت: قد دعوته إلى ذلك فقال: [١٦٥] الرجاء بلا صفا شرك. فقلت^(١٤): من أنت منه؟ قالت: والدته. فقلت^(١٥): أقيم عندك أعينك عليه؟ قالت: خلّه ذليلاً بين يدي قاتله عساه يراه بغير معين فيرحمه. فلم أدر ماذا^(١٦) أعجب؛ من صدق الغلام في خوفه، أو من قول العجوز وصدقها ﷺ^(١٧). شعر^(١٨):

ألا هل على^(١٩) الحبّ المبرّح نظرة أفوز بها قبل الممات سبيل
بلاد بها أمسى الهوى غير أنني أزول مع المقدور حيث يزول

- (١) في (ع): «شرطني».
(٢) في (ع): «فوفاني».
(٣) في (م) و(ع): «فقال».
(٤) في (م) و(ع): «وأين استقرت أقدامك».
(٥) عبارة «أحق.. إلخ»، في (م) و(ع): «لعله يرضى أحق وأولى».
(٦) في (م) و(ع): «ثم جعل يقول».
(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «قلت».
(٩) في الأصل: «مما ذات»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) عبارة «رضي الله عنها» ساقطة في (ع).
(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والبيتان الأول والثالث اقتباس من قصيدة ليحيى بن طالب الحنفي، والبيت الثاني مقتبس من شعر حمدان بن عبد الرحيم. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ١٠١/٤، ٣٢٧. والآيات الخمسة الأخيرة رويت ليزيد بن الطثري وغيره. ينظر: زهر الآداب للحصري، ٩٢٤، ٩٢٣/٤.
(١٢) في (م) و(ع): «إلى».

ويا أثلاث^(١) الحيّ قد ملّ صُغْبتي
فديتك أعدائي كثير^(٢) ومُسْعِفي
وكننت إذا ما جئتُ جئتُ بعلة
ويا خُلة^(٣) النفس التي^(٤) ليس دونها
وما كلّ يوم لي بأرضك حاجة
أما من مقام أشتكى ذلّة الهوى^(٥)

رَوَاحِي فهل في ظِلُّكُنْ مَقِيل^(٦)
عزيز وأشياء لي لديك قليل
فأفْنَيْتِ عِلَاتِي فكيف أقول
لنا من أخلاء الصّفاء خليل
ولا كلّ وقت لي إليك وصول
وخوف العِدَى فيه إليك سبيل
[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي أقام نظام الأكوان على عمد القدرة ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْكَاتِلِينَ﴾^(٧)، أبداع
الأرواح اللطيفة بغير شريك ولا معين، وأخترع الأجسام الكثيفة من سلالة من طين، ألف
بينهما^(٨) بسر لطيف خفي عن^(٩) مدارك المدركين، رفع السماء على دعائم التقدير وزينها
للناظرين، وبسط الأرض على لُجَاج^(١٠) البحار وفجّر أنهارها بالماء المعين، أبكى عيون
السحاب^(١١) بمدامع القطر فضحكت من [١٦٥ب] بكائها البساتين، حدا بزل السحب^(١٢) حادي
الرعد فحملت أحمال الأقوات^(١٣) لأرزاق المرزوقين، أحيا به موات الأرض فقامت دفائن
النبات عبرة للمعتبرين، كل ذلك دلالة على قيام الناس لرب العالمين، فالعالم مقهور في يد
المشيئة الأولين والآخرين، قهر الخلق بالحيـر^(١٤) وخبرهم^(١٥) بالاكْتِسَابِ وقلبهم بالتلويح، أباد
الخلائق بالفناء وأعجزهم بالقضاء^(١٦) وأرضى قلوب العارفين، نعم أهل المراقبة فحاسبوا

(١) في الأصل: «أثلاث»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع) زيادة:

مدامع من عيني تفيض همول
بنعمان من وادي الأراك مقيل

«إذا هاج قلبي للعراق تحلّرت
تفيض بأكناف الحمى ويردها

(٣) في (ع): «كثيرة»، وهو تصحيف.

(٤) في الأصل: «حلقة»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) عبارة «أما من مقام.. إلخ»، في الأصل: «إلى من الشاكي فكيف ذل في الهوى»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) قوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْكَاتِلِينَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة المؤمنون، آية ١٤.

(٨) في (م) و(ع): «بينهم».

(٩) في (م) و(ع): «البحر».

(١٠) في (م) و(ع): «بزل السحاب». وبزل الشيء يبزله بزلًا: شقّه. وبزل ناب البعير طلع، وجمل بزل،

وجمع البزول بزل. ابن منظور، اللسان، «بزل»، ٥٢/١١.

(١١) في (م) و(ع): «الأنواء». والنوء: النجم مال للغروب. الفيروزآبادي، القاموس، «نوء»، ص ٦٩.

(١٢) الكلمة ساقطة في (م).

(١٣) في (م) و(ع): «حيـرهم».

(١٤) عبارة «وقلبهم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

أنفسهم^(١) بأدق الموازين، شاهدوه شاهداً ومشهوداً لكل تكوين، غضوا أبصارهم عن سواه لئلا علموا أنه الخاذل والمعين، وكيف لا وهو يحصي أعمالهم في أصح الدواوين، يحاسب أهل الصغائر والكبائر أهل الشمال وأهل اليمين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَرُزُّ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، فسبحان من بيديه^(٣) القبض والبسط في السموات وفي الأرض^(٤)، أحمدته حمد من أعجزه التقصير عن مراتب الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خلاصة الأنبياء وسيد المرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره والتابعين.

إلهي ما حيلة من قطعت عن بابك [١٦٦] العلائق^(٥)، إلهي ما حيلة من عوّثته عن النهوض إلى التوبة^(٦) العوائق^(٧)، إلهي ما حيلة من سبقت بشقائه السوابق، إلهي ما حيلة من أعمت الخطايا بصيرته فلم يُلح له من العناية بارق، إلهي ما حيلة من عزمه في المتاب كاذب وفي الشهوات صادق^(٨)، إلهي ما يصنع من لازمه الحرمان و^(٩) لا يفارق، إلهي ما يصنع المكبول مع^(١٠) أرباب السوابق، إلهي كيف يرجو الخلاص من هو في أسر الشهوات عليه مطابق، إلهي كيف يرجو السعادة من هو عن^(١١) بابك أبق، لا حيلة في حل^(١٢) ما عقده^(١٣) القدر من المناطق^(١٤)، أما يستحي من ضيّع^(١٥) الشباب في الغفلة وفي الكبر قال للغفلة أنت طالق، إذا أعمي^(١٦) القلب كان^(١٧) ذكر الآخرة عنده كالخيال الطارق، المرائي يسرق دينه من تحت حرز الإخلاص والقطع يلزم السارق، يا مريض الخطايا سم^(١٨) الرياء يدقّ على^(١٩) الطبيب

- (١) في (م) و(ع): «نفوسهم».
- (٢) في (م) و(ع): «بيده».
- (٣) عبارة «وفي الأرض»، في (م) و(ع): «والأرضين».
- (٤) في الأصل: «العائق»، وهي من (م) و(ع). والعلاقة: الحب اللازم للقلب. الفيروزآبادي، القاموس، «علق»، ص ١١٧٦. والمعنى: من قطعه حب الدنيا عن بابك.
- (٥) في (م) و(ع): «المتاب».
- (٦) في (م) و(ع) زيادة: «إلهي ما يصنع من زينت له الغفلة فهو لها عاشق».
- (٧) عبارة «إلهي ما حيلة من سبقت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في (١٠) و(ع): «و».
- (١١) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع). (١٢) في الأصل: «كل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «عقده».
- (١٤) المناطق واحدها منطلق وهو كل ما شد به وسطه. ابن منظور، اللسان، «نطق»، ٣٥٤/١٠، ٣٥٥.
- (١٥) في (م) و(ع): «أما تستحي من ضياع».
- (١٦) في (م) و(ع): «عمي».
- (١٧) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «سقم».
- (١٩) في (م) و(ع): «يدقّ عن». ودقّ الشيء يدقه إذا أظهره. ابن منظور، اللسان، «دق»، ١٠٢/١٠.

الحاذق، ظاهر المرآئي ناسك وباطنه منافق، يا بائعاً نفيس^(١) أنفاسه من الغفلة بدائق، ويحك كم تخالف المحسن^(٢) كم تخالف الخالق، و^(٣) ركنت إلى غرور الأمل وتركت صديق الآخرة الصادق، ويحك لا قلب مقبل ولا دمع جفونك عن حزنك ناطق، ويحك كم تجمع وتُنسى يوم خروج الروح فإذا هو زاهق، تسعى إلى فجع المعاصي وكم^(٤) فيه من مخائق، كم بين مقبل ومدبر وطائع وفاسق، ستبدوا لك العجائب يوم ترى القلوب خوافق، كم تسبل^(٥) الستر على المعاصي وجوارحك [١٦٦ب] عليك نواطق، ويحك ملأت كتابك بالجرائم والبوائق^(٦)، إذا لم يهزك وعظي فما تهتز^(٧) لنعمات معبد وغناء مخارق^(٨)، لا يطربك نسيم نجد ولا تحزن^(٩) لذكر العذيب وبارق^(١٠)، نمت على شفير الأمل فأصبحت من الخسران في خنادق، ضيعت الشباب وها أنت في الحرمان وقد شابت المفارق، ويحك رافق عيس البكائين عساك^(١١) تدرك المجد اللاحق، ويحك^(١٢) تضحك بعد المشيب ونجوم الشباب شوارق^(١٣)، من^(١٤) أحق منك بإسبال^(١٥) العبرات كالشقائق، كم ذا^(١٦) أعاتب والقلوب عليها مغالط، كم أقرطس^(١٧) القلوب بسهم وعظي وعليها من الغفلة سرادق^(١٨)، هذا مآتم الأحزان فأين أهل^(١٩) الحقائق، معشر الفقراء هذه أبكار المعارف فأين العاشق، يا أرباب السلوك جدوا على نجائب العزائم فهي سوابق، يا أرباب المحبة طاب السماع فأين الصادق، يا مهجوراً بعد الوصال^(٢٠) لازم

(١) في (م) و(ع): «نفائس».

(٢) الوار ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «وهم»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في الأصل: «تسال»، وهي من (م) و(ع).

(٦) البائقة: الداهية. ابن منظور، اللسان، «بوق»، ٣٠/١٠.

(٧) في الأصل: «تمتن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) هو مخارق بن يحيى بن ناووس، أبو المهنأ المغنّي، مولى الرشيد، إمام عصره في فن الغناء، ومن أطيب الناس صوتاً، توفي سنة ٢٣١هـ - ٨٤٥م. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٣١ - ٢٤٠هـ، ص ٣٥٧. الزركلي، الأعلام، ١٩١/٧.

(٩) في (م) و(ع): «تحن».

(١٠) بارق: ماء بالعراق، وهو الحد من القادسية إلى البصرة، وهي من أعمال الكوفة. وقيل: موضع بتهامة. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٥١/١.

(١١) في (م) و(ع): «عيس الثائبين عسى».

(١٣) شَرِقت الشمس شَرْقاً إذا ضعف ضوءها. ابن منظور، اللسان، «شرق»، ١٧٩/١٠.

(١٤) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع). (١٥) في (م) و(ع): «بإرسال».

(١٦) عبارة «كم ذا»، في (م) و(ع): «متى».

(١٧) رمى فَرَطُس: أصاب القِرطاس. والقِرطاس كل أديم ينصب للنضال. الفيروزآبادي، القاموس، ص ٧٢٩.

(١٨) الشَّرَادق: هو كل ما أحاط بشيء من حائط أو خباء. ابن منظور، اللسان، «سردق»، ١٥٧/١٠.

(١٩) في (م) و(ع): «أرباب».

(٢٠) في (م) و(ع): «الوصل».

الباب و^(١) لا تبرح و^(٢) لا تفارق، عسى لمحة من الرضى ولو كلمح البارق، رافق^(٣) من أنت بعينه^(٤) في كل حال وكل حين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ يَتَقَالِ دَرَوٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال^(٥): «خرجت إلى مكة - شرفها الله^(٦) - فبينما^(٧) أنا أسير إذا أنا بشاب وهو ساكت لا يذكر [١٦٧] الله تعالى^(٨) فيما أرى^(٩)، حتى إذا جن الليل رفع طرفه إلى السماء وقال: يا من لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية هب لي ما لا ينفعك^(١٠)، وأغفر لي ما لا^(١١) يضرك. قال: ثم رأيته بذى الحليفة وقد لبس ثوب إحرامه والناس يلبون وهو لا يلي، فقلت: جاهل، فدنوت منه^(١٢) فقلت^(١٣): يا فتى^(١٤) لم لا تلي؟ فقال: يا شيخ ما تغني التلبية عن^(١٥) الذنوب المتقدمة^(١٦)، والجرائم المكتوبة^(١٧)، والمعاصي السالفة^(١٨)، إني^(١٩) أخاف أن أقول لبيك فيقول^(٢٠) لي لا لبيك ولا سعديك ولا أسمع كلامك ولا أنظر إليك. فقلت: لا تفعل فإنه تعالى^(٢١) كريم إذا غضب رضى، وإذا وعد وفى. فقال: يا شيخ، أتشير علي بالتلبية؟ قلت^(٢٢): نعم. فبادر إلى الأرض^(٢٣) وجعل خده على التراب^(٢٤) وأخذ حجراً وجعله على خده الآخر، وأسبل دمعته^(٢٥) وجعل يقول: لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مقامي بين يديك، فأقام كذلك ساعة ثم قام و^(٢٦) مضى. ثم رأيته

(١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «راقب».

(٤) في الأصل: «بعينك»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) القصة ذكرها الألبشهي في المستطرف في كل فن مستظرف، ١٥٢/١.

(٦) عبارة «شرفها الله» ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فبينما».

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) عبارة «فيما أرى»، في الأصل: «فبينما نرى»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «ما يسرك».

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) عبارة «فقلت جاهل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «فقلت له».

(١٥) في (م) و(ع): «مع».

(١٧) في (م) و(ع): «المكتوبات».

(١٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢٣) في (م) و(ع): «قال فبادر الأرض».

(٢٥) في (م) و(ع): «دمعه».

(١٤) عبارة «يا فتى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «المتقدمات».

(١٨) في (م) و(ع): «السالفات».

(٢٠) في (م) و(ع): «فيقال».

(٢٢) في (م) و(ع): «فقلت».

(٢٤) عبارة «على التراب»، في (م) و(ع): «بها».

(٢٦) عبارة «قام و» ساقطة في (م) و(ع).

يوم النحر يمشي^(١) وهو يقول: اللهم إن الناس قد ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وما^(٢) عندي شيء أتقرب به غير نفسي^(٣) فتقبلها مني^(٤)، ثم شق شقيقة خرجت فيها نفسه رحمه الله تعالى^(٥). شعر^(٦):

تياَمَن^(٧) عن وادي العقيق دليلها
ألا ليت شعري بعد ما حلَّت النوى
وإني إذا عاد الجوارح طيفها
أباحثُ أرواح الصُّبا عن حديثها
فإن تَرَيْنها الشمس عند شروقها
فيا حَسْب نفسي إن ظفرتُ^(١٠) بحُسنِها
صفا راحتي من راحة الوُضل بعدها
ومُخْتَنِق في عَبرة ليس يَرْتَقِي
محا بعدكم تلك العيون بكاؤها
فمن ناظر لم يَبْق إلا دموعه
دعوا لي قلباً بالغرام أذيبه
إذا ملكت ريح الجنوب عنانها
فراحت ومن دون العليل غليلها
أتسأل سلمى أين حلَّ خليلها
تَمَايَل شاكيها وصَحَّ عليها^(٨) [١٦٧ب]
إذا أقبلت عند الصُّباح قبولها
فقد^(٩) يغتدي يوماً بذكر أصيلها
ويا سُولها^(١١) لو كان منِّي سؤلها
على بَيِّعة في الحب لا أَسْتَقِيلها
ومُخْتَبِط^(١٢) في لَوعة ما يزيلها
وغال بكم تلك الأضالع غولها^(١٣)
ومن مُهْجَة لم يبق إلا غليلها^(١٤)
عليكم وعيناً في الديار^(١٥) أجيلها
أحالت على ما في الدُّبور قَبُولها

(١) عبارة «ثم رأيت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) عبارة «أتقرب.. إلخ»، في (م) و(ع): «أتقرب به إليك أكثر من نفسي».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «خرجت نفسه رحمه الله عليه».

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في الأصل بُدِّل بين شطري البيتين الثاني والثالث، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في الأصل: «وقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «إن ظفرت»، في (م) و(ع): «لو قنعت».

(٩) سؤلت له نفسه كذا: زَيَّنت له. والتَّسْوِيل تفعيل من سؤل الإنسان وهو أمنيته أن يتمناها فتزين لطالها الباطل وغيره، وأصل السؤل مهموز عند العرب. ابن منظور، اللسان، «سؤل»، ٣٥٠/١١.

(١٠) في الأصل: «معتق»، والتصويب من (م) و(ع). والمختبِط: طالب الرشد من غير سابق معرفة ولا وسيلة. ابن منظور، اللسان، «خبط»، ٢٨٠/٧.

(١١) غاله الشيء غَوْلًا: أهلكه، وأخذه من حيث لم يدر. والقول: الداهية. ابن منظور، اللسان، «غول»، ٥٠٧/١١.

(١٢) في الأصل: «رسومها»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في (ع): «الدار»، وهو تصحيف.

فكم نفحة من أرضها بردت حشى وبَلَّ غليلاً من فؤادٍ عليلها^(١)

[بحر الطويل]

معاشر^(٢) المذنبين إلى متى هذه الغفلة والحق^(٣) واضح، أيقظوا القلوب للمتأب فقد أمتلاً الديوان بالفضائح، ضيقوا على النفوس بالورع فما يفلح المسامح^(٤)، ضمروها بالرياضة ليوم السباق عساها بالسير^(٥) تراوح، رافقوا دليل العلم فهو دليل صالح، تبه الأمل^(٦) لا آخر له وجوارحه جوارح، يا ماشياً^(٧) في ظلمة الغفلة أنت الخاسر وغيرك الرابع^(٨)، أين أيام الشباب أين الأطباء السوانح^(٩)، أين سكان الحمى أين بانة المتنازع^(١٠)، أين عشيات نجد أين من كان جفنه بالدمع سائح^(١١)، أين من كان بالأبرقين نزوله رمته الخطوب بقذح^(١٢) قاذح، بينما^(١٣) [١٦٨] المغرور في منام آماله صاح به للرحيل^(١٤) صائح، أصبح غريقاً في بحر الهجران^(١٥) وأمسى لسفر الآخرة رائح، تجرع^(١٦) من الفراق ونديم الندامة له ماس به وصايح^(١٧)، شغل عن الأحباب^(١٨) بأهوال هالت الجوارح والجوانح، عبراته^(١٩) تسيل ولسانه خرس لهول ما قدمه^(٢٠) من القبائح، سكن بعد^(٢١) الحركة وذل بعد العز وطاحت به الخطوب الطوائح، نقل إلى ضيق لحد وشدت عليه الصفائح، ندم^(٢٢) على ما قدم وأسف^(٢٣) على ما خلف فلا ينفعه^(٢٤) مدح

(١) الأبيات الستة الأخيرة للشريف الرضي، انظر: الديوان، ١٨٣/٢.

(٢) في (م) و(ع): «معاشر».

(٣) في (م) و(ع): «السامح».

(٤) في الأصل: «بالسر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «الآمال».

(٦) في (م) و(ع): «رابع».

(٧) في الأصل: «أين السوارح»، وهي من (م) و(ع). والشرح والسارح: الماشية، والشرح: الأطباء الميامين.

والسانح: ما أتاك عن يمينك من ظبي أو غير ذلك، والجمع سوانح. ابن منظور، اللسان، «سرح»، ٢/٤٧٨.

«سنح»، ٢/٤٩٠، ٤٩١.

(٨) في (م) و(ع): «المتناوح».

(٩) في (م) و(ع): «المتناوح».

(١٠) في (م) و(ع): «بيناً».

(١١) في (م) و(ع): «البحران».

(١٢) في (م) و(ع): «مماس له ومصايح».

(١٣) في (م) و(ع): «أحبابه».

(١٤) في الأصل: «عبراته»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «قدم».

(١٦) في (م) و(ع): «قدم».

(١٧) في (م) و(ع): «ندم».

مادح، ما أطول غربته وحزنه^(١) ولا ينفعه نوح نائح، مله العائد ونسيه الغادي إليه والرائح، يا تائها^(٢) في الحرمان متى تعود وتصلح، يا مضيعاً حاصل العمر وهو يرى أن المحاسب يسامح، ما جوابك عند السؤال^(٣) و^(٤) ميزان طاعتك خاسر وميزان المعاصي راجح^(٥)، ما ينفع الغريق نداء^(٦) من بالساحل^(٧) وقد ضاقت به المسابح، معاشر^(٨) المذنبين تعرضوا لنفحات الجود لعل يلوح لائح، معشر السالكين خواتم الرياضة محمودة والفواتح، يا أرياب المحبة هذا عرف المحبة^(٩) فائح، يا نائماً في ليل الغفلة هذا فجر المشيب لائح، بادر التوبة^(١٠) فربما قرب النازح، حاسب نفسك وصحح كتابك فعليك مراقبة^(١١) كرام كاتبين، ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [١٦٨ب].

يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى قال^(١٢): «سمعت ذا النون المصري^(١٣) يقول: وصف لي رجل في^(١٤) المغرب، وذكر لي من كلامه وحكمته^(١٥) ما حملني على لقائه، فرحلت إلى المغرب، فأقمت على بابهِ أربعين يوماً مساءً وصباحاً^(١٦) على أن يخرج من منزله إلى المسجد ويقعد، فكان يخرج وقت الصلاة^(١٧) فيصلي ثم يرجع. فقالوا^(١٨): إنه لا يكلمه أحد. فقلت له يوماً: يا هذا إني مقيم^(١٩) منذ أربعين يوماً^(٢٠) لا أراك تكلمني. فقال: يا هذا لسانني سبيع إن أطلفته أكلني. فقلت له: عظمي يرحمك^(٢١) الله بموعظة أحفظها عنك. فقال: وتفعل؟ قلت: نعم، إن شاء الله تعالى^(٢٢). فقال^(٢٣): لا تحب الدنيا، وعُد الفقر غنى، والبلاء نعمة، والمنع من الله عطاء، والوحدة مع الله أنساً، والذل عزاً، والطاعة حرفة، والتوكل معاشاً، والله تعالى^(٢٤) لكل شدة عدة. ثم مكث بعد ذلك شهراً لا يكلمني،

(١) في (م) و(ع): «حزنه وغربته».

(٢) في الأصل: «يا تائها إليه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «رابع».

(٤) في الأصل: «عياط»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «معشر».

(٦) في (ع): «بالتوبة».

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٣٨/٤.

(٩) في (م) و(ع): «من».

(١٠) في (م) و(ع): «أربعين صباحاً».

(١١) في (م) و(ع): «قالوا».

(١٢) في (م) و(ع): «صباحاً».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٣) في الأصل: «يا تائها إليه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «رابع».

(٧) في (م) و(ع): «على الساحل».

(٩) في (م) و(ع): «الحبيب».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «من معرفته وحكمته وكلامه».

(١٧) في (م) و(ع): «صلاة».

(١٩) في (م) و(ع): «مقيم ههنا».

(٢١) في (م) و(ع): «رحمك».

(٢٣) في (م) و(ع): «قال».

فقلت^(١): رحمك الله إني أريد الرجوع إلى بلادي^(٢) فإن رأيت أن تزيدني في الموعظة. فقال: الزاهد^(٣) في الدنيا قوته ما وجد^(٤)، ومسكنه حيث أدركه الليل، ولباسه ما ستر^(٥)، و^(٦)الخلوة مجلسه، والقرآن حديثه، والله العزيز الجبار أنيسه^(٧)، والصمت رفيقه^(٨)، والخوف سجنه^(٩)، والشوق مطيته، والنصيحة همته، والصبر وساده، والصديقون إخوانه، والحكمة كلامه، والعقل دليله، والجوع أدبه، والبكاء دأبه، والله تعالى عون^(١٠) له [١٦٩] قلت له^(١١): فمتى تَبِين^(١٢) الزيادة من النقصان؟ قال: عند محاسبة النفوس^(١٣). شعر^(١٤):

لقد^(١٤) سَأَلْتُ لَوْ وَجَدْتُ مُخْبِراً
وما عُدِمْتُ إِذْ^(١٦) عَدِمْتُ عَازِراً
شِمَّ الهوى بين الضُّلوع بارقاً
وإن أَرَدْتُ لِلْعَلِيلِ نَافِعاً
رِذْ أَدْمَعِي وَخَلْ^(١٩) غُذْرَانِ^(٢٠) اللّوى
عَلامَ تَسْتَنَجِدْ^(٢٣) صَبِراً خَاذِلاً
بِأَثْوَا فَلَمْ أَلَقْ سَقَاماً^(٢٤) غَائِباً
وَحَاذُوا^(٢٦) بِي حَاضِياً مِنَ الْأَسَى

وقد^(١٥) شَكَّوْتُ لَوْ وَجَدْتُ رَاحِماً
عَوْناً عَلَيَّ فِي الْهَوَى وَلَائِماً
إِنْ كُنْتُ يَوْماً لِلْبُرُوقِ شَائِماً
يُزَوِّي^(١٧) الْأَوَامَ يُنْبِتُ الرُّوَاسِماً^(١٨)
وَأَسْتَشِقُّ^(٢١) جَفْنِي^(٢٢) ودع الغمائم
مُنِّي وَتَسْتَرْشِدْ قَلْباً هَائِماً
عَنِّي وَلَمْ أَلَقْ شِفَاءً قَادِماً^(٢٥)
يُعَوِّدُنِي^(٢٧) مَعَ الْغَرَامِ رَاغِماً

(١) في (م) و(ع): «فقلت له».

(٣) في (م): «إن الزاهد»، وفي (ع): «إن الزهد».

(٥) في (م) و(ع): «ستره».

(٧) في (م) و(ع) زيادة: «والذكر رفيقه».

(٩) في (م) و(ع): «سجنه».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «ولقد»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٧) في (ع): «تروي».

(١٨) الرُّنَم: الأثر، ورُنِم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، والرُّوسَم كالرُّسَم. ابن منظور، اللسان، «رسم»، ٢٤١/١٢.

(١٩) في (ع): «ونحل».

(٢٠) في الأصل: «خذلان»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في الأصل و(ع): «وأستشق»، والتصويب من (م).

(٢٣) في الأصل: «تستشق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٤) في الأصل: «سلاما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٥) عبارة «شفاء قادما»، في الأصل: «شفاهاً أنادما»، وهي من (م) و(ع).

(٢٦) في (م) و(ع): «غادروا».

(٢٧) في (م) و(ع): «يقودني».

دونك لي في الحب^(١) جسم ناحل^(٢)
خذ بيدي من سَطْوَةِ البَيْنِ وما
ما ضرَّ مَنْ ساق^(٣) الفؤاد عامداً
وما عليه لو سَخَى بَطْنِفَه

يحمل طرفاً ولساناً كاتماً
أخال لي في البين عضوا سالماً
بالهَجْر لو كان الوفاء^(٤) دائماً
والطَّنِيف لا يزور إلا نائماً

[بحر الرجز]

إخواني^(٥) الطباع المنحرفة^(٦)، والفتن الناقصة، لو غنى لها^(٧) معبد، وحرك لها إسحاق^(٨)
ولحن لها مخارق، ما تحركت ولا طربت، مجلسي مجلس منادمة، جُمع فيه من كل معنى^(٩)
عجيب، ومن كل فن غريب، أزهاره معانيه، وأطيابه فصاحته، وتصنيف^(١٠) أوانيه أمثلته،
وأقداحه بلاغته، وشرابه معارفه، ونَقْلُه استعارته^(١١)، وزمزمه منظومه، ومطربه [١٦٩ب]
منثوره، كم خلع فيه من عذار، وكم قطع فيه من زنار لإصرار^(١٢)، كم لندامى المحبين على
بابه من تزاحم، وكم لخلاع الواجدين فيه من خلاعة، كم من^(١٣) متفرج أتى للفرجة وجلس
في فُرْجِه فما قام حتى أنتظم^(١٤) في سلك التائبين، ورمى طيلسان الحشمة^(١٥) وغلب عليه^(١٦)
طيب الشراب، فباح وصاح وناح^(١٧) وطلق الدنيا بتاتاً، وخرج عن^(١٨) ديار اللهو بشربة من
هذا الشراب^(١٩).

(٢) في (م) و(ع): «بائع».

(٤) في (م) و(ع): «الفؤاد».

(٦) في (ع): «المنحرفة».

(١) في (م) و(ع): «بالحب».

(٣) في (م) و(ع): «شان».

(٥) في (م) و(ع): «يا إخواني».

(٧) في الأصل: «بها»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلّي، أبو محمد، ابن النديم، فارسي الأصل، كان رأساً
في صناعة الطرب والموسيقى، أديباً شاعراً، عالماً بأخبار الشعراء وأيام الناس، توفي سنة ٢٣٥هـ -
٨٤٩م. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨٢/٢. الزركلي، الأعلام، ٢٩٢/١.

(٩) في (م) و(ع): «فن».

(١٠) في (م): «وتصفيق».

(١١) في الأصل: «ونقله استعاره»، والتصويب من (م) و(ع). والنقل: ما يُنْقَلُ به على الشراب.
الفيروزآبادي، القاموس، «نقل»، ص ١٣٧٥.

(١٢) في (م) و(ع): «إصرار».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) عبارة «حتى انتظم»، في (م) و(ع): «إلا وقد انتظم».

(١٥) في الأصل: «الخشية»، وهي من (م) و(ع).

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فباح وطاح».

(١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) في (م) و(ع): «السماع».

إلهي بالحال الذي أحالهم حلنا محلهم^(١)، هب لنا ما وهبت لهم^(٢)، وإن لم أستحق توسلت إليك - يا مولاي^(٣) - بمن قُبلت وسائله فأقبلت عليه، أسألك أن تُقبل على عبدك الدليل إقبالاً يؤمنه، إلهي لا يليق بكرمك أن ترحم من كنت السبب في رحمته، وتترك الدليل عليك^(٤)، إلهي أرحمنا^(٥) برحمتك التي ترحم بها الغرباء إذا نسينا^(٦) الذاكرون يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً دائماً مستمراً إلى يوم الدين^(٧).



-
- (١) عبارة «حلنا محلهم»، في (م) و(ع): «فحلا حلاهم».
 (٢) في (م) و(ع): «هيني ما وهبتهم».
 (٣) عبارة «يا مولاي» ساقطة في (م) و(ع).
 (٤) عبارة «لا يليق.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
 (٥) في (م) و(ع): «أرحمني».
 (٦) في (م) و(ع): «نسيني».
 (٧) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الموفي عشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي كتب المقادير قبل وجود الموجودات^(١) بما يجري عليه وما يكون، ألف بين الأرواح والأشباح بمقدار من الحكمة موزون، جمع مجموعه من مجموع الأرض من أعلاها^(٢) والدون^(٣)، ليظهر حكمته في الخلاف^(٤) لنواظر العيون، جعل السماء ميداناً لركض خيول^(٥) الكواكب عليها يركضون، وبسط الأرض بساطاً للبسيطة فهم عليها كالخيال [١٧٠] يلعبون، تحركهم أقدار خفية فبمقدارها يتحركون، ومتى شاء سَكَنَهم فأسكنهم^(٦) لحدوداً يا ويل ما يسكنون، قبض القبضتين بسابق علمه فمنعمون ومعذبون^(٧)، فأهل السعادة ساعدتهم توفيقه فهم بأمره يعملون، ذلل لهم كل صعب فكل صعب عليهم يهون، إن نزع منهم عرق غفلة فنزوعهم إليه شجون^(٨)، وأهل الشقاء شق عليهم عمل الطاعة فهم عنه معرضون، شُغِلُوا بالشهوات فأعمارهم فيها يجمعون، ناموا عن المقصود وما أيقظهم إلا صائح المنون، أذهلتهم^(٩) الأهوال ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(١٠)، كم نشر عليهم^(١١) من ديوان عبر لكنهم^(١٢) لا يقرأون، كم ناداهم منادي الجديدين أتقيمون^(١٣) أما ترحلون، أنتم على قنطرة العبور فكيف عليها تعمرون^(١٤)، هذه كف المنون تهدم^(١٥) ما لكم لا تحذرون، في^(١٦) كل يوم تُظَوَّى مرحلة وبالليل أخرى وأنتم لا تعلمون، منزل هذا السفر القبر فالغافل^(١٧) خاسر مغبون، يقطع^(١٨) أيام دنياه في

(١) في (م) و(ع): «الموجود». (٢) في (م) و(ع): «أعاليها».

(٣) في الأصل: «الديون»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى حديث لرسول الله ﷺ فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض». تقدم الحديث في الخطبة الثانية من الفصل التاسع.

(٤) في (م) و(ع): «ليظهر حكمة الاختلاف». (٥) في (م) و(ع): «نجوم خيول».

(٦) عبارة «ومتى شاء.. إلخ»، في (م) و(ع): «ومتى شاءت سكتهم فأسكتهم».

(٧) في (م) و(ع): «فمعذبون ومنعمون».

(٨) في الأصل: «شجونهم والشجون»، وهي من (م) و(ع).

(٩) في (ع): «أذهلهم».

(١٠) قوله: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الزمر، آية ٤٧.

(١١) في (م) و(ع): «لهم». (١٢) في (م) و(ع): «ولكنهم».

(١٣) في (م) و(ع): «أقيمون». (١٤) في (م) و(ع): «تعبرون».

(١٥) في (م) و(ع): «تهدمها». (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «فيا للغافل».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

الغفلة ويوم قبره في الحسرة ويوم قيامه^(١) في العذاب الهون^(٢)، تتوالى عليهم أنواع العذاب بالتأسف والحزن واخيبة^(٣) الظنون، إن أستغاثوا أغيثوا بجزاء ما كانوا يعملون، سَدَّتْ شهوات بطونهم فُرج^(٤) الفُرج فكم قَرَّحت دموعهم من جفون، كم جرت منها عيون حسرات كأنها عيون، غلبت عليهم^(٥) «غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا»^(٦) [١٧٠ب] فما زلنا من الطرد في شجون^(٧)، فهل لنا من عودة عسى يثمر عود عسى فيكون كالغصون، هيهات ما أحسنه من ثمر لو أنه يكون، سبق الكتاب أن لا رجعة لهم عما عنه يرحلون، هذا مسطور^(٨) القضاء يقرأ عليكم ما^(٩) تسمعون، هذا منادي المشيب ينادي قدموا الزاد فإنكم تقدمون على ما تقدّمون، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَقْلِبُوا نَازِحًا قَوْلُهَا النَّاسُ عَلَيْهَا مُلْكُكُمْ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَصْصُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(١٠).

إخواني لا يغسل دنس الذنوب إلا بماء المدامع، لا ينجو من^(١١) قفار المعصية إلا ذو كبد جائع، و^(١٢) لا يقطع علائق الشهوات إلا بسيف^(١٣) من الصدق قاطع، ولا يفتح^(١٤) الباب إلا لقلب منيب خاضع، واعجبا^(١٥) كم من عاص قُبِلَ وكم رُدُّ من طائع، هذا قرّبه ذلّه وهذا طولب بالحساب فلماذا حاسبه فما هو صانع^(١٦)، أفخر

(١) في (م) و(ع): «قيامته».

(٢) هان هُونًا: بالضم، ذل. الفيروزآبادي، القاموس، «هون»، ص ١٦٠٠.

(٣) عبارة «والحزن واخيبة»، في (م) و(ع): «والتحزن وخيبة».

(٤) في (م) و(ع): «وفرّج».

(٥) عبارة «غلبت عليهم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) قوله: «غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا» اقتباس من قوله تعالى من سورة المؤمنون، آية ١٠٦.

(٧) في (م) و(ع): «سجون».

(٨) في الأصل: «مكسور»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «أما».

(١٠) سورة التحريم، آية ٦.

(١١) في (م) و(ع): «في».

(١٢) في (م) و(ع): «سيف».

(١٣) في (م) و(ع): «واعجبا».

(١٤) في (م) و(ع): «ما يفتح».

(١٥) في (م) و(ع): «إذ حسابه ضائع».

(١٦) عبارة «فلماذا حاسبه.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقوله هذا إشارة إلى أنه لا يكفي العمل

الظاهر للنجاة في الآخرة، بل لا بد من الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه؛ رجل استشهد فأُتي به فعرفه نَعَمَه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلّم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرفه نَعَمَه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نَعَمَه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت =

ملابس^(١) الثائب ذل ظاهر وطرف داعم، آتخذ الدجى مطية ونور التلاوة بين يديه ساطع، لازم
 هجود المجتهدين^(٢) حتى طلعت من ثنيات الفجر طوالع، أناخ راحلة القيام وأستند إلى رحل^(٣)
 الاستغفار وأمله في منزل الفجر طامع، فعند بلوغ^(٤) منزل الفجر قدّم الخضوع لديه^(٥) شافع،
 عرف ما طلب فهان عيله ما ترك وقطع عنه^(٦) كل قاطع، معشر التائبين أحضروا قلوبكم ساعة
 [١٧١] وأفتحوا سد^(٧) المسامع، لا يبيع النفس النفيس بالثمن الخسيس من هو في الربح طامع،
 كل يوم تطوي مرحلة وتملا الدستور^(٨) وعند الحساب تبدو الفجائع، واخجلتك إذا نشر ما طويت
 تود أنك^(٩) إلى العمل راجع، مثل لنفسك هذه المثلة وبادر التوبة وراجع، زاحم التوابين عسى
 يثبت^(١٠) أسمك في الدستور وسارع، يا عليل الخطايا تريق^(١١) التوبة مجرب نافع، رافق رفاق
 السالكين ونازع المنازع، نسيم نجد ونفحات حاجر لا توقظك قل لي ما أنت صانع، غزلان
 الحمى لا تشوقك ونبات^(١٢) سلع لا تشوقك^(١٣) فأنت من الحرمان بين خافض ورافع، عشية^(١٤)
 النقى لا تؤنسك وظل الأراك لا يطريك فأطلال قلبك خراب بلاقع، فديت المحبين فديت الفقراء
 فديت من^(١٥) هو سامع، ما أعذب ساعة^(١٦) العذيب لكل خليل^(١٧) للعدار خالع، لله^(١٨) أحاديث
 بكاظمة أستودعتها من لا تخيب لديه^(١٩) الودائع، لله وجد بالنقى وعيش بالمنحنى أتراني أراه بعد
 الذهاب راجع، لله لوعتي بوادي العقيق ودموعي كالعقيق^(٢٠) تسارع، وأسفي على الماضي من
 أيام سلع واوحشتي للمضارع، كم بمنعرج اللوى من أسير غرام وماء العذيب لا يسقي^(٢١) غلة

= فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى
 في النار. الإمام مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم
 الحديث (١٩٠٥/١٥٢)، ١٥١٣/٣.

(١) في (م) و(ع): «لباس».

(٢) في (م) و(ع): «زجل».

(٣) في (م) و(ع): «إليه».

(٤) في (م) و(ع): «سدد».

(٥) في (م) و(ع): «بما أنت صانع، ملأت ويحك الدستور».

(٦) في (م) و(ع): «لو أنك».

(٧) عبارة «التوابين.. إلخ»، في (م) و(ع): «التائبين ليثبت».

(٨) في (م) و(ع): «درياق»، وفي (ع): «بادر باب».

(٩) في (م) و(ع): «توقك».

(١٠) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «خليع».

(١٢) في الأصل: «له»، وهي من (م) و(ع).

(١٣) عبارة «ودموعي كالعقيق» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «يشفي». والمعنى: أن ماء التوبة لا تغسل ذنوب العاصين الذين أرتووا من الحرام،

فالتوبة لا تنفع بعد الإفلاس والشيخوخة؛ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا =

الناقع، أين بهلول^(١) المحب أين سمنون^(٢) العاشق أين من لوعه^(٣) بالمحبوب والنع، حديثي معك^(٤) يا جنيد معارفي معك^(٥) يا معروف أين تلك البدور الطوالع، [١٧١ب] أين وجدك^(٦) يا شبلي أين سماعك يا حلاج^(٧) أين ورعك يا ابن واسع أين إشارتك^(٨) يا بسطامي أين زهدك يا ابن أدهم آه على فقد مثلكم تدمى الخدود وتجري المدامع^(٩)، زدني من حديثك يا سعد ومثني بترجييعكم لعل المنى للمتمني نافع^(١٠)، ما أوحش الربع بعد السكان ما أفجعها من فجائع، معشر التائبين طاب السماع فأين السامع، بادروا ساعة^(١١) الوصال فما تدرون بعدها ما يكون، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُوا نَارًا وَقَدْهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

إبراهيم بن بشار^(١٢) رحمه الله تعالى قال^(١٣): «كنت يوماً ماراً مع إبراهيم بن أدهم رحمه الله^(١٤)»

= حَمَرَ أَعْدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ الْكَفَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَقَارٍ أُوتِلَتْكَ أَعْدَتَا هُمَ عَذَابًا أَلِيًّا [النساء: ١٨].

(١) هو بهلول بن عمرو، أبو وهيب، من أهل الكوفة، استقدمه الرشيد لسمع كلامه، توفي سنة ١٩٠هـ - ٨٠٦م. ابن الجوزي، الصفة، ٥١٦/٢. ابن شاعر الكتيبي، فوات الوفيات، ٢٢٨/١. الزركلي، الأعلام، ٧٧/٢.

(٢) هو سمنون بن حمزة، ويقال سَمْنُون بن عبد الله، أبو الحسن الخواص، ويقال كنيته أبو القاسم، كان يتكلم في المحبة بأحسن كلام، وهو من كبار مشايخ العراق، توفي قبل الجنيد. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ١٩٥. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥٦٠/١٣.

(٣) في (م) و(ع): «ولوعه». (٤) في (م) و(ع): «لك».

(٥) عبارة «معارفي معك»، في (م) و(ع): «كلامي لك».

(٦) في الأصل: «وجدني»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) في (م): «سري». والحلاج هو الحسين بن منصور، وكنيته أبو مغيث، وهو فارسي الأصل، نشأ بواسط، اختلف المشايخ في أمره، فردّه أكثرهم ونَفَوْه وأبوا أن يكون له قدم في التصوف، وقبله بعضهم وجعلوه أحد المحققين، توفي سنة ٣٠٩هـ - ٩٢١م. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٣٠٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٢٥٣/٢.

(٨) في (م) و(ع): «إشارتك».

(٩) عبارة «آه... إلخ»، في (م) و(ع): «على فقد مثلهم يجري قدامي المدامع».

(١٠) عبارة «زدني... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «ساعات».

(١٢) في الأصل: «إبراهيم بن يسار»، والتصويب من (م) و(ع). وإبراهيم هو إبراهيم بن بشار بن محمد، أبو إسحاق المعقلي مولاهم الخراساني الصوفي، صاحب إبراهيم بن أدهم، روى عنه وجمع أخباره، قدم بغداد وحدث بها، ذكره ابن حبان في الثقات وعمر دهرأ، مات في حدود الأربعين ومائتين. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٧/٦. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١١/١.

(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٥٦/٤، وفي المنتظم، ١٥١/٨.

(١٤) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).

في صحراء إذ^(١) أتينا على قبر فترحم عليه وبكى، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا قبر حُميد الطويل بن جابر^(٢) أمير هذه المدن^(٣)، كان غريقاً في بحر^(٤) الدنيا ثم أخرجه الله ﷻ^(٥) منها فأستنقذه، و^(٦)لقد بلغني أنه سرَّ ذات يوم بشيء من ماله^(٧): ملكه ودنياه وغروره وفتنته، ثم^(٨) نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله. قال: فرأى رجلاً واقفاً على سريره بيده كتاب، فنأوله إياه^(٩) ففتح فيه^(١٠) بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانياً على باق، ولا تغتر بسلطانك وعبيدك وخدمك وإمائك^(١١)، فإن الذي أنت فيه لجسيم^(١٢) لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أنه هالك^(١٣)، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان [١٧٢] يوثق له^(١٤) بعد، فسارع إلى أمر الله ﷻ^(١٥) فإن الله تعالى يقول^(١٦) في كتابه^(١٧): ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٨). قال: فأنتبه فازعاً^(١٩) وقال: هذا تنبيه من الله ﷻ^(٢٠) وموعظة، فخرج من ملكه لا يعلم به، وقعد في هذا الجبل يتعبد فيه^(٢١)، فلما بلغتني قصته وحُدثت بأمره قصدته وسألته فحدثني ببده أمره وحديثه^(٢٢)، وحدثته ببده أمري، فما زلت أزوره^(٢٣) حتى مات ودفن هاهنا، فهذا قبره رحمة الله^(٢٤) عليه. شعر^(٢٥):

دمع تَدَفَّقَ قبل البين فأندفعاً وما أفاد وما أجدى وما نفعا

- (١) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢) في (م) و(ع): «حميد بن جابر». وحميد بن جابر الشامي الأمير، ذكره ابن الجوزي فيمن توفي سنة ١٥١هـ - ٧٦٧م. ابن الجوزي، المنتظم، ٨/ ١٥١. ابن قدامة المقدسي، كتاب التوابين، ص ١٥٣.
- (٣) في (م) و(ع) زيادة: «كلها».
- (٤) في (م) و(ع): «بحار».
- (٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «ملاهي».
- (٨) في (م) و(ع): «قال ثم».
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) عبارة «ولا تغتر.. إلخ»، في (م) و(ع): «ولا تغترن بملكك وسلطانك وخدمك وعبيدك وأعوانك»، إلا أنه في (ع): «بملكك وقد زال»، وإمائك بدل «أعوانك».
- (١١) في (م) و(ع): «جسيم».
- (١٢) عبارة «أنه هالك»، في (م): «أن بعده هلك»، وفي (ع): «أنه هلك».
- (١٣) في (م): «فيه».
- (١٤) في (ع): «قال».
- (١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «في كتابه» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «جزعاً».
- (١٨) سورة آل عمران، آية ١٣٣.
- (١٩) في (م) و(ع): «تعالى».
- (٢٠) عبارة «لا يعلم.. إلخ»، في (م) و(ع): «وقصد هذا الجبل فتعبد فيه».
- (٢١) عبارة «وسألته.. إلخ»، في (م) و(ع): «فسألته ببده أمره».
- (٢٢) في (م) و(ع): «أقصده».
- (٢٣) في (م) و(ع): «فما».
- (٢٤) في (م) و(ع): «فما».
- (٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

وَمُهْجَةً فِي يَدِ الْأَسْقَامِ تَنْهَبُهَا
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ أَشْوَاقاً مَبْرَحَةً
أَحْبَابِ قَلْبِي وَإِنْ طَالَ الْمَدَى فَمُدَى^(٣)
كَمْ عَاذَلْتُ فِيكُمْ قَلْبِي لِيَزِدَّعَهُ
وَكَمْ أَهَنْتُمْ فُؤَادِي فِي مُحَبَّتِكُمْ
وَكَمْ قَطَعْتُمْ حِبَالَ الْوَضَلِ مِنْ أَمْلِي
سَرَى سُرَاكُم لِيَسْقِي الْقَلْبَ كَاسَ هَوَى
لُسِغْتُ مِنْ بَغْدِكُمْ وَجِداً بِبُغْدِكُمْ
مَلَأْتُ الْقَلْبَ وَجِداً وَالْفُؤَادَ جَوَى
وَاهِياً لِدَهْرِ مَضَى لِي كُلَّهُ جَمَعَ
أَيْنَ الزَّمَانِ الَّذِي قَدْ مَرَّ لِي بِكُمْ
أَيَّامَ كُنْتُ بِكُمْ فِي كَرْزٍ وَصَلَكُمْ
إِذَا تَعَثَّرْتُ فِي ذَيْلِ الصَّبَا مَرَحاً
وَالْيَوْمَ مَذَبَعُتْ عَنِّي دِيَارَكُمْ
أَسْتَخْبِرُ الشَّمْسَ عَنْكُمْ كُلَّمَا طَلَعَتْ
لَوْ مُنَّ يَوْماً عَلَى قَلْبِي بِرُؤَيْتِكُمْ
طَمِعْتُ فِي طَيْفِكُمْ يَغْشَى بِرُؤَيْتِكُمْ^(١١)
أَبَيْتُ وَالشُّوقَ يَطْوِينِي وَيَنْشُرُنِي

قَدْ جَرَّعَتْهَا النَّوَى مِنْ كَاسِهَا جُرْعاً^(١)
لَوْ أَنَّهَا فَوْقَ صَخْرٍ^(٢) خَرَّ وَأَنْصَدَعَا
فِرَاقِكُمْ قَطَّعَتْنِي بِعَدِكُمْ قِطْعَا
عَنِ الْوَفَاءِ فَمَا أَلَوَى^(٤) وَمَا سَمِعَا
فَمَا اسْتَقَالَ وَلَا اسْتَعْفَى^(٥) وَلَا أَرْتَدَعَا
وَحَبْلَ وَدِّيَ^(٦) صَحِيحَ الْوَصْلِ مَا أَنْقَطَعَا
لِغَيْرِكُمْ وَسَعَى جُهْداً^(٧) فَمَا وَسِعَا
وَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ فِي حَبِّكُمْ لُسِعَا
وَالْعَيْنُ دَمْعاً وَأَثْنَاءَ الْحَشَى جَزَعاً^(٨)
وَاحْسِرْتَاهُ عَلَيْهِ كَيْفَ قَدْ جُمِعَا
كَأَنَّهُ حُلْمٌ حُلْمِي بِهِ خُدْعَا [١٧٢ب]
لَا أَخْتَشِي مِنْ هَجِيرِ الْهَجْرَانِ أَنْ يَقْعَا
وِبِالْهَوَى مَوْلِعاً^(٩) قَالَ الشَّبَابُ لَعَا
فَمَا^(١٠) أَرَادَ الْجَوَى وَالْوَجْدُ بِي صَنَعَا
وَأَسْأَلَ الْبَرْقَ عَنْكُمْ كُلَّمَا لَمَعَا
لَحَلَّهْ مِنْ وَثَاقِ الشُّوقِ وَأَضْطَنَعَا
وَمَا أَرَى لِحَفُونِي فِي الْكَرَى طَمَعَا
فِي رَاحَتَيْهِ وَلَا أَشْكُو لَهُ وَجْعاً^(١٢)

[بحر البسيط]

(١) في (م) و(ع) زيادة:

«وَقَلْبٌ صَبٌّ لَصَبْرٍ غَيْرِ مَنْقَلَبٍ وَكَلِمَا رَاغَهُ بَيْنَ وَفَى وَرَعَى»

(٢) في (م) و(ع): «رَضَوَى».

(٣) الْمُذْيَةُ: الشَّفْرَةُ، وَالْجَمْعُ مُذَى. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «مُدَى»، ٢٧٣/١٥.

(٤) يَقَالُ مَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ أَيْ لَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَعْطِفُ عَلَيْهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «لَوَى»، ٢٦٤/١٥.

(٥) فِي الْأَصْلِ وَ(م) وَ(ع): «أَسْتَوْفَى»، وَهِيَ مِنْ (ب).

(٦) فِي (م): «وَصَلِي».

(٧) فِي (م) وَ(ع): «جُرْعَا».

(٨) فِي (م) وَ(ع): «مَهْمَا».

(٩) فِي (م) وَ(ع): «بِرُؤَيْتِهِ». وَالْمَعْنَى: يَغْشَى عَيْنِي بِرُؤَيْتِكُمْ.

(١٢) فِي (م) وَ(ع): «الْوَجْعَا».

إلهي قسا قلبي وجمدت عيني^(١) وتحيرت في أمري، إلهي^(٢) أنا التائه في تيه الشقاء وأدُل عمري، إلهي تفرقت همّتي يوم مجعني^(٣) وقد عيل صبري^(٤)، إلهي الشيب والحرمان ورواحل العمر تسري، أرى قلبي في^(٥) غير جنس القلوب أراه من خوفك أقسى من الصخر^(٦)، كم أوقد عليه نار الموعظة عساه^(٧) يعود لئناً وما أراه^(٨) فيه تسري، أستوى ليلي ونهاري في الغفلة فمن تُرى من هذا المرض يبيري، إلهي كل الأطباء يدلوني عليك فإن لم تداوني فمن يجبر كسري، يا تائهاً في ظلمة ظلّمه^(٩) متى تعود من سفرة الهجر، أطلب ويحك رفقة التائبين ومع رفاقهم فأسر، عساك ترشد للطريق من حيث لا تدري، من قاد زمام قلبه^(١٠) بالغفلة أوقعه في منزل قفر^(١١)، لله طيب عيش ندامى الدجى بين تهجد وذكر، همهم منظومة ودموعهم منثورة فأهلاً به^(١٢) من نظم ومن^(١٣) نشر، أستعذبوا شراب [١٧٣] المحبة على مزامير من التلاوة زهر^(١٤)، إن سكرُوا بالأشواق تداووا بالاحتراق كما يداوى^(١٥) شارب الخمر بالخمر^(١٦)، الأشواق^(١٧) أقداحهم والمحبة شرابهم ومحبوبهم معهم في السر والجهر، أشتملوا على محبوبهم كاشتغال أخي صدق^(١٨) على سرّ، بذلوا في ساعة من أنسه نفوسهم وفيهم^(١٩) نشوة من السكر، جذبتهم الأطماع^(٢٠) إليه وهي شاردة وخلصوها من الأسر^(٢١)، ربوعهم القفار وهم^(٢٢) من الأحوال في لجج البحر، فلما أنست قلوبهم به تعالى^(٢٣) سارعت إليه فكانت

(١) في (م) و(ع): «عيناى».

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) رجل جميع: مجتمع الخلق قوي لم يهرم ولم يضعف، وجمعت المرأة الشيا ب يقال ذلك للجارية إذا شئت. ابن منظور، اللسان، «جمع»، ٥٤/٨، ٥٥. والمعنى: تفرقت همّتي يوم شبابي فلم أسع لآخرتي بل بهرتني الدنيا بزخارفها الزائفة.

(٤) عبارة «إلهي تفرقت.. إلخ»، في (م) و(ع): «إلهي كم أحاول القرب والحال ما حال وقد ضاق صدري»، إلا أنه في (ع): «إلهي كم أحاول القرب والبعد..».

(٥) في (م): «من».

(٦) عبارة «أراه من خوفك.. إلخ»، في (م) و(ع): «أراه من صخر».

(٧) في (م) و(ع): «عسى».

(٨) في (م) و(ع): «أراها».

(٩) في (م) و(ع): «الغفلة».

(١٠) في (م) و(ع): «نفسه».

(١١) في (م) و(ع): «في المنزل القفر».

(١٢) في (م) و(ع): «الغفلة».

(١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «وزهر». والزّهرة: نؤر كل نبات، والجَمْع زُهر، وزهرة الدنيا: حسننها وبهجتها وغضارتها. ابن منظور، اللسان، «زهر»، ٣٣١/٤، ٣٣٢.

(١٥) في (م) و(ع): «يتداوى».

(١٦) في (م) و(ع): «صدر».

(١٧) في (م) و(ع): «الأكوان».

(١٨) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٩) في الأصل: «بالأسر»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٠) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢١) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٢) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢٣) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع).

ليلتها^(١) أعظم من ليلة القدر، صاحبا دُنْ دُنْ^(٢) ونجم الدجى يسري، لا يستمعون^(٣) لعذل العاذل من زيد ولا عمرو، هذا شراب الأحباب فديت من شري^(٤) ومن يشري، ذاقه ابن أدهم فبذل فيه ملكه على وَفْر^(٥)، تنادم في حانة^(٦) شربه الجنيد والفضيل والبسطامي والسري، وخلع فيه العذار معروف وخبر معروف^(٧) عند من يدري، وكم للحلاج من سكرة في دمه وما في خلع عذاره من عُذْر^(٨)، كم طاب فيه^(٩) من الفقراء فعابنوا الغنى في الفقر، رقصوا على أرض الزهد وصدّقوا خبر الوجد بالخبر، هذه أحوالهم والمحروم يسعى من^(١٠) صد إلى هجر، خانه الأمل في مطلوبه فليس له راحة في طي ولا نشر، معشر المذنبين^(١١) هذا^(١٢) ماتم^(١٣) الأحزان فدع دموعك على مصابك^(١٤) تجري، إن فاتك هذا المجلس ولم تتب فستبكي بعده بمدامع جمر^(١٥)، فبالله إخواني أسمعوا مقالة ناصح أعلمكم بما يكون، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا [١٧٣] قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُوا نَارًا وَقُوْهُمَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

بشر بن الحارث رحمه الله تعالى قال^(١٦): أستقبلني رجل في طريق الشام وعليه عباءة و^(١٧) قد عقدها مستوفراً^(١٨) كأنه وحشي، فقلت^(١٩): رحمك الله من أين جئت؟ قال: جئت من عنده. قلت: أين^(٢٠) تذهب؟ قال: إليه. قلت له: فقيم^(٢١) النجاة رحمك الله تعالى^(٢٢)؟

(١) في (م) و(ع): «ليلتها به».

(٣) في (م) و(ع): «يسمعون».

(٥) الوفّر: الغنى، والوفّر من المال والمتاع: الكثير الواسع. الفيروزآبادي، القاموس، «وفّر»، ص ٦٣٤.

وقوله هذا إشارة إلى ما كان عليه ابن أدهم، قال عبد الرحمن السلمي: كان من أبناء الملوك والياسير، خرج متصيداً، فهتف به هاتف، أيقظته من غفلته، فترك طريقته في التزّين بالدنيا، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع. ودخل الشام، فكان يعمل فيه ويأكل من عمل يده. أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، ص ٢٧.

(٦) في الأصل: «حالة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «وكم للحلاج.. إلخ» ساقطة في (م).

(١٠) في (م) و(ع): «ما بين».

(١٢) في (ع): «هذه».

(١٤) في (م) و(ع): «على ما أصابك».

(١٦) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٥٧/٤.

(١٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٨) استوفّر في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن، أو استقل على رجليه، ولمّا يستو قائماً وقد تهيأ للوثوب.

الفيروزآبادي، القاموس، «وفّر»، ص ٦٧٩، ٦٨٠.

(١٩) في (م) و(ع): «فقلت له».

(٢١) في (م) و(ع): «فقيم».

(٢٢) في (م) و(ع): «قلت وإلى أين».

(٢٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

قال: في التقوى^(١) والمراقبة لمن أنت له مُتَّبِع. قلت: فأوصني. قال: لا أراك تفعل^(٢). قلت: أرجو أن أفعل^(٣) إن شاء الله تعالى^(٤). قال: فرّ منهم ولا تأنس بهم، وأستوحش من الدنيا فإنها تعرضك للعطب، ثم قال: من عرف الدنيا لم يطمئن إليها، ومن أبصر داءها^(٥) أعد لها دواءها، ومن عرف الآخرة ألحّ في طلبها، ومن توهّمها أشتاقت إلى ما فيها فهان عليه العمل، ثم قال: لو^(٦) توهمت من ملكها وزخرفها، وقال^(٧) لها كوني فكانت، وتزيني فتزينت، فالشوق إلى مالِكها أولى بقلوب المشتاقين، وأطيب بعيش المستأنسين^(٨)، ثم قال: قد أنسوا بربهم فعاملوه بالوفاء والتسليم^(٩)، صافوه بالعقول، ودققوا له الفطن، فسقاهم من كأس حبه شربة فظّلوا في عطشهم أروياء وفي رِيّهم عطشى^(١٠). ثم قال: يا هذا أتفهم ما أقول لك^(١١)؟ وإلا فلا تمنعني^(١٢). قلت: يرحمك^(١٣) الله إني أفهم جميع ما تقول^(١٤). فقال^(١٥): الحمد لله الذي فهِمك؛ ورأيت^(١٦) في وجهه السرور. ثم قال: خذ إليك^(١٧). قلت: نعم. قال: هم^(١٨) [١٧٤] الذين لا يملّون كاساته^(١٩) من تحفه؛ فالحكمة إلى قلوبهم سائلة متواصلة لأنهم الأكياس الذين لم تندسهم^(٢٠) المطامع، ولم تقطعهم عن الله ﷻ^(٢١) القواطع، ليوث في تعبدهم^(٢٢)، أغنياء في توكلهم، أقوياء في تغلبهم، قد قطعتهم الخشية، ولهتهم^(٢٣) العِبرة^(٢٤)، نعيمهم اليقين وروحهم السكون، ألين الخلق عريكة، وأشدّهم^(٢٥) حياءً، وأشرفهم مطلباً، لا يركنون إلى الدنيا جزءاً، ولا يتناولون ولا يتماوتون، فهم صفوة الله ﷻ^(٢٦) من خلقه، وخلاصة

- (١) عبارة «في التقوى»، في (م): «بالتقوى».
- (٢) في (م) و(ع): «أقبل».
- (٣) في (م) و(ع): «أقبل».
- (٤) في (م) و(ع): «أقبل».
- (٥) في (ع): «ضررها».
- (٦) في (م) و(ع): «ومن قال».
- (٧) عبارة «فعاملوه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فالأمر فيما بينهم وبينه سليم».
- (٨) في (م) و(ع): «عطاشاً».
- (٩) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٠) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١١) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٢) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٣) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٤) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٥) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٦) في (م) و(ع): «أقبل».
- (١٧) أي اسمع ما ألقى على أذنك من القول، وخذه مني.
- (١٨) عبارة «قلت نعم.. إلخ»، في (م) و(ع): «نعم هم».
- (١٩) عبارة «لا يملّون كاساته»، في الأصل: «لا يملكون كاساً»، وفي (ع): «لا يملكون كاساته»، والتصويب من (م).
- (٢٠) في الأصل: «تندسهم»، وهي من (م) و(ع).
- (٢١) في (م) و(ع): «تغورهم».
- (٢٢) في (م) و(ع): «الغربة».
- (٢٣) في (م) و(ع): «أقبل».
- (٢٤) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٥) في الأصل: «وأشد»، وهي من (م) و(ع).
- (٢٦) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

عباده. ثم قال: إن القلوب الحية من دون^(١) هذا^(٢) لها مَقْنَعٌ، ثم قال^(٣): نفعنا الله وإياك بما علمنا، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. قال بشر: فطلبت^(٤) أن يصحبني، فأبى علي وقال: لست أنساك ولا^(٥) تسني، ثم مضى وتركني. قال بشر: فلقيت^(٦) عيسى بن يونس^(٧) فحدثته بقصته، فقال لي: لقد أنس بك ذلك الرجل الصالح، إنه رجل من خيار الناس يأوي إلى الجبال وإنما يدخل المدينة في كل يوم جمعة^(٨) لصلاة الجمعة، ويبيع في ذلك اليوم حطباً يكفيه من الجمعة إلى الأخرى^(٩)، واعجباً منك^(١٠) كيف كلمك! و^(١١) لقد حفظت منه^(١٢) كلاماً حسناً. شعر^(١٣):

تذكّرني^(١٤) العهد القديم جديدها^(١٥)
هُدَيْتُمْ وعيني أين بات هجودها
فلا تذهلا عما أذاعت بُرودها^(١٦) [١٧٤ب]
وأودعها أشجان قلبي صعيدها
كذي علّة يبغي شفاء يزيدنها
يُقَبَّلُ مغناها ويُلْثَمُ جيدها
وبين ركود النَّفْسِ إلا ركودها
وقود الحَشَى ممّا^(٢١) أَسْتَطَارَ وقودها
مُقيماً إلى أن عاد وَضْلاً صدودها^(٢٤)

خليلِي هل لي في الرِّفَاق رسالة
وقولا فؤادي أين قرَّ قراره
فإن دافعت عما تُكِنُّ صدورها
فتلك مُروِّطٌ باشرَتْ تربة الحِمَى
ألا إنَّ دائي في دوائي ولن أرى^(١٧)
فللّه أشجان إذا ما ذكرتها^(١٨)
رياح^(١٩) صَبَاكُم ليس بين هبوبها
ويسري هواكُم في البروق فإنما^(٢٠)
فحالي^(٢٢) من جَوْر^(٢٣) الأحبة لم يزل

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٣) عبارة «ثم قال» ساقطة في (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «فلا».
(٧) في الأصل: «يحيى بن يونس»، والتصويب من (م) و(ع). وعيسى: هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو عمرو الكوفي، سكن الشام، كان ثقة ثباتاً في الحديث، وكان يسكن الثغر، توفي سنة ١٨٧ هـ - ٨٠٢ م، وقيل سنة ١٩١ هـ - ٨٠٦ م. ابن الجوزي، الصفة، ٤/ ٢٦٠. ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ٨/ ٢٣٧.
(٨) في (م) و(ع): «يأوي في الجبل وإنما يدخل إلى المدينة في كل جمعة».
(٩) في (م) و(ع): «يكفيه إلى الجمعة الأخرى».
(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الرابع عشر.
(١٤) في (م) و(ع): «يذكرني».
(١٦) البيت ساقط في (م) و(ع).
(١٨) في (م) و(ع): «إذا عن ذكرها».
(٢٠) في (م) و(ع): «وإنما».
(٢٢) في (م) و(ع): «فيالي».
(٢٤) في (م) و(ع): «جديدها».
(١٥) في الأصل: «حديثها»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «تري».
(١٩) في (م) و(ع): «تهب».
(٢١) في الأصل: «مما»، والتصويب من (م) و(ع).
(٢٣) في الأصل: «جفون»، والتصويب من (م) و(ع).

وتلك الخيالات^(١) التي كلّمَا أمتطّت
 إلى الدُّجى أمسى قريباً بعيدها
 ألمّت فأدناها الكرى ونأت به
 فيا ليت شعري هل رقادى يزيدا
 ويا طيف لا تركب غروراً فلأنني
 إذا ركبت^(٢) عيني غروراً أذودها^(٣)
 [بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي جعل العجز^(٤) عن معرفته للعارفين دليلاً، لاحت^(٥) لهم شواهد التوحيد فوجدوا^(٦) إليه سبيلاً، أوحى إلى أسرارهم بأن^(٧) الدنيا فانية فأتخذوا الزهد فيها بديلاً، أراح^(٨) أرواحهم من كد الأسباب كان لهم فيما قسم كفيلاً، صفّاهم وأصطفاهم فليس ترون لهم عنه عدولاً، خلصهم^(٩) من كد الشهوات وكان حملها ثقيلاً، بذر في رياض قلوبهم حبّ الحب فأمسى محبه ذا كلف به مشغولاً، أضناهم طول الإقامة في الدنيا وكساهم شجوناً^(١٠) ونحولاً، نهارهم بالصيام وليلهم بالتهجد^(١١) ليلاً طويلاً، استقبلوا بقلوبهم قبلة المحبة وقبّلوها تقبيلاً، كم لهم من تلحين بذكره تعالى^(١٢) وجفنّاً بالشهاد كليلاً، [١٧٥] عانقوا المعالي بالأشواق معانقة الخليل خليلاً، رياض رياضهم^(١٣) عاطر بالمعرفة^(١٤) يتمنى العاشق فيه مقيلاً، تتضوّع أنفاسهم^(١٥) بطيب استغفارهم فتُخَيّ صَبّاً كنيّاً عليلاً، لهم بذكر الحبيب حنين وتلحين كأنما سقوا شُمُولاً^(١٦)، وافرحتهم يوم اللقاء وقد^(١٧) بعث الرضى إليهم رسولاً، وبقي المحروم في تيه^(١٨) الحرمان ذليلاً، كلما عَقَدَ عقد الوفاء خانه المقدّر^(١٩)

(١) عبارة «وتلك الخيالات»، في (م) و(ع): «وبالخيالات»، وهو تصحيف.

(٢) في (م) و(ع): «وردت».

(٣) في (م) و(ع): «أرودها».

(٤) في الأصل: «المجر»، والتصويب من (م) و(ع). والمَجْر: العقل. الفيروزآبادي، القاموس، «مجر»، ص ٦٠٨.

(٥) في (م) و(ع): «الاح».

(٦) في (م) و(ع): «أن».

(٧) في الأصل: «أرواح»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «من كد الأسباب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «شحبوا».

(١٠) في (م) و(ع): «بالقيام».

(١١) في (م) و(ع): «رياضتهم».

(١٢) في (م) و(ع): «أنفاس».

(١٣) الشُّمُول: الخمر لأنها تشمل بريحتها الناس، وقيل: هي الباردة. ابن منظور، اللسان، «شمّل»، ٣٦٩/١١.

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «زيادة: الشقاء يندب ربوعاً وطلولاً، شغل بشهواته سيحزن والله دهرأ طويلاً، ألهاه هواه عن نيل المقصود فبقي في تيه».

(١٦) في (م) و(ع): «القضاء».

فوجده^(١) محلولاً، تتجدد أحزانه على حرمانه^(٢) بكرة وأصيلًا، إن طلب الآخرة قُيد وإن طلب الدنيا كان إليها عجولاً، ما يصنع المسكين وكلما نهض وجد وجوده مقيداً مكبولاً، لا حيلة في حل ما عقده القدر ومن أراد حل مشكلة أصبح مشكولاً، سلّم تسلم عساك بالإسلام^(٣) تدرك سؤلاً، ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٤).

يا من عليه توكلي ومعتمدي، تحيرت يا سيدي خذ بيدي، سار ركب التائبين وبقيت وحدي، تخلفت^(٥) في منقطع الغفلة فمن يساعدي ويجدي^(٦)، أقعدني الحرمان عن رفاق الصالحين وها أنا أموت بوجددي، شوقي إلى الدنيا مُتهم وركب مناي ركب منجد^(٧)، جسم حي وقلب ميت وما عسى حياة البدن تجدي، واعجباً^(٨) من بدن لين وقلب^(٩) قاس [١٧٥ب] كم له في المتاب^(١٠) من تردد، ما أطيب حال السالك نهاره في الحزن^(١١) وليله يبكي^(١٢) بجفن قريح مسهد، أحزانه أحزانه ووقوفه لوداع الأنفاس وقفة متردد، ويلاه كم يحملك^(١٣) الملك على التوبة لعل ما فاتك اليوم تدركه^(١٤) في غد، والشيطان يحثك على الشهوة فكيف به تقتدي، ضيعت أيام الشباب في الغفلة وأنت كالغصن المتأوّد^(١٥)، هذا صبح^(١٦) المشيب لاح في أفق الشعر الأسود، ينذك بالرحلة متى^(١٧) تجيب وتهتدي، لو كان لقلبك حس ما أستحلى المعاصي وداؤها يعتدي، الموعظة تحثك على الهدى والتسويق على الضلال فكم تفضل ولا^(١٨) تهتدي، ما نال القوم راحة إلا بهمّ مفعج وأوه وتنكيد^(١٩)، كم لها في أرض الدجى من^(٢٠) تعقر جبهة ودمع على الخدود متبدد^(٢١)، قدح الوجد زناد الشوق في مجامر قلوبهم فألتهبت^(٢٢) نار الشوق

-
- (١) في (ع): «فوجده».
- (٢) في (م) و(ع): «بالاستسلام». والإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام هو المستسلم لأمر الله. ابن منظور، اللسان، «سلم»، ٢٩٣/١٢.
- (٣) سورة الإسراء، آية ٣٦.
- (٤) في (م) و(ع): «فمن يساعدي ويجدي»، في (م) و(ع): «فمن يسعدني ومن يجدي».
- (٥) المعنى: أنني مذبذب بين نفسي الأمانة بالسوء، ومناي وهو أن أسير سير الصالحين المخلصين.
- (٦) في (م) و(ع): «واعجابه».
- (٧) في (م) و(ع): «الحساب».
- (٨) في (م) و(ع): «ويحملك».
- (٩) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٠) في (م) و(ع): «يترك».
- (١١) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٢) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٣) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٤) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٥) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٦) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٧) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٨) في (م) و(ع): «يترك».
- (١٩) في (م) و(ع): «يترك».
- (٢٠) في (م) و(ع): «يترك».
- (٢١) في (م) و(ع): «يترك».
- (٢٢) في (م) و(ع): «يترك».

في الأحشاء والكبد، لا صبر لهم دون محبوبهم ولا في قلوبهم^(١) موضع تجلد، لازموا^(٢) الوقوف على الربوع فإذا^(٣) هم بمرأى من المحبوب ومشهد، أختبر تابوت قلوبهم بنار الشوق فأزادوا نوراً في كل مشهد، ما برحوا تحت منظره الأشواق تروح أرواحهم إليه وتغندي، تجلى لهم محبوبهم فهاموا^(٤) [١٧٦] في كل واد وعلى ظهر فرقد^(٥)، رأوه عياناً في كل حالة ببصيرة كحلت من العناية بإثمد^(٦)، شاهده و^(٧) لكل به مشاهدة عبد لسيد، سمعوا خطابه في الصامت^(٨) والناطق فهم بين مقتد ومهتدي، كم أبدى لهم من نعوت جماله تعالى^(٩) فهم من مجد لسؤدد، خلص قلوبهم من دنس الدنيا فهان عليهم كل مشدد^(١٠)، والمحروم في تيه الحرمان خلفته الغفلة عن المقصود^(١١)، يا طول أحزانه وما تنفع^(١٢) الأحزان لمحروم غير مؤيد، متى أراك تستقي ماء التوبة فتشفي غلة القلب^(١٣) الصدي، يا مهجوراً كيف طاب لك العيش كأن قلبك من جلمد^(١٤)، قدم دموع الأسف وحسرات الندم وقل سيدي هذا الذي ملكت يدي^(١٥)، لازم الباب وإن طردت وقل هذا موضع وردي وموردي، هب أنه^(١٦) أبعدك فإلى من تلتجي وأنت في ضيق^(١٧) من العيش أنكد، لا تبرح وإن جفوك فعسى عطفة من غير موعد، تعرض لنفحات الرضى عساك تحظى بجمع شمل مبدد، إن فاتك هذا المجلس ولم تتب فمتى أراك بعد تسعد، لا ترافق رفيق التسويف فما^(١٨) تبلغ به سؤالا^(١٩)، ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

- (١) في (م) و(ع): «قواهم».
- (٢) في (م) و(ع) زيادة: «الباب حتى فتح لهم وكم لهم على عباته من تردد، أداموا».
- (٣) في (م) و(ع): «وإذا».
- (٤) عبارة «محبوبهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «محبوبهم في قلوبهم فهاموا به».
- (٥) في (م) و(ع): «فدغدغ».
- (٦) الإثمد: حجر يتخذ منه الكحل، وقيل: ضرب من الكحل، وقيل: هو نفس الكحل. ابن منظور، اللسان، «ثمد»، ١٠٥/٣.
- (٧) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٨) عبارة «في الصامت»، في (م) و(ع): «بالصامت». والصامت: هو الجماد الذي يدل روعة منظره، وتناسق نظامه على عظيم الخالق، والناطق: هو الإنسان.
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) في (م) و(ع): «تشدد».
- (١١) في (م) و(ع): «المقصد».
- (١٢) في (م) و(ع): «يففع».
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) الجلمد والجلمود: الصخر. ابن منظور، اللسان، «جلمد»، ١٢٩/٣.
- (١٥) عبارة «قدم دموع.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) في (م) و(ع): «ضنك». والضنك: الضيق في كل شيء. الفيروزآبادي، القاموس، «ضنك»، ص ١٢٢٣.
- (١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٩) في (م) و(ع): «سؤالا».

قال^(١) سري رحمه الله تعالى: «بينما أنا أسير^(٢) في بلاد الشام فملنا^(٣) عن^(٤) الطريق إلى^(٥) ناحية جبل، فرأينا^(٦) عليه عابداً، فقال رجل من القوم: [١٧٦ب] إنا قد ملنا عن^(٧) الطريق، وهاهنا عابد^(٨) فميلوا بنا إلى هذا الرجل لنسأله فلعل الله ﷻ^(٩) يوفقه يكلمنا، فملنا إليه فوجدناه يبكي، قال سري: فقلت^(١٠) له: ما أبكاك أيها العابد^(١١)؟ فقال: ومالي^(١٢) لا أبكي وقد توعدت الطريق، وقلّ السالكون فيها، وهُجرت الأعمال، وقلّ الراغبون فيها، وقل الحق، ودُرس هذا الأمر فلا أراه إلا في لسان كل بطال، ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال، قد^(١٣) أفترش الرخص^(١٤)، وتمهّد التأويل، وأعتمل^(١٥) بزلل العاصين، ثم صاح صيحة وقال: كيف سكنت قلوبهم إلى روح^(١٦) الدنيا وأنقطعت عن^(١٧) روح ملكوت السماء، ثم جعل يقول: واغماء! فتنت^(١٨) العلماء، واحيرتاه^(١٩) من حيرة الأدلاء. وجال جولة ثم^(٢٠) قال: أين الأبرار من العلماء؟ أين الأخيار من الزهاد؟ ثم بكى وقال: شغلكم^(٢١) والله ذكر طول الموقف^(٢٢)، وهمّ^(٢٣) الجواب عن الجنة والنار^(٢٤)، ثم قال^(٢٥): أنا أعوذ بالله من شهوة الكلام، ثم قال^(٢٦): تنحوا عني. فخليناه^(٢٧) يبكي وقد ملنا منه خوفاً^(٢٨) ورعباً. شعر^(٢٩):

(١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٥٩/٤. (٢) في (م) و(ع): «بينما نحن نسير».

(٣) في (م) و(ع): «ملنا».

(٤) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). (٧) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «وهاهنا عابد» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٩) عبارة «إلى هذا الرجل.. إلخ»، في (م) و(ع): «إليه نسأله لعل الله».

(١٠) في (م) و(ع): «فقلنا».

(١١) عبارة «ما أبكاك.. إلخ»، في (م) و(ع): «ما أبكى العابد».

(١٢) عبارة «فقال ومالي»، في (م) و(ع): «قال مالي».

(١٣) في (م) و(ع): «فقد».

(١٤) في (م) و(ع): «الرخصة».

(١٥) في (م) و(ع): «واعتل». واعتمَلَ الرجل: عمل بنفسه. ابن منظور، اللسان، «عمل»، ٤٧٤/١١.

(١٦) الرُّوح: السرور والفرح. ابن منظور، اللسان، «روح»، ٤٥٩/٢.

(١٧) في الأصل: «إلى»، والتصويب من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «من فتنة».

(١٩) في (م) و(ع): «واكرباه».

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٢١) في (م) و(ع): «شغلهم».

(٢٢) في (م) و(ع): «الوقوف».

(٢٣) في الأصل: «وهو»، والتصويب من (م) و(ع). (٢٤) في (م) و(ع): «الثواب».

(٢٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٢٦) عبارة «ثم قال» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٧) في (م) و(ع): «فتركناه».

(٢٨) في (م) و(ع): «هَمّاً».

(٢٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

خليلِيَّ قبل الصُّبح بالأَثَل^(١) عُرْجَا
وَعُوجَا على صَبٍّ كَنِيْب مُعَذَّب
وليس يرى يوماً إلى الصَّبْرِ^(٣) مَسْلُكاً
يرى في^(٥) الهوى بين الورى بتعلُّلٍ
ألا ليت شِعْري هل أبيتَنَّ ليلة
فذاك مكان فيه هند مُقيمة
خليلِيَّ قد أصبحت في الحبِّ هائماً
بقيت وحيداً بين نجد ورامه
وإنِّي تراني بالنَّهار مُعَذَّباً

ولا تَشْرَكَاني بالفلاة مُحَوَّجاً^(٢)
تراه لدى بحر الهوى قد تَلَجَّلَجَا
ولا عن هوى هند طريقاً و^(٤) مُخْرَجَا
ويحصي نجوم الليل في ظلمة الدُّجى
بأرض أرى فيها ثماماً وعوسجا
وإنِّي^(٦) لأرجو القُرْب لو ينفع^(٧) الرِّجَا
كئيباً حزيناً دائم الشوق مرتجى [١٧٧]
أقاسي ضراماً في الحشى متأججاً
وَيَنْتَابُنِي^(٨) شوقي إذا الليل قد دجا
[بحر الطويل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي نزه أسرار العارفين عن محبة ما يفنى وحبَّ إليهم ما يبقى، صفَّى مرآة قلوبهم بصقيل^(٩) المحبة فمشتاقهم أعطي قلباً شيقاً، سمعوا نداء الحبيب من الناطق والصامت فتسابقوا إليه سبقاً، وسمهم بين الخلائق بوسم المحبة فلهم سماع عند ذكر سلع والنقى^(١٠)، ستروا أحوالهم من الرقيب والتزموا العزلة به طوقاً^(١١)، سألوا السلوان أين الملتقى فأجابهم لا ملتقى، باع قلقهم^(١٢) متسع وباع صبرهم^(١٣) ضاق ضيقاً، ترهبوا في دير الخلوة وقربانهم شراب ذكر قد عبقا، سلبوا نفوسهم على سالبها وزادوه قلباً شيقاً، فتحوا دنان الدنو فأنفضَّ رحيق التحقيق وشعاعه كبرق الأبرقين بالنقى، نادوا^(١٤) محبوبهم في خلوة الدجى وجددوا منه خيفة الهجران موثقاً، فلما باسطهم بسطوا^(١٥) بساط الأدب فتزايدوا^(١٦) تذلاً وتملُّقاً، مجلسهم مجلس أنس^(١٧)

- (١) في (م) و(ع): «بالليل». والأَثَل في بلاد تيم. صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢٦/١.
- (٢) في (م) و(ع): «مُخْرَجَا». وتحَوَّج إلى الشيء: احتاج إليه وأراد. ابن منظور، اللسان، «حوج»، ٢٤٣/٢.
- (٣) في (م) و(ع): «الصَّب». (٤) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٦) في الأصل: «ولأنِّي»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «ويقلقني».
- (٨) في (م) و(ع): «ويقلقني».
- (٩) في (م) و(ع): «بصقيل». وصقل الشيء يصقله صَقْلًا فهو صَقِيلٌ جلاه. والصَّقِيل: السيف. ابن منظور، اللسان، «صقل»، ٣٨٠/١١.
- (١٠) عبارة «عند ذكر.. إلخ»، في (م) و(ع): «عند ذكر الحبيب وتحرقاً».
- (١١) في (م) و(ع): «طرقاً».
- (١٢) في (م) و(ع): «قلقهم».
- (١٣) في (م) و(ع): «قلقهم».
- (١٤) في (م) و(ع): «نادموا».
- (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٦) في (م): «تزايدوا».
- (١٧) في (م) و(ع) زيادة: «ومحبوبهم مؤانس».

وشرابهم شراباً روقاً^(١)، همتهم^(٢) ذكر محبوبهم وسكرانهم من هذا الشراب أضحى قلقاً^(٣)، أفناهم هذا الشراب عن معرفة الوجود مغربها^(٤) والمشرقاً، محاً منهم أشد^(٥) الشهوات فتزايدوا لمحبوبهم تشوقاً، وأبقى المحروم على باب الحرمان طريحاً ليس إليه^(٦) تطرقاً، طُرحت حوائله [١٧٧ب] على الخيبة فنأى^(٧) خلقاً وتخلقاً، إياك والدعوى فإنها سلب المرتقى، حَقَّقَ وَتَحَقَّقَ وَأَصْدَقَ وَأَزْدَدَ تَحْسِيناً تَحْقِيقَ مَنْ قَدْ صَدَّقَا^(٨)، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۝﴾^(٩)، فسبحان من قهر العباد بالموت وتعزز بالدوام والبقاء، أحمدته حمد أسير بالذنوب يرجو من وثاقها من^(١٠) يطلقها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أنتظم بها مع المتقين وأهل البقا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المجتبي^(١١) المصطفى المختار الممتقى، صلى الله عليه وسلم وآله^(١٢) وأصحابه ما أخضر عود وأورقا.

إلهي^(١٣) أقل عشرة المذنبين عساها تُقال، لما رأى الصالحون كلمة^(١٤) الشهوات فروا إلى الجبال و^(١٥) القفار والجبال، ضجوا إلى مولاهم على أبواب الدجى بذل السؤال، لم يزالوا على قدم التهجد^(١٦) مع النفوس والقتال، إلى أن خرج لهم توقيع «بما صبرتم»^(١٧) على ضيق الحال، إذا ذكروا فاح من ذكرهم مسك النسك وعبير الأحوال، عاطر أنفاسهم أعطر^(١٨) من نسيم السحر فهم بالحقيقة^(١٩) رجال، عدم الدنيا عندهم وجود متسع ولهم عنها عدول واعتدال، ضَمَرُوا عَيْسَ أَجْسَادِهِمْ لَتُخَفَّ مِنَ الْأَنْفَالِ، أعظم الناس حسرة من سعى^(٢٠) لغيره والخيبة ينال، إذا جمدت العين فبأي ماء تسقي زرع المعاملة [١٧٨أ] يا كثير المحال، ويحك

(١) الرُّوق: الصافي من الماء وغيره. ابن منظور، اللسان، «روق»، ١٠/١٣٣.

(٢) في (م) و(ع): «مُزْمَرُهُمْ».

(٣) في (م) و(ع): «مَزْمَرُهُمْ».

(٤) عبارة «عن معرفة... الخ»، في (م) و(ع): «عن رؤية الوجود مغربه».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في الأصل: «فيا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٧) عبارة «من قد صدقا»، في الأصل: «ما صدقا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) سورة الأنفال، آية ٢ إلى ٤.

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) عبارة «وسلم وآله»، في (م) و(ع): «وعلى آله».

(١١) في (م) و(ع): «اللهم».

(١٢) كلمة «الجبال و» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا صَبِرتَ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝﴾ [الرعد: ٢٤].

(١٤) في (م) و(ع): «الطف».

(١٥) في (م) و(ع): «ظلم».

أتعبت مطية العمر في الغفلة وأدلجت بها في ليل الضلال^(١)، وأعجبه شباب ولى وطول الأمل^(٢) ما عنه أنتقال، وهذا صبح المشيب أضواء وحال المخالفة ما حال، أشد الهالكين من تاه في آخر الركب وأعلام المنزل تلوح كالهلال، أشد الحسرات رؤية المنزل والحبیب ومنع الوصول والوصول، أشد الفجائع من ترك أستعداد الزاد^(٣) حتى نودي بالارتحال، يرى غيره في شدة^(٤) الرجاء^(٥) وهو من الحرمان في أحوال، يرى محامل التائبين تمر به وهو لا يجد إلى العذر مقال، كم تمر به من رفاق تتجافى وهو طريق في النوم لا عقل ولا عقل^(٦)، نزلت ساقه ركبهم على عين السحر فشربوا من الذكر الرائق الرُّلال، وبقي المحروم لا زاد ولا قوى ولا راحة^(٧) وأحمال ثقال، إذا عامل سفيه الغفلة له إنصاف وفي معاملة رشيد الطاعة له مظال، واخييته إذا سمع النداء إليها^(٨) المخفون جوزوا فقد بلغتهم^(٩) الآمال، والمنقطعون في تيه الشقاء واخيبتهم في المآل، الليل بستان المتهجدين والنوم قبر الغافلين بئس المنزل والنزال، وقت العارف كله جوهر ثمنه في سوق القبول غال، وقت^(١٠) الغافل جوهر رديء لا يبلغ حامله فيه آمال، بذاة العارف الغوص في بحار العلوم والعبارات^(١١) بلسان الحال، وبدأة السالك جمع أصداف العبارة [١٧٨ب] لنيل جواهر الأمثال، وبدأة المرید دوام الرحلة والانتقال من حال إلى حال، وأوقات الفقراء كلها أوقات مالها في القلوب ولا في الوجود مثال، وساعة^(١٢) الزاهدين أعمار في غمرات^(١٣) أوقات طوال، وأحوال المحبين السنة فصاح تنال بالمحبة ما لا يُنال، وعلوم المحققين بلا واسطة من قيل ولا قال، وإشارات الواجدين عن أسرار لطيفة^(١٤) تشير إلى الكمال، لا يفهمها إلا من أنسلخ من قشر^(١٥) الشهوات إلى الأمور العوال، وأحوال التائبين خروج عن الأوطان ومبادرة الأعمال، وأحوال المذنبين أنهماك في الشهوات وأسترسال، أين أنت يا جنيد عن هذا السماع أين أنت يا معروف عن^(١٦) هذه الأحوال، أحضر يا شبلي تواجد يا حلاج^(١٧) لقلبك^(١٨) في هذا الميدان مجال، أين أنت يا

(١) في (م) و(ع) زيادة: «هلاً قُذِّنتها بزمام الطاعة إلى بر السلامة عساها ترتع في الظلال».

(٢) في (م) و(ع): «أمل».

(٣) عبارة «استعداد الزاد»، في (م) و(ع): «الاستعداد».

(٤) في الأصل: «لشدة»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) في (ع): «الرخاء».

(٦) العقل: الرِّباط الذي يُعقل به. ابن منظور، اللسان، «عقل»، ٤٥٩/١١. والمعنى: لا عقل يعي بواسطته

الحق فيقبل عليه، ولا رابط يربطه به.

(٧) في (م) و(ع): «راحلة».

(٨) في (م) و(ع): «ووقت».

(٩) في (م) و(ع): «بلغتهم».

(١٠) في (م) و(ع): «وإشارات».

(١١) في (م) و(ع): «عمارات».

(١٢) في (م) و(ع): «عن قشرة».

(١٣) في (م) و(ع): «سمنون».

(١٤) في (م) و(ع): «فلك».

سري لسماع هذا السر^(١) وفهم ما يقال، أين أنت يا ابن أدهم لمشاهدة هذا الجمال، يا فضل الفضيل أنت تفهم لفظي في الجواب والسؤال، مع أرواح القوم أتحدث ومن نازلهم في هذا المنزل^(٢)، ماتوا فعاشوا فذكرهم حي وهمهم^(٣) في العلى كالنجم لا يُنال، يا أخي هذه صفة^(٤) القوم ووظيفتي نظمتهما^(٥) كاللآل، فيا من خلفه الحرمان في الربع^(٦) الخراب البوال، أما هزك حديث القوم أما لك قلب يستمال، هذه أحوالهم تتلى عليك كيف خطر السلو منك عنهم ببال، أصلح ما بينك [١٧٩] وبين الحبيب تر من العجائب ما لا يدرك بالجاء ولا بالمال^(٧)، دع الكسل والتمني فكم خابت فيه من ظنون لم تجد به رفقا، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

سعيد بن الحكم^(٨) رحمه الله تعالى قال^(٩): سمعت ذا النون رحمته الله^(١٠) يقول: بينما^(١١) أنا أسير في بعض بلاد الشام، فإذا أنا بعابد قد خرج من بعض الكهوف، فلما نظر إلي أستتر مني^(١٢) بين تلك الأشجار، ثم قال: أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك، يا حبيب التوابين، ومعين الصادقين، وغاية أمل المحبين، ثم صاح وأغمي عليه^(١٣) من طول البكاء، ثم^(١٤) قال: واكرياه من طول المكث في الدنيا، ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع فلا شيء عندهم الذ من ذكره والخلو بمناجاته، ثم مضى وهو يقول: قدوس^(١٥)، فناديته: أيها العابد قف لي. فوقف وهو يقول: أقطع عن قلبي كل علاقة، وأجعل شغلي بك دون خلقك. فسلمت عليه ثم سأله أن يدعو الله تعالى^(١٦) لي، فقال: خفف الله عنك مؤونة السير^(١٧) إليه، وآواك إلى رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة، ثم سعى بين يدي كالهارب

(١) في (م) و(ع): «السر السني».

(٢) في الأصل: «وهمومهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) عبارة «يا أخي.. إلخ»، في (م) و(ع): «هذه صفات».

(٤) في (م) و(ع): «نظمها».

(٥) عبارة «ولا بالمال»، في (م) و(ع): «والمال».

(٦) في الأصل و(م) و(ع): «سعيد بن المسلم»، والتصويب من الحلية لأبي نعيم الأصبهاني، ٣٥٦/٩.

وسعيد: هو سعيد بن الحكم بن أوس بن يحيى بن المعمر، أبو عثمان السلمي الدمشقي. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢٩٢/٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٨١ - ٢٩٠ هـ، ص ١٨٢.

(٩) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٣٥٦/٩. وابن الجوزي في الصفة، ٣٦٠/٤.

(١٠) عبارة «رحمه الله» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «بيننا».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) عبارة «وأغمي عليه»، في (م) و(ع): «وأغماه».

(١٤) في (م) و(ع): «و».

(١٥) في (م) و(ع) زيادة: «قدوس قدوس».

(١٦) عبارة «الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع): «نصّب السير».

يا بانه الجرعاء هل من عطفة
يهوى حصى ماء العذيب لأنه
وتشوقه تلك الرياض لأنها
وتنسست ربح الوصال فاطفات
ولقد رمانى الوجد عن قوس الهوى
وهربت من نار الهوى وعذابها
وسريت في ليل الشباب فلم أصل
وعجبت من قلبي وطول ثباته
ذهب الزمان وما ظفرت بطائل
فلذا^(٦) تصفحت الشبيبة لم أجد
فأزددت في حب الشقاء لحاجة

فتريح^(٣) قلباً من^(٤) هواك معذباً [١٧٩ب]
ما زال يرشف منه ثغراً أشنباً
ليست على الأهصاب وشياً مذنباً^(٥)
بالقرب ما أذكى البعاد وألهبا
فأصابني ورميته فتنبأ
نحو السلو فلم أجد لي مهرباً
أدنى نهار الشيب إلا مُتعباً
كلفاً وكنث عهدت قلبي قلباً
ممن أحب فاستلذ المشرباً
متعطفاً^(٧) يوماً يذكّرني الصبا
ولربما كان الشقاء محبباً^(٨)

[بحر الكامل]

فسبحان من أعمى قلوب الغافلين باعوا ما يبقى بما يفنى، فما ربح^(٩) تجارتهم في حمل
أحمال المني، تلذذوا بشهوة ساعة نالوا بعدها من شقاء وعناء، نسوا الرحيل إلى القبور
بعيش^(١٠) ما فيه هنا، ويحك ترافق^(١١) التسويف وتطلب من الفقر الغنى، كم تتعثر في
طريق^(١٢) الغفلة وتترك طريقاً واضحاً بيناً^(١٣)، أجهدت^(١٤) نفسك في المحال وحسنت بالأيام
ظناً، لا يهزك التشويق^(١٥) ولا يطربك معبد ولو غنى، تجمع لمن ينساك ولا يغني عنك مغنى،
تعلل^(١٦) في تخلفك بالأقدار وفي المعاصي^(١٧) تتعنى، عجباً لك تغرس غروس الأمل [١٨٠]

(١) في (م) زيادة: «رضي الله عنه»، وفي (ع) زيادة: «رحمه الله ورضي عنه».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل السادس.

(٣) في الأصل و(م) و(ع): «تروح»، والتصويب من (ب).

(٤) في (م) و(ع): «في». (٥) البيت ساقط في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «وإذا».

(٧) في الأصل: «وتعطف»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في الأصل: «محبباً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل: «ربحهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «وعيشاً».

(١٢) في (م) و(ع): «ظلمة».

(١٤) في (م) و(ع): «أجهدت».

(١٦) في (م) و(ع): «تعلل».

(١١) في (م) و(ع): «كم ترافق».

(١٣) في (م) و(ع): «مبيناً».

(١٥) في (م) و(ع): «الشباب».

(١٧) في (م) و(ع): «وللمعاصي».

بالتسوية بشس ما يجتنى، يا فرحة الشامت إيليس إذا رآك^(١) متلوناً، حمل طاعتك خفيف
وكان الأمر عندك هيناً، أين^(٢) عزائم الشجعان فالشجاعة أجل شيء يقتنى، يا ساحباً زمان^(٣)
الصُّبا في المعاصي رسنا^(٤)، هذا نذير المشيب عن ضعف حالك برهنأ، يا أبطال التائبين
نُصِرتم بالمتاب نصراً بينأ، لا يقاتل من وراء السور إلا الجبان وذلك يحرم المتمني^(٥) ما
تمنى، كم تطلي بهرج عملك^(٦) وهو لا يطلى على من له معنى، الإخلاص مسك يظهر عرفه
ونغم ما يقتنى، يا سقيم الذنوب أستغث^(٧) بالطبيب عسى تداوي^(٨) قلباً مرض بالعنا، لو ذقت
طعم الوصل وجدته حلوأً لئنأ، ما نال المحبون^(٩) طيب الأنس إلا لماً ثبت شوقهم وتمكنا،
ركبوا كل صعب في رضاه فعاد عليهم هينأ، شربوا من حبه راح أشتياق^(١٠) و^(١١) لو شرب منه
العدول لأذعنا، دام سكرهم إليه بشربهم كلما أنقضى دنّ فتح لهم^(١٢) دنا، فالشوق يحركهم
والوصل يسكنهم ويعرف الحال محركاً ومسكناً، الكون كونهم ونغم الوجود تَغْنِيهم^(١٣)
وساقبهم ينادي: أشربوا شراب الأنس من قربنا، ليس هذا الشراب من نبات الكروم، وكتاب
المعاني بات عليه^(١٤) معنونأ، طلبوه وجدوه هو سرّ هو معنى هو حال به الكون زُئنا، وفي
جمال الساقى هام القوم فأهلاً به من جتنى وأجتنا^(١٥)، ناداهم يوم الإيجاد فكل جوهر لسماع
ندائه [١٨٠ب] أذنا، وكلهم إلى مشاهدة نظر^(١٦) أصبحوا^(١٧) نواظراً وأعيننا، إن باحوا باسمه
غاروا عليه وإن كتموه كان الفؤاد معنونأ^(١٨)، تضاعفت أشواقهم فأغناهم الحال عن الكنى،
عليه بكى آدم وناح نوح وفارق الأهل والوطنا^(١٩)، وبه لهى^(٢٠) الخليل عن رؤية النار

(١) في (ع): «رماك».

(٢) في (م) و(ع): «زمن».

(٤) الرّسن: هو الحبل الذي يقاد به البعير وغيره. ابن منظور، اللسان، «رسن»، ١٨٠/١٣.

(٥) في الأصل: «المنى»، والتصويب من (م) و(ع). (٦) في (م) و(ع): «أمالك».

(٧) في (م) و(ع): «أستغث».

(٩) في الأصل: «المحجوب»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «أنتشاق».

(١٢) عبارة «فتح لهم»، في (م) و(ع): «فتحوا».

(١٤) عبارة «بات عليه» ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٥) في (م) و(ع): «ومجتنى». وجنيت الثمرة أجنيتها جتنى وأجنتيتها بمعنى، والجنى ما يجنى من الشجر، والاجتناء أخذك إياه. ابن منظور، اللسان، «جني»، ١٥٥/١٤، ١٥٦.

(١٦) عبارة «مشاهدة نظر»، في (م) و(ع): «مشاهدته».

(١٧) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب). (١٨) عبارة «إن باحوا.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) قوله هذا إشارة إلى ما كان من سيدنا نوح عليه السلام حينما أخبره الله ﷻ أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن؛ فأمره أن يصنع سفينة ينجو بها مع المؤمنين من الطوفان الذي أغرق الله به الكفرة ومعهم بعض أهله: امرأته وولده.

(٢٠) عبارة «وبه لهى»، في (م) و(ع): «به فني».

لما^(١) منها دنا، أطفأ نور شوقه لهيبها وعاد^(٢) ملوناً، وكم للكليم من سكرة عند سماعه من جانب الطور إني^(٣) أنا، هام الجبل فتقطعت أوصاله ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَوْقًا﴾^(٤) في أثواب سؤاله مكفناً، فعند صحوه^(٥) اعتذر^(٦) بتلطف سبحانه أنت أنت وأنا أنا^(٧)، لولاك^(٨) ما عرفناك وصلنا^(٩) إليك وأنت وسيلتنا^(١٠)، شربنا وطربنا وبسماح ذكرك غنيا فآغيتنا^(١١)، يعقوب سلب بصره لما قال يا أسفى وعيشه ما هنا^(١٢)، وأختبر الصديق^(١٣) بما سمعت حتى نال من محبوبه ما تمنى^(١٤)، وكم بكى داود بتلحين^(١٥) المزامير عند فقدته من محبوبه المنى^(١٦)، كيف يصبر

(١) في الأصل: «المن»، والتصويب من (م) و(ع). وفي قوله هذا إشارة إلى ما لقي إبراهيم الخليل من كفرة قومه لما دعاهم إلى توحيد الله تعالى وكسر أصنامهم التي يعبدون؛ حيث أمروا به إلى النار ليحرق؛ فضجت الملائكة إلى الله متضرعة ليأذن لهم بنصرته، فقال: أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه. فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أأنا إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال الله ﷻ: ﴿يَنَّاؤُ كَرِيحًا بُرَا وَسَلْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فلم تحرق النار منه إلا وثاقه، وأقام في النار سبعة أيام لم يقدر أحد أن يقرب من النار، ثم جاءوا فإذا هو قائم يصلي. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٣/١١، ٣٠٤.

(٢) عبارة «لهيبها وعاد»، في (م) و(ع): «لهيبها وعاد لونه». والمعنى: أن النار مع سيدنا إبراهيم فقدت خاصيتها فلم تعد تحرق، وإنما بقي لونها ووهجها.

(٣) في (م) و(ع): «إني». والطور: جبل بالقرب من مدين وهو الذي كلم الله عليه موسى. صفى الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ٨٩٦/٢.

(٤) قوله: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَوْقًا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأعراف، آية ١٤٣.

(٥) في الأصل: «صحة ما رآه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «كتب رسالة اعتذار».

(٧) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِبِيعَتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنَبْرَحَنَّ إِلَيْكَ وَلَكِنِّي أَنُفِّرُ إِلَىٰ الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَغَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا جَاءَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَحَرَّ مُوسَىٰ صَوْقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبَّتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٨) في الأصل: «الولا»، والتصويب من (م) و(ع). (٩) في (م) و(ع): «بك وصلنا».

(١٠) في (م) و(ع): «سقيتنا».

(١٢) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَنَوَّلَهُمْ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَّخِذُ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَيُّعَتَّ عَيْسَاهُ مِنِ الْغُرُزِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

(١٣) عبارة «واختبر الصديق»، في الأصل: «واختم للدين»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) عبارة «ما تمنى»، في (م) و(ع): «المنى». وقوله هذا إشارة إلى تصديق أبي بكر الصديق ﷺ خبر الإسراء والمعراج دون تلجلج، وذلك حين حدثه بعض المشركين عما يقوله رسول الله ﷺ رجاء أن يستغفله فلا يصدقه، فقال ﷺ: «والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني إن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه»، فيومئذ سماه الرسول ﷺ بالصديق. ابن هشام، السيرة، ٢٧٠/٢، بتصرف.

(١٥) في (م) و(ع): «بتحنين».

(١٦) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصَمِ إِذْ سَارُوا بِالْعَرَبِ ۖ إِذْ سَارُوا عَلَىٰ كَاوَدَ فَفَزِعَ =

على البعد من عادته القرب وعيشه كيف^(١) يهنا، لا يعلم^(٢) الشوق إلا من يكابده ومن لم يفهم المعنى ليس معنا، لم يزل عيسى هائماً في القفار يطلب المعنى ويندب^(٣) المغنى، ما سكن ما^(٤) به حتى رفعه الله إليه بعدما^(٥) كان في عنا، وناهيك من سيد الوجود محمد^(٦) ﷺ وشرف وكرم وأجاد وأنعم^(٧) ما طاب عيشه حتى أسري به وسمع كلام محبوبه [١٨١] من هناك ومن هنا، وشاهده هو الكل والكل به فأفهم السر والمعنى، وقيل السلام عليك لا سلام مودع بل آسناك لتفهم عنا، سقاء شرباً طهوراً فأبقى لأجابه فضلة بها شوقهم سكنا، فعل الكرام فلقد أفاد ولقد أجاد وأحسنا، حديثي معكم يا أرباب الأشواق أدير^(٨) عليكم من هذا الشراب ما أمكنا، معشر الفقراء لكم أزمزم وعليكم أدير الكأس هذا مذهب الحزن والضنى، أين أرباب الزوايا أين المحبون مثل حديثهم^(٩) في الديوان ما دونا، ما أرى في الربع منهم أحداً ترى أين آتخذوا من الوجود مسكناً، واحسرتي على فراقهم^(١٠) وحدي ما معي في السماع إلا أنا، يا أرباب الهمم هذا شرابكم وهذا محبوبكم وهذا مجلسكم قد تزينا، باكروا دنه وأشربوا راحه وغنوا فيه فنعم الغناء والغنى، إذا لم يهزك هذا السماع فعند فقدته والله تنال^(١١) حزناً وضنى، أنا في أحاديث^(١٢) القوم ولي إلى أحاديثهم منى، فيا معشر السالكين جدوا في طلب المقصود سباً، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ

عبد الله بن غالب رحمه الله تعالى قال^(١٣): «خرجت إلى الجزيرة فركبت السفينة،

مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَنْفَخْ خَصَمَانِ بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاثْمَرَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَنْطَلِ وَأَهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٧﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَمْ يَسْعَ وَنَعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلِيَنِيَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٨﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ جَهَنَّمَ إِنَّا يَنَامُونَ وَانَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِ لِيَئِنِّي بِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٩﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَنَا لَعَذَابًا لَّزِقًا وَعَسَنَّا مَقَابِ ﴿١٠﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاثْمَرَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَعْزِلُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يٰمَنْ سَأَلَ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿ص: ٢١ إلى ٢٦﴾

(١) في (م) و(ع): «ما».

(٢) في (م) و(ع): «يعرف».

(٣) في (م) و(ع): «ويطلب».

(٤) في (م) و(ع): «بعد أن».

(٥) عبارة «وشرف».. إلخ ساقطة في (م) و(ع).

(٦) عبارة «أرباب».. إلخ، في (م) و(ع): «أرباب الأدواء وأدير».

(٧) في الأصل: «حديثكم»، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «فقدهم».

(٩) في (م) و(ع): «تتال والله».

(١٠) في (م) و(ع): «حديث».

(١٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٢/٤. وعبد الله هو عبد الله بن غالب، أبو فراس الحمداني، المتشمر الناحب، المنشوق الطالب، العابد الزاهد. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٢٥٦/٢. ابن الجوزي، الصفة، ٣٣٤/٣. المناوي، الكواكب الدرية، ١٣٠/١.

فرمت^(١) بنا إلى ناحية قرية عالية^(٢) في سفح الجبل^(٣) خراب ليس فيه^(٤) أحد. قال: فخرجت وطفئت^(٥) في ذلك الخراب أتأمل آثارهم وما كانوا [١٨١ب] فيه، إذ دخلت بيتاً يشبه أن يكون مأهولاً. قال: فقلت إن لهذا البيت لشأن. فخرجت^(٦) إلى أصحابي فقلت^(٧): إن لي إليكم حاجة^(٨). قالوا: وما هي؟ قلت: أن تقيموا علي ليلة. قالوا: نعم. فدخلت ذلك البيت، فقلت^(٩): إن يكن له أهل فسيأوون إليه إذا جن^(١٠) الليل. فلما أن جن^(١١) الليل سمعت صوتاً قد أنحط من رأس الجبل يسبح الله ﷻ^(١٢) ويكبره ويحمده، فلم يزل الصوت يدنو كذلك حتى دخل البيت. قال: ولم^(١٣) أر في ذلك البيت^(١٤) إلا جرة ليس فيها ماء^(١٥)، ووعاء ليس فيه طعام، فصلى ما شاء الله تعالى^(١٦) أن يصلي، ثم أنصرف إلى ذلك الوعاء فأكل منه طعاماً، ثم حمد الله ﷻ^(١٧)، ثم أتى تلك^(١٨) الجرة فشرب منها ماء^(١٩)، ثم قام فصلى حتى أصبح، فلما أصبح أقام الصلاة فصليت معه، فقال: رحمك الله دخلت بيتي بغير إذني. قال: فقلت: يرحمك^(٢٠) الله لم أرد إلا الخير. قلت: رأيتك أتيت هذا الوعاء فأكلت منه طعاماً وقد نظرته قبل ذلك فلم أر^(٢١) فيه شيئاً، وأتيت تلك الجرة فشربت منها وقد نظرتها قبل ذلك فلم أجد فيها شيئاً^(٢٢). قال: أجل، ما من طعام أريده من طعام الناس إلا أكلته من هذا الوعاء، ولا شراب^(٢٣) من شراب الناس إلا شربته من هذه الجرة. قال: قلت: وإن أردت السمك الطري! قال: وإن أردت السمك الطري^(٢٤) فقلت: رحمك الله^(٢٥) إن هذه الأمة لم تؤمر بالذي صنعت، أمرت بالجماعة والمساجد^(٢٦) لفضل

- (١) في (م) و(ع): «فأرمت».
- (٢) في (م) و(ع): «جبل».
- (٣) في (م) و(ع): «فطفئت».
- (٤) في (م) و(ع): «فقلت لهم».
- (٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «جاء».
- (٧) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «شيئاً».
- (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «قلت يرحمك»، في (م) و(ع): «قلت رحمك».
- (١٢) في (م) و(ع): «أجد».
- (١٣) عبارة «وأيت تلك الجرة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «أريده».
- (١٥) عبارة «قال وإن أردت.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «رحمك الله» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٧) عبارة «بالجماعة والمساجد»، في الأصل: «المساجد والجماعات»، والتصويب من (م) و(ع).

الصلاة^(١) في الجماعات وعبادة [١١٨٢] المريض وأتباع الجنائز. فقال^(٢): هاهنا قرية فيها كل ما ذكرته وأنا منتقل إليها. قال: فكاتبني حيناً ثم أنقطع عني كتابه فظننت أنه مات. وكان عبد الله بن غالب لما مات وجد في قبره ريح المسك رحمة الله عليه^(٣). شعر^(٤):

قفوا في ربي نجد^(٥) ففي الحيّ مَرْبَاهُ
أما هذه نجد أما ذلك الجَمْي
إذا ما رأى ظلّ الأراك وماءه
دعوه يوقّي تربه بالترثامه
ولا تسألوه سَلْوَةً فمن العنا
أُحِب من أصلى فؤادي بهجره
متى غدر الصَّبّ الكثيب وفي به
وإن سألوا عن داره داره^(٦) الحشى
فإن^(٧) أضْمروا^(٨) معناه أو صرّحوا به
فيا سائقاً عيس الغرام يسوقه
أرخها فقد ذابت من الشوق والسرى
وعرّج على وادي العقيق لعلني
ففي الدُّوح من نوح الحمام مَاتم
ويا مُنيتي عج بي على الحَيْف من منى
وَعَثُوهُ إن أبصرتمْ تَمَّ مَغْنَاهُ
فهل عَمِيَتْ عيناه أو^(٩) صَمَّ أذْناه
فإنَّ خطاه بين أن يتخطّاه^(١٠)
ديون هواه قبل أن يتوقّاه
رياضة من قد شاب في الحبِّ فَوْدَاهُ^(١١)
بأنّي أسلو عنه حاشاه حاشاه
وإن أتلف القلب الحزين تلافاه
وإن طلبوا مثواه فالقلب مثواه
فإن مُعَنَّاه أحقَّ بمغْنَاهُ
وكل أذى في الحبِّ يخشاه يغشاه
ومزّق^(١٢) إلا عزمها أو بقاياها
أسائل عمّن كان بالأمس مأواه
أصمّت عن^(١٣) العشاق في الوجد أذْناه
وأما اللقي^(١٤) من لي بأنّي ألقاه [١٨٢ب]

(١) في (م) و(ع): «الصلوات».

(٢) في (م) و(ع): «قال».

(٣) عبارة «رحمة الله عليه» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (م): «أم».

(٧) في الأصل و(م) و(ع): «أتخطّاه»، وهي من (ب).

(٨) في الأصل: «راسه»، والتصويب من (م) و(ع). والقَوْد: معظم شعر الرأس مما يلي الأذن.

الفيروزآبادي، القاموس، «فود»، ص ٣٩٢.

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «وإن».

(١١) في الأصل: «ذكروا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل: «ومزقت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «على»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «النقى».

وقل لليالي قد سلفن نفيسةً وعيش على رغم الزمان قطعناه
هل العود أرجوه أم العمر ينقضي وأقضي ولا يُقضى الذي أتمناه

[بحر الطويل]

إلهي^(١) عفوك الجميل عن عبدك الذليل توسل^(٢) بك إليك، دُلَّه بفضلك عليك برحمتك^(٣)
يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم^(٤).



(١) في (م) و(ع): «اللهم».

(٢) في (م) و(ع): «قد توسل».

(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الحادي والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي بحكمته تجري مقادير الأمور، قسم السعادة والشقاء^(١) عدل في قضائه لا يجور، أقر بوحدانيته الأفلاك والأملأك والأرضون والبحور، هدى بلا سبب وأضل بلا علة كل ذلك في كتاب مسطور، لا تُعَلَّل أفعاله وكل مُعَلَّل بعِلل^(٢) مأسور، من رام نيل القدر أصابه بسهم^(٣) العجز ولو كان عليه ألف سور، لا يقال «كيف» ولا «لم» فالمشبه سلب من بصيرته النور، والجاحد أعمى وعلى الشقاء في الفطرة مفطور، لا بداية له فيقال له «من»^(٤) ولا نهاية فيقال «إلى» هذه صفة المحدث المقهور، ﴿لَا يَسْتَلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾^(٥) عما تكنه الصدور، آنس أحبابه بذكره فقصر قلوبهم بذكره^(٦) معمر، نعيمهم في الدنيا بحبه وفي الجنة بالحرور، أمت شهواتهم فعاشوا فلهم الأمن ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ فِي الصُّورِ﴾^(٧)، حكم على الدنيا بالفناء بتوالي الأزمنة والدهور، بينما^(٨) أهلها في طيب عيش ولذة وسرور، وأجتمع وغبطة وتآلف [١٨٣] وجبور^(٩)، دعاهم داعي الجَمَام ففرق ذلك الجمع وخرَّب^(١٠) تلك القصور، يفقد الولد والديه^(١١) والوالد ولده وهو على فراقه مقهور، ويُسلب الحبيب من^(١٢) حبيبه فيخرب البيت بعد أن كان معمر، يدير عليهم كأس الفراق مُرَّ^(١٣) المذاق وبعده وحشة القبور، كم قصر كان كعبة للزوار فأصبح وهو مهجور، رحل أحبابه إلى سفر بعيد إلى يوم ينفخ^(١٤) في الصور، لا يدرى المحب ما فعل حبيبه وتحدث بعد الأمور أمور، ذهب الباكي والمبكي عليه والساكر والمشكور، غاية أجمع الدنيا فراق وتعجيل أحزان وثبور، أما

(١) في (م) و(ع): «الشقاوة».

(٢) عبارة «وكل معلل بعِلل»، في (م) و(ع): «ومن علل فمعلل».

(٣) في (م) و(ع): «سهم».

(٤) في (م) و(ع): «لا بداية فيقال مم».

(٥) قوله: ﴿لَا يَسْتَلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأنبياء، آية ٢٣.

(٦) عبارة «فقصر.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) قوله: ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ فِي الصُّورِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأنعام، آية ٧٣. وسورة طه، آية ١٠٢.

وسورة النحل، آية ٨٧. وسورة النبأ، آية ١٨.

(٨) في (م) و(ع): «بيننا».

(٩) الخبر والجبور: السرور. ابن منظور، اللسان، «حبر»، ١٥٨/٤.

(١٠) في (م) و(ع): «خربت».

(١١) في (م) و(ع): «والده».

(١٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «من»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «النفخ».

تري أحبابك يرحلون ولا يعودون ليوم النشور، ألهاهم ما ساروا إليه وما خلفوه من أوانس كالبدور، و^(١) أنقطعت أخبارهم والحسرات عليهم تدور، طال سكونهم وسكوتهم^(٢) ليت شعري من^(٣) منهم المكسور والمجبور، قف على قبورهم ونادهم يا ربيع الأحبة^(٤) هل لك من عودة إلى السرور، أني تجيبك قبورهم وقد شغلوا بأهوال عظام وأمور، وأنت والله شارب ما شربوا فأنتبه من رقدتك يا مغرور، إليك يساق الحديث فشمّر فما أنت في التخلف بمعذور، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٥).

يا أخي قرب الرحيل إلى^(٦) كم تتأني، أقطع علائق التعلق^(٧) فعيش المقطوع^(٨) ليس يهنا، من سافر في رفقة الكسل لم يدرك ما تمنى، إذا خربت يد المعاصي^(٩) ربع التعبد رحل التعبد^(١٠) رحل التوفيق وما تأني، [١٨٣ب] لا تزال أرواح العصاة تائهة في قفار الندم تفرع على الفاتئ سنا، إذا نفخ في صور^(١١) الوعد حيث^(١٢) صور القلوب أين من يفهم المعنى، يحييها محيي الأرض بعد موتها كحياتنا إذا متنا، يا مأسور الغفلة أراك والله تموت غمًا وحزنًا، مشيك للمعاصي هرولة وللطاعة هونًا، توبة المسوف من لسانه يا ليتة عدم اللسان و^(١٣) الأذنا، وتوبة الصادق من قلبه وعود عوده^(١٤) كخضراء أشرفت^(١٥) الدمنا، أخلص تخلص ودع عنك حديث سعدى^(١٦) ولبنى، حديث الغرام والشوق لا يفهمه إلا صب مَعْنَى، أسانيده مأخوذة عن المحب^(١٧) إذا ناح وجدا وتغنى، إذا نسمت ريح الصبا من نحو^(١٨) كاظمة يود المشوق لو مات حزنًا، ما ألطف أنفاس المحبين ما أطيب عيشهم وأهنا، إذا طلعت من طويلع الحب بدوره تزايد وجد المشوق وأنا، عجن ترب ربع^(١٩) الدار

(١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «وسكراتهم»، وهي من (م) و(ع). (٣) في الأصل: «ما»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «الأحباب». (٥) سورة لقمان، آية ٢٢.

(٦) في (م) و(ع): «فإلى». (٧) أي التعلق بزخرف الحياة الدنيا وزينتها.

(٨) أي المقطوع عن الله تعالى، المبعد عنه بمعاصيه وذنوبه.

(٩) في (م) و(ع): «العاصي». (١٠) عبارة «رحل التعبد» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في الأصل: «الصور»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) الجَنَتْ: الميل من باطل إلى حق، وقد حُنَتْ. الفيروزآبادي، القاموس، «حَنَتْ»، ص ٢١٥. والمعنى: أن القلوب يوم البعث والنشور تتخلى عن باطلها وتميل إلى الحق وتعتز به، يوم لا ينفع الاعتراف والندم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

(١٣) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (١٤) في (م) و(ع) زيادة: «عاد».

(١٥) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).

(١٦) في (ع): «سعدى».

(١٧) في الأصل: «الحب»، والتصويب من (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «جو».

(١٩) عبارة «عجن.. إلخ»، في الأصل: «اعجز ربع تربة»، والتصويب من (م) و(ع).

بعارض^(١) من الدمع هتنا، ونقش فيه مثال محبوبه لكي ينظر معناه حساً ومعنى، يخاطبه سراً ويزداد شوقه إذا حنا، صورة^(٢) حبه في قلبه فأقبل لسان شوقه يلحنها لحناً، كم له بنجد من وقفة وإذا مر إلى وادي الأراك تشنى، يتمنى نظرة والرقيب غافل وغاية العاشق أن يتعنّى^(٣)، يا راكب الأبرقين هل من وقفة لتبلغ رسالة عاشق أبلاه^(٤) الغرام وأفنى، يا أهل وادي الحمى حسنوا برسالتى عند محبوبى ظنا، كم لي تحت أثيلات النقى من تردد لكي أرى عيناً و^(٥) أسمع [١٨٤] أذنأ، كم لي باللوى^(٦) من قلب خافق والليل إذا جَنَّ جُنًا، دعاه الحب فلباه بوجده ظاهراً وباطناً^(٧)، كتموا محبوبهم^(٨) وهاموا في القفار وأبقوا عنده^(٩) قلوبهم رهناً، رآوه في كل وجود وواجدهم بذكره تغنى، كم له في الدجى من تضرع وقد جفا^(١٠) النوم منه جفنأ، نادمه بحديثه فأفناه عن وجوده ولا عجبأ كيف لا يفنى، لم يبق فيه بقية لا قلباً ولا عقلاً^(١١) ولا إهنأ^(١٢)، مهما أراد محبوبه زاره فوجده يظهر ما أجنأ، ما أطيب عيش أهل الصفا وأسمى^(١٣) وأسنى، أين من يفهم هذا السر أين من يستمطر منه مزنا، أين أهل الصفا الذين^(١٤) بُدّلوا من الخوف أمنأ، معشر العارفين عليكم يدار هذا الشراب ولكم بذكر محبوبكم مغنى، شرابكم طيبٌ من طيبٍ ما لكم عنه غنى، دنائه مملوءة كلما شربتم دَنَأً فتح لكم دَنَأً، لا تسقوا المرائين قطرة ولا تدخلوهم في السماع معنا، من خلع عذار العادة^(١٥) نادموه فمثله من هنأ ومن^(١٦) أهنا، لا تمنعوها خلّاع التائبين فسماعهم لطيف بعد العسر يهنأ^(١٧)، أين عيس التائبين أحملوا معكم المتفرجين عسى عودهم للنتاب يُثنى، جدّدوا عليهم سماع الأحوال كلما أطربهم فن جدّدوا لهم فناً، استنشقوا أنفاس أكباد^(١٨) المحبين في زوايا المجلس فبأنفاسهم عيشنا يهنى، يا من في شراب وجده فضلة تفضّل على مشتاق منعه^(١٩) [١٨٤ب] الخوف أن

(١) العارض: السحاب المعترض في الأفق. الفيروزآبادي، القاموس، «عرض»، ص ٨٣٢.

(٢) في (م) و(ع): «سورة».

(٣) في (م) و(ع): «يتعنّى».

(٤) في (م) و(ع): «أفناه».

(٥) في (م) و(ع): «تحت اللوى».

(٦) عبارة «بوجده.. إلخ»، في (م) و(ع): «فوجده ظهراً وبطناً».

(٧) في (م) و(ع): «عيوبهم».

(٨) في الأصل: «عند»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في الأصل و(م) و(ع): «عقدأ»، وهي من (ب).

(١٠) في (م) و(ع): «رهناً».

(١١) في الأصل: «وأسنى»، وهي من (م) و(ع). والسناء من المجد والشرف، وسنا إلى معالي الأمور سناء:

ارتفع. ابن منظور، اللسان، «سنا»، ٤٠٣/١٤.

(١٢) في (م) و(ع): «أين الذين».

(١٣) في (م) و(ع): «أين الذين».

(١٤) العبارة «بعد العسر يهنأ»، في (م) و(ع): «يعيد العسر يهنأ».

(١٥) عبارة «استنشقوا.. إلخ»، في (م): «استبقوا أكباد»، وفي (ع): «استسقوا أكباد».

(١٦) في (م) و(ع): «يمنعه».

يتمنى، لكل كريم فضلة فرضها من فرض الجود وأسنى، إن لم تطرب لهذا السماع فستموت بعد فقدته غمًا^(١) وحزنا، شمر وبادر وسارع فأيام الوصل أفرح وسرور، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

عن مسعر^(٢) رحمه الله تعالى أن عابدًا كان يعبد الله ﷻ في جبل يؤتى إليه في^(٤) كل يوم بقُرصتين^(٥). قال سفيان^(٦): وقال غير مسعر: وكان يأتيه طير أبيض، فأتاه^(٧) ذات يوم بقوته، فجاءه سائل فأعطاه إحدى القرصتين^(٨)، ثم أتاه سائل آخر فكسر القرص الثاني نصفين، فأعطاه النصف وأبقى النصف الثاني^(٩) لنفسه، ثم قال: والله ما هذا النصف بالذي يغنيني^(١٠)، ولا هذا النصف بالذي يغنيه شيئًا، ولكن^(١١) يشبع واحد خير من أن يجوع أثنان، فسلم القرص كله للسائل، ويات طاويًا. فأتاه آت^(١٢) في منامه فقال^(١٣) له: أسأل^(١٤). فقال له^(١٥): أسأل الله تعالى^(١٦) المغفرة، ف قيل له: إن هذا شيء قد أعطيته، فأسأل الله تعالى^(١٧) أن يغاث الناس، وكان عام جذب فأغيثوا^(١٨). شعر^(١٩):

هم أودعوا قلبي الأسى حين ودَّعوا وأغروا فؤادي بالغرام وأوجعوا
وهم أوهموا^(٢٠) أنني تسلَّيتُ بعدهم وذلك^(٢١) أمر ليس لي فيه مَطْمَع
وما حذق العشَّاق إلا حداثق به ظبيات الحيِّ ترعى وتزترع
وكيف سلَّوي عنهم ولهم إذا خلا ربعمهم في العين والقلب مَرَّتَع

(١) في الأصل: «فقداء»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) هو مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث، الإمام الثبت، شيخ العراق، أبو سلمة الهلالي الكوفي، الحافظ، توفي سنة ١٥٥هـ - ٧٧١م. ابن الجوزي، الصفة، ٣/ ١٣٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧/ ١٦٣.

(٣) عبارة «يعبد.. إلخ»، في (م) و(ع): «يتعبد». (٤) عبارة «إليه في» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «بقرصين». والقُرصة: الخبزة، كالقُرص. الفيروزآبادي، القاموس، «قرص»، ص ٨٠٨.

(٦) هو سفيان الثوري، وقد تقدمت ترجمته. (٧) في (م) و(ع): «قال فأتاه».

(٨) في (م) و(ع): «القرصين». (٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) عبارة «بالذي يغنيني»، في (م) و(ع): «بالذي يغني عن هذا شيئًا».

(١١) عبارة «يغنيه شيئًا ولكن»، في (م) و(ع): «يكفيني ولأن».

(١٢) عبارة «فأتاه آت»، في (م) و(ع): «فأتي». (١٣) في (م) و(ع): «ف قيل».

(١٤) في (م) و(ع): «سل». (١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) عبارة «الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) عبارة «فأسأل.. إلخ»، في (م) و(ع): «فسل قال فسأل».

(١٨) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤/ ٣٦١.

(١٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات التسعة الأولى تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل التاسع.

(٢٠) في (م) و(ع): «وهموا». (٢١) في الأصل: «فذاك»، والتصويب من (م) و(ع).

وَأَقْسَمُ أَنِّي لَوْ تَسَلَّلْتُ فِي الْهَوَى
فَمَنْ عَاذِرِي مِنْ عَادِلِينَ مَنَحْتَهُمْ
دَنُوتٌ فَأَنَاؤُنِي عَرَضْتُ^(١) فَأَعْرَضُوا
خَلِيلِي هَذَا رُبِعَهُمْ فَتَدَاوَيَا^(٢)
وَلَا تَخْجِبَا عَنِّي النَّسِيمَ إِذَا سَرَى
وَلِنْ جِئْتُمَا فِي سَاحَةِ الْحَيِّ جِئْتُمَا^(٣)
وَقُولَا لَهَا^(٤) إِنَّا تَرَكْنَاهُ مَتِيماً
وَلَا تَسَامُوا قُولَا إِذَا هِيَ أَنْصَتَتْ

لَرَامُوا خِلَافِي سُرْعَةً وَتَشَفَّعُوا [١٨٥]
وَدَادِي فَصَانُوا وَضَلَّهِمْ وَتَمَنَّعُوا
وَفَيْتُ فَخَانُونِي حَفِظْتُ فَضَيَّعُوا
بَلَّغْتُ ثَرَاهُ فَهُوَ لِلْوَجْدِ أَنْفَعُ
فَقَلْبِي بِرَبِّهَا عَرَفَهُ^(٥) يَتَلَقَّعُ
بِهِ قَمَرًا مِنْ جَانِبِ الْغُورِ^(٦) يَطْلُعُ
كَثِيبًا^(٧) لِكَاسَاتِ الْهَوَى يَتَجَرَّعُ
فَحَسْبِي بِقَوْلِي أَنْ أَقُولَ^(٨) فَتَسْمَعُ
[بِحَرْ الطَّوِيلِ]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أمضى حكمه فلا يُطِيقُ المحكوم عليه دفعاً ولا رداً، تعرّف إلى أحبابه بلطفه فتزايده شوقاً ووجداء، أنسهم في القفار بأنسه وجدد لهم بالأنس^(٩) عهداً، باعوا النوم بالسهر وعليه عقدوا عقداً، ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(١٠) يردون على^(١١) الأوراد ورددوا، خامرهم الطرب^(١٢) بذكر محبوبهم وتستروا بذكر لبنى وسعدى، ستروا حبهم بالتوله ولهم حنين إذا ذكروا نجداً، أنضوا رواحل أجسادهم^(١٣) فترى لهم في مسراهم حنيناً و^(١٤) وجداء، أطربها حادي التلاوة فأشواقك البان والرّندا، طوى لهم سرى التهجد من ببداء^(١٥) العمر ما كان ممتداً، أاستنشقوا أثر^(١٦) السحر فتذكروا أيام لبنى وسعدى، كم لهم من وقوف على ربوع المعاملة ما بين^(١٧) مَعْدَى وَمَعْدَى^(١٨)، لهم حنين بذكر الحبيب لا^(١٩) سيما إذا ذكروا

(١) في (م) و(ع): «أتيت».

(٢) في الأصل: «متدانيا»، والتصويب من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «عطره».

(٤) في (م) و(ع): «الخير».

(٥) في (م) و(ع): «يتيماً».

(٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٧) قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ١٦.

(٨) في (م) و(ع): «المطرب».

(٩) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «حيثما».

(١١) في (م): «له».

(١٢) في (م) و(ع): «تقولوا».

(١٣) قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ١٦.

(١٤) في (م) و(ع): «من».

(١٥) في (م) و(ع): «أجسامهم».

(١٦) في (ع): «بيد».

(١٧) عبارة «أاستنشقوا أثر»، في (م) و(ع): «أاستشقوا ثرى».

(١٨) عبارة «ما بين» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٩) معدى ومعدى مصدران مميّان من عدا وغدا، والمصدر الميمي يدل على ما يدل عليه المصدر العادي؛ أي: ما بين عَدُوٍّ وَعَدُوٍّ.

(٢٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

العالم^(١) الفرداء، [١٨٥ب] حينئهم بالمنحنى يزيد أشواقهم لهباً^(٢) ووقداً، يا حسنهم في حلة الأشواق وقد توجوا بهاء^(٣) ومجداً، تواجدوا على أرض الأدب وتزايدوا شكراً وحمداً، ساعدهم التوفيق فهمي^(٤) عليهم غيث القبول جوداً، إذا التهبت أبادهم عادت عليهم الأشواق سلاماً وبرداً، نصبوا شباك الفكر لطير المعارف فصادوه صيداً، يهيج سماعه شجون المحب وزاد نار أشواقهم^(٥) لهباً ووقداً، ما أحلى أيام الوصال بدءاً وعوداً، والمطرود^(٦) كلما رام التقرب ازداد بعداً، حسناته ذنوب يسام أبداً هجراً وطرداً، فيا معشر السالكين جددوا بالإخلاص عهداً، نسيم الإخلاص له عطرية عمّت العنبر^(٧) والندى، فيا من غره^(٨) الإمهال حتى ولى الشباب وما أجدى، نسيت ملك الموت وكيف تُلحد في القبر لحداً، وهول السؤال وضمة تهد عظامك^(٩) هداً، وتحشر ليوم تسمع^(١٠) المنادي فيه سحقاً وبعداً، ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ **يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ** **وَسَّوُا الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا**^(١١).

إلهي ما حيلتي والهوى قاذني لحيني، و^(١٢) كيف أسلك على الجادة وحب الدنيا سود قلبي وعيني، و^(١٣) كم أتوب ثم أعود وأمزج يميني بيمين^(١٤)، تكدر عيشي مذ حال^(١٥) القضاء بينكم وبينني، لو ساعدني التوفيق أطلق أسري وقضى ديني، [١٨٦] كم أتحسر على سوء حالي من ساعة جفوة أو يوم بين، أين أهل الأحزان تغالوا نتشاكى ما نالنا من البين، سامنا بعداً وهجراً فمن يحمل الخطيئتين^(١٦)، من يسلي قلب المحزون إذا هجروا^(١٧) ولو ملك الخافقين^(١٨)، من أحق مني بالبكاء معشر المذنبين وتقريح الوجنتين، توالى^(١٩) أيام الشباب في الغفلة وفي المشيب يُقضى دين بدین، سيظهر إفلاسك إلى متقاضي الموت بكل عين، من شرب بكأس^(٢٠) الأمل شربة هلك فكيف^(٢١) بشريتين، بينما^(٢٢) المغرور في ركائب الغفلة وفي

(١) في (م) و(ع): «العلم».

(٢) في (م) و(ع): «ثناء».

(٣) هَمَّت عينه: صَبَّت دمعها، وكذلك كل سائل من مطر وغيره. ابن منظور، اللسان، «همى»، ٣٦٤/١٥.

(٤) في (م) و(ع): «شوقه».

(٥) في (م) و(ع): «غرم».

(٦) في (م) و(ع): «يسمع».

(٧) في (م) و(ع): «أعضاء».

(٨) سورة مريم، آية ٨٤ إلى ٨٦.

(٩) في (م) و(ع): «هجر».

(١٠) المَيِّن: الكذب. ابن منظور، اللسان، «مين»، ٤٢٥/١٣.

(١١) في الأصل: «نال»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «هجر».

(١٣) الخافقان: المشرق والمغرب. الفيروزآبادي، القاموس، «خفق»، ص ١١٣٦.

(١٤) في (م) و(ع): «تولت».

(١٥) في (م) و(ع): «كيف».

(١٦) في (م) و(ع): «بيناً».

المشيب^(١) أصابه سهم الموت فأعمى منه المقلتين، كم نهبت الأيام أعمارهم^(٢) وأغفلتهم الشهوات بلين^(٣)، أما علموا أن الأعمال^(٤) تحصى بديوان وشاهدين^(٥)، لسانه يملي ويده^(٦) تكتب وأذناه تعي بمنظر من العين، وقلب يصحح كل^(٧) ذلك بحضور الملكين، أما يذكر يوم غربته ويوم رسمه ويعلم الحاليتين، كيف يخلص إلى ساحل التوبة من هو في^(٨) الغفلة والتسوية في لجتين^(٩)، وملك تنهافت^(١٠) على^(١١) الحرام كالفراش على الحين، أعماك حب المال والجاء متى يشرق البدر وهو محجوب بسحابتين، تتزيا بالرياء وتسبل من المزيلة والمخيلة^(١٢) ذؤابتين، أما تعلم ويحك من تخادع أما هو لك نصب عين، ظاهره كصفة الصالحين وباطنك مشحون بكل شين^(١٣)، وسعت أكمالك لتوسيع^(١٤) دنياك وبينك وبين الآخرة بعد المشرقين، [١٨٦ب] ليت شعري لأي شيء سهرت^(١٥) في الدروس لتحصل شهوة أو شهوتين، وسعت فُرج الشهوات لتجمع^(١٦) الحطام ونسيت من يناديك أنت بعيني، يومك يطوي رحلة^(١٧) وليلك أخرى وكيف يرجو البقاء من يطوى بالرحلتين، تطلب الرفعة في المجالس وأنت بهواك قرير عين، هب لو سجد لك الخلق طرّاً كان^(١٨) ماذا أليس يبيع المنون حماك بعد صون^(١٩)، وترحل عما جمعت وينساك صفي^(٢٠) العيش وقرة العين، وتبدو^(٢١) لك

- (١) عبارة «وفي المشيب» ساقطة في (م)، وفي (ع) زيادة: «يقضى دين بدين».
- (٢) في (ع): «أعمارها».
- (٣) في (م) و(ع): «ولون».
- (٤) في (م) و(ع): «الأنفاس».
- (٥) الشاهدان هما الملكان اللذان يتلقيان عمل الإنسان: أحدهما عن اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات.
- (٦) في (م) و(ع): «ويده».
- (٧) في (م) و(ع): «وكل».
- (٨) في (م) و(ع): «من».
- (٩) لُج البحر: الماء الكثير الذي لا يُرى طرفاه، وجمعه لُجَج ولُجَاج. ابن منظور، اللسان، «لجج»، ٢/ ٣٥٤. وقد شبه الغفلة والانغماس فيها بلُجَّة البحر في هولها.
- (١٠) عبارة «ويلك تنهافت»، في (م) و(ع): «ويحك كيف تتعاقب».
- (١١) في الأصل: «عن»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) المزيلة: المفارقة، والتزاييل: التباين، وتزاييل القوم تزايلاً: تفرقوا. ابن منظور، اللسان، «زِيل»، ١١/ ٣١٧. وخايله: فاخره، وتخايلوا تفاخروا. وقد أخالت السماء وخايلت، وسحابة مخيلة: إذا رأيتها خلتها ماطرة. وأخال عليه الشيء: أشتبه وأشكل. الزمخشري، أساس البلاغة، «خيل»، ص ١٨٠.
- (١٣) الشَّيْن: العيب. ابن منظور، اللسان، «شين»، ١٣/ ٢٤٤.
- (١٤) في (م) و(ع): «لتوسع».
- (١٥) في (م) و(ع): «شهرت».
- (١٦) عبارة «الشهوات لتجمع» في (م) و(ع): «التأويل لجمع».
- (١٧) في (م) و(ع): «مرحلة».
- (١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٩) في الأصل: «صين»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «صفا».
- (٢١) في (ع): «ويبدو».

فضائح ما قدمت والأمر غير هين، تذكر ويحك تعقر خدك في التراب ما ينفعك بلوغ
الشعرين^(١)، كم قدمت لغيرك من مقدمات^(٢) رياء وسمعة وأنت^(٣) في القبر ترى القبيحتين،
زينة العالم حلّة العمل والزهد وأهلاً بهما من حلتين، محل الإخلاص في يد العالم وعلمه
موزون بكل وزن^(٤)، تردى بالخشوع وتزيا بالخضوع وأشتهر بالصدق في كل كون، لله طيب
أحوال السالكين إذا تذكروا^(٥) أيام الأبرقين، كم لهم من علوم و^(٦) معارف عند مشاهدتهم
العلمين^(٧)، لو رأيت أشواقهم في الدجى إذا نزلوا الرقمتين، تراه من الوجد^(٨) والسماع في
جنتين، ما أحلى صياح الثائب طلعتة تزان عند الملك بغرتين^(٩)، إذا قام الثائب للتوبة حقت به
الملائكة تقبل منه^(١٠) الوجنتين، ويهتز العرش وتتزين^(١١) جنة المأوى وجنة عدن، [١٨٧]
وينادي الحق تعالى^(١٢) صالحني عبدي سأمنحك^(١٣) عوني وعوناً إلى عوني^(١٤)، فبادروا

- (١) الشعرى: كوكب نير يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعران العبور التي في الجوزاء،
والغيمصاء التي في الذراع. ابن منظور، اللسان، «شعر»، ٤١٦/٤.
- (٢) في (م) و(ع): «مقدمة».
- (٣) كلمة «أنت» ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) عبارة «محل الإخلاص.. إلخ» ساقطة في (م)، وفي (ع): «بكل حلتين».
- (٥) في (م) و(ع): «ذكروا».
- (٦) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) العَلَم: الجبل. ابن منظور، اللسان، «علم»، ٤١٦/١٢. ولعله يقصد بالعلمين جبلي مكة: أبي قبيس،
والأحمر، واللذين وردا في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت
لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟» فقال: «لقد لقيت من قومك،
وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة [وهو اليوم الذي وقف ﷺ عند العقبة التي بمنى، داعياً الناس إلى
الإسلام فما أجابوه وأذوه] إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت.
فأنطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب [هو قرن المنازل: ميقات أهل نجد تلقاء
مكة، على يوم وليلة]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلّنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني،
فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا
ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [هما
جبل مكة: أبو قبيس والجبل الذي يقابله] فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
من يعبد الله وحده، لا يُشرك به شيئاً». مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ
من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث (١٧٩٥/١١)، ١٤٢٠/٣.
- (٨) في (م) و(ع): «الشوق».
- (٩) الثَّوْر: بياض في الجهة، وغرة الرجل طلعتة ووجهه. ابن منظور، اللسان، «غرة»، ١٤/٥، ١٦.
- (١٠) في الأصل: «من»، وهي من (م) و(ع).
- (١١) في (م) و(ع): «وتزينا».
- (١٢) في (م) و(ع): «سبحانه».
- (١٣) في (م) و(ع): «سأمنحه».
- (١٤) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله ﷻ:
«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني». والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة،
ومن تقرب إلي شبراً، تقرب إلي ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً، تقرب إلي باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي، =

إخواني فما خلقتكم سدى، ﴿فَلَا تَعْمَلْ عَلَيْهِمْ إِثْمًا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ (٨٥) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ أَهَلَّ (٨٥) وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا.

عبد الله بن غالب رحمه الله تعالى... تقدمت حكايته (١). شعر (٢):

هتفت وزقاً على غصن^(٣) تغني
صاح بي عند ذهولي ذكرها
إن تُرد علم الهوى عن صحة
يا حمام الأيك عن أخبارهم
كرّر^(٥) الأخبار يا راويها
لي فؤاد ضل^(٦) في وادي الغضا
قال للجسم وقد فازقه
أضرم الوجد بقلبي جمرة
أتمنّاهم على طول المدى
وأرجي عودة بعد النوى^(١١)
يا أخلّاني على الخيف لقد

ذات شجوا أخذت في كل فن
يا مُعَنّي بالهوى إياك أعني
خذ أحاديث الحمى^(٤) عني ومني
إن تحدّثت بها يوماً فزذني
ومتى ما عن شوقي فأعني
عندهم خلفته لم يتبعني
ها هنا أبقى^(٧) فسرّ عني^(٨) ودغني
عجباً لم يُظفِها طوفان عيني
قلماً^(٩) يجدي على القلب^(١٠) الثمني
والليالي أخلفتني^(١٢) حسن ظني
كان لي من قربكم جنة^(١٣) عذن

[بحر الرمل]

= أقبلت إليه أهول. مسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، رقم الحديث (٢٦٧٥/١)، ٢١٠٢/٤. وكذا للحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إن عبداً أصاب ذنباً - وربما قال أذنب ذنباً - فقال: رب أذنب ذنباً - وربما قال أصبت - فأغفر لي. فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً - أو أذنب ذنباً - فقال: رب أذنب ذنباً - أو أصبت - آخر فأغفره، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً - وربما قال أصاب ذنباً - قال: قال رب أصبت - أو أذنب ذنباً - آخر فأغفره لي. فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء». البخاري، الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا﴾.. إلخ. رقم الحديث (١٣٢)، ٢٥٩/٩.

(١) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل العشرين.

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٣) في (م) و(ع): «فتن».

(٤) في (م) و(ع): «الهوى».

(٥) في الأصل: «كون»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «ظل».

(٧) في الأصل: «بقي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) عبارة «فسر عني»، في (م) و(ع): «فودعني».

(٩) عبارة «على القلب»، في (م) و(ع): «عن الصب».

(١٠) في (م) و(ع): «أخلفت لي»، وفي (ع): «أخلفت»، وهو تصحيف.

(١١) في (م) و(ع): «جنات».

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي جعل المعرفة للعارفين دليلاً وأنساً، ففهموا سره معنى وجسماً، عرفهم أسماءه تعالى^(١) وأزال عنهم بمعرفتها شكاً ولُبساً، قسم أرزاق المرزوقين وأحصاه ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾^(٢)، [١٨٧ب] شَرَّفَ صورة الإنسان وأبدع فيه^(٣) روحاً وعقلاً ونفساً، وسخر له الأكوان ومن فيها نوعاً وجنساً، أعطاه قبل السؤال وعَلَّمَ علمه إلهاماً ودرساً، جعل الآخرة^(٤) دار بقاء والدنيا سجنًا^(٥) وجسماً، أدار عليه الأفلاك ورتب فيها قمرًا وشمسًا، لِيُعْلَمَ بدورانه حكمته إذا أصبح وإذا أمسى، بسط^(٦) الأرض مهاداً وأعد له منها رمساً، أجرى سفينة عمره في بحار^(٧) الحياة فإذا بلغ ساحل الموت أرسى، يحاسب^(٨) على الصغيرة والكبيرة نظرة أو لسمًا، في يوم عظيم يندم فيه من باع آخرته بخسًا، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٩)، فسبحان من جعل أقداره قلما والوجود لنفوذ طرسًا^(١٠)، أحمدته حمداً أنال به من حضرة القدس قدساً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها إذا أفردت في اللحد وأنسى، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى الخلائق جنًا وإنسًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما أصبح صباح وليل أمسى.

فسبحان^(١١) من طيع على^(١٢) قلوب الغافلين حتى آلت^(١٣) إلى العطب، ويح الهائمين في قفار المعاصي متى أراهم يخرجون إلى المتاب وبحر^(١٤) الطلب، تزينت لهم الدنيا في [١٨٨] ثوب الأصيل المذهب، فذلوا في طلبها ذل الأسود لثعلب، قادتهم شهوات^(١٥) البطن والفرج إلى الأمر الكريه الصعب^(١٦)، كم زجرهم^(١٧) زاجر الموعظة^(١٨) بكل معنى مُقَرَّب، حال سقامهم حال قلب^(١٩) قُلَّب، ناموا عن المقصود حتى صاح بهم^(٢٠) الجِمام فما لهم من

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) قوله: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة طه، آية ٥٢.

(٣) في (م) و(ع): «فيها».

(٤) في (م) و(ع): «سجنًا له».

(٥) في (م) و(ع): «سجنًا له».

(٦) في (م) و(ع): «بحر».

(٧) سورة طه، آية ١٠٨.

(٨) الطرس: الصحيفة. الفيروزآبادي، القاموس، «طرس»، ص ٧١٣.

(٩) في (م) و(ع): «سبحان».

(١٠) عبارة «حتى آلت»، في (م) و(ع): «فألت».

(١١) في (م) و(ع): «شهوة».

(١٢) في (م) و(ع): «زجر لهم».

(١٣) عبارة «حال سقامهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «و حال شقائهم ما حال إلا إلى قلب».

(١٤) كلمة «وبحر»، في (م) و(ع): «بجد».

(١٥) في (م) و(ع): «الوعظ».

مهرب، ما أنتبهوا إلا وقد نقلوا إلى لحد^(١) في غيب، قلقوا عند معاينة الأهوال وليس لرجوعهم^(٢) من سبب، ضحكت بهم الأموال^(٣) ضحك البروق الخلب، يا أخي إذا^(٤) عزمت على سفر التوبة رافق المحزونين لثلا تتعب، كثر زاد التقوى وعليكم^(٥) بعيون تسكب، لا تنقطع عن محامل المجتهدين^(٦) ولازم قلب المركب^(٧)، معرفة النفس كثر وكم على كثر^(٨) من معطب، فإن ضعفت عن السلوك^(٩) فأعزم على النفس عزمة من لم يكذب، خفف يسيراً من حمل المجاهدة ولا بأس بحمل القليل الطيب، جدّ في سير المجتهدين^(١٠) ورد ماء السحر فهو عذب المشرب، إن رافقت قوام الأسحار و^(١١) ساعدوك فكم لهم من^(١٢) شفاعة في مذب، لا يشقى بهم جليسهم في مشرق ومغرب، ولو شممت عاطر دموعهم لشممت ثرى يثرب، أجمل حلل الثائب^(١٣) النحول فعل الأبق المذب، ويحك تطلب معرفة^(١٤) العارفين بلا علم ولا أدب، وتريد منازل الصالحين وأنت لمثلها لم تُحبّب، ضيعت أيام الشباب في طلب الشهوات [١٨٨ب] من سبب إلى سبب^(١٥)، وفي الكبر تلهو عجباً لمن يلهو ورأسه أشيب^(١٦)، ما كل من سافر وصل ولا كل من طالب^(١٧) بلغ المطلب، من ساعده التوفيق أورثته السعادة ما لم ينله من أم وأب، وادي الدنيا^(١٨) مجذب ووادي الآخرة مُخصب والعيش في المخصب، لو غرس الحنظل في وسط دجلة لم يطب ولم يعذب، حظ المهجور من وصال الأحباب^(١٩) حظ المبعود المتعب^(٢٠)، ما وصلوا إلى راحة المنى^(٢١) إلا بعد تعب متعب، غضوا أبصارهم عن الفضول فهي^(٢٢) في صحائفهم لم تكتب^(٢٣)، سجنوا ألسنتهم في سجن الصمت فما لها من

(١) عبارة «إلى لحد»، في (م) و(ع): «إلى غيب من القبر». والغيب: الظلمة. ابن منظور، اللسان، «غيب»، ٦٥٣/١.

(٢) في (م) و(ع): «لرجعتهم».

(٣) في (م) و(ع): «الآمال».

(٤) في (م) و(ع): «إن».

(٥) في (م) و(ع): «عليك».

(٦) في (م) و(ع): «المجتهدين».

(٧) في (م) و(ع): «الركب».

(٨) عبارة «سير المجتهدين»، في (م) و(ع): «سرى المجتهدين».

(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) عبارة «فكم لهم من»، في (م) و(ع): «وكم لهم».

(١١) في (م) و(ع): «التائبين».

(١٢) عبارة «من سبب إلى سبب»، في (م) و(ع): «من سبب لسبب». والسبب: القفر والمفاضة. ابن منظور، اللسان، «سبب»، ٤٦٠/١.

(١٣) عبارة «وفي الكبر... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «طلب».

(١٥) في (م) و(ع): «المحبوب».

(١٦) في (م) و(ع): «المناخ».

(١٧) في (م) و(ع): «يكتب».

(١٨) في (م) و(ع): «الدجى».

(١٩) في (م) و(ع): «والمتعب».

(٢٠) في (م) و(ع): «فهو».

هرب^(١)، حصنوا فُرج^(٢) فروجهم بالتقوى في المأكل والمشرب، حاسبوا أنفسهم^(٣) بمستوفي الورع خيفة الحساب المتعيب، أسماهم موقورة بالوقار ولسان حالهم لم يكذب، همهم صادقة ومحبوهم عن قلوبهم لم يحجب، ولوعهم بذكره وكم قطعوا إليه من سبب، دلّوا عليه دلالة المحب^(٤) المعجب، أناموا الغفلة وأيقظوا التيقظ ووجه توجههم غير منقلب^(٥)، كم لهم على^(٦) منادمة الدجى وكم لهم في روضة السحر من شرب^(٧)، وجه إقبالهم للحبيب وجه غير محجب، هذه صفة^(٨) القوم فإن كنت منهم فانتسب، هيهات أين التقوى^(٩) وأين من خده^(١٠) بالدموع مخضب، أين الصيام والقيام وأين الورع في^(١١) المكسب، أين الصدق في [١٨٩] المعاملة وأين الرضى في وقت الغضب، أين الصلاح^(١٢) والخشية ودموع عين تسكب، أين الهموم والأحزان على فوات المطلب، شغلت وقتك^(١٣) بالحرمان وبذكر سعدى^(١٤) وزينب، أين الأسف على الفائت عجباً لحديثك كل العجب، ما أرادوك فأبعدوك عن الخيام^(١٥) والمضرب^(١٦)، لا تبرح عن بابهم وأسق بدمعك تربهم عسى وادي الوداد يكون^(١٧) بمنزلة المخصب، لا بد من عطفة الحبيب وإن جفا فالتزم صفات المسيء المذنب، تعلق بعتبات^(١٨) الدار وقل حبيبي سؤالي^(١٩) ومطلبي، إن طردتني عن بابك فلن أروح و^(٢٠) أنت أرحم بي^(٢١) من الأم والأب^(٢٢)، معشر الفقراء طاب السماع فأطربوا فبعداً لمن لم يطرب، أفرحوا بمولاكم وطيبوا بذكره على السماع المطرب^(٢٣)، جانبوا أهل الرياء فماله^(٢٤) في رحبه من

- (١) في (م) و(ع): «مهرب».
 (٢) في (م) و(ع): «فروسهم».
 (٣) في (م) و(ع): «نفوسهم».
 (٤) في (م) و(ع): «منقلب».
 (٥) في (م) و(ع): «شرب».
 (٦) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٧) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٨) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٩) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٠) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١١) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٢) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٣) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٤) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٥) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٦) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٧) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٨) في (م) و(ع): «الشراب».
 (١٩) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٢٠) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٢١) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٢٢) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٢٣) في (م) و(ع): «الشراب».
 (٢٤) في (م) و(ع): «الشراب».

مرحب، ما أجمل صباح^(١) الثائب وأنين الفقير وحنين المحب سعيه غير مخيب، فبالله يا أخي جدد أنسك بمولاك عساك تزداد أنساً، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.

قال أبو فروة السائح^(٢) رحمه الله تعالى - وكان من العاملين لله ﷺ^(٣) بمحبته -: «بينما^(٤) أنا أطوف في بعض الجبال إذ سمعت صدى جبل فقلت: إن هنا لامراً ما، فأتبع الصوت فإذا أنا بهاتف يهتف وهو يقول^(٥): يا من آنسني بذكره، وأوحشني [١٨٩ب] من خلقه، وكان لي عند مسرتي، أرحم اليوم غربتي، وهب لي من معرفتك ما أتقرب به إليك يا عظيم الصنعة إلى أوليائه، أجعلني اليوم من أوليائك المتقين، ثم صاح صيحة فأقبلت نحو الصيحة^(٦)، فإذا بشيخ مغشى عليه وقد بدا بعض جسده، فسترته ثم لم أزل عنده حتى أفاق، فقال لي^(٧): من أنت رحمك الله تعالى^(٨)؟ فقلت: رجل من بني آدم. قال: إليكم عني، منكم^(٩) هربت. قال: ثم بكى وقام فأنطلق وتركني. فقلت: رحمك الله دلني على الطريق، فأوماً بيديه^(١٠) إلى السماء ﷻ^(١١). شعر^(١٢):

كم للحمائم فوق الدُّوح ألحان
يشدو وينشد وجه الصَّبِّ من وَلَوِ
مني ومنها إذا جَنَّ الظلام على
مشيت^(١٣) زهوا وإني فيك^(١٤) مختبل
خذي حديثي أو هات الحديث ففي
لولا مخافة أن أضلّي بنار هوى
ولي^(١٦) فتاة أجادتني^(١٧) الغرام بها

من أجل تلك المغاني يرقص البان
إلى الحمام على الأشواق أعوان
كأس الصَّبابة ندمان وإدمان
وتهتّ صَخُوا وقلبي فيك^(١٥) نشوان
رَجَّع الأحاديث للنشوان سلوان
لعاد سرّ غرامي وهو إعلان
قراءة وآفات^(١٨) الوصل هجران

- (١) في (م) و(ع): «حلة».
- (٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٣/٤. وأبو فروة يقال له أيضاً أبو قرة. ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ١٠٣/٢٩.
- (٣) في (م) و(ع): «تعالى».
- (٤) في (م) و(ع): «بينما».
- (٥) عبارة «وهو يقول» ساقطة في (م) و(ع).
- (٦) في (م) و(ع): «الصرخة».
- (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) عبارة «رحمك الله تعالى»، في (م) و(ع): «يرحمك الله».
- (٩) في (م) و(ع): «فمنكم».
- (١٠) في (م) و(ع): «بيده».
- (١١) عبارة «رحمه الله»، في (م): «رضي الله تعالى عنه».
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «ومشت».
- (١٤) في (م) و(ع): «منك».
- (١٥) في (م) و(ع): «منك».
- (١٦) في (م) و(ع): «وبي».
- (١٧) في الأصل: «آيات»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) في الأصل: «آيات»، والتصويب من (م) و(ع).

إِنْ أَتَهَّمْتَ ففؤادي^(١) غير متهَم
 أَوْ أَنْجَدْتَ أَنْجَدْتَنِي أَدْمَعِي وَمَعِي
 عَجِبْتُ مِنْ جَمْرٍ وَجَدِي فِي تَلْهُبِهِ
 وَأَدَّعِي وَحِشَةً مِنْهُمْ إِذَا بَعُدُوا
 هُمْ بِذِكْرِي بَسْتَانِ نَزَاهَتِهِ
 وَهُمْ أَحَبَّةٌ^(٣) قَلْبِي حَيْثَمَا^(٤) سَلَكَوا
 بِاللهِ يَا صَاحِبِي نَجْرَانِ^(٦) عَلَّكَمَا

فِي حُبِّهَا وَهُوَ بِالْأَشْوَاقِ مَلَّانٌ
 وَجَدِي الْمَقِيمِ وَمَا لِلصَّبْرِ وَجْدَانٌ
 لَمْ يُظْفَهِ مَاءُ دَمْعِي^(٢) وَهُوَ طُوفَانٌ
 وَهُمْ وَحَقُّ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ سَكَّانٌ [١٩٠]
 فِيهِ وَلِي مِنْهُمْ بِالذِّكْرِ بَسْتَانٌ
 وَهُمْ أَحْبَاءُ قَلْبِي حَيْثَمَا^(٥) كَانُوا
 أَنْ تَسْأَلَا بِأَنَّهُمْ عَنِّي مَتَى بَانُوا
 [بحر البسيط]

إلهي لطيب المرضي إجازة الوصف وإن كان عليلاً، وها أنا أرجو من نوالك إجازة الصفح
 عن الذنوب يا علام الغيوب، لي وللسامعين ولجميع المسلمين^(٧) يا أرحم الراحمين،
 وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً كثيراً^(٨).



(١) في الأصل: «فؤادي»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) في (م) و(ع): «عيني».

(٣) في (م) و(ع): «أحباء».

(٤) في (م) و(ع): «أينما».

(٥) في (م) و(ع): «أينما».

(٦) نجران: من مخاليف اليمن من ناحية مكة، وبها كان خبر الأخدود، وإليها تنسب كعبة نجران. صفي الدين البغدادي، مرصد الاطلاع، ١٣٥٩/٣.

(٧) في (ع) زيادة: «برحمتك».

(٨) عبارة «وصلى الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الثاني والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي رسم^(١) المحدثات بالفناء^(٢) وبقاؤه تعالى^(٣) دائم لا يبديد، أستغنى في أفعاله عن الأعوان والأنصار والعبيد، قهر العالم بالتدبير وثبّطهم^(٤) بالتقدير ولا يكون في ملكه إلا ما يريد، فتح خزائن أسرار العارفين لمعرفته^(٥) فكم من مراد ومريد، أباح أنسه للمجتهدين وقرب إليهم الطريق والبعيد^(٦)، أختص بقربه من أراد بغير^(٧) وسيلة فطالعه بالسعادة سعيد، وأبقى المطرود^(٨) في تيه الشقاء كالغريب الحزين الوحيد، أنسه همومه فاته المطلوب فيا له من فقيد، هيهات ما ينفع بعد الموت^(٩) البكاء ولا التفريد^(١٠)، حسنات المبعود ذنوب وإقباله إدبار فiale من طريد، هذه أحكام الأقدار جُدد في كل يوم جديد، يُقرب ويُبعد ويشقي ويسعد و^(١١) ليس في فعله [١٩٠ب] ترديد، فالخيرة فيما أختار والإرادة فيما يريد، فما الحيلة في السوابق^(١٢) فيما يجري على العبيد، لازم العبودية وسلّم ما تريد لما يريد^(١٣)، فأسرار الأقدار^(١٤) لا تنال إلا بصفاء التوحيد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١٥).

يا هذا الملك يحثك على التوبة وما لك همّة، والشيطان يدعوك إلى الشهوة^(١٦) وكم لك إليها من عزمة، لو كان لقلبك حس رأى قبح الهوى فذمه، كم تستلين فراش الغفلة أما تذكر ضيق القبر وضّمّه، ما أجمل وجه الوصل وأحلى وقته وأتمه، يا من يأتي المعاصي هرولة ألم^(١٧) تر اللّمة^(١٨)، إذا سعت إلى المتاب^(١٩) سعت حبواً و^(٢٠) ليلة القبر مدلهمة، سارع إلى

(١) في (م) و(ع): «وسم». ورسم الغيث الديار: عفاها. الفيروزآبادي، القاموس، «رسم»، ص ١٤٣٨.

(٢) في الأصل: «الفضاء»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٤) ثبّطه عن الأمر: عوّقه، كَثَبَطَه. الفيروزآبادي، القاموس، «ثبّط»، ص ٨٥٢.

(٥) في (م) و(ع): «للمعرفة». (٦) في (م) و(ع): «وقرب لهم البعيد».

(٧) في (ع): «من غير». (٨) في (م) و(ع): «المحروم».

(٩) في (م) و(ع): «الفوت».

(١٠) عبارة «ولا التفريد»، في (م) و(ع): «والتعديد». والتفريد: الصوت، وغرّد الإنسان رفع صوته وطرب.

ابن منظور، اللسان، «غرد»، ٣/ ٣٢٤.

(١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٢) عبارة «للمعرفة» ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) سورة ق، آية ٣٧.

(١٤) في (م) و(ع): «أما».

(١٥) اللّمة: الشدة. الفيروزآبادي، القاموس، «لمم»، ص ١٤٩٦.

(١٦) عبارة «إلى المتاب»، في (م) و(ع): «للمتاب». (١٧) الواو ساقطة في (م) و(ع).

التوبة^(١) قبل أن يصرك المنون^(٢) وتشرب كاس^(٣) نغمة، إذا^(٤) صفا زيت النية أشرق سراج العزم وذهبت الظلمة، يا من كان له قلب^(٥) موصول فهجر قف على باب الدجى عسى عطفة رحمة^(٦)، جُز بوادي التهجد ما ألد^(٧) حادي تلاوتهم ما^(٨) أبدع نثره ونظمه، فذكر^(٩) الحبيب يذيب النفوس وكم لهم من أنة بعد أنة، تسمّع ويحك نغم أهل الحي ما^(١٠) ألذا من نغمة، ما زالت الهواجر والدواجي يُبليان^(١١) كل من له عزمة وهمة، فديت طُراق الدجى كم لهم على بابه من زحمة، أستعذبوا شراب راهب تلاوته^(١٢) وذكر محبوبهم وأسمه، فهم على بابه ما برحوا وتعلقت [١٩١] به الهمة^(١٣)، وباعوا في محبته^(١٤) نفوسهم وزالت الحشمة، فديت الفقراء العارفين لأنهم^(١٥) نالوا من هذا الشراب أوفر^(١٦) قسمة، تاهوا عن الأكوان وأنقادوا إلى المحبة بألطف أزمة، الكون كونهم والديار ديارهم فواجدهم^(١٧) في زمن الرضى أمة، فديت العارفين كم لهم من زحام على باب المجاهدة وهجمة، لازموا الباب حتى فتح وزاحموا بالهمم أتم زحمة، جلسوا على بساط الأنس لهم حياء وحشمة، غضوا أبصارهم عن الشهوات وإن تحرك منهم الطبع فهم في أشد همة^(١٨)، فديت التائين كم لهم من صبر على جهاد التقوى وعزمة^(١٩)، ما صاحوا حتى باحوا^(٢٠) فأنفجرت لهم قُرج الغمة، أذابوا الأجساد وعليهم من الخشية حرمة، معشر العارفين إليكم أشير لا إلى الأعمى والأكمه، طيروا إلى أكوان الدجى ففيه^(٢١) مرعى خصيب لمن أمه، أشجار عرفانها ظليلة ونغم أطيارها بلا عجمة، نهر فيحها^(٢٢) سلسيل وتربتها عنبر طوبى لمن نال منه لثمة، فيها^(٢٣) آثار المحبوب وما أحكمه

-
- (١) عبارة «إلى التوبة»، في (م) و(ع): «للتوبة»
 (٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
 (٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
 (٤) في (م) و(ع): «عسى رحمة».
 (٥) في (م) و(ع): «يا من كان قلبه».
 (٦) في (م) و(ع): «أبدع».
 (٧) في (م) و(ع): «تذكر».
 (٨) عبارة «أهل الحي ما»، في (ع): «أهل الحق فما».
 (٩) عبارة «والدواجي يبليان»، في (م) و(ع): «والدياجي يبليان». ويلاه الله وابتلاه أي اختبره. ابن منظور، اللسان، «بلي»، ٨٤/١٤.
 (١٠) في (م) و(ع): «تلاوة».
 (١١) عبارة «فهم على بابه.. إلخ»، في (م) و(ع): «أنفقوا عليه ما ملكوا وما تعلقت به اللفة».
 (١٢) في (م) و(ع): «شربة».
 (١٣) في (م) و(ع): «أوفى».
 (١٤) عبارة «تحرك.. إلخ»، في (م) و(ع): «تحرك لهم الطبع فهمه».
 (١٥) كلمة «وعزمة» ساقطة في (م) و(ع).
 (١٦) عبارة «طيروا.. إلخ»، في (م) و(ع): «طيروا إلى أوكار الثلى ففيها».
 (١٧) في (م) و(ع): «فيحها».
 (١٨) في (م) و(ع): «فيه».

من حكمة، فَطِرٌ والتقط وأشرب وأطرب فيا له من نعيم ويا لها من نعمة، فيا مضيقاً وقته في الغفلة أين كنت من^(١) هذه القسمة، عَمَى الهوى^(٢) بصرك والبصيرة فأنت في غمة بعد غمة، فبعت النفس^(٣) بشهوة البطن والفرج يا خسيس الهمة، قادتك الشهوات إلى المعاصي وهتك^(٤) ستر الحرمة، ستعلم إذا خرّس اللسان^(٥) [١٩١ب] ما أقول نشره ونظمه، فإلى أي يوم تدخر التوبة أما تقوم إليها قومة، إذا لم يهزك وعظي ففي عقد عقيدتك تهمة، ستجرع والله كأس الأسف وتعود عليك النعمة عليك نقمة^(٦)، فالسعيد يا أخي من يتيقظ^(٧) قبل الرحيل فيا^(٨) له من سعيد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

أحمد بن عبد الله الخزاعي رحمه الله تعالى قال^(٩): «حدثني رجل من أهل الشام أنه دخل كهفاً^(١٠) في ناحية من^(١١) طريق الناس فإذا هو بشيخ مكبوب على وجهه وهو يقول: إن كنت أطلت جهدي في الدنيا^(١٢)، وتطيل^(١٣) شقائي في الآخرة، لقد أسقطتني من عينك وأهملتني أيها الكريم. قال: فسلمت عليه، فرفع رأسه وإذا دموعه قد بليت الأرض، فقلت: ألم تكن الدنيا لكم واسعة، وأهلها لكم أناس؟ قال: بل هربت منهم ومن إيناسهم لأن في صحبتهم الهلكة. فلما رأيت من عقله ما رأيت قلت: رحمك الله، فأنت أعزلت من الناس^(١٤)، وأغربت نفسك^(١٥) في هذا الموضع. فقال: وأنت يا أخي فحيثما ظننت أنه أقرب لك إلى الله ﷻ^(١٦) فأبتغ إلى ذلك سبيلاً، فإن تجد شيئاً^(١٧) من غيره عوضاً. قال: قلت: فالمطعم والمشرب^(١٨)؟ قال^(١٩): أجد ذلك عند الحاجة إليه، إذا أردت ذلك فَنَبِتَ الأرض وقلوب الشجر. فقلت^(٢٠): ألا أخرجك من هذا الموضع فأتني بك أرض الريف^(٢١) والخصب. قال:

-
- (١) في (م) و(ع): «في».
 (٢) عبارة «فبعت النفس»، في (م) و(ع): «فبعت». (٤) في (م) و(ع): «وهتكت».
 (٥) عبارة «خرّس اللسان»، في الأصل: «مرض»، والتصويب من (م) و(ع).
 (٦) عبارة «وتعود.. إلخ»، في (م) و(ع): «وتعدوا عليك النعم نقمة».
 (٧) في (م) و(ع): «يتيقظ». (٨) في (م) و(ع): «يا».
 (٩) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٤/٤، وإنما قال: «محمد بن أبي عبد الله الخزاعي قال».
 (١٠) في (م) و(ع): «كهف جبل».
 (١١) في (م) و(ع): «دار الدنيا».
 (١٢) في الأصل: «وتطوا»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٣) عبارة «قال بل هربت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
 (١٤) عبارة «وأغربت نفسك»، في (م) و(ع): «واغترت».
 (١٥) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
 (١٦) عبارة «فإن تجد شيئاً»، في (م) و(ع): «فلن يجد متبوعه»، إلا أنه في (ع): «تجد» بدلاً من «يجد».
 (١٧) كلمة «والمشرب» ساقطة في (م) و(ع). (١٨) في (م) و(ع): «فقال».
 (١٩) في (م) و(ع): «قلت».
 (٢٠) في (م) و(ع): «قلت».
 (٢١) الرِّيف: أرض فيها زرع وخصب. الفيروزآبادي، القاموس، «ريف»، ص ١٠٥٣.

فبكى، ثم ^(١) قال [١٩٢] إنما الريف والخصب حيث يطاع الله ﷻ ^(٢)، وأنا شيخ كبير أموت الآن لا حاجة لي بالناس. شعر ^(٣):

يا مَنْ لَصَّبَ أْبَى صَبَّ يُوَافِقُهُ
حَتَّى تَذْكَرَ أَيَّاماً مَضَيْنَ لَهُ
تَهْمَى مُحَاجِرَ عَيْنِيهِ ^(٤) بِأَذْمَعِهِ
وإن تَمَادَتْ بِهِ أَيَّامٌ وَحِشْتُهُ
يَكَادُ مِنْ شَوْقِهِ الْمُضْنِي يَطِيرُ هَوَى
مَالِي وَلِلْبَيْنِ لَمَّا ^(٦) لَذْلِي وَطَنِ
إن تَسْأَلُوهُ ^(٧) سَلَوْاً فَهُوَ أَبْلَهُهُ ^(٨)
فِي أَرْضِ خَدْيِهِ مِنْ دَمْعٍ ^(٩) يَجُودُ بِهِ
يَا سَاكِنِي مِصْرَ لَمْ أَسْمَحْ بِفِرْقَتِكُمْ
وَالله مَا لَذْلِي عِيشَ بِفِرْقَتِكُمْ
وَلَا تَبَيَّنَ لِي مِنْ أَرْضِكُمْ نَفْسٌ
وَلَا يَهَبُ ^(١٢) نَسِيمٌ مِنْ دِيَارِكُمْ
وَلَا يَزُورُ وَسَادِي ظَنيفِكُمْ حُلُمَا

شابت لأهوال ما قاسى مفارقة
بمصر فهو عميد القلب خافقه
إذا تألق فوق الأفق بارقه
فشوقه بسهام الوجد راشقه
إلى أحبته لولا عوائقه ^(٥)
مع صاحب فهو بالتفريق رايقه
وإن أرادوا غراماً فهو حاذقه
تنوّرت في أضيائه شقائقه
عن اختيار وخير القول صادقه
ولا حلا لي بعد البعد رائقه ^(١٠)
إلا وجدت شغاف ^(١١) القلب عالقه
إلا ولي نفس للشوق ^(١٣) ناشقه
إلا وساعد أوطاري تُعانقه ^(١٤)

[بحر البسيط]

يا هذا سور الأعمال جسم والنية روح بها يكون التمام، إذا التأم العلم والعمل ^(١٥) فقد تم النظام، من أراد حرث الدنيا كان ^(١٦) حصاده الآثام، ومن أراد حرث الآخرة حصده دار

(٢) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(١) في (م) و(ع): «و».

(٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «عينه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «مهما».

(٨) في الأصل: «بأذله»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) ورد البيتان - هذا وسابقه - في (م) و(ع) متداخلين على الشكل التالي:

«يا ساكني مصر لم أسمح بفِرقتكم ولا حلالي بعد البعد رائقه»

(١١) عبارة «وجدت شغاف»، في (م) و(ع): «وَحَرَاقَ وَجَدَ».

(١٢) في الأصل و(ع): «تهب»، والتصويب من (م).

(١٣) في الأصل: «الشوق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م): «يعانقه».

(١٥) في (م) و(ع): «والعقل». وقوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعِلِّلَ

صَلِيلًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

السلام^(١)، يا بانيا^(٢) مشيد [١٩٢ب] الآمال^(٣) ما أسرع الانهدام، عمل المرائي كعمل المخلص لكن بينهما في القبول زحام، ذهب المخلص معدني وذهب المرائي مُرْغَب ما له من دوام، عند نقاد الحساب ترى دمه^(٤) على الخدود سجام، لكل عمل قيمة وعمل المرائي لا ينظر إليه ولا يُسام، أعمال المخلص قراضة^(٥) ذهب لا يُركض^(٦) صاحبها ولا يضام، يا من أنفق حاصل عمره^(٧) في تحصيل الآثام، يا من أظلمت عليه طريق المتاب حتى دنا منه الحمام، توالى عليه سكرات^(٨) الغفلة من أكل الحرام، يا من ترك الجادة حتى شاب كم ذا المنام، بياض الشيب وسواد القلب وهمة ما لها أهتمام، يا من تخلف عن الركب حتى ذهب الأحباب وفات الخيام، يا من تعثر في ظلمة المعاصي يا ماشياً في الظلام، يا من كلما طلب القرب أبعد تنبّه فأنت في منام، تماطل بالتوبة^(٩) وتناصف التسويف و^(١٠) يقظتك أضغاث أحلام، أما ترى المنون تُفَرِّق الأحباب وتُسْتَت الانتظام، أما ترى الوجود هدفاً ترميه الأقدار بالسهم، أما ترى الراحلين إلى البلاء بليت أجسامهم و^(١١) وهيت^(١٢) العظام، بدلوا بعد الحركة بالسكون والصمت بعد الكلام، ليت شعري ما الذي شغلهم هل منعوا أم^(١٣) لذ لهم المقام، ما أفصح واعظ قبورهم^(١٤) لذوي الصحة والأسقام، فبادروا التوبة قبل حلول الوعيد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

قال^(١٥) قاسم الجوعي^(١٦) رحمه الله تعالى: «خرجت [١٩٣] حاجباً على طريق الشام، فبينما^(١٧) أنا أسير في الليل إذ غلظت في الطريق، فسمعت ضجة فإذا أنا^(١٨) بجماعة قد مسهم

(١) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا يُؤْتِهِ مِنهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

(٢) في (ع): «فانيا».

(٣) في (ع): «الأعمال».

(٤) في (م) و(ع): «دموعه».

(٥) القراضة: ما سقط بالقرض. الفيروزآبادي، القاموس، «قرض»، ص ٨٤٠.

(٦) في (م) و(ع): «يركس». والركض الضرب بالرجل والإصابة بها. والركس: قلب الشيء على رأسه أو رد

أوله على آخره، ركسه يركسه ركسا. ابن منظور، اللسان، «ركض»، ١٦٠/٧، و«ركس»، ١٠٠/٦.

(٧) في (م) و(ع): «العمر».

(٨) في (م) و(ع): «سفرات».

(٩) في (م) و(ع): «التوبة».

(١٠) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع): «وهنت».

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «قلوبهم».

(١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٥/٤.

(١٦) في الأصل: «الأوزاعي»، وفي (م) «الخشوعي»، والتصويب من (ع). والقاسم: هو القاسم بن عثمان

الجوعي، أبو عبد الملك العبدي الدمشقي الزاهد شيخ الصوفية، صدوق، وكان فاضلاً من محدثي

دمشق، توفي سنة ٢٤٨هـ - ٨٦٢م. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ٣٢٢/٩. الذهبي، تاريخ الإسلام،

حوادث ووفيات ٢٤١ - ٢٥٠هـ، ص ٣٩٧.

(١٧) في (م) و(ع): «فيينا».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

من الغلط مثل الذي مَسَّنِي، وقد وقفوا على رجل من المتعبدین في جبل وهو يبكي ويقول في بكائه: أَتَرَى بَكَائِي نَافِعِي عِنْدَكَ وَمُنْقِذَ رَمْتِي مِنْ نَارِ^(١) جَهَنَّمَ، أَتَرَى إِنَّكَ^(٢) أَخَذَ مِنْ نَفْسِي بِحَقِّكَ وَمَوْبِخَهَا عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ بِمَا ضَيَّعْتَ مِنْ أَمْرِكَ، ثُمَّ صَاحَ: أَوَاهُ لَكُشْفِ سِتْرِكَ عَنِّي، أَوَاهُ لَوْ قُوفِي بَيْنَ يَدَيْكَ يَا سَيِّدَاهُ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِنَّا غَلَطْنَا الطَّرِيقَ فَدَلَّنَا^(٣). فَقَالَ: مِنْ^(٤) لِي وَلَكُمْ بِالْإِسْتِقَامَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا دَلِيلَ الْحَاطِرِينَ^(٥) دَلَّنِي وَدَلِّهِمْ، وَلَا تَحِيرْنِي وَإِيَاهُمْ^(٦). قَالَ: فَكُشِفَ لَنَا عَنِ الطَّرِيقِ، فَسَلَكْنَاهُ وَتَرَكْنَاهُ وَاقِفًا فِي مَوْضِعِهِ. شَعَرَ^(٧):

سَارُوا فَهَلْ لَكَ غَيْرَ الدَّمْعِ مِنْ نَاصِرِ^(٨)
وَمَنْ غَدَا دَمْعُهُ عَوْنًا لَهُ وَلَهَى
لِلَّهِ آيَاتُ^(٩) مُشْتَقَاقٍ وَوَحْدَتِهِ
يَقْضِي لَهُ الْوُجْدَ أَنْ يَقْضِيَ أَسَى وَجَوَى
مَا الْعُذْرُ إِنْ لَمْ تَمُتْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَسْفَاً
يَا سَائِرِينَ وَسِرَّ الْوُجْدِ عِنْدَهُمْ^(١١)
هَا فَانْظُرُوا تَجِدُوا جَسَماً وَهَى سَقَمًا
وَمُهِجَةً عَرِيَّتٍ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِكُمْ^(١٤)
يُثِيرُ شَوْقِي وَقُوفِي فِي دِيَارِكُمْ
وَيَسْتَبِيحُ جَمَى صَبْرِي بِذِكْرِكُمْ^(١٧)
وَكُنْتُ فِي عَرَفَاتٍ قَدْ عَرَفْتُ لَكُمْ

فَدَعَاهُ يَجْرِي أَسَى قَدْ شَطَّتِ الدَّارُ
يَوْمَ النَّوَى فَهُوَ مَخْذُولٌ وَمُخْتَارُ
وَجَدَاً وَقَدْ هُتِكَتِ بِالْبَيْنِ أَسْتَارُ
كَذَلِكَ الْوُجْدُ لِلْأَعْمَارِ تِيَارُ
لِبُعْدِهِمْ^(١٠) لَيْسَ لِلْعُشَّاقِ أَعْذَارُ
قَدْ أَعْلَنْتُهُ عَلَى الْخَذَيْنِ أَفْكَارُ
بِهِ مِنَ الشَّوْقِ^(١٢) آيَاتُ^(١٣) وَأَثَارُ
سَلَوَاهُ^(١٥) بَعْدَكُمْ عَنْكُمْ هُوَ الْعَارُ [١٩٣ب]
فَلَمَّا آتَاكُمْ عِنْدِي لَهَا ثَارُ^(١٦)
وَلَمْ يَكُنْ^(١٨) يَسْتَبِيحُ الصَّبْرَ تَذْكَارُ
ظَلِفًا أَلَمَ بِكُمْ نَارَتْ بِهِ الدَّارُ^(١٩)

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) العبارة «أتري إنك»، في (م) و(ع): «أترك». (٤) في (م): «ومن»، وفي (ع): «فمن».
(٥) في (م) و(ع): «الأدلاء».
(٦) عبارة «ولا تحيرني وإياهم»، في (م) و(ع): «على تحيري».
(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٨) عبارة «من ناصر»، في (م) و(ع): «أنصار».
(٩) في (م) و(ع): «أنة».
(١٠) في (م) و(ع): «من بعدهم».
(١١) في (م) و(ع): «بعدهم».
(١٢) في (ع): «آيات».
(١٣) في (ع): «آيات».
(١٤) عبارة «من ذكر غيركم»، في (م) و(ع): «من غير ذكركم».
(١٥) في (ع): «سلوتها».
(١٦) في الأصل: «آثار»، والتصويب من (م) و(ع). (١٧) في (م) و(ع): «تذكركم».
(١٨) في (م) و(ع): «يزل».
(١٩) عبارة «ألم».. إلخ، في الأصل: «ألم بنا في الدهر اختبار»، وهو تصحيف، وفي (م): «ألم واضرم بعده نار»، وهي من (ع).

- (71) דבית אריה: (72) דבית אריה: (73) דבית אריה: (74) דבית אריה: (75) דבית אריה: (76) דבית אריה: (77) דבית אריה: (78) דבית אריה: (79) דבית אריה: (80) דבית אריה: (81) דבית אריה: (82) דבית אריה: (83) דבית אריה: (84) דבית אריה: (85) דבית אריה: (86) דבית אריה: (87) דבית אריה: (88) דבית אריה: (89) דבית אריה: (90) דבית אריה: (91) דבית אריה: (92) דבית אריה: (93) דבית אריה: (94) דבית אריה: (95) דבית אריה: (96) דבית אריה: (97) דבית אריה: (98) דבית אריה: (99) דבית אריה: (100) דבית אריה:

(71) דבית אריה: (72) דבית אריה: (73) דבית אריה: (74) דבית אריה: (75) דבית אריה: (76) דבית אריה: (77) דבית אריה: (78) דבית אריה: (79) דבית אריה: (80) דבית אריה: (81) דבית אריה: (82) דבית אריה: (83) דבית אריה: (84) דבית אריה: (85) דבית אריה: (86) דבית אריה: (87) דבית אריה: (88) דבית אריה: (89) דבית אריה: (90) דבית אריה: (91) דבית אריה: (92) דבית אריה: (93) דבית אריה: (94) דבית אריה: (95) דבית אריה: (96) דבית אריה: (97) דבית אריה: (98) דבית אריה: (99) דבית אריה: (100) דבית אריה:

المواعظ من غير فما أجاب ولا لبى^(١) ولا نطق، هذا رسول المشيب بادر للتقاضي وأستبق، وكأنني بمستوفي الموت^(٢) باب الأجل طرق، بادر قبل قطع الأعمار وسهم شبابك مُزِق^(٣)، فكم تغدو عليك المواعظ وتروح ومأسور المعاصي ما أنطلق، ألم تسمعك المنايا حديث الحوادث إذا طرق^(٤)، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾^(٥).

يا تائها في تيه^(٦) الغفلة عدلت عن الطريق، لو علمت ما فاتك في الشباب أسبلت دمعك^(٧) كالعقيق، إذا سلكت إلى الآخرة سدّ في وجهك وخانك التوفيق^(٨)، وإذا طلبت الدنيا ظهر منك الجد والتحقيق، قوَّام الأسحار لا توقظك وأنت في بحر النوم غريق، كم تجفو العمل الصالح وهو رفيق^(٩)، متى أراك تحاكم [٢٠٢] هواك عند قاضي التحقيق، متى يقرطس^(١٠) سهم عزمك لتصيب غرض التحقيق^(١١)، من أول يوم ولدت أنت مسافر على الطريق، تطوي المراحل في كل يوم وآخر المنازل يوم الضيق، أما لك عبرة فيمن عبر^(١٢) من صاحب وصديق، عجباً كيف سلوت بعد فراق الفريق، إلى متى تتيه في الغفلة^(١٣) وقد رميت في كل^(١٤) مكان سحيق، واهماً عليك يوم يشخص^(١٥) بصرك وتمنع تجريح الريق، وكم باكية ونائحة ومناد عن جوابه لا تطيق، متى يثبت رشدك عند قاضي التوبة ويظهر ندمك بدمعك الطليق، متى يفك مأسور غفلتك فيعود طليق^(١٦)، متى تشرب من شراب التوبة ناعم الشراب العتيق، متى تجري منك عبرات الأسف كأنها ميزاب^(١٧) عقيق، ما أسوأ^(١٨) تضييع الوقت لتحصيل^(١٩) القوت ومجاز الحساب فيه ضيق^(٢٠)، ضيعت نضارة الشباب في الغفلة وفي الكبر

(١) عبارة «من عبر.. إلخ»، في (م) و(ع): «عبر من غير فما لبى ولا أجاب».

(٢) في (م) و(ع): «البواني».

(٣) في (م) و(ع): «مرق».

(٤) عبارة «ألم تسمعك.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٥) سورة الحديد، آية ١٦.

(٦) في (م) و(ع): «الليل».

(٧) في (م) و(ع): «دمعك».

(٨) في (م) و(ع): «الرفيق».

(٩) في (م) و(ع): «رفيق».

(١٠) في (م) و(ع): «تقرطس».

(١١) عبارة «لتصيب.. إلخ»، في (م) و(ع): «بقصيب غرض التوفيق».

(١٢) في (ع): «غير».

(١٣) عبارة «تتية في الغفلة»، في (م) و(ع): «تتية».

(١٤) «في» في الأصل «من»، والتصويب من (م) و(ع). و«كل» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في الأصل: «تشخص»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «عتيق».

(١٧) في (م) و(ع): «مذاب». يقال للميزاب: المزراب، والزُّرب مسيل الماء، وزرب الماء وسرب إذا سال.

ابن منظور، اللسان، «زرب»، ٤٤٧/١.

(١٨) في (م) و(ع): «سوا»، وهو تصحيف.

(١٩) في (م) و(ع): «تحصيل».

(٢٠) في (م) و(ع): «مضيق».

تضحك بوجه طليق^(١)، من ولى عمره في الهجران كيف لا يكون بالمدامع غريق، أفضل حالاته الحزن والبكى وفي الأكباد حريق، لو سريت سرورة التهجد شممت عاطر أنفاس المحبين^(٢) كالمسك الفتيق^(٣)، بحر الأمل^(٤) لا ساحل له وهو عميق، ما أرى يغسل^(٥) ذنوبك إلا النار وما أراك عليها تطيق، وكم تستر بالرياء^(٦) وستر اللطيف^(٧) عليك صفيق^(٨)، هذا مقام الإقالة فبادر ودع التزويق، هذا مجلس التائبين شربوا^(٩) من شراب التوبة الرحيق، تعرضوا لنفحات الكريم كم عاجز بالسباق التحق، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا [١٢٠٣] أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

مطرف بن أبي بكر الهذلي^(١٠) رحمه الله تعالى قال^(١١): «كانت عجوز عند بني عبد قيس^(١٢) متعبدة، وكانت إذا جن^(١٣) الليل تحزمت و^(١٤) قامت إلى المحراب، وكانت^(١٥) تقول: المحب لا يسأم من خدمة حبيبه، وإذا جاء النهار خرجت إلى المقابر^(١٦). فبلغني أنها عوتبت في^(١٧) كثرة إتيانها المقابر، فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لا^(١٨) يليه إلا رسوم البلاء، وإنني لآتي القبور وكأني^(١٩) أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة، وإلى تلك الأجساد^(٢٠) المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الخلقة، فياله من منظر لو أشربه العباد قلوبهم لأبكى مرارته الأنفس، وأشد ما أبلى تలాفة الأبدان». شعر^(٢١):

سل إن أفاد المُستهم سؤاله ما للعقيق تغيّرت أحواله

(١) في (م) و(ع): «صفيق». ووجه صفيق: وقح. الفيروزآبادي، القاموس، «صفيق»، ص ١١٦٣.

(٢) في (م): «المجتهدين»، وفي (ع): «المتجهدين».

(٣) فتق الطيب يفتقه فتقا: طيبه وخلطه يعود وغيره. ابن منظور، اللسان، «فتق»، ٢٩٨/١٠.

(٤) في (م) و(ع): «الآمال». (٥) في (ع): «تغسل».

(٦) في الأصل: «وكم تستر عليك بالرياء»، وهي من (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «اللطيف».

(٨) في (م) و(ع): «رفيق». وثوب صفيق: متين. ابن منظور، «اللسان»، «صفيق»، ٢٠٤/١٠.

(٩) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «الهذلي». ومطرف بن أبي بكر الهذلي، يعد في البصريين. البخاري، التاريخ الكبير، ٣٩٨/٧.

(١١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٩١/٤.

(١٢) في (م) و(ع): «القيس».

(١٣) في (م) و(ع): «جاء».

(١٤) في (م) و(ع): «ثم».

(١٥) في (م) و(ع): «فكانت».

(١٦) في (م) و(ع): «القبور».

(١٧) في (ع): «لم».

(١٨) في (م) و(ع): «فكأني».

(١٩) عبارة «المتعفرة.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

أُتْرَاهُ إِذْ^(١) قَصَدَ الْفِرَاقَ^(٢) فَرِيقَهُم
 دَعَا عَنْكَ ذَكَرَ لَوَى الْعَقِيقَ وَلَا تَقُلْ
 وَالْبِكَ عَنْ بَانَ الْجَمَى وَأَقْصِدْ هَوَى
 مَا إِنْ تَعَرَّضْتَ الصَّبَا لْغُصُونِهِ
 وَكَذَاكَ إِنْ غَنَى بِهَا أَوْ وَاصِلُ
 مُنِعَ السَّلَامَ فَمَا يَهَبُ نَسِيمَهُ
 وَسَقَى فَوَاصِلَ عَاشِقِيهِ سِقَاهِمَ
 لَا تَذْكُرُوا نَجْدًا فَيَذْكُرُ^(٦) مِنْ بِهِ
 وَيَهِيحُ نَجْدِي^(٩) النَّسِيمَ إِذَا جَرَى
 وَهُوَ الْعَقِيقُ فَأَيْنَ مَنْ حَلَّ اللَّوَى
 يَا سَائِقَ الْأَطْعَانِ رِدْ وَادِي^(١٠) الْجَمَى
 فَتَزَايِدُ الْأَشْجَانَ^(١٢) لَا عِبْرَاتِهِ
 وَتَخَفُ^(١٣) حَضْبَاءَ اللَّوَى بِقُلُوبِ مَنْ
 وَسَّعَتْ^(١٤) مِيدَانَ الصَّبَابَةِ لِأَمْرِي
 وَأَدْمَنْتَ تَسْأَلُ الْكَثِيبَ وَمَا الَّذِي

ذَهَبَتْ بِنُورِ جَمَالِهِ أَجْمَالَهُ
 مَا بِأَلِهِ فَلَوَى الْعَقِيقَ وَبَالَهِ
 ذَاكَ الظُّلَالَ بِهِ فَفِيهِ ظِلَالُهُ^(٣)
 إِلَّا^(٤) تَعَرَّضَ لِلْحَشَى بَلْبَالَهُ
 النَّوْحَ الْحَمَامُ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالَهُ^(٥)
 وَحَمَى الْوَصَالَ فَمَا يَلْمُ خِيَالَهُ
 وَالسَّقَمَ مِنْ هَجَرِ الْحَبِيبِ وَصَالَهُ [ب ٢٠٣]
 عَلِقَتْ عَلَى جِبَلِي زُرُودَ^(٧) حِبَالِهِ^(٨)
 مَا لَا يَهِيحُ جَنْوَبَهُ وَشِمَالَهُ
 وَمَنْى وَذَا الْوَادِي فَأَيْنَ غَزَالَهُ
 سَكْنَا وَلَا تَغْرُزُكَ^(١١) مِنْهُ نَزَالَهُ
 تُرْوِي وَسِيلَ الدَّمْعِ لَا سَلْسَالَهُ
 حَمَلَ اللَّوَى حَصْبَاؤُهُ وَرِمَالَهُ
 لَعِبَ الْغَرَامَ بِهِ فَضَاقَ مَجَالَهُ
 يُجْدِي وَقَدْ غَلَبَ الْأَسَى^(١٥) تَسَالَهُ

[بحر الكامل]

يَا هَذَا اللَّيْلَ مَطَايَا الْمُجْتَهِدِينَ^(١٦) وَالتَّلَاوَةَ حَادِي الرُّوَاحِلَ، وَفِي السَّحَرِ تَظْهَرُ أَعْلَامُ الْمَنْزِلِ

- (١) فِي (م) وَ(ع): «إِنْ».
- (٢) فِي الْأَصْل: «الْفَرِيقَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٣) فِي (م) وَ(ع): «ضَلَالَهُ».
- (٤) فِي الْأَصْل: «وَلَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٥) فِي الْأَصْل: «وَصَالَهُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «فَيَذْكُرُ».
- (٧) فِي الْأَصْل: «جِبَلِ زُرُودَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٨) فِي (م) وَ(ع) زِيَادَةٌ.
- (٩) «فَإِذَا تَنَاوَحَتِ الرِّيَّاحُ تَصَافَحَتِ
- (١٠) فِي الْأَصْل «لِي نَجْدَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١١) فِي (م) وَ(ع): «عَيْنَ».
- (١٢) فِي الْأَصْل: «الْأَجْفَانَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٣) فِي الْأَصْل وَ (م) وَ(ع): «وَتَخَافَ»، وَالتَّصْوِيبُ (ب).
- (١٤) فِي (م) وَ(ع): «أَوْسَعَتْ».
- (١٥) فِي (م) وَ(ع): «الْهَوَى».
- (١٦) فِي (م) وَ(ع): «الْمُتَّجِهِينَ».

للنوازل^(١)، والفجر^(٢) منزل يُحْطُ^(٣) الضعيف والكاسل^(٤)، ومن تخلف عن^(٥) هذه الرفاق بعض من الندم الأنامل، ويحك يا طالب الشهوة تبحث عن حتفك بكفك وتعاجل، يا قاتلا نفسه بالمعاصي ما أراك عاقل^(٦)، بيس ما اخترت لنفسك بيس ما تعاجل و^(٧)تحاول، كم وعظك النصيح فما سمعت سواء عندك النصيح^(٨) والعاذل، يا عبد السوء لو علمت من يراك ومن بالمعاصي تبارز وتنازل، لذابت^(٩) مهجتك وعاد جسمك ناحل، إذا كان عمرك^(١٠) في إدبار والموت في إقبال فتهياً للغاسل، و^(١١)يا من ظاهره حيّ وقد أصابت منك سهام الغفلة المقاتل، خربت الشهوات إقليم قلبك ما فيه مقاتل، أملك [٢٠٤] في الدنيا مقيم وعن الآخرة راحل، ستجري والله عبراتك بالأسف كأنها جداول، أنت مقتول بالآمال وأنت لنفسك قاتل، نجوم لهوك باقية واعجابه وهل النجوم إلا أوافل، كل ما^(١٢) تستنجد به عند الموت لك خاذل، تلهي^(١٣) بعد المشيب وتلاعب التلاعب وتغازل^(١٤)، ما أقبح سن الشيخ إذا ضحك وقد أنفذ^(١٥) السهم المقاتل^(١٦)، تجمع لمن ينسأك وتترك في قبرك وتُراحل، ما أسرع سرعة^(١٧) الموت وكأنني بالأمر النازل نازل^(١٨)، سافر الثابون على رواحل العزم فبلغوا المنازل، والمحروم يجنح إلى ظل الأمل^(١٩) وهو زائل، أين رفاق الفقراء أين قوافل الصالحين القوافل^(٢٠)، يا غريقاً في بحر الغفلة التوبة الساحل، عليك بسيارة الندم وإلا فساعة^(٢١) العزم عسى في الطريق^(٢٢) حامل، فإن لم يكن ذا ولا ذا فقد قطعت لديك الوسائل، أسمع نصح ناصح بلغ وصدق، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

(١) في (ع): «للنازل».

(٢) في (م) و(ع): «فيه».

(٣) عبارة «تخلف عن»، في الأصل: «تكلف عنده»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (ع): «غافل».

(٥) كلمة «تعاجل و» ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «الناصح».

(٧) في (م) و(ع): «العمر».

(٨) في (م) و(ع): «من».

(٩) في (م) و(ع): «وتعاول».

(١٠) في (م) و(ع): «أنفذه». والنفاذ: جواز الشيء والخلوص منه، ونفذ السهم الرمية: خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه، وأنفذت القوم إذا خرقتهم. ابن منظور، اللسان، «نفذ»، ٥١٤/٣، ٥١٥.

(١١) في (م) و(ع): «القاتل».

(١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٣) في (م) و(ع): «الآمال».

(١٤) في (م) و(ع): «الآفاق»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «فساحة».

(١٦) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م) و(ع).

حج هارون الرشيد رحمه الله تعالى فقبل له^(١): يا أمير المؤمنين قد حج شيبان^(٢) هذا^(٣) العام. فقال^(٤): أطلبوه لي، فطلبوه فأتوا^(٥) به، فقال له: يا شيبان عظمي. فقال^(٦) له: يا أمير المؤمنين أنا رجل^(٧) لا أفصح العربية^(٨) فجيئ بمن يفهم كلامي، فجيئ^(٩) برجل يفهم كلامه. فقال له^(١٠) بالقبطية: قل له: يا أمير المؤمنين إن الذي يخوفك قبل أن تبلغ الخوف خير من الذي^(١١) يؤمنك حتى تبلغ العطب^(١٢). فقال^(١٣): أي شيء [٢٠٤ب] هذا. قال^(١٤): يقول لك: يا هذا أتق الله ﷻ^(١٥) فإنك رجل^(١٦) أسترعاك الله رعية^(١٧)، وقلدك أمرها^(١٨)، وأنت مسؤول عنها فأعدل في الرعية، وأقسم بالسوية، وأنفق في السرية^(١٩)، وأتق الله ﷻ^(٢٠) في نفسك، هذا الذي يخوفك، فإذا بلغت المأمن^(٢١) أمنت، فهذا هو الذي^(٢٢) أنصح لك ممن يقول لك^(٢٣) أنتم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم ﷺ^(٢٤) وفي شفاعته، فلا يزال يؤمنك حتى إذا بلغت الخوف عطبت. قال: فبكى هارون حتى رحمه من كان معه^(٢٥)، ثم قال: زدني. فقال^(٢٦): حسبك ثم خرج^(٢٧). شعر:

- (١) عبارة «حج.. إلخ»، في (م) و(ع): «هارون الرشيد قيل له».
- (٢) هو محمد بن عبد الله المعروف بشيبان، أبو محمد الراعي، المنيب الواعي، كان في العبادة فائقاً، وبالتوكل على ربه ﷻ واثقاً. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣١٧/٨. ابن الجوزي، الصفة، ٣٧٦/٤.
- (٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٤) في (م) و(ع): «قال».
- (٥) في (م) و(ع): «فأتوه».
- (٦) في (م) و(ع): «قال».
- (٧) في (م) و(ع): «رجل أكن».
- (٨) في (م) و(ع): «بالعربية».
- (٩) عبارة «يفهم.. إلخ»، في (م) و(ع): «يفهم كلامي حتى أكلمه فأتي».
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «يخوفك.. إلخ»، في (م) «يخوفك حتى تبلغ الأمن أنصح لك ممن».
- (١٢) في (م): «الخوف». وعبارة «خير من الذين.. إلخ» ساقطة في (ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «قال».
- (١٤) في (م) و(ع): «قال له الذي».
- (١٥) في (م) و(ع): «تعالى».
- (١٦) في (م) و(ع): «رجل من هذه الأمة».
- (١٧) في (م) و(ع): «عليها».
- (١٨) في (م) و(ع): «أمورها».
- (١٩) في الأصل: «سري»، والتصويب من (م) و(ع). والسرية قطعة من الجيش، والسرية ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة. ابن منظور، اللسان، «سرى»، ٣٨٣/١٤.
- (٢٠) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢١) في (م) و(ع): «الأمن».
- (٢٢) عبارة «فهذا هو الذي»، في (م) و(ع): «هذا هو».
- (٢٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٤) عبارة «صلى الله عليه وسلم» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٥) عبارة «من مكان معه»، في (م) و(ع): «من حوله».
- (٢٦) في (م) و(ع): «قال».
- (٢٧) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٧٦/٤.

أَمَّا وَالْهُوَى النَّجْدِي يَا سَاكِنَ الْحَمَى
 هَمَى فَرَقاً^(١) يَوْمَ النَّوَى الْكَاشِحِ^(٢) الرَّدَى
 وَرَوْضَ مَعِينٍ بِالْعَقِيقِ^(٣) فَمَا دَرَى
 وَهَيْجَ أَشْوَاقاً وَأَضْرَمَ لَوْعَةً
 خَلِيلِي لَوْ لَمْ أَحْسِقِ اللَّوْمَ فِي الْهُوَى
 فَلَوْ مَا بَكُمْ مِنْ لَوْعَةٍ وَصَبَابَةٍ
 وَحَسْبُكُمَا مَنِّي دَلِيلَانِ لِلْأَسَى
 زَفِيرٌ إِذَا أَعْجَمْتُ أَعْرَبَ مُوَضَّحاً
 فَيَا قَلْبَ^(٨) إِنْ تَشْكُو الْغَرَامَ فَطَالَمَا
 يَهِيمُ^(١٠) بَلِيلِي مُغْرَمًا عِنْدَ ذِكْرهَا^(١١)
 وَمِنْ دُونَ لَيْلَى وَالْحِمَى رَاهِبَ الْقَنَّا^(١٣)
 خَذَا بِي نَعْمَانُ الْأَرَاكَ^(١٥) شَامَةً^(١٦)
 أَمِيلُ إِلَى حَزَنِي لِأَصْبَحَ^(١٧) بَاكِياً
 فَفِي مُنْحَنِ الْوَادِي التَّهَامِي جَاذِبَ^(١٩)

لَقَدْ أَوْضَحَ السَّرَّ الَّذِي كَانَ مُبْهِمًا
 فَلَيْتَ النَّوَى مَا كَانَ أَوْلَيْتَ مَا هَمَى
 سَقَتْهُ الْمَآقَى أَمْ^(٤) سَقَتْ أَرْضَهُ السَّمَاءُ
 وَحَرَّكَ أَجْسَادًا وَنَبَّهَ نُؤْمًا
 هَجَرْتُكُمَا^(٥) أَوْ قُلْتُ عَنِّي إِلَيْكُمَا
 عَلَى الصَّبِّ قَدْ هَيَّجْتُمَا أَوْ عَلِمْتُمَا
 إِذَا أَنَا لَمْ أَبْدِ الْكَلَامَ تَكَلَّمَا
 وَدَمَعِي^(٦) إِذَا أَعْجَمْتُ^(٧) بِالْقَوْلِ تَرْجَمَا
 كَتَمْتُ وَمَا أَوْدَعْتُ إِلَّا لِتَكْتُمَا^(٩)
 وَلَرَبَّمَا^(١٢) كَانَ التَّفَكُّرُ مَغْرَمًا [٢٠٥]
 عَلَى قُرْبِهَا يَا بُغْدَ^(١٤) لَيْلَاكَ وَالْحَمَى
 فَمَا لِهَمَا قُضْدِي وَلَا أُنَامْنَهُمَا
 عَلَى مَغْلَمٍ بِالذَّمِّ أَصْبَحَ مُغْلَمًا^(١٨)
 زَمَامَ فَتَى إِنْ أَنْجَدَ الرُّكْبَ أَتْهَمَا

- (١) فِي (م) وَ(ع): «فَارَى».
- (٢) الْكَاشِحُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ الْعِدَاوَةُ كَأَنَّهُ يَطْوِيهَا فِي كَشْحِهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «كَشَحَ»، ٥٧٢/٢.
- (٣) فِي الْأَصْلِ وَ(م) وَ(ع): «لِلْعَقِيقِ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (ب).
- (٤) فِي (م) وَ(ع): «أَوْ».
- (٥) فِي الْأَصْلِ: «وَهَجَرْتُكُمَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (٦) فِي (م) وَ(ع): «وَدَمَعٌ».
- (٧) فِي الْأَصْلِ: «أَعْجَمْتُهُ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). (٨) فِي (م) وَ(ع): «لَيْتَ».
- (٩) عِبَارَةٌ «وَمَا أَوْدَعْتُ.. إلخ»، فِي الْأَصْلِ: «وَمَا أَوْدَعْتُ إِلَّا تَكَلَّمَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).
- (١٠) فِي (م) وَ(ع): «تَهِيمٌ».
- (١١) عِبَارَةٌ «عِنْدَ ذِكْرهَا»، فِي (م) وَ(ع): «بَادَذَكَارَهَا». (١٢) فِي (م) وَ(ع): «وَيَا رِبَمَا».
- (١٣) عِبَارَةٌ «رَاهِبَ الْقَنَّا»، فِي (م) وَ(ع): «رَاعَفَ الْفَتَى».
- (١٤) فِي (م) وَ(ع): «قَرَبٌ».
- (١٥) الْوَادِي سَاقِطَةٌ فِي الْأَصْلِ وَ(ع)، وَهِيَ مِنْ (م).
- (١٦) شَامَةٌ: جَبَلٌ قَرِيبُ مَكَّةَ. صَفِي الدِّينِ الْبَغْدَادِي، مِرَاصِدُ الْإِصْلَاحِ، ٧٧٦/٢.
- (١٧) عِبَارَةٌ «أَمِيلُ.. إلخ»، فِي (م) وَ(ع): «وَمِيلًا إِلَى حَزْرٍ الْأَصْبَحِ».
- (١٨) الْمَغْلَمُ: الْأَثَرُ. وَقَدْ غُلِمَ فِيهِ عِلَامَةٌ، عَلَّمَهُ يَغْلِمُهُ عَلَمًا: وَسَمَهُ، وَرَجُلٌ مُغْلَمٌ إِذَا غُلِمَ مَكَانَهُ فِي الْحَرْبِ بِعِلَامَةٍ أَغْلَمَهَا. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «عَلِمَ»، ٤١٩/١٢.
- (١٩) فِي (ع): «جَادَتِ».

هواء ولكن فيه للنَّاشق الجَوَى وماء ولكن فيه للذَّائق الظما
[بحر الطويل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي ألف بحكمته بين^(١) لطائف الأرواح وكثائف الأجساد، أحكم بقدرته صناعة الموجودات ورتب أطوار الإيجاد، أعطى كل موجود ما يليق به من حيوان ونبات وجماد، لم يفتقر في اختراعه الأكوان إلى أنصار ولا أعوان ولا أنجاد^(٢)، اختار لقربه قلباً بأختصاصه فينعم العباد، أقامهم إذا نام الخليّ وكحل أعينهم^(٣) بالسهاد، يتسابقون في ميدان الدجى كتسابق الصافنات^(٤) الجياد، خوفهم يقلقهم ورجاؤهم يسكنهم فله ما أحسنها من أضداد، لهم تزامح على باب السحر فمنهم مريد ومنهم مراد، لهم زفير وحنين من خوف البعاد والمعاد^(٥)، أشواقهم حُرَّاق^(٦) ووجدهم^(٧) قَدَّاح^(٨) ومحبتهم زناد، أحكموا زرع المعاملة وافرحتهم يوم الحصاد، حمى بهم^(٩) الأمصار والأقاليم والبلاد^(١٠)، والمحروم في تية الشقاء بلا راحلة ولا قوت^(١١) ولا زاد، كم هلك^(١٢) في هذا التيه من العباد، وكم عمر ولّى في^(١٣) الحرمان بعدما شاب الفؤد والفؤاد^(١٤)، [٢٠٥ب] أيام الصبا عارية وفي زمن^(١٥) المشيب تعاد، فأين عبرات الأسف تسقى^(١٦) بها تلك العهود والعهاد، أما ترى حثيث الجديدين بعمرك وما بينهما من تسارع فيه أيامك أعياد، فيا معشر المذنبين أرحلوا^(١٧) عن ديار الإدبار فقد

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) عبارة «أنصار.. إلخ»، في (م) و(ع): «أعوان وأنصار وأنجاد».

(٣) في (م): «أحداقهم»، وفي (ع): «أحداقهم».

(٤) الصَّافِن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وقد قيل: الصافن القائم على الإطلاق. ابن منظور، اللسان، «صفن»، ٢٤٨/١٣.

(٥) عبارة «لهم زفير.. إلخ»، في (م) و(ع): «لهم حنين وأنين ووجيب من خوف المعاد والبعاد».

(٦) الحُرَّاق ما تقع فيه النار عند القدح، والعامة تقوله بالتشديد. ابن منظور، اللسان، «حرق»، ٤٢/١٠.

(٧) في الأصل: «وجد»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «قدح». والقَدَّاح الحجر الذي يقدح به النار. ابن منظور، اللسان، قدح، ٥٥٤/٢.

(٩) في (م) و(ع): «بهمهم».

(١٠) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهَ لِيَعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَهَ مَعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

(١١) في (م) و(ع): «قوة».

(١٢) في الأصل: «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٣) في الأصل: «ادم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٤) في (م) و(ع): «يسقى».

(١٥) في (م) و(ع): «ارتحلوا».

ظهر فيها^(١) الفساد، لا ينفع في^(٢) سفر الموت لا جاء ولا مال^(٣) ولا أولاد، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٤).

يا عاكفاً على طريق الهوى أخطأت طريق الهدى، يا مخنث العزم طريقك^(٥) فيه نصب^(٦) آدم وما شفى منه الصدى، كم^(٧) ناح فيه نوح وكم عدداً، وكم بسط فيه من ذهب الخير^(٨) وجمر أشواقه توقداً، كم^(٩) تعاقبت الأحزان على يعقوب وشط عليه^(١٠) المزار وأبعداً، وكم قلب يوسف في قلب الرق وأستعبداً^(١١)، ونشر بالمناشير^(١٢) زكريا^(١٣) وأمر أن يتجلداً، وكم صبغ في دين^(١٤) البلاء أيوب ومن أوانسه أفردا^(١٥)، وكم بكى داود وعاد أنسه^(١٦) بالوحشة أسوداً، وكم تكدر عيش سليمان لما سلب ملكه وبات جفنه مسهداً^(١٧)، وموسى رعى الغنم ولولا ضوء الشجرة^(١٨) لما أهتدى، وكم هام عيسى في البراري وأتخذ المراقبة مغياً ومشهداً،

(١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٢) في (م): «أموال».

(٣) سورة الحديد، آية ٢٠.

(٤) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «وكم».

(٦) عبارة «وكم بسط... إلخ»، في (م) و(ع): «وكم سبك فيه ذهب الخليل».

(٧) في (م) و(ع): «وكم».

(٨) قوله هذا إشارة إلى ما تعرض إليه يوسف عليه السلام من إخوته الذين دفع بهم حسدهم إلى أن يلقوه في قعر بئر قليل الماء، فمرت به سيارة، فأرسلت وأردهم فأدلى دلوه في الجب فتعلق به يوسف، فلما نزع الدلو يحسبها قد امتلات ماء، فإذا غلام قد تعلق بها فاستبشر الرجل، وأسرّوه بضاعة؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشِّرُهُ هَذَا عَلِمَ وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَمْكُرُ﴾^(٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَقْدُودَةٍ وَكَاثَرُوا فِيهِ مِنَ الزَّهْدِيتِ ﴿[يوسف: ١٩ - ٢٠].

(٩) في (م) و(ع): «بالمشاعر».

(١٠) في الأصل: «يحيى بن زكريا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (ع): «دن».

(١٢) في (م) و(ع): «أفقدنا». وقوله هذا إشارة إلى بلاء سيدنا أيوب الذي لم يكن في جسده فحسب، بل شمل أيضاً المال والأهل والولد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْيُوسُفَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَبَنَاتَهُمْ مَعَهُ رَحْمَةً مِنَّا وَعِذَانًا لِّلنَّاسِ ﴿[الأنبياء: ٨٣ - ٨٤].

(١٣) في (م) و(ع): «وقت أنسه».

(١٤) قوله هذا إشارة إلى ابتلاء الله سبحانه لسليمان عليه السلام بسلب الملك منه فترة قصيرة من الزمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. والمعنى: ابتليناه وأمتحناه بسلب ملكه، وأجلسنا على كرسيه في ملكه شيطاناً، ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي رجع إلى ملكه. وفي قدر مكث الشيطان قولان: أحدهما: أربعون يوماً، قاله الأكثرون، والثاني: أربعة عشر يوماً. ابن الجوزي، زاد المسير، ١٣٢/٧، ١٣٧، ١٣٣.

(١٥) في (م) و(ع): «نور الشجرة».

وكم عالج الفقر^(١) سيد الكونين^(٢) وقام حتى تورمت قدماء وإن كان بناؤه في المعاد^(٣) مشيداً، صلى الله عليه وعليهم أجمعين صلاة دائمة سرمداً^(٤)، الأنبياء بدور وهو^(٥) شمس همته [٢٠٦] تعلقو سَمَاكاً^(٦) وفرقداً، و^(٧)تخلل الصَّدِيق بالعباءة^(٨) بعد أن كان كفه جوداً للجدا^(٩)، ووقع عمر ثوبه وكان يقول ياليت ما ولدا^(١٠)، وكم أجر علي نفسه بحفنة شعير حتى أنبهر^(١١) صدره ليشهد مع الأكابر مشهداً، عرفوا ما طلبوا فلله سعيهم^(١٢) ما أحمداء، أسمع يا جنيد أفهم يا ابن أدهم معكم أتحدث وإن شط المزار وأبعداء، يا سرّ السري يا فضل الفضيل يا معرفة معروف يا من ذكرهم في المعالي مشيداً^(١٣)، يا سماع الحلّاج^(١٤) يا مرید أبي يزيد حمدتم والله سراكم وخير السرى^(١٥) ما حمداً، أين أنت يا مطرودا من هذه الركائب جفن عينك^(١٦) أراه أرمداً، ويحك أصدرت^(١٧) الشباب في الغفلة وأوردت الكبر في البطالة مورداً، فلا أهلاً بذلك ولا ذا^(١٨) ما أخسر بضاعتك^(١٩) اليوم وغدا^(٢٠)، تنظم شمل الأسباب بيد الطلب وعن قريب تصبح^(٢١) مبدداً، ستطلع عليك شمس يوم الموت وتمسي وقد وضعت في اللحد

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٢) في (م) و(ع): «المعالي».
 (٣) عبارة «صلى الله .. إلخ» ساقطة في (م) و(ع). (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٦) السَّمَك: نجم معروف، وهما سَمَاكَان: رامح وأعزل، والرامح لا نوء له وهو إلى جهة الشمال، والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب. ابن منظور، اللسان، «سمك»، ٤٤٤/١٠.
 (٧) الواو ساقطة في (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع): «بالعباءة».
 (٩) الجدا: العطية، ويقال للرجل إن خيرته لجدا على الناس أي عام واسع. ابن منظور، اللسان، «جدا»، ١٣٤/١٤. وفي قوله: هذا إشاراً إلى سخاء أبي بكر رضي الله عنه وكرمه، وقد أنفق جل ماله في سبيل الله ورسوله، فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخَوَةٌ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتِهِ، لَا يَبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ». البخاري، الصحيح، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ سُدُّوا الْأَبْوَابَ .. إلخ، رقم الحديث (١٥٤)، ٦٥/٥.
 (١٠) عن عبد الله بن عامر قال: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبة من الأرض فقال: ليتني كنت هذه التبة، ليتني لم أخلق، ليت أُمِّي لم تلدني، ليتني لم أك شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٦٠.
 (١١) البهر: انقطاع النفس من الأعياء، وقد انبهر ويُبهر. ويقال: انبهر فلان إذا بالغ في الشيء ولم يدع جهداً. ابن منظور، اللسان، «بهر»، ٨٢/٤، ٨٣.
 (١٢) في (ع): «سعيدهم».
 (١٣) في (م) و(ع): «تقيداً».
 (١٤) في (م): «سمنون».
 (١٥) في (م) و(ع): «السير».
 (١٦) في (م) و(ع): «عينك بالهوى».
 (١٧) في (م) و(ع): «صدرت».
 (١٨) عبارة «بذلك ولاذا»، في (م) و(ع): «بذاك وذا».
 (١٩) في الأصل: «بضاعة»، والتصويب من (م) و(ع). (٢٠) في الأصل: «وفي غدا»، وهي من (م) و(ع).
 (٢١) في الأصل «يصلح»، والتصويب من (م) و(ع).

ملحداً، ينسأك من تجمع له وإن زار قبرك اليوم تركه^(١) غداً، إذا لم يلين قلبك وعظي فقد عاد بالقساوة^(٢) جليداً، فبادروا لإخواني وحصلوا قبل السفر الزاد، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا لَمَبٌ وَقُتْرٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاحٌ يَبْنُوكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَزْوَاجِ﴾.

يحيى بن بسطام رحمه الله تعالى قال^(٣): حدثني عثمان بن أبي سودة الطفاوي^(٤)، وكانت أمه من العابدات، وكان يقال لها راهبة^(٥)، قال: لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء وقالت: يا ذخري وذخيرتي، [٢٠٦ب] يا^(٦) من عليه أعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري. قال: فماتت^(٧) فكنت آتيها في كل يوم^(٨) جمعة فأدعو^(٩) لها وأستغفر الله^(١٠) لها ولأهل القبور. قال: فرأيتها ذات ليلة في منامي، فقلت لها: يا أماه، كيف أنت؟ فقالت^(١١): أي بني، إني^(١٢) بحمد الله في^(١٣) برزخ محمود، نفرش^(١٤) فيه الرياحن، وتوسد^(١٥) فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور. فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قلت: ما هي؟ قالت: لا تدع ما أنت عليه من زيارتنا والدعاء لنا، وإني^(١٦) لأبشر بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت^(١٧) من عند^(١٨) أهلك، يقال لي: يا راهبة هذا ولدك^(١٩) قد أقبل عليك^(٢٠) من عند أهله زائراً^(٢١)، فأسر بذلك ويسر من حولي من الأموات. شعر^(٢٢):

(١) في الأصل: «وتركه»، والتصويب من (م) و(ع). (٢) في (م) و(ع): «بالقساوة».

(٣) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤٢/٤. ويحيى هو يحيى بن بسطام بن حريث الزهراني، أبو محمد البصري، روى عنه أبو حاتم الرازي، وقال: شيخ صدوق ما يحديثه بأس، قدرى، أدخله البخاري في كتاب الضعفاء. البخاري، التاريخ الكبير، ٢٦٤/٨. ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل، ١٣٢/٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠ هـ، ص ٤٤١.

(٤) في الأصل و(م) و(ع): «عثمان بن سودة»، والتصويب من التهذيب. وعثمان هو عثمان بن أبي سودة المقدسي، أبو العوام، قال الأوزاعي: أدرك عبادة وكان مولاه، ذكره ابن حبان في الثقات. وكان كثير الجهاد، له فضل وعبادة. أبو نعيم الأصبهاني، الحلية، ١٠٩/٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ، ص ٤١٧. ابن حجر، التهذيب، ١٢٠/٧.

(٥) وهي عابدة من عابدات البصرة. ابن الجوزي، الصفة، ٤٢/٤. عمر رضا كحالة، أعلام النساء، ٤٣٨/١.

(٦) في (م) و(ع): «ويا».

(٧) في الأصل: «فلما ماتت»، والتصويب من (م) و(ع).

(٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «وأدعو».

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م): «إنّا»، و(ع): «ولنا».

(١٢) في (م) و(ع): «يفرش».

(١٣) في (م) و(ع): «فلاني».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) في (م) و(ع): «فلاني».

(١٧) في (م) و(ع): «فلاني».

(١٨) في (م) و(ع): «فلاني».

(١٩) في (م) و(ع): «فلاني».

(٢٠) في (م) و(ع): «فلاني».

(٢١) في (م) و(ع): «فلاني».

(٢٢) في (م) و(ع): «فلاني».

ما ذَكَرْتَ عَلَى الْفِرَاقِ^(١) نَجْدًا
تَوَدُّ لَوْ تَمَلَّكَ^(٣) مِنْ بَانَ الْجِمَى
كَادَتْ تَطِيرُ قَلْقاً إِلَى الْجِمَى
إِنْ رَجَعْتَ حَنِينَهَا مُغْلَنَةً
رِفْقًا بِهَا سَائِقَهَا أَخْطَأَ^(٦)
إِنَّكَ إِنْ جِئْتَ بِهَا مِنْكَبًا
مَا^(١٠) أَزْدَادَ قُرْباً مِنْكَ مَاءَ بَابِلَ^(١١)

إِلَّا وَحْنَتْ^(٢) طَرِيباً وَوَجَدَا
ظِلًّا وَمِنْ مَاءِ النَّقِيبِ^(٤) وَرَدَا
لَوْ وَجَدْتَ مِنَ الْغَرَامِ^(٥) بَدَا
أَخْفَى الضَّنَى مَا الشَّبُوقُ مِنْهَا أَبَدَا
تَحْمِلُهَا^(٧) عَلَى النَّسْرِى أَوْ عَمَدَا
عَنِ الْعَقِيقِ جُنْتُ^(٨) شَيْئاً إِذَا^(٩)
إِلَّا وَزَادَ الصَّبْرُ مِنْهَا بَعْدَا^(١٢)

[بحر الرجز]

يَا تَائِهًا فِي لَيْلِ الْغَفْلَةِ هَذَا فَجَرَ الْمَشِيبِ لَاحَ، مَا قَعُودُكَ عَنِ الرُّكْبِ [٢٠٧] يَا مَقْصُوصَ^(١٣)
الْجَنَاحِ، فَكَأَنِّي^(١٤) بِكَ تَعْصُ أَنْامِلَ النَّدَمِ عِنْدَ^(١٥) الصَّبَاحِ، وَيَحْكُ مَخِيمَ الْعَمْرِ عَلَى تَقْوِيضِ
وَأَنْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وَمَزَاحٍ، سَيَنْسِفُكَ الْأَسْفُ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ^(١٦) الْبُكْيُ وَالنَّوْاحُ، أَسْتَعْدُوا الزَّادَ^(١٧)
قَبْلَ الرِّحِيلِ فَمَنْ أَسْتَعَدَّ الزَّادَ اسْتَرَاحَ، ضَمِرُوا خَيْلَ الْأَجْسَادِ لِلْسَّبَاقِ فَتَنَالُوا^(١٨) رَاحَةَ الْمَرْتَاحِ،
﴿فَيَنْتَهُمُ مَنْ قَضَى نَجَبَهُمْ وَمَتَّعَهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾^(١٩) مَا لَهُمْ^(٢٠) عَنِ الْبَابِ بِرَاحٍ، يَا مَسْرُورًا^(٢١) فِي
دَهْلِيزِ الْغَفْلَةِ حَتَّى طَعَنَهُ الْمَشِيبُ بِالرَّمَاحِ، يَا مَنْ أَسْكُرْتَهُ^(٢٢) الْأَمَالَ حَتَّى مَالَ مَتَى^(٢٣) أَرَاكَ

- (١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٢) في الأصل: «تكملك»، والتصويب من (م) و(ع).
(٣) النقيب شيعب من أجأ. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١٣٨٦/٣.
(٤) عبارة «من الغرام»، في الأصل: «يوم الفراق»، والتصويب من (م) و(ع).
(٥) في (م): «قد أخطأ».
(٦) في الأصل: «وجنت»، والتصويب من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «ابدا»، والتصويب من (م) و(ع). والإد: الأمر الفظيع، والداهية. الفيروزآبادي، القاموس، «أدد»، ص ٣٣٨.
(٨) في الأصل و(ع): «إذا ما»، والتصويب من (م).
(٩) عبارة «قرباً.. إلخ»، في الأصل: «منك قرب بابل»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) في (م) و(ع) زيادة:
«قلت هو الصبر محل عامر صدقت أين عامر من سعدى»
(١١) في الأصل: «مقصص»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٢) في الأصل: «عنده»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٣) في (ع): «للزاد».
(١٤) قوله: ﴿فَيَنْتَهُمُ مَنْ قَضَى نَجَبَهُمْ وَمَتَّعَهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ آقتباس من قوله تعالى من سورة الأحزاب، آية ٢٣.
(١٥) في (م) و(ع): «له».
(١٦) عبارة «يا من أسكرته»، في الأصل: «من سكرته»، وهي من (م) و(ع).
(١٧) في (م) و(ع): «ما».

صاح، ما خطر لك خاطر الآخرة^(١) بخاطر ولا لاح، هيهات حظ الأعمى من الشمس الحرارة وسماع الرياح، واحسرتي عليك مضى القوم وخلفوك لا سلام^(٢) ولا صلاح، ما في خراب قلبك من^(٣) ديار وكم فيك بالغفلة من جراح، ما لأقدام عزيمتك تَقْدُم وقد قرب الانتزاح، تقبل حديث اللهو بكليتك^(٤) وحديث الآخرة بأطراح، الغذاء الحرام دهن كدر في ضوء^(٥) المصباح^(٦)، الشهوات دخان يسود بيت القلب فيرحل عنه الانشراح، كم عيون أعماها^(٧) الهوى فهي بالاعتبار مراض وبالغفلة صحاح، ويحك حللت عقال التقوى حتى شردت نفسك شرود^(٨) ذات الجناح، سيعلم^(٩) من ينشد الضالة ولا يجد ومن حجب^(١٠) عنه وجه^(١١) النجاح، واشوقاه لذكر الأحباب كم أسأل عن حديثهم الرياح، معشر المذنبين السفر بعيد فشمروا للاستعداد، ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثَافَةٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

قال^(١٢) سفيان الثوري رحمه الله تعالى: «لما بلغت^(١٣) الميقات أحرم الناس ولبوا وغلّام جالس ناحية لم يلب. قلت: لِمَ لا تلبى؟ قال: هل لي من رخصة في^(١٤) ترك التلبية؟ قلت: إنه فرض و^(١٥) لا يقوم الحج إلا به. قال: يا شيخ، أخاف أن أقول لبيك فيقال^(١٦) لي: لا لبيك ولا سعديك و^(١٧) لا أسمع كلامك ولا أنظر إليك. فقلت: لا بد من التلبية. فقام ولبى وبكى وتمرغ وهو يقول: لبيك أعتذاراً إليك، ومعولاً في التوبة عليك من جرائم كثيرة^(١٨). ثم غاب عني^(١٩) فلم أره إلا في الطواف وهو يقول: اللهم إن كل عبد من عبيدك تقرب^(٢٠) إليك بقربان، وما أملك إلا نفسي، فإن^(٢١) كنت قبلتها مني فأقبضني^(٢٢) إليك، ثم خرّ ميتاً

-
- (١) في (م) و(ع): «الخاتمة».
(٢) في (م) و(ع): «بلا سلاح».
(٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(٤) في (م) و(ع): «بكلك».
(٥) في (م) و(ع): «نور».
(٦) في (م) و(ع): «أبكاها».
(٧) عبارة «نفسك شرود» ساقطة في الأصل، وهي (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «ستعلم».
(٩) في (ع): «وجد».
(١٠) في (م) و(ع): «يحجب».
(١١) تقدمت القصة في الخطبة الثالثة من الفصل التاسع عشر، مع وجود بعض الاختلاف.
(١٢) في (م) و(ع): «بلغنا».
(١٣) في (م) و(ع): «أبكاها».
(١٤) في (م) و(ع): «أبكاها».
(١٥) في (م) و(ع): «أبكاها».
(١٦) في (م) و(ع): «أبكاها».
(١٧) في (م) و(ع): «أبكاها».
(١٨) في (م) و(ع): «أبكاها».
(١٩) في (م) و(ع): «أبكاها».
(٢٠) في (م) و(ع): «أبكاها».
(٢١) في (م) و(ع): «أبكاها».
(٢٢) في (م) و(ع): «أبكاها».

رحمه الله تعالى ورضي الله عنه^(١)». شعر^(٢):

رُدُّوا عَلَيَّ شَوَارِدَ الْأَظْمَانِ
لَا يَغْرُرُنَّكُمْ^(٤) أَصْطَبَارِي إِنَّهُ
فَعَلَامٌ أَسْتَسْقِي الظَّلُولَ وَمَا الَّذِي
يَا صَاحِبِي وَمَا الْمَلَامُ بِنَافِعِ
عُنِّي مَلَامِكُمَا الْأَلِيمِ فَقَدْ رَأَى^(٦)
كَمْ كَثُرَ اللُّؤَامُ فَيْكَ^(٧) وَمَا وَعَى
قَلْ^(٩) كَيْفَ يَأْمُرُنِي الْعَوَاذِلُ سَلْوَةَ
يَا سَاكِنِي نُغْمَانِ أَيْنَ زَمَانِنَا
إِنْ زَلَّيْتُ عُنِّي فَلَسْتُ^(١١) بِزَائِلِ
وَلَكُمْ^(١٣) مَعَ الْهَجْرَانِ وَجَدِي بَعْدَكُمْ
وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ أَمِيلُ صَبَابَةً
وَيَخُونَنِي طَرْفِي فَيَنْطِقُ بِالَّذِي
شَوْقاً وَإِنْ لَمْ تَسْمَحُوا بِزِيَارَةِ
أَبْغِي دَنُوَ الْحَيِّ مِنْ أَبْيَاتِكُمْ

مَا الدَّارُ إِنْ لَمْ تُغْنِ بِالْأَوْطَانِ^(٣)
ثَوْبٌ تَمَزَّقَهُ يَدُ الْهَجْرَانِ
يُجْدِي وَقُوفَكُمْ بِغَيْرِ بَيَانِ^(٥)
مَا لِي بِدَاعِيَةِ السَّلَوُ يَدَانِ
بِهَوَى فَوَادِي غَيْرِ مَا تَرِيَانِ
سَمْعِي وَمَا^(٨) مَلَكُ الْغَرَامِ عَنَانِي
وَيَدُ الصَّبَابَةِ وَالْهَوَى نَهْبَانِي^(١٠)
بَطُونِيْلَعِ يَا سَاكِنِي نَعْمَانِ
قَلْقِي الْقَدِيمَ بِكُمْ وَلَا^(١٢) أَحْزَانِي [٢٠٨]
وَجْدِي وَأَشْجَانِي بِكُمْ أَشْجَانِي
مَنْ ذَكَرَكُمْ كَتَمَّ أَيْلِ السَّكْرَانِ
أَخْفِيهِ مِنْ شَأْنِي الْمَنِيعِ الشَّانِ
وَهَوَى وَإِنْ لَمْ تُنْتَعِمُوا^(١٤) بِتَدَانِي
طَمَعاً بِقُرْبِ تَزَاوُرِ الْجِيرَانِ
[بحر الكامل]

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الوتر القديم^(١٥)، نَعَمْ أَحِبَابِهِ بِحَبِّهِ فَلِلْأَشْوَاقِ عِنْدَهُمْ مَقْعَدٌ

(١) عبارة «ورضي الله عنه» ساقطة في (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والآيات تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل التاسع عشر.

(٣) في (م) و(ع): «من أوطان».

(٤) عبارة «لا يغررنكم»، في الأصل: «ولا يغررك»، وفي (ع): «لا يغرركما»، والتصويب من (م).

(٥) البيت ساقط في (م) و(ع).

(٦) عبارة «عني.. إلخ»، في الأصل: «كفوا ملامكم عني فقد أتى»، والتصويب في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «فيه».

(٨) في (م) و(ع): «ولا».

(٩) في (م) و(ع): «بل».

(١٠) في (م) و(ع): «فليس».

(١١) كلمة «ولا»، في الأصل: «مع»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٢) في الأصل (م) و(ع): «والنعم»، والصواب ما أثبتناه، وذلك تبعاً لما جاء في الأصل في الخطبة الثانية من الفصل التاسع عشر.

(١٣) في (م) و(ع): «نتعموا». وأمتعت بالشيء أي تمتعت به. ابن منظور، اللسان، «متع»، ٣٣٢/٨.

(١٤) في (م) و(ع) زيادة: «رافع السماء وباسط الأرض ومعقب نهاره بالليل البهيم».

ومقيم، هَيِّمَهُم في القفار ولا عجب إن المحب بحبيبه^(١) يهيم، لقلوبهم خفقان إذا ذكر الحبيب^(٢) وليلهم بالأشواق ليل السليم، لا يطيق عنه سلوة وقد تعرض بَرَق حبه وألم به نسيم، قلوبهم صحيحة بحبه والجسم منهم^(٣) سقيم، أنفاسهم رسائل وعبراتهم وسائل وسلوهم راحل وشوقهم مقيم^(٤)، رضوا بأفعال الحبيب في كل حال فهم بين سلام وتسليم، تنعموا بمراده شقاء كان لهم أو^(٥) نعيم، كل عيش يَغِيب^(٦) عنهم^(٧) محبوبهم فهو عيش ذميم، نظموا دُرَّ أنفاسهم في سلك المراقبة فعزَّ في سوق القيامة^(٨) وهو يتيم، ليت شعري بأي وسيلة وصلوا إلى هذا المقام الجسيم، وأقعد أهل الحرمان في تيه الغفلة وهو وخيم، ضيعوا ربيع الشباب في الغفلة فطلبوا^(٩) السفر في الكبر^(١٠) وهو هشيم، يا^(١١) معشر المذنبين شمروا للتوبة^(١٢) فالأمر عظيم، فما^(١٣) ينفع في منقطع القبر [٢٠٨ب] أهل ولا مال ولا صديق ولا^(١٤) حميم، حثوا عيس نفوسكم^(١٥) في صحراء السلوك وإياكم والعدول عن الطريق^(١٦) القويم، ﴿سَاقِفُوا إِنَّكَ مَغْفِرٌ مِّن رَّيْبِكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَمَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١٧)، فسبحان مبدئ الخلق ومعيدهم ومحيي العظام الرميم، أحمداه حمداً أرجو به نعمة تستديم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وذو الخلق العظيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين حموا دينه بما حموا به المال والبنين والحریم^(١٨).

يا أخي أعرنى سمعك حتى^(١٩) أتحدث معك أيقظان أنت^(٢٠) أم أنت نائم، أجلس مع نفسك في مجلس الخلوة كالمنادم، وقل لها ذهب كسرى وقيصر وكل لما عُلِمَ قادم^(٢١)، كم نُسي من ذكر المترفين وذكر معروف قائم، كم تحت اللحد من مظلوم وظالم، رحل الكل عن

-
- (١) في (م) و(ع): «محبوه».
- (٢) في الأصل: «منه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «أم».
- (٤) في (م) و(ع): «عنه».
- (٥) في (م): «وطلبوا».
- (٦) في الأصل: «بالكبر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٧) في الأصل: «التوبة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) كلمة «ولا» ساقطة في (م) و(ع).
- (٩) في الأصل: «نفوسهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) عبارة «فسبحان.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «نفوسهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «طريق»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) عبارة «فسبحان.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٥) عبارة «سمعك حتى»، في (م) و(ع): «قلبك».
- (١٦) عبارة «وكل لما علم قادم»، في (م) و(ع): «وكل على ما قدم نادم».
- (١٧) سورة الحديد، آية ٢١.
- (١٨) (٢٠) في (م) و(ع) زيادة: «اليوم».

معلومهم والمعالم، وعبرات الأسف تجري من عيونهم^(١) سواجم، ضيعوا أيام الشباب في الغفلة وفي الكبر يقرعون سن^(٢) نادم، نسوا الآخرة وهي يقظة وأقبلوا على الدنيا وهي أحلام نائم، يا كهول الإهمال نوحوا على ما سلف نوح الحمام^(٣)، يا شيخ الغفلة ما أقبحك إذا كان سنك باسم، هذا أوان الحصاد وأنت على الأمل^(٤) عازم، كيف بقاء العمر وقد ضعفت القوة^(٥) وهي الدعائم، خاب من لم يزرع وندم من لم يحضر قسمة الغنائم، فديت أرباب المجاهدة فديت أهل العزائم، لو علم الغافل ما قدم [٢٠٩] و^(٦) بين يدي من يحاكم، لقطع الخوف منه الحشى والحيازم^(٧)، يا من أذن شبيهه على صومعة الهرم وليل غفلته^(٨) عاتم، الموت ويحك إقامة ما ترجع^(٩) بالرقى ولا بالعزائم^(١٠)، ما أراك طاهراً لصلاة التوبة ما أراك في ركب التائبين منادم^(١١)، كم لي أضرب جلمود قلبك وقد قسى من ارتكاب الجرائم^(١٢)، يا من نصب أمله وخفض عزيمته سيحزنك الموت الحازم^(١٣)، نهارك في طلب القوت وليلك للرقاد عيش^(١٤) البهائم، ما أخوفني أن يكون الطرد في أصل الفطرة^(١٥) لازم، إذا^(١٦) لم تندم على ما تقدم فأعلم على^(١٧) ما أنت قادم، سفينة عمرك أخذت في الانتقاض^(١٨) وبحر آمالك متلاطم، الشيب والحرمان والتسويق وظلام الغفلة متراكم، فشمري يا أخي وبادر فتوب الرباء لا يصلح للمواسم، رُدَّ ظلام الغفلة ولا تكن ظالم، أما عاينت مغسولاً فوق نعشه ومن خلفه لما^(١٩) خَلَّفَ^(٢٠) قاسم، وهو^(٢١) يسرع في تجهيزه والمحروم على ما قدم قادم^(٢٢)، إذا وقف الوارث للعرزاء عينه باكية وقلبه باسم، ما ينفع الضرب في الحديد البارد ويُبْسِه متقادماً، معشر^(٢٣) الفقراء طاب لكم الوقت والحق قديم^(٢٤)، «سَاقِئُوا إِلَيَّ مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةً عَرْضُهَا

- (١) في (م) و(ع): «من عيون عيونهم».
- (٢) في (م) و(ع): «من»؛ والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «الحمام».
- (٤) في (م) و(ع): «الآمال».
- (٥) في (م) و(ع): «القوى».
- (٦) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (٧) الخيزوم: ما أستدار بالظهر والبطن، أو ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر. الفيروزآبادي، القاموس، «حزم»، ١٤١٣.
- (٨) في الأصل: «غفلة»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) في (م) و(ع): «يدفع».
- (١٠) في (م) و(ع): «بالتائم». والعزائم: الرقى، وعزم الراقي: كأنه أقسم على الداء. ابن منظور، اللسان، «عزم»، ٤٠٠/١٢.
- (١١) في (م) و(ع): «قادم».
- (١٢) في (م) و(ع): «العظام».
- (١٣) عبارة «سيحزنك الموت الجازم».
- (١٤) في (م) و(ع): «يا عيش».
- (١٥) في (م) و(ع): «طبيعتك».
- (١٦) في الأصل: «إذا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «الانتقاض».
- (١٩) في (م) و(ع): «خلفه».
- (٢٠) في (م) و(ع): «نادم».
- (٢١) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢٢) في (م) و(ع): «فيا معشر».
- (٢٣) في (م) و(ع): «نديم».
- (٢٤) في (م) و(ع): «نديم».

كَرَّمَنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

عفان بن مسلم^(١) رحمه الله تعالى قال: قال لي حماد بن سلمة: ألح علينا المطر سنة من السنين، وفي جوارري امرأة من المتعبدات لها بنات [٢٠٩ب] أيتام، وقد وكف عليهم السقف^(٢)، فسمعتها تقول: يا رفيق أرفق بي، فسكن المطر... تقدمت هذه الحكاية^(٣). شعر^(٤):

ألام على فَنِيض الدَّمُوعِ ولا أرى مُحِبّاً كَثِيباً لِلدَّمُوعِ يَصُون
أَبْكِ حَمَامَ الْأَيْكِ مَنْ فَقَدَ إِلْفَهُ وَأَصْبَرَ عَنْكَ^(٥) كَيْفَ ذَاكَ يَكُونُ
وما لي لا أَبْكِ وَأَنْدُبَ مَا مَضَى وداء الهوى بَيْنَ الضُّلُوعِ دَفِينُ
[بحر الطويل]

يا فتیان السلوك کم لکم فی مدرسة المواعظ فهل فيکم من تحلى بحاله، يا قراء المعرفة أقرأوا أدلة التوحيد في ألواح أفعاله، قبل أن يمحو المكتوب يد البلى ويُغزل العامل عن أعماله، أضغ بفهمك لهاتف العبر كيف يعبر عن أفتراقه بعد اتصّاله، أستنطق ألسنة الكون يخبرك^(٦) عن نقصه بعد كماله، لا يفهم هذه المعاني من قنع من الفهم بطيف خياله^(٧)، كيف لا يعاين معاول الكبر من رأى الشيب^(٨) في أمثاله، عجباً لمن كُسي ثوب الشباب وهو يمزق في أوصاله، يا مدنساً ثوب تقواه^(٩) يا مماطلاً للتوبة بمطاله، يا تائهاً في قفار التسويف ولا خطرت التوبة^(١٠) بباله، أصبر^(١١) ويحك على قطع مسافة العمر وأندب في^(١٢) ركائبه وأطلاله، إنما يلوح هلال الهدى لمهتدي على بعد مناله، فإن حال غمام^(١٣) المعصية^(١٤)

- (١) هو عفان بن مسلم بن عبد الله، أبو عثمان البصري الصّغار، الإمام الحافظ، محدث العراق، بقية الأعلام، ثقة متقن ثبت، توفي سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، وقيل سنة ٢١٩هـ. ابن الجوزي، الصفة، ٧/٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٠/٢٤٢.
- (٢) عبارة «وقد وكف... إلخ»، في (م) و(ع): «فوكف السقف عليهم».
- (٣) عبارة «تقدمت... إلخ» ساقطة في (م) و(ع)، وقد أعيدت القصة فيهما بكاملها. والقصة تقدم ذكرها في الخطبة الثالثة من الفصل الثامن.
- (٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والآيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثاني.
- (٥) في (م) و(ع): «عنه».
- (٦) في (م) و(ع): «تخبرك».
- (٧) عبارة «من قنع... إلخ»، في (م) و(ع): «من قنع من طيف الفهم بخياله».
- (٨) في (م) و(ع): «المشيب».
- (٩) في (م) و(ع): «تقواه».
- (١٠) عبارة «ولا خطرت التوبة»، في (م) و(ع): «ما خطرت النجاة».
- (١١) في الأصل: «ما صبر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «على».
- (١٣) في (م) و(ع): «غمام».
- (١٤) في الأصل: «التوبة»، والتصويب من (م) و(ع).

فرياح التوبة تخرجه من بين^(١) سحائبه وظلاله، أوقد مصباح الفكر^(٢) في بيت القلب فعسى تضيء وحشة إقباله، مثل لنفسك^(٣) في إحدى القبضتين^(٤) لعلك شُغِلت [٢١٠] بالهجران عن وصاله، أعمل بمقتضى الإخلاص^(٥) فما يعلم الخليّ حال الواله، الخائب من سافر بلا زاد وحاله^(٦) تحكم في حاله^(٧)، ليت شعري ما بضاعتك في القبر إذا أصبحت من^(٨) نُزَّاله، ويحك متى ترد ماء التوبة متى تشرب من زلاله، يا أعمى البصيرة لا تظنه رمداً أو حلك الحرمان في أوحاله، ليس للأعمى دواء ولا خطرت التوبة بباله، نهار الخفاش ليل في إدباره وإقباله، يا مضيقاً أيام الشباب في لهوه وضلاله، هذه قواعد القوى ثم^(٩) وأنت موثق من الشيب في حباله، هذا الكبير ينوح على خراب عمرك ويندب^(١٠) في ترحاله، يا شيوخ الغفلة ما بقي من العمر إلا ما يدركه الجفن بخياله^(١١)، إذا لم يساعد التوفيق شخصاً لم يسمع لكلامه^(١٢)، كم لي أتحدث معك في حديث القبر وأهواله، غلبك طرش الغفلة فأصمك عن نصحي ومقاله، ما حيلة المتطبب في مجنون قيده الحرمان بأغلاله، إذا لم تسمع من قلبك فقد خيبك التوفيق من أماله، لأي وقت تسوف بالتوبة وقد فاح عن^(١٣) عطرية القبول النسيم، ﴿سَاقِبُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

عن^(١٤) أبي الحارث الأولاسي^(١٥) رحمه الله تعالى

(١) في (م) و(ع): «تحت».

(٢) في (م) و(ع): «نفسك».

(٤) قوله هذا إشارة إلى حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه أحمد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال له أبو عبد الله - غير منسوب - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ﷻ قبض قبضة يمينه وقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى بيده الأخرى جلّ وعلا، فقال هذه لهذه ولا أبالي». الإمام أحمد، المسند، رقم الحديث (٢/١٧٥٦٢)، ٢٤١/٤. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ١٨٦. وقد أخرج مسلم في صحيحه في هذا المعنى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم». مسلم، الصحيح، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة... إلخ، رقم الحديث (٣١/ ٢٦٦٢)، ٢٠٥/٤.

(٥) في (م) و(ع): «الإخلاص».

(٦) في (م) و(ع): «آجاله».

(٨) في الأصل: «ومن»، والتصويب من (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «تهد». والتمد: الماء القليل الذي لا ماداً له. ابن منظور، اللسان، «تمد»، ١٠٥/٣.

(١٠) في (م) و(ع): «ويندبه».

(١٢) في (م) و(ع): «لسؤاله».

(١٤) في (م) و(ع): «بلغنا عن».

(١٥) في الأصل و(م) و(ع): «الإفلاسي»، والتصويب من تاريخ الإسلام للذهبي. وأبو الحارث: هو الفيض =

أنه قال^(١): «رأيت رجلاً على رأس الجبل^(٢) كأنه^(٣) شن بال وهو^(٤) شاخص ببصره نحو السماء لا يفتر عن الذكر، فسألته^(٥) المقام معه، فقال: إن أطقت ما طقت^(٦) وإلا فأمض عني. قلت: وما هو؟ قال: [٢١٠ب] يكون الذهب والفضة عندك بمنزلة الحصى والمدر^(٧)، والسباع والهوام كالطير والأنعام، وخوفك من جليسك^(٨) كخوفك من السباع، وخوفك من صحبتهم على دينك كخوفك من الشيطان فلعلك تنال ما تريد، ومتى كان الذهب والفضة أكبر في قلبك فإنك تميل إلى الكبر، ومتى هبت السباع يوشك^(٩) أن تبعد إلى الأمن، ومتى أنست بالمخلوقين يوشك^(١٠) أن تهرب من الوحشة^(١١)، وثلاثة أشياء منهن^(١٢) تمام الأمر: أن تعلم أنك ميت لا محالة، وتعلم أن لك رزقاً مقسوماً، وأجلاً معلوماً، والثالث أن تقصر الأمل، فهناك^(١٣) لا تبالي أين تحل من البلاد، ولا من شاهدت من العباد، فتقدم إن شئت على بصيرة وإلا فتأخر عن^(١٤) ضعف وعجز. قلت: صف لي ما يزيد في صبري. قال: تعلم أن الله تعالى^(١٥) ناظر إليك، فقد روي في الأخبار: «بِعَيْنِي مَا^(١٦) يتحمل المتحملون من أجلي، وما يكابد المكابدون^(١٧) في طلب مرضاتي^(١٨)»، فإذا علمت أن صبرك يرضي مولاك صبرت. قلت: فما السبيل إلى الرضى؟ قال: علم القلب أن الله عدل^(١٩) في قضائه، غير متهم في أحكامه^(٢٠). قلت: فما معنى الرضى؟ قال: سكون القلب بمر القضاء، ثم قال: لا تنم^(٢١)

- = ابن الخضر بن أحمد الأولاسي، الجليل الزاهد، نزيل طرسوس، كان من المشايخ الكبار وله آيات وكرامات وعجائب، توفي سنة ٢٩٩ هـ - ٩١١ م. السمعاني، الأنساب، ٣٨٨/١. ابن الملتن، طبقات الأولياء، ص ٢٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ٢٩١ - ٣٠٠ هـ، ص ٢٢٧.
- (١) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٣٦٥/٤. (٢) في (م) و(ع): «جبل».
- (٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٤) كلمة «وهو» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) في (م) و(ع): «فسألت».
- (٦) في (م) و(ع): «طوّقت».
- (٧) عبارة «بمنزلة.. إلخ»، في (م) و(ع): «كالحصى والمدر». والمدر: قطع الطين اليابس. الفيروزآبادي، القاموس، «مدر»، ص ٦٠٩.
- (٨) في (م) و(ع): «جنسك».
- (٩) في (م) و(ع): «أوشتك».
- (١٠) عبارة «بالمخلوقين يوشك»، في (م) و(ع): «إلى المخلوقين أوشتك».
- (١١) في الأصل: «الوحش»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «هن».
- (١٣) في (م) و(ع): «هنالك».
- (١٤) في (م) و(ع): «على».
- (١٥) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
- (١٦) عبارة «وما يكابد.. إلخ»، في (م) و(ع): «وما يكابدون».
- (١٧) قوله: «بِعَيْنِي مَا يتحمل المتحملون.. إلخ»، هو بعض ما قاله وهب بن منبه في الخبر الذي أخرجه عنه أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ٦٠/٤.
- (١٨) عبارة «أن الله عدل»، في (م) و(ع): «بأن المولى عادل».
- (١٩) عبارة «في أحكامه»، في (م) و(ع): «فيما حكم».
- (٢٠) في الأصل: «أنتم»، والتصويب من (م) و(ع).

إلا نوم يقظان، وكيف ينام^(١) من لم يأتِه أمان^(٢)، ويادر قبل الفوت، وأستعن على تصفية
الطَّلعة بالقلة^(٣)، والتمس الصمت بقلة الخُطى وأتبع قول رسول الله ﷺ^(٤) وقول السلف
الصالح^(٥)، ولا تميلنَّ إلى محدثات الأمور فكل محدث^(٦) بدعة^(٧)، وأعلم أن الله ﷻ^(٨)
يراك فأتقه، وقر^(٩) له بالقسط على نفسك، وقر له بالوحدانية إن^(١٠) كنت له عبداً، وتجرد من
الهموم الشاغلة [٢١١] وأجعل الهم هماً^(١١) واحداً ترتج^(١٢) في العاجلة والآجلة. شعر^(١٣):

أيا^(١٤) حَبِّ ذا نجدٍ وطيب ترابه وسكَّانه إن كان نجد على عهد^(١٥)
أجِنَّ إلى نجد فيا ليت أنني سقيت على سلوانه من هوى نجد
وقد زعموا أن المحب إذا دنى يملَّ وأن البعد يشفي من الوجد
بكلِّ تداورنا فلم يشف ما بنا على أنَّ قرب الدار خير من البعد
وإن وعدت زاد الهوى بأنظارها وإن بخلت بالوعد ذبت من الوجد
ففي كلِّ حَبٍّ لا محالة فرحة وحبك ما فيه سوى مُحكم الجهد^(١٦)

[بحر الطويل]

إلهي من يجبر الكسير سوى طيب عفوك، إلهي من يقرب البعيد سوى دليل فضلك^(١٧)،
إلهي أرحم من ليس له أمل سواك برحمتك^(١٨) يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم تسليماً عليه وعليهم
أجمعين^(١٩).

(١) في (م) و(ع): «يأمن».

(٣) عبارة «على تصفية.. إلخ»، في الأصل: «على تصفية اللقمة باللقمة»، والتصويب (م) و(ع). والطعمة:
وجه المكسب. الفيروزآبادي، القاموس، «طعم»، ص ١٤٦٢.

(٤) عبارة «رسول الله .. إلخ»، في (م) و(ع): «الرسول ﷺ».

(٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «محدث».

(٧) قوله هذا إشارة إلى بعض ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ
قال: «أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هُدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة
ضلالة». مسلم، الصحيح، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث (٤٣/٨٦٧)، ٥٩٢/٢.

(٨) عبارة «عز وجل» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) في (م) و(ع): «وقم».

(١٠) عبارة «وقر له بالوحدانية.. إلخ»، في (م) و(ع): «وتفرد بالفرد إذا».

(١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات لقيس بن الملوح. انظر: الديوان، ص ١١٢، ١١٣.

(١٤) في (م) و(ع): «ألا».

(١٦) في (م) و(ع): «الوجد».

(١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٩) عبارة «وصلى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الرابع والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أباح للعارفين معرفته^(١) فكان نطقهم عليه^(٢) دليلاً، رفع السماء بلا عمد وجعل للملائكة^(٣) فيها عروجاً ونزولاً، منها يهبط^(٤) الوحي^(٥) وإليها تصعد الأعمال بكرة وأصيلاً^(٦)، دحى الأرض ليظهر حكمته وجعل الجبال^(٧) الرواسي قواعد وأصولاً، رتب فيها الأسباب لصلاح المعاش^(٨) وذلّل الأنعام تذليلاً، أسكنها ملائكة التسخير وفجر فيها أنهاراً وسيولاً، قدّر فيها أرزاق المرزوقين موزوناً ومكيلاً، [٢١١ب] بعث فيها المرسلين فأنظم نظام التوحيد بعد أن كان محلولاً، قدر على العالم الرحلة^(٩) إلى الفناء قرناً وقيلاً جيلاً، ليدخل الوجود من تعلق بعلمه ثم يرحله إلى القيامة ترحيلاً، وجودهم كنجوم طالعة وإعدامهم كنجوم أردن^(١٠) أقولاً، كم على ظهرها من جباه ساجدة يرتلون في الدجى آياته^(١١) ترتيلاً، وكم له في الأسحار من مستغفر جعل أستغفاره لمولاه رسولاً، وكم فيها من صائم أنحل جسمه وأحكم عقد الصدق بعد أن كان محلولاً، وكم راض بقضائه أثبتته^(١٢) الرضى وكان عجولاً، كم على أبواب فضله من رسائل^(١٣) أطافه دائمة^(١٤) وهباته تسيل^(١٥) مسيلاً، جواد لا يبخل عم عطاؤه أجساماً وأرواحاً وعقولاً، كم^(١٦) على ظهرها من عاص لا يعجل عليه وإن كان في سيره للمعصية تعجيلاً، كم على ظهرها من يعبد غيره ويتخذ به سواء بديلاً، نعم أحبائه وأعدائه بنعمه وأعطاهم^(١٧) من فضله عطاء جزيلاً، ما أحلمه على من عصاه وجعلته

(١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٢) في الأصل: «عليهم»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «الملائكة».

(٤) عبارة «منها يهبط»، في الأصل: «منه يهبه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «الوحي العزيز».

(٦) قوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...» الحديث، تقدم الحديث في الخطبة الأولى من الفصل الخامس.

(٧) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٨) في (م) و(ع) زيادة: «والمعاد».

(٩) في الأصل: «الرحمة»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٠) الأزْدَن: ضرب من الخز الأحمر. ابن منظور، اللسان، «ردن»، ١٧٧/١٣. وقد شبه لون النجم في أقوله بلون الخز الأحمر.

(١١) في (م) و(ع): «آياته في الدجى».

(١٢) في (م) و(ع): «ثبته».

(١٣) في (م) و(ع): «سائل».

(١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «يسيل».

(١٦) في (م) و(ع): «وكم».

(١٧) عبارة «بنعمه وأعطاهم»، في (م) و(ع): «بنعمته وأناهم».

المعصية ذليلاً، جعل التوفيق دليل من أطاعه^(١) وفضّله بطاعته تفضيلاً، وجعل الحرمان ذليلاً على^(٢) من عصاه وسجّل الشقاء عليه^(٣) تسجيلاً، يحشر الكل ليوم عظيم لم ير^(٤) إلا سائلاً ومسؤولاً^(٥)، ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابِهِ يَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(٦).

يا هذا لا يزال الثائبون يهربون [٢١٢] إلى دير الخلوة هروب الخائف إلى ديار^(٧) الأمان، لهم في صحراء الليل تأنس بمدامع الأجفان، كتب السجود في ألواح جباههم^(٨) خطوط الفرقان، كم لأقدامهم في الدجى من جولان، وكم لهم في وادي السحر من^(٩) عيون تجري كالطوفان، فإذا لاحت أعلام الفجر كبروا عند مشاهدة العيان، فديت طراق دير الدجى فديت أرباب العزائم فديت الفتيان، بادروا راهب الخلوة وقالوا^(١٠) ها نحن لك جيران، تركنا الأسباب والأهل والأوطان والجيران^(١١)، فارقتنا شهوات النفوس والأبدان، وخربتنا ديار اللهو وأفقرت^(١٢) منذ أزمان، طلقنا الدنيا بتاتاً وهجرنا الديار^(١٣) والسكان، سقيننا من شراب الأنس شربة ولو كان بما كان، أجابهم راهب الإخلاص خذوا عني حديث من حل هذا^(١٤) المكان، أصحابهم^(١٥) أنس المقيمين ورأوا الركبان، لبسوا حلة الجوع بالنهار وتركوا حديث من حلّ ومن كان، عمروا القلب بالتقوى والذكر باللسان^(١٦)، أقاموا عليهم حارس الورع وللمعاني في جو عقولهم لمعان، لهم تراحم على باب الدجى فمنهم صباح ومنهم نشوان^(١٧)، ومنهم من خامره الشوق فهو من الحب ولهان، ومنهم من غلبه الوجد فهو^(١٨) بالعُلب^(١٩) سكران، أفناهم الخوف وأبلاهم القلق والحق تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢٠)، سميرهم ذكر الحبيب

(١) عبارة «من أطاعه»، في الأصل «على إعطائه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٣) عبارة «الشقاء عليه»، في (م) و(ع): «عليه القضا».

(٤) في (م) و(ع): «تر».

(٥) عبارة «إلا سائلاً ومسؤولاً»، في الأصل: «لا سائله ولا مسؤولاً»، والتصويب من (م) و(ع).

(٦) سورة الإسراء، آية ٧١.

(٧) في (م) و(ع): «دار».

(٨) في (م) و(ع): «وجوههم».

(٩) كلمة «وقالوا» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الأهل».

(١٢) في (م) و(ع): «فأفقرت».

(١٣) في (م) و(ع): «في اللسان».

(١٤) عبارة «ومنهم نشوان» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «وهو».

(١٦) في الأصل و(م) و(ع): «بالغفلة»، وهي من (ب).

(١٧) عبارة «والحق تعالى.. إلخ»، في (م) و(ع): «وهم من القلق كل يوم في شأن». وقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الرحمن، آية ٢٩.

ولهم بالتلاوة ألحان، نازلوا منازل التوكل فأصبحوا^(١) فيها قَطَّان، [٢١٢ب] باعوا شهوات النفوس بأبخس الأثمان، سجلوا^(٢) على نفوسهم سجل الرضى بالقضاء فأهلاً بالرجال الشجعان، صححوا دين الغرام ودين الغرام لعمرى أديان، فعندما تم لهم هذا الأمر وكمل لهم هذا الشأن، طرقوا دير الخلوة فأجابتهم الرهبان، رهبان دير الدجى أبداً ﴿نَجَّافٍ جُنُودُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٣) لهم تلحين بالقرآن، خامرهم الخوف فسكروا من شربه مخافة النيران، منهم من سقى شراب المحبة صرفاً وتزايدت بهم^(٤) الأحزان، ومنهم من مزج له بالشوق^(٥) فعائين منه ألوان، كم خربوا في حبه من منزل وكم أيتما من ولدان، تراهم أبداً سكاناً^(٦) في القفار وفي^(٧) البلدان، قلوبهم مملوءة بالحب^(٨) وظاهرهم مضمخ بالأحزان، ينادي لسان أشواقهم لا كان من رام السلو لا كان، خرق لهم حجاب العادة^(٩) وعقدت على رؤوس ولايتهم التيجان، مجلس أنسهم مضمخ بالمشاهدة لليل الأركان، يا معشر الفقراء طوفوا بهذا الدير وزاحموا على بابهِ وياكروا هذه^(١٠) الدنان، طيبوا على هذا السماع وتواجدوا على هذه الألحان، معكم جمال المحبوب في الكون والجمال يا أخي أفنان^(١١)، ما أطيب عيش الصديقين^(١٢) شربوا هذا الشراب وياحوا بالكتمان، فما^(١٣) تراهم إلا بين واجد^(١٤) وخائف وراج وهيمان^(١٥)، فعندما يتجلى^(١٦) لهم محبوبهم في قلوبهم أغناهم عن شهود العيان، لطفهم بملاطفة ﴿يَنْعِيَادُ﴾ [٢١٣] لَا حَوَّ عَلَيَّكَ الْيَوْمَ^(١٧) و^(١٨) لكم الأمان، بعيني ما تحملتم من أجلي فكم ساهر عين وكبد^(١٩) من الشوق عطشان، سأكشف^(٢٠) الحجاب عن وجهي فتتعمون بما لم يخطر على قلب إنسان، ألبسكم حلل الرضا وأبسط^(٢١) مجالسكم بالرضوان، أسقيكم شراب التوحيد

-
- (١) في (م) و(ع): «وأصبحوا».
- (٢) قوله: ﴿نَجَّافٍ جُنُودُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة السجدة، آية ١٦.
- (٣) في (م) و(ع): «به».
- (٤) في (م) و(ع): «سكارى غرباء».
- (٥) في (م) و(ع): «بالأشواق».
- (٦) في (م) و(ع): «بالحرق».
- (٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (١١) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٧) قوله: ﴿يَنْعِيَادُ لَا حَوَّ عَلَيَّكَ الْيَوْمَ﴾، اقتباس من قوله تعالى من سورة الزخرف، آية ٦٨. وكلمة اليوم ليست في (م) و(ع).
- (١٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٢٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٣٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٤٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٥٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٦٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٧٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٨٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٠) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩١) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٢) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٣) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٤) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٥) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٦) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٧) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٨) في (م) و(ع): «فنان».
- (٩٩) في (م) و(ع): «فنان».
- (١٠٠) في (م) و(ع): «فنان».

صرفاً خالصاً فأنا الحنان المنان، فياً^(١) أهل السماع تواجدوا معشر الإخوان^(٢)، أين المشتاق لهذا الشراب هذا كأس المتاب ملآن، جانبوا أهل الرياء فالمكتسي منهم عريان، لا تنادموهم في هذا الشراب فما لهم عليه^(٣) إدمان، أين أنت من أهل الصفا يا مضيعاً عمره في العصيان، بادروا قبل تغير^(٤) الحال فتعودوا بالخيبة والخسران، بادروا قبل غلق الدستور ودع عنك قالا وقيلا، «فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ يَسِيرُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَطْلُمُونَ فَيَلَا».

عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى قال: «ركبنا في مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فإذا فيها رجل يعبد صنماً...» تقدمت هذه الحكاية في الثامن عشر^(٥). شعر^(٦):

ماحال راية وصلكم أن تنشرا	كرما وميئت هجركم أن ينشرا
أحبابناكم ذا الجفا تجنّيا	وإلى متى هذا الصدود تجبّرا
إن عُيِّبَتْ صفحات صَفْح وجوهكم	فَالخَطُّ منها في الفؤاد ^(٧) تَسَطَّرَا
لي بعدكم قلب تقلّب في الجوى	وجفون عيني قد جفّت سنة الكرى
وتحدّر الدمع الذي لولاكم	وجرت به ريح الجنوب لما جرى [٢١٣ب]
يرتاح قلبي كلما ذُكر الحمى	شوقاً كأنني قد شربت المسكرا
وإذا يهبت نسيم ريح دياركم	تُغْنِي المعاطس أن تشم العنبرا
ما زال جيش تواصلني في غبطة	حتى أعدّ ^(٨) البين منه عسكرا
كان الوصال مقدماً بوصالكم	فأتى النوى فأرتدّ منه مؤخرأ
ما لام فيكم عاذل فرأى الذي	بي من جوى إلا أتى مُسْتَعْذرا
هيهات أنساكم وأنسى ذكركم	من ذا لما طَبَعَ الإله مغيّرا
أمن ^(٩) المروءة أن تناموا عن فتى	خيران صَادٍ للوصال فيسهرأ
جرت المدامع من شؤون جفونه	بعد النوى حتى جرخن المحجرا

(١) في (م) و(ع): «فياً».

(٢) في (م) و(ع) زيادة: «أين بهلول أين سمنون أين أنتم أيها الإخوان».

(٣) عبارة «فما لهم عليه»، في الأصل: «فيا لهم عليهم»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «تغير».

(٥) في (م) و(ع): «عبد الواحد بن زيد تقدمت حكايته». والقصة تقدم ذكرها في الخطبة الثانية من الفصل الثامن، وأعيدت في الخطبة الثانية من الفصل الثامن عشر.

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والآيات تقدمت في الخطبة الثالثة من الفصل العاشر.

(٧) عبارة «فَالخَطُّ... إلخ»، في الأصل: «فَالخطب منها في فؤاد»، والصواب ما أثبتناه على ما جاء في الأصل في الخطبة الثالثة من الفصل العاشر.

(٨) في الأصل: «عد»، والصواب ما أثبتناه. (٩) في الأصل: «إن»، والصواب ما أثبتناه.

ما هم بالصبر الجميل^(١) فؤاده
قد كان أيسر بالتداني برهة
إلا نهته دموعه أن يصبرا
فاليوم أصبح بالتفرق معسرا
فمتى يرى بالوصل بعد مبشرا^(٢)
[بحر الكامل]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي تفرد بالاختراع فهل ترى في الوجود إلا وجوده^(٣) وفعله، واحد لا يستفتح به العدد وكيف يستفتح بمن كان بعده وقبله، نظم جواهر الوجود في سلك الإيجاد وجمع بالإرادة شمله، أشقى وأسعد وأضل وهدى بلا سبب ولا علة، أقام هذا لطاعته وهذا لمعصيته ليظهر فيهم فضله وعدله، يعطي العطايا^(٤) لمن أطاعه ﴿وَوَيْتَ كُلَّ ذِي قَبْلِ فَضْلَةٍ﴾^(٥)، قضاؤه حتم لا يطيق أحد رده ولا يروم حله، أحصى ديوان علمه عمل العامل سمعه ونظره وقوله، [٢١٤] أوب مكرراً أظهر للعارفين منازل^(٦) الدليل وأفهمهم^(٧) حكم الخطاب وفصله^(٨)، كم له تعالى^(٩) من رحمة للمنكرس يجبر بها^(١٠) فرضه ونفله، وآخر مطرود عن الباب في باطن عمله علة^(١١)، ماء مقلته^(١٢) كدر لا ينفع لذي علة غله، توالى عليه أسقام الخطايا وطبيب الموعظة مله، ليت شعري إذا طرد المحروم عن الباب فمن له، لأي وجه توجه لا يرى فيه إلا شقاء وذلة^(١٣)، يا شؤم المعاصي كم أورثت^(١٤) القلب من ذلة، كيف يصحو من لا يسمع نصيح الناصح ولا من العاذل عدله، وإذا أستعجله الحمام لسفر الموت وحته للرحلة، أجابه كرهاً على عجل بلا مهلة، تجرع من الفراق وترك على الرغم ماله وأهله، وسيره^(١٥) مستعجلاً إلى حفير ضيق ما أهوله، يعاين فيه ما^(١٦) قدمه مما عليه أو^(١٧) له، ويذهل عن معاينة الملكين ويجيب وله وله^(١٨)، ثم

- (١) في الأصل: «الجزيل»، والصواب ما أثبتناه.
(٢) في (م) و(ع): «جوده».
(٣) في (م) و(ع): «جوده».
(٤) في (م) و(ع): «العطاء».
(٥) قوله: ﴿وَوَيْتَ كُلَّ ذِي قَبْلِ فَضْلَةٍ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة هود، آية ٣. وفي (م) و(ع) زيادة: «ويضيق صدر من صدر عن الهدى لم يبق فيهم لفضيلة فضلة».
(٦) في (م) و(ع): «منار».
(٧) في (م) و(ع): «والهمهم».
(٨) الفضل: القضاء بين الحق والباطل، وقول فضل حق ليس بباطل. ابن منظور، اللسان، «فصل»، ٥٢١/١١.
(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
(١٠) عبارة «للمنكرس.. إلخ»، في (م) و(ع): «للمنكرس يجبر».
(١١) عبارة «عمله عله»، في (م) و(ع): «علمه فغلة».
(١٢) في (م) و(ع): «نيتة».
(١٣) عبارة «لأي وجه.. إلخ»، ساقطة في (ع).
(١٤) في الأصل: «أورث»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٥) في الأصل: «وجعله»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٦) في (م) و(ع): «جزاء ما».
(١٧) في (م) و(ع): «و».
(١٨) عبارة «ويذهل.. إلخ»، في (م) و(ع): «يذهب لمعاينة الملكين ويجيبه وله وله». وقوله هذا إشارة إلى جواب المنافق والكافر حين يسأل في قبره عن ربه ونبيه؛ فقد أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان =

تنطبق عليه الأرض فتختلف أضلاعه وتفصل مفاصله^(١)، والروح في أهوال والجسم في أحوال^(٢) فياله من هول ما أهوله، فإن^(٣) المخفون أقدامهم ثابتة^(٤) لأنها ما زلت زلة، والمحروم في شاق الأهوال^(٥) لا يبلغ علوه ولا يدرك سفله، أعجزه القضاء فصيره للأسماع مثلاً وللأبصار مثلة، مهلاً على العصاة سيعانون^(٦) الأهوال بعد المهلة، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْنَاثِ سِرَّاءَ كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ ١٢ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهْقُهُمْ ذُلَّةٌ ﴿٧﴾.

إلهي ما حيلة من شاب رأسه ولم يبلغ فيك الأمل، إلهي ما يصنع من إذا أراد [٢١٥] النهوض أقعده الكسل، إلهي متى تظهر الطريق لمن عن طريق الهدى ضل، كلما ذكر أيام البعاد كاد^(٨) يذوب من الخجل، أستقبل بوجهه وجه اللذات ففاته العمل، أستحکم في قلبه داء الغفلة وإذا أستحکم الداء قتل، يرى ركائب التائبين تمر به وهو يتعلل بالعلل، رواحل همته في طلب الدنيا لها عجل، وإذا طلبت منازل^(٩) الآخرة لها كسل، يا منحرفاً عن طريق الصالحين تيامن إلى طريقهم وسل، أرض الشهوات مسبعة وفيها ضل^(١٠) من رحل، من سافر بغير دليل عن طريق الوصول^(١١) عدل، ويحك أيام الشباب ربيع العمر قام قوامها وأعتدل، وأيام الاكتهال بدر تم إذا البدر كمل، فإذا جاء المشيب عمت الظلمة فيا حيرة الساري إذا البدر^(١٢) أفل، وبعده زمان^(١٣) الحصاد إذا بلغ الأجل الأجل^(١٤)، فبينما^(١٥) الغافل يجبر^(١٦)

= فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل - لمحمد ﷺ - فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل، فيقول لا أدري، كنت أقول ما يقوله الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين. الإمام البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، رقم الحديث (١٢٨)، ٢٠٥/٢. (١) في (م) و(ع): «مفصله». وقوله هذا إشارة إلى ما ورد في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: إذا قبر الميت (أو قال أحدكم) أتاه ملكان... الحديث، تقدم في الخطبة الأولى من الفصل الثالث.

- (٢) في (م) و(ع): «أحوال».
- (٣) في (م) و(ع): «فاز».
- (٤) في (م) و(ع) زيادة: «ما تزل زلة».
- (٥) في (م) و(ع): «الآمال».
- (٦) في (م) و(ع): «سيعانون».
- (٧) سورة المعارج، آية ٤٣ - ٤٤.
- (٨) في (م) و(ع): «يكاد».
- (٩) في (م) و(ع): «مزل».
- (١٠) عبارة «أرض الشهوات.. إلخ»، في (م) و(ع): «أرض التوبة معشبة وفيها وصل».
- (١١) في (م) و(ع): «الوصول».
- (١٢) عبارة «كمل.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٣) في (م) و(ع): «زمن».
- (١٤) الأجل: مدة الشيء، والأجل: غاية الوقت في الموت. ابن منظور، اللسان، «أجل»، ١١/١١.
- (١٥) في (م) و(ع): «بيناً».
- (١٦) في الأصل: «يجري»، والتصويب من (م) و(ع).

ثوب^(١) التسويف على أرض الأمل، مشتغل^(٢) بالذات فأرعى على الشهوات الكَلَل^(٣)، حل به متقاضي المنون فإذا حل المنون رحل^(٤)، قطعه عن المقصود وكم قطع من^(٥) الذاهبين الأول، طمع آدم في الخلود فأكل من الشجرة فأحاله إلى الفناء فنزل^(٦)، ونوح نوح ألف سنة وما بلغ من تمام مراده الأمل، حيل بينه وبين ولده حين أوى إلى الجبل^(٧)، وعاد وثمود طال عليهم الأمد^(٨) فمزقوا كل ممزق وعن حديثهم فسل، كم طاف عليهم من حراس^(٩) وكم سهرت عليهم من مقل، كم^(١٠) حمى^(١١) حماهم من أسود حرب وفرسان أسل^(١٢)، أصبحت [٢١٥ب] قصورهم قبوراً عليها العبرات تهمل، يغرد البوم على أرجائها والغربان نواح والخطب جلل، أين فرعون والجبابرة والذين^(١٣) دانت^(١٤) لهم الدول، كم أعملوا الحيل في البقاء فعاجلهم^(١٥) المنون وما أغنى^(١٦) عنهم الحيل، أين الفراعنة والأكاسرة أين الذين آتخذوا العالم عبداً وخول، أين الظلمة الذين جمعوا المال من حرام وصاروا^(١٧) تمثالاً يضرب بهم المثل، حملوا أوزاراً لا يطيق على^(١٨) حملها السهل والجبل، ﴿يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾^(١٩) بعد أن كانت^(٢٠) قبلة للقبل، محت الدهور آثارهم وحسرتهم^(٢١) على فوت

(١) في (م) و(ع): «رداء».

(٢) في (م) و(ع): «شغل».

(٣) الكَلَّةُ الستر الرقيق، والجمع كِلَل. ابن دريد، جمهرة اللغة، «كله»، ١٧١/٣. ابن منظور، اللسان، «كلل»، ٥٩٥/١١.

(٤) في (م) و(ع): «حل».

(٥) في (م) و(ع): «عن».

(٦) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْغُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلُغُ ﴿١٥﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَمَّا سَوَّيْتُهُمَا وَلَقِفَا خِيضَتَيْنِ عَلَيْهِمَا بَيْنَ وَرَقِي الْغَنَةِ وَصَوَّعَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَنَبَّاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٧﴾ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هَذَا فَلَا يُضِلَّ وَلَا يَشْغَى﴾ [طه: ١٢٠ إلى ١٢٣].

(٧) قوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَادَى ثَوْبُ ابْنَتُهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنُو أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَتَأْتِي إِلَى جَبَلٍ يَخْسِفُ مِنْ أَمَلَةٍ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُفْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢ - ٤٣].

(٨) في (م) و(ع): «العمر».

(٩) في (م) و(ع): «الحراس».

(١٠) في (م) و(ع): «وكم».

(١١) الكلمة ساقطة في (ع).

(١٢) أي فرسان مسلولة سيوفها فهي في بقطة دائمة.

(١٣) كلمة «والذين»، في (م): «أين الذين»، وفي (ع): «الذين».

(١٤) في الأصل: «دامت»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «عاجلهم».

(١٦) في (م) و(ع): «أغنت».

(١٧) عبارة «من حرام وصاروا»، في (م) و(ع): «من الحرام صاروا».

(١٨) في (م) و(ع): «حملوا أوزاراً ثقلاً يضيّق عن».

(١٩) قوله: ﴿يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة النمل، آية ٥٢.

(٢٠) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٢١) في (م) و(ع): «فحسرتهم».

العمل، يودون لو ردوا ساعة هيهات ما ينفع ليت وعسى ولعل، وكأنني بك يا أخي والله راحل مع من رحل، وساكن في^(١) قبر تحصل في سجنه مع من^(٢) حصل، تندم على ما قدمت وأنت في أضيق محل، فأبك على نفسك قبل أن يبكي عليك وأعمل في صلاحك^(٣) الحيل، أعرض على نفسك الصبر عن المعاصي أو^(٤) الصبر على النار منها الفرش والظلل^(٥)، عسى يلين قلب قسى ويثبت قدم قد كان^(٦) زل، هذا مقام التائبين فراق القوم وأستعجل، وإياك التواني^(٧) قبل حلول الأجل، وبعده حسرات تخيب فيها الظنون، ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْجَنَّةِ يِرَاقًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾^(٨) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَفَعَهُمْ ذِلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ^(٩).

قال^(٩) صالح المري رحمه الله تعالى: «قال لي مالك بن دينار: أغد علي يا صالح إلى الجبانة فلاني [١٢١٦] قد وعدت نفراً من أصحابي بزيارة أبي جهير مسعود الضرير^(١٠)...» تقدمت حكايته. شعر^(١١):

سل كيف عاد له الجنون كما بدا يخبرك هل عدل الفراق أم اعتدى
إن كان قربت^(١٢) الجمال وأزْمَعُوا^(١٣) فينا^(١٤) فما أدنى اللقاء وأبعدا
هي^(١٥) فرقة أهدت إليه من الأسى حرقاً تزيد على البعاد توقداً

(١) في (م) و(ع): «منزل».

(٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). وحصله بمعنى حصله، والحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه، والتحصيل: تمييز ما يحصل. الزمخشري، أساس البلاغة، «حصل»، ص ١٢٩. ابن منظور، اللسان، «حصل»، ١٥٣/١١. والمعنى: تحاسب في قبرك على ما حملته معك من أعمال، فيميز بين حسناتها وقبيحها، وتجازى بحسب ما قدمت.

(٣) في الأصل: «صياحك»، والتصويب من (م) و(ع). (٤) في الأصل: «و»، وهي من (م) و(ع).

(٥) الفرش جمع فراش وهو ما أفترش. والظلل جمع ظلة، وكل ما أطبق عليك فهو ظلة وكذلك كل ما أظلك، قال تعالى: ﴿لَكُمْ مِنْ جَهَنَّمَ يَمَادٍ وَمِنْ قَوَاقِبَ عَوَاقِبُ﴾ [الأعراف: ٤١]. والمهاد: الفراش، وغواش جمع غاشية، أي نيران تغشاهم، وقال تعالى: ﴿لَكُمْ مِنْ قَوَاقِبَ ظُلُلٍ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ﴾ [الزمر: ١٦]، أي ظلل لمن تحتهم وهي أرض لهم. ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٠٥/٧، ٢٠٧. واللسان لابن منظور، «مهد»، ٤١٠/٣، و«فرش»، ٣٢٦/٦، و«ظلل»، ٤١٧/١١.

(٦) في (م) و(ع): «كان قد».

(٨) قوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَفَعَهُمْ ذِلَّةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ الآية ليست في (م) و(ع).

(٩) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثاني.

(١٠) عبارة «رحمه الله... إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م): «قد قرب»، وفي (ع): «قد قربت»، وهو تصحيف.

(١٣) أزمع الأمر: مضى فيه وثبت عليه عزمه. ابن منظور، اللسان، «زمع»، ١٤٣/٨، ١٤٤. والمعنى: حكموا علينا بالبعاد وقالوا رأيهم في ذلك.

(١٤) في الأصل: «بنا»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «هل».

لو قابِلَتْ حَجْراً لَذَابَ وَمَنْ لَهُ
لَا تَغْذُلُوهُ^(١) فَلَوْ أَطَاقَ تَجَلُّداً
جَذَبَ الْهَوَى بِعَنَانِهِ فَأَطَاعَهُ
وَحَلَا السَّقَامَ لَهُ وَعَوَّدَهُ الْبُكَى
وَرَدَ الْهَوَى قَوْمَ وَمَا ذَاقُوا الْقِلَى^(٢)
مَا مِنْ رَأَى الْبَلَوَى وَأَثَبَتْ فَعَلَهَا
كَيْفَ السَّبِيلَ إِلَى الْحَيَاةِ لِعَاشِقٍ
وَأَرْخَمَهُ لِلْعَاشِقِينَ مِنَ الْهَوَى
حَمَلَ الْغَرَامَ جَلِيدَهُمْ فَبَكَى أَسَى^(٣)
لِوَرَامٍ دَاعِي الْبَيْنِ رَفَقاً مَا دَعَا
فِي الطَّاعِنِينَ عَنِ الْجَمَى قَلْبَ غَدَا
أَضْحَى يُسَابِقُ رُكْبَهُنَّ مَشِيعاً
مَنْحُوهُ فِي الْجَزَعِ السَّلَامَ وَأَعْرَضُوا
مَاذَا الْوُقُوفَ عَلَى الْعَقِيقِ وَقَدْ خَلَا
بَانُوا فَلَا طَلَّلَ الْأَرَاكَ شَفَى الْجَوَى
وَتَنَكَّرَ الْوَادِي فَأَضْبَحَ بَعْدَهُمْ
مَا لِي وَلِلْسَبْعِينَ لَمْ تَتْرَكَ سَوَى

صَبَرَ عَلَى نَارِ تُذِيبُ الْجَلْمَداً
يَوْمَ النَّوَى حَذَرَ الْعَدَى لَتَجَلَّدَا
وَعَصَى^(٢) وَأَقْصَى لَائِماً وَمَفْنُداً
حَمَلَ الضَّنَى فَجَرَى إِلَى^(٣) مَا عُوْدَا
يَوْمَاً وَلَوْ ذَاقُوهُ عَافُوا الْمَوْرَدَا
نَظَرَا^(٥) كَمَنْ^(٦) سَمِعَ الْبَلِيَّةَ مَوْعِدَا
شَهِدَ التَّفَرَّقَ وَالْفِرَاقَ هُوَ^(٧) الرَّدَى
إِنْ أَتَاهُمُ الْحَادِي بِهِمْ أَوْ أَنْجَدَا
وَرَأَى الْفِرَاقَ بَلِيدَهُمْ فَتَبَلَّدَا^(٩)
أَوْ لَوَرَّتِي حَادِي الْفِرَاقَ لَمَّا حَدَا
عَنِّي بِأَعْبَاءِ الْأَسَى مُتَّفَرِّدَا
إِنْ رَاحَ رَاحَ وَإِنْ غَدَا بِهِمْ غَدَا
فِي الْغُورِ عَنْهُ فَمَا عَدَا مِمَّا^(١١) بَدَا
مِنْهُمْ وَأَقْفَرَ رُبُعُهُمْ وَتَأَبَّدَا^(١٢) [٢١٦ب]
مِمَّا^(١٢) وَلَا مَاءَ النَّقَى نَقَعَ الصَّدَى
قَفَرَا وَأَمْسَى جَمْعُهُمْ مَتَبَدَّدَا
ذَكَرَى^(١٣) لِمَنْ صَحِبَ الصَّبَابَةَ أَمْرَدَا

[بحر الكامل]

(١) فِي الْأَصْل: «تَعَذَّلُوا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٢) فِي الْأَصْل: «فَعَمَى»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٣) فِي (م) وَ(ع): «عَلَى».

(٤) فِي (م) وَ(ع): «الْفَلَا». وَفَلَا الصَّبِي فَلَوْأَ وَفَلَاءَ: عَزَلَهُ عَنِ الرِّضَاعِ وَفَصَلَهُ. ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، «فَلَا» ١٦١/١٥.

(٥) فِي (ع): «تَطَوَّى».

(٦) فِي الْأَصْل: «وَكَمَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٧) فِي الْأَصْل: «وَهُوَ»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٨) فِي الْأَصْل: «الْأَسَى»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(٩) عِبَارَةٌ «بَلِيدَهُمْ فَتَبَلَّدَا»، فِي الْأَصْل: «بَلِيدٌ مَتَبَلَّدَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع).

(١٠) فِي (م): «فِيمَا».

(١١) تَأَبَّدَ الْمَنْزِلُ: أَقْفَرَ. الْفَيْرُوزْآبَادِي، الْقَامُوسُ، «أَبَدَ»، ص ٣٣٧.

(١٢) فِي الْأَصْل: «مَنَا»، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ (م) وَ(ع). (١٣) فِي (م) وَ(ع): «الذِّكْرَى».

قال صالح المري^(١): «كان وزير لأبي جعفر المنصور فسخط عليه وقته، فقرأت فيها ثلاث آيات من القرآن ﴿فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٢)، ﴿فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٢)، ﴿فَبَلَّغْ يَوْمَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾^(٢)، فخرج إلي أسود من ناحية البيت فقال: يا صالح هذه سخطة مخلوق على مخلوق مثله، كيف بسخطة الخالق على المخلوق». وأنشدوا:

أيا من بات يرتكب المعاصي	وعين الله ناظرة تراه
إلى كم أنت في بحر الخطايا	تبارز من يراك ولا تراه
وسمتك سمت ذي ورع ودين	وفعلك فعل متبوع هواه
أتطمع أن تنال الفوز ممن	عصيت وأنت لم تبلغ رضاه
فثب قبل الممات وقبل يوم	يلاقي المرء ما كسبت يده ^(٥)

[بحر الوافر]

[الخطبة الثالثة]

والحمد لله الذي فرض معرفته على قلوب العارفين وأوجب، أشهدهم عجائب صنعته في الظاهر وأشهدهم في الباطن ما هو أعجب، نزههم في بستان الكون وأسمعهم من نغم المعاني ما هو أطرب، نهج لهم^(٦) من سبيله طريقاً قريباً وعلمهم المذهب^(٧)، [١٢١٧] آنسهم في سفرة العمر بتوجيهه وعلمهم في سفرهم الأدب، بلغهم^(٨) المنزل في أقرب^(٩) وقت والمحروم يشقى ويتعب^(١٠)، كم^(١١) وعظهم واعظ المشيب وكم أفصح لهم^(١٢) وأطنب، كم رام^(١٣) النهوض للمتاب فلا^(١٤) يطيق فالقضاء^(١٥) أغلب، من تاه في تيه الحرمان كيف يرجو بلوغ المطلب^(١٦)، إذا لم يساعده المُنسَب^(١٧) كيف تراه ينفعه السبب، إذا لم يساعده^(١٨) التوفيق لم ينجح للطالب مطلب، ما ألد نسيم السحر ما أعطر أنفاسه للمستغفرين وأطيب، نامت عين من نام عنه لا أم له ولا أب، إذا ولى النهار في الغفلة والليل في النوم لا جرم أن العمر يذهب، بدنك منعم بالشهوات وقلبك بحمل الأمل^(١٩) متعب، ويحك كم تسكر من كأس الهوى ويلك

(١) القصة ذكرها أبو نعيم الأصبهاني في الحلية، ١٦٩/٦، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل، ص ٢٠٢.

(٢) سورة النمل، آية ٥٢.

(٣) سورة القصص، آية ٥٨.

(٤) سورة القمر، آية ١٥.

(٥) عبارة «قال صالح... إلخ»، ساقطة في (م) و(ع).

(٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٧) في (م) و(ع): «المذهب المذهب».

(٨) في (م) و(ع): «بلغوا».

(٩) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

(١٠) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

(١١) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

(١٢) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

(١٣) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

(١٤) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

(١٥) في (م) و(ع): «أشقى وأتعب».

إلى كم تشرب، أما تخاف شرطي^(١) الموت يهجم عليك فما تطيق منه مهرب، يقيم عليك حد سكر الغفلة ويجررك كاس الوصب، وينقلك إلى سجن القبر محمولاً على الخشب، يسلمك إلى زبانية القساوة في أصل وضعهم مركب^(٢)، ترى من لا تعرف وترى^(٣) من الأهوال العجب، صمّت أذناك^(٤) عن بكاء الباكي لا تدري^(٥) من بكى عليك وأنتحب، كم تمر بك الأيام في الغفلة ومالك في هذه الفكرة^(٦) من^(٧) أرب، هيهات من عُجبت طينته بالبعداد كان حكم الطرد عليه أغلب، سيعاجلك^(٨) ما أنت تحذره وقد سدت الطريق وإلى^(٩) أين شئت فأذهب، ﴿وَمَا أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا كُلٌّ لِّمَا كَفَحَ الْعَبْرُ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^(١٠)، فسبحان [٢١٧ب] من جعل^(١١) حكمه حاكماً على كل محكوم في أي حكم ذهب، أحمدته حمداً يحمل أثقال الذنوب ويسهل عند الموت الكرب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم المتقلب، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد العجم والعرب^(١٢).

يا أخي إذا عني بشخص لطف به في قضائه، إذا لاح نور الهدى لشخص أنذره^(١٣) العواقب من أمامه ومن ورائه^(١٤)، نهاره صيام وليله قيام في ظلماته، قلب الطائع بلد عامر بالمراقبة في ذكر آلائه، وقلب العاصي خراب يتيه فيه الحيران التائه، فإذا نزلت صاعقة الشهوات^(١٥) على جسم أقبل الحرمان يسود وجه^(١٦) رجائه، ونادى على أطلاله غراب الشقاء وبرّح به على بُرَحائه^(١٧)، يا مريض القلب^(١٨) تنسم نسيم السحر وأشتتل مع المستغفرين بيّرد رجائه^(١٩)، ففيه عاطر أنفاس المجتهدين^(٢٠) ونسائم نزول الحبيب وندائه^(٢١)، من سبقت

(١) في (م) و(ع): «ملك».

(٢) قوله هذا إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا قَرَأَ أَنفُسَكُمْ وَأَعْلَيْكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

(٣) في (م) و(ع): «وتعاني».

(٤) في الأصل: «أذانبهم»، والتصويب من (م) و(ع). (٥) عبارة «لا تدري» ساقطة في (ع).

(٦) في الأصل: «الفطرة»، والتصويب من (م) و(ع). (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «سيعاللك». (٩) في (م) و(ع): «فإلى».

(١٠) سورة النحل، آية ٧٧. (١١) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٢) في (م) و(ع) زيادة: «صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ما أنقض شهاب وركب أشهب».

(١٣) في (م) و(ع): «أبصر».

(١٤) عبارة «من أمامه.. إلخ» ساقطة في الأصل، وفي (م): «من ورائه»، وفي (ع): «من ورائه وأمامه»، وهي من (ب).

(١٥) في (م) و(ع): «الشهوة». (١٦) في (م) و(ع): «بيت».

(١٧) في (م) و(ع): «في برحائه». والبرخ: الشدة، وبرحاء الحمى وغيرها: شدة الأذى، ومنه برّح به الأمر تبريحاً. الفيروزآبادي، القاموس، «برح»، ص ٢٧٢.

(١٨) في (م) و(ع): «الغفلة». (١٩) في (م) و(ع): «وردائه».

(٢٠) في (م) و(ع): «المتجهدين».

(٢١) قوله هذا إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا =

عزيمة^(١) عمله بلغ منزل القرب وعَرَّس بفنائه، معشر التائبين جدوا في طلب النجاة قبل أن يدهمكم الموت في دهمائه، وبين أيديكم أهوال كل الورى يتحسر^(٢) بتقصيره ودائه، الله قلب^(٣) الخائف لم يزل داء الخوف حشو حشائه^(٤)، راحته^(٥) في البكاء ومن^(٦) رآه يبكي بكى^(٧) لبكائه، لا يزال طرفه هائماً كأنه نوء الطَّرف^(٨) في أنوائه، و^(٩) أهل الشهوات لا يحسون ألم^(١٠) البعد ولا بصد الحبيب وجفائه، ماتت قلوبهم بالغفلة والجسم^(١١) يمشي في تيه الحرمان وجلائه^(١٢)، [٢١٨] يا نائماً عن المقصود يا خائفاً في خفائه، كم شيعت من نعش^(١٣) وأنت لعمرى مشيع في أثنائته، تبني مشيد الآمال وتجذ في إنشائه، فإذا^(١٤) هب عاصف المنون هدمه^(١٥) من أصل بنائه، و^(١٦) كم نادتك القبور تأهب أيها الحائر النائه^(١٧)، عسكر الموتى ينتظرونك يا غافلاً في صباحه ومسائه، لا بد من الرحلة والبلى^(١٨) والحلول في أرجائه، ذليلاً وحيداً فريداً يلقيك^(١٩) الفنى في فنائه، ضجيعك عملك راحتك من راحته

= تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا... الحديث تقدم ذكره في الخطبة الثانية من الفصل الثاني.

(١) في (م) و(ع): «عزيمته».

(٢) في (م) و(ع): «در».

(٣) في الأصل: «شجائه»، والتصويب من (م) و(ع).

(٤) في الأصل: «راحة»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «وكل من».

(٦) في (م) و(ع): «وكل من».

(٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(٨) الطَّرف من منازل القمر: كوكبان يقدَّمان الجبهة وهما عينا الأسد ينزلهما القمر. ابن المنظور، اللسان، «طرف»، ٢٢٠/٩.

(٩) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٠) في (م) و(ع): «فالجسم».

(١١) في (م) و(ع): «وخيلائه فإذا ورد منزل القبر علم سهل الأمر من برحايه». وجلا القوم عن الموضع جلاء: تفرقوا. ابن منظور، اللسان، «جلاء»، ١٤٩/١٤.

(١٢) في (م) و(ع): «نفس».

(١٣) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٤) في الأصل: «وهدمه»، والتصويب من (م) و(ع).

(١٥) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(١٦) قوله هذا إشارة إلى بعض الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ مُصَلَّاهُ فَرَأَى نَاساً كَأَنَّهُمْ يَكْتَشِرُونَ [أي تظهر أسنانهم من الضحك] قال: «أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لَسَغَلَكُمُ عَمَّا أَرَى الموت، فأكثرُوا من ذكر هادم اللذات الموت، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلَّم فيه فيقول: أنابت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود... الحديث»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. الترمذي، الجامع الصحيح، كتاب صفة القيامة، باب ٢٦، رقم الحديث (٢٤٦٠)، ٦٣٩/٤.

(١٧) كلمة «والبلى» في (م) و(ع): «إلى دار البلى».

(١٨) في (م) و(ع): «يفنيك».

وداؤك من دائه، يا أطروش الغفلة سيهيج^(١) أحزانك إذا هاج الموت في هيجائه، تود البقاء ساعة هيهات كم ذُكرَ يوم القبر بلقائه، لا تحن لذكر المنحني ولا تصبو^(٢) لجمال صباه، لا تشم نسيم نجد فكم في ناديه من عطر أندائه^(٣)، متى يعرج معمار قلبك^(٤) على ريع العامرية^(٥) فيحيى بحيائه، ما ألطف عشيات سلع هذه لدائه وهذه لدوائه، لله يوم بكازمة لاطفني المحبوب بسماحه ووفائه، لاح لي برق الرضى من الأبرقين فأروى غلتي بمائه وروائه، حديث المنحني واسع الحمى يتضوع عرف الطبيب في أخفائه^(٦)، يا من تيهه^(٧) الحب جز بوادي الأراك فاللؤلؤ المكنون في حصائه^(٨)، كم وقفة للعاشقين في وادي العقيق تشيم من المحبوب برق عطائه، يا سعد كن مسعدي على الهوى فقد شكوت إليك شكوى النبات إلى أنوائه^(٩)، بلغ رسالة عاشق^(١٠) شمله الشوق بفضل ملأته^(١١)، صفت إشارات أهل الصفا فاهل [٢١٨ب] الفهم^(١٢) سكارى من لفظه ومن صهبائه، معشر العارفين أفتحوا أصداف العبارة والتقطوا الجواهر من لثم صفائه، تغذوا باللباب وتداواوا بلطيف المعنى وشفائه، لا يفهم هذا السر إلا من قطع الليل بصلاته ودعائه، وأمتطى في النهار مطية الصوم يقدم الزاد من فثائه لبقائه، معشر الفقراء أين أنتم من^(١٣) هذا السماع الذي يجلي القلوب بجلائه، أشربوا من دنه فيه^(١٤) يكون الطرب، ﴿وَمَا أَمَرُ السَّاعَةَ إِلَّا كَلِمَةٍ أَلْبَسَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾.

قال^(١٥) عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى: «خرجت إلى الشام في طلب العباد، فجعلت أجد الرجل بعد الرجل شديد الاجتهاد، حتى قال لي رجل: قد كان هاهنا رجل من النحو الذي تريد ولكننا قد^(١٦) فقدنا من عقله فما ندرى أيريد أن يستتر على الناس بذلك أم شيء

- (١) في (م) و(ع): «ستهيج».
- (٢) في الأصل: «تصبر»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في الأصل: «وندائه»، وفي (م) و(ع): «وأندائه»، والتصويب من (ب).
- (٤) في (م) و(ع): «حزنك».
- (٥) في الأصل: «العامرة»، والتصويب من (م) و(ع). والعامرية قرية باليمامة. صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٩١١/٢.
- (٦) عبارة «ما ألطف عشيات.. إلخ»، في (م) و(ع): «ما ألطف عشيات الحمى يتضوع عرف الطبيب في أخفائه، حديث المنحني وساعات سلع هذه لدائه وهذه لدوائه، لله يوم بكازمة لاطفني المحبوب بسماحه ووفائه، لاح لي برق الرضى من الأبرقين فأروى غلتي بمائه وروائه».
- (٧) في (م) و(ع): «تيهه».
- (٨) في الأصل: «أحصائه»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٩) أي حاجة النبات إلى المطر.
- (١٠) في (م) و(ع): «محب عاشق».
- (١١) ملؤ الرجل: صار مليئاً أي ثقة، فهو غني مليء بين الملاء والملاءة. ابن منظور، اللسان، ١٥٩/١.
- (١٢) في (م) و(ع): «الفضل».
- (١٣) في (م) و(ع): «أو».
- (١٤) في (م): «فيه»، وفي (ع): «ففيه».
- (١٥) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٢٩٢/٤.
- (١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

أصابه في عقله^(١). قلت: وما أنكرتم منه؟ قال^(٢): إذا كلمه أحد قال: الوليد وعاتكة، لا يزيد عليه. قال: قلت: كيف لي به؟ فانتظرت، فإذا برجل واله، كربه المنظر، وافر الشعر، متغير اللون، وإذا الصبيان حوله وهو ساكت يمشي وهم خلفه سكوت^(٣)، وعليه أطمار دنسة. قال: فتقدمت إليه، وسلمت^(٤) عليه، فرد^(٥) السلام، فقلت: يرحمك الله إني أريد أن أكلمك، فقال: الوليد وعاتكة. قلت: قد أخبرت بقضيتك. قال: الوليد وعاتكة^(٦)، ثم مضى^(٧) حتى دخل المسجد، ورجع الصبيان الذين كانوا يتبعونه، فأعزل إلى سارية فرقع فأطال الركوع، ثم سجد فدنوت منه فقلت: يرحمك الله [١٢١٩] إني أريد أن أكلمك ونسألك^(٨) عن شيء، وإن شئت فأطل^(٩)، وإن شئت فقصر^(١٠)، فلست ببارح حتى تكلمني. قال: وهو في سجوده يدعو ويتضرع، قال: ففهمت أنه^(١١) يقول: سترك سترك، فأطال^(١٢) السجود حتى سثمت، ودنوت^(١٣) منه فلم أسمع له نفساً ولا حركة، فحركته^(١٤) فإذا هو ميت كأنه مات من^(١٥) دهر طويل، فمشيت^(١٦) إلى صاحبي الذي دلني عليه، فقلت له^(١٧): تعال أنظر إلى الرجل^(١٨) الذي تقول أنكم أنكرتم^(١٩) من عقله، وقصصت عليه قصته. قال: فهيأناه ودفناه رحمة الله تعالى عليه ونفعا به^(٢٠). شعر^(٢١):

- (١) عبارة «أن يستر.. إلخ»، في (م) و(ع): «أن يحتجب بذلك عن الناس أم هو شيء أصابه».
- (٢) في (م) و(ع): «قالوا».
- (٣) عبارة «وهم خلفه سكوت»، في (م) و(ع): «وهم سكوت خلفه يمشون».
- (٤) في (ع): «فسلمت».
- (٥) في (م) و(ع): «فالتفت إلي فرد علي».
- (٦) عبارة «قلت قد أخبرت.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٧) في (م) و(ع): «مشى».
- (٨) عبارة «يرحمك الله.. إلخ» في (م) و(ع): «رحمك الله رجل غريب يريد أن يكلمك ويسألك».
- (٩) في (م) و(ع): «فإن شئت فطل».
- (١٠) في (م) و(ع): «فأقصر».
- (١١) في (م) و(ع): «ففهمت عنه وهو».
- (١٢) في (م) و(ع): «قال فأطال».
- (١٣) في (م) و(ع): «فدنوت».
- (١٤) في (م) و(ع): «قال فحركته».
- (١٥) في (م) و(ع): «كأنه قد مات منذ».
- (١٦) في (م) و(ع): «قال فخرجت».
- (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٨) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٩) عبارة «تقول.. إلخ»، في (م) و(ع): «زعمت أنك أنكرت».
- (٢٠) عبارة «رحمة الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٢١) الآيات تقدمت في الخطبة الأولى من الفصل الثالث، وقد أعيد ذكرها بكاملها في (م) و(ع) في هذا الموضع.

دعوا نار قلب طاب^(١) فيه^(٢) جحيمها
وعبرة عانٍ ما أستطار لعينه
فما لجفوني أن تماطل في الهوى

ومُهجة صبّ غاب عنها نعيمها
سنا بارق إلا أستهلّ غيومها
بدمعي وأيام الفراق خصومها
[بحر الطويل]

تقدمت هذه الأبيات بكمالها في الفصل الثالث فتأمل راشداً، والله الموفق^(٣).

إلهي إن كانت رحمتك للمقبلين عليك^(٤) فألّ من يلتجي^(٥) المدير، إلهي وسيلتنا إليك
الذل^(٦) والأفتقار والندم والآنكسار، إلهي أسألك محو سيئاتنا بماء عفوك يا أرحم الراحمين،
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً^(٧).



-
- (١) في الأصل: «نار قلبي طار»، وهي من (م) و(ع).
(٢) في الأصل و(م) و(ع): «فيها»، والتصويب من (ب).
(٣) عبارة «تقدم.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
(٤) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٥) في (م) و(ع): «يلجأ».
(٦) في (م) و(ع): «الذلة».
(٧) عبارة «وصلّى الله.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

الفصل الخامس والعشرون

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الذي أبكى عيون السحب مدام^(١) المزن^(٢) فضحكت لبكائها^(٣) الأزهار، زين وجنات خدود الرياض بنثرات^(٤) الزهر بأبيض وأكحل وأصفر [٢١٩ب] وأحمر كالجلنار^(٥)، نضد حدائق الروض بصنوف النبات فراق رونقه للبصائر والأبصار، جسّت أنامل الصّبا عيدان الشجر فتداعت لمجاوبتها قينات الأطيّار، فالزّبر^(٦) كالبلابل والمثاني كالفواخت^(٧) والمثالث^(٨) تحاكي بنغمتها الهزار^(٩)، رقست الغصون لتصفيق أكف^(١٠) الأوراق وتناوح الريح أطرب^(١١) من المزمّار، جعدت أيدي الصّبا رداء الماء فتدّت به^(١٢) مواشط السواقي^(١٣) ورواقص الأنهار، رّمّ الربيع ربيع الربى بمفضّض ومذهب ومزغفر ومعسجد كلون العُقّار^(١٤)، وأرخت على قضب الغصون كِلل الأوراق وأنعقد^(١٥) في خمائلها أزرة النوار، وزمّم مطرب الاعتدال بتوحيد^(١٦) طيب الزمان على قضاء الأوطار، ورقمت^(١٧) حواشي مُحياّ الربيع فراق منظر

- (١) في (م) و(ع): «بمدامع».
- (٢) في (ع): «الحزن».
- (٣) في (م) و(ع): «لبكائها».
- (٤) في (م) و(ع): «بنثرات».
- (٥) الجلنار: زهر الرمان. الفيروزآبادي، القاموس، «جلنر»، ص ٤٦٨.
- (٦) في (م) و(ع): «فالزبر». والزبر جمع الزبور، والزبور التوراة والإنجيل والقرآن، وقد غلب الزبور على صحف داود. ابن منظور، اللسان، «زبر»، ٣١٥/٤.
- (٧) الفاختة واحدة الفواخت وهي ضرب من الحمام المَطْوَق. ابن منظور، اللسان، «فخت»، ٦٥/٢.
- (٨) المثالث لعله يقصد بها أجزاء القرآن الثلاثة، أخرج مسلم عن قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء، فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن». مسلم، الصّحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم الحديث (٨١١/٢٦٠)، ٥٥٦/١. ومعناه أن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات لله تعالى، وقل هو الله أحد متمحضة للصفات، فهي ثلث وجزء من ثلاثة أجزاء.
- (٩) في (م): «نغماتها الهزار»، وفي (ع): «نغمتها الهزار». والهزار: طائر. الفيروزآبادي، القاموس، «هزر»، ص ٦٤٠.
- (١٠) في الأصل: «كف»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «أطيب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٢) في الأصل: «أطيب»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٣) في الأصل: «الفساقي»، والتصويب من (ب).
- (١٤) المعسجد: الذهب. وقيل هو اسم جامع للجواهر كله من الدر والياقوت. والعُقّار: الخمر. ابن منظور، اللسان، «عسجد»، ٢٩٠/٣، و«عقر»، ٥٩٨/٤.
- (١٥) في (م) و(ع): «وانعقدت».
- (١٦) في (م) و(ع): «فتواجد».
- (١٧) في (م) و(ع): «ورقّت».

الوجود وأعتدل ميزان الليل والنهار، وثار حَبَّ الحب من دفائن القلوب وتمایل العشاق من غير سلاية^(١) الحُمَار، وتأرَّجت نسائم الأشجار^(٢) بنوافح المنثور والمنظوم^(٣) والنسرین والياسمين كأنه بيت عطار، أنتظم شمل شتات النبات ودب الجمال في خدود الرياض دبيب العذار^(٤)، ما أجمل هذا العيش لولا الفناء وتبديل الدار بالدار، فالعارفون زهدوا في ظل زائل وعيش^(٥) راحل لا يستقر له قرار، فلله در العارفين حرمت أجفانهم طيب الكرى فلهم بالليل تهجد وأستغفار، قرأوا أدلة البقاء^(٦) في ألواح^(٧) الفناء وفهموا أسرار [١٢٢٠] الأدوار، ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ الْآيِلَ وَاللَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٨).

يا أخي إذا خرج توقيع السعادة لشخص جاءه المطلوب على قدر، دله على الجادة ونور منه البصيرة والبصر، إذا أراد القدر تشخيص شخص لمشاهدة الحضرة حضر، وخلع عليه حلل الأدب فراق منظره والمخبر، وغرس في قلبه أشجار المحبة وأمطرت من^(٩) القبول وابل المطر، فإذا ثمار^(١٠) المعارف على أفنان اللسان كأنهار دُرر، قطوفها دانية لمن مد أيدي الفكر، هذا سراج^(١١) منشور القوم والمحروم يتعلل بالقدر، لا يغتر بالأحلام إلا من ليس عنده^(١٢) من العبارة خبر، إذا دار فلك السعادة بشمس القبول أشرق روض^(١٣) المعاملة و^(١٤) أزهر، إذا جن الليل تصاف عين^(١٥) النوم والسهر، وفي مقدمة السهر طلائع ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَاتِلَةً﴾^(١٦) إلى السحر، وفي مقدمة النوم طلائع ﴿لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾^(١٧) وأوقفهم^(١٨) على الأثر، عند^(١٩) طلوع راية الفجر أنهزم جيش الكسل ووقع^(٢٠) الظفر، فما لاح نور الشمس إلا و^(٢١) الغنيمة مقسومة على من حضر، وما للمحروم مع القوم سهم ولا

-
- (١) في (م) و(ع): «سلاية».
(٢) كلمة «والمنظوم» ساقطة في (م) و(ع).
(٣) في (م) و(ع): «زهدوا في عيش زائل ونعيم».
(٤) في (ع): «القفا»، وهو تصحيف.
(٥) في الأصل: «أرواح»، وهي من (م) و(ع).
(٦) عبارة «منظره.. إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(٧) في الأصل: «الثمار»، والتصويب من (م) و(ع).
(٨) في (م) و(ع): «شرح».
(٩) في الأصل: «وروض»، والتصويب من (م) و(ع).
(١٠) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
(١١) في (١٥) في (م) و(ع): «عسكر».
(١٢) قوله: ﴿يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَاتِلَةً﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة آل عمران، آية ١١٣.
(١٣) قوله: ﴿لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ اقتباس من قوله تعالى من سورة الأنفال، آية ٢٣.
(١٤) في (ع): «وأوقفهم».
(١٥) في (ع): «وعند».
(١٦) في (م) و(ع): «فوقع».
(١٧) في الأصل: «ولا»، والتصويب من (م) و(ع).

وَرَدَ لَهُ وَلَا صَدْر^(١)، شَغْلُهُ الْحَرَمَانَ عَنْ اسْتِعْدَادِ الزَّادِ وَالتَّاهِبِ لِلسَّفَرِ، فَأَصْبَحَ فِي تِيهِ الشَّقَاءُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ، صَحْرَاءُ اللَّيْلِ لَا يَقْطَعُهَا^(٢) إِلَّا كُلُّ ضَامِرٍ مُضْمَرٍ، النَّجِيبُ أَبْدَأُ^(٣) فِي أَوَّلِ الرِّكْبِ يَرِدُ الْمَاءَ الصَّافِيَ بِلَا كَدَرٍ، وَالثَّقِيلُ يَحْمِلُ الْمَحَامِلَ لِأَنَّهُ فِي بَاعِهِ قِصْرٌ، هِمَّةُ النَّجِيبِ تَقْلِيلُ الْغِذَاءِ لِأَنَّهُ يَطْلُبُ السَّبْقَ لِلظَّفَرِ، وَهِمَّةُ الثَّقِيلِ كَثْرَةُ الْأَكْلِ لِأَنَّهُ [٢٢٠ب] السَّبْقُ مَا طَلَبَ وَلَا خَطَرَ^(٤)، اللَّهُ دَرُ قُؤَامِ اللَّيْلِ أَخَذُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ^(٥) بِالْحَذَرِ، يَطْوِي بِهِمُ الدَّجَى مِيدَ^(٦) الْعَمْرِ إِلَى يَوْمِ يَقْبَرُ، يَحْمَدُ^(٧) الْإِقَامَةَ فِي الْمَنْزِلِ وَيَحْمَدُ السَّرَى وَقْتُ^(٨) السَّفَرِ، اللَّهُ دَرُ الْهِمَمِ الْعَالِيَةِ تَعَلَّقَتْ بِعَشْقِ الْمَعَانِي لَا بِعَشْقِ الصُّوَرِ، أَشْتَاقَتْ نَفُوسُهُمْ^(٩) إِلَى حَضْرَةِ الْقُدُسِ وَتَأَقَّتْ إِلَى النَّظَرِ، وَهِمَّةُ النَّاقِصِ شَهْوَةُ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ لِأَنَّهُ قَلْبُهُ أَقْصَى مِنَ الْحَجَرِ^(١٠)، لَوْ عَلِمَ الْعَاصِي^(١١) مِنْ يَعْصِي لَذَابَ قَبْلِ الْمَعْصِيَةِ وَحَالَ مِنْهُ النَّظَرُ، لَكِنَّهُ طَبَعَ عَلَى الشَّقَاءِ وَأَصَمَ مِنْهُ الْمُسْمَعُ وَأَعْمَى مِنْهُ^(١٢) الْبَصَرَ^(١٣)، لَا حِيلَةَ فِي مَكْفُوفٍ بِالْقَضَاءِ^(١٤) مُقَيَّدٍ بِالْقَدَرِ، جَعَلَ فِي تِيهِ الشَّقَاءَ^(١٥) فَكَلِمَا قِيلَ لَهُ^(١٦) أَقْبَلَ أَدْبَرَ، يَرَى مُحَامِلَ التَّائِبِينَ تَمَرُّ بِهِ فَمَهُمَا حَرَكُ جَوَادٍ عَزَمَهُ تَقَنْطَرُ^(١٧)، زَمِنَ نَاهِضَ عَزَمَهُ مِنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَشَرَابِهِ فِيهِ كَدَرٌ، خَرَبَ رُبُوعَ أَوْقَاتِهِ بِالْغَفْلَةِ وَمَا خَطَرَ لَهُ أَنْ يَثْمَرَ^(١٨)، قَلَّتْ فَوَائِدُ^(١٩) أَيَّامِ حَيَاتِهِ وَأَفْلَسَ مِنَ الطَّاعَةِ وَأَفْتَقَرَ، إِنْ ضَحَكَ سَنَهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ سَيَبْكِي طَوِيلًا فِي سَقَرٍ، لَوْ سَكَنَ مَعْمَارُ التَّقَى قَلْبَكَ^(٢٠) لَتَجَبَّلَ لِإِصْلَاحِهِ فَانْجَبِرَ^(٢١)،

- (١) الصدر: الطائفة من الشيء، وماله صادر ولا وارد: أي شيء. الفيروزآبادي، القاموس، «صدر»، ص ٥٤٣.
 (٢) في الأصل: «يقطعه»، والتصويب من (م) و(ع).
 (٣) في (م) و(ع): «أولاً». (٤) في (م) و(ع): «حضر».
 (٥) في (م) و(ع): «نفوسهم».
 (٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). وماد الشيء ميذاً: زاغ ومال، والميد: ما يصيب من الحيرة عن السكر أو الغشيان أو ركوب البحر. ابن منظور، اللسان، «ميد»، ٤١١/٣، ٤١٢. والمعنى: تقلبات الحياة واضطراباتهما.
 (٧) في (م) و(ع): «يجد».
 (٨) في (م) و(ع): «وقرب».
 (٩) في (م) و(ع): «أرواحهم».
 (١٠) في (م) و(ع): «حجر».
 (١١) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (١٢) عبارة «وأصم.. إلخ»، في (م) و(ع): «فأصم منه السمع وأعمى». والمُسْمَعُ: الأذن. الفيروزآبادي، القاموس، «سمع»، ص ٩٤٣.
 (١٣) في الأصل: «المنظر»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٤) في (م) و(ع): «فالقضاء».
 (١٥) في الأصل: «القضاء»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٦) عبارة «فكلما قيل له»، في (م) و(ع): «فهو كلما».
 (١٧) في الأصل: «مستقنطر»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٨) في (م) و(ع): «يتعمر».
 (١٩) في (م) و(ع): «فوائده».
 (٢٠) في (م) و(ع): «معمار التقوى في قلبه».
 (٢١) في (م) و(ع): «وانجبر».

أول مقام في طريق القوم بذل الروح ودمه في المجاهدة هدر، وأوسط^(١) المقام مقام^(٢) الخروج عن الأوطان والعادات والصور، ونهاية المقام البقاء مع المحبوب في كل ما نهى وأمر، فني به عن^(٣) سواه وأنزله منزل القلب والسمع والبصر، هذه طريق القوم وكم مدحوا في محكم الآي والسور، [١٢٢١] دبج الكون بمحاسنهم^(٤) كما دبج القرطاس بالحبر^(٥)، لنياتهم في المجالس^(٦) عطرية أذكي^(٧) من نوافح المسك والعنبر، من أعطاه مناه آتاه^(٨) النعيم والنظر، ومن حرمة تباعد عنه النعيم^(٩) فغيره في أجور^(١٠) وهو في سقر^(١١)، معشر التائبين تجميلوا^(١٢) براءة^(١٣) التوبة فأنها تجميل^(١٤) الصور، معشر الفقراء هذا سماعكم ما عن مثلكم لمثله^(١٥) مصطبر، دعوا أهل الرياء فسيان من غاب منهم ومن حضر، طيبوا بمحبتكم^(١٦) فما عند السكران من الصاحي خير، ما ألد الشراب مع المحبوب وأطيب السماع بمعنى الوثر بلا وتر، شرابهم رحيق مختوم ختامه مسك أذفر^(١٧)، وفي الدنيا معارف تنشرح بها القلوب وتزهر، تحف بأرواح العارفين كما تحف الأرواح بالصور، لا وزر على شاربها ولا له عن شربها مفر^(١٨)، لهم أنعطاف على^(١٩) شربها كأنعطاف غصن على نهر، رقت زجاجتها وراق شربها فراقت للمخبر والمنظر^(٢٠)، فكأنها واحد له بصيرة وبصر، شوق العارفين إلى هذا الشراب شوق الثرى إلى المطر، أين أرواح المحبين معهم أتحدث^(٢١) وإليهم النظر، فبادر يا أخي التوبة وأرحل عن هذا^(٢٢) الدار، ﴿يَقْبَلُ اللَّهُ أَلِيلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

- (١) في الأصل: «أوساطك»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «عن».
- (٤) في (م) و(ع): «محاسنهم».
- (٥) في (م) و(ع): «بالسطر».
- (٦) عبارة «لنياتهم في المجالس»، في (م) و(ع): «لثانهم في المجلس».
- (٧) في الأصل: «اذكروا»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «وأباحه».
- (٩) في (م) و(ع): «وآبأحه».
- (١٠) في (م) و(ع): «جور».
- (١١) في (م) و(ع): «بزينة».
- (١٢) في (م) و(ع): «تزينوا».
- (١٣) في الأصل: «محل»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٤) في الأصل: «بمحبتهم»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٥) في الأصل: «شدة ذكاء الريح، ومسك أذفر: جيد إلى الغاية. الفيروزآبادي، القاموس، «ذفر»، ص ٥٠٧.
- (١٦) في (م) و(ع): «وَزَّرَ». والوَزَّرَ: الملجأ. ابن منظور، اللسان، «وزر»، ٢٨٢/٥٠.
- (١٧) في الأصل: «على أنعطاف»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٨) عبارة «فراقت.. إلخ»، في (م) و(ع): «فرقت للمنظر والمخبر».
- (١٩) في (م) و(ع): «الحديث».
- (٢٠) في (م) و(ع): «هذه»، والدار مؤنثة، وإنما ذكرها على معنى الموضع؛ قال الجوهري: «الدار مؤنثة وإنما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ دَارُ الْمَثْوَيْنِ﴾ [النحل: ٣٠] فذكر على معنى المثوى والموضع. ابن منظور، اللسان، «دور»، ٢٩٨/٤.

عبد الله بن الفرج^(١) رحمه الله تعالى قال^(٢): «حدثني إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى^(٣) بأبتهاء أمره كيف كان، قال: كنا^(٤) يوماً في مجلس له منظره إلى الطريق، فإذا شيخ عليه أظمار رثة [٢٢١ب] وكان يوم حار، فجلس تحت حائط^(٥) القصر ليستريح، فقلت للخادم: أخرجني^(٦) إلى هذا الشيخ وأقريه^(٧) مني السلام وأسأله^(٨) أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي. فخرجت إليه، فدخل معها، فسلم^(٩) فرددت عليه السلام وأستبشرت بدخوله، فأجلسته^(١٠) إلى جانبي وعرضت عليه الطعام، فأبى أن يأكل، فقلت: من أين أقبلت؟ فقال^(١١): من وراء النهر^(١٢). فقلت: أين تريد؟ فقال^(١٣): الحج إن شاء الله تعالى^(١٤). وكان^(١٥) ذلك أول يوم من العشر^(١٦)، فقلت: في هذا الوقت؟ فقال: يفعل الله ما يشاء. فقلت: الصحبة؟ فقال: إن أحببت ذلك. حتى إذا كان الليل قال لي: قم. فلبست ما يصلح للسفر، وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ^(١٧)، فمررنا بقرية^(١٨) فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه، وقدم^(١٩) لنا خبزاً وبيضاً، وسألنا أن نأكل فأكلنا، وجاء بماء فشربنا. ثم قال: بسم الله قم، فأخذ بيدي، فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تطوى^(٢٠) من تحت أرجلنا كأنها الموج، فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول: هذه مدينة كذا، وهذه مدينة كذا إلى أن قال^(٢١) هذه الكوفة، ثم قال: الموعد هاهنا في مكانك حتى أقبل إليك في هذا الوقت، يعني

(١) في (م) و(ع): «عبد الله بن أبي الفرج»، وهو تصحيف. وعبد الله: هو عبد الله بن الفرج، أبو محمد القنطري، كان أحد العباد، وكان بشر بن الحارث يوده ويزوره، توفي سنة ٢٠١ هـ/٢١٦ م. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤١/١٠. ابن الجوزي، المتظم، ١٠٢/١٠.

(٢) القصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ١٧٧/٤. (٣) عبارة «رحمه الله تعالى» ساقطة في (م) و(ع).

(٤) في (م) و(ع): «كنت». (٥) في (م) و(ع): «فجلس في فناء».

(٦) في (م) و(ع): «أخرج». (٧) في (م) و(ع): «وأقره».

(٨) في (م) و(ع): «وسله».

(٩) عبارة «فخرجت إليه.. إلخ»، في (م) و(ع): «فخرج إليه فدخل معه إلي فسلم علي».

(١٠) في (م) و(ع): «وأجلسته». (١١) في (م) و(ع): «قال».

(١٢) ما وراء النهر يراد به ما وراء جيحون بخراسان، فما كان في شرقيته، يقال لها: بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر. وما كان في غربيته، فهو خراسان وولاية خوارزم، وهي إقليم برأسه. صفى الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١٢٢٣/٣.

(١٣) في (م) و(ع): «قال». (١٤) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «قال وكان». (١٦) في (م) و(ع) زيادة: «أو الثاني».

(١٧) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان من أجلها وأشهرها ذكراً وأكثرها خيراً. صفى الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٢١٧/١.

(١٨) في (م) و(ع): «بقرية لنا». (١٩) في (ع): «فقدم».

(٢٠) في (م) و(ع): «تجذب». (٢١) عبارة «إلى أن قال» ساقطة في (م) و(ع).

في الليل، حتى إذا كان الوقت^(١) إذا به قد أقبل، وأخذ بيدي وقال: بسم الله. فجعل^(٢) يقول هذا منزل كذا، وهذا منزل كذا^(٣)، وهذه المدينة، وأنا^(٤) أنظر إلى الأرض تجذب من تحت [٢٢٢] أرجلنا كأنها الموج، فسرنا إلى قبر النبي ﷺ وشرف وكرم ومجد^(٥) فزرناه^(٦)، ثم فارقتني فقال: الموعد في هذا الوقت من الليل في المصلى. فأتى في الوقت^(٧) فأخذ بيدي، ففعل كفعله الأول والثاني^(٨) حتى أتينا مكة في الليل ففارقتني، فقبضت عليه فقلت: الصعبة. فقال^(٩): أريد الشام. فقلت^(١٠): أنا معك إذا أنقضى الحج^(١١). فلما أنقضى الحج إذا أنا به عند زمزم، فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم خرجنا من مكة، ففعل كفعله الأول والثاني^(١٢) فإذا نحن ببيت المقدس، فلما دخل المسجد قال لي: عليك السلام أنا على المقام هاهنا إن شاء الله تعالى^(١٣)، ثم فارقتني فما عرفته^(١٤) بعد ذلك ولا عرفني أسمه. قال إبراهيم: فرجعت إلى بلدي أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعنا^(١٥) إلى بلخ، فهذا كان^(١٦) أول أمري^(١٧). شعر:

تنبَّهي يا عذبات الرِّند^(١٨) كم ذا الكرى هبَّ^(١٩) نسيم نجد
سرى^(٢٠) على الرِّوض الأنيق سحرا يسحب^(٢١) ذيل أرَجٍ ويرد
حتى إذا عايشتُ منه نفحة عاد سموماً والغرام يعدي
واعجباً مني أَسْتَقِي^(٢٢) الصُّبا وما تزيد النَّار غير وُقْد

- (١) في (م) و(ع): «الليل».
- (٢) في (م) و(ع): «قال فجعل».
- (٣) عبارة «وهذا منزل كذا»، في (م) و(ع): «وهذه قُبا». وقُبا: قرية قرب المدينة. صفى الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ١٠٦١/٣.
- (٤) في (ع): «فأنا».
- (٥) في (م) و(ع): «إلى قبر رسول الله ﷺ».
- (٦) في الأصل: «فزرننا»، وهي من (م) و(ع).
- (٧) عبارة «فأتى في الوقت» ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) عبارة «الأول والثاني»، في (م) «في الأولى والثانية»، وفي (ع): «في الأولى والثانية والثالثة».
- (٩) في (م) و(ع): «قال إني».
- (١٠) في (م) و(ع): «قلت».
- (١١) عبارة «إذا أنقضى... إلخ»، في (م) و(ع): «قال: إذا أنقضى الحج فالفتي».
- (١٢) عبارة «الأول والثاني»، في (م) و(ع): «في الأولى والثانية والثالثة».
- (١٣) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١٤) في (م) و(ع): «رأيت».
- (١٥) في (م) و(ع): «رجعت».
- (١٦) في (م) و(ع): «فكان هذا».
- (١٧) الأبيات لابن المعلم، ينظر خريدة القصر وجريدة العصر للأصبهاني، القسم العراقي، ٣٧٢/١، ٣٧٣.
- (١٨) رَند: موضع. صفى الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ٦٣٥/٢.
- (١٩) في الأصل: «هبت»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٢٠) في (م) و(ع): «مري».
- (٢١) في (م) و(ع): «بسحب».
- (٢٢) في (م) و(ع): «أستقي».

أَعْلَلَ النَّفْسَ بَبَان^(١) رَامَةً
وَأَسْأَلَ الرَّبْعَ^(٢) وَمَنْ لِي لَوْ رَعَى^(٣)
أَفْتَضَى النَّوْحَ حَمَامَاتِ اللَّوَى
كَمْ بَيْنَ خَالٍ وَشَجٍ^(٤) وَسَاهِرٍ
قَدْ كُنْتُ أَشْكُو لِلْحَمَامِ^(٥) لَوْ شَفَى
مَا ضَرَّهُمْ لَوْ مَنَحُوا^(٦) بَزُورَةً
بَانُوا فَلَا دَارَ الْعَقِيقِ بَعْدَهُمْ

وَمَا يَنْوِبُ^(٧) غُضُنٌ عَنْ قَدْ
رَجَعَ الْكَلَامُ أَوْ سَخَى بَرْدٌ^(٨)
هِيَهَاتَ مَا عِنْدَ اللَّوَى مَا عِنْدِي [٢٢٢ب]
وَرَأَقْدٌ وَكَاتِمٌ وَمُبِيدِي
وَكُنْتُ أَسْتَقِي^(٩) الصَّبَا لَوْ يُجَدُّ
وَسَمَحُوا عَنْ طَيْفِهِمْ^(١٠) بِوَعْدِ
دَارٍ وَلَا عَهْدَ الْحَمَى بِعَهْدِ
[بَحْرِ الرَّجْزِ]

[الخطبة الثانية]

الحمد لله الذي أمدَّ بالحقائق عقولاً بالصفاء تجوهرت، خلَّص أجسامهم في مخلصه
المعاملة فأنهار قلوبهم بالمعاني تفجَّرت، خلَّع عليهم حلل الرضى فروضة أنفاسهم برويا^(١١)
الحبيب تعطَّرت، حنَّوا إلى محبوبهم ومدامعهم من الأشواق تفجَّرت، ساق أرواحهم إليه
بالقلق ونيران الوجد^(١٢) في أكبادهم تسعَّرت، سقى أرواحهم ماء الإخلاص فروضاتها
بالمعارف أزهرت، كحلَّ أبصارهم بنور الهداية فهي بشعاعها تنوَّرت، حدا نفوسهم حادي
الشوق فهيمها طول السرى فتحيَّرت، أفلقها تذكُّر أيام الحمى فحنَّت إلى المنحنى وتذكرت،
فكم دموع أجراها خوف الوعيد على الخدود فُجَّرت، فالعارفون ركبوا خيول النحول ونار
أشواقهم تسعَّرت^(١٣)، خلعت عليهم حلل^(١٤) الرضى فأقدامهم على باب الحبيب تسطرت،
أجلسهم على كراسي^(١٥) الرضى و^(١٦) الكرامات وعمر صدورهم بالمعاني فتعمرت، هذه

- (١) في (ع): «بماء».
(٢) في (م) و(ع): «البرق».
(٣) في (م) و(ع): «البرق».
(٤) في (م) و(ع): «البرق».
(٥) في (م) و(ع): «البرق».
(٦) في (م) و(ع): «البرق».
(٧) في (م) و(ع): «البرق».
(٨) في (م) و(ع): «البرق».
(٩) في (م) و(ع): «البرق».
(١٠) في (م) و(ع): «البرق».
(١١) في (م) و(ع): «البرق».
(١٢) في (م) و(ع): «البرق».
(١٣) في (م) و(ع): «البرق».
(١٤) في (م) و(ع): «البرق».
(١٥) في (م) و(ع): «البرق».
(١٦) في (م) و(ع): «البرق».

- (١) في (ع): «بماء».
(٢) في (م) و(ع): «البرق».
(٣) في (م) و(ع): «البرق».
(٤) في (م) و(ع): «البرق».
(٥) في (م) و(ع): «البرق».
(٦) في (م) و(ع): «البرق».
(٧) في (م) و(ع): «البرق».
(٨) في (م) و(ع): «البرق».
(٩) في (م) و(ع): «البرق».
(١٠) في (م) و(ع): «البرق».
(١١) في (م) و(ع): «البرق».
(١٢) في (م) و(ع): «البرق».
(١٣) في (م) و(ع): «البرق».
(١٤) في (م) و(ع): «البرق».
(١٥) في (م) و(ع): «البرق».
(١٦) في (م) و(ع): «البرق».

أحوال القوم وأهل الغفلة أكبادهم على الفأثت تحسرت، نسوا ما قدموه من المعاصي [٢٢٣] وهي في ديوان الحساب تسطرت، فبا خيبة من قُبُض على الإصرار يعاين أهوالاً فيها العقول تحيرت، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ① ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انَّتَرَتْ﴾ ② ﴿وَإِذَا الْيَحَاؤُ فَجَرَتْ﴾ ③ ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ ④ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ⑤.

يا كسلان في طلب الدنيا كيف^(٢) تطير إلى المعاني بلا جناح، ترافق التسويف وتطلب مقام^(٣) الجنيذ^(٤) حديث مرّت به الرياح، منزل قلبك خراب من التقوى وكم فيه من جراح، كم زرع حُصد قبل التمام ما نفعه الماء القراح^(٥)، لا يغتر بأستصحاب الصحة من علم اختلاف المساء والصبح، كيف لا ينكر حاله ابن الخمسين وقد طعن من الستين بسن^(٦) الرماح، كيف لا يعاين منازل المنون ابن الستين وحماه بالمنون مستباح^(٧)، كيف لا يحسّ بالهبوط ابن سبعين^(٨) و^(٩) زمن الصبا قد ولى وراح، أو ما يعلم ابن الثمانين^(١٠) أنه يُرسم^(١١) عليه من^(١٢) بقايا العمل وما للمترسّم^(١٣) من براح، أين ابن التسعين^(١٤) أحنى عليه الذي أحنى^(١٥) على لُبْد^(١٦) بنشر^(١٧) الريش وقص الجناح، بينما^(١٨) الغافل في طول أمله قيل فلان سار إلى البلاء وراح، قطع عليه طريق

(١) سورة الانفطار، آية ١ إلى ٥.

(٢) في (م) و(ع) زيادة: «تدرك الآخرة وإليها ترتاح، أنت عاجز في شهوة الجسم كيف».

(٣) في (م) و(ع): «مرافقة».

(٤) في (ع): «الجسد»، وهو تصحيف.

(٥) القراح الماء الذي لا يخالطه ثقل من سويق ولا غيره. ابن منظور، اللسان، «قراح»، ٥٦١/٢.

(٦) في (م) و(ع): «سن».

(٧) عبارة: «كيف لا يعاين... إلخ» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٨) في (م) و(ع): «ابن الأربعين».

(٩) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(١٠) عبارة «أوما... إلخ»، في (م) و(ع): «وما يعلم ابن السبعين».

(١١) في (م) و(ع): «ترسّم».

(١٢) في (م) و(ع): «في».

(١٣) رسم على كذا: كتب. وترسّمت المنزل: تأملت رسمه وتقرّسته. ابن منظور، اللسان، «رسم»، ١٢/٢٤١.

والمعنى: أو ما يعلم أنه يُسجّل عليه ويحصى عليه ما تبقى له من العمل في أيامه المعدودات، وأن ما سُجّل عليه ونُظر فيه لا تغيير فيه ولا تبديل.

(١٤) عبارة «أين... إلخ»، في (م) و(ع): «ابن الثمانين».

(١٥) عبارة «أحنى عليه... إلخ»، في (ع): «أحنى عليه الذي أحنى».

(١٦) في الأصل: «اللبيد»، والتصويب من (م) (ع). ولُبْد اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سماه بذلك لأنه لبّد

بقي لا يذهب ولا يموت، كاللبّد من الرجال اللازم لرحله لا يفارقه، وتزعم العرب أن لقمان هو الذي

بعثته عاد في وفداه إلى الحرم يستسقي لها، فلما أهلكوا خيّر لقمان بين بقاء سبع بغرات سُمر من أظب

عُفر في جبل وعَر لا يمسه القطر، أو بقاء سبعة أنسر كلما أهلك نسر خلف بعده نسر، فاختر النسر

فكان آخر نسوره يسمى لُبْدًا وقد ذكرته الشعراء، قال النابغة:

أضحى خلاء وأضحى أهلها اختُمِلُوا
أحنى عليها الذي أحنى على لُبْد

ابن منظور، اللسان، «لبد»، ٣٨٥/٣.

(١٧) في (م) و(ع): «فشر».

(١٨) في (م) و(ع): «بيناً».

أمله^(١) قاطع المنون ما نفعته^(٢) العُدَد ولا^(٣) السلاح، حال بينه وبين ما جمع وإذا به صريع عليه البكاء والنواح، يا وحشته بعد الأنس باللذات وذات الشواح، حديثي^(٤) معك^(٥) يا من لا^(٦) يسمع أنت المراد بهذا الأمر فأسمع النصيح^(٧) الصُّراح، الحرام نطق في خشب^(٨) الجسم يلتهب إذا هبت من المنون الرياح، ما^(٩) ينفع التدارك بعد الفوت [٢٢٣ب] ولا يسمع لخي لاح، أكل الحرام^(١٠) كالكلب الشره وكل كلامه نباح، الحرام سم يدب في^(١١) جسم الروح فيمنعها الارتياح، يميت القلب ويعمي العين ويصم الأذن عن سماع وجه النجاح، ويعقل العقل عن التفكير و^(١٢) التفكير له مباح، ويخرس اللسان عن الذكر إلا في الأمور القباح، ويقيد الأقدام عن القدوم إلى حضرة إليها الواصل يرتاح، كل الثياب تقبل^(١٣) الغسل إلا السمندل^(١٤) غسله النار ما له عنها براح، أرى ثوب أعمالك أشبه به يا من عدم التقوى والصلاح، هذا شعاب التوبة له عِلْم بالخير والصلاح^(١٥)، ويحك لا تنظر إلى المترفين في الدنيا فما في تجارتهم أرباح، الحرام كبريت في حُرَّاق القلب والحساب قَدَّاح، والغافل لا يُحَسِّن به إلا إذا قام عليه البكى والصباح، كم يسعى على بساط الأمل في الغفلة^(١٦) وفجر المشيب لاح، سنه^(١٧) يضحك وقلبه^(١٨) يبكي وهو يجدد عهد^(١٩) الصبا والمزاح، وحياتك إن أمهلت في^(٢٠) الدهر برهة فالأمر يأتيك ولا^(٢١) ينفع قتال بلا سلاح^(٢٢)، إذا مرَّق ثوب شبابك مسمار المخالفة فلرفاء الندم أيدٍ ملاح، إنما يرجى الرجوع إلى الجادة^(٢٣) لمن تاه أياماً ثم^(٢٤) يعود إلى الصلاح^(٢٥)،

- (١) عبارة «قيل فلان.. إلخ» ساقطة في (ع).
 (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٣) في (م) و(ع): «عنك».
 (٤) الكلمة ساقطة في الأصل و(م) و(ع)، وهي من (ب).
 (٥) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (٦) في (م) و(ع): «فيه»، والتصويب من (م) و(ع).
 (٧) في (م) و(ع): «لحوم الحرام».
 (٨) الواو ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).
 (٩) السمندل طائر بالهند لا يحترق بالنار، [ويعمل من ريشه مناشف، إذا أتسخت تنظف بالنار].
 (١٠) الفيروزآبادي، القاموس، «سمندل»، ص ١٣١٤، مع الحاشية.
 (١١) في (م) و(ع): «علم بالجبر والإصلاح».
 (١٢) عبارة «في الغفلة»، في (م) و(ع): «من غافل».
 (١٣) في الأصل: «سبك»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٤) في الأصل: «قلبك»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٥) في (م) و(ع): «من».
 (١٦) في الأصل: «علاج»، والتصويب من (م) و(ع).
 (١٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
 (١٨) قوله هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].
 (١٩) في (م) و(ع): «وما».
 (٢٠) عبارة «إلى الجادة»، في (م) و(ع): «للجادة».
 (٢١) في (م) و(ع): «عقد».
 (٢٢) في (م) و(ع): «وما».
 (٢٣) في (م) و(ع): «وما».
 (٢٤) في (م) و(ع): «وما».
 (٢٥) في (م) و(ع): «وما».

فأما من تاه خمسين سنة أشرف على التلف وليس لقفل قلبه^(١) مفتاح، يا من جعل الصُور موضع نظره أخطأت طريق ذوي البصائر الصباح، لو رافقت عالم المعاني في ركب الفكر [٢٢٤] رأيت وجوهاً من^(٢) المعارف صباح، خوف المسابقة^(٣) سبق لقلوب السابقين فعاملوا الكون بأطراح، قَلَّتْ الخوف^(٤) قلوبهم لولا نسيم السحر لما وجدوا أرتياح، برق لهم بُرْقَة^(٥) هل من سائل حرارة المكابدة في الغدو والرواح، نفائس أنفاسهم أعطر من نسيم نجد تحيي^(٦) النفوس والأرواح، أين أنت يا محروماً من القوم يا ذا الفعال^(٧) القِيَّاح، منادي المشيب ينادي على صومعة الرحيل حي على الفلاح، هذا يوم الصلح فأين^(٨) من يقبل الإصلاح، إن خرجت من المجلس كما دخلت ثكلتك أمك وسفت عليك سوافي الرياح، ستعلم^(٩) قلبي إذا القلوب من الأهوال تحيرت، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

قال بعضهم: «سمعت برجل شهر بالولاية في الحرم، فجثته وهو يطوف فإذا قال لييك اللهم لييك سمعت منادياً ينادي: لا لييك ولا سعديك، فقلت: خابت سفرتي في رؤية رجل مطرود، فرفع رأسه إلي وقال لي^(١٠): يا أخي، لي^(١١) أسمع ما سمعت منذ^(١٢) أربعين سنة، وهب أنه طردني عن بابه فألى باب من ألتجي سواه، وعزته وجلاله لا أبرح عن بابه أبداً. فإذا النداء قد فتحنا لك الباب وأدخلناك مع^(١٣) الأحباب». شعر^(١٤):

أحسن إلى من بالعقيق دياره حنيناً يبكي الوُزُق في غصن^(١٥) السدر

[بحر الطويل]

- (١) عبارة «لقفل قلبه»، في (م) و(ع): «لقفله». وقوله هذا إشارة إلى معنى الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أعذر الله إلى أمرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة. البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة... إلخ، رقم الحديث (٨)، ١٦٠/٨.
- (٢) في الأصل: «إلى»، والتصويب من (م) و(ع). (٣) في (م) و(ع): «السابقة».
- (٤) عبارة «قلق الخوف»، في (م) و(ع): «قلقل القلق». والقلق: الانزعاج، والقلق: الاضطراب. وأقلق الشيء من مكان وقَلَّقَه: حركه. ابن منظور، اللسان، «قلق»، ٣٢٣/١٠، ٣٢٤.
- (٥) عبارة «برق.. برق»، في (م) و(ع): «يُبرِّد لهم بُرْد». والبرقة: المقدار من البرق. ابن منظور، اللسان، «برق»، ١٤/١٠.
- (٦) في (م) و(ع): «يحيي».
- (٧) في (م) و(ع): «أين».
- (٨) في (م) و(ع): «ستذكر».
- (٩) في الأصل: «في»، والتصويب من (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) في الأصل: «من»، وهي من (م) و(ع).
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات تقدمت في الخطبة الثانية من الفصل الرابع عشر.
- (١٣) في (م) و(ع): «ورق».

[الخطبة الثالثة]

الحمد لله الذي خلق الأرواح اللطيفة من عالم الغيب من غير شريك ولا معين، اخترع^(٢) الأجسام الكثيفة من التراب من سلالة من طين، ألف بينهم بسر لطيف خفي عن أفهام العالمين، عقل العقل بعقال المعقولات وسجنه في سجن التكليف المكين، رتب ميزان الأعمال على موازنة الأقدار هذه كفة الشمال وهذه كفة اليمين، رفع قبة السماء على دعائم القدرة وزينها بالكواكب وجعلها رجوماً للشياطين، ودحى الأرض على لجج البحر^(٣) وفجر أنهارها بالماء^(٤) المعين، أبكى عيون السحاب بدماع القطر فضحكت من بكائها البساتين، حدا بُزْل السحاب حادي الرعد فحملت أحمال الأنواء لظهور أرزاق المرزوقين، أحيا موات الأرض فقامت دفائن النبات عبرة للمعتبرين، كل ذلك دلالة ظاهرة على قيام الناس لرب العالمين، يجازيهم بأعمالهم^(٥) بما سبق لهم^(٦) في الكتاب المبين، يفصل أعمالهم بمثاقيل معلومة الموازين^(٧)، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٨) ﴿فَرَوْحٌ وَرَّحْمَةٌ وَجَنَّتٌ يَجْرِي فِيهَا نَهَارٌ﴾ (٩) ﴿فَلَهُمْ فِيهَا مَنَاقِبُ كُلِّ نَسَبٍ﴾ (١٠)، فسبحان من بيديه^(١١) القبض والبسط في السموات وفي الأرضين، أحمده حمد من أعجزه التقصير عن مراتب الصالحين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستعدها ليوم الدين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خلاصة الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله [١٢٥] وأصحابه^(١٢) الغر المحجلين^(١٣).

إخواني^(١٤) كيف يكون الاستماع بغير سَمْع، ما لقلب العزائم قُلب بغير جسم ولا نوع، ما لنور البصائر حجب والعين جامدة من الدمع، ما لديوان البعاد كُتبت وتبدد الشمل يوم جمع، أف لعالم قنع من الصفات بالأسماء^(١٥) من الأصل بالفرع، عطف^(١٦) على الرسوم وترك المعنى فهو من الدنيا^(١٧) بين خفض ورفع، أستثقل حمل العمل فاستدبره وما فهم أتباع

(١) عبارة «تقدم.. الخ» ساقطة في (م) و(ع). وقد أعيد ذكر الآيات كلها فيهما في هذا الموضع.

(٢) في (م) و(ع): «واخترع».

(٣) في (م) و(ع): «البحار».

(٤) في الأصل: «بماء»، والتصويب من (م) و(ع).

(٥) عبارة «بما سبق لهم» ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

(٦) في (م) و(ع): «للموازين».

(٧) في (م) و(ع): «بيده».

(٨) كلمة «وأصحابه» ساقطة في (م) و(ع).

(٩) التحجيل بياض في قوائم الفرس أو في ثلاثة منها أو في رجله، قلّ أو كثر، بعد أن يجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعروقيين لأنها مواضع الأحجال. ابن منظور، اللسان، «حجل»، ١٤٦/١١. وقوله:

«الغر المحجلين»، أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام، استعار أثر الوضوء في الوجه واليدين والرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس ويديه ورجليه.

(١٠) في (م) و(ع): «يا أخي».

(١١) في (م) و(ع): «بعد».

(١٢) في (م) و(ع): «عكف».

(١٣) في (م) و(ع): «الرياء».

الشرع، عميت بصيرته عن سبيل التقى^(١) وحاد^(٢) عن هذا الوضع^(٣)، إذا نام الدليل فمن يسري ويروق الجمادات لعم، إذا كسدت أسواق المعاملة متى يُقضى لها يرجع، معشر العلماء إذا دخلتم إقليم العمل أفلستم فأنتم من الغفلة بين وتر وشفع، كم حصّلتكم في أسفار قلوبكم من بضائع العلم وليس لها في سوق العقول^(٤) من وقع، لو عرضتم ما أكتسبتم على نقاد الإخلاص وقبلتم قوله بالطاعة والسمع، لنكسّتم رأس الدعاوى فهي أبداً مخفوضة ما لها من رفع، شجرة العلم والعمل أصلها ثابت وحملها خصب النفع^(٥)، من عمل لشيء تبعه^(٦) يا مرائي كم لك غداً من^(٧) موقف بين لدغ ولسع^(٨)، شجرة السمعة لَبْلَاب^(٩) ما لها بقاء في أصل ووضع^(١٠)، ترى سقوطها عند هبوب المنون وما ينفع البكاء بالدمع، العلم نور وأنت تمشي في ظلمة لا نور مصباح ولا نور شمع، خربت ربوع الزهد والورع فأهلاً به من ربع، و^(١١) عمرت ديار البطالة [٢٢٥ب] وعند خرابها تبكي عليها بسجع، بيّضت ثوبك وسودت قلبك^(١٢) ستعلم إذا نُزع الروح بالترُّع، أسكرك حب الرياسة ويوم الحصاد ما لك^(١٣) من زرع، تنشط عند العطاء وتقبّض^(١٤) عند المنع، نور الشمس يحجبه^(١٥) سحاب ساعة فيظلم كل سُقْع، كيف من^(١٦) عقله محجوب خمسين سنة لا يهتدي لضر ولا نفع، كلما أضاء للعارفين جو المعاملة بدت لهم من القبول نبات^(١٧) سلع، فديت السالكين كم لهم من حنين عند ذكر^(١٨) ساكن اللوى والجزع، لسان أشواقهم ينادي حبيبي لولا الهوى ما ضاق ذرع، أسكرني

- (١) في (م) و(ع): «التقوى».
- (٢) في الأصل: «وحد»، والتصويب من (م) و(ع).
- (٣) في (م) و(ع): «الطبع».
- (٤) في (م) و(ع): «القبول».
- (٥) عبارة «وحملها.. إلخ»، في (م) و(ع): «وحماها خصب الوقع». وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ۚ وَإِذْنُ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].
- (٦) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). (٧) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (٨) في (م) و(ع): «ولدع». وقوله هذا هو معنى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمها... الحديث. تقدم الحديث في الخطبة الأولى من الفصل العشرين.
- (٩) اللبلاب نبت يلتوي على الشجر. ابن منظور، اللسان، «لب»، ٧٣٥/١.
- (١٠) في الأصل: «أصل وقع»، والتصويب من (م) و(ع). وقوله هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].
- (١١) الواو ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) في (م) و(ع): «القلب».
- (١٣) في (م) و(ع): «له».
- (١٤) في (م) و(ع): «تقبض».
- (١٥) في (م) و(ع): «يحجبها».
- (١٦) في (م) و(ع): «بمن».
- (١٧) في (م) و(ع): «بدت لهم بانات».
- (١٨) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع).

الحب والهوى والشوق فواشوقي إلى الثلاث الشفع^(١)، رجائي فيك يواصلني وخوفي يقطعني
فلله ما أحلاه من وصل وقطع، ما أطيب ليل الوصال وأحلى وقوعه من وقع، يا أهل المجلس
جددوا التوبة فما بعد هذا السماع من سمع، فلله^(٢) ما أحلاه من سماع والله ما أحسنه من
نديم، ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٌ﴾.

إبراهيم السائح قال^(٣): فيينما^(٤) أنا أطوف فإذا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول:
يا وحشتي بعد الأنس، ويا ذلي بعد العز، ويا فقري بعد الغنى، فقلت: يا جارية ما مصيبتك؟
قالت: فقدت قلبي. قلت: هذه مصيبتك^(٥)؟ قالت: وأي مصيبة أعظم من فقدان القلب^(٦)
وأنقطاعها عن [١٢٢٦] المحبوب. فقلت لها: هلا خفضت من صوتك. قالت: يا شيخ، البيت
بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته. قالت: الحرم^(٧) حرمك أم حرمه؟ قلت: بل حرمه. قالت: من
أستزارنا لبيته^(٨)؟ قلت: هو. قالت: يا شيخ فدعنا نتذلل عليه و^(٩)بين يديه كما أستزارنا إليه،
ثم قالت: سيدي ومولاي، بحبك لي إلا رددت لي^(١٠) قلبي. فقلت: من أين علمت أنه
يحبك؟ قالت: بالعبادة القديمة جيش في طلبي الجيوش وأنفق الأموال حتى أخرجني من بلاد
الشرك وأدخلني في^(١١) التوحيد، وعرفني بنفسه فهل هذا إلا لعناية سبقت منه، فلله الحمد
على ذلك^(١٢). شعر^(١٣):

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه
راحت نوازع من قلبي تُتَّبِعُهُ
أَهْفُوْا إِلَى الرَّكْبِ تَعْلُوْا لِي رِكَائِبُهُمْ
تَفُوحْ أَرْيَاحَ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمْ^(١٤)
خَلَّفْتُ نَجْدًا وَرَاءَ الْمُذْلِجِ السَّارِي
عَلَى بَقَايَا لُبَانَاتِ^(١٥) وَأَوْطَارِ
مِنَ الْجَمَى بَيْنَ دَوْحَاتِ وَأَشْجَارِ
عِنْدَ الْقُدُومِ^(١٦) لِقَرَبِ الْعَهْدِ بِالْدَارِ

- (١) أي الشافعة من شفع لي يشفع شفاعة.
- (٢) الكلمة ساقطة في (م) و(ع). والقصة ذكرها ابن الجوزي في الصفة، ٤١٨/٤. وإبراهيم هو إبراهيم بن المهلب، أبو الأشهب السائح، تقدمت ترجمته.
- (٣) في (م) و(ع): «بيننا».
- (٤) عبارة «قالت فقدت قلبي.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (٥) عبارة «فقدان القلب»، في (م) و(ع): «فقد القلوب».
- (٦) في (م) و(ع): «فالحرم».
- (٧) في (م) و(ع): «إليه».
- (٨) في (م) و(ع): «علي».
- (٩) كلمة «عليه و» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٠) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).
- (١١) عبارة «فلله الحمد.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).
- (١٢) الكلمة ساقطة في الأصل، وهي من (م) و(ع). والأبيات للشريف الرضي. انظر: الديوان، ١/٥١٧.
- (١٣) اللبانة: الحاجة من غير فاقة ولكن من همة. ابن منظور، اللسان، «لبن»، ٣٧٧/١٣.
- (١٤) في (م) و(ع): «ديارهم».
- (١٥) في (م) و(ع): «الوقوف».

يا راكبان قفا لي قَضِيًّا^(١) وَطَرِي
هل رُوِّضَتْ قاعة الوَغَساء^(٢) أم مُطَرَّتْ
فهل^(٥) أبيت وداري^(٦) عند كاظمة
فلم^(٨) يزالا إلى أن نمَّ بي^(٩) نفسي
أيام أودُعْ سرِّي في الهوى فرسي

وخبُراني عن نجد بأخبار
خَمِيلَةٍ^(٣) الطَّلح ذات الشَّيخ والقار^(٤)
نعم^(٧) وسُمَّار ذاك الحي سَمَّاري
وحدَّث الركب عني دمعي الجاري^(١٠)
وأكتم الحي^(١١) أوجاعي وأخطاري [٢٢٦ب]

[بحر البسيط]

يا أخي فر إلى إقليم العلوم تر عجائب المعلومات، نساج فكري^(١٢) ينسج على منازل
العلم^(١٣) حلة المعارف، ثم يلحمها صانع العبارات بأعتدال الترتيب^(١٤)، فإذا ظهرت في سوق
الأسماع على يدي دلال اللسان بادر العارفون لتقليبه والإحاطة بمقداره وحده، فإذا ثوب البيان
نَسِيجَ وَخده^(١٥)، كم غائص يرفع الدرر^(١٦) ولا كاليتيمة، أحضروا يا أرباب الأفهام في^(١٧)
سوق المعارف فما يباع إلا الرفيع، لولا مهندس الأمثال ما وسعت الحروف سعة المعاني، كم
لججت في بحار الأفكار وربَّاني الفتح الربَّاني حتى تَخَلَّضْتُ إلى إقليم المعرفة، فحملت ما
خف وغلا، فانا في كل إقليم أظهر^(١٨) ما يليق به؛ فهو للعلماء بثمرن الفكرة، وللسالكين
صدقة، وحظ المتفرج النظر.

(١) في (م): «وانظرا»، وفي (ع): «فانظرا».

(٢) الوغساء موضع بين الثعلبية والخزيمية، على جادة الحاج، وهي شقائق رمل متصلة. صفي الدين
البغدادي، مراصد الاطلاع، ١٤٤٠/٣.

(٣) الخميلة: المُنْهَبَط من الأرض، وهي مَكْرَمَةٌ للنبات، والموضع الكثير الشجر حيث كان. الفيروزآبادي،
القاموس، «خمل»، ص ١٢٨٦.

(٤) القار: شجر مر. ابن منظور، اللسان، «قير»، ١٢٥/٥.

(٥) في (م) و(ع): «أم هل».

(٦) في (م) و(ع): «داري».

(٧) في (م) و(ع): «ولم».

(٨) في الأصل: «لي»، وفي (م) و(ع): «في»، والتصويب من الديوان.

(٩) البيت ورد في (م) و(ع) بعد البيت الأخير.

(١٠) عبادة «وأكتم الحي»، في الأصل: «به وأكتم»، والتصويب من (م) و(ع).

(١١) في (م) و(ع): «الفكر».

(١٢) عبارة «منازل العلم»، في (م) و(ع): «منوال الخيال».

(١٣) عبارة «صانع.. إلخ»، في (م) و(ع): «صانع العبارة».

(١٤) عبارة «إذا ثوب.. إلخ» ساقطة في (م) و(ع).

(١٥) في (م) و(ع): «كم من غائص يرفع الدر».

(١٦) الكلمة ساقطة في (م) و(ع).

(١٧) في (م) و(ع) زيادة: «في كل سوق».

إلهي خصنا بالفهم عندك^(١)، أسمعنا نداء الوجود بأسماع الفهم، أفتح لنا بلطفك لفهم اللطائف عندك^(٢)، أجعل ملاذنا بملاذ جودك^(٣)، خصنا بخاصية الخواص، و^(٤)أرحمنا برحمتك التي سبقت غضبك التي تسابق^(٥) إليها السابقون، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه أجمعين، ورضي الله عن التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب المسمى بـ «المورد العذب في المواعظ والخطب» يوم الثلاثاء في أول ربيع الثاني سنة أربعة وستين بعد [١٢٢٧] مائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية، على يد الفقير الحقير، المعترف بالعجز والتقصير، الراجي عفو ربه اللطيف الخبير، محمد بن المهدي بن محمد بن يونس الحنفي الجزيري، غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولمن سعى في تعليمه ولمن قال آمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

الخط يبقى زماناً بعد كاتبه وكتب الخط تحت الترب مدفون
فيا ناظر الخط أدع لكاتبه لعل المغفرة بدعائك تكون^(٦)
[بحر البسيط]

الخط باقي و العمر فاني

سنة ١١٦٤^(٧) [٢٢٧ب]

(١) في (م) و(ع): «عك».

(٢) في (م) و(ع): «عك».

(٣) في (م) و(ع): «جوارك».

(٤) الواو ساقطة في (م) و(ع).

(٥) في (م) و(ع): «التي سبقت فسابق».

(٦) هذا البيت مكسور الوزن، ويبدو أنه من تأليف الناسخ.

(٧) عبارة «وصلى الله على سيدنا ومولانا... إلخ»، في (م): «والحمد لله بجميع محامده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إخوانه وآله وصحبه وسلم عدد ما في علم الله. وكان الفراغ من كتابته في خامس عشر صفر الخير من شهور سنة ٨٧٢ بمدينة دمشق الشام على يد أبي بكر الجراعي الحنبلي عفا الله عنه وعن والده، وحسبنا الله ونعم الوكيل»، وفي (ع): «آخر الكتاب والحمد لله الواحد الوهاب وصلواته على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ووافق الفراغ من نسخه نهار الاثنين المبارك ثاني شهر ربيع الآخرة سنة تسعين وثمان مئة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين».

ثبت المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- الألوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمود، المتوفى سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
- ٢ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٣/١. عني بشرحه وضبطه محمد بهجة الأثري. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢.
- الأبشيهي، أبو الفتح محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٨٥٠هـ - ١٤٤٦م.
- ٣ - المستطرف في كل فن مستظرف ٢/١. ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي بشارع المشهد الحسيني.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، المتوفى سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م.
- ٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/١. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥ - الكامل في التاريخ ١٣/١. دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١هـ - ٨٥٥م.
- ٦ - المسند ٨/١. تحقيق سمير مجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- إسحاق بن الحسين.
- ٧ - أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان. أعتناء فهمي سعد. عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الإسفرايني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، المتوفى سنة ٤٢٩هـ - ١٠٣٧م.
- ٨ - الفرق بين الفرق. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار المعرفة، بيروت.
- إسماعيل باشا البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م.
- ٩ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢/١. منشورات مكتبة المثنى، بغداد، بيروت.
- ١٠ - هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٢/١. منشورات مكتبة المثنى، بغداد، بيروت.
- الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ - ١١٠٨م.
- ١١ - الأغاني ٢١/١. دار صعب، بيروت، ومطبعة بريل، ليدن، ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م.
- ١٢ - خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام ٢/١. تحقيق شكري فيصل. المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م. والقسم العراقي ٣/١. تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد. مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ١٣ - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/١. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم، المتوفى سنة ٦٨٨هـ - ١٢٩١م.

- ١٤ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق نزار رضا. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
• ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، المتوفى سنة ٥٧٧هـ - ١١٨١م.
- ١٥ - نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
• أوس بن حجر، أبو شريح التميمي، المتوفى سنة ٢٠٠هـ - ٦٢٠م.
- ١٦ - ديوان أوس بن حجر. تحقيق محمد يوسف نجم. دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.
• البابرتي، أكمل الدين محمد بن محمد، المتوفى سنة ٧١٢هـ - ٧٨٦م.
- ١٧ - شرح عقيدة أهل السنة والجماعة. تحقيق عارف آيتكن، مراجعة عبد الستار أبو غدة. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
• البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، المتوفى سنة ٢٥٦هـ - ٨٦٩م.
- ١٨ - التاريخ الكبير ٨/١. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٩ - صحيح البخاري ٩/١. الطباعة المنيرية، دمشق، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
• بركلمان، كارل.
- ٢٠ - تاريخ الأدب العربي، GI، ٢/١. طبع في ليدن، ألمانيا.
• بشار بن برد، أبو معاذ، المتوفى سنة ١٦٧هـ - ٧٨٤م.
- ٢١ - ديوان شعر بشار بن برد. تحقيق السيد بدر الدين العلوي. دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
• البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المتوفى سنة ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م.
- ٢٢ - سمط اللآلئ ٣/١. تحقيق عبد العزيز الميمني. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الهند، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م.
• البلاذري، أبو بكر أحمد بن يحيى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م.
- ٢٣ - جمل من أنساب الأشراف ١٣/١. تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
• البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، المتوفى سنة ٤٥٨هـ - ١٠٦٦م.
- ٢٤ - السنن الكبرى ١٠/١. دار الفكر، بيروت.
• الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، المتوفى سنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م.
- ٢٥ - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي ٥/١. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
• ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، المتوفى سنة ٨٧٤هـ - ١٤٧٠م.
- ٢٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢/١. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.
• التونجي، محمد.
- ٢٧ - المعجم الفارسي العربي الموجز. مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
• الثعلبي، أبو إسحق أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٤٢٧هـ - ١٠٣٥م.

- ٢٨ - قصص الأنبياء. المكتبة الثقافية، بيروت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، المتوفى سنة ٢٥٥هـ - ٨٦٩م.
- ٢٩ - البيان والتبيين ٢/١. دار الفكر للجميع، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٦١٤هـ - ١٢١٧م.
- ٣٠ - رحلة ابن جبير. دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، المتوفى سنة ٨٣٣هـ - ١٤٢٩م.
- ٣١ - غاية النهاية في طبقات القراء ٢/١. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٣م.
- ٣٢ - بستان الواعظين ورياض السامعين. راجعه وقدم له السيد الجميلي. دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٣ - زاد المسير في علم التفسير ١٠/١. المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٣٤ - صفة الصفوة ٤/١. تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي. دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م؛ ونسخة ثانية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن، الهند، ط ١، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
- ٣٥ - صيد الخاطر. المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٣٦ - كتاب القصاص والمذكرين. تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٣٧ - مشيخة ابن الجوزي. تحقيق محمد محفوظ. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٣٨ - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٨/١. تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه نعيم زرزور. دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٠٥هـ - ١٠١٣م.
- ٣٩ - المستدرك على الصحيحين ٤/١. دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- حنكة، عبد الرحمن.
- ٤٠ - العقيدة الإسلامية وأسسها. دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- حجازي، محمد.
- ٤١ - التفسير الواضح ٣٠/١. مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ط ٦، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، المتوفى سنة ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م.
- ٤٢ - الإصابة في تمييز الصحابة ٤/١. مطبعة السعادة، مصر، ط ١، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.
- ٤٣ - تقريب التهذيب لخاتمة الحفاظ ٢/١. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ٤٤ - تهذيب التهذيب ١٢/١. مطبعة دائرة المعارف، الهند، حيدرآباد الدكن، ط ١، ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م.
- ٤٥ - لسان الميزان ٧/١. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
- الحريفيش، شعيب.

- ٤٦ - الروض الفائق في المواعظ والرقائق. المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.
- ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد، المتوفى سنة ٤٥٦هـ - ١٠٦٤م.
- ٤٧ - جمهرة أنساب العرب ٢/١. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الحصري، أبو إسحق إبراهيم بن علي، المتوفى سنة ٤٥٣هـ - ١٠٦١م.
- ٤٨ - زهر الآداب وثمر الألباب ٤/١. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت، ط٤، سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- الحوفي، أحمد.
- ٤٩ - فن الخطابة. مكتبة نهضة مصر ومطبتها، مصر، ط٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م.
- ٥٠ - تاريخ بغداد ١٤/١. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٦٨١هـ - ١٢٨٢م.
- ٥١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨/١. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٣٢١هـ - ٩٣٣م.
- ٥٢ - جمهرة اللغة ٤/١. دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد، المتوفى سنة ٢٨١هـ - ٨٩٤م.
- ٥٣ - قصر الأمل. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م.
- ٥٤ - تاريخ الإسلام وفيات المشاهير والأعلام ٤٦/١. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٥٥ - تذكرة الحفاظ ٤/١. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٦ - دول الإسلام. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥٧ - سير أعلام النبلاء ٢٥/١. تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٥٨ - العبر في خبر من غبر ٤/١. تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥٩ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ٢/١. تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٠ - ميزان الاعتدال في نقض الرجال ٤/١. تحقيق علي محمد البجاوي. دار المعرفة، بيروت.
- الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، المتوفى سنة ٣٢٧هـ - ٩٣٩م.
- ٦١ - الجرح والتعديل ٩/١. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، المتوفى سنة ٧٩٥هـ - ١٣٩٢م.

- ٦٢ - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ٢/١. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ابن رشيقي القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيقي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م.
- ٦٣ - ديوان ابن رشيقي القيرواني. جمعه ورثه عبد الرحمن ياغي. دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م.
- ٦٤ - تاج العروس من جواهر القاموس ١٠/١. المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م.
- الزركلي، خير الدين.
- ٦٥ - الأعلام ٨/١. دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣م.
- ٦٦ - أساس البلاغة. دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أبو زهرة، محمد.
- ٦٧ - الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب. دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.
- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف بن قزغلي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ - ١٢٥٦م.
- ٦٨ - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ٨/١. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ابن سعد، محمد بن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠هـ - ٨٤٤م.
- ٦٩ - الطبقات الكبرى ٩/١. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت.
- ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام، المتوفى سنة ٢٣١هـ - ٨٤٥م.
- ٧٠ - طبقات الشعراء. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، المتوفى سنة ٤١٢هـ - ١٠٢١م.
- ٧١ - طبقات الصوفية. تحقيق نور الدين شريعة. دار الكتاب النفيس، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد، المتوفى سنة ٥٦٢هـ - ١١٦٦م.
- ٧٢ - الأنساب ١٠/١. تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني، الناشر محمد أمين دمج. بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- السهمي، أبو القاسم حمزة بن يوسف، المتوفى سنة ٤٢٧هـ - ١٠٣٥م.
- ٧٣ - تاريخ جرجان. عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد، المتوفى سنة ٧٣٤هـ - ١٣٣٣م.
- ٧٤ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ٢/١. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المتوفى سنة ٩١١هـ - ١٥٠٥م.
- ٧٥ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢/١. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ٧٦ - الجامع الكبير أو جمع الجوامع ٢/١. نسخة مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ حديث.
- ابن شاکر الکتبی، صلاح الدین محمد بن شاکر، المتوفى سنة ٥٧٦٤هـ - ١٣٦٢م.
- ٧٧ - فوات الوفيات والذیل علیها ٥/١. تحقیق إحسان عباس. دار صادر، بیروت.
- شاکر، محمود.
- ٧٨ - التاریخ الإسلامی ٩/١. المکتب الإسلامی، بیروت، دمشق، عمان، ط٨، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الشریف الجرجانی، علی بن محمد، المتوفى سنة ٨١٦هـ - ١٤١٣م.
- ٧٩ - کتاب التعریفات. دار الکتب العلمیة، بیروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الشریف الرضی، أبو الحسن محمد بن الحسین، المتوفى سنة ٤٠٦هـ - ١٠١٥م.
- ٨٠ - دیوان الشریف الرضی ٢/١. دار صادر، بیروت.
- الصابونی، محمد علی.
- ٨١ - النبوة والأنبیاء. مکتبة الغزالی، مکه المکرمة، ط٢، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الصاحب ابن عباد، أبو القاسم إسماعیل بن عباد بن العباس الطالقانی، المتوفى سنة ٣٨٥هـ - ٩٩٥م.
- ٨٢ - المحيط فی اللغة ١١/١. تحقیق محمد حسن آل یاسین. عالم الکتب، بیروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الصفدی، صلاح الدین خلیل بن أبیک، المتوفى سنة ٥٧٦٤هـ - ١٣٦٢م.
- ٨٣ - تصحیح التصحیف وتحریر التحریف. تحقیق السید الشرقاوی، ومراجعة رمضان عبد التواب. مکتبة الخانجی، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٨٤ - الوافی بالوفیات ٢٩/١. اعتنى به لجنة من العلماء. دار صادر، بیروت، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- صفوت، أحمد زکی.
- ٨٥ - جمهرة خطب العرب فی عصور العربیة الزاهرة ٣/١. مصطفى البابی الحلبي وأولاده، مصر، ط٢، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.
- صفی الدین البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، المتوفى سنة ٥٧٣٩هـ - ١٣٣٨م.
- ٨٦ - مراصد الاطلاع علی أسماء الأمکنة والبقاع ٣/١. تحقیق علی محمد البجاوی. دار المعرفة، بیروت، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ضیف، شوقي.
- ٨٧ - تاریخ الأدب العربی. العصر الإسلامی [جزء ٢ من السلسلة]، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
- الطبرانی، أبو القاسم سلیمان بن أحمد، المتوفى سنة ٣٦٠هـ - ٩٧٠م.
- ٨٨ - المعجم الكبير ٢٥/١. تحقیق حمدي عبد المجید السلفی. دار إحياء التراث العربی، بیروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- الطبری، أبو جعفر محمد بن جریر، المتوفى سنة ٣١٠هـ - ٩٢٠.

- ٨٩ - تاريخ الأمم والملوك ٨/١. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- عبد الباقي، محمد فؤاد.
- ٩٠ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٦٣هـ - ١٠٧٠م.
- ٩١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/١. تحقيق علي محمد البجاوي. دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٣٢٨هـ - ٩٣٨م.
- ٩٢ - العقد الفريد ٧/١. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة ٢١٠هـ - ٨٢٦م.
- ٩٣ - ديوان أبي العتاهية. دار صادر، بيروت.
- ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي، المتوفى سنة ٣٦٥هـ - ٩٧٥م.
- ٩٤ - الكامل في ضعفاء الرجال ٨/١. دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، المتوفى سنة ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م.
- ٩٥ - بغية الطلب في تاريخ حلب ١٢/١. تحقيق سهيل زكار. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- العلوجي، عبد الحميد.
- ٩٦ - مؤلفات ابن الجوزي. دار الجمهورية، بغداد، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م.
- ٩٧ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧/١. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، المتوفى سنة ٥٠٥هـ - ١١١١م.
- ٩٨ - قواعد العقائد. تحقيق موسى محمد علي. عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م.
- ٩٩ - معجم مقاييس اللغة ٦/١. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، المتوفى سنة ٨١٧هـ - ١٤١٤م.
- ١٠٠ - القاموس المحيط. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٦٦م.
- ١٠١ - الأمالي ٢/١. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المتوفى سنة ٢٧٦هـ - ٨٨٩م.
- ١٠٢ - الشعر والشعراء. دار صادر، بيروت، طبعة ليدن، ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م.

- ١٠ - عيون الأخبار ٤/١. دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن قدامة المقدسي، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المتوفى سنة ٦٢٠هـ - ١٢٢٣م.
- ١٠ - كتاب التوابين. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- قدامة بن جعفر، أبو الفرج الكاتب البغدادي، المتوفى سنة ٣٣٧هـ - ٩٤٨م.
- ١٠٩ - نقد النثر. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، المتوفى سنة ٦٧١هـ - ١٢٧٢م.
- ١٠٦ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٢/١. تحقيق أحمد حجازي السقا. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٠٧ - الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١. ضبطه جماعة من العلماء.
- قلعي، محمد.
- ١٠٨ - موسوعة فقه الحسن البصري ٢/١. دار النفائس، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، المتوفى سنة ٤٦٥هـ - ١٠٧٢م.
- ١٠٩ - الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي. دار الجيل، بيروت، ٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- القلقشندي، شهاب الدين أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٨٢١هـ - ١٤١٨م.
- ١١٠ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٥/١. تحقيق محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- قيس بن الملوّح العامري، المتوفى سنة ٦٨هـ - ٦٨٨م.
- ١١١ - ديوان مجنون ليلى. تحقيق عبد الستار أحمد فراج. دار مصر للطباعة، مصر.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة ٧٣٢هـ - ١٣٣١م.
- ١١٢ - البداية والنهاية ١٤/١. دار الفكر، بيروت.
- ١١٣ - تفسير القرآن العظيم ٧/١. دار الفكر، بيروت، ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١١٤ - المختصر في أخبار البشر ٤/١. المطبعة الحسينية المصرية، مصر، ١.
- كحالة، عمر رضا.
- ١١٥ - أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ٥/١. مؤسسة الرسالة، بيروت، ٥، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ١١٦ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٥/١. مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- لفيف من المستشرقين.
- ١١٧ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٧/١. رتبّه ونظّمه لفيف من المستشرقين، ونشره أ.ي. ونسك ي. ب. منسج.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ - ٨٨٨م.

- ١١٨ - كتاب السنن ٢/١. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مجذوب، سمير.
- ١١٩ - ابن الجوزي مصنفاً في علوم القرآن. رسالة دكتوراه في الجامعة اللبنانية، الفرع الأول. المحب الطبري، أبو جعفر أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٩٤هـ - ١٢٩٤م.
- ١٢٠ - الرياض النضرة في مناقب العشرة ٤/١. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- محمد بن حبيب، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٤٥هـ - ٨٥٩م.
- ١٢١ - المجبر. أعتنى بتصحيحه إيلزه ليختن شتير. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري.
- ١٢٢ - الكلمات الذهبية في الخطب المنبرية. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري، المتوفى سنة ٢٦١هـ - ٨٧٤م.
- ١٢٣ - صحيح مسلم ٥/١. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. المقرئ، أبو العباس، أحمد بن محمد، المتوفى سنة ١٠٤١هـ - ١٦٣١م.
- ١٢٤ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٨/١. تحقيق إحسان عباس. دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- مكتبي، نذير.
- ١٢٥ - خصائص الخطبة والخطيب. دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي، المتوفى سنة ٨٠٤هـ - ١٤٠١م.
- ١٢٦ - طبقات الأولياء. تحقيق نور الدين شريعة. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المتوفى سنة ١٠٣١هـ - ١٦٢٢م.
- ١٢٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/١. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.
- ١٢٨ - الكواكب الدرية ٢/١. تحقيق محمود حسن ربيع. مطبعة الزاوية التيجانية، القاهرة، ط١، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، المتوفى سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م.
- ١٢٩ - التكملة لوفيات النقلة ٤/١. تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، المتوفى سنة ٧١١هـ - ١٣١١م.
- ١٣٠ - لسان العرب ١٥/١. دار صادر، بيروت.
- ١٣١ - مختصر تاريخ دمشق ٢٩/١. تحقيق روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع الحافظ. دار الفكر، دمشق، ط١، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- مهيار الديلمي، أبو الحسين مهيار بن مرزويه، المتوفى سنة ٤٢٨هـ - ١٠٣٧م.
- ١٣٢ - ديوان مهيار الديلمي ٣/١. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، المتوفى سنة ٥١٨هـ - ١١٢٤م.

- ١٣ - مجمع الأمثال ٢/١. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م.
- الميرغني، أبو السيادة عبد الله بن إبراهيم، المتوفى سنة ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م.
- ١٣ - المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز. تحقيق سمير مجذوب. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
- ١٣ - جامع كرامات الأولياء ٢/١. دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق، المتوفى سنة ٣٨٠هـ - ٩٩٠م.
- ١٣٦ - الفهرست. تحقيق رضا تجدد.
- أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، المتوفى سنة ٤٣٠هـ - ١٠٣٨م.
- ١٣٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠/١. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- أبو نواس الحسن بن هانئ، المتوفى سنة ١٩٩هـ - ٨١٤م.
- ١٣٨ - ديوان أبي نواس. دار صادر، بيروت.
- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد، المتوفى سنة ٧٦١هـ - ١٣٦٠م.
- ١٣٩ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/١. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، المتوفى سنة ٢١٨هـ - ٨٣٣م.
- ١٤٠ - تهذيب سيرة النبي ﷺ ٤/١. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، المتوفى سنة ٩٧٥هـ - ١٥٦٧م.
- ١٤١ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١٨/١. تحقيق بكرى حياني وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر، المتوفى سنة ٨٠٧هـ - ١٤٠٤م.
- ١٤٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠/١. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- وكيع، أبو بكر محمد بن خلف، المتوفى سنة ٣٠٦هـ - ٩١٨م.
- ١٤٣ - أخبار القضاة ٣/١. عالم الكتب، بيروت.
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، المتوفى سنة ٦٢٦هـ - ١٢٢٨م.
- ١٤٤ - معجم الأدباء ٢٠/١. دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٤٥ - معجم البلدان ٥/١. دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس القوافي والأشعار.
- فهرس القصص الوعظية.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس القبائل والأمم.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الموضوعات العام.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
(١) الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٢١٧
(٢) البقرة		
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الآية	٢٩	٢١٠
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَعِزُّوهُ﴾	٢٣٥	٣٥٤ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ، ٥٧
﴿قَلْنَا فَصَلْ مَا لَوْثٌ بِالْجُنُودِ﴾ الآية	٢٤٩	٣١٥
﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ الآية	٢٥٠	٣١٥
﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية	٢٥١	٣١٥
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية	٢٥٥	٢٢٢ ، ١٢٣
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ الآية	٢٥٨	١٠٧
(٣) آل عمران		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الآية	٧	١١١
﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا آمَنًا﴾ الآية	١٦	٣٤٩ ، ٣٤٦ ، ٥٧
﴿الْمُحْسِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية	١٧	٣٤٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٦
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾ الآية	٣٠	٦٤ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٤ ، ١٦
﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُكَ بِكَلِمَتِهِ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية	٤٥	٢٩١
﴿وَلَكِنْ يَنْكُرُكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الآية	١٠٤	١٥
﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾	١٠٦	٨٢ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٥٤
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ٥٥
﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ مَائِدَةً آتِيًا﴾	١١٣	٥١٤
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية	١٣٣	٤٢٢ ، ٨٩ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٥٤
﴿فِيمَا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ﴾ الآية	١٥٩	٣٦٣
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ الآية	١٨٥	٩٧ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٥٤
(٤) النساء		
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ الآية	١٧	٥٢١
﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ﴾ الآية	١٨	٤٢٠
﴿وَلَا تُلَاقُوا نَفْسًا﴾	٧٧	١٥٨

الصفحة	رقمها	
٣٢٧ ، ٣٢٤ ، ٣٢٣ ، ٥٧	١١٠	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

(٥) المائدة

٢٩١	١١٤	﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ الآية
-----	-----	---

(٦) الأنعام

٩	٥٦	﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾
٤٤٣	٧٣	﴿يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ﴾
١٠٤	٩١	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٥٦	٩٤	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرْدَىٰ كَمَا خَلَقْتَكُمْ﴾ الآية

(٧) الأعراف

٢١٠	١١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ ثُمَّ سَوَّيْتَكُمْ﴾
٣٠٠	٢٣	﴿وَلَنْ لَّا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
٥٠٥	٤١	﴿لَمْ يَمِنْ جَهَنَّمَ مِثْقَ ذَرَّةٍ﴾
٢٦٨	١٢٠	﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ بَنَاتٍ﴾
٢٦٨	١٢١	﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٤٣٨ ، ٣٧١	١٤٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِبِيعَتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ الآية
٣٠٠	١٥١	﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾
١٢٩	١٦٧	﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٣٧١ ، ٣٠١ ، ١٢٣	١٧٢	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية

(٨) الأنفال

٤٣٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٣ ، ٥٨	٢	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية
٤٣٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٣	٣	﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
٤٣٩ ، ٤٣٥ ، ٤٣٣	٤	﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾
٢٦٦	١٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحًّا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾
٢٦٦	١٦	﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُوزِدْ دُخْرَهُ إِلَّا مَنَحَرَةً لِّقَالٍ﴾ الآية
٥١٤	٢٣	﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾
٤٨٥ ، ١٤٤	٣٣	﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ الآية

(٩) التوبة

٣٧٥ ، ٣٧٢ ، ٣٦٩ ، ٥٧	٣٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
٢٩٣	١١٩	﴿أَتَأْتُونَ آلَ الْأَرْضِ﴾ الآية
١٤٤	١٢٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾
٢٢٢	١٢٩	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

يونس (١٠)

٣٩٦	٢٤
٤٠٠ ، ٣٩٨ ، ٣٩٦ ، ٥٧	٢٥
٣٤٠	٢٦
٤١٤ ، ٤١١ ، ٤٠٩ ، ٥٧	٦١

﴿وَحَقَّ لَنَا أَنْ لَنَذْبَ الْأَرْضَ نُفَرِّقَهَا﴾ الآية
 ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ الآية
 ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُرِّيَّتَهُ﴾
 ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ الآية

هود (١١)

٥٠٢	٣
٥٠٤	٤٢
٥٠٤	٤٣
٢٩٠	٤٧
٢٩٠	٦٢
٢٩٠	٦٣
١٣٤ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ٥٥	١٠٢
٣١	١٢٠

﴿وَرَوَّيْتُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾
 ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ الآية
 ﴿قَالَ سَتَدُعُنِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي﴾ الآية
 ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِكَ﴾ الآية
 ﴿قَالُوا بِصَلِّحٍ قَدْ كُنْتَ فِيْنَا مَرْجُوًّا﴾ الآية
 ﴿قَالَ يَنْفَرُ آدَمُ بَيْنَهُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْفَرُ﴾ الآية
 ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظُلُمَةٌ﴾ الآية
 ﴿وَكَلَّا نَقْصُصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

يوسف (١٢)

٤٨٦	١٩
٤٨٦	٢٠
٦٠	٨٢
٤٣٨ ، ٧٣	٨٤
٣٠٠	٨٨
٣٠٠	٩٢
٣١	١١١

﴿وَجَعَلَتْ سَيَّارَةً فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الآية
 ﴿وَمُتْرَوْهُ بِشَمْسٍ بِخَيْرٍ﴾ الآية
 ﴿رَسُلِ الْقَرْيَةِ﴾
 ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَآ سَفِيَّ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ الآية
 ﴿مَسْنَا وَأَعْلَنَّا الْقُرْآنَ﴾
 ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ الآية
 ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

الرعد (١٣)

١١٦	٤
٢٦٨ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٥٦	١٥
١٩٦	٢٣
٤٣٣ ، ١٩٧	٢٤
٢٧٦ ، ٢٧٣ ، ٥٦	٣٨
٢٧٦ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣	٣٩

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَعَلَتْ مِنَ أَغْشَبِ﴾
 ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية
 ﴿وَالْمَلَكُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾
 ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾
 ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾
 ﴿يَسْأَلُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ ثُمَّ أَلْقَيْتُ﴾

إبراهيم (١٤)

١٢١	١٤
٥٢٤	٢٤
٥٢٤	٢٥

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾
 ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية
 ﴿تَوَفَّيْ أَكُلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا﴾ الآية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية	٢٦	٥٢٤
﴿يُنِثُّ اللَّهُ الذَّرِثَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّانِي﴾ الآية	٢٧	٣٩٩
﴿تَنْخَسُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾	٤٢	٢٨٢
﴿مُهْلِكِينَ مُنَیْنِ رُءُوسِهِمْ﴾ الآية	٤٣	٢٨٢
﴿يَوْمَ بُدِّلَ الْأَرْضُ عِزَّ الْأَرْضِ﴾ الآية	٤٨	٥٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١
(١٥) الحجر		
﴿وَلَنْ يَنْفَعَهُ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ الآية	٢١	٥٨ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨
﴿وَلَنْ يَجْهَنَّمْ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٤٣	٥٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧
﴿لَمَّا سَمِعَتْ أَبْوَابُ لِكُلِّ بَابٍ زِيَّتَهُمْ جُزْءَ مَقْسُورٍ﴾	٤٤	٢٣٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ٢٣٥
(١٦) النحل		
﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيدٌ مِثْلُ﴾	٤	٨٦
﴿وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾	٣٠	٥١٦
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٤٠	١٣٨
﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْخِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	٧٧	٧١ ، ٥٠٨ ، ٥١٠
(١٧) الإسراء		
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُرْوَةٍ﴾ الآية	١٣	٥٤ ، ١٠٥ ، ١٠٨
﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الآية	٣٦	٥٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠
﴿فَسُحِّجَ لَهُ الشُّرُوكُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾	٤٤	٢٦٤
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾	٦٧	١٠٤
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ﴾ الآية	٧٠	٣٤٦
﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كَيْتَبُهُ بِسَمِيحِهِ﴾ الآية	٧١	٥٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١
(١٨) الكهف		
﴿وَأَصْبَرَ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية	٢٨	٥٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩
﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْخَيْبَةِ الدُّنْيَا﴾ الآية	٤٥	٥٥ ، ١٨٢ ، ١٨٥
﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَلْعَمَ أَهْلُهَا﴾ الآية	٧٧	٢٧٧
(١٩) مريم		
﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾	٨٤	٤٤٨ ، ٤٥١
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الْغَنَيْنِ وَقَدْ﴾	٨٥	٥٨ ، ٤٤٨ ، ٤٥١
﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾	٨٦	٤٤٨ ، ٤٥١
(٢٠) طه		
﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾	٢٠١	٥٥ ، ١٤٥ ، ١٥١
﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾	٩	٣٩٠

٣٩٠	١٠	﴿إِذْ رَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ الآية
٣٩٠	١١	﴿قَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْشُوا﴾
٣٩٠	١٢	﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ الآية
٢٩٠	١٩	﴿قَالَ أَلَيْهَا يَمْشُوا﴾
٢٩٠	٢٠	﴿فَالْقَنَاهَا فَاِذَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ﴾
٢٩٠	٢١	﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَفْتَنَّ﴾ الآية
٤٥٢	٥٢	﴿فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾
٤٤٣	١٠٢	﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾
٤٥٥ ، ٤٥٢ ، ٥٨	١٠٨	﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ الآية
٥٠٤	١٢٠	﴿فَرُسُوسٌ إِلَهِو الشَّيَاطِينُ﴾ الآية
٥٠٤ ، ٢٩٠	١٢١	﴿فَأَكْثَلَا مِنْهَا﴾ الآية
٥٠٤ ، ٢٩٠	١٢٢	﴿ثُمَّ لَبَّيْنَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾
٥٠٤	١٢٣	﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ الآية
(الأنبياء ٢١)		
٤٤٣ ، ٢٣٣	٢٣	﴿لَا يَسْتَلُ عَنَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾
١٤٢ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ٥٥	٤٧	﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الآية
٢٢٢		
٢٩٠	٥١	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ﴾
٢٩٠	٥٢	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ الآية
٢٩٠	٥٣	﴿قَالُوا وَبَدَلْنَا ءَابَاءَنَا مَا عَدَبْتَ﴾
٢٩٠	٥٤	﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
٢٩٠	٥٥	﴿قَالُوا آجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾
٢٩٠	٥٦	﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾
٢٩٠	٥٧	﴿وَنَالَهُ لَأَكْبِدَنَّ أَعْيُنَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾
٢٩٠	٥٨	﴿فَجَعَلْنَاهُ جَذَاًا إِلَّا كَيْدًا لِمَنْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾
٣٧٠	٦٨	﴿قَالُوا خَرِقُوهُ وَانْصَرُوا إِلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ﴾
٤٣٨ ، ٣٧٠	٦٩	﴿قُلْنَا يَنْتَهِرْ كُفْيَ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾
٣٧٠	٧٠	﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾
٣٧٠	٧١	﴿وَقَبَّلْنَاهُ وَلُوطًا﴾ الآية
٢٩١	٧٩	﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ﴾ الآية
٢٩١	٨١	﴿وَسُلِّمْنَا الرِّيحَ حَالِيفَةً تَمْرِي بِأَمْرِهِ﴾ الآية
٢٩١	٨٢	﴿وَوَكَّ الشَّيَاطِينَ مَنْ يَفْشُونَ لَهُ﴾ الآية

٤٨٦ ، ٣٠٠ ، ١٥٥	٨٣	﴿وَالْيَوْمَ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ أَنِّي مَسْفِيٌّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾
٤٨٦ ، ١٥٥	٨٤	﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَفَفْنَا مَا يَدَّ مِنْ شُرِّهِ﴾ الآية
٣٦٧ ، ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٥٧	٩٧	﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ الآية
٣٤٠ ، ١٥٣	١٠١	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾
٣٤٠	١٠٢	﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيِّثُهَا﴾ الآية
٣٤٠	١٠٣	﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ الآية

الحج (٢٢)

٢٠٠ ، ٥٥	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَقٌّ عَظِيمٌ﴾
٢٠٥ ، ٢٠٠	٢	﴿يَوْمَ تَذْهَبُ نَذَعَلُ كُلَّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الآية
٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٥٦	٦	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الآية
٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢	٧	﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ الآية
٣٠٧	١٠	﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾

المؤمنون (٢٣)

٤٠٨	١٤	﴿مَتَّارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْفَاتِلِينَ﴾
٣٥٦	٦٣	﴿وَلَمْ أَغْلِبْ مِن دُونِ ذَٰلِكَ هُم لَهَا عَمِيلُونَ﴾
٧٥ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٥٤	٩٩	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾

النور (٢٤)

١٠٥	٢٤	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
٢٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٥٦	٣٥	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية
١٠٠ ، ٩٩ ، ٥٤	٣٧ ، ٣٦	﴿فِي يَوْمٍ أُزِيلُ الْكُوفُ﴾ الآية
١٠٢		﴿وَالْأَصْحَابُ﴾ الآية
٥١٦ ، ٥١٤ ، ٥٨	٤٤	﴿يَقْلِبُ اللَّهُ الْكَلِمَ وَالنَّهَارَ﴾ الآية

الزمر (٢٥)

٨٤	٢٣	﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبْأَةً مَّنْثُورًا﴾
١٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٣ ، ٥٥	٢٧	﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الْأَمْرُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يُقُولُ يَلَيِّقُنِي أَتُخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾
٤٧١ ، ٥٨	٦٣	﴿وَيَسْأَلُ الرَّحْمَنُ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ الآية
٤٧٥ ، ٤٧٣	٦٤	﴿وَالَّذِينَ يَشْتَرُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾

الشعراء (٢٦)

٣٦٧	٧٩	﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾
٣٦٧	٨٠	﴿وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾
٤٤٤	٨٨	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾
٤٤٤	٨٩	﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

النمل (٢٧)

٣١	١٦	﴿إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾
٥٠٧ ، ٥٠٤	٥٢	﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَارِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾
٣٢٢	٦٢	﴿أَتَنْبِئُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾
٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٥٦	٧٥	﴿وَمَا مِنْ عَلَاقٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
١٧٩ ، ١٧٧ ، ٥٥	٨٧	﴿وَيَوْمَ يُنْفَعُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية

القصص (٢٨)

٤٧٤	٢٩	﴿مَأْسُكٍ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾
١٠٧	٣٨	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا الْمَاءُ مَا خَلَقْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
١٠٧	٣٩	﴿وَأَسْتَغْبِِرُ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية
١٠٧	٤٠	﴿فَلَاخْذَكُهُ وَجُودُهُ فَسَدَنَتْهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ الآية
٥٠٧	٥٨	﴿فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَوْ تَشَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾
١٠٧	٧٦	﴿إِنَّ قُدْرُونَ كَكَاتٍ مِنْ قُوَّةِ مُوسَى فَبَنَى عَلَيْهِمْ﴾ الآية
١٠٧	٧٧	﴿وَأَتَّبَعَ فِيمَا مَأْتَلِكُ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ الآية
١٠٧	٧٨	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ طَيْرٍ عِنْدِي﴾ الآية
١٠٧	٧٩	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ الآية
١٠٧	٨٠	﴿وَكَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ قَوَابِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ الآية
١٠٧	٨١	﴿لَمَسَفْنَا بِهِمْ وَيْدَارِ الْأَرْضِ﴾ الآية

الروم (٢٩)

٣٣٤ ، ٣٣١ ، ٥٧	٥٠	﴿فَانظُرْ إِلَىٰ مَائِدِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ الآية
----------------	----	--

لقمان (٣١)

٤٤٦ ، ٤٤٤ ، ٥٨	٢٢	﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآية
٢٠٧ ، ٥٥	٣٣	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ انْقِعَاؤًا رَيْبُكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ الآية

السجدة (٣٢)

٨٦	٧	﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ الآية
٥٠٠ ، ٤٤٧ ، ٣٤٦	١٦	﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية

الأحزاب (٣٣)

١٩٨ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ٥٥	٢٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا مَا يَدْعُوا اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ الآية
٤٨٩		
١٥٠	٤٣	﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ الآية

سبا (٣٤)

١٨٦ ، ١٢٢	٣	﴿عَلَيْهِ النَّعْبُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾
٣٤٤ ، ٣٤١ ، ٥٧	٥١	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُتِحُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾

فاطر (٢٥)

٢٠٧ ، ٥٥	٥	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ الآية
٢١٩ ، ٢١٦ ، ٥٦	٣٢	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ الآية
١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ٥٤	٣٧	﴿أَوَلَمْ نَعْمَرَكُمْ مَا بَدَّكُمْ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ التَّذِيرُ﴾
٣٠٦	٤١	﴿وَلَكِنْ زَالًا إِنْ أَسْكَمْتُمَا مِنْ لَمَرٍ مِنْ بَعِيدٍ﴾

يس (٣٦)

٣٨١ ، ٣٧٩ ، ٣٧٨ ، ٥٧	٦٥	﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ الآية
٨٦	٧٧	﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾

الصافات (٣٧)

١٢٤	٦٤	﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَبِينِ﴾
٣٠٧	٩٦	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

ص (٣٨)

٤٣٨	٢١	﴿وَعَلَّ أَتْنَكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْيَحْرَابَ﴾
٤٣٨	٢٢	﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَجَّ مِنْهُمْ﴾ الآية
٤٣٩	٢٣	﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِجْمَةً﴾ الآية
٤٣٩	٢٤	﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِنْ يَخْلُجُ﴾ الآية
٤٣٩	٢٥	﴿فَقَفَرْنَا لَمْ ذَكَرْ﴾ الآية
٤٣٩	٢٦	﴿يَبْدَأُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ الآية
٤٨٦	٣٤	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾

الزمر (٣٩)

٣٩٥ ، ٣٨٢	٥	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ الآية
٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٥٦	٩	﴿أَمَنْ هُوَ فَنَسِيَ مَاءَهُ الْبَلِيلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ الآية
٥٠٥	١٦	﴿لَمْ يَنْفَوْهُمْ غُلُلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ نَجْمِهِمْ غُلُلٌ﴾
٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٥٧	١٧	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعَةَ أَنْ يَبْدُوهَا فَاثْبُتُوا إِلَى اللَّهِ لَمْ يُبَيِّنْ عِبَادَ﴾
٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٥٧	١٨	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الآية
٤١٨	٤٧	﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾
٤٠٦ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ٥٥	٥٣	﴿قُلْ يَكِيدُونَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ الآية
٨٦	٦٧	﴿الْأَرْضُ جُيُشًا قَبَضْتُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾
٢٨٥	٦٨	﴿وَرُفِيعٌ فِي السُّمُورِ فَصَوِّقْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾
٣١٥ ، ٣١٢ ، ١٦٣ ، ٥٦	٧٣	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ الآية

غافر (٤٠)

٤٧٤ ، ٣٢١	٧	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الآية
٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٥٦	١١	﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنَا وَلَحِيقَتَنَا أَتُكَلِّمُ﴾ الآية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	١٦	٢٨٨ ، ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٥٦
﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ الْآيَةُ	١٨	١٢٠ ، ١١٧ ، ٥٥
﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾	١٩	٩٢
﴿وَيَتَقَوْمُوا إِلَىٰ خُفَّاءٍ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾	٣٢	٣٩٣ ، ٣٩١ ، ٣٨٩ ، ٥٧
﴿يَوْمَ تَقُولُونَ مُدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِيٍّ﴾ الْآيَةُ	٣٣	٣٩٣ ، ٣٩١ ، ٣٨٩
﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ الْآيَةُ	٤٤	٢٩٣ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٥٦
﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾	٥١	٣١٨
﴿إِذِ الْأَغْطَالُ فِي أَهْطِفِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾	٧١	١٢١
﴿فِي اللَّجِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾	٧٢	١٢١

فصلت (٤١)

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الْآيَةُ	١١	٢٠٦
﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَعَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الْآيَةُ	١٢	٢٠٦
﴿وَقَالُوا لِمَ لُودِمُكُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ الْآيَةُ	٢١	٣٠٤ ، ٣٠٢ ، ٥٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾	٣٠	٣١٢
الْآيَةُ	٣٣	٤٦٠
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ الْآيَةُ	٣٩	٣٠
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ الْآيَةُ	٤٢	٦
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ الْآيَةُ		

الشورى (٤٢)

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الْآيَةُ	٥	٣٢١
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الْآيَةُ	١١	٩٢
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ الْآيَةُ	٢٠	٤٦٠
﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	٣٠٧
﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ	٤٧	٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٥٦

الزخرف (٤٣)

﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ﴾	٦٨	٥٠٠
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	٣٢٢ ، ٣١٩ ، ٣١٨ ، ٥٧

الحاشية (٤٥)

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْتَرَىٰ الْفُلُكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ الْآيَةُ	١٢	٣٢١
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ الْآيَةُ	١٣	٣٢١
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِضُ بَصَرُ الْبَاطِلَاتِ﴾	٢٧	٢١١ ، ٥٦
﴿وَرَأَىٰ كُلُّ أُمَّةٍ جَائِعَةً﴾ الْآيَةُ	٢٨	٢٢٤ ، ٢١٤ ، ٢١١ ، ٥٥
		٢٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿هَذَا كِتَابُنَا يُطِيقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٢٩	٢٢١ ، ٣٥٦
محمد (٤٧)		
﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾	٢١	٢٩٣
الفتح (٤٨)		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	١٠	١٤٩
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية	٢٩	٤٧٢
ق (٥٠)		
﴿إِذْ يَتَلَقَّى الشَّافِعِيُّ عَنِ آلِ بْنِ رَجَاءٍ قِيْدٌ﴾	١٧	١٣٨
﴿وَبَدَأَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	١٩	٥٥ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	٥٨ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١
الذاريات (٥١)		
﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ﴾	١٧	١٣٣
﴿وَلَوْ عَلِمَ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْمَقِيمَ﴾	٤١	٢٩٠
﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّابِيَةِ﴾	٤٢	٢٩٠
﴿وَمَا خَلَقْتَ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾	٥٦	١٦ ، ١٥٧ ، ٢١٠ ، ٢٦٥
		٣٥٦
الطور (٥٢)		
﴿أَفَيْسَرَ هَذَا أَمْ أَنَشَرُ لَا يُبْصِرُونَ﴾	١٥	٣١
القمر (٥٤)		
﴿وَلَقَدْ رَكَنَهَا بَيْنَ يُدُومَ فَهَلْ يَنْصَرِفُ﴾	١٥	٥٠٧
﴿وَكُلٌّ صِغِيرٌ كَبِيرٌ مُّسْتَطَرٌّ﴾	٥٣	١٢٠
الرحمن (٥٥)		
﴿كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةٍ فِي شَأْنٍ﴾	٢٩	٣٦٢ ، ٤٩٩
الواقعة (٥٦)		
﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾	٥٨	١٤١
﴿أَنُشْرِكُ بِمَخْلُوقَتِي أَمْ نَحْنُ الْمُنْشَرُونَ﴾	٥٩	١٤١
﴿قَالُوا إِن كَانَ مِنَ الْمَقْرِبِينَ﴾	٨٨	٥٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥
﴿مَرْجٍ وَرَيْحَانٍ وَحَنَّتْ زَيْتُونٍ﴾	٨٩	٥٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥
﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾	٩٠	٥٢٣
﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِن أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾	٩١	٥٢٣
الحديد (٥٧)		
﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّمْ يَأْتِيَتْ فِيهِ الْرَحْمَةُ وَظَاهِرٌ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ﴾	١٣	٩٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾	١٦	٥٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢
﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَقَدْ﴾ الآية	٢٠	٥٨ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠
﴿سَاقِفُوا إِيَّكَ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّكَ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٥٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥
الآية		
الحشر (٥٩)		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى رُسُلَيْهِ مِن أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلْيَلْوُوا وَلَا تُذِلُّوا﴾ الآية	٧	١٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الآية	١٨	٥٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١
الصف (٦١)		
﴿وَرَأَىٰ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِيَّ يَمْشِي إِيَّاهُ بِأُتْرَاقٍ﴾ الآية	٦	١٤٤
الطلاق (٦٥)		
﴿لَمَّا طَرَ يِغْلَىٰ شَيْءٌ عِلْمًا﴾	١٢	١٨٦
التحريم (٦٦)		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٥٨ ، ٧٢ ، ١١٤ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ٣٩١ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٥٠٨ ، ٤٧٣ ، ٤٢٥
الآية		
الملك (٦٧)		
﴿فَاتَّبَعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	٣	٢٠٦
الحاقة (٦٩)		
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	١٣	٢٨٥
﴿هَاقُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ﴾	١٩	٦
﴿يَلَيْتُنِي لَرَأَيْتُ كِتَابِيَةَ﴾	٢٥	٦
﴿لَاخْذَنَا مِنهُ بِالْيَمِينِ﴾	٤٥	٨٦
المعارج (٧٠)		
﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَوْنَهَا كَأَنَّ هُمَ إِلَىٰ نُصُوبٍ مُّوَفَّوْنَ﴾	٤٣	٥٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥
﴿خُشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهَقَتْهُمْ ذُلَّةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾	٤٤	٥٠٥ ، ٥٠٣
الجن (٧٢)		
﴿وَأَخْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	٢٨	١٨٦
المزمل (٧٣)		
﴿يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾	١٧	٥٧ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾	١٨	٤٠٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢
القيامة (٧٥)		
﴿فَإِنَّا بِرَقِّ الْقَمَرِ﴾	٧	٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٦
﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾	٨	٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ٥٦
﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	٩	٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَإِنِّي لَمَفْرُجٌ﴾	١٠	٢٤٣ ، ٢٤٠ ، ٢٣٩
﴿كَلَّا بَلْ تُحِيطُونَ بِالسَّاعَةِ﴾	٢٠	٢٨٢ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٥٦
﴿وَلَذُرَّةُ الْأَخْزَرِ﴾	٢١	٢٨٢ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
﴿وَهُوَ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرٌ﴾	٢٢	٢٧٨
﴿إِلَى رَبِّكَ نَاصِرٌ﴾	٢٣	٢٧٨
الإنسان (٧٦)		
﴿وَتُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ يَرَاغِبُهَا زَعِجِلًا﴾	١٧	١٥٣
النبا (٧٨)		
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾	١٨	٤٤٣
عبس (٨٠)		
﴿يَوْمَ يَرَى الْمَرْءُ مِنْ أَيْدِيهِ﴾	٣٤	١٩١ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ٥٥
﴿وَأَيْدِيهِ وَأَيْدِيهِ﴾	٣٥	١٩١ ، ١٨٨ ، ١٨٧
﴿وَسَنُجِيبُهُ وَنِيبُهُ﴾	٣٦	١٩١ ، ١٨٨ ، ١٨٧
﴿لِكُلِّ أَمْرٍ نِيتُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُنْتَهَى﴾	٣٧	١٩١ ، ١٨٨ ، ١٨٧
﴿وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُسْتَفِرٌّ﴾	٣٨	٣٦٣
﴿حَاجِكَةً مُسْتَنْبِرَةً﴾	٣٩	٣٦٣
التكوير (٨١)		
﴿وَإِذَا الصُّفُفُ ثُبِّرَتْ﴾	١٠	٦٥
الانفطار (٨٢)		
﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	١	٥٢٢ ، ٥٢٠ ، ٥٩
﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَظَّتْ﴾	٢	٥٢٢ ، ٥٢٠
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾	٣	٥٢٢ ، ٥٢٠
﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾	٤	٥٢٢ ، ٥٢٠
﴿عِلْمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾	٥	٥٢٢ ، ٥٢٠
الانشقاق (٨٤)		
﴿تَسُوفُ يَحْسَابُ حِسَابًا يَبِيدًا﴾	٨	٢٨١

الآية	رقمها	الصفحة
		الغاشية (٨٨)
﴿لَا يُسِينُ وَلَا يَغْنَى مِنْ حُجْرٍ﴾	٧	٢٩٢
		الليل (٩٢)
﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾	٥	٢٩٥
﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾	٦	٢٩٥
﴿فَسَيَّسَّرَ لِلْمُغْنَى﴾	١٠	٢٩٥
		التين (٩٥)
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٣٢١
		العاديات (١٠٠)
﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾	١٠	٢٦٨
		الإخلاص (١١٢)
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٥١٣ ، ١٢٣
﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	٢	١٢٣
﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ بَلَدٌ وَلَمْ يُولَدْ﴾	٣	١٢٣
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	١٢٣

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الراوي	الحديث والآثر
١٢٠	ابن عباس	اتق دعوة المظلوم
١٥٠	أنس بن مالك	أتى النبي ﷺ بإناء
١٥٠	أبو هريرة	إذا أمن الإمام فأمّنوا
٣٤٠	صهيب الرومي	إذا دخل أهل الجنة
٥٠٣ ، ١٠٢	أبو هريرة	إذا قبر الميت
٢٣٩	أبو سعيد الخدري	إذا وضعت الجنّاة
٨٠	عائشة	الأرواح جنود مجنّدة
١٤٩	أبو عمرة الأنصاري	أشهد أن لا إله إلا الله
٥٢٢	أبو هريرة	أعذر الله إلى أمرئ
٢٠١	أبو هريرة	أقام عمر بن الخطاب وعلي
١٨	قال القاسم بن محمد	ألا إن لكل أمر جوامع
٣٧٣	النعمان بن بشير	ألا وإن في الجسد
٢٤٣	زيد بن أرقم	اللهم إني أعوذ بك من العجز
١٨	قال أنس بن مالك	أما بعد أيها الناس فإني قد وليت
٤٩٧	جابر بن عبد الله	أما بعد فإن خير الحديث
٤٥٠	أبو هريرة	أنا عند ظن عبدي بي
٩٣	عبد الله بن مسعود	إن أحذكم يجمع
١٥٦	-	إن الإمارة حسرة
١٥	جعفر بن عبد الله بن أبي الحكم	إن الرائد لا يكذب أهله
١٧٠	سهل بن سعد الساعدي	إن الرجل ليعمل بعمل
٣٩٩	البراء بن عازب	إن الرجل المسلم
٥٠٢	أنس بن مالك	إن العبد إذا وضع
٣٩٦	أبو هريرة	إن العبد ليتكلم
٤١٨ ، ٢١٥	أبو موسى الأشعري	إن الله تعالى خلق آدم
٥١٣	قتادة	إن الله جزأ القرآن
١٧٠ ، ١١٧ ، ٩٩	عمر بن الخطاب	إن الله خلق آدم ثم مسح
٣٦٥	الحسين بن علي بن أبي طالب	إن الله خلق الأرواح
٤٩٥	عائشة	إن الله خلق للجنة
٤٩٥	أبو عبد الله	إن الله ﷻ قبض قبضة

الصفحة	الراوي	الحديث والاثار
٢٣٤	أبو هريرة	إن الله لا ينظر إلى أجسادكم
١٥٠	عبد الله بن عمر	إن الله يحب أن تؤتى
١٥٠	أنس بن مالك	أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ
٥٢٤ ، ٤١٩	أبو هريرة	إن أول الناس يقضى
٣٦٣	أنس بن مالك	أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ
١٨٧ ، ١٧٠	سهل بن سعد الساعدي	أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون
٧٨	معاوية بن أبي سفيان	إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة
٣٧١	عقبة بن عامر	أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فصلى
١٥	عبد الله بن عمر	أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الأضحى
٣٠٩	علي بن أبي طالب	أن رسول الله ﷺ لما زوج فاطمة
٤٥٠	أبو هريرة	إن عبداً أصاب
٩٦	أسلم العدوي	أن عمر خرج إلى المسجد
٣٦٠	أبو هريرة	إن لله ملائكة
٣٠٨	عبد الله بن عباس	إن للمساكين دولة
٤٨٧	أبو سعيد الخدري	إن من آمن الناس
١٤٤	عائشة	أن نبي الله ﷺ كان يقوم
١٥٦ -	أبو هريرة	إنكم ستحرصون على الإمارة
٣٥٧	عمر بن الخطاب	إنما الأعمال بالنيات
١٤٨	العرباض بن سارية	إنني عند الله في أول الكتاب
٣٧١	سهل بن سعد	إنني فرطكم على الحوض
٢٢١	عبد الله بن عباس	أول ما خلق الله القلم
٨	-	أيها الناس إن الغضب
٤	جابر بن عبد الله	أيها الناس إن لكم معالم
٦	أنس بن مالك	أيها الناس كأن الموت
١٤٥	أبو هريرة	بدأ الإسلام غريباً
١٦٠	أنس بن مالك	بينما أنا أسير في الجنة
٩٣	أبو موسى الأشعري	حجابه النور
٢٣٩	أبو هريرة	حجبت النار
١٦	-	الحمد لله أحمده وأستعينه
٣٠٧	سلمان الفارسي	الحمد لله الذي لم يمتني
١٧٦	عائشة	خلقت الملائكة من نور
٥٠٩	أبو سعيد الخدري	دخل رسول الله ﷺ مصلاه فرأى
١٩٧	أبو هريرة	الدنيا سجن المؤمن
٤٨٧	قال عبد الله بن عامر	رأيت عمر بن الخطاب أخذ

الصفحة	الراوي	الحديث والاثار
٣٣٤	أبو هريرة	رب أشعث أغبر
١٦٥	أبو هريرة	رب أشعث مدفوع
٦	-	عباد الله فأتقوا الله
٢٩٣	عبد الله بن مسعود	عليكم بالصدق
٣٧١	أبو هريرة	فأتيت بإناء في أحدهما
٣٦٣ ، ١٢٠	أبو هريرة	قاربوا وسددوا
١٨٤	أبو هريرة	قال الله ﷻ إذا هم عبدي
١٩٩	عمران بن حصين	قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة
١٥٠	جابر بن عبد الله	كان المسجد مسقوفاً
١٦	عبد الله بن مسعود	كان النبي ﷺ يتخولنا
١٥	عبد الله بن عمر	كان النبي ﷺ يخطب خطبتين
٢٩٥	علي بن أبي طالب	كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً
٢٠٠	قال أسير بن جابر	كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه
٣٧٧	عبد الله بن عمرو بن العاص	كتب الله مقادير الخلائق
١٥٤	أبو برزة الأسلمي	لا تزول قدما عبد
٤٥٠	عائشة	لقد لقيت من قومك
١٧٦	أبو أمامة	لما خلق الله العقل
١٢٩	أبو هريرة	لو يعلم المؤمن
٩٧	جابر بن عبد الله	ماء زمزم
٢٥٧	أبو هريرة	المؤمن القوي
١٦٥	سهل بن سعد	مر رجل على رسول الله ﷺ
٣٠٨	أحمد بن داود	مفتاح الجنة
٣٩٦	الحسين بن علي	من حسن إسلام المرء
٢٨١	عائشة	من حوسب يوم القيامة
١٦	أبو سعيد الخدري	من رأى منكم منكراً
١٥١	أنس بن مالك	من صلى علي
٣٠٧	عبد الله بن مسعود	نام رسول الله ﷺ
٤	-	والذي نفس محمد بيده
٤٣٨	الحسن البصري	والله لئن كان قاله
١٣٤	النواس بن سمعان	وبيعث الله يأجوج ومأجوج
٢٢٢	أبو هريرة	ويضرب جسر جهنم
١١	-	يا أهل الشام
١٥٦	أبو ذر الغفاري	يا أبا ذر إني أراك
١٥٦	العباس بن عبد المطلب	يا رسول الله أمّرني

الصفحة	الراوي	الحديث والأثر
٤٥٠	عائشة	يا رسول الله هل أتى عليك
١٥٦	العباس بن عبد المطلب	يا عباس يا عم رسول الله
٤٩٨ ، ١٣٨	أبو هريرة	يتعاقبون فيكم ملائكة
١٤٩	أنس بن مالك	يجمع الله الناس
٢٨٥	عبد الله بن عمر	يطوي الله ﷻ السماوات
٨٦	أبو هريرة	يقبض الله الأرض
٥٠٨ ، ٢٣٠ ، ٨٥	أبو هريرة	ينزل ربنا تبارك وتعالى

فهرس القوافي والأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
شفت زجاجة	شفائه	الكامل	-	١٦٤
أسمحت أن يبقى	بدوائه	الكامل	-	٢٠٨
نم النسيم	ومرجبا	الكامل	-	٣٢٠
يا بانة الجرعاء	معذبا	الكامل	-	٤٣٦ ، ٣٥٣ ، ١٧٤
ما وجدت	العطبا	المقتضب	-	٢٩٨
أحذر دنياك	طلبا	المتدارك	-	٢٨٣
أنت من موضع	يؤوب	الخفيف	أعرابي مكفوف	٣٦٨
براه الضنى	طبييه	الطويل	-	١١٩
يود حسودي	أكاذيب	الطويل	ابن الجوزي	٢٥
دعوى المحب	الكذب	البسيط	-	٧٤
يا واعظاً	الذنوب	مخلع البسيط	-	٨١
هل الطرف	وجييه	الطويل	الشريف الرضي	٢٦٧
تتوب من الذنوب	بريت	الوافر	-	١٨٠
يا راحلين	خلفته	الكامل	-	٢٩٢
يا صاح إن	وجهته	الكامل	-	١٩٨
قسما بقلب	وثباته	الكامل	-	١٤٧
تعوذ عبد	نجاته	الطويل	-	١٨٦
يا من بيت	وساعات	البسيط	-	٢٣٣
سأبكي عليكم	تقضت	الطويل	-	٣١٦
الله أسأل	نيتي	الكامل	ابن الجوزي	٢٦
رب أعذني	علاجاً	الوافر	النمر بن تولب	١٢
خليلي قبل	محوجا	الطويل	-	٤٣٢
يا غاديا	القبائحا	الرجز	أبو عبد الله ابن الحاج البكري الغرناطي	٩٧
من عذيري	مرحا	الرمل	المهيار	٣٦١ ، ٩١
صاح إني	أرتياحي	الخفيف	-	٢١٤
ذكر الحمى	حساده	الكامل	-	١٧١
سل كيف عاد	أعتدى	الكامل	-	٥٠٥
ما ذكرت على الفراق	ووجدنا	الرجز	-	٤٨٩
لم يبق	كمدا	البسيط	-	٤٠٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
أيا سعد	عهدا	الطويل	-	٢٢١
هل الوجد	ممهدا	الطويل	-	٢٧٧
ألا أيها الحادي	نجد	الطويل	-	٤٧٣
هل منقذ	أنجدوا	الكامل	-	٢١٢
حديث سقامي	تشهد	الطويل	-	١٣٣
ألف الضنى	مفقود	الكامل	-	٣٤٣
خليلي هل لي	جديدها	الطويل	-	٤٢٧ ، ٣٠٦
أما والذي قد قدر	شديد	الطويل	-	٢٣٥
عسى من كسى	يعيده	الطويل	-	٣٤٧
لله ما أطيب	البعاد	السرّيع	-	٢٩٠
من بات رهن	عواده	الكامل	-	٢٧٢
أضحت خلاء	لبد	البسيط	النابعة الذبياني	٥٢٠
لي فؤاد	مهتدي	الرمل	-	١١٢
خذي نفسي	ربى نجد	الطويل	الشرّيف الرضي	٣٢٦
خذل المعين	المنجد	الكامل	-	١٨٩
تنهي يا عذبات	نسيم نجد	الرجز	ابن المعلم	٥١٨
ألقاب مملكة	الأسد	البسيط	ابن رشيق القيرواني	٢٠
أقول لأصحابي	يعدي	الطويل	-	٣٧٥
وما زلت أبكي	تجلدي	الطويل	المهيار	١٠٣
أيا حبذا نجد	على عهد	الطويل	قيس بن الملوّح	٤٩٧
تلك نجد	بعهدي	الخفيف	-	٢٨٠
يا رفيقي قفا	ما ترى	الرمل	-	٣٨٥
ما حال راية	ينشرا	الكامل	-	٥٠١ ، ٢٤١
باتت ترى	نظرا	الرجز	-	٣٤٤ ، ٢٤٩
ساروا فهل لك	الدار	البسيط	-	٤٦٢
مالي عن وصلك	الفرار	مخلع البسيط	-	٢٢٤
لعمرك ماشط	مزارها	الطويل	-	١٢٨
ركوب المنابر	مجهر	المتقارب	-	١٠
سلام على الدار	أسيرها	الطويل	ابن الجوزي	١٩٧
يا قلب ما أنت	الساري	البسيط	الشرّيف الرضي	٥٢٥
أموت وما ماتت	أوطاري	الطويل	ذو النون المصري	١٠٦
ومن عجب الأيام	السحر	الطويل	بشار بن برد	١٠
أحن إلى من	السدر	الطويل	-	٥٢٢ ، ٣١١
سمحوا باللقاء	بعسر	الخفيف	-	٣٨٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
يصيبون فصل القول	بالمخاصر	الطويل	حسان بن ثابت	١٠
سلوا بعدكم	أم القطر	الطويل	-	٢٨٧
خذ شامة	من وطر	البسيط	-	٢٠٣
ولما نفرنا	النفر	الطويل	-	٣٣٨
أنت شريكي	أبا عامر	السريع	-	٢٥٤
أعد ذكر	الدهر	الطويل	-	١٤٠
لهفي على من	مسرعا	مجزوء الرجز	-	٢٥٤
دمع تدفق	نفعا	البسيط	-	٤٢٢
يا صاحبي إن كنت	نرتع	السريع	ابن الجوزي	٢٣١
هم أودعوا	وأوجعوا	الطويل	-	٤٤٦ ، ٢١٧
الدهر عن طمع	تطمع	الكامل	عبد القادر العلوي	٢٧
يهيج لي	يلمع	الطويل	-	٧٠
إذا أنا لم أصبر	صانع	الطويل	-	٢٤٧
بيوت لهم فيها	والوفا	الطويل	-	١٧٨
نهاني حيائي	الكشف	الطويل	أبو حمزة الخراساني	٣٩٣
يا هلالا	بقا	الرمل	-	١١٤
يا من دموعي	رفقا	الكامل	-	٢٥٩
يا من لصب	بفارقته	البسيط	-	٤٦٠
أنام لعل	وأعشق	الطويل	-	٣٨٢
كلفنتي وجدا	أفبق	الكامل	-	٦٥
يا ساكن	يوم الفراق	الكامل	ابن الجوزي	٢٥
يا صاحبي أطبلا	وعشاقني	البسيط	الحسن بن علي بن عبد الله	٣٥٨ ، ٢٠٥
أشكو إليكم	آماقي	البسيط	-	٦٧
كن من جميع	إلى الحق	السريع	-	٩٦
يكفيك أن	تلى فيكا	البسيط	-	٢٢٧
كل يوم تتلون	أجمل	مجزوء الرمل	-	٢٤٠
في طاعة الحب	نحلا	البسيط	-	٢٥٦ ، ١٦٨
سل إن أفاد	أحواله	الكامل	-	٤٨٠
آيات حبي	المسبل	الكامل	-	١٤٣
ومتى تقم	يفصل	الكامل	ربيعه بن مقروم	١٤
رضيت بذلي	فعله	الطويل	-	٣٣٣
تزود قرينا	يفعل	الطويل	الصلصال بن الدلهمس	١١٣
أما وقد ذهب	تعلل	الكامل	-	٣٩٨
ألا هل على الحب	سبيل	الطويل	-	٤٠٧

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
ومختنق في عبدة	يزيلها	الطويل	الشريف الرضي	٤١٢
خذوا النوم	ثقل	الطويل	-	٤٠٠
أراك الحمى	مقليل	الطويل	-	٢٦١
تيا من عن وادي	غليلها	الطويل	-	٤١٢
وحقك ما أبقي	وإدلاي	الطويل	-	١٥٧
أبادليجة	طملال	البسيط	أوس بن حجر	١٤
في شغل	بابل	الرجز	ابن الجوزي	٣٦٥
هذه من بعدهم	والأثل	الرملي	-	٣٢٩
مزجت لأقوام	عن الكل	الطويل	-	٣٥٤
خل طرفي	وأهل	الرملي	-	١٠٩
هجرت الوري	فلم أنم	الطويل	-	٩٤
حالف الوصل	أقاما	الرملي	-	١٥٢
يا نسيم الريح	الآلاما	الرملي	-	٧٥
لقد سألت	راحما	الرجز	-	٤١٥
أما والهوى	مبهما	الطويل	-	٤٨٤
يشيم وميض	حمامه	الطويل	-	٣٥٠
أهيم بمحبوبي	لهاموا	الطويل	-	٦٣
أينفعني في حب	بترجم	الطويل	-	٢٩٤
يا أهل نجد	كله ندم	البسيط	-	٣٢٢
دعوا نار	نجمها	الطويل	-	٥١٢ ، ١٠١
عرجا بي	الخيام	الرملي	-	٣٠٣
يا خليلي أنزلا	الخيام	الرملي	-	٢٩٩
لشنان ما بين	حاتم	الطويل	ربيعة الرقي	١٧
وحقكم وهو	ندمي	البسيط	-	٨٨
أيا عاذلي	خصمي	الطويل	-	٢٨٩
إذا القمرى	معنى	الوافر	-	٤٧٦
متى أراكم	تريدونا	البسيط	-	٧١
لو كنت لي	معينا	الرجز	-	٨١
كم للحمام	البان	البسيط	-	٤٥٥
عرج على وادي	أغصانه	الكامل	-	٤٦٩
هذا العقيق	أجفانه	الكامل	-	٤٦٦
لو صح في عقد	أمانه	الكامل	-	٢٣٨
يا بان إن كان	عنوان	البسيط	ابن الذروي	٣٨٠
سلام على قلب	شجون	الطويل	-	٤٩٤ ، ٨٥

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
الخط يبقى	مدفون	البسيط	-	٥٢٧ ، ٣٥
ألا هل على الليل	حزين	الطويل	-	٢٤٤ ، ١٣٥
صب بكت	يعينه	الرجز	-	١٩٢
دع عذله	أشجانه	الكامل	-	١٢٦
تزدحم الألفاظ	لساني	الوافر	ابن الجوزي	٣٢
ردوا علي شوارد	أوطان	الكامل	-	٤٩١ ، ٤٠٤
خيالك نصب	جناني	الطويل	-	٣٩١
قفا صاحبي	بيان	الطويل	الشريف الرضي	١٦٦
هتفت ورقاء	كل فن	الرمل	-	٤٥١
كيف كتمان	شؤوني	الخفيف	-	٣٧٣ ، ١٢٢
مغرم في حب ليلي	هداها	الرمل	-	١٥٩
أنست به	أراه	الوافر	-	٧٤
أيا من بات	تراه	الوافر	-	٥٠٧
قفوا في ربي	مغنائه	الطويل	-	٤٤١
ضعوا خدي	فوسدوه	الوافر	-	٢٧٥
تحكم بقلبي	ثانيا	الطويل	-	١٨٤
أقول لركب	اليمانية	الطويل	الشريف الرضي	٣١٣

فهرس القصص الوعظية

الصفحة	القائل	القصة
١٩١	إبراهيم بن أدهم	أتيت ليلة باردة
١٢٤	أبو الحسين بن سمعون	اجتزت يوماً على الفرات
٨٩	مالك بن دينار	احتبس المطر عنا
١٩٨	أبو القاسم الجنيد	أرقت ذات ليلة
٤٢٥	بشر بن الحارث	استقبلني رجل
٢٣٢	-	اشترى الفيض بن إسحق
١٣٤	مالك بن دينار	أصابني في بعض أسفاري
٢٠١	أبو هريرة	أقام عمر بن الخطاب
٣١٥	محمد بن رافع	أقبلت من بعض بلاد
٤٤٦	مسعر	أن عابداً كان يعبد
٣٣٢	ابن جابر	أن أبا عبد ربه
٢٥٥	مصعب بن ثابت	بت ليلة في مسجد
٢٩٨	-	بعض السادات رحمه الله تعالى لما حضرته الوفاة -
٢١١	أبو الحسن الفارسي	بلغنا أن رجلاً
٤٧٣	ابن عياش القطان	بلغنا أنه كان ملك
٣٦٤	ذو النون المصري	بينما أسير في تيه
٣١٩	ذو النون المصري	بينما أنا أسير في البادية
٤٣٥	ذو النون المصري	بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام
٤٣١	السري السقطي	بينما أنا أسير في بلاد الشام
١٠٠	ذو النون المصري	بينما أنا أسير في بلاد المغرب
٤٦٨	ذو النون المصري	بينما أنا أسير في جبل اللكام
٣٥٤ ، ١٧٧	ذو النون المصري	بينما أنا أسير في خراب مصر
٣٧٥	أبو سليمان الداراني	بينما أنا أسير في طريق
٤٥٥	أبو فروة السائح	بينما أنا أطوف
١٠٥	-	بينما أنا جالس ذات
٢٥١	أبو عامر الواعظ	بينما أنا جالس في مسجد
٣٤١	أبو عامر الواعظ	بينما أنا ذات ليلة أسير
١١٨	محمد بن المنكدر	بينما أنا ذات ليلة مواجه
١٦٧	ذو النون المصري	بينما أنا في جبال

القصّة	القائل	الصفحة
بينما أنا في جبانة	إبراهيم التيمي	٣٩٣
تحدثنا يوماً فقلت	-	٢٣٠
تهت في بادية العراق	أبو بكر الشيرازي	٤٧٥
جاورني فتى	-	٣٤٩
حج الرشيد يوماً	-	١٥٥
حج هارون الرشيد	-	٤٨٣
حجبت أنا وأبو سليمان	أحمد بن أبي الحواري	٢٩٣
حجبت سنة إلى بيت الله	ذو النون المصري	٣٥٨
حدثني رجل من أهل الشام	أحمد بن عبد الله الخزاعي	٤٥٩
خرج الناس إلى	ذو النون المصري	٧٣
خرجت أريد الرباط	-	٢٥٨
خرجت إلى الجزيرة	عبد الله بن غالب	٤٥١ ، ٤٣٩
خرجت إلى الشام	عبد الواحد بن زيد	٥١٠
خرجت إلى مكة	مالك بن دينار	٤١١
خرجت أنا وفرقد	عبد الواحد بن زيد	٢٨٨
خرجت حاجاً إلى بيت الله	ذو النون المصري	٣٨١
خرجت حاجاً على طريق	قاسم الجوعي	٤٦١
خرجت ذات ليلة	منصور بن عمار	٣٩١ ، ١٦٣ ، ١١٣
خرجت ليلة من المسجد	-	٣٨٥
خرجت من بيت المقدس	عثمان الدخاني	٣٠٤
خرجت من بيتي	أبو جعفر الصفار	٦٧
خرجت يوماً إلى مقابر	يحيى بن أيوب	٦٤
دخلت البصرة	ابن السماك	١٧٠
دخلت جبل اللكام	عبد الله بن محمد الريحاني	٤٦٥
دخلت على بنت أم حسان	سفيان الثوري	٢٧٦
دخلت على جار لي	مالك بن دينار	١٦٦
دخلت على عابد	يزيد الرقاشي	١٠٢
دخلت في يوم عيد	أبو السفر الصولي	١٥١
رأيت إبراهيم بن أدهم	شقيق البلخي	١٨٢
رأيت بين الثعلبية والخزيمية	إبراهيم بن المهلب	٣٢٧
رأيت رجلاً على رأس الجبل	أبو الحارث الأولاسي	٤٩٦
رأيت شيخاً في مسجد	أبو عبيدة الخواص	٤٠٠
رأيت في البادية	معروف الكرخي	٢٢٥

الصفحة	القائل	القصة
٤٠٦	-	رأيت في بعض الجبال
٣٥٢ ، ١٧٣	إبراهيم بن المهلب	رأيت في بعض السياحات
٣٢٤	أبو الحسن اللؤلؤي	ركبت في البحر
٨٠	عبد الواحد بن زيد	سألت الله ﷻ
٢١٧	يوسف بن الحسين	سألت ذا النون
٢٦١	إبراهيم الخواص	سلكت البادية
٥٢٢	-	سمعت برجل شهر
٣٣٤	عبد الله بن أبي نوح	صحبت شيخاً
٢٠٥	-	ضل قوم في السفر
٥٠١ ، ٣٨٧ ، ١٩٥	عبد الواحد بن زيد	عصفت بنا الريح
٢٧٤	-	عمر بن عبد العزيز ﷺ شيع
٣٧٩	-	عمر بن عبد العزيز ﷺ وقف
٥٢٥	إبراهيم السائح	فيئنا أنا أطوف
٧٥	-	الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
٢٤٧	-	قال رجل للدينوري
٢٣٦	منصور بن عمار	قال لي رجل من أهل الشام
٥٠٥ ، ٨٢	صالح المري	قال لي مالك
٣٤٧	زوج يوسف بن أسباط	قال لي يوماً
٣٦١	أبو بكر الكتاني	قبل كان رجل
١٠٨	-	قحط الناس بالبصرة
٦٩	أبو هشام	قدمت علينا امرأة
١٢٠	صالح المري	قدم علينا ابن السماك
٧١	سعيد بن صبح	قلت لأبي عبد الله البرائي
١٤٢	أبو عبد الله الجريري	قلت لمحمد بن السماك
٤٠٣	مولاة أبي أمامة	كان أبو أمامة الباهلي
٢٨٢	إسرائيل بن محمد القاضي	كان بجرجان رجل
٢١٤	-	كان شاب يحضر
٢٨٧	-	كان فتح الموصلي
١٨٩	-	كان فتى كثير
١٧٩	منصور بن عمار	كان لي أخ
٥٠٧	صالح المري	كان وزير لأبي جعفر
٢٩٧	-	كانت إلى جانبي
١٢٧	ابن عياش القطان	كانت امرأة بالبصرة
٤٩٤ ، ٢٠٨	حماد بن سلمة	كانت امرأة من المتعبدات

الصفحة	القائل	القصة
٢٤٨	-	كانت بالبصرة عجوز
٢٣٥	صالح المري	كانت جارية تغني
١٣١	عبد بن أبي شوال	كانت رابعة
٤٨٠	مطرف بن أبي بكر الهذلي	كانت عجوز عند
٦١	محمد بن المنكدر	كانت لي سارية
٣٩٨ ، ٢١٩	أبو سليمان المغربي	كنت أحتمل الحطب
٢٢٤	أبو عبد الرحمن الأزدي	كنت أدور على حائك
٢٦٥	أبو قدامة الشامي	كنت أميراً على الجيش
٩٤	-	كنت بيت المقدس
٣٧٢	أبو عبد الله بن الجلاء	كنت بذئ الحليفة
٢٧٩	أحمد بن محمد البزاز	كنت بعبادان
١٤٥	يحيى الجلاء	كنت عند معروف الكرخي
٣٢٢	ذو النون المصري	كنت في تيه
٢٤٠	أبو إسحق الهروي	كنت مع ابن الحنوطي
٤٢١	إبراهيم بن بشار	كنت يوماً ماراً
٣١٣	أحمد بن علي الإخميمي	كنا ذات يوم
١٤٠	حصين بن القاسم	كنا عند عبد الواحد
٢٦٨	إبراهيم بن شبيب	كنا نتجالس يوم الجمعة
٥١٧	إبراهيم بن أدهم	كنا يوماً في مجلس
٢٩١	-	لم تكن لي همة
٤٨٨	عثمان بن سودة	لما احتضرت رفعت
٤٩٠	سفيان الثوري	لما بلغت الميقات
٣٠٣	-	لما مرض بشر الحافي
٣٤٤	إبراهيم بن يسار	مررت أنا ويوسف
٣٦٧	الحسن بن جعفر عن أبيه	مررت بدار
١٥٨	خلف	مررت برجل مجذوم
٨٧	سهل بن عبد الله التستري	مرض رجل من أولياء
٢٤٣	سالم بن زرعة	ملح عندنا الماء
٤١٤	ذو النون المصري	وصف لي رجل في المغرب
١٨٥	ابن السماك	وصف لي رجل من العباد

فهرس الأماكن والبلدان

بحيرة طبرية: ١٣٤	آمل الشط: ٢٦١
بخارى: ٢٦١ ترجمة	الأبرقان: ٦٣ ترجمة، ٢١٨، ٤١٣، ٤٣٢، ٤٤٥، ٤٥٠، ٥١٠
بلد: ٤ ترجمة	الأبطح: ٩١ ترجمة، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٦٢
بر العرب: ١٩٦	الأبله: ٢٤٠ ترجمة، ٢٤١
البردان: ٢١٩	أبيورد: ٧٥
برذعة: ٣٣٢	الأثل: ٤٣٢ ترجمة
البصرة: ٤، ٧، ٩، ١٩، ٢٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧٣، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٠، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٤٧، ٣٥٠، ٤١٠، ٤٨٨	أجا: ٤٨٩
بغداد: ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٥، ٣٧، ٦٤، ١٢٧، ١٧٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٨٢	الأجرع = الجرعاء
بكر آباذ: ٢٨٢	الأجفر: ٣٨٥ ترجمة
بلاد أبي بكر بن كلاب: ٣١٤	الأحساء: ٨١
بلاد تيم: ٤٣٢	الأحقاف: ٧٩ ترجمة
بلاد سعد: ٨١	الأحمر: ٤٥٠
بلاد ما وراء النهر: ٢٦١، ٥١٧ ترجمة	إخميم: ٧٣
بلاد الهياطلة: ٥١٧	أذربيجان: ٣٣٢ ترجمة
بلخ: ٥١٧ ترجمة، ٥١٨	أرسوف: ٢٩١
بيت المقدس: ٨٨، ٩٤، ٣٠٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧٥، ٤٠٠، ٥١٨	أزادورد: ٣١٣
بيروت: ٢٢٤	أصبهان: ١٥٣
تبوك: ٢١، ٧٩	الأندلس: ٢٠
تهامة: ١٣٠ ترجمة، ٢١٢، ٢٧٢، ٤١٠	أنطاكية: ٢١٩، ٤٦٥ ترجمة
التيه: ٣٢٢ ترجمة، ٣٦٤	أيلة: ٣٢٢
الثعلبية: ١٦٤، ٣٢٧ ترجمة، ٥٢٦	الإيوان: ٧٩ ترجمة، ٣٩٧
جامع المنصور: ٢٣ ترجمة	باب الأزج: ٢٣ ترجمة
الجبل: ٣٣٢	باب البصرة: ٢٣، ٦٤
جرجان: ٢٨٢ ترجمة	باب بلد: ٢٣ ترجمة
الجرعاء: ٢٣١، ٣٢٦، ٣٥٣، ٣٦٦، ٤٣٦	باب حرب: ٢٤ ترجمة
	باب خراسان: ٦٤ ترجمة
	بارق: ٤١٠ ترجمة
	بابل: ٧٩ ترجمة، ٢٧٢، ٣٦٥، ٤٨٩
	بحر القلزم: ٢١، ٣٢٢
	البحرين: ٦٨، ٧٦، ٨١، ١٢٠، ١٩٦

خيف: ٩٧ ترجمة، ١١٠، ١٤٧، ٢٠٥، ٣١٤،
 ٣٥٩، ٤٤١، ٤٥١، ٤٦٣
 دار السيل: ٢٢٠، ٢٨٠
 دار السلام = بغداد
 دارين: ٧٦ ترجمة، ٢١٩، ٣٣٠
 دجلة: ٢٣، ٨٢، ١٥٨، ١٩٦، ٢٤٠، ٤٥٣
 درب حبيب: ٢١ ترجمة
 درب دينار: ٢٣ ترجمة
 دمشق: ٣٦، ٢٢٦، ٣٣٢، ٤٦١، ٥٢٧
 الدهناء: ٣٢٦
 الديلم: ٣٣٢
 ذات عرق: ١٣٠، ٢٢٧
 الذنائب: ٨٨ ترجمة
 ذو الحليفة: ٣٧٢ ترجمة، ٤١١
 ذو سلم: ٨٨ ترجمة، ٢٦٢
 رام هرمز: ١٥٣، ٢٨٨ ترجمة
 رامة: ٢٤٩ ترجمة، ٢٩٥، ٣١٤، ٣٤٤، ٣٤٥
 ٤٣٢، ٥١٩
 الرباط: ٣٤، ٣٦، ٣٧
 الريذة: ٢٢٧ ترجمة
 الرحاب: ٢٨٢
 الرصافة: ٢٣ ترجمة
 رضوى: ٣٨٨ ترجمة
 الرقة: ٢٣٢، ٣١١
 الرقمتان: ١٣٥ ترجمة، ٢٤٥، ٣١٦، ٤٥٠
 الرمل: ١٠٣ ترجمة، ٢٧٧، ٣٤٨
 رميلة اللوى: ٦٣
 الرند: ٥١٨ ترجمة
 الري: ١٧
 زييد: ٢٠٣
 زرود: ٤٠٦ ترجمة، ٤٨١
 زنجان: ٣٣٢
 الزوراء: ١٥٠
 سبا: ٧٩
 سجستان: ٣١٣

جرعاء مالك: ٣٢٦ ترجمة
 الجزيرة: ٤٣٩
 جزيرة العرب: ١٥، ١٨
 جيحون: ٢٦١، ٥١٧
 حاجر: ١٠٣ ترجمة، ١٣٩، ١٩٥، ٣٦٩، ٤٢٠
 الحبشة: ٣٩٧
 الحجاز: ١٣٠، ١٣٩، ٢٢٧، ٢٥١، ٣٤٣
 الحجر: ٧٩ ترجمة
 حجر اليمامة: ٦٣، ٨١
 حراء: ١٥٠
 حران: ٢٥
 الحرية: ٢٤
 حزوى: ٣٢٦
 حلب: ٢٥، ٢١٩، ٣٤٣، ٤٦٥
 حلية: ٧٤ ترجمة
 الحمى: ٨١ ترجمة، ٩١، ١٠٩، ١١٤، ١٢٨،
 ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٧١، ١٩٢، ١٩٤،
 ٢١٣، ٢١٩، ٢٢١، ٢٣١، ٢٤٢، ٢٤٩،
 ٢٦١، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٤،
 ٣٠٦، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٤٣، ٣٤٥،
 ٣٥٠، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٨٠، ٣٨٦، ٣٩٥،
 ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٢٠، ٤٢٧، ٤٤١،
 ٤٤٥، ٤٥١، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٣،
 ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٩، ٥٠١، ٥٠٦، ٥١٠،
 ٥٢٥، ٥١٩
 حمى ضرية: ٨١
 حمص: ٤٠٣، ٤٠٤
 الحيرة: ٧٩
 خراسان: ١٧، ٧٥، ١٨٢، ٢٨٢، ٣١٣ ترجمة،
 ٣١٥، ٥١٧
 الخرية: ٢٦٩ ترجمة
 الخزمية: ٣٢٧ ترجمة، ٣٨٥، ٥٢٦
 خوارزم: ٥١٧
 الخورنق: ٣٩٧ ترجمة
 خوزستان: ٢٨٨

السدير: ٧٩ ترجمة، ٣٩٧

السرقة: ٣٢٢

سلع: ٩١ ترجمة، ٢٧٧، ٣٥٩، ٣٦٢، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٧٠، ٥١٠، ٥٢٤

الشام: ٥، ١١، ١٤، ١٨، ٢٠، ٢٥، ١٤٨، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠٣

٣١٥، ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٤٤، ٤٠٣، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٣١، ٤٣٥، ٤٥٩، ٤٦١

٤٧٦، ٥١٠، ٥١٨، ٥٢٧

شامة: ٤٨٤ ترجمة

شيخ: ٣٤٧

الصفاء: ١٣٩ ترجمة، ١٤٧، ٤٦٣

صفين: ٣١١ ترجمة

الصين: ٨٦

الطائف: ٧٤، ٢٠٣

طبرستان: ٢٨٢

طخارستان: ٣١٣

طرسوس: ٢١٩ ترجمة، ٢٢٠، ٢٢١، ٤٦٥، ٤٩٦

الطرم: ٣٣٢

الطور: ٤٣٨ ترجمة

طويلع: ٤٠٤ ترجمة، ٤٤٤، ٤٩١

طية = المدينة المنورة

عالج: ١٦٤ ترجمة

العامة: ٥١٠ ترجمة

عبادان: ٨٧، ١٩٦ ترجمة، ٢٤٣، ٢٧٩

العذيب: ١٠٠ ترجمة، ١٧٤، ٢١٤، ٢١٨

٣٣٣، ٣٤٣، ٣٤٨، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٦٦

٣٦٩، ٤١٠، ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٧٠

العراق: ٥، ٧، ١٧، ٢١، ٢٥، ٣٤، ٧٩

١٣٠، ١٦٤، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٧٢، ٣١١

٣١٣، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٤٣، ٤٠٨، ٤١٠

٤٢١، ٤٤٦، ٤٧٥، ٤٩٤

العرج: ١٣٠

عرفة: ٩٧ ترجمة، ١٤٨، ٢٠١، ٣٢٥، ٤٦٢

عسقلان: ٣٣٥ ترجمة

العقبة: ١٩٤، ٤٥٠

العقيق: ١٢٦ ترجمة، ١٤٠، ١٤٣، ٢١٨، ٢٤٩

٣١١، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٤٤، ٣٧٤

٤١٢، ٤٢٠، ٤٤١، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٨٠

٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٩، ٥٠٦، ٥١٠، ٥١٩، ٥٢٢

عوق: ١٣٩

غزنة: ٣١٣

غمندان: ٣٩٧ ترجمة

الغور: ٦٣ ترجمة، ١٠٣، ١٠٤، ٤٤٧، ٥٠٦

الغوير: ١٩٤ ترجمة، ٢٢١

فارس: ١٩٦، ٢٨٨

الفرات: ٢٣، ١٢٤، ٣١١

فرغانة: ٢٢٠

القسطاط: ٣٠٨

الفلج: ٨١

فلسطين: ٣٣٥

فيد: ١٦٤، ٢٢٧، ٣٨٥

القادسية: ١٠٠، ٤١٠

القاع: ١٩٤

قبا: ٥١٨ ترجمة

أبو قيس: ١٣٩، ٢٠١ ترجمة، ٣٨٥، ٤٥٠

قرن الثعالب: ٤٥٠ ترجمة

القريات: ١٦٤

قلمية: ٢٢٠ ترجمة

كاظمة: ٦٨ ترجمة، ٩١، ٣٦٢، ٤٢٠، ٤٤٤

٥١٠، ٥٢٦

الكوفة: ١٧، ٢٢، ٧٥، ٨٠، ١٥٥، ١٨٥

٢٠١، ٢٩٣، ٣٠٩، ٤١٠، ٤٢١، ٥١٧

لامس: ٢٢٠ ترجمة

لعلع: ٢٣١ ترجمة، ٣٦٦

اللكام: ٤٦٥ ترجمة، ٤٦٨

اللسوى: ٧٦ ترجمة، ٨١، ١٠٣، ١٢٦، ١٣٥

١٩٢، ٢١٨، ٢٤٥، ٢٦٧، ٢٧٧، ٣١٤، ٤١٥

٤٢٠، ٤٤٥، ٤٥١، ٤٨١، ٥١٩، ٥٢٤

المحصب: ٩١

٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٨،
 ٣٥٠، ٣٦٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٨١، ٤٠٤، ٤١٠،
 ٤١٣، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٠،
 ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨١، ٤٨٩، ٤٩٧، ٥١٠، ٥١٨،
 ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٦
 نجر: ٣١٤ ترجمة
 نجران: ٣١٤، ٤٥٦ ترجمة
 نعمان: ٢٠٣ ترجمة، ٣٧٤، ٣٨٠، ٤٠٤،
 ٤٨٤، ٤٩١
 نعمان الأراك = نعمان
 النقي: ١١٤ ترجمة، ٢٤٢، ٣١٤، ٣٣٠، ٣٥٩،
 ٣٧٤، ٤٢٠، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٤٥، ٥٠٢، ٥٠٦،
 النقيب: ٣٤٨، ٤٨٩ ترجمة
 نهاوند: ١٧٢
 نهر عيسى: ٢٣ ترجمة
 نهر مُعلَى: ٢١
 النوبة: ٧٣
 نيسابور: ٢٢
 النيل: ١٦٤
 هجر: ٨١، ١٢٠ ترجمة
 الهند: ٦٦، ٧٦، ١٨٨، ٢٠٧، ٢٦٨، ٣١٣،
 ٣٢٧، ٣٨١، ٥٢١
 وادي الأراك: ٢١٩ ترجمة، ٤٠٨، ٤٢٠، ٤٤٥،
 ٤٧٤، ٥٠٦، ٥١٠
 وادي الغضا: ٩١ ترجمة، ١١٤، ٢٨٧، ٣٦١،
 ٤٥١
 واسط: ٢٢ ترجمة، ٢٣، ٢٣٦، ٤٢١
 الوعاء: ٥٢٦ ترجمة
 بيرين: ٨١ ترجمة
 يثرب = المدينة المنورة
 اليمامة: ٥١٠
 اليمن: ١٠، ٦٩، ٧٤، ٧٩، ٢٠٠، ٢٠١،
 ٢١٩، ٣٩٧، ٤٥٦
 ينبع: ٣٨٨

المدائن: ٧٩
 المدرسة المستنصرية: ٢٣
 ملين: ٢١ ترجمة، ٤٣٨
 المدينة المنورة: ٤، ٨، ٩، ١٣، ١٥، ١٧، ٦١،
 ٦٢، ٦٣، ٧٩، ٩١، ١٠٨، ١١٨، ١٥٠،
 ١٥٣، ١٥٦، ٢٢٧، ٢٥١، ٢٦٦، ٣١٠، ٣١٤،
 ٣٤٠، ٣٧٢، ٣٨٨، ٤٥٣، ٥١٨
 مدينة السلام = بغداد
 المرید: ١٠٨ ترجمة، ٢٧٠
 مرو: ١٨
 المروة: ٤٦٣ ترجمة
 مزدلفة: ٩٧
 المشعر: ٩٧ ترجمة
 مشهد موسى بن جعفر: ٢٧
 مصر: ٧٣، ١٧٧، ٢١٢، ٢١٧، ٣٢٢، ٣٥٤، ٤٦٠،
 المصيبة: ٢١٩، ٤٦٥
 المطالي: ٣١٤ ترجمة
 معدن النقرة: ١٠٣
 المغرب: ٢٠، ١٠٠، ١٦٧، ٤١٤
 مقابر عبد الله بن مالك: ٦٤ ترجمة
 المقام: ٩٧ ترجمة، ١٤٧
 مكة: ٤، ٨، ١٥، ١٧، ٧٥، ٨٨، ٩١، ١٠٣،
 ١٢٨، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٢،
 ١٩٤، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٩، ٢٢٦،
 ٢٢٧، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٦١، ٣١٤، ٣١٦،
 ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٨، ٣٦١،
 ٣٨٥، ٣٨٨، ٤١١، ٤٥٠، ٤٥٦، ٤٦٣،
 ٤٧٦، ٤٨٤، ٥١٨
 منى: ٤٥، ٩١، ٩٧، ١١٠، ١٤٧، ١٥٩، ٣١٤،
 ٣٣٠، ٣٣٨، ٤٤١، ٤٥٠، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٨١
 المنحنى: ١٣٩ ترجمة، ١٦٠، ٢١٩، ٤٢٠،
 ٤٤٨، ٥١٠، ٥١٩
 نجد: ٩١، ١٠٤، ١١٤، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٢،
 ١٤٨، ١٥٢، ١٧١، ١٩٤، ١٩٥، ٢١٢، ٢١٤،
 ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٩٥، ٣١٤

فهرس القبائل والأمم

بنو عدي بن كعب: ١٤
العرب: ٣، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ٨١، ٨٦،
١٠٣، ١١٦، ١٢٦، ١٥٣، ١٦٠، ١٩٦،
٢٢٢، ٢٣١، ٣٩٠، ٤١٢، ٥٠٨، ٥٢٠
بنو عقيل: ١٠
بنو عمرو بن الحارث: ٢٠٣
بنو العنبر: ٩
الفرس: ٧٩، ٢٦٩
قحطان: ٧٩
قرن: ٢٠٠، ٢٠١
قريش: ٩، ١٣، ١٤، ٦٩، ٨٣
قريظة: ١٧
بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة: ١٣ ترجمة
مأجوج: ١٣٤ ترجمة
بنو مخزوم: ٣٣٠
مراد: ٢٠٠، ٢٠١
بنو مرة بن صعصعة: ٥
مضر: ١٣، ١٤
بنو نهشل: ٨٥
بنو هاشم: ٢٣٠، ٢٧٠
يأجوج: ١٣٤ ترجمة
بنو يربوع: ٤٠٤
بنو يشكر: ٣١٠

إرم: ٢٨٣ ترجمة
بنو أسد: ١٣
بنو إسرائيل: ٣١٥، ٣٢٢، ٣٦٤، ٣٧٠
بنو أمية: ٣٣٢
بنو البكاء: ٨٨
بنانة: ٨٣
تبع: ٧٩ ترجمة، ٢٣٣، ٣٦٦
التار: ٢٣
بنو تميم: ١٤، ١٠٠، ٢٠٨، ٤٠٤
تيم الرباب: ٣٩٣
ثمود: ٧٩ ترجمة، ٢٠٦، ٢٨٣، ٥٠٤
حمير: ٢٣٣ ترجمة
الروم: ١١، ٧٩، ٢١٩، ٢٢٠
السلاجقة: ٢٠
بنو سليم: ٧٦
بنو ضبة: ١١
طيء: ١٦٤
عاد: ٧٩ ترجمة، ٢٠٦، ٢٨٣، ٣٩٧، ٥٠٤،
٥٢٠
بنو عامر: ٦٩، ٩٧
بنو العباس: ٢٤
بنو عبد قيس: ٤٨٠
بنو عجل: ١٧

فهرس الأعلام

حرف الألف	
آدم ﷺ: ٩٩، ١١٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٠، ١٧٦، ٢٠٢، ٢١٥، ٢٩٠، ٣٧٠، ٣٧٧، ٤١٨، ٤٣٧، ٤٨٦، ٥٠٤	أحمد بن محمد بن ناصر: ٣٦ الأحنف بن قيس بن معاوية، أبو بحر، (٧٢هـ - ٦٩١م): ١٩ ترجمة
إبراهيم ﷺ: ٩٧، ١٠٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ٢٩٠، ٣٧٠، ٤٣٧، ٤٣٨	إدريس بن أبي خولة الأنطاكي: ٨٨ ترجمة إسحق بن إبراهيم الجمال: ٤٦٥ ترجمة إسحق بن إبراهيم بن ميمون الموصلي، أبو محمد، (٢٣٥هـ - ٨٤٩م): ٤١٦ ترجمة أبو إسحق الهروي: ٢٤٠
إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل، أبو إسحق الخواص، (٢٩١هـ - ٩٠٣م): ٢٦١ ترجمة	إسرائيل بن محمد النهري: ٢٨٢ ترجمة إسكندر: ١٣٤ ترجمة، ٣٧٣
إبراهيم بن أدهم بن منصور، أبو إسحق العجلي، (١٦١هـ - ٧٧٧م): ١٨٢ ترجمة، ١٨٣، ١٩١، ١٩٢، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٥، ٤٨٧، ٥١٧، ٥١٨	أسير بن جابر، (٨٥هـ - ٧٠٤م): ٢٠١، ٢٠٠ الأقرع بن حابس بن عقال، (٣١هـ - ٦٥١م): ٣٠٧
إبراهيم بن بشار بن محمد، أبو إسحق المعقلي: ٤٢١ ترجمة	أكثم بن صيفي بن رباح، (٩هـ - ٦٣٠م): ١٣ ترجمة
إبراهيم بن شبيب بن شيبه بن عبد الله: ٢٦٨ ترجمة، ٢٧٠، ٢٧١	أبو أمامة الباهلي، صدى بن عجلان بن الحارث، (٨٦هـ - ٧٠٥م): ١٧٦، ٤٠٣ ترجمة
إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء، (٩٢هـ - ٧١٠م): ٣٩٣ ترجمة	الأمين، محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، (١٩٨هـ - ٨١٣م): ١٥٥
إبراهيم بن يزيد بن المهلب، أبو إسحق: ١٧٣ ترجمة، ٣٢٧، ٣٥٢، ٥٢٥	أنس بن مالك بن النضر، (٩٣هـ - ٧١٢م): ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٦٠، ٣٦٣، ٥٠٢
إبراهيم بن يسار الرمادي: ٣٤٤	الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو، (١٥٧هـ - ٧٧٣م): ٢٥٨ ترجمة، ٢٥٩، ٤٨٨
أبقراط بن غنوسيديقوس بن نبروس: ٣٣٩	أوس بن حجر بن مالك، أبو شريح، (٢ق.هـ - ٦٢٠م): ١٤ ترجمة
أحمد بن أبي الحواري، أبو الحسن، (٢٤٦هـ - ٨٦٠م): ٢٩٣ ترجمة، ٣٢٢	أويس بن عامر بن جرير القرني: ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣ ترجمة
أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، (٢٤١هـ - ٨٥٥م): ٢٤ ترجمة، ٣٢٤	إياس بن معاوية بن قرة المزني، أبو وائلة، (١٢٢هـ - ٧٤٠م): ٩ ترجمة
أحمد بن داود بن عبد الغفار، أبو صالح الحراني، (٣٠٦هـ - ٩١٨م): ٣٠٨	إيراقليس بن أبقراط بن غنوسيديقوس: ٣٣٩
أحمد بن عبد الله الخزاعي: ٤٥٩	أيوب ﷺ: ١٥٤، ٢٥٩، ٤٨٦
أحمد بن عبد الله الرصافي: ٣٠٤	
أحمد بن علي الإخيمي: ٣١٣	
أحمد بن محمد البزاز: ٢٧٩	

حرف الياء

ابن الباقلاني، عبد الله بن منصور بن عمران، أبو بكر، (٥٩٣هـ - ١١٩٦م): ٢٢ ترجمة البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (٢٥٦هـ - ٨٦٩م): ٢٣٠، ٣١٠، ٣٢٤، ٤٨٨، ٥٠٨
بختصر: ١٣٤

البراء بن عازب بن الحارث، (٧١هـ - ٦٩٠م): ٣٩٩
أبو برزة الأسلمي، نضلة بن عبيد بن الحارث، (٦٥هـ - ٦٨٥م): ١٥٤

ابن البزوري، محفوظ بن معتوق بن أبي بكر، (٦٩٤هـ - ١٢٩٤م): ٢٦ ترجمة، ٢٧
بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، أبو نصر، (٢٢٧هـ - ٨٤١م): ١٣٢ ترجمة، ٣٠٣، ٤٢٥، ٥١٧، ٤٢٧

بشار بن برد، (١٦٧هـ - ٧٨٤م): ١٠ ترجمة
بقراط بن إيراقليدس بن أبقراط: ٣٣٩ ترجمة
أبو بكر الدينوري، أحمد بن أبي الفتح محمد بن أحمد، (٥٣٢هـ - ١١٣٨م): ٢٢ ترجمة
أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الجراعي الحنبلي، (٨٨٣هـ - ١٤٧٨م): ٣٦، ٥٢٧
أبو بكر الشبلي، دلف بن جحدر، (٣٣٤هـ - ٩٤٥م): ١٥١ ترجمة، ١٥٢، ١٧٢، ١٧٣، ٤٣٤، ٤٢١

أبو بكر الشيرازي: ٤٧٥
أبو بكر الصديق، عبد الله بن أبي قحافة بن عامر، (١٣هـ - ٦٣٤م): ١١، ١٨، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٣٨، ٤٨٧
أبو بكر الكتاني، محمد بن علي بن جعفر، (٣٢٢هـ - ٩٣٣م): ٣٦١ ترجمة
أبو بكر محمد الفهري السبتي: ٥٩
بهلول بن عمرو، أبو وهيب، (١٩٠هـ - ٨٠٦م): ٤٢١ ترجمة، ٥٠١

حرف التاء

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (٢٧٩هـ - ٨٩٢م): ١١٧، ١٧٠، ٥٠٣

التقي اليلداني، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم عبد المنعم بن عبد الرحمن، (٦٥٥هـ - ١٢٥٧م): ٢٥ ترجمة

ابن تيمية، محمد بن الخضر بن محمد، أبو عبد الله، (٦٢٢هـ - ١٢٢٥م): ٢٥ ترجمة

حرف الثاء

ثابت بن مسلم البناني، أبو محمد، (١٢٣هـ - ٧٤٠م): ٨٣ ترجمة، ٨٤، ٨٩، ٣٤٩

حرف الجيم

ابن جابر، عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، أبو عتبة، (١٥٤هـ - ٧٧٠م): ٣٣٢ ترجمة، ٤٠٣، ٤٠٤

جابر بن عبد الله بن عمرو، (٧٨هـ - ٦٩٧م): ٩٧، ١٥٠

جالوت: ٣١٥

ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، (٦١٤هـ - ١٢١٧م): ٣٣، ٣٧، ٣٨، ٥٢

أم جعد بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب: ٣٤٧

أبو جعفر الصفار: ٦٧

أبو جعفر المنصور، عبد الله بن محمد، (١٥٨هـ - ٧٧٤م): ٤، ٨ ترجمة، ١٨، ٢٣، ٢٧٠، ٣٤٧، ٥٠٧

الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم، (٢٩٨هـ - ٩١٠م): ١٧٢ ترجمة، ١٩٨، ١٩٩، ٣٢٤، ٣٤٤، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٤، ٤٨٧، ٥٢٠

أبو جهير مسعود الضرير: ٨٣ ترجمة، ٥٠٥

أبو الجوال: ٩٤

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن عبد الله، (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م): ١٧، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٥٣، ١٣٣، ١٩٧، ٢٣١، ٣٦٥

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (٣٩٣هـ - ١٠٠٣م): ٥١٦

حرف الحاء

أبو حاتم الرازي، محمد بن إدريس بن المنذر،
(٢٧٧هـ - ٨٩٠م): ٤٨٨

أبو الحارث الأولاسي، الفيض بن الخضر بن
أحمد، (٢٩٩هـ - ٩١١م): ٤٩٥ ترجمة

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، (٣٥٤هـ -
٩٦٥م): ١٣١، ٢٩١، ٣٠٨، ٣٣٢، ٤٢١،
٤٨٨

حبيب بن عيسى بن محمد العجمي، أبو محمد،
(١١٩هـ - ٧٣٧م): ٨٣ ترجمة، ٨٤، ٨٩

حجاج: ٣٥٠ ترجمة

الحجاج بن يوسف بن الحكم، أبو محمد الثقفي،
(٩٥هـ - ٧١٤م): ٤ ترجمة، ٥، ٢٢

حرب بن أمية بن عبد شمس، أبو عمرو،
(٣٦ق.هـ - ٥٨٨م): ٢٩ ترجمة

بنت أم حسان الأسدية: ٢٧٦ ترجمة

حسان بن ثابت بن منذر الأنصاري، أبو الوليد،
(٥٤هـ - ٦٧٤م): ١٠ ترجمة

أبو الحسن بن الزاغوني، علي بن عبيد الله بن
نصر، (٥٢٧هـ - ١١٣٢م): ٢٢ ترجمة

أبو الحسن الفارسي: ٢١١

أبو الحسن اللؤلؤي، سريج بن النعمان بن
مروان، (٢١٧هـ - ٨٣٢م): ٣٢٤ ترجمة

الحسن بن جعفر: ٣٦٧

الحسن بن علي بن أبي طالب، (٥٠هـ - ٦٧٠م):
٢٥٤

الحسن بن علي بن عبد الله، أبو علي، (٥٥١هـ -
١١٥٦م): ٢٠٥

الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، (١١٠هـ -
٧٢٨م): ٩ ترجمة، ١٧، ١٢٧، ١٢٨، ٢١٩،
٣٨٩

أبو الحسين بن سمعون، محمد بن أحمد بن
إسماعيل، (٣٨٧هـ - ٩٩٧م): ١٢٤ ترجمة

الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله،
(٦١هـ - ٦٨٠م): ٢٥٤، ٣٩٦

الحسين بن علي بن محمد، أبو إسماعيل الدثلي
الطغراني، (٥١٣هـ - ١١٢٠م): ٣٧٦ ترجمة

حصين بن القاسم الوزان: ١٤٠

أبو حكيم النهرواني، إبراهيم بن دينار بن أحمد،
(٥٥٦هـ - ١١٦٠م): ٢٢ ترجمة

حكيم بن جعفر السعدي: ٣٣٤ ترجمة

الحلاج، (الحسين بن منصور، أبو مغيث، ٣٠٩هـ -
٩٢١م): ٤٢١ ترجمة، ٤٢٥، ٤٣٤، ٤٨٧

حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان، (٥٢٠هـ -
١١٢٥م): ٤٠٧

أبو حمزة الخراساني الصوفي، (٢٩٠هـ - ٩٠٢م):
٣٩٣

حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة، (١٦٧هـ -
٧٨٣م): ٢٠٨ ترجمة، ٣٠٩، ٣٢٤، ٤٩٤

حميد الطويل بن جابر، (١٥١هـ - ٧٦٨م): ٤٢٢
حمير بن سبأ بن يشجب: ٢٣٣

ابن الحنوطي: ٢٤٠

ابن حوقل، محمد بن حوقل، (٣٦٧هـ - ٩٧٧م):
٨٠

حرف الخاء

خالد بن عبد الله بن يزيد القسري، أبو الهيثم،
(١٢٦هـ - ٧٤٣م): ١١ ترجمة

الخضر عليه السلام: ١٣٤ ترجمة، ١٨٣، ٢٥٦، ٢٧٦،
٣٧٣

خلف: ١٥٨

ابن خليل، يوسف بن خليل بن عبد الله، أبو
الحجاج، (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م): ٢٥ ترجمة

حرف الدال

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، (٣٨٥هـ -
٩٩٥م): ٣٠٨

داود عليه السلام: ٢٩٠، ٣١٥، ٣٧١، ٤٣٨، ٤٧٤،
٤٨٦

داود بن رشيد، أبو الفضل الخوارزمي، (٢٣٩هـ -
٨٥٣م): ٢٣٠ ترجمة

أبو دؤاد بن جرير بن عبد الله: ٧ ترجمة

زيد بن أرقم الخزرجي، (٥٦٨ - ٦٨٧ م): ٢٤٣
زيد بن أسلم العدوي، (١٣٦ هـ - ٧٥٣ م): ٩٦
حرف السين

حرف السين

سابق: ٢٨٢ ترجمة، ٢٨٣

ساسان بن أزدشير: ٣٩٧

سالم بن زرعة، أبو المرضي: ٢٤٣، ٢٤٤

سالم بن عبد الله بن عمر، (١٠٦ هـ - ٧٢٥ م):

١٥٦ ترجمة

سيط ابن الجوزي، يوسف بن قزغلي، أبو

المظفر، (٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م): ٢٤ ترجمة

سيط الخياط، عبد الله بن علي بن أحمد، أبو

محمد، (٥٤١ هـ - ١١٤٦ م): ٢٢ ترجمة

سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن، (٢٥٣ هـ -

٨٦٧ م): ٣٢٤ ترجمة، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣١،

٤٨٧، ٤٣٥

ابن السماك، محمد بن صبيح أبو العباس،

(١٨٣ هـ - ٧٩٩ م): ١٧ ترجمة، ١٢٠، ١٤٢،

١٨٥، ١٧١، ١٧٠

سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب، (٥٥ هـ -

٦٧٥ م): ٣٧٢

سعدون: ٦٤ ترجمة، ٧٣، ٢٣٣

سعيد بن الحكم بن أوس: ٤٣٥ ترجمة

أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان،

(٦٤ هـ - ٦٨٣ م): ١٥ ترجمة، ٢٣٩، ٤٨٧،

٥٠٩

سعيد بن المسيب بن حزن، (٩٣ هـ - ٧١١ م): ١٧

ترجمة

سعيد بن زيد بن عمرو، (٥١ هـ - ٦٧١ م): ٣٧١،

٣٧٢

سعيد بن صبح: ٧١

أبو السفر الصولي: ١٥١

سفيان بن سعيد الثوري، أبو عبد الله، (١٦١ هـ -

٧٧٧ م): ٢٧٦ ترجمة، ٢٧٧، ٤٤٦، ٤٩٠،

سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد،

(١٩٨ هـ - ٨١٣ م): ١٥٥ ترجمة، ١٧٣، ٣٢٤

ابن الدبيشي، محمد بن أبي المعالي سعيد بن
يحيى، (٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م): ٢٥ ترجمة
الدراج، أبو الحسين سعيد بن الحسين: ٢٤٠
دينار بن عبد الله: ٢٣

حرف الذال

أبو ذر الغفاري، جندب بن جنادة بن سفيان،
(٣٢٢ هـ - ٦٥٢ م): ١٥٦، ٣٠٧

ابن الذروي، علي بن يحيى القاضي، (٥٧٧ هـ -
١١٨١ م): ٣٨٠

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، (٧٤٨ هـ -
١٣٤٨ م): ١، ٤٥، ٩٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١،

١٧٦، ٢٢٢، ٣٣٤، ٤٠٠

ذو القرنين = إسكندر

ذو القرنين بن حمدان بن ناصر الدولة التغلبي، أبو

المطاع وجيه الدولة، (٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م): ١٣٥

ذو النون بن إبراهيم المصري، (٢٤٦ هـ - ٨٦٠ م):

٧٣ ترجمة، ٧٤، ١٠٠، ١٠٦، ١٤٥، ١٦٧،

١٧٧، ١٧٨، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧،

٣١٣، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٥٤، ٣٥٨، ٣٦٤،

٣٦٥، ٣٨١، ٣٨٢، ٤١٤، ٤٣٥، ٤٦٨

حرف الراء

رابعة بنت إسماعيل العدوية، (١٣٥ هـ - ٧٥٢ م):

١٣١ ترجمة، ١٣٢

راهبة: ٤٨٨ ترجمة

الربيع بن صبيح، أبو بكر، (١٦٠ هـ - ٧٧٧ م):

١٤٢ ترجمة

ربيعة بن حذار بن مرة: ١٣ ترجمة

ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي، (١٦ هـ -


٦٣٧ م): ١٤ ترجمة

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن

رجب، (٧٩٥ هـ - ١٣٩٣ م): ٣٩

حرف الزاي

الزبير بن العوام بن خويلد، (٣٦ هـ - ٦٥٦ م): ٣٧٢

زكريا  ٣٧٠، ٤٨٦

زمر، (٥٩٩ هـ - ١٢٠٢ م): ٢٣ ترجمة

سلمان الفارسي، (٣٦هـ - ٦٥٦م): ١٥٣ ترجمة، ٣٠٧

سليمان عليه السلام: ١٣٤، ٢٩١، ٤٨٦

أبو سليمان الداراني، عبد الرحمن بن أحمد بن عطية، (٢١٥هـ - ٨٣٠م): ٢٩٣ ترجمة، ٢٩٤، ٣٧٥

أبو سليمان المغربي: ٢١٩ ترجمة، ٣٩٨

سليمان بن عبد الملك بن مروان، (٩٩هـ - ٧١٧م): ٥

سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، (١٤٢هـ - ٧٥٩م): ٣٤٧

سمنون بن حمزة، أبو الحسن: ٤٢١ ترجمة، ٤٣٤، ٤٨٧، ٥٠١

سهل بن سعد الساعدي، (٩١هـ - ٧١٠م): ١٦٥، ٣٧١، ١٨٧، ١٧٠

سهل بن عبد الله التستري، أبو محمد، (٢٨٣هـ - ٨٩٦م): ٨٧ ترجمة، ٨٨

سوية: ٦٩ ترجمة

سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح، أبو مرة: ٣٩٧ ترجمة

حرف الشين

أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، (٦٦٥هـ - ١٢٦٦م): ٢٦ ترجمة

شريح بن الحارث بن قيس القاضي، (٩٨هـ - ٧١٦م): ٢٣٣

الشعبي، عامر بن شراحيل، أبو عمرو، (١٠٣هـ - ٧٢١م): ١٧ ترجمة

شعيب عليه السلام: ٢١، ٣٩٠

شقيق بن إبراهيم البلخي، (١٩٤هـ - ٨٠٩م): ١٨٢ ترجمة، ١٨٣

شيبان الراعي، محمد بن عبد الله، أبو محمد: ٤٨٣ ترجمة

حرف الصاد

صالح عليه السلام: ٢٩٠، ٢٠١

صالح بن بشير المري، أبو بشر، (١٧٦هـ - ٧٩٢م): ٨٢ ترجمة، ٨٤، ٨٥، ٨٩، ١٢٠، ٢٣٥، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٤٩، ٥٠٥، ٥٠٧

صحار بن عياش العبدي، (٤٠هـ - ٦٦٠م): ٧ ترجمة

صلاح الدين الأيوبي، يوسف بن أيوب أبو المظفر، (٥٨٩هـ - ١١٩٣م): ٢٠ ترجمة

الصلصال بن الدلهس بن جندلة: ١١٣

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع، (٢١١هـ - ٨٢٦م): ١٥٥

صهيب بن سنان بن مالك الرومي، (٣٨هـ - ٦٥٩م): ٣٤٠

حرف الضاد

الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم: ٢٠٠ الضياء، محمد بن عبد الواحد بن أحمد، أبو عبد الله، (٦٤٣هـ - ١٢٤٥م): ٢٥ ترجمة ضيغم بن مالك، أبو مالك، (١٨٠هـ - ٧٩٦م): ١٣٢ ترجمة

حرف الطاء

أبو طالب، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، (٣ق.هـ - ٦٢٠م): ١٥٣

طالوت: ٣١٥

ابن الطثرية، يزيد بن سلمة بن سمرة، (١٢٦هـ - ٧٤٤م): ٤٠٧

طغرل بن أرسلان بن طغرلبك، (٥٩٠هـ - ١١٩٣م): ٢٣

طلحة بن عبيد الله بن عثمان، أبو محمد، (٣٦هـ - ٦٥٦م): ٣٧٢

حرف العين

عائشة بنت أبي بكر الصديق، (٥٨هـ - ٦٧٨م): ٨٠، ١٤٤، ١٧٦، ٢٨١، ٤٥٠، ٤٩٥

عائشة بنت سليمان بن علي: ٣٤٧ ترجمة

أبو عامر البناني: ٢٥١ ترجمة، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٤١، ٣٤٢

عامر بن الظرب بن عمرو: ١٣ ترجمة
عامر بن عبد الله بن عبد قيس، (٥٥٥هـ - ٦٧٥م):
٩ ترجمة
عبادة بن الصامت بن قيس، (٣٤هـ - ٦٥٤م):
٤٨٨
العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الفضل،
٣٢هـ - ٦٥٣م: ١٥٦ ترجمة
ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد،
(٤٦٣هـ - ١٠٧١م): ٣٩٦
أبو عبد ربه، عبد الرحمن، (١١٢هـ - ٧٣٠م):
٣٣٢ ترجمة
أبو عبد الرحمن الأزدي: ٢٢٤ ترجمة
عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري: ١٤٩
عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، (٣٢هـ -
٦٥٢م): ٣٧٢
عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، (١٩٨هـ -
٨١٤م): ١٧٣
عبد الرزاق بن همام بن نافع، أبو بكر الصنعاني،
(٢١١هـ - ٨٢٦م): ١٥٥
عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر،
(٦١١هـ - ١٢١٤م): ٢٣ ترجمة
عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد،
(٦٠٠هـ - ١٢٠٣م): ٢٤ ترجمة
عبد القادر ناصر الدين العلوي: ٢٧ ترجمة
عبد اللطيف بن الصبقل، أبو الفرج، (٦٧٢هـ -
١٢٧٣م): ٢٥ ترجمة، ٢٨
أبو عبد الله: ٤٩٥
أبو عبد الله الجبري: ١٤٢
أبو عبد الله بن الجلاء، أحمد بن يحيى، (٦٠٣هـ -
١٢٠٦م): ١٤٥ ترجمة، ٢١٩، ٣٧٢
أبو عبد الله ابن الحاج البكري، (٧١٥هـ -
١٣١٥م): ٩٧
أبو عبد الله الصياد: ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١
عبد الله بن الفرج، أبو محمد القنطري، (٢٠١هـ -
٨١٦م): ٥١٧ ترجمة

عبد الله بن المبارك بن واضح، (١٨١هـ -
٧٩٧م): ٢٧٦
عبد الله بن أيوب بن أبي علاج: ٣٦٥ ترجمة
أبو عبد الله بن أبي جعفر البرائي: ٧١ ترجمة
عبد الله بن شهاب بن عبد الله: ٢٧٦
عبد الله بن عامر بن ربيعة، (٨٥هـ - ٧٠٤م): ٤٨٧
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، (٦٨هـ -
٦٨٧م): ١٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٣٠٨
عبد الله بن عبيد ربه: ٣٣٥
عبد الله بن عمر بن الخطاب، (٧٣هـ - ٦٩٢م):
١٥ ترجمة، ١٥١، ٢٨٥
عبد الله بن عمرو بن العاص، (٦٥هـ - ٦٨٤م): ٣٧٧
عبد الله بن غالب، أبو فراس: ٤٣٩ ترجمة،
٤٤١، ٤٥١
عبد الله بن محمد الريحاني: ٤٦٥
عبد الله بن مسعود بن غافل، أبو عبد الرحمن
الهذلي، (٣٢هـ - ٦٥٣م): ١٦ ترجمة، ٩٣،
٢٩٣، ٣٠٧
عبد الله بن ميمون بن عياش: ٣٢٢ ترجمة
عبد الله بن أبي نوح، أبو يوسف: ٣٣٤
عبد الله بن همام بن نبيشة السلولي، (١٠٠هـ -
٧١٨م): ٥ ترجمة
عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، (٤٥ق.هـ -
٥٧٩م): ١٤ ترجمة
عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو الوليد،
(٨٦هـ - ٧٠٥م): ٤، ٨ ترجمة
عبد الواحد بن زيد: ٨٠ ترجمة، ١٤٠، ١٩٥،
٢٨٨، ٣٨٧، ٥٠١، ٥١٠
عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد، (١٥٨هـ -
٧٧٤م): ٣٤٧
عبدة بنت أبي شوال: ١٣١ ترجمة
عبيد الله بن زياد، (٦٧هـ - ٦٨٦م): ٧ ترجمة
أبو عبيدة بن الجراح، عامر بن عبد الله بن
الجراح، (١٨هـ - ٦٣٩م): ٣٧٢
أبو عبيدة الخواص = أبو عتبة الخواص

عبيدة بنت أبي كلاب: ١٣٢ ترجمة

عيسى بن مرحوم بن عبد العزيز العطار: ١٣١ ترجمة
أبو عتبة الخواص، عباد بن عباد الرملي: ٢٩١
ترجمة، ٣٣٦، ٣٣٧، ٤٠٠

عثمان بن أبي سودة الطفاوي، أبو العوام: ٤٨٨
ترجمة

عثمان بن عبد الله الدخاني: ٣٠٤ ترجمة، ٣٠٥،
٣٠٦

عثمان بن عفان بن أبي العاص، (٣٥٥هـ - ٦٥٦م):
٣٩٧، ٣٧٢، ٣٧١، ٥

العرباض بن سارية السلمي، (٧٥٥هـ - ٦٩٤م): ١٤٨
عرقوب: ٣٢٧، ٣٨٠

عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، (٩هـ -
٦٣٠م): ١٥٠

عطاء بن السائب بن مالك، أبو السائب، (١٣٦هـ -
٧٥٣م): ٣٠٩ ترجمة

عطاء السلمي، (١٣٢هـ - ٧٤٩م): ٨٩ ترجمة
عفان بن مسلم بن عبد الله، أبو عثمان، (٢٢٠هـ -
٨٣٥م): ٤٩٤ ترجمة

عقبة بن عامر بن عبس، (٥٨هـ - ٦٧٧م): ٣٧١
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، (٤٠هـ -
٦٦١م): ٦، ١٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٩٥، ٣٠٩،
٣١٠، ٣١١، ٣٧٢، ٤٨٧

علي بن عبد الرحمن بن علي، أبو الحسن،
(٦٣٠هـ - ١٢٣٢م): ٢٤ ترجمة

علي بن يعلى بن عوض، أبو القاسم، (٥٢٧هـ -
١١٣٢م): ٢٢ ترجمة

عمر بن الخطاب بن نفيل، (٢٣هـ - ٦٤٤م): ٥،
٩، ٩٦، ٩٩، ١١٧، ١٧٠، ٢٠٠، ٢٠١،
٢٠٢، ٢٠٣، ٣٥٧، ٣٧١، ٣٧٢، ٤٨٧

عمر بن أبي صالح العتكي: ١٧٦
عمر بن عبد العزيز بن مروان، أبو حفص
الأموي، (١٠١هـ - ٧٢٠م): ٩، ١٧ ترجمة،

١٥٦، ٢٧٤، ٣٧٩، ٣٨٠
عمر بن محمود الحلبي: ٣٥

عمران بن حصين بن عبيد، (٥٢هـ - ٦٧٢م): ١٩٩
عمرو بن الأهم بن سمي التميمي، (٥٧هـ -
٦٧٧م): ١٣ ترجمة

عيسى عليه السلام: ١٣٤، ١٤٨، ١٤٩، ٢٩١، ٣٧١،
٤٣٩، ٤٨٦

عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، (١٦٤هـ -
٧٨٠م): ٤، ٢٣

عيسى بن يونس بن أبي إسحق: ٤٢٧ ترجمة
ابن عياش القطان، الحسين بن يحيى بن عياش،
(٣٣٤هـ - ٩٤٥م): ١٢٧ ترجمة، ٤٧٣

عياش بن عباس القتباني، (٣٣هـ - ٧٥٠م): ٩٦
عينة بن حصن بن حذيفة، (٤١هـ - ٦٦١م): ٣٠٧

حرف الغين

أبو غالب: ١٧٦
الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، (٥٠٥هـ -
١١١١م): ٢٩ ترجمة

حرف الفاء

فاطمة بنت محمد بن عبد الله عليه السلام، (١١هـ -
٦٣٢م): ٣٠٩، ٣١٠

فتح بن سعيد الموصلي، أبو نصر، (٢٢٠هـ -
٨٣٥م): ٢٨٧ ترجمة

أبو الفرج بن أبان: ٢٢٠
فرعون: ١٠٧ ترجمة، ٢٠٦، ٢٦٨، ٥٠٤

فرقد بن يعقوب السبخي، أبو يعقوب، (١٣١هـ -
٧٤٨م): ٢١٩ ترجمة، ٢٨٨

أبو فروة السائح: ٤٥٥
الفضل بن الربيع بن يونس، أبو العباس، (٢٠٨هـ -
٨٢٤م): ١٥٥ ترجمة، ١٥٦، ١٥٧

الفضيل بن عياض بن مسعود، أبو علي، (١٨٧هـ -
٨٠٢م): ٧٥ ترجمة، ١٥٥، ١٥٦، ٢٣٢،
٤٢٥، ٤٣٥، ٤٨٧

الفيض بن إسحق، أبو يزيد الرقي، (٢١٦هـ -
٨٣١م): ٢٣٢ ترجمة

حرف القاف

قارون: ١٠٧ ترجمة، ٢٠٦

قاسم بن عثمان الجوعى، أبو عبد الملك، (٢٤٨هـ - ٨٦٢م): ٤٦١ ترجمة
 قتادة بن النعمان بن زيد، (٢٣هـ - ٦٤٤م): ٥١٣
 قتادة بن دعامة بن قتادة، (١١٨هـ - ٧٣٦م): ١٣٨
 أبو قدامة الشامي: ٢٦٥، ٢٦٦
 قدامة بن جعفر بن قدامة، (٣٣٧هـ - ٩٤٨م): ١٦، ١٧، ١٩
 قس بن ساعدة الإيادي، (٢٣ق.هـ - ٦٠٠م): ١٣
 ترجمة
 ابن القصاب، محمد بن علي أبو الفضل، (٥٩٢هـ - ١١٩٦م): ٢٣ ترجمة
 ابن القطيعي، محمد بن أحمد بن عمر، أبو الحسن، (٦٣٤هـ - ١٢٣٦م): ٢٥ ترجمة
 الفلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد، (٨٢١هـ - ١٤١٨م): ٢٨، ٢٩، ٣٦
 قيس بن الملوح بن مزاحم، (٦٨هـ - ٦٨٨م): ١٣٠ ترجمة، ٢٤٠
 قيس بن ذريح بن سنة، (٦٨هـ - ٦٨٨م): ٣١١
 ابن القيسراني، محمد بن نصر بن صغير أبو عبد الله، (٥٤٨هـ - ١١٥٣م): ٣٠٦
 قيصر: ٢٣٢، ٤٩٢

حرف الكاف
 ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، (٧٧٤هـ - ١٣٧٣م): ٥٢
 كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى، أنو شروان: ٧٩ ترجمة، ٢٣٢، ٣٦٦، ٣٩٧، ٤٩٢
 كعب بن لؤي بن غالب القرشي، (١٧٣ق.هـ - ٤٥٤م): ١٣ ترجمة
 كنانة بن عبد ياليل بن عبد كلال: ٤٥٠
 ابن الكواء، عبد الله بن الكواء: ٣١٠ ترجمة

حرف اللام
 لقمان بن عاد: ٥٢٠
 أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، (٦٢٤هـ - ١٥٣م): ١٥٣ ترجمة

الليث بن سعد بن عبد الرحمن، (١٧٥هـ - ٧٩١م): ٩٦، ٢٨٧
 ليلي بنت مهدي بن سعد: ١٣٠ ترجمة، ٢٤٠

حرف الميم
 مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله، (١٧٩هـ - ٧٩٥م): ٣٤ ترجمة
 مالك بن دينار، أبو يحيى، (١٢٧هـ - ٧٤٤م): ١٧
 ترجمة، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٦٦، ٢١٩، ٢٨٨، ٣٤٩، ٤١١، ٥٠٥
 المأمون، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي، (٢١٨هـ - ٨٣٣م): ٢٣، ١٥٥
 المثنى بن سلمة بن حارثة الشيباني، (١٤هـ - ٦٣٥م): ٢٦٩
 مجاهد بن جبر، (١٠٤هـ - ٧٢٢م): ١٣٨
 محمد بن إبراهيم بن ثابت، أبو عبد الله الكيزاني، (٥٦٢هـ - ١١٦٦م): ٢٠٨
 محمد بن الحسن البصري: ٣٦٤
 محمد بن المنكدر بن عبد الله، أبو عبد الله، (١٣٠هـ - ٧٤٨م): ٦١ ترجمة، ٦٢، ٦٣، ١١٨، ١١٩، ١٥٦
 محمد بن المهدي بن محمد الحنفي الجزيري: ٣٥، ٥٢٧

محمد بن داود الدينوري، أبو بكر، (٣٦٠هـ - ٩٧٠م): ٢٢٠ ترجمة، ٢٤٧، ٣٢٤، ٣٧٢
 محمد بن رافع بن أبي زيد، أبو عبد الله القشيري، (٢٤٥هـ - ٨٥٩م): ٣١٥ ترجمة
 محمد أبو زهرة: ٢٢
 محمد بن سليمان بن علي، (١٧٣هـ - ٧٨٩م): ٢٧٠ ترجمة، ٢٧١، ٢٧٢
 محمد بن عيسى القرشي: ٣٢٧
 محمد بن كعب بن سليم القرظي، (١١٧هـ - ٧٣٥م): ١٧ ترجمة
 محمد بن واسع بن جابر، أبو بكر، (١٢٣هـ - ٧٤٠م): ١٧ ترجمة، ٨٣، ٨٩، ٢٨٨، ٤٢١

- مخارق بن يحيى بن ناووس، أبو المهثا، (٢٣١هـ - ٨٤٥م): ٤١٠ ترجمة، ٤١٦
- مخلد بن يزيد الحراني، (١٩٣هـ - ٨٠٨م): ٢٠٠
- المستضيء، الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي، أبو محمد، (٥٧٥هـ - ١١٧٩م): ٢٣ ترجمة
- مسعر بن كدام بن ظهير، أبو سلمة، (١٥٥هـ - ٧٧١م): ٤٤٦ ترجمة
- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري، (٢٦١هـ - ٨٧٤م): ٥٢٤
- أبو مسلم الخراساني، عبد الرحمن بن مسلم، (١٣٧هـ - ٧٥٥م): ١٨ ترجمة
- مسلم بن يسار، (١٠٨هـ - ٧٢٦م): ٩٩
- مصعب بن ثابت بن عبد الله، أبو عبد الله، (١٥٧هـ - ٧٧٣م): ٢٥٥ ترجمة
- مطرف بن أبي بكر الهذلي، (٤٨٠
- معاذ بن جبل بن عمرو، (١٨هـ - ٦٣٩م): ٩٦
- معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب، (٦٠هـ - ٦٨٠م): ٥ ترجمة، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٩، ٧٨، ١٣١
- معبد بن وهب، أبو عباد، (١٢٦هـ - ٧٤٣م): ٢٢٩، ٣٣٠ ترجمة، ٣٨٨، ٤١٠، ٤١٦، ٤٣٦، ٤٦٤
- معروف بن فيروز الكرخي، (٢٠٠هـ - ٨١٥م): ١٤٥ ترجمة، ١٤٧، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٣٢٤، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٣٤، ٤٨٧، ٤٩٢
- ابن المعلم، محمد بن علي بن فارس، (٥٩٢هـ - ١١٩٦م): ٤٠٤، ٥١٨
- ابن المقفع، عبد الله بن المقفع، (١٤٤هـ - ٧٦١م): ٤ ترجمة
- المقري، محمد بن محمد بن أحمد، (٧٥٨م - ١٣٥٧م): ٤٥
- أبو المليح الرقي، الحسن بن عمر بن يحيى، (١٨١هـ - ٧٩٧م): ٣٠٨
- أبو منصور الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد، (٥٤٠هـ - ١١٤٥م): ٢٢ ترجمة
- منصور بن عمار بن كثير، أبو السري، (٢٢٥هـ - ٨٣٩م): ١١٣ ترجمة، ١١٤، ١٦٣، ١٧٩، ١٨٠، ٢٣٦، ٢٣٧، ٣٩١
- منية: ١٢٧ ترجمة
- المهدي، محمد بن عبد الله بن محمد، (١٦٩هـ - ٧٨٥م): ٢٣
- موسى ، (١٠٧، ١٤٩، ١٥٠، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٢٢، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٩٠، ٤٣٨، ٤٨٦
- أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سليم، (٤٤٤هـ - ٦٦٥م): ٩، ٩٢، ٢١٥، ٤١٨
- موسى بن محمد بن عطاء، أبو الطاهر: ٣٠٨
- موفق الدين بن قدامة، عبد الله بن محمد بن قدامة، أبو محمد، (٦٢٠هـ - ١٢٢٣م): ٢٤، ٢٥ ترجمة
- مولاة أبي أمامة: ٤٠٣
- ميمون بن مهران الجصري، (١١٧هـ - ٧٣٥م): ٣٠٨
- ميمونة السوداء: ٨٠ ترجمة
- حرف النون**
- الناطقة الذيباني، زياد بن معاوية بن ضباب: ٥٢٠
- ابن ناصر، محمد بن ناصر بن محمد، أبو الفضل، (٥٥٠هـ - ١١٥٥م): ٢١ ترجمة، ٢٢
- الناصر لدين الله، أحمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد يوسف، (٦٢٢هـ - ١٢٢٥م): ٢٣، ٢٤ ترجمة
- ابن النجار، محمد بن محمود بن الحسن، أبو عبد الله، (٦٤٣هـ - ١٢٤٥م): ٢٥ ترجمة
- النعمان الأكبر بن امرئ القيس بن عمرو: ٧٩ ترجمة، ٣٩٧
- النعمان بن بشير بن سعد، (٦٥هـ - ٦٨٤م): ٣٧٣
- نفيل بن عبد العزيز بن رباح، (٥٠ق.هـ - ٥٧٥م): ١٤ ترجمة
- النمر بن تولب بن زهير العكلي، (١٤هـ - ٦٣٥م): ١٢ ترجمة
- نمرود: ١٠٧ ترجمة، ١٣٤، ٢٠٦، ٣٧٠

حرف الياء

يحيى رحمه الله: ٣٧٠

يحيى بن أيوب، أبو زكريا، (٢٣٤هـ - ٨٤٨م):

٦٤ ترجمة، ٦٥

يحيى بن بسطام بن خريث، أبو محمد: ٤٨٨
ترجمة

يحيى بن طالب الحنفي، (١٨٠هـ - ٧٩٦م): ٤٠٧

يزيد بن أبان، أبو عمرو الرقاشي: ١٠٢ ترجمة

يزيد بن أسيد بن زافر، (١٦٢هـ - ٧٧٩م): ١٧
ترجمة

أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى بن

سروشان، (٢٦١هـ - ٨٧٤م): ١٧٢، ١٧٣

ترجمة، ١٩٩، ٣٤٤، ٤٢١، ٤٢٥، ٤٨٧

يزيد بن حاتم بن قبيصة، (١٧٠هـ - ٧٨٧م): ١٧
ترجمة

يزيد بن أبي سفيان بن حرب، (١٨هـ - ٦٣٩م):

١١ ترجمة

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، أبو خالد، (٦٤هـ -

٦٨٣م): ٥ ترجمة، ٨

يعقوب رحمه الله: ٧٣، ٤٣٨، ٤٨٦

أبو يعلى الصغير، محمد بن محمد بن محمد،

(٥٦٠هـ - ١١٦٥م): ٢٢ ترجمة

أبو يعلى القاضي، محمد بن الحسين بن محمد،

(٤٥٨هـ - ١٠٦٦م): ٢١٠

يوسف رحمه الله: ٧٣، ٤٨٦

يوسف: ٣٤٤

يوسف بن أسباط، (١٩٩هـ - ٨١٥م): ٣٤٧

ترجمة

يوسف بن الحسين الرازي، أبو يعقوب، (٣٠٤هـ -

٩١٦م): ٢١٧ ترجمة، ٤١٤

يوسف بن عبد الرحمن، محيي الدين، (٦٥٦هـ -

١٢٥٨م): ٢٣ ترجمة، ٢٤

ابن يونس الحنبلي، عبيد الله بن يونس، (٥٩٣هـ -

١١٩٧م): ٢٣ ترجمة

النواس بن سمعان بن خالد، (٥٠ - ٦٧٠م): ١٣٤

النووي، يحيى بن شرف بن مري، (٦٧٦هـ -

١٢٧٧م): ٣٩٦

نوح رحمه الله: ٧٩، ١٤٩، ٢٩٠، ٣٧٠، ٣٩٠

٤٣٧، ٤٨٦، ٥٠٤

نوفل بن عبد الله: ٢٠٠

حرف الهاء

هارون الرشيد بن محمد بن منصور، أبو جعفر،

(١٩٣هـ - ٨٠٩م): ١٧ ترجمة، ٢٣، ١٥٥

١٥٦، ١٥٧، ٤١٠، ٤٢١، ٤٨٣

هامان: ١٠٧ ترجمة، ٢٠٦

هدبة بن خالد بن الأسود، أبو خالد القيسي،

(٢٣٦هـ - ٨٥٠م): ١٦٠

هرم بن قطبة الفزاري، (١٣هـ - ٦٣٤م): ١٣ ترجمة

أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر، (٥٩هـ -

٦٧٩م): ٨٠، ٨٥، ٨٦، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٠

١٢٩، ١٣٨، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٦، ١٦٥

١٨٤، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٣٩

٢٥٧، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٧١، ٣٩٦

٤١٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٩٨، ٥٠٣، ٥٠٨

٥٢٤، ٥٢٢

أبو هشام: ٦٩ ترجمة

هشام بن عبد الملك بن مروان، (١٢٥هـ -

٧٤٣م): ١١

هود رحمه الله: ٢٦، ٢٩٠

حرف الواو

واصل بن عطاء، أبو حذيفة، (١٣١هـ - ٧٤٨م):

١١ ترجمة

أبو الوقت، عبد الأول بن عيسى، (٥٥٣هـ -

١١٥٨م): ٢٢ ترجمة

الوليد بن مسلم، أبو العباس الدمشقي، (١٩٥هـ -

٨١٠م): ٣٣٢ ترجمة

ابن وهب، عبد الله بن وهب بن مسلم، (١٩٧هـ -

٨١٣م): ١١٨ ترجمة

وهب بن منبه بن كامل، أبو عبد الله: ٤٩٦

فهرس الموضوعات العام

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
القسم الأول	٢
الفصل الأول: الخطابة والخطيب	٣
الخطابة: تعريفها وخصائص أسلوبها	٣
الوضوح	٣
الإطناب والإيجاز	٣
قوة التأثير	٥
الخطيب: صفاته وعدته	٧
الاستعداد الفطري	٧
سعة الثقافة	٧
معرفة نفسية السامعين	٨
سرعة البديهة	٨
الإخلاص	٩
روعة المنظر وجمال المظهر	٩
جودة الإلقاء	١٠
جهازة الصوت	١٠
سلامة اللسان من عيوب النطق	١١
رباطة الجأش وقوة الجنان	١١
الخطابة بين الجاهلية والإسلام	١٣
الخطابة في الجاهلية	١٣
الخطابة في الإسلام	١٥
الخطابة الوعظية	١٥
خطب الجهاد	١٧
خطب السياسة	١٨
خطب الوفود	١٨
الفصل الثاني: ترجمة المصنف	٢٠
عصره	٢٠
حياته	٢١
مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه	٢٤

٢٧ مؤلفات ابن الجوزي
٢٨ ابن الجوزي الخطيب الراعي
٣٣	القسم الثاني
٣٤ الفصل الأول: مقدمة التحقيق
٣٤ تحقيق اسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف
٣٤ قيمة الكتاب العلمية
٣٥ خطة إخراج الكتاب ووصف النسخ المعتمدة
٣٨ صعوبات العمل
٥١ الفصل الثاني: تحقيق كتاب «المورد العذب»
٥٣ مقدمة المؤلف
	الفصل الأول
٦٠ الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾
٦٥ الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾
٧٢ الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾
	الفصل الثاني
٧٨ الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾
٨٥ الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ﴾
٩٢ الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾
	الفصل الثالث
٩٩ الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أَوَدَّ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَسَالِ﴾
١٠٤ الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمِنَهُ لَأَنَّهُمْ فِي عَذَابٍ وَنُجِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾
١١٠ الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا بَدَّكُمْ فَبَدَّلَ تَذَكُّرًا وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾
	الفصل الرابع
١١٦ الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾
١٢٢ الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَلِأَنَّ جَهَنَّمَ لَمْ يُولَدْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
١٢٨ الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾
	الفصل الخامس
١٣٨ الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾
١٤٤ الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾
١٥٢ الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُرُ الظَّلَامُ عَلَى يَدَيْهِ﴾

الفصل السادس

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَكِيدُوا الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْنَا أَنفُسُهُمْ لَا تَقْظُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ ١٦٢
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ١٦٤
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ١٦٨

الفصل السابع

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ ١٧٦
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٨١
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ١٨٦

الفصل الثامن

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةٍ﴾ ١٩٤
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ١٩٩
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ ٢٠٦

الفصل التاسع

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَرَوَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِدَةً﴾ ٢١٠
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ٢١٥
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ ٢٢١

الفصل العاشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢٢٩
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا نُورًا قُرْدًا﴾ ٢٣٣
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِقَرْنِ الْبَحْرِ ۖ وَحَسَّ الْقَرْ﴾ ٢٣٨

الفصل الحادي عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَافِقَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٢٤٦
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿أَمِنْ هُوَ قَنِيثٌ مَائَةٌ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ ٢٥٠
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتِنَا﴾ ٢٥٧

الفصل الثاني عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ٢٦٤
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ٢٧٢
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَالِيَةَ﴾ ٢٧٨

الفصل الثالث عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ٢٨٥
- الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ ٢٨٩
- الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ ٢٩٥

الفصل الرابع عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِيُجْلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ ٣٠١
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَأَصِيرَ نَقِسَك﴾ ٣٠٦
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَيَبِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ ٣١١

الفصل الخامس عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ٣١٨
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمَلِّ سُوًّا أَوْ يَطْلِمَ نَفْسَهُ﴾ ٣٢٣
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَيَّ مَا نِيرَ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ ٣٣٠

الفصل السادس عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ ٣٤٠
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِغَيْرِ مَعْرُوفٍ﴾ ٣٤٥
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ٣٥٠

الفصل السابع عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرَ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَيْرِ اللَّهِ وَتَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٣٥٦
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ﴾ ٣٦٢
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ٣٦٨

الفصل الثامن عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ ٣٧٧
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿فَيُبَيِّنُ عَمَّا يُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ لِيَسْمَعُوا الْقَوْلَ﴾ ٣٨٢
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ يَوْمَ النَّارِ﴾ ٣٨٨

الفصل التاسع عشر

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ ٣٩٥
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْمَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ٤٠١
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ٤٠٨

الفصل العشرون

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ ٤١٨
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ٤٢٨
 الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ٤٣٢

الفصل الحادي والعشرون

- الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ٤٤٣
 الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقْدًا﴾ ٤٤٧

الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ ٤٥٢

الفصل الثاني والعشرون

الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ٤٥٧

الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْنَعُ مِنَ اللَّهِ مَلَائِكُهُ﴾ ٤٦٣

الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ الرَّحْمَنَ الذَّيْتَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ٤٧٠

الفصل الثالث والعشرون

الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ٤٧٨

الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْغَنَاءُ الدُّنْيَا لِمَبٍ وَلَقَوْمٍ﴾ ٤٨٥

الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَفْزَعٍ مِّنْ ذِيكُرٍ﴾ ٤٩١

الفصل الرابع والعشرون

الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ بَعْدَهُ بِبَيْعِهِ﴾ ٤٩٨

الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفْرَقُونَ مِنَ الْأُنْجَاكِ بَرَكًا﴾ ٥٠٢

الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْثِ الْأَعْيُنِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ ٥٠٧

الفصل الخامس والعشرون

الخطبة الأولى: في قوله تعالى: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ ٥١٣

الخطبة الثانية: في قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ٥١٩

الخطبة الثالثة: في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٥٢٣

ثبت المصادر والمراجع ٥٢٨

الفهارس ٥٣٨

فهرس الآيات القرآنية ٥٣٩

فهرس الأحاديث والآثار ٥٥٢

فهرس القوافي والأشعار ٥٥٦

فهرس القصص الوعظية ٥٦١

فهرس الأماكن والبلدان ٥٦٥

فهرس القبائل والأمم ٥٦٩

فهرس الأعلام ٥٧٠

فهرس الموضوعات العام ٥٨٠

المحور العزب في الملاحظة والنظير

تأليف

الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م

دراسة وتحقيق وتعليق

الدكتورة أروى سمير مجزوب

دار التبيين للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دار التبيان للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

فاكس وماتف: ٧٠٣١٧٤ / ٠١ - خليوي: ٢٩٣١٦٣ / ٠٣

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار، الذي أيقظ من خلقه من أصطفاهم فزهدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامة الأفكار وملازمة الاتعاظ والأذكار، والمحافظة على ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار، أحمدته حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله البر الكريم، الرؤوف الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، هذا كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب» للمفسر الحافظ، الفقيه الواعظ، الأديب جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بأبن الجوزي، أقدم نصه بين يدي القراء الكرام. ولقد قسمت عملي هذا إلى قسمين اثنين؛ فأثبت في القسم الأول منه دراسة في فصلين، حيث تكلمت في الفصل الأول عن الخطابة معنى وتاريخاً وأسلوباً، مبينة أهمية الوعظ في هذا الفن وتدرجه من لدن رسول الله ﷺ وحتى عصر الإمام ابن الجوزي (رحمه الله)، وعن الخطيب وما يتطلبه من عدة وصفات. ثم ترجمت في الفصل الثاني للإمام ابن الجوزي (رحمه الله)، السباق في فن الخطابة الوعظية، ومصنف كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب»، فسلطت الضوء على عصره ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته، ومكانته العلمية وأقوال العلماء فيه، وختمت الفصل بالحديث عن ابن الجوزي الخطيب الواعظ؛ حيث بينت منهجه وأسلوبه في هذا الفن الذي أشتهر به فكان فيه نسيج وحده، وفريد دهره، وما كتابنا «المورد العذب» إلا آية من آيات براعته الوعظية والخطابية التي ما زالت حية في مؤلفاته، مؤثرة في قارئها.

أما القسم الثاني فحققت في الفصل الأول منه صحة نسبة الكتاب إلى الإمام ابن الجوزي، وكذا حققت أسمه، وبينت قيمته العلمية بما حواه من ثروة أدبية ولغوية فريدة، فضلاً عن أهمية مؤلفه وعظيم مكانته، وأتبع ذلك ببيان خطة عملي في الكتاب، ومنهجي في التحقيق وما صادفني فيه من صعوبات وعقبات، ثم عمدت إلى كتاب «المورد العذب في المواعظ والخطب» في الفصل الثاني؛ فأضطلعت بتحقيقه وضبطه والتعليق عليه على نحو أرجو الله الحكيم العليم أن أكون قد وفقت فيه، وأن يكون مقبولاً عنده.